صادق عبد على الركابى

الانتحار الجماعى

أكبر عمليات الانـتحار الجماعى
فى التاريخ



مكتبة مدبولى

الانتحار الجماعى

يتناول هذا الكتاب أحد الأشكال الخطيرة للانتحار التي ازدادت خلال السنوات الأخيرة هو الانتحار الجماعي الذي يحدث إما لأسباب دينية أو عقائدية. ومن الأشكال العسكرية أو شبه العسكرية منه هو المهمات أو العمليات أو التفجيرات الانتحارية أو الكاميكاز. وقد تلجأ بعض الفئات المنهزمة إلى الانتحار بدلاً من الاستسلام. أما مواثيق الانتحار فهي شكل من أشكال الانتحار الجماعي الذي ليست له علاقة بالعقائد أو الحروب ويخطط له وينفذ من قبل مجاميع صغيرة من الناس الذين يشعرون بإحباط شديد، وغالبًا ما يكونون من العشاق. وقد استخدم الانتحار الجماعي كشكل من أشكال الاحتجاج السياسي. ويمكن تفسير عمليات الانتحار الجماعي بواسطة ديناميات الجماعة من الإيحاء والانقياد وضغط المجموعة والتوحد والمحاكاة.

يعتبر الانتحار جريمة إنسانية تستنكرها جميع القوانين والأديان والأعراف الاجتماعية في كافة أنحاء العالم. وإذا كان قتل الفرد لنفسه يشكل جريمة إنسانية، فإن الانتحار الجماعي يشكل جريمة بشعة بحق الإنسانية، ويعتبر ظاهرة فريدة في تاريخ البشرية، وقد مارسته الكثير من شعوب العالم في كافة أنحاء المعمورة.

مكتبة مدبولى
MADBOULY BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١
6 Talat harb SQ. Tel:25756421
www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

الانتحار الجماعي

أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ

الركابي ، صادق عبد علي .
الانتحار الجماعي : أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ
تأليف : صادق عبد علي
ط١.- القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠١٤م.
٧٣٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .
تدمك : 0 _ 894 _ 208 _ 977
١ ــ الانتحار
أ ــ العنوان .
ديوى ٣٦٤.١٥٢٢
رقم الإيداع : ٢٢٤٠٥ - ٢٠١٠م

مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٢٥٧٥٦٤٢١- فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤
الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com
البريد الإلكتروني : Info@madboulybooks.com

الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١١١٤١٠١٣٣٢

الانتحار الجماعي

أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ

تأليف
صادق عبد علي الركابي

الناشر
مكتبة مدبولي
2014

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء: ٢٩ - ٣٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿... وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥).

* قال الرسول محمد (ﷺ): "مَنْ قتلَ نفسَهُ بحديدةٍ، فحديدته في يدِهِ يتوجأ بها في بطنِهِ في نارِ جهنمٍ خالداً مخلداً فيها أبداً، ومَن شربَ سماً فقتلَ نفسَه فهو يتحساهُ في نارِ جهنمٍ خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبلٍ فقتلَ نفسَهُ فهو يتردى في نارِ جهنمٍ خالداً مخلداً فيها أبداً". رواه البخاري ومسلم.

*"اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَاب الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ

الْحَسَكِ تِينًا؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ".

إنجيل متى - الإصحاح السابع - الآيات ١٥-١٩.

إهـــداء

في ٢١ نيسان ٢٠٠٤م فجر خمسة انتحاريين في محافظة البصرة بجنوب العراق خمس سيارات مفخخة وقتلوا ٧٤ شخصا بضمنهم ١٨ طفلا لا يتجاوز عمر أكبرهم العشر سنوات.

وفي ٣٠ أيلول ٢٠٠٥م، فجر انتحاريان نفسيهما على تجمع للأطفال العراقيين في منطقة النعيرية جنوب شرق بغداد وقتلوا ٣٥ طفلا وجرحوا ٧٢ آخرين، أكبرهم كان دون سن الرابعة عشر.

وفي ٧ مايس ٢٠٠٥م فجر انتحاري نفسه وقتل أحد عشر طفلاً من طلاب إحدى المدارس الابتدائية القريبة من ساحة التحرير وسط بغداد.

وفي ١٨ آذار ٢٠٠٧م سمح رجال الشرطة في منطقة الأعظمية ببغداد لرجل يحمل طفلين في المقعد الخلفي لسيارته، بالدخول إلى موقع سوق شعبي مزدحم بالسكان ففجر نفسه مع الطفلين وسط السوق وقتل عددا من المتبضعين.

وفي ٦ آب ٢٠٠٧م فجر انتحاري شاحنة مفخخة في مدينة تل أعفر شمال غرب العراق وقتل ٢٨ شخصا بضمنهم ١٩ طفلا أكبرهم بعمر أحد عشر عاما.

تشير الإحصاءات الرسمية للجنة المرأة والطفل في البرلمان العراقي أن نسبة الأطفال من مجموع ضحايا الهجمات الانتحارية في العراق تبلغ بحدود ٢٠٪ أي من بين كل خمسة قتلى هناك طفل واحد، بينما تبلغ نسبة الضحايا من النساء حوالي ٣٥٪.

إن هذه ليست مجرد أرقام وإحصاءات باردة بل هي أرواح أطفال بريئة تحمل أحلاماً وآمالاً ورغبات ومشاعر حب للأهـل والأقرباء والأصدقاء وأمل كبير بالمستقبل الذي ينتظرهم، لكنها تحطمت جميعها في لحظة جنون لشخص أو جماعة ماتت الرحمة في قلوبها وفقدت حسها الإنساني، فتمزقت وتناثرت أشلاء هذه الملائكة وتمزقت معها قلوب أهاليهم ومحبيهم وأصدقائهم.

فإلى هذه الأرواح البريئة التي جاءت الزى عالمنا ورحلت عنه دون أن ترتكب ذنبا أو تدرك سببا ولو واحدا يبرر عذاباتها ورحيلها المبكر، أهدي هذا الجهد المتواضع. كما أهديه إلى كل روح بريئة على سطح هذه البسيطة أزهقت بسبب فعل انتحاري لمعتوه يعاني من الذهان وخبل البارانويا، والى كل قطرة دم طاهر سفحت غدرا بمثل هذه الأعمال، وإلى كل طفل وشيخ وفتى وفتاة ورجل وامرأة تعمر المحبة والإنسانية قلبه ويؤمن بالخير والحب والسلام ولم يتخذ من الكلاشنكوف والعبوات الناسفة واللاصقة والأحزمة الملغمة والسيارات المفخخة أسلوبا للحوار.

صادق عبد علي الركابي

شكــر وتقـديـر

إذا كان من الواجب تقديم الشكر والتقدير لمن ساعدني في إنجاز هذا الكتاب سـواء فـي تقـديم المعـلومة الـمفـيدة أو المشـورة الضرورية أو في التنقيح اللغـوي أو تصحيح المسـودات، فمن المحتم عليَّ أن أتقـدم بالشـكر إلـى السـيد **علي حسين حسن القرغولي** الأستاذ التربوي في محافظة القادسية بالعراق لما بذله من جهد مشكور في قـراءة مسـودة الكـتاب ومناقشـتي في بعـض ما جـاء فيهـا وتصحيح ما ينبغـي تصحيحه.

وكانت للدكتور **عبد الهادي جبار العبودي** وللأستاذ **علي حسين عبد العال** مواقف إنسانية رائعة تدل على نبل أخلاقهما وسمو روحيهما، ولا يمكن لي أن أنسى أفضالهما ما حييت، فإليهم مني بالغ المودة والتقدير.

ولا يمكنني أن أنسى جهود صديقي الدكتور **فراس عبد المنعم عبد الله**، أستاذ القانون الجنائي في كلية القانون بجامعة بغداد، الذي لفت نظري للعديد من المواضع التي غابت عني وأخذ بيدي في الكثير من الأمور التي غفلت عنها، فأتقدم إليه بشكري وتقديري، كما لا أنسى الأستاذ **أحمد شهاب محسن الرماحي** المشاور القانوني في وزارة التربية العراقية، الذي قلَّ نظيره بين أصدقائي ومعارفي من حيث فطنته ونبله وتضحياته من أجلي، فله مني كل الشكر والامتنان.

وفي الآخر أرى لزاماً عليَّ أن أشكر بعـض المخلصين الذين كان لهم فضلا عليَّ لا يتعلـق بموضوع هذا الكتاب، بل علـى حياتي بصورة عامة، أولهم عمـي الأستاذ **عبد الصاحب طريخم الركابي**، الذي يمكن أن أذكر له من بين الكثير من الأفضال والمواقف الطيبة، تشجيعه ودعمـه لي ماديا ومعـنويا منذ صغري وخلال إكمالي لدراستي الجامعية وما بعـدها، ويليه أشقائي **ريسان (أبو محمد) وحيدر (أبو تمام) وهاني (أبو مؤمل) ووائل ونبيل (أبو محمد)**، الذين وقفـوا إلى جـانبي في سرائي وضرائي وفي عسـري ورخـائي، دون أن ينتظـروا منـي مقـابلاً، فإليـهم مني كل الحب والمودة والتقدير.

صادق عبد علي الركابي

مقدمة

إذا كان انتحار إنسان هو أمر مريع، فإن انتحار مجموعة من البشر في وقت واحد وخلال فترة زمنية محددة، أمر يستدعي أكثر من وقفة وأكثر من كتاب أو دراسة.

الانتحار هو إنهاء المرء لحياته أو هو التدمير الإرادي للذات. وقد يحصل لأسباب عديدة منها الاكتئاب أو الشعور بالعار أو الذنب أو القنوط أو نتيجة الألم الجسماني أو الضغط أو القلق أو المصاعب المالية أو للتخلص من موقف عصيب. وتقول منظمة الصحة العالمية أنه في كل ٣٩ دقيقة يحصل حادث انتحار، وبذلك يكون أحد الأسباب الرئيسة للموت في العالم. وهناك حوالي ١٠ إلى ٢٠ مليون محاولة انتحار فاشلة في العالم كل سنة(١).

ومن أقدم حوادث الانتحار التي تذكرها لنا كتب التأريخ وهي أقرب للأسطورة منها إلى الحقيقة ما ورد في سفر القضاة الإصحاحات ١٣ - ١٦ عن قصة صراع شمشون مع الفلسطينيين التي تنتهي بأسره لكنه بحركة واحدة يسقط أعمدة المعبد فينهار على من فيه، فيموت هو مع ثلاثة آلاف فلسطيني كانوا متواجدين داخل المعبد.

وتختلف النظرة للانتحار حسب الرؤية الثقافية للدين والشرف ومعنى الحياة. وتعتبره الأديان السماوية الثلاثة عملا شائنا. ويعتبر في الغرب جريمة خطرة ومعصية

(1) Jose Manoel Bertolote, Alexandra Fleischmann, Suicide and psychiatric diagnosis, a worldwide perspective, Department of Mental Health and Substance Dependence, World Health Organization, Geneva, Switzerland, 2009م.

للخالق استنادا للمفهوم الديني بشأن حرمة وقدسية الحياة. مع ذلك، يوجد لدى هذه الديانات مفهوم الشهادة الذي يعتبر لديها عملا فذا بطوليا يختلف عن الانتحار. وقادت رؤية اليابانيين إلى الشرف والدين إلى ابتكار السيبوكو، وهو واحد من أشد طرق الانتحار إيلاما، وأصبح محل احترام وتبجيل كوسيلة للتكفير عن الخطايا أو الفشل، أو كشكل من أشكال الاحتجاج خلال فترة حكم الساموراي. وفي القرن العشرين استخدم أسلوب حرق النفس كشكل من أشكال الاحتجاج، واستخدم الطيارون اليابانيون أسلوب الكاميكاز Kamikaze أو الهجمات الانتحارية ضد بوارج الحلفاء. وهناك أيضا طريقة الساتي Sati وهي ممارسة هندية ترمي فيها الأرملة الهندية نفسها في محرقة زوجها المتوفى سواء بإرادتها أو بضغط من أسرتها وأسرة زوجها.

أما القتل الرحيم أو الحق في الموت Euthanasia، فهو موضوع أخلاقي محل جدل، وفحواه إنهاء حياة المريض الذي لا يرجى شفاؤه ويعاني من آلام مبرحة أو لديه فرصة قليلة في الحياة نتيجة إصابة معينة أو مرض. أما التضحية بالنفس من أجل الآخرين فلا يعتبر انتحارا لأن الهدف منها ليس قتل الذات بل إنقاذ شخص آخر.

ويرى الطب الحديث الانتحار بأنه اختلال في الصحة العقلية المرتبط بعوامل نفسية مثل صعوبة تجاوز الاكتئاب أو الخوف أو المعاناة التي لا أمل بزوالها أو أية ضغوطات أو اختلالات عقلية. وقد يفسر الانتحار أحيانا بأنه صرخة استغاثة أو تعبير عن اليأس أو الرغبة في الهروب بدلا من أن يكون رغبة حقيقية في الموت. ومعظم المنتحرين لا ينهون حياتهم من أول محاولة للانتحار، بل من تكون له محاولات متكررة في الانتحار تكون نسبة إكماله عملية الانتحار عالية[1].

تشير الإحصاءات الرسمية أن حوالي مليون شخص ينتحر سنويا، وهذا يعني أن هذا العدد أكبر من عدد الذين يقتلون في الحروب أو جرائم القتل. وبموجب

(١) موسوعة ويكيبيديا الالكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide .

إحصاءات ٢٠٠٥م في الولايات المتحدة فأن أعداد المنتحرين فاقت أعداد ضحايا جرائم القتل بنسبة اثنين إلى واحد وجاء تسلسل الانتحار كسبب للموت في البلاد بالمرتبة الحادية عشر متقدما على أمراض الكبد والشلل الرعاشي (الباركنسن). وتشير إحصاءات مركز الصحة العام في الولايات المتحدة لعام ٢٠٠٨م إلى تزايد نسبة الانتحار في البلاد لأول مرة خلال العقد. ويرجع سبب زيادة نسبة الانتحار خلال الفترة من ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٥م إلى زيادة نسبة المنتحرين بين البيض البالغة أعمارهم بين ٤٠ إلى ٦٤ عاما وسجلت النساء البيض في متوسط العمر أعلى زيادة سنوية بين المنتحرين. وزادت نسبة الانتحار في العالم بنسبة ٦٠٪ خلال الخمسين سنة الماضية خاصة في الدول النامية. وتحصل أغلب حالات الانتحار في العالم في آسيا التي يقدر أنها تصل إلى ٦٠٪ من جميع حوادث الانتحار في العالم. وتشير إحصاءات منظمة الصحة العالمية إلى أن نسبة حالات الانتحار في الصين واليابان والهند هي ٤٠٪ من مجموع حالات الانتحار في العالم أجمع[1].

وتفوق نسبة المنتحرين من الرجال في العالم الغربي مثيلتها لدى الإناث، رغم أن محاولات الانتحار لدى الإناث أكثر منها لدى الرجال. وتقدر نسبتهم بثلاث أو أربع مرات بقدر نسبة الإناث. بينما سجلت جزر سيشل وكينيا خلال ١٩٧٩م - ١٩٨١م نسبة متساوية للمنتحرين من الذكور والإناث. في حين فاقت نسبة المنتحرات مثيلتها لدى الذكور في بابوا جويانا الجديدة ومكاو وجويانا الفرنسية. بينما تفوق نسبة المنتحرين نسبة المنتحرات في باقي أنحاء العالم. وتجاوزت نسبة المنتحرات بين سن ٥-١٤ عاما مثيلتها لدى الذكور في ١٤ بلدا خاصة في بلدان أمريكا الجنوبية

(١) تقرير لمنظمة الصحة العالمية صادر في ١٠ أيلول ٢٠٠٨م بعنوان اليوم العالمي لمكافحة الانتحار ٢٠٠٨م منشور على موقع المنظمة.
http://www.who.int/mental_health/prevention/suicide/wspd_2008_statement.pdf

وآسيا. وسجلت لتوانيا أعلى نسبة انتحار في العالم حيث بلغت نسبة المنتحرين فيها من الذكور في ٢٠٠٥م ثمانية وستون شخصا من كل مئة ألف نسمة بينما بلغت نسبة الإناث ١٢ سيدة من كل مئة ألف امرأة. تلتها بيلاروسيا ثم روسيا وجنوب أفريقيا وسلوفينيا وهنجاريا وكازاخستان ولاتفيا بالتسلسل. وسجلت البحرين أعلى نسبة للمنتحرين في الدول العربية حيث بلغت ٤.٩ من كل ١٠٠ ألف من الذكور و٠.٥ من كل مئة ألف من الإناث في ١٩٨٨م. تلتها الكويت وسجلت ٢.٥ من كل مئة ألف من الذكور و١.٤ من كل مئة ألف من الإناث في ٢٠٠٢م. ثم سوريا التي سجلت ٠.٢ من كل مئة ألف من الذكور وصفر من الإناث في ١٩٨٥م وبعدها مصر التي سجلت ٠.١ من كل مئة ألف من الذكور وصفر من الإناث في ١٩٨٧م. بينما بلغت نسبة المنتحرين في إسرائيل في ٢٠٠٣م، ١٠.٤ من كل مئة ألف من الذكور و٢.١ من كل مئة ألف من الإناث[1].

ويشير بعض المختصين طبيا أن الرجال يميلون في الانتحار إلى استخدام وسائل عنيفة (كإطلاق النار أو الطعن بسكين أو الشنق ...الخ) بينما تميل النساء إلى إتباع طرق تكون أكثر عرضة للفشل في تحقيق الموت مثل تناول جرعة زائدة من الأدوية وغير ذلك. ويعزون ذلك إلى الفروق الوراثية بين الرجال والنساء.

وتشير الدراسات الإحصائية في الولايات المتحدة أن نسبة المنتحرين من الأمريكيين الآسيويين هي أعلى من نسبة الانتحار لدى أي مجموعة عرقية أخرى في الولايات المتحدة كما إن نسبة المنتحرين من القوقازيين هي أعلى من نسبتهم لدى الأمريكيين الأفارقة. وينطبق هذا على كلا الجنسين. كما إن نسبة المنتحرين من

(1) Donna L. Hoyert and others, National Vital Statistica Reports, CDC, Volume 54, Number 13, April 19, 2006
http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr54/nvsr54_13.pdf

الذكور من عمر فوق السبعين هي أعلى من نسبة باقي الأعمار، ولا ينطبق الأمر على النساء فوق السبعين. كما إنها وجدت أن انتحارهم يتم بحدود مواعيد ميلادهم. وتشير هذه الدراسات أيضاً إلى إن مواسم الانتحار غالبا هي خلال الربيع والصيف ولا صحة لما يقال أن نسبته تزداد خلال أعياد الميلاد[1].

وقد ينتحر الشخص بعد أن يقتل شخصا أو مجموعة من الأشخاص ويسمى هذا جريمة القتل والانتحار، ويأتي لأهداف وبأشكال متعددة منها التخلص من العقوبة أو معاقبة الذات أو التشجيع على القتل كما في التفجير الانتحاري. وقد يقتل الشخص أطفاله أولاً ثم ينتحر ويأتي هذا لتجنيبهم مآسي الحياة أو لكي لا يصبحوا يتامى من بعده كما يتصور المنتحر أو لمجرد تجريب الفعل قبل الأقدام عليه. وهناك الانتحار المشترك أي أن يقتل الشخص رفيقه بموافقته ثم يقتل نفسه. أو قد يأتي الانتحار بعد الثأر من بعض الأشخاص الذين يعتبرهم المنتحر مسؤولين عن شرور العالم كما حصل في حوادث إطلاق النار في المدارس الأمريكية. وهناك نوع آخر من الانتحار هو الانتحار الديني أو المذهبي الذي قد يتضمن في أحيان كثيرة جرائم قتل.

وتأتي الهجمات الانتحارية لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية يعتقد المنتحر أنها ستتحقق عند مقتله. وتبرز التفجيرات الانتحارية في السنين الأخيرة في الأخبار بكونها عملاً إرهابياً. وهناك الكثير من الأمثلة عن هذه الهجمات الانتحارية مثل اغتيال القيصر الإسكندر الثاني وكذلك هجمات الكاميكاز خلال الحرب العالمية الثانية وهجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م على نيويورك والهجمات الانتحارية في كل من فلسطين والعراق وأفغانستان.

---

(1) Donna L. Hoyert, Deaths: Final Data for 2003,US department of Health and Human services, National Center for Health Statistics, National Vital Statistics System, Volume 54, Number 13, Apr. 19 2006.

أجرى الدكتور أريل ميراري رئيس مركز العنف السياسي بجامعة تل أبيب والأستاذ بجامعة هارفارد دراسات مبنية على الملاحظة والاختبار ولاحظ أن دوافع الهجمات الانتحارية ليس دينيا دائما، ولكن قد تقوم بعض المنظمات بمثل هذه الهجمات خلال بعض الأوقات العصيبة عندما تشعر أنها أمام مفترق طريق سياسي ستراتيجي.

وبعد أن يعطي أمثلة لهجمات نفذتها حماس وحزب العمال الكردستاني في تركيا وباقي المنظمات في منطقة الشرق الأوسط، يقول أنه لم يكن الدافع وراء هجماتهم الانتحارية دينيا. ففي لبنان مثلاً، ثلثا الهجمات الانتحارية قد نفذتها منظمات علمانية مثل حزب البعث السوري والبعث اللبناني والحزب القومي الاشتراكي السوري. وكان حزب الله رائداً في مثل هذه الهجمات لذلك اكتسب سمعة سيئة في هذا المجال أكثر من غيره. وثواب الجنة ليس ضرورة في الهجمات الانتحارية، فنمور التأميل من الهندوس وحزب العمال الكردستاني حزب ماركسي شيوعي. وتقف العواطف والمشاعر القومية والوطنية خلف معظم الهجمات الانتحارية في العالم. فعندما يوجد الشخص الذي يرغب بالموت من أجل القضية، يتم تلقينه لأسابيع وأشهر مبادئ الحزب أو المنظمة التي تتبناه، وخلال هذه العملية تعمق كراهيته للعدو وتؤجج مشاعره الوطنية وتغرس في ذهنه أنه سيحقق مجد الأمة، وإذا كانت المنظمة دينية، أنه سينال الثواب في الآخرة. ويشحن هذا المتطوع بالعواطف إلى درجة اللاعودة[1].

وبالنسبة إلى نمور التأميل ولكونهم يسيطرون على منطقة محددة، فقد أنشأوا وحدات للمهاجمين الانتحاريين، أما بالنسبة لمنطقتنا الشرق الأوسط فأن منظماتها غالباً ما تجند الانتحاريين بشكل سري.

(1) Walter Rich, Origins of Terrorism: Psychologies, Ideologies, Theologies, States of Mind, The Woodrow Wilson Center Press, Pennsylvania, 1998, Chapter 10 by Ariel Merari, The Readiness to kill and die: Suicidal terrorism in the Middle East, p. 192.

تميزت بعض الأماكن بارتفاع عدد محاولات الانتحار التي تجري فيها. وأكثر مكانين حصلت فيهما حوادث انتحار هما جسر البوابة الذهبية أو Golden Gate Bridge في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة وغابة أوكيجاهار Aokigahara Forest في اليابان والرأس الرملي في إنجلترا The Beachy Head. فقد تجاوز عدد المنتحرين من فوق جسر البوابة الذهبية في ٢٠٠٥م أكثر من ١٢٠٠ منتحر. بينما سجلت ٧٨ حالة انتحار في غابة أوكيجاهار في ٢٠٠٢م، في حين كان عدد هذه الحالات فيها خلال ١٩٩٨م ثلاث وسبعين حالة. ونتيجة لارتفاع حالات الانتحار في هذين المكانين، اضطرت السلطات إلى وضع علامات ولافتات تحث الضحايا المحتملين على التروي وطلب المساعدة[1].

جرت ٥٢٪ من حالات الانتحار في الولايات المتحدة في ٢٠٠٥م باستخدام الأسلحة النارية(٢). وتستخدم أيضاً وسائل أخرى كالشنق مثلاً أو تناول السم أو جرعة كبيرة من عقار وتشكل هذه نسبة ٤٠٪ من حالات الانتحار فيها. وهناك وسائل أخرى مثل القفز من مبنى عال أو جسر أو رمي النفس أمام قطار أو سيارة مسرعة. ومن الوسائل الأخرى قطع شريان اليد أو الرقبة أو الغرق أو الموت بالكهرباء أو التسمم بالإشعاع أو الجوع حتى الموت. وقد يطلب المنتحر من شخص آخر إعانته على قتل نفسه.

هناك أسباب عديدة للانتحار منها: الاختلال العقلي أو المعاناة الشديدة أو الحزن أو القلق أو الصداع المسبب للانتحار أو الحب من طرف واحد أو عدم

---

(1) Tad Friend, Jumpers: The fatal grandeur of the Golden Gate Bridge, The New Yorker, Oct 13 2003.
http://www.newyorker.com/archive/2003/10/13/031013fa_fact

(٢) - منظمة مكافحة الانتحار، تقرير عن معدلات الانتحار من ١٩٥٠م-٢٠٠٣م
http://www.suicide.org/suicide-statistics.html

حصول المدمن على المادة المدمن عليها أو بدافع فلسفي أو أيديولوجي أو للتخلص من عقوبة أو بيئة قاسية أو الذنب أو العار أو الخسارة المالية أو التضحية بالذات أو كجزء من استراتيجية عسكرية واجتماعية كما في الهجمات الانتحارية أو نتيجة الاعتقاد بأن الحياة لا قيمة ولا فائدة منها كما يحصل لدى أنصار مذاهب العبثية أو التشاؤمية أو العدمية أو كجزء من عقيدة أو مبدأ ديني أو مذهبي أو الوحدة أو لاستعادة الشرف كما في السيبوكو أو الفضول لمعرفة ما يحصل بعد الحياة أو الخشية من الشيخوخة أو لقضايا جنسية ليس لها حل أو العقاقير كما يحصل من آثار جانبية لبعض المسكنات.

أجرى الدكتور مايكل بولتر من جامعة غرب أونتاريو مع مجموعة من زملائه من جامعة كارلتون وجامعة أوتاوا أبحاثا على أدمغة بعض المنتحرين، وتوصلوا إلى أن الاكتئاب الحاد يمكن أن يقود إلى تغييرات معينة في عوامل الـ(دي أن أي) DNA الموجودة في الدماغ البشري، وتؤثر هذه التغييرات على فاعلية المورثات (الجينات) وهذا ما يؤدي إلى اضطرابات نفسية ومرضية.

درس بولتر وزملاؤه الأنسجة الدماغية لعشرة أشخاص انتحروا بعد قضاء فترة من الاكتئاب والأنسجة الدماغية لعشرة أشخاص ماتوا بحوادث سيارات وذات الرئة أو أسباب غير طبيعية أخرى. وكل هذه الأدمغة تعود لرجال ونساء بنفس العمر تقريباً وجميعهم مواطنون هنجاريون. توصل الباحثون إلى أن أدمغة جميع المنتحرين مرت بعملية (مثلنة) وهي عملية كيميائية تتمثل بإضافة مجموعة الميثيل إلى المجموعات الأمينية. وتؤدي هذه العملية إلى تغير في المعادن الثقيلة وتنظيم قدرة الجينات وتنظيم وظيفة البروتين وعملية بناء البروتوبلازما ودثورها والتغيرات الكيميائية في عوامل RNA.

وقد توصلوا إلى هذه النتائج بعد تحليل إنزيم DNA methyltransferase المسؤول عن عملية مثلنة عامل DNA. ووجدوا أن أدمغة المنتحرين تحوي كمية كبيرة من هذا الأنزيم في بعض مناطق الدماغ في وقت واحد بما في ذلك المنطقة الأمامية[١].

وكشفت الدراسات عن وجود اضطرابات نفسية لدى ضحايا الانتحار في وقت حصول الحادث وتتراوح نسبة ذلك بين٨٧.٣٪ إلى ٩٨٪ وأكثرها شيوعاً هي الاضطرابات المزاجية والإدمان. وقد يرتكب الشخص الذي يعاني الشيزوفرينيا (فصام الشخصية) الانتحار لعدة أسباب منها الكآبة الشديدة. وقد يسبب مرض اضطراب المزاج الثنائي Bipolar Disorder الانتحار نتيجة تقلبات المزاج الحادة أو نتيجة الأوهام التي تسيطر على المريض خلال نوبة الجنون أو الاكتئاب الذهاني. وأعلى نسبة للمنتحرين خاصة بين الرجال هي بين المصابين بمرض الاكتئاب الحاد أو ما يسمى بالاكتئاب الأحادي أو السريري وهو مرض عقلي يعاني صاحبه من الكآبة الشديدة وقلة احترام الذات وفقدان الرغبة والاستمتاع بأي نشاط يكون ممتعا بطبيعته[٢].

ومن أشهر وأقدم المنتحرين العرب الفيلسوف المعتزلي أبو حيان علي بن محمد ابن العباس البغدادي الصوفي المشهور بالتوحيدي ٩٥٣م - ١٠٢٣ م الذي أصيب في أواخر أيامه بمرض الميلانخوليا Melancholia الذي هو من الاضطرابات المزاجية الذي يتميز بكآبة غير محددة ويأس وقنوط وفتور شديد في الهمة والنشاط.

(1) Michael Poulter and Others, Dysregulation in the Suicide Brain, Carleton University, Institute of Neuroscience,
http://www2.carleton.ca/neuroscience/staff/faculty/poulter.html

(2) Genevieve Arsenault-Lapierre, McGill Group for Suicide Studies, Douglas Hospital Research Centre, Department of psychiatry McGill University, Montreal, Canada. 4 Nov. 2004.

والميلانخوليا اصطلاح قديم ربما يشير في الطب الحديث إلى مرض الشيزوفرينيا أو اضطراب المزاج الثنائي. ويستدل على مدى حزنه العميق والكآبة الحادة التي يشعر بها من قوله: "فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلقة، مستأنسا بالوحشة، قانعاً بالوحدة، معتاداً للصمت..". وأشعل النار في كتبه ومؤلفاته وقتل نفسه(١).

ومن الأسباب الأخرى للانتحار هي للأعراب عن الاحتجاج والمعارضة. وغالباً ما يكون الانتحار البطولي الذي يتم بدافع التضحية من أجل الآخرين محل تقدير وتبجيل. على سبيل المثال أضرب المهاتما غاندي عن الطعام من أجل وقف القتال بين الهندوس والمسلمين، ولكن رغم أنه قد أوقف إضرابه قبل أن يموت، إلا إنه كان مصمماً على الموت بسبب الجوع. وقد جلب هذا، الانتباه إلى قضية غاندي وولد قدراً كبيراً من الاحترام له كزعيم روحي. وفي الستينات أثار الرهبان البوذيون خاصة الراهب تشيك كوانج دوك من فيتنام الجنوبية، اهتمام الغرب باحتجاجهم على الرئيس نجو دينه دايم بإحراق أنفسهم حتى الموت. ففي ١١ حزيران/ يونيو ١٩٦٣م أحرق الراهب دوك نفسه في تقاطع طرق بسايجون احتجاجا على اضطهاد إدارة الرئيس الفيتنامي الجنوبي للبوذيين. تلاه بعد ذلك إحراق خمسة رهبان فيتناميين لأنفسهم واستمرت الاحتجاجات حتى أطيح بحكومة دايم(٢). وفي الستينيات أيضا، انتحر الأمريكي نورمان موريسون ١٩٣٣م-١٩٦٣م (من جماعة الأصحاب) احتجاجا على تورط الولايات المتحدة في حرب فيتنام. ففي ٢ ت٢/ نوفمبر ١٩٦٥م رش على نفسه مادة الكيروسين (النفط الأبيض) وأحرقها أمام مكتب وزير الدفاع

(١) فريد الفالوجي، موسوعة أشهر المنتحرين في العالم، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م.

(2) Denis Ashton Warner, The Last Confucian: Vietnam, South-East Asia, and The West, Mcmillan Inc. New York, 1963,

في البنتاجون[1]. وحصلت حوادث مشابهة أخرى خلال الحرب الباردة في أوربا الشرقية مثل انتحار المواطن البولندي رازارد سيويك ١٩٠٩م - ١٩٦٨م بإحراق نفسه في ستاد للاحتفالات وأمام ١٠٠ ألف متفرج احتجاجا على الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا وكذلك انتحار المواطنين التشيكيين جان بالاش ١٩٤٨م - ١٩٦٩م وجان زاييك ١٩٥٠م - ١٩٦٩م بنفس الطريقة ولنفس السبب. وفي ١٤ مايس/ مايو ١٩٧٢م أحرق اللتواني روماس كالانتا نفسه في ساحة أمام مسرح كوناس في مدينة كوناس اللتوانية احتجاجا على احتلال لتوانيا وقمع السوفيت للغة والثقافة والشعب اللتواني. ومن الأمثلة الحديثة انتحار الناشط الأمريكي المناهض للحروب مالاتشي ريتشر في ٣ ت٢/ نوفمبر ٢٠٠٦م بإحراق نفسه وسط مدينة شيكاجو احتجاجا على حرب العراق. وفي أيرلندا هناك تأريخ طويل من الإضراب عن الطعام حتى الموت احتجاجاً على الحكم البريطاني لأيرلندا. وأشهر هذه الحوادث الإضراب عن الطعام حتى الموت الذي قاده بوبي ساندز (١٩٥٤م-١٩٨١م) في ١٩٨١م في أيرلندا الشمالية وأسفر عن موت عشرة أشخاص. وقد أضرب ساندز مدة ٦٦ يوماً عن الطعام من تأريخ ١ آذار/ مارس إلى ٥ مايس/ مايو ١٩٨١م وتوفي عن عمر ٢٧ عاماً. وقد سبب ذلك غضبا دولياً واسعاً، فوقف البرلمان الهندي دقيقتي صمت على روح الضحايا وأسمت الحكومة الإيرانية الشارع الذي تطل عليه السفارة البريطانية بطهران باسم شارع بوبي ساندز. وقبل استقلال جمهورية أيرلندا، حصلت إضرابات مماثلة أخرى عن الطعام وانتهت بموت المضربين مثال ذلك إضراب تيرينس ماكسويني ١٨٧٩م - ١٩٢٠م من مدينة كورك الأيرلندية والذي

(1) Joyce Hollyday, Signs & Wonders, Grace Like a Balm, Sojourners Faith, Politics, Culture, July 1995,
http://www.sojo.net/index.cfm?action=magazine.article&issue=soj9507&article=950752

ألقت السلطات البريطانية القبض عليه بتهمة التحريض على العصيان وألقته في سجن بريكستون بإنجلترا حيث أضرب عن الطعام مدة ٧٤ يوماً وتوفي في ٢٥ ت١/ أكتوبر ١٩٢٠م. ويرى المنتقدون أن نتائج هذه النوع من الانتحار سلبية أكثر مما هي إيجابية، إذ ربما سيحقق هؤلاء الناس نتائج أفضل فيما لو أمضوا المتبقي من حياتهم في الكفاح والنضال الفعال. وهذا الأمر محل خلاف خاصة إذا ما أدرك المرء أنه لم يكن السجناء الأيرلنديون يحصلون على حقوقهم وتحسين أوضاعهم لولا إضراب بوبي ساندز وزملائه عن الطعام حتى الموت[1].

وقد لا ينتحر بعض الناس نتيجة معاناتهم من الكآبة أو اليأس، بل بهدف رؤية حياة ما بعد الموت أو نتيجة دوافع دينية أو فلسفية أو وجودية. وهذا يوضح أن النظرة إلى الانتحار هي نظرة ذاتية فردية.

وقد ينتحر بعض الأشخاص لتفادي العقوبة القضائية أو العار والفضيحة مثال ذلك انتحار العقيد النمساوي ألفريد ريدل ١٨٦٤م – ١٩١٣م مدير مكافحة التجسس في الإمبراطورية النمساوية – المجرية بإطلاق النار على نفسه بعد افتضاح أمره كجاسوس للروس. أو انتحار الجاسوس المصري رجب عبد المعطي ١٩٣٧م – ١٩٧٥م الذي كان يتجسس لصالح إسرائيل فاكتشفته المخابرات المصرية وألقت القبض عليه وحكم عليه بالإعدام شنقا إلا إنه فضل أن يموت بيده فنزع عدسة نظارته وكسرها وقطع شريان يده اليسرى ونزف حتى مات[2].

ومثال آخر هو انتحار بود دوير ١٩٣٩م – ١٩٨٧م السياسي ووزير الخزانة في بنسلفانيا بالولايات المتحدة الذي وضع مسدسه في فمه وأطلق النار على نفسه في ٢٢

(1) Terence M. O'Keeffe, Suicide and self Starvation, philosophy, Vol. 59, No. 229 (Jul. 1984) Royal Institute of Philosophy, Cambridge University Press, p. 349, 1984.

(٢) المصدر السابق، أشهر المنتحرين.

ك٢/ يناير ١٩٨٧م خلال مؤتمر صحفي تلفزيوني بعد إدانته خطأ بجرائم مالية وأراد أن يجلب الانتباه لقضيته ويؤكد براءته ويمكّن أرملته من الحصول على الامتيازات المالية المقررة للمتوفين أثناء الخدمة (حيث يكون قد مات قبل أن يزاح عن منصبه)[١]. وأحدث مثال على ذلك انتحار السيدة ديبورا جين بالفري ١٩٥٦م – ٢٠٠٨م بشنق نفسها في ١ مايس/ مايو ٢٠٠٨م بعد إدانتها بجرائم ابتزاز وغسيل أموال واستخدامها البريد لأغراض غير قانونية حيث كانت تدير شركة خدمات مختصة بحجز الفنادق أو الشقق وتوفير المرافقين والمرافقات للزبائن[٢].

ومن أشكال الانتحار هناك الهجمات الانتحارية. ففي الأيام الأخيرة المفعمة باليأس من الحرب العالمية الثانية، تطوع العديد من الطيارين اليابانيين لتنفيذ مهمات انتحارية (كاميكاز) في محاولة لوقف هزيمة الإمبراطورية اليابانية. فقد صمم اليابانيون قبيل نهاية الحرب طائرات صغيرة مهمتها الوحيدة استخدامها في المهمات الانتحارية. لكن هذه الطائرات أثبتت فشلها لأن مدياتها أقصر من مديات الطائرات التقليدية وكلفتها عالية بأكثر من اللازم. وانتحر في ألمانيا النازية العديد من الجنود والمسؤولين الحكوميين بضمنهم هتلر وعدد من رفاقه المقربين مفضلين الموت على الاستسلام لقوات الحلفاء. وخصص سلاح الجو الألماني Luftwaffe أسرابا من الطائرات للاصطدام بالطائرات الأمريكية B-17 خلال مهام القصف النهارية وذلك من أجل تأخير نصر الحلفاء المحتمل. ولا يعرف فيما إذا كان هذا بدافع الإيثار أو العمل البطولي أو نتيجة الضغط الاجتماعي الشديد. وصنع اليابانيون أيضاً طوربيدا يحمل شخصاً واحداً ليكون غواصة انتحارية ويسمى كايتينز Kaitens[٣].

(1) Stevens, William K. Official Calls in Press and Kills himself, The New York Times, Jan. 23, 1987.
http://www.nytimes.com/1987/01/23/us/official-calls-in-press-and-kills-himself.html
(2) Stacy, Mitch, D.C Madam who vowed not to go to prison kills herself, The Associated Press, 5 March 2008.

(٣) أنظر الفصول التاسع والعاشر والسادس والعشرين.

ويعتبر الانتحار أمراً شائعاً في الحروب طيلة التأريخ. فهناك من الجنود والمدنيين من ينتحرون لتجنب الأسر والعبودية. وقد ينتحر القادة بدلاً من تقبل الهزيمة. وينتحر أيضاً بعض الجواسيس والضباط لتفادي كشف الأسرار عند الاستجواب أو التعذيب. ويمكن ملاحظة السلوك الانتحاري خلال المعارك مثال ذلك أن يلقي الجندي نفسه على قنبلة لإنقاذ رفاقه. مثال ذلك ما فعله الشرطي العراقي عبد الأمير محمد كاظم الذي كان يقف حارساً على أحد المراكز الانتخابية في منطقة الإسكان ببغداد في ٣٠ ك١/ ديسمبر ٢٠٠٥م وشاهد انتحارياً يحمل حزاماً ناسفاً ويريد تفجير نفسه وسط جمهور الناخبين فبادر الشرطي عبد الأمير بإمساكه وإبعاده عن جمهور المواطنين وانفجر الحزام بالاثنين فأنقذ موته حياة عشرات الأشخاص[1].

وتشن بعض الوحدات هجمات تدرك مسبقاً أن مصير المهاجمين فيها هو الموت المحقق، كما حصل عند هجوم كتيبة الفرسان الفرنسية خلال معركة سيدان في الحرب الفرنسية البروسية أو هجوم بيكيت في جيتيسبيرج خلال الحرب الأهلية الأمريكية. وكان المشاة اليابانيون يقاتلون حتى آخر رجل منهم، كما حصل خلال الهجوم بأسلوب الموجات البشرية **Banzai Charge** في معارك جزر المحيط الهادئ خلال الحرب الثانية وكان بمثابة انتحار لهم. وخلال معارك سايبان وأوكيناوا انضم المدنيون إلى العسكريون بارتكاب الانتحار. وتعتبر الهجمات الانتحارية للطيارين شائعة خلال القرن العشرين. وتعتبر هجمات قاصفات التوربيدو الأمريكية في معركة مدوي مماثلة إلى حد كبير لهجمات الكاميكاز.

ومن أنواع الانتحار هناك الانتحار الديني الذي يكون مبعثه الدوافع الدينية أو الروحية أو الطقوس المتوارثة. وأبرز مثال على ذلك هو عادة الأرامل الهنديات بإلقاء

(١) نشأت المندوي، موقع إيلاف، ٣ فبراير ٢٠٠٥م،
http://www.elaph.com/AsdaElaph/2005/2/38156.htm

أنفسهن في محرقة جثث أزواجهن لتأكيد أنها ستعيش معه أيضا خلال الحياة الآخرة. ويستنكر معظم الهنود هذه العادة التي يعتبرونها أمراً متطرفاً ولا تعتبر شائعة لدى معظم الطبقات الاجتماعية. ويمارس الرهبان البوذيون والهنود واليانيون طقوس إحراق الذات أو تجويعها حتى الموت لأغراض دينية وفلسفية أو كشكل من أشكال الاحتجاج السلمي الشديد. وفي الصين ترتكب بعض الجماعات فعل الانتحار لأسباب مماثلة. وفي اليابان يمكن أن يمارس الرجال طقس السيبوكو (الهاراكيري) وتمارس النساء طقس الجيكاي Jigai ويتم بقطع الوريد الوداجي في الرقبة لتجنب الأسر[١].

ومن أنواع الانتحار هناك الانتحار الإجباري حيث يجبر الشخص على الانتحار مثال ذلك ما حصل للإمبراطور الروماني نيرو الذي أجبر على الانتحار بعد الحريق الذي أكل معظم روما وكذلك ما حصل للفيلد مارشال إيروين رومل، فبعد إن علم هتلر أن رومل كان على علم مسبق بمحاولةٍ لاغتيال هتلر، هدده الأخير بأجراء محاكمة علنية له وإعدامه والانتقام من أسرته ما لم يقتل نفسه. وهذا ما فعله. ولم يكشف هذا السر إلا في محاكمات نورمبيرج[٢].

يعتبر الطب الحديث الانتحار مشكلة تتعلق بالصحة العقلية للإنسان. وتعتبر سيطرة أفكار الانتحار على الفرد أزمة انفعالية. وينصح الأطباء الأشخاص الذين يعربون عن نيتهم لقتل أنفسهم أن يطلبوا المساعدة. وفي الولايات المتحدة يعتبر الأشخاص الذين يعربون عن نيتهم لإيذاء أنفسهم فاقدين للأهلية العقلية ولا يسمح لهم برفض العلاج ويمكن نقلهم بالقوة إلى مستشفى الطوارئ. ويقرر طبيب

(1) Stanford Encyclopedia of Philosophy, Suicide, first Published May 18, 2004, Substantive Revision Jul 29, 2008.

(2) Irving, David, The Trail of the Fox, Weindenfeld and Nicholson, London, P. 362.

الطوارئ فيما إذا كان الأمر يستدعي نقله إلى مصح للأمراض العقلية أم لا. ويسمى هذا الحجز الإجباري. وقد تعقد جلسة محاكمة لإقرار السلامة العقلية للشخص. وفي معظم الولايات قد يحجز الطبيب النفسي، المريض لفترة محددة من الوقت دون أمر قضائي. فإذا رأى الطبيب النفسي أن هذا الشخص يشكل خطراً على نفسه أو على الآخرين، فيمكن له حجزه رغما عن إرادته في مصح لمعالجة الأمراض النفسية والعقلية. وتكون هذه الفترة عادة بحدود ثلاثة أيام. وبعدها يجب إخراجه أو تقديمه إلى المحكمة. وكما في أي إجراءات قضائية فمن حقه الاستعانة بمحام.

واتخذت سويسرا مؤخرا خطوات لشرعنة القتل الرحيم للمرضى العقليين المزمنين. فقد منحت محكمة لوزان العليا في ٢٠٠٦م شخصا مجهول الاسم ويعاني من مشاكل نفسية مزمنة الحق في إنهاء حياته. وطالب طبيب أمريكي هو جاكوب أبل من جامعة براون أن تسمح الجمعية الطبية الأمريكية بانتحار بعض المرضى الذين يعانون من أمراض عقلية. بينما رفض ذلك بعض الكتاب المحافظين وأبرزهم ويسلي سميث قائلين أن هذه الرؤية ستؤدي إلى الانتحار الإجباري أو قتل كل من يعاني من مرض عقلي مستعصي[١].

ومن الناحية القانونية، يعتبر فعل الانتحار أو الشروع فيه جريمة يعاقب عليها القانون، والشخص الذي يساعد آخراً على الانتحار يواجه عقوبات جزائية. وفي البرازيل إذا كانت المساعدة موجهة لقاصر تضاعف العقوبة ولا تعتبر الجريمة قتلاً. وفي إيطاليا وكندا يعتبر تحريض شخص على الانتحار جريمة جنائية. وفي سنغافورا يعتبر مساعدة مختل عقليا على الانتحار جناية كبرى. وفي الهند تكون عقوبة تحريض

(1) Appel, Jacob M, A Suicide Right For the Mentally Ill? A Swiss Case Opens a New Debate, Hastings Center Report, May 2007.
http://muse.jhu.edu/login?uri=/journals/hastings_center_report/v037/37.3appel.pdf

قاصر أو مختل عقلياً على الانتحار الإعدام، وفيما عدا ذلك تكون العقوبة سنة حبس مع الغرامة[١].

وفي كوريا الشمالية يعتبر الانتحار خيانة للحزب وعقوبته الإعدام. وبناءاً على مبدأ كيم إيل سونج بوجوب إنهاء بذرة أعداء الطبقة العاملة لثلاثة أجيال، ترسل أسر المنتحرين إلى معسكرات العمل مع أحكام بالسجن فيها مدى الحياة. وفي ألمانيا يمنع القتل الرحيم بموجب المادة ٢١٦ من التقنين الجنائي الألماني وتكون العقوبة الحبس من ستة أشهر إلى خمس سنوات. ويعاقب من لا يقدم الإسعافات الضرورية إلى المنتحر لإنقاذ حياته بالحبس مدة لا تزيد عن سنة واحدة بموجب المادة ٣٢٣ ج من نفس القانون. ومن يحرض آخراً على الانتحار يعاقب بالسجن فترة من ٥-١٥ عاما. ولا تعتبر مساعدة المنتحر في الحصول على الأدوات أو المواد اللازمة للانتحار جريمة جنائية بخلاف معظم قوانين الدول الأخرى[٢]. بينما فرضت المادة ٤٠٨-١ من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩م عقوبة الحبس مدة لا تزيد على سبع سنوات على كل من حرض شخصا أو ساعده على الانتحار إذا ما تم الانتحار بناء على ذلك، وتكون العقوبة الحبس فقط (أي أقل من خمس سنوات) إذا جرى الشروع بالانتحار، ويعاقب المحرض بعقوبة القتل عمداً إذا كان المنتحر ناقص الإدراك أو الإرادة، وأعفى القانون في المادة ٤٠٨-٣ من يشرع في الانتحار من العقوبة. وخلاً قانون العقوبات المصري رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧م من أي نص قانوني يعالج حالة الانتحار.

(١) تنص المادة ٣٠٩ من قانون العقوبات الهندي: "كل من يحاول الانتحار ويفعل كل ما من شأنه ارتكاب هذه الجريمة، يعاقب بالحبس البسيط لمدة يمكن أن تصل إلى سنة واحدة (أو بغرامة أو بالاثنين معا).

(2) Jacob M. Appel, A suicide Right for the Mentally Ill? A Swiss Case Opens A New Debate, Hastings Center Report- Volume 37, No. 3, May-June 2007, p.23.

يعتبر الانتحار في بعض المجتمعات شكلا مشرفا من أشكال الموت حتى لو جاء عقوبة على أمر مشين كما كان يحصل في اليابان خلال فترة ييدو ١٦٠٣م – ١٨٦٨م. فالساموراي عندما يخدش شرفه، يختار أن ينهي حياته بطريقة السيبوكو. ولا تعتبر هذه الطريقة من الناحية الفنية انتحاراً لأن الذي يقضي على حياة الساموراي ليس الجرح الذي يفتحه في بطنه وإنما مساعده الذي يسارع لقطع رقبته من الخلف وإنهاء معاناته.

تحرم جميع الديانات الانتحار وتعتبره عصيانا لإرادة الخالق الذي منح نعمة الحياة للإنسان. فهو محرم في الإسلام لقوله تعالى في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء:٢٩-٣٠). وكذلك: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة: ١٩٥). فالنفس ملك لله وليس لأحد أن يقتل نفسه ولو زعم أن ذلك في سبيل الله. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم والبخاري: "من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا"[(١)]. وروي عن النبي في صحيح مسلم: "لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل أن يأتيه إنه إذا مات انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا". وجاء في الصحيحين عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أنه روى قائلا:

(١) يتوجأ بها في بطنه: يطعن بها نفسه. رواه مسلم في الأيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، والبخاري في الطب باب ٦٥.

"قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة". وفي رواية للبخاري: "الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعنها في النار". مع ذلك فأن الشهادة في سبيل الله خلال القتال لا تعتبر شكلاً من الانتحار. فالانتحار في كل المقاييس الإسلامية هو كفر بالله. لذلك كانت الهجمات الانتحارية محل خلاف وجدل بين علماء المسلمين. فبعض الجماعات الإسلامية كحماس والقاعدة والمؤيدين لهما تحلل وتشرع وتنفذ هذه العمليات التي تسميها بالاستشهادية بينما يعتبرها علماء آخرون أعمال غدر وإجرام وقتل للذات ولا تدخل في باب الجهاد في سبيل الله[1].

وتعتبر المسيحية الانتحار خطيئة استنادا إلى آراء المفكرين المسيحيين في القرون الوسطى مثل القديس أوجستين والقديس توماس الأكويني. بينما لا يعتبر الانتحار خطيئة وفق مدونة جوستنيان المسيحية البيزنطية. وتستند المسيحية في تحريمه إلى

(١) أكد الأمام شيخ الأزهر المرحوم محمد سيد طنطاوي في كلية الأعلام بجامعة القاهرة بأن "من يفجرون أنفسهم من رجال المقاومة الفلسطينية في مواجهة الأعداء هم شهداء". وأكد يوسف القرضاوي على حق المرأة في الإسهام في الجهاد. وأيد العمليات التي سماها بالاستشهادية رئيس جامعة الأزهر السابق أحمد الطيب "شيخ الأزهر حالياً" ومفتي القدس والديار الفلسطينية عكرمة صبري. وبالمقابل قال عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي السعودية في حوار مع صحيفة الشرق الأوسط أن العمليات الانتحارية لا تستند على وجه شرعي وليست من أعمال الجهاد الإسلامي، كما صرح المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله في مقال له نشر في جريدة السفير اللبنانية في ١٣ ت٢ ٢٠٠٣م بأن "الإسلام لا يبرر العمليات الانتحارية التي تستهدف الأبرياء سواء أكان هؤلاء من المسلمين أم من غير المسلمين، لأن الإسلام يحترم أرواح الناس ولا يقر المزاجية في العمل العسكري". المصدر موسوعة ويكيبيديا باللغة العربية- باب العمليات الانتحارية:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9

الوصية السادسة من الوصايا العشر التي تقول "لا تقتل" والتي أكدها المسيح في العهد الجديد في إنجيل متى الإصحاحين ١٩ الآية ١٨، وأيضاً إلى فكرة أن الحياة نعمة من الله لا ينبغي رفضها وأن الانتحار هو ضد القانون الطبيعي وبذلك فأنه يتعارض مع إرادة الله وما يريده للكون. مع ذلك يعتقد البعض أن المرض العقلي أو الخوف الشديد من المعاناة تخفف من مسؤولية مرتكب الفعل. ويرى آخرون أن الوصية السادسة التي تقول لا تقتل لا تعني بالضرورة تحريم قتل النفس بل تحريم قتل الآخرين وبذلك فأن قتل النفس لا ينتهك شريعة الله أو يعارض إرادته بل هو نوع من العلاج لمرض قاس، كما إن الكتاب المقدس لم يستنكر بعض الأعمال الانتحارية التي قام بها بعض المتدينين[١].

وتؤكد اليهودية على قيمة الحياة لهذا فالانتحار عندها يعني إنكارا لرحمة ونعمة الله. مع ذلك مارس اليهود الانتحار الفردي والانتحار الجماعي عندما مروا بظروف قاسية لا خيار لهم فيها غير القتل أو العبودية أو التحول عن دينهم مثال ذلك ما حصل في قلعة ماسادا (أنظر الفصل الثاني) أو خلال حملة الاضطهاد الفرنسية الأولى لليهود في ١٠١٠ م أو ما حصل في قلعة يورك بإنجلترا في ١١٩٠م. وقد لاقت هذه الأفعال ردود فعل مختلفة من الطوائف اليهودية فبعضها اعتبرتها مثالاً للأعمال البطولية الاستشهادية، بينما اعتبرتها طوائف أخرى عملاً باطلاً ولا ينبغي لليهودي أن يقتل نفسه بأمل الشهادة[٢].

(1) Religious Tolerance, Ontario Consultants on Religious Tolerance, Suicide: Bible passages dealing with suicide, http://www.religioustolerance.org/sui_bibl.htm

(2) Religion Facts, Euthanasia and Judaism: Jewish Views on Euthanasia and Suicide, http://www.religionfacts.com/euthanasia/judaism.htm

وترفض الهندوسية الانتحار وتعتبره خطيئة مساوية للقتل. وتقول الكتب المقدسة الهندوسية أن الذي يقتل نفسه يصبح جزءاً من عالم الأشباح ويبقى الشبح يشعر بالجوع والعطش ولا يستطيع أن يأكل أو يشرب[١].

ويرى البعض في العصر الحديث أن الانتحار مسألة شخصية وحق من حقوق الإنسان في إنهاء حياته متى شاء (الحق في الموت)، وإنه لا ينبغي إجبار شخص على تحمل المعاناة رغما عنه خاصة إذا كان يعاني من داء مستعص أو مرض عقلي أو شيخوخة لا رجاء منها. ويرفض هؤلاء فكرة أن الانتحار أمر لا عقلاني ويقولون أنه يمكن أن يكون الملاذ الأخير للأشخاص الذين يعانون من أذى وآلام مبرحة. وهذه الفكرة رائجة في أوربا حيث يناقش في برلماناتها باستمرار موضوع القتل الرحيم الذي يحظى بتأييد لا بأس به فيها[٢].

وهناك فئة صغيرة من هذه الجماعة تعتبر الانتحار بين أن يكون خياراً يمكن السماح به في ظروف معينة وبين أن يكون حقاً مقدساً لأي شخص حتى لو كان صغيراً أو متعافياً لكن يرى أن من الأفضل له إنهاء حياته. ومن أبرز مؤيدي وجهة النظر هذه الفيلسوف الألماني المتشائم أرثر شوبنهاور والعالم الأسكتلندي ديفيد هيوم. وغالبا ما ينادي أنصار هذه المدرسة بإلغاء القوانين التي تحد من حريات الناس ذوي الميول الانتحارية مثل القوانين التي تسمح بالحجز الإجباري لهم في المصحات العقلية[٣].

---

(1) Jayaram V. Hinduism and Suicide, Hindu Website, http://www.hinduwebsite.com/hinduism/h_suicide.asp

(2) Simon Robinson, Europe's Way of Death, The Time, March 27, 2005, http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,901050404-1042414,00.html

(3) Stanford Encyclopedia of Philosophy, Suicide, http://plato.stanford.edu/entries/suicide.

ومن الملاحظ أن هناك عائلات يكثر فيها الانتحار. وأشهر مثل هو أسرة الروائي إرنست همنجواي الذي انتحر في ١ تموز/ يوليو ١٩٦١م تلته شقيقته في ١٩٦٣م وقبلهما كان أبوهما قد انتحر في ١٩٢٨م وانتحر أشخاص آخرون في أسرته أيضاً. وهناك أسرة رئيس الوزراء العراقي الأسبق عبد المحسن السعدون الذي انتحر في ١٩٢٧م ثم انتحر في فترة لاحقة أحد أبنائه. وهذا يشير إلى احتمالات الوراثة الجينية ولكن بشكل جزئي وغير حتمي ويحتاج إلى عوامل أخرى تؤكده.

وإذا كانت غريزة حب البقاء والحفاظ على النفس والخوف من الأذى والموت هي غريزة مشتركة بين الإنسان والحيوان، يشترك الاثنان أيضاً بوجود استثناءات لها، لهذا تحاول كل طائفة منهما التغلب على هذه الغريزة. وقد لوحظت بعض الحيوانات تقدم على الانتحار بإرادتها. وظاهرة انتحار الحيتان معروفة منذ القدم حيث تترك مواطنها الطبيعية وتأتي إلى الشواطئ لتموت فيها. وسجلت نيوزيلندا أكبر معدل لحالات انتحار الحيتان والدلافين وآخرها كان في ٢٠٠٨م حيث انتحر ٣٧ حوتاً على شواطئها[١]. كما إن ظاهرة انتحار البغال معروفة في البلدان التي تستخدم هذه الحيوانات لأغراض نقل المواد والأمتعة خاصة في المناطق الجبلية. فعندما تكون حمولته أكبر من طاقته ويتعرض لمعاملة قاسية فأنه يلقي بنفسه من فوق الجبل أو المرتفع إلى الوادي ويموت. وشهد الجنود العراقيون الذين خدموا في منطقة كردستان بشمال العراق العديد من هذه الحوادث. كما اشتكى المجاهدون العرب في أفغانستان خلال الاحتلال السوفيتي لتلك البلاد أن البغال التي قدمتها لهم الولايات المتحدة لغرض نقل الأمتعة غالباً ما تنتحر وهي محملة بالأثقال فكان يغمى عليها حين

(١) فضل سالم، انتحار الحيتان.. غموض عمره آلاف السنين، جريدة القبس، العدد ١٣٠٩٩ في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٩م. http://www.alqabas.com.kw/Article.aspx?id=506477

توصل الأمتعة إلى رؤوس الجبال وتتدحرج من هناك إلى هاوية الأودية[١]. وفي السويد تجتمع الآلاف من الفئران وتلقي بنفسها في المياه في شكل من أشكال الانتحار الجماعي مجهول السبب[٢]. وفي عام ٢٠٠٧م مات ٤٥٠ خروفا من أصل ١٥٠٠ بعد إلقاء أنفسها من فوق مرتفع حاد نحو الأرض بعملية تشبه الانتحار الجماعي. وينفي بعض العلماء أن تكون هذه الحادثة انتحاراً جماعياً بل جاءت بسبب غريزة الانقياد التي تتميز بها هذه الحيوانات. فإذا أقدم قائدها على عبور النهر، يتبعه باقي القطيع وإذا قفز أحدها من فوق المنحدر تبعه الآخرون كذلك[٣]. وتذكر بعض المصادر حقيقة انتحار العقارب. فإذا وقع العقرب في ورطة لا يستطيع الخلاص منها فأنه يوجه إبرته نحو رأسه ويلدغ نفسه ويموت. ويقول أحد الأطباء الإنجليز أنه أجرى تجربة لإثبات هذه الحقيقة فصنع دائرة من الفحم ووضع عقرباً بوسطها وأشعلها فدار العقرب على نفسه وعندما شعر أنه لا يستطيع الخروج لدغ نفسه ومات. لكن علماء الحيوان ينفون ذلك ويؤكدون على أن العقرب لا يسمم نفسه حيث حقنوه بسم مستخلص منه لكنه لم يمت وإن سبب موته في التجربة السابقة هو الحرارة العالية التي تسبب له شللاً ثم يموت. لهذا فأن القصة هي محض أسطورة[٤].

يتناول هذه الكتاب أحد الأشكال الخطيرة للانتحار التي ازدادت خلال السنوات الأخيرة هو الانتحار الجماعي الذي يحصل إما لأسباب دينية أو عقائدية.

---

(١) نصر المجالي- عمان، قصة تجنيد الزرقاوي، موقع إيلاف،
http://www.elaph.com/ElaphWeb/AkhbarKhasa/2005/7/76980.htm

(٢) أنيس منصور، نأكل ونتآكل ونموت ونعيش، الشرق الأوسط، العدد ١١١٩٥ في ٢٣ يوليو ٢٠٠٩م،
http://aawsat.com/leader.asp?section=3&issueno=11195&article=528633

(٣) موقع العنان الألكتروني: http://www.alanan.net/vb/showthread.php?t=18087

(٤) مختار نزار الصفاقسي، إنتحار العقرب خرافة وأسطورة شرقية، موقع مشروع البيوماب- قطاع حماية الطبيعة- وزارة الدولة لشؤون البيئة في ٢٨ مارس ٢٠٠٧م:
http://www.zone.biomapegypt.org/hiaa/showthread.php?t=133

ومن الأشكال العسكرية أو شبه العسكرية منه هو المهمات أو العمليات أو التفجيرات الانتحارية أو الكاميكاز. وقد تلجأ بعض الفئات المنهزمة إلى الانتحار بدلاً من الاستسلام. أما مواثيق الانتحار فهي شكل من أشكال الانتحار الجماعي الذي ليست له علاقة بالعقائد أو الحروب ويخطط له وينفذ من قبل مجاميع صغيرة من الناس الذين يشعرون بإحباط شديد، وغالبا ما يكونون من العشاق. وقد استخدم الانتحار الجماعي كشكل من أشكال الاحتجاج السياسي. ويمكن تفسير عمليات الانتحار الجماعي بواسطة ديناميات الجماعة من الإيحاء والانقياد وضغط المجموعة والتوحد والمحاكاة[(١)].

يعتبر الانتحار جريمة إنسانية تستنكرها جميع القوانين والأديان والأعراف الاجتماعية في كافة أنحاء العالم. وإذا كان قتل الفرد لنفسه يشكل جريمة إنسانية، فأن الانتحار الجماعي يشكل جريمة بشعة بحق الإنسانية ويعتبر ظاهرة فريدة في تأريخ البشرية وقد مارسته الكثير من شعوب العالم في كافة أنحاء المعمورة.

وتعتبر عملية انتحار سكان مدينة نومانشيا الأسبانية في سنة ١٣٣ ق.م أول تسجيل تأريخي لحادثة انتحار جماعي في التأريخ. وما لبثت هذه الظاهرة إن تكررت في العديد من البلدان. والجدير بالملاحظة أن عمليات الانتحار الجماعي قد ازدادت بشكل مخيف في السنين الأخيرة بحيث يمكن أن يقال أن عددها في المئة سنة الماضية يعادل أضعاف عددها في كل تأريخ البشرية. وربما يعود جزء من أسباب ذلك إلى تقدم وسائل القتل الجماعي قياساً بما كان متوفراً في العصور السابقة إضافة إلى تقدم وسائل الاتصال وسهولة التأثير على الجماعات من خلال هذه الوسائل.

وقد برزت في العقود الأخيرة ظاهرة التفجيرات الانتحارية، وفهم هذه الظاهرة هو أمر حيوي لتطوير الأساليب المضادة لها خاصة في ظل عالم أصبح يزخر بالقنابل

(1) Holology website, department of Rescarch, Mass Suicide, http://www.holology.com/suicide.html

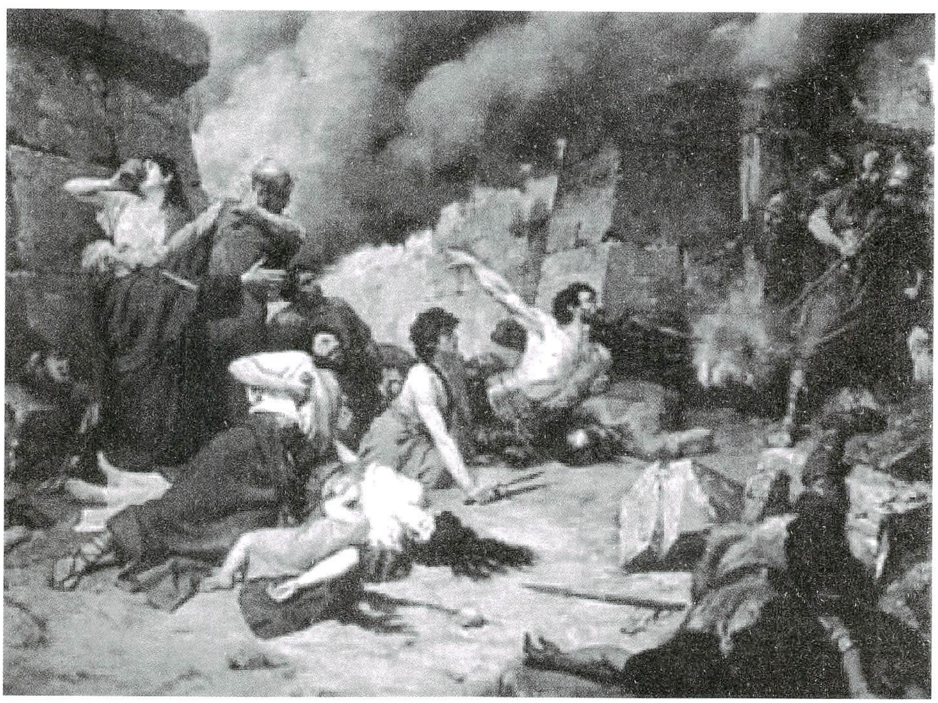
البشرية الموقوتة ابتداءً من الصراع العربي الإسرائيلي ومرورا بحرب أفغانستان والعراق إلى الحرب في الشيشان. وقد استخدمت معظم حركات المقاومة هذا الأسلوب دون وعي ومسؤولية، فأصبحت خطراً حالاً في كل زمان ومكان وينبغي لمواجهته فهم حقيقته. فعلى من يريد إحباط مثل هذا التكتيك أن يطور أساليب مبتكرة لتقويض المنطق الديني والعسكري والسياسي لاستخدام مثل هذا السلاح.

يتناول هذا الكتاب المكون من ستة وعشرين فصلاً عمليات الانتحار الجماعي التي سجلها لنا التأريخ منذ عملية انتحار أهالي نومانشيا في ١٣٣ ق.م وحتى الوقت الحاضر. وقد بلغ مجموع هذه العمليات التي وصلت إلى معارفنا بحدود ٣٦ عملية انتحار جماعي.

صادق عبد علي الركابي

الفصل الأول

انتحار مقاتلي نومانشيا في ١٣٣ ق.م



لوحة تمثل حصار نومانشيا

خلاصة

في صيف ١٣٣ ق.م وبعد حصار دام بين ثمانية إلى ستة عشر شهراً، فضّل مقاتلو نومانشيا الواقعة في شبه الجزيرة الأيبيرية الانتحار بدلاً من الاستسلام بأيدي أعدائهم الرومان قبل أن يضرموا النيران في مدينتهم. بلغ عدد المنتحرين والقتلى حوالي ٤.٠٠٠ إنسان.

نبذة تاريخية:

نومانشيا Numantia هي مستوطنة سلتية قديمة تقع على جبل سيرو دي لا ميولا الذي يبعد مسافة ٧ كم من مدينة سوريا Soria الأسبانية الواقعة في شمال وسط إسبانيا وعلى نهر ديورو. وقد تأسست في القرن السادس ق.م وكانت تتكون من خليط من السكان الأيبيريين والمهاجرين السلتيين.

بدأ اهتمام روما بشبه الجزيرة الأيبيرية في بداية الحرب البيونية الأولى مع قرطاجة. فقد كانت شبه الجزيرة مصدراً رئيساً للمرتزقة للجيش القرطاجي إضافة إلى كونها مصدرا للثروات الطبيعية. كانت قرطاجة تستولي على الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة بينما تستولي روما على الجزء الشمالي. وقد بدأت الحرب البيونية الثانية بسبب نزاع حدودي في تلك المنطقة. وبعد انتصار الرومان في معركة زاما وقعت شبه الجزيرة تحت السيطرة الرومانية. وقد قاوم سكانها بعناد الحكم الروماني.

وقعت أول حرب بين الرومان وسكان هذه المنطقة من السلتيين والأيبيريين في ١٨١ ق.م -١٧٨ ق.م. استطاع القائد الروماني تايبيريوس كراكجوس إخضاع

القبائل السلتية لكنه عامل أعداءه المهزومين بعدل وإنصاف. وظلت المنطقة هادئة حتى ١٥٥ ق.م حيث عزز الرومان سيطرتهم على المناطق الساحلية وأخضعوا قبائل أخرى. وفي ١٥٤ ق.م هاجم اللوسيتانيون (البرتغاليون حاليا) الأراضي الرومانية. تمكن القائد الروماني جالباً من هزيمتهم. وعرض عليهم شروطا للاستسلام حيث وافقوا عليها. لكنه نقض عهده وقتل ٨.٠٠٠ رجلاً منهم بعد إن كانوا قد ألقوا سلاحهم. ويعتبر نقض العهود ممارسة شائعة لدى القادة الرومان(١).

في عام ١٥٣ ق.م حصل أول صراع لمدينة نومانشيا مع روما وذلك بعد إن سمحت المدينة لعدد من الفارين من مدينة سجيدا التي تقطنها قبيلة سلتية أخرى تدعى بيلوس باللجوء إليها. وكان قائد قبيلة البيلوس كاروس السجيدي قد هاجم الجيش الروماني الذي كان يقوده حينها القنصل كونتس فلفيوس نوبليور. تكبد الجيش الروماني خسائر فادحة لكنه تمكن في الآخر من هزيمة البيلوس وتدمير المدينة عن بكرة أبيها وفر الناجون إلى نومانشيا. حاصر نوبليور المدينة لكنه فشل في اختراقها وانسحب، وحل القائد ماركوس كلاوديوس مرسيلوس في ١٥٢ ق.م محل نوبليور. وبعد فشل معظم القادة الرومان في السيطرة على المدينة عقد القائد الروماني ميتيلس اتفاقية معها تقضي باحتفاظها باستقلالها، لكنه عاد ونقض الاتفاقية. وفي ١٣٩ ق.م طلب سكان المدينة من مجلس الشيوخ الروماني إنصافهم. ولم يتلقوا جواباً إيجابياً منه. وفي نفس العام تمكن القائد الروماني سيرفيليوس كايبو من رشوة اثنين من ضباط زعيم الأرفاجي، فيرياثوس، وقاما باغتياله. لكن مقاومة المدينة استمرت. وشن خليفة كايبو، مانسينوس عدة هجمات ضدها لكنه فشل أيضاً وفي الآخر اضطر لتوقيع اتفاقية سلام معهم. رفض مجلس الشيوخ هذه الاتفاقية وعين قائداً آخر لكنه فشل أيضاً(٢).

(1) Balisunset, Battle of Numantia 134-133 BC, Hubpages website, http://hubpages.com/hub/Battle-of-Numantia-134-133-BC

(٢) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Numantia#column-one#column-one

وقد حقق النومانشيون العديد من الانتصارات على الجيش الروماني. ففي ١٣٧ ق.م استسلم حوالي ٢٠.٠٠٠ جندي روماني إليهم وكان عدد سكان المدينة بين ٤.٠٠٠-٨.٠٠٠ نسمة.

وفي أواخر عام ١٣٥ ق.م قرر مجلس الشيوخ الروماني بناءاً على الضغط الشعبي إعادة تعيين القنصل سيبيو إيميليانوس أفريكانوس قنصلاً عاماً وأرسله إلى إسبانيا لحسم ما فشل القادة الآخرون بحسمه في شبه الجزيرة الأيبيرية. وجد سيبيو معنويات جنوده في الحضيض. كما إن فرص الحصول على غنائم ضئيلة وليست هناك أية مغريات تدفع الشباب للتطوع إلى الجيش. لكنه استطاع زيادة عدد جيشه من ٢٠.٠٠٠ إلى ٦٠.٠٠٠ بإضافة قوات مرتزقة إلى جيشه خاصة من فرسان نوميديا (البربر في الجزائر) الذين يقودهم جوغارثا. جرى تدريب القوات تدريبا شاقا من خلال الزحف المستمر وحفر الخنادق وبناء الأسوار وحصلت عدة مناوشات ناجحة مع قوات نومانشيا قبل أن يبدأ سيبيو بمحاصرة المدينة. ولأنه يدرك أن الروح القتالية للنومانشيين عالية فقرر أن يحرمهم من القتال واختار ألا يهاجم المدينة بل يجوعها قبل أن يبدأ هجومه عليها.

بنى جيش سيبيو معسكرين حول المدينة يفصل ما بينهما سور من الحجر. وأقام سداً على المستنقع القريب من المدينة وكوّن بحيرة بين أسوارها والأسوار التي بناها. ووضع سبعة أبراج بارتفاع عشرة أقدام على امتداد الأسوار كي يتمكن رماة الأقواس من رمي سهامهم باتجاه المدينة. كما بنى سوراً خارجياً ليحمي قواته من أي اعتداء خارجي ويمنع فرار جنوده.

إضافة إلى ذلك، عمل سيبيو على عزل المدينة من ناحية نهر دورو. فقد وضع عدة أبراج عند مدخل ومخرج النهر من والى المدينة ومد شبكة مزودة بالشفرات على عرض النهر لمنع القوارب أو الأفراد من مغادرة أو دخول المدينة.

شن النومانشيون هجوما مضاداً واحداً وفشلوا قبل أن يتمكن أحد قادتهم وهو ريتوجينيز من قيادة مجموعة صغيرة من الجنود ويخترق بهم الحصار المفروض من

ناحية النهر. اتجه أولاً إلى قبيلة أرفاجي السلتية شمال إسبانيا، لكنها رفضت تقديم الحماية له. اتجه بعدها إلى قبيلة لوشيا حيث استقبله شبابها بالترحيب، لكن سيبيو زحف باتجاههم وقبض على ٤٠٠ شاب من لوشيا وقطع أياديهم. وبعد عودته إلى نومانشيا بدأ قائد المدينة أفاروس التفاوض معه.

طلب مبعوثو نومانشيا حريتهم مقابل الاستسلام التام، لكن سيبيو رفض. وبعد عودتهم قتلوا على أيدي الجمهور الذي ساوره الشك بأنهم قد أبرموا صفقة مع الرومان. ورفضت المدينة الاستسلام وعمت المجاعة بين الأهالي مما أدى بهم إلى أكل لحم البشر. ويقال أن بعض الناس قد قتلوا الضعاف من المواطنين من أجل أكلهم بدلاً من انتظار وفاتهم. وانتشرت الأمراض بسبب المجاعة وبدأ المتبقي من سكان المدينة بالتفكير بقبول مطالب سيبيو. ولتفادي عار الاستسلام، اختار معظمهم الموت بدلاً من مواجهة هذا المصير فقتلوا أسرهم أولاً ثم انتحروا. واستسلم الجزء القليل المتبقي من سكان المدينة بعد إن أضرموا النيران في مدينتهم. استولى سيبيو عليها ثم ساواها مع الأرض.

حصل هذا في صيف ١٣٣ ق.م. دام الحصار بين ٨-١٦ شهرا وأسفر عن إصابة ومقتل وانتحار جميع سكان المدينة البالغ عددهم بحدود أربعة آلاف شخص.

وقد أرخ حصار المدينة وانتحار أهاليها العديد من المؤرخين الرومان الذين أثار إعجابهم عشق سكان إيبيريا للحرية ومهاراتهم العالية في القتال ضد الكتائب الرومانية. وكتب الشاعر الأسباني ميغل دي سرفانتس مؤلف دون كيشوت مسرحية عن هذا الحدث بعنوان لا نومانشيا التي تعتبر أحد أشهر أعماله المسرحية. وكتب القاص كارلوس فونتيس قصة قصيرة عن الحدث بعنوان النومامنشيان في مجموعته القصصية شجرة البرتقال(١).

(1) Davis, Paul K. Besieged: 100 Great Sieges from Jericho to Sarajevo, Oxford University Press, 2001.

الفصل الثاني

انتحار النسوة التيوتونيات في روما بعد معركة أكوا سيشيا



لوحة تمثل معركة أكو سيشيا

خلاصـــة:

في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، زحف التوتون مع جيرانهم (السمبري) جنوبا عبر بلاد الغال (فرنسا) لمهاجمة إيطاليا الرومانية. وبعد عدة انتصارات للجيش الغازي، استطاع القائد الروماني جايوس ماريوس في ١٠٢ ق.م دحر السمبري والتيوتون في معركة أكوا سيشيا (قرب أين بروفنس الفرنسية الحالية Aix-en-Provence). تم أسر ملكهم تيوتوبود وأقتيد مغلولاً بالأصفاد. نفذت السبايا من النساء عملية انتحار جماعي، اشتهرت في الأساطير الرومانية بكونها بطولة جرمانية. فمن ضمن شروط الاستسلام، أن يسلم المنهزمون ثلاثمائة امرأة من المتزوجات إلى الرومان. وعندما سمعت النسوة التوتونيات الكبار بهذا الشرط، التمسن من القنصل أن يطلق سراحهن للعمل كخادمات في معابد سيريس وفينوس، وعندما رفض طلبهن وأبعدن من قبل الحاشية، ذبحن أطفالهن أولاً وفي اليوم التالي وجدن قتيلات بيد أحدهن الأخرى بشنق أنفسهن ليلاً[١].

الجذور التاريخية:

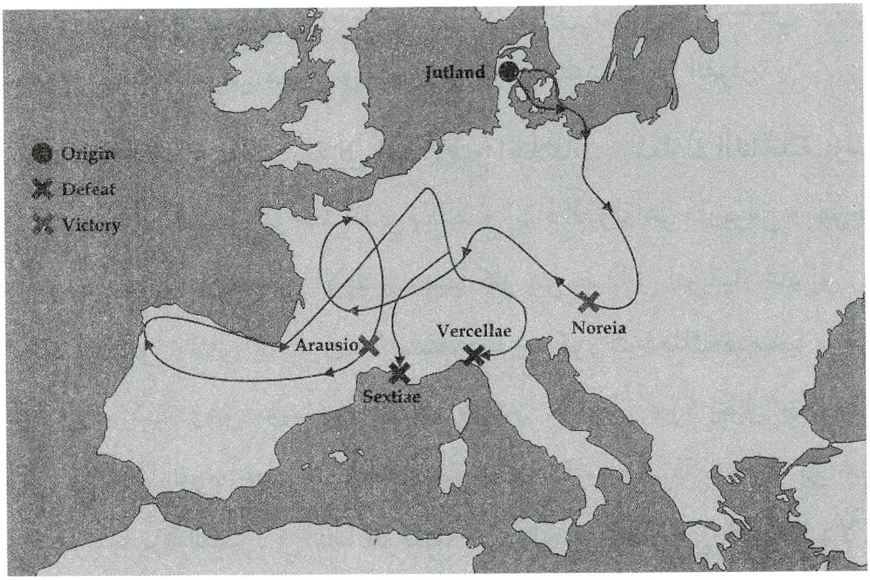
في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد تعرضت روما لأكبر خطر يواجهها منذ أيام هانيبال. فقد احتشد عدد كبير من البرابرة في جنوب أوربا على الجانب الشمالي من الألب وأخذوا يستعدون للاندفاع نحو ايطاليا. الشعبان القائدان لهذه الجموع هما شعب التيوتون وشعب السيمبري الذي يعتقد أنه من القبائل السلتية من نفس عرق

(١) موسوعة ويكيبيديا الالكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Mass_suicide .

السيمري، بينما كان الشعب الأول هو شعب غالي، ولا يعرف بالضبط موطنهما الأصلي. وتحالف مع هذين الشعبين شعب الامبرون الذي يعتقد أنه من أصل ليغوري مع بعض القبائل السويسرية مثل قبيلة التيغوريني. ويقال أن الحشد كله يبلغ حوالي ٣٠٠٠٠٠ مقاتل بالإضافة إلى عدد أكبر من النساء والأطفال رغم أن هذه التقديرات لا تستند إلى مصادر موثوقة، ولكن الأكيد أن هناك أعداداً ضخمة من البشر تقف على حدود إيطاليا. وقد زاد من مخاوف روما الفشل الذريع الذي منيت به جيوش الجمهورية أمام هؤلاء البرابرة. فقد سقطت الجيوش تلو الجيوش أمام حشودهم. أول خبر جاء عنهم كان في ١١٣ ق.م في نوريكم **Noricum** عندما نزلوا في اليريكم **Illyricum** لكنهم لم يدخلوا الأراضي الايطالية كما يذكر بعض الكتاب القدامى. أرسل الرومان جيشاً للدفاع عن اليريكم **Illiricum** بقيادة الجنرال بابيريوس كاربو **Papirius Carbo** لكنه تلقى هزيمة نكراء على يد البرابرة الذين لم يتابعوا نصرهم لكنهم لسبب غير معلوم عادوا إلى نوريكم وزحفوا غرباً نحو سويسرا. في غزوة اليريكم، جاء ذكر السيمبري وحدهم دون الباقين ولا يعرف متى وأين انضم اليهم التيوتون. وفي سويسرا ازداد عدد قواتهم بانضمام التيغوريني والامبرون إليهم، فساحوا في أرض بلاد الغال ويظهر أنهم نهبوا وسلبوا واغتصبوا كل شبر في البلاد. أرسل الرومان عدة جيوش للدفاع عن الجزء الجنوبي الغربي من البلاد التي كانت حينها ولاية تابعة للدولة الرومانية ولكن عبثا، فقد أبيدت كل هذه الجيوش. فقد هزم القنصل جونيوس سيلانوس على يد السيمبري في ١٠٩ ق.م، وفي ١٠٧ ق.م مزق التيغورنيون جيش رفيق ماريوس القنصل كاسيوس لونغينوس قرب بحيرة جنيفا، وفقد القنصل حياته وذلك خلال معركة أوراشيو التي قيل أن الرومان فقدوا خلالها ٦٠ ألف جنديا. وبعد ذلك بقليل هزم أورلوس سكوروس واقتيد أسيراً. ولكن الخسارة المروعة هي التي حصلت في ١٠٥ ق.م عندما أباد

البرابرة جيشين كاملين يبلغ تعدادهما ٨٠٠٠٠ رجل ويقودهما القنصل ماليوس ماكسيموس وسيرفيليوس كابيو. ويقال إن رجلين فقط تمكنا من الفرار.

أدت هذه الكوارث المتتابعة إلى إنهاء جميع الخلافات والمعارك الداخلية. وشعر كل فرد في روما أن الرجل الوحيد الذي يستطيع إنقاذ الدولة هو ماريوس وبموجب ذلك انتخب قنصلا بإجماع كل الأطراف بينما كان هو بعيدا في أفريقيا. عاد إلى روما في ١ يناير/ كانون الثاني ١٠٤ ق.م، مستعرضا جوكورث (ملك نوميديا بالجزائر الحالية) في موكب وهو مقيداً بالأصفاد، ويعتبر هذا ثاني مرة يتولى بها منصب القنصل. وفي هذا اليوم أعطى مثالاً آخراً عن الغطرسة والعجرفة بدخوله إلى مجلس الشيوخ مرتدياً بزة النصر. في هذا الوقت، خف الخطر الخارجي قليلاً. فبدلاً من عبور الألب والنزول نحو ايطاليا كما كان يتوقع، زحف السمبري نحو اسبانيا حيث سلبوا ونهبوا البلاد في السنوات الثلاث التالية. وقد استغل ماريوس هذه الفرصة الثمينة في تمرين قواته الجديدة وتدريبها على المصاعب والشدائد. وربما في هذا الوقت بالذات أدخل تغييرات عديدة على تنظيم الجيش الروماني والتي أصبحت تنسب إليه. ورغم الصرامة والشدة التي يمارسها ضد كل من يخل بالانضباط، لكنه أصبح شيئاً فشيئاً محل حب وتقدير من جانب جنوده المستجدين الذين وضعوا في زعيمهم ثقتهم العالية وأصبحوا بشكل خاص أكثر سروراً لعدم تفرقته في المحاسبة بين الضباط والجنود. فلم يعد الجيش كما كان سابقاً مجموعة من المدنيين المرتبين حسب الثروة، بل أصبح مؤسسة من الجنود المدربين من جميع طبقات المجتمع والذين يكنون الولاء لقائدهم. وبحصافة الجندي الذكي، عزم ماريوس على التهيؤ جيدا قبل ملاقاة عدوه الشرس.



خارطة المعركة

وبينما كان العدو في اسبانيا، أنتخب ماريوس قنصلاً للمرة الثالثة لعام ١٠٣ ق.م. ولكن بما أن العدو لم يظهر خلال هذه السنة أيضاً، تخلى الرومان قليلاً عن حالة الهلع التي أصابتهم. ولحسن حظ روما أعطيت اليه القيادة العليا، لأنه في نفس هذه السنة وصل أخيراً البرابرة الذين طال انتظارهم. فقد وحد السيمبري الذين عادوا من اسبانيا، قواتهم مع التيوتون رغم أنه لا يعرف حقيقة أين كان هؤلاء التيوتون حينها. من الصعب إلى حد ما معرفة تحركات هذه الجيوش لأن ما تركه المؤرخون عن تلك الفترة ضئيلاً ومتناقضاً. ولكن يبدو أن ماريوس قد أتخذ موضعاً حصيناً له على نهر الرون وربما في محيط منطقة أرلي **Arles** الحالية، ولكون مصب النهر مسدود بالطمي والرمل، أمر جنوده بحفر قناة بين الرون والبحر المتوسط لا تزال تحمل اسمه، كي يستطيع أن يتلقى تجهيزاته من روما بسهولة. ومن هناك زحف شمالاً، وعسكر في ملتقى الرون وايسرا **Isara** أو **Isere**. في نفس هذا الوقت قسم البرابرة

قواتهم. فقد افترق السيمبري عن التيوتون والامبرون وزحفوا حول السفوح الشمالية للألب من أجل دخول ايطاليا من الجهة الشمالية الشرقية وعبروا جبال تايروليس في سلسلة الألب من ممرات ترايدينتم Tridentum أو Trent . وزحف من جهة أخرى التيوتون والامبرون نحو ماريوس قاصدين كما يظهر الدخول إلى ايطاليا عبر نيس وساحل جنوا. لم يمنحهم ماريوس فرصة قيام معركة بين الطرفين وذلك لتعويد جنوده على المنظر الغريب الهمجي للبرابرة. ونتيجة لذلك قرر الأخيرون مهاجمة المعسكر الروماني. ولكن عندما تم صد محاولتهم، قوضوا معسكرهم وحثوا الخطى نحو ايطاليا. كانت أعدادهم ضخمة بحيث قيل إنهم قضوا ستة أيام للمرور من أمام المعسكر الروماني. وحالما تقدموا قليلاً، ترك ماريوس معسكره وتبعهم وهكذا استمر الجيشان يسيران لعدة أيام، البرابرة في المقدمة وخلفهم ماريوس حتى وصلوا إلى منطقة أكوا سيشيا بمقاطعة أين برفنس الفرنسية الحالية Aix-en-Provence جنوب نهر الرون. وفي هذا الموقع دارت المعركة الحاسمة. فقد أقام ماريوس معسكره في موقع قليل المياه، ويقال أنه فعل ذلك بقصد. فقد أدت الحاجة الماسة للجنود الرومان إلى المياه الموجودة في محيط منطقة معسكر البرابرة إلى حصول مناوشات عنيفة بين الجيشين، تلاها بعد يومين أو ثلاثة اشتباك ضار شامل. كانت معركة شرسة. وقد قرر مصير المعركة كمين مؤلف من ٣٠٠٠ جندي وضعه ماريوس بقيادة كلاوديوس مارسيلوس في مؤخرة البرابرة والذي أطبق عليهم عندما أخذوا يتراجعون أمام ماريوس. وبعد إن أصبحوا بين فكي كماشة من الأمام ومن الخلف وبعد إن أنهكتهم الحرارة الشديدة، تفرقت صفوفهم وفروا. كانت مجزرة مروعة. يقول بعض الكتاب أن عدد القتلى بلغ ٢٠٠.٠٠٠ قتيلاً و٨٠.٠٠٠ أسيراً، وآخرون يقولون أنه ١٥٠.٠٠٠ قتيلاً بينما يقلله آخرون إلى ١٠٠.٠٠٠. ولكن مهما كان عدد القتلى، فأن هذا الشعب قد أبيد بالكامل. والذين فروا، قتلوا أنفسهم

وتبعتهم زوجاتهم. وبعد المعركة مباشرة، وبينما كان ماريوس مشغولاً بأضرام النيران في الأكداس الهائلة من الأسلحة المحطمة التي جمعها جنوده، كقربان إلى الآلهة، جاءه عدد من الفرسان وبشروه بنبأ انتخابه قنصلا للمرة الخامسة.

كان من شروط الاستسلام أن يسلم المنهزمون ثلاثمائة من نسائهم المتزوجات إلى الرومان. وعندما سمعت السيدات التيوتونيات هذا الشرط، رجون القنصل أن يتركهن يخدمن المعابد في سيريس وفينوس. وعندما فشلن في تحقيق مطلبهن وأبعدن من قبل الجنود، قتلن صغارهن وفي اليوم التالي وجدن قتيلات بيد أحدهن الأخرى بشنق أنفسهن ليلاً. أصبحت قصة هؤلاء النسوة مثالا للبطولة الجرمانية.

أما ملك التيوتون تيوتوبود فقد وقع في الأسر مع ٢٠.٠٠٠ من قواته وأرسل إلى روما في موكب نصر احتفالاً بهزيمته وتم تنفيذ حكم الأعدام فيه.

شق السيمبري طريقهم نحو ايطاليا. إتخذ رفيق ماريوس، لوتاتيوس كاتلس موضعاً دفاعياً قوياً في منطقة Athesis أو Adige نتيجة يأسه من إمكانية الدفاع عن ممرات تايرول. ونتيجة الرعب الذي أصاب جنوده عند اقتراب البرابرة، اضطر للتراجع مرة أخرى خلف منطقة بو وبذلك ترك سهل اللمباردي الغني مكشوفاً أمام غارات البرابرة. أستدعي ماريوس حينها إلى روما وأقام له مجلس الشيوخ احتفالاً لانتصاره على التيوتون، حيث ترك الاحتفال والتحق للانضمام لكاتلس الذي يشغل منصب بروقنصل في ١٠١ ق.م. اتحد جيشاً ماريوس وكاتلس وأسرعا في البحث عن العدو. التقوا به في منطقة فيرسيلاي غرب ميلان، ودارت المعركة الحاسمة في ٣٠ تموز في سهل يدعى راودي كامبي بالقرب من فيرسيلاي. لقي السيمبري نفس مصير زملائهم التيوتون. وقيل أيضاً أن عدد القتلى يتراوح بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ ألف قتيل، وانتحرت النسوة كما فعلت نساء التيوتون. وفرَّ التيغورينيون الذين كانوا

يتمركزون في ممرات تايروليس بالألب وتفرقوا حالماً سمعوا بهزيمة رفاقهم بالسلاح[1].

وهكذا تم انقاذ ايطاليا. وبعد هذا النصر المزدوج اقامت روما احتفالاً عظيماً لماريوس وحيته الجماهير بعبارة منقذ البلاد وبأنه كاميلس الثاني[2] وروميلس الثالث[3].

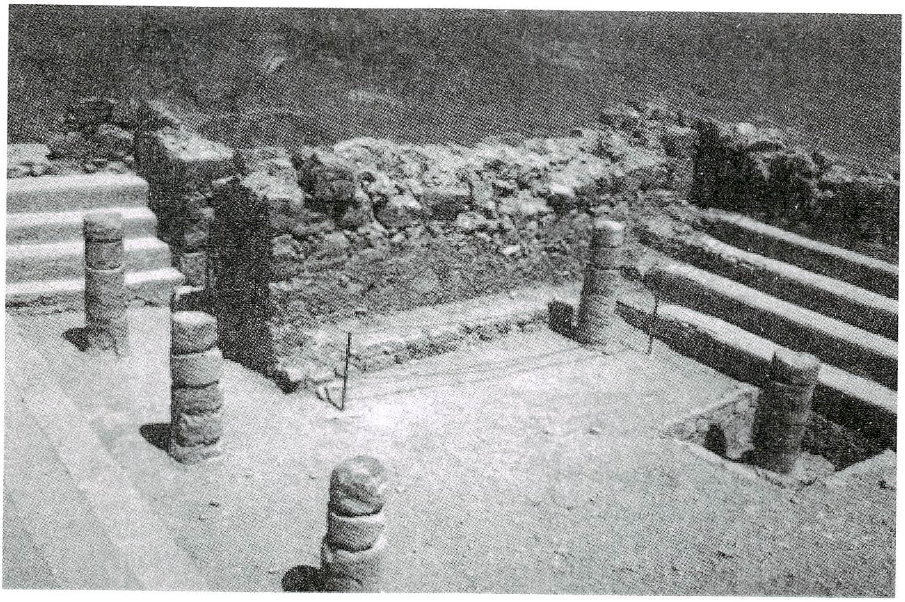
(1) Theodor Mommsen, History of Rome, The Revolution, Classic Literature Library, 2001.

(٢) ماركو فيوبوس كاميلس ٤٤٦ ق.م - ٣٦٥ ق.م قائد روماني انتصر اربع مرات واصبح دكتاتورا لخمس مرات حاز على لقب المؤسس لثاني لروما.

(٣) روملس ٧٧١ ق.م -٧١٧ ق.م وريمس ٧٧١ ق.م - ٧٥٣ ق.م هما المؤسسان المعروفان لروما وتظهرهما الاساطير الرومانية بأنهما توأمان للكاهنة رحيا سلفيا وأبوهما إله الحرب مارس (المريخ).

الفصل الثالث

انتحار اليهود في قلعة مسادا



آثار كنيس يهودي في قلعة مسادا حيث جرت عملية الانتحار

خلاصة

في القرن الأول الميلادي نفذ ٩٦٠ فردا من أفراد الطائفة اليهودية في مسادا عملية انتحار جماعي، بدلاً من الاستسلام والاستعباد على يد الرومان. قتل كل رجل زوجته وأطفاله، ثم أجروا قرعة على قتل أحدهم الآخر حتى قتل آخر رجل منهم نفسه(١).

نبذة تاريخية

حصلت الحرب الرومانية اليهودية الأولى خلال الأعوام من ٦٦م - ٧٣ م، وتسمى أيضاً الثورة الكبرى أو بالعبرية (هاميريد هاجادول)، وهي أولى ثلاث ثورات رئيسة قام بها يهود ولاية يهودا ضد الإمبراطورية الرومانية. الحرب الثانية هي حرب كيتو Kitos War في ١١٥م -١١٧م والثالثة هي ثورة بار كوبا Bar Kohba's Revolt 135 م.

في عام ٦ م أصبحت يهودا ولاية رومانية يحكمها حاكم روماني يعتبر مسؤولاً عن حفظ السلم وجمع الضرائب بعد أن كانت مملكة يحكمها حاكم يهودي لكنها تابعة للرومان. وقد كان جمع أموال فوق النسبة المحددة ممارسة معتادة وتمثل تعسفا في استخدام السلطة. وقد بدأ التوتر عندما قامت روما بتعيين الكاهن الأعلى وذلك في عام ٦ م. وفي ٣٩ م أعلن الإمبراطور الروماني كاليجولا Caligula نفسه إلها وأمر بأن تنصب تماثيله في المعابد في معظم أنحاء البلاد. رفض اليهود ذلك وأعدوا نفسهم

(١) موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Masada .

للقيام بثورة مسلحة. وقد ساهمت سرقات الحاكم الروماني جيسيوس فلورس Gessius Florus الكبيرة من خزائن الهيكل في إشاعة روح الثورة والتمرد ورفعت من شعبية جماعة الزيلوت. والزيلوت طائفة يهودية ترجع أصولها إلى ثورة المكابيين (القرن الثاني قبل الميلاد). أول من ذكر هذا الأسم المؤرخ اليهودي جوزيفس للإشارة إلى مقاتلي المقاومة اليهودية في حرب ٦٦م -٧٣ م. وأطلق عليهم هذا الاسم بسبب تقديسهم الشديد للتوراة ومقتهم لغير اليهود ولليهود الذين يفتقرون إلى الحماسة الدينية. ظهر الزيلوت كحزب خلال حكم هيرود الكبير ٣٧ ق.م – ٤ م حيث قاوموا طقوسه الوثنية. وبعدها وفي ٦ م وعندما حاول حاكم سوريا الروماني سايرينيوس إجراء إحصاء سكاني، أعلن الزيلوت بقيادة يهودا الجليلي والكاهن زادوك الثورة ضد ما اعتبروه مؤامرة لإخضاع اليهود. بعدها عبر الزيلوت عن معارضتهم بأعمال تمرد متفرقة وبعنف ضد اليهود الذين يطيعون الحكم الروماني. وقد لعب الزيلوت دوراً مهما في هذه الثورة الفاشلة التي تم على إثرها تدمير الهيكل في ٧٠ م على يد الرومان.

ويسمى التلمود الزيلوت (بيريونيم Biryonim) أي المتوحشين وأدانهم لعدوانيتهم وعدم رغبتهم في إنقاذ الناجين من حصار القدس وأنهم السبب في تدمير المدينة والهيكل اليهودي الثاني. فيذكر التلمود البابلي أنهم اتلفوا واحرقوا مخازن الطعام في القدس والتي تكفي لعشرات السنين خلال حصار القدس في محاولة لإجبار اليهود لقتال الرومان بدافع اليأس وهو العمل الذي أدى إلى هروب يوحنان بن زكاي من القدس الذي التقى بالإمبراطور فسباسيان وأسس مدرسة يهوه التي أنتجت المشنا[١].

(١) المشنا هو المصدر الثاني من مصادر الشريعة اليهودية بعد الأسفار ويتضمن شروح وتفاسير أسفار الكتاب المقدس (التناخ) كما تناقلتها الألسن

بدأت الثورة في ٦٦ في مدينة قيصرية نتيجة قيام الإغريق بتقديم قرابين الطيور من أجل الإمبراطور أمام كنيس يهودي محلي. لم تتدخل الحامية الرومانية التي تتحدث الإغريقية في هذا الوضع. أوقف إبن الكاهن الأعلى (كوهين جادول) أليعازر بن حنانيا الصلوات والقرابين من أجل الإمبراطور الروماني في الهيكل ثم قاد هجوماً ناجحاً على الحامية الرومانية المتمركزة في القدس. فر ملك القدس الروماني أجريبا الثاني Agrippa II وشقيقته بيرينس إلى الجليل حيث سلما نفسيهما إلى الرومان. أرسل حاكم سوريا الروماني سيستيوس جالوس Cestius Gallus تعزيزات لاستعادة النظام في القدس، لكنه هزم في معركة بيت حورون . حتى أن الفيلق الروماني قد فقد عند تراجعه رايته[١].

السقوط

عين الإمبراطور نيرو، الجنرال فسباسيان Vespasian بدلاً من جالس لقمع التمرد. جعل فسباسيان مقره في مدينة قيصرية ماريتيما Caesarea Maritima واستطاعت فيالقه المكونة من ستين ألف جندي تطهير الساحل والمنطقة الشمالية. استسلمت بعض المدن دون قتال. وفي عام ٦٨م قمعت المقاومة اليهودية في الشمال.

قرر قادة التمرد الشمالي المنهار جون الجسكالي John of Giscala وسيمون بار جيورا Simon Bar Giora الفرار إلى القدس. فنشبت حرب أهلية طاحنة، فقد أعدم الزيلوتZealot والسيكاري Sicarii أي شخص يطالب بالاستسلام، وفي ٦٨م قتل جميع قادة التمرد الجنوبي على يد اليهود أنفسهم وليس الرومان.

(1) Steven Langfur, Masada and the first Jewish revolt against Rome, Near East Tourist Industry, 2003.

والسيكاري مفردة لاتينية وتعني القاتل بالخنجر أو رجل الخنجر وانتشرت خلال العقود التي سبقت تدمير القدس في ٧٠ م للدلالة على جماعة متطرفة منشقة عن اليهود الزيلوت أو المتمردين الذين حاولوا طرد الرومان وأنصارهم من يهودا.

لجأ السيكاري إلى استخدام الإرهاب لتحقيق أغراضهم. فقد كانوا يخفون خناجر صغيرة تحت عباءاتهم، ومن هذا اشتق اسمهم. ففي وسط التجمعات الكبيرة خاصة خلال مواسم الحج إلى جبل الهيكل (هار هابايت)، كانو يطعنون أعداءهم من الرومان أو من أنصارهم الهيروديين **Herodians** أو من الأثرياء اليهود الراضين بالحكم الروماني، ثم يصوتون وينوحون على الميت بعد الحادث ليخفوا أنفسهم ويتجنبوا الكشف ويضيعوا وسط الجمهور.

وكان من بين ضحايا السيكاري جوناثان الكاهن الأعلى رغم أنه من المحتمل أن يكون مقتله قد رتب من قبل الحاكم الروماني فيليكس. وقد قوبلت عمليات القتل هذه بحملة ثأرية قاسية من الرومان ضد جميع اليهود في البلاد. وفي أحيان أخرى كان السيكاري يتلقون الرشى لتجنب قتل ضحايا معينين أو أن يطلق سراح قسم منهم مقابل الوعد بعدم قتل خصومهم. ويقول المؤرخ جوزيفوس أنه وفي إحدى المرات وبعد خطف مساعد أليعازر حاكم منطقة الهيكل، وافقوا على إطلاق سراحه مقابل إطلاق سراح عشرة من رفاقهم المقبوض عليهم.

وفي بداية الثورة اليهودية، دخل السيكاري القدس ورتبوا سلسلة من الأعمال الوحشية من أجل إجبار السكان على القتال. ويذكر التلمود في إحدى رواياته أنهم أتلفوا مخازن الطعام الخاصة بالمدينة وذلك لإجبار الناس للقتال وفك الحصار الروماني بدلاً من التفاوض على السلام. ومن زعمائهم مناحيم بن يائير وبار جيورا، وقد نجح بن يائير في الهرب والنجاة من المذبحة الرومانية حيث شق طريقه مع جماعة من رفاقه نحو قلعة مسادا المهجورة وواصل مقاومته للرومان حتى عام ٧٣ م[١].

(1) Kaufmann Kohler, Zealots, Jewish Encyclopedia.com, http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=49&letter=Z&search=zealot

ويقول جوزيفوس في كتابه الحرب اليهودية أنه بعد سقوط الهيكل أصبح السيكاري الفرقة اليهودية السائدة وانتشروا خارج البلاد. ويربطهم جوزيفوس بالانتحار الجماعي بمسادا في ٧٣م وبرفض دفع الضرائب أيام سايرينيوس وإعتبروا ذلك جزءاً من مخططهم السياسي والديني كمقاومين.

ويرى أغلب العلماء أن لقب الاسخريوطي ليهوذا الاسخريوطي، وهو الحواري الذي خان السيد المسيح، أنما هو نقل يوناني لمفردة سيكاري.

ويرى علماء السياسة أن السيكاري هم الآباء الأوائل للإرهاب الحديث. فهم كالإرهابيين الحاليين، يهدفون من وراء أعمالهم توجيه رسالة إلى جمهور عريض من الناس، هم بالدرجة الأولى الموظفين الرومان واليهود المتعاونين معهم.

وهم يشبهون إلى حد ما طائفة الحشاشين[1] المسلمة المتعصبة الذين من اسمهم اشتقت مفردة **Assassin** الانجليزية التي تعني يغتال أو يقتل غدراً. فقد كان الحشاشون يذبحون بوحشية كل من لا يؤيد سياساتهم من أخوتهم في الدين. وهم كطائفة السيكاري بنوا أيضاً حصناً جبلياً في منطقة منعزلة لاستخدامها للدفاع عن أنفسهم ضد أي جيش معاد. وكانو أيضاً يستخدمون الخناجر حصرا في تنفيذ اغتيالاتهم.

وقد أصبحت مفردة سيكاري أو سيكاريوس **Sicarios** تشير إلى المجرمين المحترفين أو القتلة من تجار المخدرات.

وبعد موت نيرو وبتأييد من الجيش، أعلن فسباسيان إمبراطورا في عام ٦٩م وغادر إلى روما لاستلام العرش من فايتيليوس **Vitellius** في حرب أهلية رومانية قصيرة خلال ما يسمى بعام الأباطرة الأربعة[2].

(١) الحشاشون طائفة من الشيعة الإسماعيلية نشطت خلال الفترة من القرن ٨ إلى القرن ١٤ في إيران. أسسها حسن الصباح وأتخذ من قلعة الموت التي تبعد ١٠٠ كم عن طهران مقراً له. اشتهروا بقيامهم بعمليات انتحارية واغتيالات لأعدائهم تحت تأثير تعاطي الحشيش.

(٢) عام الأباطرة الأربعة يصادف ٦٩ م حيث تعاقب أربعة أباطرة على حكم الإمبراطورية الرومانية بعد مقتل نيرون في ٦٨م.

سقوط القدس

بدأ حصار القدس العاصمة في بداية الحرب لكنه تحول إلى مأزق خطير. فنتيجة عجز الجيوش الرومانية عن اقتحام دفاعات المدينة نصب الرومان معسكراً دائماً خارجها وحفروا خندقا حول محيط أسوارها وبنوا سوراً أيضاً حولها بارتفاع أسوارها. وأي شخص يمسك في الخندق محاولاً الهرب من المدينة يقبض عليه ويصلب ويوضع في صف في أعلى السور المواجه للقدس. ولم يوقف قادة الزيلوت جون الجسكالي وسيمون بار جيورا حربهما الداخلية وينضموا إلى القوات المدافعة عن المدينة إلا بعد إن أخذ الرومان يبنون سوراً عريضاً لتعزيز الحصار. وفي نهاية الحصار علقت عشرات آلاف الجثث المصلوبة حول أسوار القدس.

قاد تيتوس فلافيوس إبن فيسباسيان الهجوم النهائي على القدس. وخلال القتال الأهلي داخل أسوار المدينة، أحرق الزعماء اليهود كدسا من الطعام الجاف لحث المدافعين للقتال لكسر الحصار بدلاً من التفاوض لعقد السلام. ونتيجة لذلك مات الكثير من سكان وجنود المدينة بسبب الجوع خلال الحصار. مسك الزيلوت بقيادة اليعازر بن سيمون الهيكل، بينما مسك السيكاري بقيادة سيمون بن جيورا شمال المدينة. وفي الآخر تمكن تيتوس من قمع آخر بقايا المقاومة اليهودية. كان مصمماً في عزمه بحيث ظل قرابة ثلاثة أعوام بعد تدمير القدس يتصيد اليهود المتمردين، وظلت هناك أيضاً مجموعة يهودية مصممة في عزمها تمسك قلعة مسادا الجبلية.

في صيف عام ٧٠م، اخترق الرمان أسوار القدس فنهبوا وأحرقوا كل المدينة تقريباً. بدأ الرومان بمهاجمة أضعف نقطة وهي السور الثالث. وكان قد تم بناؤه قبل الحصار بقليل لهذا لم يأخذ وقتاً طويلاً في تعزيزه وأحكامه. نجح الرومان باقتحامه في نهاية مايس/ مايو وبعدها بقليل اقتحموا السور الثاني الأكثر أهمية. تم تدمير الهيكل في ٢٢ أو ٣٠ آب/ أغسطس عام ٧٠ م. يقول تاسيتوس **Tacitus** وهو مؤرخ عاش

في ذلك الزمن أن عدد المحاصرين في القدس بلغ حوالي ستمائة ألف شخص، وأن الرجال والنساء من كل الأعمار قد اشتركوا في المقاومة المسلحة، وأظهر كل من كان قادراً على حمل السلاح من كلا الجنسين نفس العزيمة والإصرار مفضلين الموت على الحياة بعيداً عن بلادهم. تم تدمير الأسوار الثلاثة ثم الهيكل. استسلم جون الجسكالي وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. لا يزال قوس النصر الخاص بتيتوس قائماً حتى الآن في روما وهو يصور الفيالق الرومانية وهي تحمل كنوز هيكل القدس بما فيها المينورا **Menorah** أو الشمعدان اليهودي ذي السبعة أفرع دلالة على أيام الخلق السبعة.

مسادا

أو القلعة أو الحصن هي قلعة جبلية تقع على حافة صحراء النقب غرب البحر الميت وجنوب شرق فلسطين. وتشغل كامل قمة جبل ميسا الذي يبلغ ارتفاعه ١٤٢٤ قدم (٤٣٤ م) ومساحتها ٧ هكتارات. كانت مسكونة منذ العصر النحاسي (٤٠٠ ق.م) لكنها ازدهرت خلال العصر الحديدي. بنى أولى تحصيناتها الكبيرة الملك الهاشموني الكسندر جانيوس[١] الذي حكم خلال الفترة من ١٠١ق.م - ١٠٣ ق.م. لكن هيرود الكبير هو باني قلعة ماسادا. وقد بناها خلال الفترة من ٣٧ق.م - ٣١ ق.م مع قصرين كبيرين أحدهما بثلاثة أدوار مع جدران ضخمة وقنوات لسحب المياه إلى صهاريج ضخمة تحمل ٢٠٠ ألف غالون. وبعد موت هيرود في ٤ م استولى الرومان عليها ولكن في ٦٦ م استولت عليها طائفة الزيلوت بهجوم مفاجئ، وظلوا يستخدمونها طيلة السنتين التاليتين كقاعدة للإغارة على وسلب المستوطنات الرومانية واليهودية على حد سواء.

(١) المملكة الهاشمونية مملكة يهودية مستقلة ١٤٠ ق.م - ٣٧ ق.م أسسها سيمون مكابيوس بعد عقدين من دحر شقيقه يهودا المكابي. للجيش السلوقي خلال الثورة المكابية في ١٦٥ ق.م.

سقوط مسادا

خلال ربيع عام ٧١م، أبحر تيتوس نحو روما. عُيِّن حاكم روماني جديد محله هو لوسيليوس باسوس Lucilius Bassus وواجبه هو تطهير ولاية يهودا. قاد باسوس فيلق فريتينسيس العاشر لاقتحام حصون المقاومة الأخيرة الباقية. استولى على هيروديم ثم عبر نهر الأردن للاستيلاء على حصن مكاريوس على ساحل البحر الميت. وبسبب مرضه، لم يعش باسيوس لإكمال مهمته. حل محله لوسيوس فلافيوس سيلفا Lucius Flavius Silva وسار في خريف ٧٢ باتجاه مسادا آخر حصن يهودي للمقاومة. استخدم فيلق ليجيو العاشر مع قوات مساندة وآلاف من الأسرى اليهود. وبلغ العدد الكلي لقواته ١٠٠٠٠ رجل. وبعد أن رفض طلبه بالاستسلام، أقام سيلفا عدة معسكرات وبدأ يحيط الحصن بالاستحكامات. . وبعد عدة محاولات فاشلة لاختراق السور، بنى الرومان أسواراً واستحكامات بمواجهة الجانب الغربي من الهضبة مستخدمين آلاف الأطنان من الحجارة والصخور. لم يذكر جوزيفوس أي محاولة من جانب السيكاري لشن هجوم مقابل على المحاصرين (بكسر الصاد) خلال هذه العملية، وهذا يختلف كثيراً عن كتاباته عن الحصارات الأخرى ضد الحصون اليهودية، وهذا ربما يشير إلى افتقار السيكاري إلى المعدات اللازمة لقتال الفيلق الروماني. ويعتقد بعض المؤرخين أن الرومان ربما استخدموا العبيد اليهود لبناء هذه الأسوار حيث لا يرغب الزيلوت (هنا يستخدم المؤرخون مفردة زيلوت وليس سيكاري) قتلهم بسبب معتقدهم الديني. ويقول دان جل أن الاكتشافات الجيولوجية خلال التسعينات أثبتت أن منصة الهجوم تتكون من صخور طبيعية وهذا ما يقلل من احتمال كونها مبنية بواسطة العبيد اليهود ومن احتمال الصراع بين الزيلوت وهؤلاء العبيد.

اكتمل بناء المنصات في ربيع عام ٧٣ م بعد شهرين أو ثلاثة من الحصار تمكن الرومان من اختراق سور الحصن باستخدام المنجنيق في ١٦ نيسان/ ابريل. وعندما دخل الرومان الحصن اكتشفوا أن ٩٦٧ من سكانه قد أضرموا النيران في كل المباني عدا مخازن الطعام وانتحروا جميعا بدلا من الوقوع في الأسر على يد أعدائهم (مما قد يضعهم تحت نير العبودية أو الإعدام).

ولكون اليهودية تناهض الانتحار بشدة، قال جوزيفوس أن المدافعين قد عملوا قرعة فيما بينهم وقتل أحدهم الآخر حتى آخر رجل منهم الذي ربما يكون الوحيد الذي انتحر. وبالنسبة إلى مخازن الطعام فقد تم استبعادها عن الحرق لبيان أن لدى المدافعين القدرة على البقاء أحياء مع ذلك فضلوا الموت على ألا يقعوا في العبودية. نقل نبأ حصار مسادا إلى جوزيفوس إمرأتان نجيتا من الانتحار بالاختباء في أحد صهاريج المياه مع خمسة أطفال آخرين ونقلتا إلى الرومان حرفيا نصيحة اليعازر بن يائير الأخيرة إلى أتباعه قبل الانتحار الجماعي.

يدعى جوزيفوس أن ١١٠٠٠٠ شخصاً قد قتلوا خلال حصار القدس غالبيتهم من اليهود وأن ٩٧٠٠٠ قد أسروا واستعبدوا. والكثير فروا إلى المناطق المحيطة بالبحر المتوسط.

تعقب الرومان وقتلوا قبائل كاملة مثل سلالة بيت داود. وفي إحدى المرات حكم تيتوس على ٢٥٠٠ من اليهود بالصراع مع الأسود داخل مدرج مدينة قيسارية احتفالاً بعيد ميلاد شقيقه دوميتيان.

مسادا اليوم

تم اكتشاف موقع مسادا عام ١٨٤٢م وجرى التنقيب فيه بشكل واسع في ١٩٦٣م – ١٩٦٥م وقاد البعثة الاثاري الإسرائيلي ييغال يادين. وقد ظلت هذه

المنطقة بعيدة عن تدخل البشر خلال الألفيتين الماضيتين بسبب بعدها عن المناطق السكنية ومحيطها القاحل. لا يزال السور أو المنصة الرومانية قائمة إلى الآن على الجانب الغربي من الحصن ويمكن تسلقه على الأقدام. جرت إعادة ترميم المباني القديمة وكذلك الرسومات الجدارية الموجودة في قصري هيرود والحمامات ذات الطراز الروماني التي بناها. وقد عثر أيضاً على الكنيس اليهودي ومخازن الطعام ومنازل المتمردين اليهود وتم ترميمها. ويشير الآثاريون إلى أن السيكاري قد غيروا في تصاميم المباني الموجودة بضمنها بناية تم تحويرها لتكون كنيسا يهوديا متجها نحو القدس رغم أنه لا يحوي حمام تطهير أو مكفاً[1] أو المصاطب التي يعثر عليها غالبا في الكنس القديمة. وقد وجدت آثار حمامين في مكان آخر من القلعة.

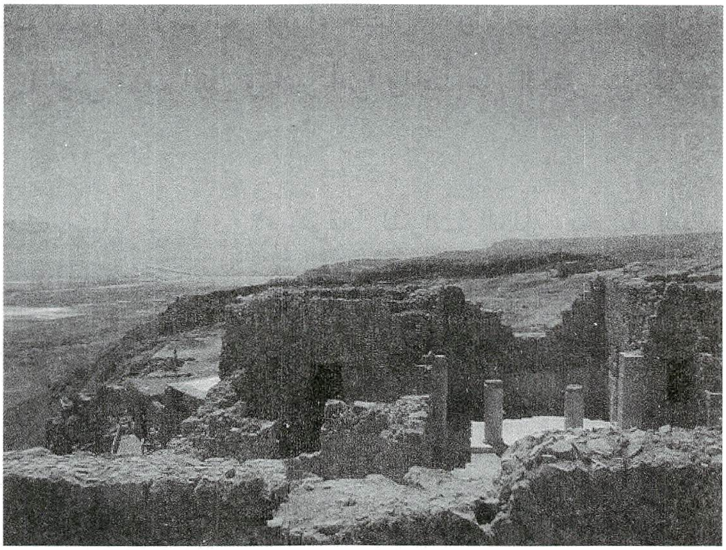
ويمكن أيضاً مشاهدة السور الروماني الذي يبلغ ارتفاعه متراً واحداً والذي بنوه حول مسادا مع ١١ ثكنة للجنود الرومان خارج السور. وهناك أيضاً صهاريج المياه التي تقع على مسافة ثلثي الطريق إلى الحصن المبنية بنظام مائي معقد يكشف عن كيفية تمكن المتمردين من التزود بالمياه خلال مدة طويلة.

وفي داخل الكنيس، عثر على أجزاء من سفر التثنية وحزقيال مدفونة في حفرة تحت أرضية غرفة صغيرة مبنية داخل الكنيس.

وفي المنطقة المقابلة للقصر الشمالي، عثر على ١١ قطعة فخارية صغيرة تحمل كل واحدة منها اسما واحداً. وإحداها تحمل اسم ابن يائير وربما يكون اختصارا لأليعازر ابن يائير قائد الحصن. ويعتقد أن الأسماء العشرة الأخرى هي للرجال الذي وقعت عليهم القرعة لقتل الآخرين وبعدها يقتلون أنفسهم كما ذكر القصة جوزيفوس.

وهناك أيضاً بقايا كنيسة بيزنطية بنيت في القرن الخامس أو السادس على قمة مسادا.

(١) المكفا حمام من طراز خاص يستخدم لطقس التطهير في اليهودية.



آثار قلعة مسادا

ويقول ناخمان بن يهودا أن بعض الأساتذة اليهود قبل وبعد إنشاء إسرائيل قد ضخموا وزينوا قصة جوزيفوس وخلقوا منها أسطورة حديثة عن الموقف البطولي لليهود ضد الإمبراطورية الرومانية. وأصبحت القلعة تمثل رمزاً للبطولة اليهودية(١). وهي من أكثر المناطق السياحية مزاراً في إسرائيل.

وإحياء لذكرى اليهود القدامى الذين قضوا في مسادا، وضع رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق موشي دايان تقليداً متبعاً للجنود الإسرائيليين بعد إنهائهم لتدريبهم الأساس (تيرونت Tironut) وذلك بأن يزوروا مسادا ويؤدوا هناك طقوس القسم: "لن تسقط مسادا مرة أخرى". فيتسلق المئات منهم ليلاً وبأيديهم المصابيح في صفوف طويلة الطريق الأفعواني الذي يقود إلى مسادا. ويعتبر هذا تقليداً

(1) Nachman Ben Yehuda, The Masada Myth, Hebrew University, Jerusalem, Published on the Bible and Interpretation Website: http://www.bibleinterp.com/articles/masadamyth1.shtml

متبعاً لصنف الدروع الإسرائيلي ولواء جيفاتي[1] والآخرين. ولا يزال هذا التقليد جارياً لدى الجيش الإسرائيلي ويعتبر أمراً واجباً على الكثير من الوحدات ومنها الناحال[2].

أصبحت مسادا في ٢٠٠١م موقعا للتراث العالمي بحماية اليونسكو. وفي ٢٠٠٧م تم افتتاح متحف جديد في الموقع عرضت فيه اللقى والموجودات الأثارية التي عثر عليها في الموقع[3].

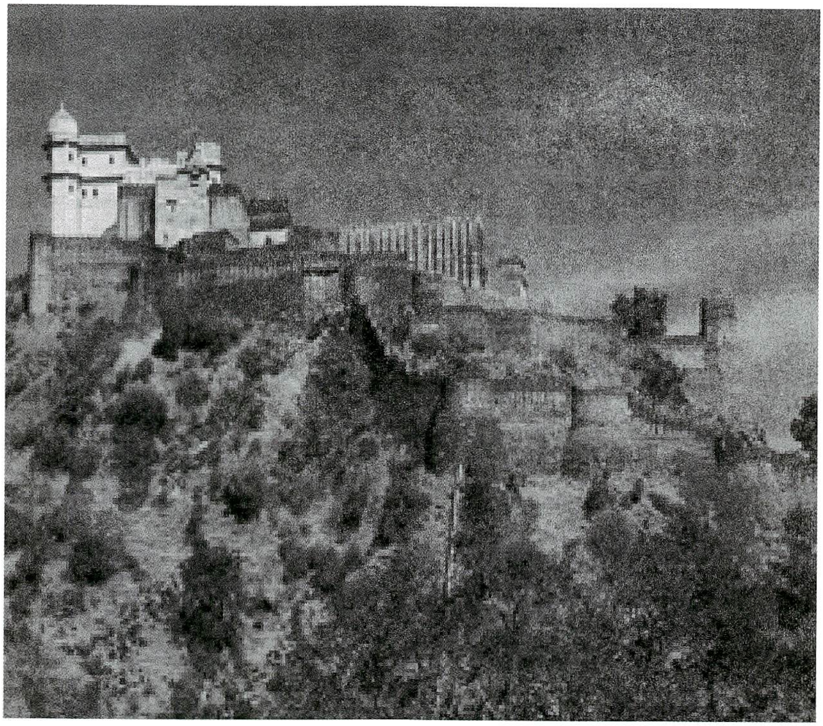
(١) لواء جيفاتي لواء مشاة إسرائيلي تأسس في ١٩٤٨م ولا يزال قائماً إلى الآن. انتشر في غزة عدة مرات خلال السنوات الأخيرة وكان مسؤولاً عن مقتل الفتاة الفلسطينية إيمان الحمص البالغة ١٣ عاماً من العمر في رفح في ٢٠٠٤م.-

(٢) ناحال مفردة متكونة من الحروف الأولى لعبارة نوعر حلوتسي لوحيم وتعني الشباب الطليعي المحارب وهي فرقة من الجيش الإسرائيلي تمزج بين التدريب العسكري والاستيطان والعمل الزراعي.

(٣) موقع موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Masada .

الفصل الرابع

انتحار أسر وفرسان طائفة الراجبوت الهندية



قلعة شتور حيث نفذن نساء الراجبوت الجوهر (الانتحار الجماعي)

خـلاصـة

كان يجري في القرون الوسطى أحياناً طقس للانتحار الجماعي يسمى (جوهر Jauhar) على يد طوائف الراجبوت الهندية، عندما يشعرون أن سقوط مدينتهم المحاصرة بات مؤكداً وذلك من أجل تجنب الاستسلام والعار والتحول القسري عن دينهم. أشهر الأمثلة عن طقس الجوهر هو الحالات الثلاث التي حصلت في قلعة شتور في راجستان في الأعوام ١٣٠٤م و١٣٥٣م و١٥٦٨م.

والجوهر والساكا Jauhar and Saka هما الموت الاختياري لرجال ونساء طائفة الراجبوت الملكية الهندية من أجل تجنب الوقوع في الأسر والذل والهوان على يد أعدائهم.

والجوهر في الأصل هو الموت الاختياري في محرقة الموت للملكات ونساء الأسرة الملكية الأخريات لهذه الطائفة عنـد هزيمتهم. أصبحت الكلمة تستخدم لتعني طقس الانتحار الجماعي لنساء ورجال طائفة الراجبوت في القرون الوسطى. يسمى قتـل النفس الجمـاعي لنساء الطائفة "الجوهر"، ويسمى ركوب الخيل والانطلاق لساحات الوغى والقتال حتى الموت من قبل الرجال "الساكا"[1].

والراجبوت هم طبقة هندية محاربة يسكنون غالباً شمال الهند وقد تحول قسم كبير منهـم إما إلى الإسلام أو السيخية وقـد جاءوا من منطقـة راجستان الهندية وحكموا أجزاء كبرى من الهند خلال الفترة من القرن السابع إلى القرن ١٢ وخاصة

(١) موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Jauhar .

الأجزاء الشمالية والغربية منها حتى أخضعهم المسلمون في ١٢٠٠ م. وقد خدم عدد كبير منهم في الجيش المغولي الإسلامي. وبعد دخول شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الهند خدموا فيها كقوات مشاة وفرسان. ويتميزون ببنيتهم القوية وروحهم المحاربة وطاعتهم وشجاعتهم التي تؤهلهم ليكونوا عسكريين محترفين. وقد خدم معظمهم في القوات البريطانية خلال الحربين العالميتين(١).



مهارانا براتاب ١٥٤٠م – ١٥٩٧م حاكم ميوار ومثال شخصية الراجبوت

طقس الجوهر:

يشير طقس الجوهر دائماً إلى انتحار النساء والأطفال وحدهم، ولكن يجب أن يفهم بأنه يتضمن موت الرجال أيضاً في ساحات القتال. والدافع لهذا الطقس هو الآتي:

١- خضوع جيش من طائفة الراجبوت للحصار داخل قلعته على يد جيش غاز معاد.

(1) Harlan, Lindsey, Religion and Rajput Women, the Ethic Protection in Contemporary Narratives, University of California Press, 1992.

٢- إدراك المدافعين أن الهزيمة وشيكة أو لا يمكن تفاديها ولا يوجد أي خيار آخر.

٣- إدراك المدافعين أن جيش العدو سيأسر ويسبي النساء.

٤- الإيمان بأن القتل الجماعي للنساء والأطفال الصغار سيجنب الأخيرين الاغتصاب على يد جنود الجيش الغازي المنتصر.

٥- ركوب الرجال للخيل والانطلاق إلى ساحات الوغى للقتال حتى الموت في المعارك.

ترتدي النساء في اليوم الأخير للمعركة، ملابس الزفاف ويقدمن قرابينا أمام إله النار بينما يهاجم الرجال العدو وهم يحملون ثوباً أصفراً بلون الزعفران. وقبل هذا يجب أن يكون معلوماً أن العدو جبار والموت مؤكد على يديه. فلا خيار أمام رجال الراجبوت سوى القتال والموت. وطقس الجوهر هو الحل الوحيد لتفادي أسر واغتصاب نسائهم على يد العدو. فالجوهر والسَّاكا ينفذان دائماً معاً.

ورغم الالتباس الذي قد يحصل أحياناً بين هذا وبين طقس الساتي Sati إلا إنهما مختلفان. فبينما يكون الطقسان معروفين تاريخياً في منطقة راجستان الحالية في الهند، إلا أن الساتي هو قتل الأرملة لنفسها بعد وفاة زوجها، أما الجوهر والساكا فينفذان في حياة كلا الزوجين وفي وقت الحرب فقط[1].

السَّاكا :

عندما يقرر الرجال السَّاكا فأنهم يأخذون حماماً في الليل ويلبسون ثياباً صفراً ثم يذرون رماد جثث زوجاتهم وأطفالهم على رؤوسهم ويضعون ورقة عشبة التلسي العطرية في أفواههم. ثم تفتح بوابات القصر وينطلق الرجال على الخيول لقتال العدو حتى آخر نفس. يسمى هذا القتال للرمق الأخير للرجال بالسَّاكا.

(1) Sarina Singh, Rajasthan: Monique Choy, Lonely Planet Publications, Oct 2002, p. 231.

عندما يقاتل الهندوس أعداءهم من الهندوس أيضاً فأنهم لا يرتكبون الجوهر أو السَّاكا ومثال ذلك ما حصل خلال المعركة بين الماراثاس والراجبوت، بل يرتكبونها عندما يقاتلون المسلمين فقط. ويبررون ذلك بما حصل للراجبوت عندما سعى ملك رايسينا Raisina الراجبوتي بوران مال لعقد الصلح مع الملك المسلم شير شاه سري Sher Shah Suri ووافق الأخير على الصلح. وعندما فتحت أبواب القلعة هجم جيش الملك شير شاه وقتل كل رجال الراجبوت وأغتصب نساءهم وسلب ممتلكاتهم[1].

وقائع الجوهر والسَّاكا :

يعتبر هذا الطقس محصوراً بطائفة الراجبوت الهندية التي تشكل الطبقة العليا والحاكمة في راجستان وشمال الهند وهم الطبقة المحاربة في تلك الأنحاء.

وله تمجيد عال في الأغاني العاطفية والتاريخ الشعبي لراجستان. لهذا فإن الأخبار التي وصلتنا عنه قليلة الفائدة بسبب الرومانسية المفرطة. فالأخبار التي تشير إلى دخول الغزاة إلى مدن مهجورة ليس فيها شخصاً حياً واحداً غير دقيقة من الناحية التاريخية. فطوائف البراهمن والشاران والخدم والعبيد كانوا أيضاً يعيشون مع الراجبوت. وقد عاشوا ليقصوا الحكاية كلها. ولم تثبت حالة هروب الراجبوت من المعركة وقت حصول السَّاكا (قتال الرجال حتى الموت)، لأنهم يعتبرون الهروب من أرض المعركة أمرا مشينا.

حصلت الكثير من الوقائع للجوهر والسَّاكا، إلا أنها لم تدون بشكل صحيح. ففي قلعة بياناً Bayana انتحرت زوجة الملك فيجابال وفق هذه الطريقة استناداً إلى معلومات مضللة، ثم تبعتها نساء أسرة سيهالدي التي تسيطر على الجيش.

هناك أيضاً عدد آخر من حالات ارتكاب هذا الطقس خاصة في زمن دولتي خيلجي وتغلاك Khilji & Tughlaq. فخلال حملة تغلاك ضد دولة كامبيلي Kampili

(١) المصدر نفسه، موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

وحصار قلعة أنيجوندي جرى تنفيذ طقس جرهر. ولا يعرف فيما إذا كان هذا الطقس خاصاً بطائفة الراجبوت أم أنه مورس من قبل طبقات عسكرية أخرى. ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الطقس قد مورس في أنيجوندي على يد طائفة الراجبوت في القلعة، ويتضح هذا بعد أخذ المحاصِرين (بكسر الصاد) الكثير من الأسرى من أوساط الطبقات الحاكمة والمقاتلة وإرسالهم إلى دلهي.

ولكن أشهر الأمثلة التأريخية عن الجوهر هي ثلاثة: الأول في قلعة أو حصن شيتاور Chittaur في راجستان في عام ١٣٠٣م و١٥٣٥م و١٥٦٨م. وشهدت قلعة جايسلمر Jaisalmer حالتين مماثلتين لممارسة الجوهر. وحصل آخر في مدينة شاندري . Chanderi

الحادثة الأولى للجوهر

كانت سلطنة دلهي تسيطر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر على المشهد السياسي لشمال الهند. وكان سلاطنتها يشنون هجمات متكررة على خصومهم من الراجبوت وخاصة على أسرة سيسودياس Sisodias في مقاطعة ميوار Mewar بشتى الذرائع. وإحدى هذه الذرائع هي حول السيدة راني بادميني Rani Padmini زوجة الملك راتان سنج Ratan Singh ملك شيتور. وتعتبر الروايات التقليدية أن أول هجوم على شيتور من قبل السلطان علاء الدين الخلجي في ١٣٠٣م جاء نتيجة هيامه وشوقه في بادميني زوجة الملك راتان سنج. وقد ساعد علاء الدين في محاولاته لضم المملكة إثنان من رعاياها وهما الأخوان راجاف وشيتان Raghav & Chetan . وقد استغل الثنائي ثقة الملك راتان سنج العالية بهما وإطلاعهما على الكثير من أسرار الدولة حيث هدداه فيما بعد بخيانته وإفشاء هذه الأسرار إذا لم يدفع لهما مبالغ مجزية عن سكوتهما. وكان المبلغ الذي يريدانه هو جزء من المهر الثمين لزوجة الملك بادميني. ولغضبه إزاء جشعهما، أمر بنفيهما من شيتور وأنه سيقتلهما إذا ما وجدهما على أراضي مملكته. وبهدف الانتقام، ذهب الأخوان إلى دلهي وحرضا علاء الدين

على مهاجمة شيتور من خلال إثارتها لغريزة الملك للنساء الجميلات وجشعه غير المحدود لمزيد من الأراضي والإقطاعات.

وعندما وجد علاء الدين أن قوته العسكرية تتساوى إلى حد ما مع قوة خصمه، قرر اللجوء إلى الخديعة والدبلوماسية لقهر شيتور. أوصل لراتان سنج خبراً يفيد بأنه يرغب في عرض الصداقة عليه لو أنه وافق فقط على أن ينظر لوجه بادميني لمرة واحدة فقط وأنه يعتبرها مثل أخته. طلب راتان سنج الذي وثق بكلام علاء الدين من زوجته أن تقابل أخيها الجديد السلطان علاء الدين، لكن الملكة، التي شكت بوجود فخ معين، رفضت ذلك. وعرضتً من ذلك أن يؤذن للسلطان برؤية صورتها عبر مرآة. وافق على ذلك وأبلغ السلطان، حيث جاء لمقابلة الملكة يرافقه أفضل ضباطه وجنوده. وبينما كان ينتظر بفارغ الصبر مقابلتها، كان جنرالاته يلقون نظرة فاحصة على دفاعات الحصن للاستفادة من ذلك في وضع خطة مهاجمة شيتور. وقفت بادميني قرب بركة اللوتس بينما أخذ علاء الدين يحدق في صورتها بمرآة مذهولا بجمالها. وعندما أبلغ ثانية بأنه لا يستطيع أن يقابلها شخصيا رغم إدعائه بقرابته الجديدة للزوجين، شعر السلطان بالمهانة والخديعة. وبينما رافقه الملك راتان سنج إلى بوابة الحصن كما فعل المضيف الجيد، انقض رجال السلطان عليه وأخذوه أسيراً إلى معسكر السلطان.

أرسل السلطان بعدها بلاغا إلى بادميني يقول أنها إذا كانت ترغب بأن يطلق سراح زوجها سالماً، فأن عليها أن تصبح حالاً خليلته. أجابت الملكة بأنها ستلتقي السلطان الصباح التالي مع ٧٠٠ امرأة من حاشيتها. وافق السلطان على طلبها. وعند انبلاج فجر اليوم التالي، غادرت القلعة مائة وخمسون محفة (عربة مغطاة تنقل فيها نساء الأسر المالكة في القرون الوسطى) وشقت طريقها نحو معسكر علاء الدين. أبلغ السلطان أن بادميني ترغب في إجراء آخر لقاء لها مع زوجها. وافق السلطان أيضاً. وعند وصول الموكب خرج منه ٢٠٠٠ من أشد الرجال يقودهم بادال شقيق

بادميني وانقضوا على رجال السلطان بهجوم صاعق غير متوقع. أنقذ الراجبوت ملكهم وعادوا إلى قلعتهم محرزين نصرا مؤقتا على سلطان دلهي.

رد علاء الدين بفرض حصار على قلعة شيتور. وبعد حصار طويل، أخذت المؤن داخل القلعة بالنفاد تدريجياً. أمر راتان سنج بفتح أبواب القلعة على مصراعيها والانطلاق بهجوم شامل وكاسح على الغزاة كونهم لا يستطيعون الصمود أكثر من ذلك. كانت بادميني تدرك أن قوات العدو تفوق كثيرا قوات زوجها وأن الأخيرة ستهزم لا محالة. لذلك قررت هي حاشيتها من النسوة الانتحار بدلاً من أن تغتصب وتشهد نهب جيش السلطان لشيتور. تم تهريب أطفال الأسرة الحاكمة خارج القلعة برفقة المخلصين للأسرة من أجل إنقاذهم من أيدي الغزاة.

ففي فجر يوم ٢٦ آب/ أغسطس ١٣٠٣، تم إيقاد محرقة كبيرة في غرفة ذات باب واحد. ألقت الملكة ونساء البلاط وزوجات وشقيقات وبنات الوزراء وكبار القادة الوداع على الرجال والأطفال الصغار وارتدين ملابس الزفاف ودخلن تلك الغرفة وأوصدن الباب خلفهن وقفزن بشكل جماعي في ألسنة نيران المحرقة. ارتدى الرجال ملابس صفراء وانطلقوا نحو بوابات الحصن. قتل تقريباً جميع رجال الراجبوت في ذلك اليوم. دخل السلطان وجنوده القلعة في شوق للاغتصاب والسلب والنهب لكن أملهم قد خاب عندما وجدوا هذه المجزرة الجماعية.

أصبحت حياة وموت بادميني مصدرا للكثير من القصص والأساطير والأغاني الشعبية وحتى الأفلام خلال الزمن الحالي. ولسوء الحظ لم تصل إلينا صورة لها رغم أن شجاعتها وتضحيتها ظلت تؤثر في الأجيال اللاحقة طيلة سبعة قرون. وأصبحت بادميني مثالاً للأمومة وتجسيداً للتضحية والبسالة. وقد خلّد قصتها مالك محمد جاياسي في قصيدته الملحمية بادمافات في ١٥٤٠م[1].

(1) http://www.britannica.com/EBchecked/topic/316162/Khalji-dynasty
Encyclopedia Britannica, Khalji Dynasty.

الحادثة الثانية للجوهر:

في القرن السادس عشر أصبحت ميوار أكبر دولة لطائفة الراجبوت. قاد ملكها رانا سانجا قوات الراجبوت المشتركة ضد الإمبراطور المغولي بابو في ١٥٢٧م لكنه هزم في معركة خانوا، وتوفي في ١٥٢٨ م. بعدها أصبحت أرملته راني كارمافاتي وصية على عرش ميوار وشيتور. وفي ١٥٣٥م تعـرضت المملكة للحصار على يد بهادور شاه كوجارات وانتهت بمجزرة رهيبلة. وبسبب عدم تلقيها النجدة من الممالك الأخرى، ولكونها أصبحت تواجه هزيمة محققة، انتحرت الملكة كارمافاتي مع باقي النسوة في ٨ آذار/ مايس ١٥٣٥ م على طريقة الجوهر، بينما ارتدى جيش الراجبوت المكون من ٣٢٠٠٠ رجل ملابس الشهادة الصفراء وانطلق نحو الجيش الإسلامي المحاصِر (بكسر الصاد) وقاتلوا حتى الموت.

وتقول إحدى الروايات المشكوك بها أن كارمافاتي قد طلب مساعدة همايون ابن بابور عدو زوجها الأول، من خلال إرسال أسورة الأخوة له مع طلب للمساعدة كأخ. يقال إن همايون قد قبل الهدية ولكن كما هي طبيعة همايون فانه لم يتخذ القرار سريعاً او أنه تعمد ألا تصل المساعدة في الوقت المناسب. لهذا انتحرت راني مع بقية النساء وقاتل الرجال حتى آخر نفس[(1)].

الحادثة الثالثة للجوهر:

حاصر الملك أكبر[(2)] قلعة شتور[(3)] في أيلول/ سبتمبر ١٥٦٧ م. وبعد تغير ستراتيجية الحرب، غادر ملك شتور رانا أودي سنج الثاني مع أبنائه ونساء الأسرة

---

(1) William Erskine, A History of Idia Under the Two First Sovereigns of the House of Taimur, Baber, and Humayun, Published by Longman, Brown, Green, and Longmans.

(١) هو الإمبراطور المغولي جلال الدين محمد أكبر ١٥٤٢م – ١٦٠٥م.

(٣) شتور أو شتورجاره مدينة قديمة في راجستان غرب الهند.

الحصن بطريق سري. ترك الحصن تحت مسؤولية جايمال راتور وباتا سيسوديا. وفي أحد الأيام شاهد أكبر، جايمال وهو يفحص عمليات الترميم في القلعة التي دمرتها القنابل. فرماه ببندقيته. أصابت الأطلاقة فخذ جايمال وجرحته جرحا بالغا.

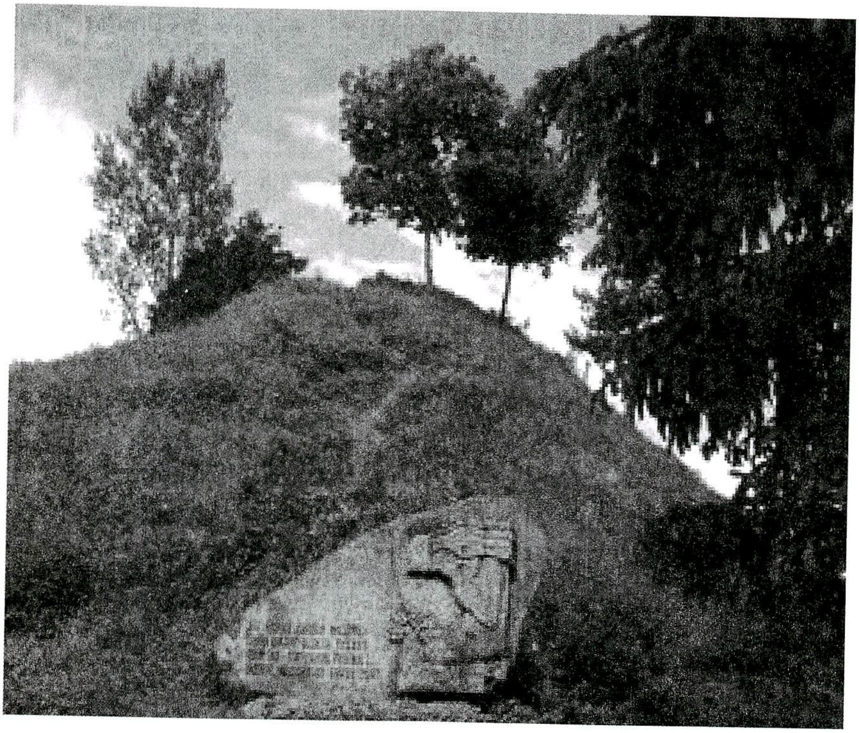
وفي نفس اليوم وجد رجال الراجبوت أن الهزيمة باتت محققة. انتحرت نساءهم وفق طريقة الجوهر في ليلة ٢٢ شباط/ فبراير ١٥٦٨م. وفي صباح اليوم التالي ارتكب الرجال السّاكا. وفي ١٥٥٩م أقام وريث ملك الراجبوت على عرش ميوار رانا أودي سنج الثاني عاصمته في أوديبور **Udaipur** على سفوح جبال أرافالي وظلت هذه عاصمة لأمارتهم حتى انضمت إلى الاتحاد الهندي في ١٩٤٧م وفقدت شيتور تدريجياً أهميتها السياسية. (قدم أبو الفضل تقييما صادقاً للحادث كما رآه أكبر في ترجمته لحياة الأخير في ١٥٦٨ م).

وهناك أيضاً عدة أمثلة أخرى عن الجوهر، خاصة في عهد أسرتي الخلجي والتغلاق. كما ارتكبت الجوهر أيضاً أسرة سيلهادي التي تمثل الطبقة العسكرية بمدينة ملوا في الهند خلال القرن الـ١٦ . وكذلك ارتكب الجوهر خلال حملة تغلاق على دولة كامبيلي، وعند حصار أنيجوندي التي أصبحت تعرف بأسم فيجياناجار **Vijayanagar**. ويشير البحث في هذه الممارسة أنها محصورة في طائفة الراجبوت. فالجوهر الذي جرى في أنيجوندي ارتكبته طائفة من الراجبوت في القلعة، بينما أسر المهاجمون باقي أفراد الطبقات الحاكمة والعسكرية وأرسلوهم إلى دلهي حيث تحولوا إلى الإسلام ومن بينهم الأميرين هاريهارا وبوكا (أميري فيجايانجارا) اللذين ارتدا عن الإسلام في وقت لاحق[١].

(١) المصدر السابق ذكره.

الفصل الخامس

انتحار اللتوانيين في قلعة بيلاناي



جبل مارجريس الذي يعتقد أن قمته تضم آثار قلعة بيلاناي

خلاصة

بعد إن حاصر جيش الفرسان التيوتون في ١٣٣٦م قلعة بيلاناي في لتوانيا، وأدرك المدافعون بقيادة الدوق مارجريس أنه لم يعد بمقدورهم الدفاع عن أنفسهم، اتخذوا قراراً بتنفيذ انتحار جماعي وإضرام النيران في القلعة لتدمير جميع ممتلكاتهم وأي شيء ذي قيمة للعدو.

بيلاناي هي قلعة كانت قائمة في لتوانيا خلال القرون الوسطى، وهي مشهورة في التأريخ اللتواني بكونها رمزاً للدفاع البطولي للشعب اللتواني[١].

الموقع

لا يمكن بدقة تحديد المكان الحقيقي لقلعة بيلاناي، لكن المؤرخ زينوناس إيفنسكي يضعه في قلعة جبل بيبلاي في المكان الذي يصب فيه نهر نفيزيس في نهر نيمان. ويعتقد المؤرخ أليداس أنه في قلعة جبل مولافيني- جراوزي الواقعة في مقاطعة رايسناي. ويرى المؤرخ جنتاتوس زابيلا أنها في قلعة جبل إيزينسكي.

ويرى سكان بوناي أن قلعة بيلاناي تقع في جبل مارجريس. ويرى المؤرخ الألماني جوهانس فويت أن قلعة جبل بليونز في مقاطعة سيلالي هي المكان الذي حصل فيه الحادث. وهناك الكثير من الآراء والفرضيات في هذا المجال. ويظل السؤال قائماً دون جواب.

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Pil%C4%97nai .

الأخوية التيوتونية:

وهي أخوية دينية كاثوليكة ألمانية رومانية. يعرف أعضاؤها باسم الفرسان التيوتون. وهي أخوية عسكرية صليبية قامت خلال القرون الوسطى ولاتزال قائمة حتى الآن.

تشكلت الأخوية في نهاية القرن الثاني عشر في عكا بفلسطين. وقد لعبت دوراً بارزاً في إقامة الدويلات الصليبية في فلسطين بعد الحملة الصليبية الأولى وفي السيطرة على ضرائب الميناء في عكا. وبعد هزيمة القوى المسيحية في الشرق الأوسط، انتقلت الأخوية في ١٢١١م إلى ترانسلفانيا (في رومانيا حالياً) للدفاع عن هنغاريا ضد الكومانز[١]. تم نفيهم في ١٢٢٥م بعد محاولتهم وضع أنفسهم تحت تصرف البابا بدلاً من الملك الهنغاري الذي يسكنون أراضيه.

بناءاً على الأمر البابوي في رميني في ١٢٢٦م، قام زعيم الجماعة بالاشتراك مع دوق ماسوفيا كونراد الأول في ١٢٣٠م بغزو مشترك لبروسيا لتحويل البروسيين في سواحل البلطيق إلى المسيحية. بعدها أتهم فرسان الأخوية بخداع الحكم البولندي وأسسوا دولة رهبانية مستقلة. وعندما تحولت لتوانيا المجاورة إلى المسيحية فقدت الأخوية هدفها الأساس في أوربا. وحالماً أسست لها قاعدة في بروسيا، أخذت تشن الحملات العسكرية ضد جيرانها المسيحيين ومنهم مملكة بولندا ودوقية لتوانيا الكبرى وجمهورية نوفجورد. كان الفرسان التيوتون يتمتعون باقتصاد حضري متقدم فكانوا يستأجرون المرتزقة من جميع أنحاء أوربا لزيادة إتاواتهم الإقطاعية وأصبحوا قوة بحرية كبيرة في بحر البلطيق.

(١) ويسمون أنفسهم الكبجاك وهم شعب تركي يقطن منطقة شمال البحر الأسود على امتداد نهر الفولجا تعرف باسم كومانيا ذكرهم الجغرافي العربي محمد الإدريسي باسم الكومانيين.

يرتدي هؤلاء الفرسان معاطف بيضاء ويحملون صليباً أسوداً. ويستخدمون أحياناً صليباً بنهايات حادة كشعار لهم واستخدمت هذه الصورة كشارات عسكرية ونياشين من قبل ألمانيا وبروسيا وسميت بالصليب الحديدي[(١)].

التأسيس :

في ١١٤٣م أمر البابا سيليستاين الثاني الفرسان الاسبتارية Knights Hospitaller بتولي إدارة المستشفى الألماني في بيت المقدس الذي يقدم خدماته حسب قول المؤرخ جين ديبري لأعداد غفيرة من الحجاج الألمان الذين لا يتحدثون الفرنسية ولا اللاتينية. وأمر البابا أن يكون أعضاء هذه المنظمة الدينية من الألمان وأصبحت في القرن الثاني عشر منظمة دينية يقودها الألمان في فلسطين[(٢)].

وبعد خسارة الصليبيين لبيت المقدس في ١١٨٧م تبنى بعض التجار من لوبيك وبريمن هذه الفكرة وأسسوا مستشفى ميدانيا خلال فترة حصار عكا في ١١٩٠م الذي أصبح نواة الأخوية التيوتونية. وفي ١١٩٢م اعترف بها البابا. ورغم أنها تأسست على غرار منظمة فرسان الهيكل، لكنها تحولت إلى أخوية أو كهنوتية عسكرية في ١١٩٨م وأصبح رئيسها يسمى الرئيس أو السيد الأعلى Grand Master. وقد تلقت أوامر البابا لشن حملة صليبية والاستيلاء على بيت المقدس والدفاع عن الأرض المقدسة ضد العرب المسلمين حسب قولهم. وخلال حكم الرئيس الأعلى هيرمان فون سالزا (١٢٠٩م - ١٢٣٩م) تحولت الأخوية من أخوية مخصصة لخدمة الحجاج إلى أخوية عسكرية بالرجة الأولى.

(1) Peter Bander Van Duren, Orders of Knighthood and of Merit: The pontifical, religious and secularized Catholic Founded Orders, and their relationship to the Apostolic See, Colin Smythe Publication, p. 212.

(2) Nicholson, Helen J. The knights Hospitaller, The Boydell Press, Woodbridge, 2001.

ولكونها تأسست في البداية في عكا، قام الفرسان بشراء حصن مونتفورت Montfort (أو ستاركنبيرج) شمال شرق عكا في ١٢٢٠م وتبعد ٣٥ شمال شرق حيفا و١٦ كم جنوب الحدود مع لبنان. وقد أصبحت هذه القلعة موطئ قدم للرئيس الأعلى للأخوية في ١٢٢٩م وكانوا يسيطرون من خلالها على الطريق بين القدس والبحر المتوسط، لكنهم عادوا إلى عكا بعد خسارتهم للقلعة على أيدي المسلمين في ١٢٧١م. كما يوجد لدى الأخوية قلعة أخرى قرب طرسوس في أرمينيا الصغرى. وقد تلقت الأخوية منح من الأراضي داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة خاصة في إيطاليا وألمانيا واليونان وفلسطين.

رفع الإمبراطور فردريك الثاني صديقه المقرب هيرمان فون سالزا ليكون رايخسفرست أو أمير الإمبراطورية Prince of the Empire مما مكن الرئيس الأعلى للأخوية من التفاوض مع باقي الأمراء الكبار على قدم المساواة. وخلال تتويج فردريك ملكاً على بيت المقدس في ١٢٢٥م، صار الفرسان التيوتون مرافقين له خلال زيارته لكنيسة الضريح. وقرأ فون سالزا بيان الإمبراطور بالفرنسي والألمانية. مع ذلك لم يكن الفرسان التيوتون مؤثرين في فلسطين كما كان فرسان الهيكل والاسبتارية.

وفي ١٢١١م قبل ادوارد الثاني ملك هنغاريا خدماتهم ومنحهم مقاطعة بيرزنلاند في ترانسلفانيا. ودخل اندرو أيضاً في مفاوضات لتزويج ابنته من نجل هيرمان كونت مقاطعة ثورينجيا الذي تعتبر عائلة هيرمان فون سالزا من ضمن رعاياه. وقد دافعت الأخوية بقيادة ثيودريك عن هنغاريا خلال الحرب مع جيرانها الكومان ووطنت بعض الألمان وسط ما يعرف بالسكسون الترانسلفانيين الذي كانوا يقطنون هناك. وفي ١٢٢٤م طلب الفرسان من البابا هنوريوس الثالث بأن يوضعوا تحت السلطة المباشرة للبابا وليس ملك هنغاريا شعر اندرو بالغضب وأحس بخطر

قوتهم المتنامية، ورداً على ذلك اصدر في ١٢٢٥م أمراً بنفيهم من أراضيه رغم انه سمح ببقاء المستوطنين الألمان الجدد.

وفي ١٢٤٢م غزا الفرسان التيوتون جمهورية نوفجورد Republic of Novgorod (وهي روسيا الحالية) لكنهم هزموا عند بحيرة بابيس وطاردتهم قوات الأمير الروسي الكسندر نفسكي. وتعرف هذه المعركة باسم معركة الجليد Battle of Ice.

وفي ١٢٢٦م طلب دوق ماسوفيا في وسط غرب بولندا من الفرسان الدفاع عن حدوده وإخضاع البروسيين الوثنيين في سواحل البلطيق وسمح للفرسان التيوتون باستخدام منطقة كلمرلاند كقاعدة لشن هجماتهم. كان هذا وقت انتشار الحماسة الصليبية في أنحاء أوربا الغربية. واعتبر هيرمان سيلزا، بروسيا أرضاً مناسبة لتدريب فرسانه على الحرب ضد المسلمين في فلسطين. وبموجب مرسوم بابوي، منح الإمبراطور فردريك الثاني للأخوية امتيازاً خاصاً هو تمليكهم بروسيا وكلمرلاند مع سيادة بابوية اسمية.

تم فتح بروسيا بالكثير من سفك الدماء على مدار خمسين عاماً، تم خلالها إخضاع أو قتل أو نفي البروسيين غير المسيحيين. كان القتال الدائر بينهم وبين الفرسان ضاريا، ويقول مؤرخو دولة الأخوية أن البروسيين كانوا يشوون الأخوة التيوتون أحياءاً وهم في دروعهم، شي الجوز، أمام مرقد أحد آلهتهم.

احتفظت طبقة النبلاء التي تنازلت للصليبيين عن الكثير من امتيازاتها بموجب معاهدة كريسبيرج. مع ذلك وبعد الانتفاضات البروسية في ١٢٦٠م - ١٢٨٣م هاجر الكثير من هؤلاء النبلاء وفقد العديد منهم امتيازاته بينما تحالف الباقون مع ملاك الأراضي الألمان ثم ذابوا وسطهم. وكان فلاحو المناطق الحدودية يتمتعون بامتيازات أكثر من امتيازات المناطق الأخرى. وكان الفرسان الصليبيون غالباً ما

يقبلون تنصر السكان المحليين كشكل من أشكال الخضوع لهم. فانتشرت المسيحية عبر الحدود الغربية من خلال الثقافة البروسية. وكان الأساقفة يرفضون إدخال بعض الطقوس الدينية البروسية في دينهم بينما وجد الحكام من الفرسان من الأسهل لهم أن يحكموا الأهالي عندما يكونوا شبه وثنيين ولا قانون عندهم.

حكمت الأخوية بروسيا وفقا لمواثيق أصدرها البابا وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة كدولة رهبانية ذات سيادة تشبه وضع الفرسان الاسبتارية في رودس وماطا.

ولتعويض الخسائر التي لحقت بهم نتيجة وباء الطاعون وللحلول محل السكان المحليين الذين تمت إبادتهم، قامت الأخوية بتشجيع هجرة سكان الإمبراطورية الرومانية المقدسة ومواطني الأمة الألمانية إلى المناطق الجديدة. وكان من بين هؤلاء المستوطنين النبلاء والفلاحين وأخيرا انتهى الأمر بالبروسيين القدامى بالتحول إلى ألمان. وأسس المستوطنون الجدد العديد من المدن والمراكز على أنقاض المستوطنات البروسية السابقة. وبنت الأخوية لنفسها عددا من القلاع استخدمتها في قمع انتفاضات البروسيين القدامى وفي مواصلة هجماتهم على دوقية لتوانيا الكبرى ومملكة بولندا التي كانت الأخوية في حرب متواصلة معها خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ومن المدن الرئيسة التي أسستها الأخوية هي مدينة كونجسبيرج في ١٢٥٥م تكريماً للملك أوتاكار الثاني Otakar II ملك بوهيميا على أنقاض المستوطنة البروسية القديمة ألنشتاين.

وفي ١٢٣٦م تبنت أخوية فرسان القديس توماس الانجليزية قواعد الأخوية التيوتونية. وانضمت إلى الأخيرة أيضاً في ١٢٣٧م منظمة إخوان السيف الليفونية التي أصبحت تعرف فيما بعد بالأخوية الليفونية. وامتد الحكم التيوتوني الاسمي ليشمل بروسيا وليفونيا وسميجاليا وإستونيا. وأصبح هدفها التالي تحويل روسيا

الارثذوكسية إلى كاثوليكية. لكنهم منيوا بهزيمة فادحة في معركة بحيرة بايبس في ١٢٤٢م على يد أمير نوفجورد الكسندر نيفسكي. وتخلوا عن هذا الهدف. ويقال أن فرقة من الفرسان التيوتون قد اشتركت في معركة ليجنيكا ضد المغول في ١٢٤١م.

الحملة ضد لتوانيا

أخذ الفرسان التيوتون يوجهون حملاتهم ضد اللتوانين الوثنيين خاصة بعد سقوط مملكة بيت المقدس في عكا في ١٢٩١م. نقل الفرسان مقراتهم إلى فينيس ومن هناك بدأوا بالتخطيط لاستعادة فلسطين. ولأن الشعب اللتواني ظل غير مسيحي حتى نهاية القرن الرابع عشر، متأخراً بذلك كثيراً عن باقي شعوب أوربا الشرقية، ارتحل الكثير من الفرسان من بلدان أوربا الغربية كإنجلترا وفرنسا إلى بروسيا للمشاركة في الحملات الموسمية ضد دوقية لتوانيا الكبرى. وبعض هؤلاء الفرسان شنوا حملات عسكرية على الوثنيين للتكفير عن خطاياهم بينما اشترك آخرون لمجرد اكتساب الخبرة العسكرية.

كانت الحرب بين الأخوية وبين اللتوانيين شرسة بطريقة خاصة. فالأخوية ترى أن غير المسيحيين لا يحق لهم التمتع بحقوق معينة. ولأن استعباد غير المسيحيين أمر مقبول في ذلك الزمن ولكون البروسيين المحليين يريدون إما أرضاً أو مالاً مقابل عملهم، كان الفرسان يستخدمون اللتوانيين الوثنيين الأسرى في أعمال السخرة. وقد وصف الشاعر النمساوي بيتر سوشنفيرت معاملة الفرسان للوثنيين والتي شهدها بنفسه. فيقول:

"كانت النساء والأطفال تؤخذ أسرى.

يا للمنظر العجيب الذي يمكن أن تراه.

فترى الكثير من النساء وقد ربط طفلان على جسدها،

واحد من الأمام والآخر من الخلف.
لقد خلق الوثنيون للمعاناة.
الكثير منهم أسر وفي كل مناسبة.
وعندما تربط أيديهم يقادون ويربطون معاً ككلاب الصيد".

وفي ١٣٣٧م أعطى الإمبراطور لويس الرابع الأخوية امتيازات إمبراطورية لفتح كل لتوانيا وروسيا. وصلت الأخوية لأوج مجدها خلال حكم رئيسها الأعلى فينريك فون نبرود ١٣٥١م -١٣٨٢م.

لتوانيا

يذكر المؤرخون تواريخ مختلفة عن وصول أولى القبائل إلى المنطقة المحاذية للبلطيق التي تعرف اليوم باسم لتوانيا. فهم يحددون وصول هذه القبائل بين القرن السابع والقرن الثاني قبل الميلاد. ولا يعرف شيء أيضاً عن أصول هذه القبائل. أول إشارة إلى لتواينا وردت في عام ١٠٠٩م بكتاب المؤرخ الألماني أودلنبيرج الحوليات الألمانية، ولا يعرف شيء عن التأريخ الأول لهذه البلاد. ويرجع ذلك إلى أنها آخر بلد أوربي يدين بالديانة الوثنية وظل كذلك لغاية القرن الرابع عشر. وهكذا ظلت لتوانيا تقف وحيدة أمام المسيحية ولم يبق شيء من تأريخها الأول.

يعرف حكامها غالباً باسم الأمير أو الدوق الأكبر وتسمى البلاد الدوقية أو البلدية الكبرى. وفي عام ١٢١٩م ظهر رينجوداس وهو رئيس إحدى القبائل اللتوانية واستطاع فرض سيطرته على جميع القبائل لذلك تعتبره المصادر التاريخية أول حاكم للتوانيا.

ويعتبر مندوجاس أول حاكم رسمي تأريخي للتوانيا حيث تمكن خلال السنوات من ١٢٣٦م -١٢٦٣م توحيد القبائل والأراضي اللتوانية وأسس دولة لتوانيا. وجاء

ذلك بعد التهديد الذي شكلته أخوية الفرسان التيوتون المتمركزة في ليفونيا على القبائل اللتوانية، حيث ترى الأخوية أن من واجباتها المقدسة تنصير الوثنيين اللتوانيين بحد السيف.

وقد أعطى مندوجاس الكثير من التنازلات للأخوية بما فيها تسليمهم بعض أراضيه والموافقة على التحول إلى المسيحية لكنه قتل. تلت ذلك سلسلة من أعمال التتويج والقتل حتى جاء جيديميناس في ١٣١٥م الذي استطاع إعادة تثبيت أركان الدولة اللتوانية وتوسيع حدودها شرقاً حتى وصلت إلى البحر الأسود. ويعود الفضل إليه في تأسيس مدينة فيلنيوس في ١٣٢٣م وتوقيع معاهدة مع بولندا وزوج ابنته من ولي عهدها.



لوحة تمثل معركة بيلاناي

في عام ١٣٢٩م تحالف جون الأعمى ملك بوهيميا مع أخوية الفرسان التيوتون بهدف غزو ليتوانيا لكنهما لم يحرزا أي نصر ويعود الفضل في ذلك إلى تدخل بولندا.

في ٢٥ شباط / فبراير ١٣٣٦م شن الفرسان التيوتون ويساعدهم الألمان والفرنسيون هجوماً على قلعة بيلاناي الليتوانية. قاد الدوق مارجريس عملية الدفاع عن القلعة. ومارجريس هو دوق ساموجيتيا Samogitia. وعندما شعر المدافعون عن القلعة وضواحيها أن الدفاع بات أمراً مستحيلاً أمام الحشود الهائلة لقوات العدو، اتخذوا القرار بتنفيذ انتحار جماعي وإضرام النيران بالقلعة لتدمير كل ممتلكاتهم وكل ما هو ذي قيمة للعدو. وقد فعلوا ذلك لأنهم فضلوا الموت على العبودية للأخوية التيوتونية وبذلك يكون نصر العدو نصراً مكلفاً لا فائدة منه. في البداية حرق ساكنو القلعة ممتلكاتهم وأضرموا النيران في القلعة ثم قتل الرجال والنساء والأطفال أنفسهم. وقيل أنهم أحرقوا أنفسهم. وتشير المصادر التاريخية أن عدد المدافعين عن القلعة بلغ ٤٠٠٠ رجلاً(١).

وفي السنة التالية بنى الفرسان التيوتون قلعة بايربيرج على نهر نيموناس لتكون قاعدة لهم لفتح لتوانيا. لكن جيديميناس استطاع تحشيد اللتوانيين ودمر قلعتهم وأعادهم إلى قاعدتهم الأولى في ليفونيا.

وفي عام ١٤١٠م استطاع جيش بولندي- لتواني مشترك يقوده فلاديسلاف الثاني وفايتوتاس هزيمة الأخوية في الحرب التيوتونية – البولندية اللتوانية في معركة تانينبيرج. فقد سقط في أرض المعركة رئيسها الأعلى أولريك فون جنجينكن مع خيرة قادته. بعدها حاصر الجيش البولندي اللتواني عاصمتهم مارينبيرج لكنه لم يتمكن من اقتحامها بسبب مقاومة هنريك فون بلاون. وفي ١٤١١م تم توقيع معاهدة ثورن وفقد الفرسان إلى الأبد سمعتهم كمقاتلين لا يقهرون(٢).

---

(1) Nikzentaitis, Alvydas, Gediminas, Viriausioji enciklopediju redakcija (Lithuanian) 1989, p. 10-11.

(٢) المصدر السابق ذكره.

الفصل السادس

انتحار نساء السوليوت في اليونان



لوحة الفنان اري شيفر نساء السوليوت ١٨٢٧م (زيتية على قماش الكنفاس) موجودة في متحف اللوفر بباريس

خلاصة

خلال الاحتلال العثماني لليونان وقبل حرب الاستقلال اليونانية بفترة قصيرة، صعدت نساء سولي، اللواتي كان يتعقبهن الأتراك، جبل زالونجو، ورمين أطفالهن من على قمة الجبل، وبعدها رمين بأنفسهن لتجنب الوقوع في الأسر.

السوليوت هم سكان سولي والأخيرة قرية جبلية قديمة تقع على مسافة ٧٣ كم جنوب شرق أيجومنيتسا **Igoumenitsa** في مقاطعة تيسبروشيا **Thesprotia** وضواحيها في جبال مورجانا **Mourgana** في منطقة إيبيروس شمال غرب اليونان. وقد أسسوا اتحاداً من القرى المحيطة لمقاومة الاحتلال العثماني خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد اشتهر السوليوت في كافة أنحاء اليونان بمقاومتهم الناجحة ضد الوالي العثماني على المنطقة علي باشا. وبعد هزيمتهم في ١٨٠٣م اضطر السوليوت إلى الانتقال إلى أجزاء أخرى من اليونان وأصبح الكثير منهم فيما بعد ناشطين في حرب الاستقلال اليونانية التي بدأت في ١٨٢١م بزعامة قادة أمثال ماركوس بوتساريس **Markos Botsaris** وكيتسوس تسافيلاس **Kitsos Tzavelas**(١).

ومفردة سولي مشتقة من مفردة البانية بنفس اللفظ تطلق على قمة جبل بهذا الاسم. وفي القرن التاسع عشر ربط الشاعر أندرياس كالفوس **Andreas Kalvos** 1792م - ١٨٦٩م الاسم بمفردة سيللوي، وهم كهنة زيوس القدامى في معبد دودونا **Dodona** . واستخدم كالفوس هذا الربط في قصيدته "الى سولي" التي كتبها تكريماً للدور البطولي الذي قام به السوليوتز في الكفاح من أجل استقلال اليونان.

(١) موسوعة ويكيبيديا الالكترونية **http://en.wikipedia.org/wiki/Souli**.

تتفق معظم المصادر على أن أول من استوطن جبل سولي Souli هم ألبان انحدروا من منطقة أرفنايتس Arvanites وإغريق انتقلوا إلى تلك المناطق الجبلية من منطقة تيسبروشيا الساحلية Thesprotia. وتعتبر مناطق بيريس Biris شمال ألبانيا هي الأصل الآخر لهؤلاء المستوطنين السوليوت، وتشير تقاليدهم الشعبية إلى تأثيرات لهجة التوسك وليس الجيك في لغتهم الألبانية. وتقول إحدى النظريات أنهم مسيحيون أرثذوكس من أصول إغريقية وألبانية وأصبحوا يتميزون سياسيا وعرقيا بكونهم شعب إغريقي.

يقول أثاناسيوس ساليداس Athanasios Psallidas مساعد علي باشا أن جبل السولي (الذي يعرف أيضاً باسم كاكوسولي) يضم مقاتلين أغريق كانوا يقاتلون الألبان منذ سنين عديدة. ويقول كاتب غير معروف أن السوليوت تحت الحكم الاستبدادي في أبيروس Epirus قد أثبتوا أن اليونان تبقى تنتج أبطالاً مثل ليونيداس Leonidas[1] وثيرموبيلاي Thermopulae[2]. وبعيداً عن الماضي، عرف السوليوت بكونهم يونانيين حتى من قبل أعدائهم.

وسماهم بيلي باشا، إبن علي باشا، في رسائله لوالده خلال الفترة من نيسان إلى كانون الأول ١٨٠٣م، "الرومان أو الروجان"، أي ذوي الأصول الإغريقية. وحاول أحمد مفيد حفيد شقيقة علي باشا في مؤلفه التاريخي أن يجعل من السوليوت ألبان أرثذوكس. وكتب بغضب شديد كيف دفع السوليوت علي باشا لشن هجومه عليهم، لأنهم ادعوا أنهم أغريق مسيحيون مما جعلهم أدوات بيد روسيا.

(١) ليونيداس ٥٣٠-٤٨٠ ق.م ملك أسبارطي عرف بالأدب والأساطير الإغريقية بمواقفه البطولية ضد الغزاة الفرس.

(٢) خاض معركة ضد الفرس في ٤٨٠ ق.م.

اتحاد السوليوت

كان قلب اتحاد السولي هو التيتراشوري Tetrachori أي "القرى الأربع"، الذي يعتقد أنه تأسس بحدود عام ١٦٠٠م. تأسس الإتحاد بعد هجرة سكان سهول ثيسبروشيا إلى جبال مورجاس Mourgas.

أسس السوليوت اتحاداً كونفدرالياً مستقلاً يضم عدداً كبيراً من القرى المجاورة في المناطق الجبلية النائية من سلسلة إيبيروس، حيث كان بإمكانهم مقاومة الحكم العثماني. ويقدر أن سكان دولة السوليوت في ذروة قوتها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر حوالي ١٢٠٠٠ شخص ينتشرون في ٦٠ قرية[١].

حروب السوليوت

حاول الأتراك العثمانيون مرات عديدة إخضاع أراضي اتحاد السوليوت. ويعود أولى النزاعات المسلحة بين السوليوت والعثمانيين (بضمنهم الألبان المسلمين) إلى عام ١٦٣٥م، إن لم يكن أسبق من ذلك. فقد تلقى حاجي أحمد والي إيوانينا أوامر من السلطان لإخضاع السوليوت لكنه خسر جيشه المؤلف من ٨٠٠٠ رجل. وفي ١٧٥٤م، خسر أيضاً مصطفى باشا أيضاً معظم جيشه أمامهم. وجاء بعدهما مصطفى كوكا بأربعة آلاف جندي ثم بكر باشا بخمسة آلاف جندي، وكلاهما فشلا في هزيمة السوليوت. وفي ١٧٥٩م، انهزم دوست بيك قائد ديلفيناو أمام السوليوت، ولاقى نفس المصير محمود والي مارجريتي عام ١٧٦٢م. وفي ١٧٧٢م، هاجم سليمان صبري السوليوت بجيش مؤلف من ٩٠٠٠ رجل وهُزِمَ أيضاً. وفي ١٧٧٥م أرسل كورت باشا حملة عسكرية إلى سولي، وفشلت أيضاً. وعندما أصبح علي باشا واليا على إيوانينا في ١٧٨٨م، حاول طيلة ١٥ عاما قهر السوليوت. وفى ١٧٩٢م تحطم

(1) Vickers, Miranda, The Albanians: A Modern History, I.B.Tauris, 1999, p. 20.

جيشه المؤلف من ٣٠٠٠ رجل من الأتراك الألبان أي المسلمين الألبان. ورغم انه كان يحتجز رهائن من السوليوت مثل فوتوس تسافيلاس نجل القائد لامبروس تسافيلاس، لكن السوليوت قاتلوا ببسالة تحت قيادة جورجيوس بوتساريس ولامبروس تسافيلاس وديموس دراكوس. وقد شاركت حتى النساء في المعركة تحت قيادة موستشو زوجة تسافيلاس. وفي الآخر، قتل في المعركة ٢٠٠٠ من الألبان المسلمين و٧٤ من السوليوت[1].

كان السوليوت يحصلون على تجهيزاتهم من مدينة بارجا (شمال غرب اليونان) وتلقوا الدعم أيضاً من أوربا. وكانت روسيا وفرنسا تمدهم بالسلاح والعتاد. فقد كانت الدول الأوربية ترى في السوليوت أداة لأضعاف الإمبراطورية العثمانية. وعندما لجأت بريطانيا إلى العثمانيين لتقوية موقفها ضد نابليون، انقطعت تجهيزات السلاح والذخيرة. وبدون الدعم الخارجي وبعد إن أنهكتهم سنين الحصار، أخذت وحدة قبائل السوليوت بالتفكك. فقد تركت أسرة البوتساريس منطقة السولي لأسباب سياسية وأخذت تتفاوض مع علي باشا. مع ذلك اجتمع السوليوت الباقون في سولي في كنيسة القديس جورج الأرثذوكسية الإغريقية وقرروا إما النصر أو الموت. كان عدد السوليوت الباقين لا يزيد عن ٢٠٠٠ رجل مسلح. وكان قادتهم الرئيسيون فوتوس تسافيلاس وديموس دراكوس وتوزاس زيرفاس وغيرهم. استطاع السوليوت كسب معظم المعارك مما اضطر علي باشا لبناء قلاع وحصون في القرى المجاورة من أجل إعداد نفسه لحصار طويل. ظل السوليوت دون طعام أو ذخيرة، وكان بإمكانهم الصمود أكثر لو لم تحصل خيانة من بيليوس جوسيس الذي ساعد العثمانيين في الدخول إلى قرية سولي. انسحب السوليوت إلى قلعة كيافا وكوجي، حيث خاضوا

(1) Thomas de Quincey, Memorials: and other Papers, part 5, Boston: Ticknor and Fields, 1856.

هناك معركتهم الأخيرة في ٧ كانون الأول ١٨٠٣م. وفي الآخر استسلموا ووعد علي باشا بإطلاق سراحهم مع جميع ممتلكاتهم بما فيها الأسلحة الموجودة في الجزر الأيونية[١].

وفي ١٢ ك١ ١٨٠٣م، غادر السوليوت قرية سولي نحو ساحل إيبيروس، وأضرم راهب يدعى صاموئيل، كان قد بقي في قلعة كوجي، النار في مستودعات الذخيرة وحصل انفجـار هائل كلّفه حياته. في نفس الوقت هاجم الجيش العثماني السوليوت الآخرين في القرى الأخرى ونكث بالوعود التي قطعها علي باشا لهم. وفي ١٦ ك١/ ديسمبر ١٨٠٣م وقعت ٢٢ امرأة من السوليوت في فخ العدو على جبل زالونجو في منطقة إيبيروس، فقمن بالانتحار لتفادي الوقوع في الأسر. وتقول الروايات أنهن رمين أطفالهن الصغار ثم أنفسهن من فوق مرتفع جبلي حاد الواحدة تلو الأخرى أثناء قيامهن بالرقص والغناء. بينما وصل سوليوت آخرون إلى ميناء بارجا الذي كان تحت السيطرة الروسية حينها. فأستوطن قسم منهم مدينة بارجا بينما ارتحل آخرون إلى الجزر الأيونية.

وقد خلدت هذا الحادث رقصة مشهورة في اليونان تسمى رقصة زالونجو وهناك أغنية راقصة شعبية شائعة في كل اليونان حالياً. وقد أقيم نصب تذكاري في موقع الحادث يخلد تضحية هؤلاء النسوة. وفي ١٨٢٧م رسم الفنان الفرنسي أري شيفر لوحة عن الحادث أسماها نساء السوليوت موجودة حالياً في متحف اللوفر بباريس. وقد وصف صديق هذا الفنان الحادث بقوله:

(١) الجزر الأيونية أو كما تسمى الجزر السبع هي جزر تقع في البحر الأيوني بمحاذاة الساحل الغربي لليونان وتشمل سبع جزر إضافة إلى جزر صغيرة أخرى أهمها وأكبرها جزيرة كورفو. يبلغ عدد سكانها بحدود ٢٢٠ ألف نسمة ومساحتها حوالي ٢٣٠٧ كم٢.

"كانت مجموعة من نساء السوليوت تراقب المعركة الدائرة بين الإغريق والأتراك من فوق الجبل. وعندما شاهدن اندحار رجالهن، بدأن بالرقص على شكل دائرة وهن ينشدن ترنيمة جنائزية. وفي نهاية كل مقطع، يقفن، ومن تجد نفسها على شفا المرتفع الجبلي الحاد، ترمي نفسها من فوقه حتى لقين حتفهن جميعهن بهذه الطريقة".

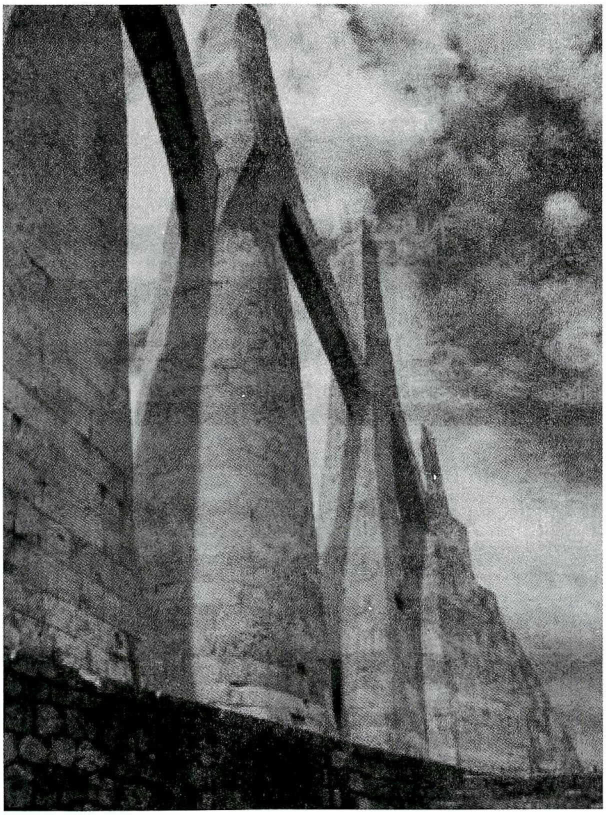
تقول الأغنية الشعبية اليونانية المسماة رقصة زالونجو:

لا يعيش السمك على اليابسة
ولا الأزهار تعيش في الرمال
وهكذا نساء السولي
لا يعشن دون حرية
إذن وداعا أيها الربيع
ووداعا يا وديان ويا جبال ويا تلال
وداعا أيها الربيع
ووداعا يا نساء السولي

* * *

لم تتعلم نساء السولي كيف تحيا فحسب
بل تعرف كيف تموت
وكيف لا تقبل العبودية
فوداعا أيها الربيع
ووداعا يا وديان ويا جبال ويا تلال
وداعا أيها الربيع
ووداعا يا نساء السولي(١).

(1) Pyrrhus J. Ruches, Albanian Historical Folksongs, 1716-1943, Argonaut, 1967.



النصب التذكاري لرقصة الزالونجو

شتات السوليوت

بعدها دخل الكثير من السوليوت إلى الخدمة مع الجيش الروسـي في كورفو حيث أصبحوا العنصر الجوهري في كتيبة حملة البنادق الخفيفة. وهي كتيبة من الجنود غير النظاميين الذين جندهم الروس من لاجئي البر الرئيس. وبعد انسحاب الروس من الجزر الأيونية في ١٨٠٧م واحتلال الفرنسيين لها، دخلوا الخدمة مع الفرنسيين في كتيبة سميت كتيبة السوليوت. وبعد الصراع الإنكليزي الفرنسي على هذه الجزر، وانسحاب الفرنسيين منها، حُلَّت هذه الكتيبة، وأصبح الكثير من أفرادها دون

مصدر عيش. لهذا انضموا إلى جمعية تسمى عصبة الأصدقاء Philike Etaireia وهي جمعية سرية تأسست في أوديسة في ١٨١٤م بهدف تحرير الأراضي اليونانية من الحكم العثماني. فعادوا إلى الجزر الأيونية وبدأوا بتجنيد المحاربين القدامى بما فيهم عدد من قادة السوليوت.

وعندما ظهرت علامات واضحة عن بداية تمرد يوناني ضد الحكم التركي، رأى علي باشا في ذلك فرصة لجعل منطقة إيبيروس دولة مستقلة. وفي ١٨٢٠م طلب المساعدة من السوليوت، فعادوا إلى وسط البلاد لدعم عدوهم السابق ضد السلطان. لكن خطط علي باشا أحبطت وقتل الرجل وأحتل الأتراك أيونينا. وفي الآخر وجه السوليوت دعمهم نحو الثورة اليونانية التي بدأت في ٢٥ آذار/ مارس ١٨٢١م وأصبح قادة السوليوت ماركوس بوتساريس وكيتسوس تسافيلاس أهم زعماء حرب الاستقلال اليونانية. وظل الأتراك يحتفظون بقاعدة لهم في قلعة كيافا حتى ١٩١٣م، عندما فقدوا خلال حروب البلقان إيبيروس والجزء الجنوبي من المنطقة التي أصبحت جزءا من الدولة اليونانية.

ولكن ما الذي دفع هؤلاء النسوة إلى الانتحار؟

قيل إن الذي دفعهن لذلك هو الفظاعات التي ارتكبها علي باشا بحق مناوئيه. فمن هو علي باشا وكيف ظهر وكيف انتهى؟

علي باشا (١٧٤١م ـ ١٨٢٢م)

ويسمى والي تيبيلين أو أسد يانينا وهي الجزء الغربي من روميليا التي تقع في الجزء الأوربي من الإمبراطورية العثمانية. وكان مقره في أيونينا.



علي باشا

ولد علي في أسرة متنفذة من قرية هورموف Hormove بالقرب من مدينة تيبيلين الألبانية في ١٧٤٤م، حيث كان والده والياً أو بيك. وقد خسرت الأسرة كل وضعها السياسي والمادي عندما كان علي فتى صغيراً. وبعد مقتل والده في ١٧٥٨م، أسست والدته عصبة من قطاع الطرق. ويعتبر علي بطلا في عيون سكان مناطق الجبل الأسود لأنه أوقف توسع الجيوش الصربية. وطارت شهرته كزعيم لقطاع طرق وجلبت أنظار السلطات العثمانية. وقد ساعد والي نيغروبونتي (يوبويا) في قمع تمرد حصل في منطقة شكودر. وفي ١٧٦٨م تزوج من ابنة والي دلفينا حيث دخل في تحالف معه(١).

(1) Fleming, K.E, The Muslim Bonaparte: Diplomacy and Orientalism in Ali Pasha's Greece, Priceton University Press, 1999.

واستمر صعوده في المراتب العثمانية بعد تعيينه مساعداً لوالي روميليا. وفي ١٧٨٧م منح باشوية تريكالا مكافأة له على دعمه حرب السلطان ضد النمسا. إلا أن هذا لم يكن كافياً لإرضاء طموحه. فبعد ذلك بفترة قصيرة استولى على أيونينا التي ظلت قاعدة لحكمه للسنوات الـ٣٣ التالية. واستغل فرصة ضعف الحكومة العثمانية لتوسيع أراضيه حتى سيطر على معظم ألبانيا وغرب اليونان وشبه جزيرة بيلوبونيس اليونانية.

كانت تحكم سياسة علي كوالي لأيونينا نزعة النفعية، فقد عمل كأمير شبه مستقل وتحالف مع من يقدم أكبر فائدة له. ومن أجل أن يحصل على ميناء بحري على السواحل الألبانية، تحالف مع نابليون الأول إمبراطور فرنسا. وبعد هزيمة نابليون في مصر، غيَّر تحالفاته، وتحالف مع مملكة بريطانيا العظمى في ١٨١٤م. وكانت الحكومة العثمانية باستنبول تسمح بهذه التحالفات طالما أنه من الأفضل لها أن تحتفظ بعلي كحليف وليس كعدو، كما أنها كانت حكومة ضعيفة لا تمتلك القوة لإخضاعه حينها.

وقد زار الشاعر جورج جوردن بايرن بلاط علي في أيونينا في ١٨٠٩م وسجل المقابلة في كتابه Childe Harold . والحقيقة انه كان يحمل مزيجاً من المشاعر المتناقضة إزاءه، فقد لاحظ روعة بلاط علي وانتعاش الثقافة الإغريقية التي عمل على تشجيعها. وقال بايرن أن المدينة أفضل ثراءً وثقافة وعلماً من أي مدينة إغريقية أخرى. ولكن في رسالة منه إلى والدته، كشف بايرن جزءا من قسوة علي: "إن سموه طاغية عديم الرحمة، وهو شجاع، وقائد عسكري ممتاز بحيث يدعونه بونابرت المسلم، لكنه كما هو ناجح، كذلك هو بربري شواء لأعدائه...."[1].

(1) Brondsted, Peter Oluf, Interviews with Ali Pacha, Edited by Jacob Isager, Athens, 1998.

وطارت شهرة أعماله الشنيعة ضد رعاياه في كل أنحاء المنطقة. فبعد أربعين عاماً من إيذاء مواطني إقليم جارك بألبانيا لوالدته، قام علي بالثأر منهم بقتل ٧٣٩ ذكر من سلالة من قام بإيذائها. وفي ١٨٠١م حاول اغتصاب خليلة ابنه الأكبر لكنه عجز، وكان ثأره أن ربط البنت مع ١٧ من رفيقاتها وكمم أفواههن ورماهن أحياءا في بحيرة بامفوتس. ولا يزال الحادث يتردد في الأغاني الشعبية المحلية. وفي ١٨٠٨م، أسر أحد أشهر أعدائه وهو المتمرد اليوناني كاتساندونيس Katsandonis . أعدم المسكين أمام الملأ وذلك بتكسير عظامه بمطرقة ثقيلة.

ويقدم كتاب حياة اللورد بايرن لمؤلفه جون جالت رواية مختلفة بشأن حادث بحيرة بامفوتس. فهو يقول أن علي باشا تصرف بدافع من القلق على زوجة ابنه لأنها كانت حزينة الفؤاد بسبب خيانة زوجها لها. فهو لا يذكر شيئا عن الاغتصاب أو إعدام رفيقاتها السبعة عشر. ويشير جالت إلى أن معاملته القاسية للمتمردين الذين أرهقوا البلاد، إضافة إلى إصلاحاته الكبيرة للبنى التحتية قد فتحت التجارة أمام البلاد وحسنت ظروف الناس المعيشية وباختصار "فأنه قد تصرف كأمير عادل لكن عديم الرحمة".

سقوطه

في ١٨٢٠م أمر علي باغتيال أحد معارضيه السياسيين في إستنبول. استغل المصلح السلطان محمود الثاني، الذي كان يسعى لاستعادة

سلطة الباب العالي، هذه الفرصة للتحرك ضد علي باشا وذلك بإصداره الأوامر بعزله. رفض علي التنحي عن مناصبه الرسمية وقاد عصياناً مسلحاً ضد القوات العثمانية. وفي ك٢/ يناير ١٨٢٢م، اغتاله عملاء عثمانيون وأرسلوا رأسه إلى السلطان.

كتبت قصة سقوط علي باشا في رواية الكونت مونت كرستو التي كتبها الكسندر دوماس. ففي هذه الرواية الشهيرة، تصبح ابنة علي باشا أمة لدى الكونت وتساعده في الانتقام من الرجل الذي خان والدها[1].

ويعتبر منظر موت علي ودير بانديليمونوس Pandelimonos في جزيرة وسط بحيرة بامفوتس مركز جذب سياحي كبير. ولا يزال بالإمكان إلى الآن رؤية الثقب الذي أحدثته الرصاصة التي قتلته، وهناك متحف في الدير مخصص له يتضمن عددا من مقتنياته الشخصية.

(1) Davenport, Richard Alfred, The Life of Ali Pasha, Late Vizier of Jannina; Surnamed Aslan or the Lion, Bibliolife LLC, London, 1837.

الفصل السابع

انتحار الفرسان السبعة والأربعين



أضرحة الفرسان السبعة والأربعين حيث يشعل أمامها البخور

خلاصة

حصلت قصة هؤلاء الفرسان في بداية القرن الثامن عشر في اليابان. وتعتبر أشهر قصة تعبر عن قانون الشرف لفرسان الساموراي اليابانيين. وتخبرنا القصة عن مجموعة من فرسان الساموراي الذين فقدوا قائدهم أو سيدهم الإقطاعي الذي أُجبر على الانتحار بطريقة السيبوكو لأهانته رئيس البلاط كيرا يوشيناكا. قام هؤلاء الفرسان بالثأر لشرف سيدهم فانتظروا وخططوا لأكثر من سنة حتى قتلوا كيراً. بعدها أجبر هؤلاء أيضاً على الانتحار بطريقة السيبوكو لارتكابهم جريمة قتل. وكانوا يعلمون مسبقا أن مصيرهم سيكون هكذا. شاعت هذه القصة مع قليل من الزخرفة في الثقافة اليابانية وأصبحت تمثل لديهم رمزاً للولاء والإخلاص والتضحية والمثابرة والشرف وهي المثل التي يجب أن يتحلى بها كل ياباني في حياته اليومية. وازدادت شعبيتها مع الحداثة التي دخلت اليابان خلال عصر ميجي حيث حن الشعب إلى العودة إلى جذوره الثقافية[1].

التاريخ:

تختلف الكثير من المصادر في تفاصيل هذه الحكاية، إلا أن معظمها يتفق إلى حد ما مع السرد الذي نورده في هذا الفصل.

دونت أحداث هذه القصة بشكل روايات ومسرحيات عديدة خاصة وإن قوانين ذلك الزمن تمنع تدوين الأحداث المعاصرة لهم لذلك جرى تغيير الأسماء.

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Forty-seven_Ronin .

وأشهرها قصة شوشنكورا Chushingura التي كتبت بعد ٥٠ سنة من الحادث. ويتفق معظم المؤرخين اليابانيين على تطابق أحداث القصة مع الأحداث الواقعية التي حصلت للفرسان السبعة والأربعين. وتؤكد ذلك الكتب التاريخية العديدة التي سبقت كتابة قصة الشوشنكورا. ولا تزال هذه الحكاية تحظى بشعبية كبيرة لدى اليابانيين وتعتبر من أكثر القصص شعبية لديهم. ويكفي القول أن عشرة أعمال تلفزيونية مختلفة قد أخرجت لهذه القصة خلال الفترة من ١٩٩٧م - ٢٠٠٧م فقط.

في ١٧٠١م أُمِر الإقطاعي آسانو تاكومي نو كامي ناجانوري Asano Takumi no Kami Naganori أمير إقطاعية آكو Ako Domain والإقطاعي كامي Kamei أمير إقطاعية تسوانا Tsuwano بترتيب استقبال مناسب لمبعوثي الإمبراطور إليهما لتنسيق الشؤون العسكرية.

وبناءاً على ذلك يفترض أن يعلمهما أمير البلاط يوشيناكا الأتيكيت والإجراءات البروتوكولية المناسبة لاستقبال هؤلاء. ويوشيناكا شخصية متنفذة في بلاط ييدو Edo (طوكيو). وقد غضب منهما بسبب إما إن الهدايا المقدمة له كانت ضئيلة أو لأنهما لم يرشياه كما طلب هو ذلك. وتقول مصادر أخرى أن الرجل بطبيعته فظ غليظ الطباع أو إنه رجل فاسد وهذا ما أثار استياء أسانو الذي هو رجل متدين متمسك بالمبادئ الأخلاقية للكونفشيوسية. وبغض النظر عن جميع الأسباب سواء كان تعامله معهما سيئا أو أنه أهانهما أو فشل في تدريبهما على الواجبات العسكرية الملقاة عليهما، فقد بدرت إهانات منه لهما.

تحمل أسانو ذلك برزانة ووقار، بينما غضب كامي واستعد لقتل كيرا لرد هذه الإهانات. تفادى مستشارو كامي الكارثة التي يمكن أن تحل على رئيسهم وعشيرته فيما لو قتل كيرا، فمنحوا الأخير رشوة كبيرة ليكف عن أميرهم. أخذ كيرا بعد ذلك يعامل كامي بلطف وهذا مما خفف من غضب الأخير.

استمر كيرا بمعاملة أسانو بقسوة لأن الأخير لم يَحذُ حذو رفيقه كامي ويقدم له رشوة. فأهانه وأذله علنا أمام الناس. وفي الآخر نعته بالريفي الساذج عديم الأخلاق، فلم يستطع أسانو كظم غيظه. وفي الممر الرئيس لمقر قائد القوات، إستل خنجره وطعن كيرا لكنه لم يقتل بل أصيب بجرح في وجهه وأخطأت طعنته الثانية جسد كيرا وسرعان ما تدخل الحرس وفصلوا بينهما.

لم يكن جرح كيرا قاسياً، لكن طعن مسؤول عسكري كبير في مقر القيادة العسكرية هو جريمة كبيرة. فأي شكل من أشكال العنف حتى لو كان مجرد استلال السيف ممنوع مطلقاً في قلعة ييدو وهي مقر القائد العسكري. ولأن أسانو إقطاعي آكو قد إستل خنجره داخل هذه القلعة من أجل ارتكاب هذه الجريمة، أُمر بأن يقتل نفسه بطريقة السيبوكو. وتقول مصادر أخرى أن جريمة أسانو هي أنه قد أتلف باباً ذهبياً منزلقاً داخل القلعة عندما حاول طعن كيرا بخنجره. صودرت أراضي وممتلكات أسانو بعد موته ودمرت أسرته وأصبح أتباعه مشردين دون قائد.

وصلت هذه الأخبار إلى أويشي كورانوسوكي أويشي Oishi Kuranosuke Yoshio كبير مستشاري أسانو، حيث تولى القيادة وأبعد أسرة أسانو إلى مكان آخر قبل أن يسلم قلعته إلى وكلاء الحكومة بناءاً على أوامر القائد العسكري الأعلى.



تمثال أويشي في معبد سنجاكوجي

تعاهد سبعة وأربعون رجلاً من رجال أسانو بضمنهم قائدهم أويشي البالغ عددهم الكلي ثلاثمائة الثأر لسيدهم رغم إنه محظور في هذه الحالة. فاجتمعوا معاً وأقسموا سراً على الثأر له بقتل كيرا رغم أنهم يعلمون بأن عقابها سيكون صارماً لو فعلوا ذلك.

أقام أويشي في مدينة كيوتو وأخذ يتردد على الحانات والمواخير وكأن ليس في ذهنه شيئاً آخرا غير الثأر. كان كيرا يخشى أن يقع في فخ لأتباع أسانو السابقين، لهذا أرسل عيونه لمراقبتهم.

وفي أحد الأيام وبينما كان أويشي عائداً ثملا من منزل معين، سقط في الشارع ونام، فضحك منه جميع المارة. وشعر أحد رجل الإقطاع الذي كان ماراً بالشارع بالغضب من تصرف رجل ساموراي مثل أويشي أولاً بسبب جبنه وعدم أخذه لثأر سيده وثانيا لسلوكه الفاسد هذا. فأهانه ورفسه بحذائه على وجهه وبصق عليه. علماً أن لمس وجه السَّاموراي وحده دون ضربه يعتبر إهانة كبرى.

ولم يمر وقت طويل حتى ذهب أويشي إلى زوجته الوفية ذات العشرين عاماً وطلقها كي لا يصيبها أي أذى فيها لو أخذ بثأر سيده وأبعدها مع طفليها لتعيش مع والديها. وبالنسبة إلى الابن الأكبر، شيكارا، فقد خيّره بين إما أن يبقى معه ويخوض القتال أو يغادر. اختار الفتى أن يبقى مع والده.

أخذ أويشي يتصرف بشكل غريب لا يشبه سلوك الساموراي الوقور. فكان يرتاد بيوت المغنيات والراقصات خاصة ماخور إيشيركي أوشايا ويحتسي الخمر كل ليلة ويتصرف بشكل فاسق أمام العامة. وفي الآخر اشترى له رجاله جارية بأمل أن يحافظ على رزانته. وكان كل ذلك خدعة من أجل التخلص من عيون كيرا.

أبلغ العملاء كيرا بكل هذه الأخبار وأصبح مقتنعا أنه في وضع آمن من ثأر أتباع أسانو، الذين بدوا له أنهم فرسان سيئون تنقصهم الشجاعة للثأر لسيدهم بعد مرور أكثر من سنة ونصف من انتحاره. فسرح حراسه متصوراً أنهم لم يعودوا يشكلون أي خطر عليه ويعوزهم المال اللازم للعمل.

تجمع باقي رجال أويشي المخلصين في ييدو (طوكيو) ومن خلال مهنهم كعمال وتجار استطاعوا الدخول إلى منزل كيرا فعرفوا خارطته وكل الموجودين فيه.

واستطاع أحدهم وهو كينمون كانيهايد أوكانو Kinemom Kanehide Okano أن يتزوج من إبنة بنّاء هذا المنزل كي يستطيع أن يحصل على خارطته. وتلقى أويشي كل هذه المعلومات. بينما جمع الآخرون سراً الأسلحة ونقلوها إلى ييدو.

وبعد سنتين، وعندما تأكد أويشي أنه لا يوجد أي حرس لدى كيرا وأن كل شيء جاهز للتنفيذ، فر من كيوتو متفادياً عيون الجواسيس الذين كانوا يراقبونه واجتمعت المجموعة في وكر سري في ييدو وجددوا قسمهم.

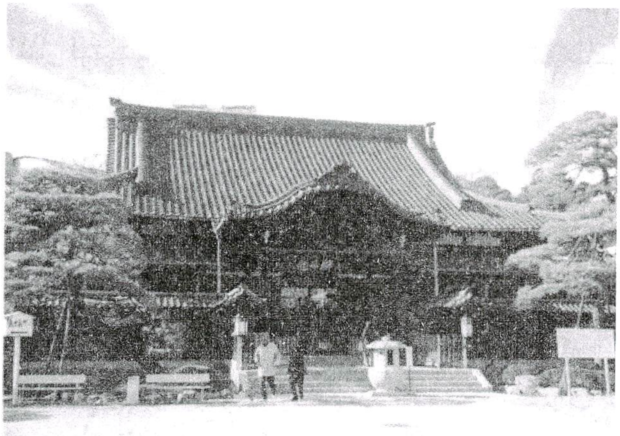
وفي صبيحة يوم الثلاثاء ١٤ ك١/ ديسمبر ١٧٠١م وفي جو من الريح العاصف الذي يصاحبه تساقط للثلج ، هجم أويشي ورجاله منزل كيرا في ييدو. وبموجب خطتهم انقسمت المجموعة إلى قسمين وشنت هجومها بالسيوف والأقواس. فهاجمت المجموعة الأولى التي يقودها أويشي البوابة الأمامية، وهاجمت المجموعة الثانية التي يقودها ابنه شيكارا المنزل من خلال البوابة الخلفية. واتفقوا على أن يبدأ الهجوم عند سماع أول قرع للطبل، بينما تكون الصافرة إشارة إلى مقتل كيرا.

وقد خططوا أنه عند مقتل كيرا سيقطعون رأسه ويضعونه كقربان على قبر سيدهم. ثم يسلمون أنفسهم للسلطات وينتظرون حكم الإعدام. اتفقوا على كل ذلك خلال عشائهم الأخير وطلب منهم أويشي أن يحرصوا على حياة النساء والأطفال والفقراء من الناس. ورغم إن قانون الساموراي لا يطالب بالرحمة لغير المقاتلين، لكنه لا يمنعها.

تسلق أربعة من رجال أويشي سور المنزل ودخلوا بيت الحارس وأسروه ثم أوثقوه. ثم أرسل رسلا إلى جميع البيوت المجاورة يوضح لهم أنهم ليسوا لصوصاً بل من أتباع أسانو ويريدون الثأر لمقتل سيدهم وأنه لن يصيبهم أي أذى وسيكونون بأمان. تنفس جميع الجيران الصعداء وشعروا بالراحة كونهم يكرهون كيرا فلم يفعلوا شيئاً لتعطيل المهاجمين.

وبعد إن أخذ بعض رماة الأقواس أماكنهم على سطح المنزل لمنع سكانه من طلب النجدة، قرع أويشي الطبل لبدء الهجوم. أوقف أتباع كيرا المجموعة المهاجمة من الباب الأمامي، لكن مجموعة شيكارا استطاعت اقتحام المنزل من الباب الخلفي.

التجأ كيرا مرعوباً إلى ملاذ في إحدى شرف المنزل مع زوجته وخادماتها. حاول أتباعه الذين كانوا نائمين في ثكنتهم الدخول إلى المنزل لإنقاذه. وبعد التغلب على المدافعين اتحدت المجموعتان المهاجمتان وواجهتا آخر أتباع كيرا. وبعد إن أدرك الأخيرون أنهم سيهزمون، حاولوا طلب النجدة، لكن رماة الأقواس قتلوا رسلهم وحرموهم من تلقي المساعدة.



معبد سنكاكوجي حيث أضرحة الفرسان السبعة والأربعين

وفي الآخر وبعد قتال عنيف استسلم آخر أتباع كيرا. وقد قتل خلال المعركة ستة عشر وجرح اثنان وعشرون ومنهم حفيده. لكنهم لم يعثروا على كيرا ففتشوا المنزل ولكن كل ما وجدوه هو نساء وأطفال يبكون. تملكهم اليأس، لكن قام أويشي بتفتيش سرير كيرا ووجده دافئاً وعرف أنه ليس بعيداً من هنا.

قادهم كشفهم إلى ممر ينتهي بفناء مخفي خلف بوابة تفتح بالطي. وفي هذا الفناء مبنى صغير يستخدم لخزن الحطب والفحم حيث وجدوا حارسين مسلحين وتم قتلهما. وبعد تفتيش هذا المبنى عثروا على رجل مختبئ. هجم هذا الرجل على أحد المهاجمين بخنجر لكن الأخير استطاع نزع سلاحه منه.

رفض الرجل الكشف عن نفسه لكن المهاجم شعر أنه كيرا ذاته وأطلق الصافرة. اجتمع الفرسان المهاجمون وتمكن أويشي بواسطة مصباح صغير لديه أن يعرف أنه كيرا حقاً. ولإثبات ذلك بدليل أخير فتشوا رأسه ووجدوا أثر خنجر أسانو.

في تلك اللحظة ركع أويشي احتراما لرتبة كيرا وخاطبه باحترام قائلاً أنهم أتباع أسانو وجاءوا للثأر لرئيسهم كما يفعل الساموراي الشريف، ثم طلب منه أن يموت كساموراي شريف بأن يقتل نفسه.

وقال له أويشي أنه سيكون المساعد له في عملية الانتحار وأعطاه نفس الخنجر الذي استخدمه أسانو في قتل نفسه.

وبأية حال، وبغض النظر عن توسلات أويشي وجماعته لكي يقتل نفسه، لكن كيرا جثم مرتجفاً دون أن ينطق ببنت شفة. وفي الآخر، وبعد إن رأى أويشي أن رجاءه يذهب سدى، أمر جماعته أن يطرحوه أرضاً، فحز رقبته بهذا الخنجر.

بعدها أطفأوا جميع المصابيح والمشاعل داخل المنزل مخافة أن تحرق المنزل وتسبب حريقاً يمكن أن يؤذي الجيران وغادروا حاملين الرأس معهم.

طُلب من أحد الفرسان وهو أشيجارو أن يذهب إلى مقاطعة آكو ويخبرهم أنهم قد أخذوا ثأرهم. بينما تقول مصادر أخرى أنه فرَّ قبل أو بعد المعركة أو أنه قد طُلِبَ منه أن يغادر قبل أن يسلم الفرسان أنفسهم.

وبعد إن انبلج الصبح حملوا رأس كيرا وانطلقوا به إلى قبر سيدهم أسانو في معبد سنجاكو جي مسببين ضجة كبيرة في الطريق. طارت أخبار هجومهم بسرعة البرق في كل أنحاء البلاد ونالوا ثناء كل من التقاهم وعرضت عليهم الناس المشروبات الباردة.

وعند وصولهم المعبد، غسل الفرسان الستة والأربعون ونظفوا رأس كيرا في مياه بئر قريب منهم ووضعوه مع الخنجر أمام قبر أسانو. ثم أقاموا الصلاة في المعبد وأعطوا كبير الرهبان كل ما لديهم من أموال وطلبوا منه دفنهم بشكل لائق والصلاة عليهم. بعدها سلموا أنفسهم. قسمتهم السلطات إلى أربع مجموعات ووضعتهم بأمرة أربعة أمراء.

وفي هذا الوقت جاء اثنان من أصدقاء كيرا لأخذ الرأس ودفنه. فوقَّعَ هؤلاء مع الرهبان على وصل استلامه.

وقد وقع المسؤولون العسكريون في مأزق. فقد إتبع فرسان الساموراي مبادئ قانونهم البوشيدو **Bushidi** بالثأر لموت سيدهم، لكنهم في نفس الوقت قد انتهكوا أوامر السلطة العسكرية بحظر أخذ الثأر. إضافة إلى ذلك تلقت هذه السلطة العديد من الالتماسات من الناس للإبقاء على حياة هؤلاء الفرسان. وكما كان متوقعا، فقد حكم عليهم بالموت ولكن السلطة العسكرية حلَّت المشكلة بالطلب منهم الانتحار بشرف وفق طريقة السيبوكو، بدلاً من أن يعدموا كمجرمين. وفعلاً أنهى المهاجمون حياتهم وفق الطقوس المتبعة.

قتل كل واحد من هؤلاء الفرسان نفسه يوم الأحد المصادف ٤ شباط/ فبراير ١٧٠٣م. وقد سبب ذلك هياجاً عاماً وسط البلاد وكان الناس يشيرون إليهم بالفرسان الستة والأربعين على أساس أنها المجموعة التي حكمت عليها السلطة

العسكرية بالموت، في حين كان تعداد المجموعة المهاجمة سبعة وأربعين فارساً. وأخيراً عاد الفارس السابع والأربعين من مهمته وأصدرت السلطة العسكرية العفو عنه، ويقول البعض لصغر سنه. عاش حتى عمر الثامنة والسبعين ودفن مع رفاقه. وقد دفن هؤلاء الفرسان المنتحرون في معبد سنجاكو جي أمام قبر سيدهم.

ولا تزال ملابسهم والأسلحة التي كانوا يحملونها محفوظة في المعبد إلى هذا اليوم مع الطبل والصافرة أيضاً. وكانت دروعهم من صنع أياديهم لأنهم لم يريدوا أن يثيروا الشكوك بشرائها من الأسواق.

أصبحت أضرحتهم محل تقدير وتبجيل وأخذ الناس يزورونها للصلاة عليهم. وقد زارها ملايين البشر منذ عصر جينروكو 1688م Genroku– ١٧٠٤م وحتى الآن. وأحدهم كان الرجل الذي سخر من أويشي وبصق عليه عندما كان ملقياً ثملا في الشارع. فجاء إلى قبره وخاطبه طالباً الصفح منه لفعلته ولتصوره أن أويشي لم يكن ساموورايا شريفا. بعدها انتحر هو نفسه ودفن قبالة أضرحة هؤلاء الفرسان.

ورغم أنه ينظر إلى هذا العمل غالباً على أنه جاء بدافع الولاء والإخلاص، إلا أن هناك هدفا ثانياً له هو إعادة تأسيس سلطة أسانو وإيجاد محل يخدم فيه رفاقهم القدامى من الساموراي. فبعد موت أسانو، فقد مئات منهم وظائفهم ولم يستطيعوا الحصول على عمل آخر كونهم كما أشيع حينها أنهم كانوا يعملون بأمرة أسرة لحقها العار. والكثير منهم امتهن الفلاحة أو المهن اليدوية البسيطة لتلبية احتياجاتهم. لهذا رفع عمل الفرسان السبعة والأربعون، من سمعتهم ووجد الكثير منهم عملا له بعد الحكم على هؤلاء الفرسان مباشرة.

سمحت السلطة العسكرية لأسانو دياجاكو ناجاهيرو Asano Daigaku Nagahiro شقيق ووريث تاكومينوكامي Takuminokami بإعادة سلطته رغم أن أراضيه قد تقلصت إلى عشر ما كانت عليه في البداية.

ويتساءل ياماموتو تسونيتومو Yamamoto Tsunetomo 1659م - ١٧١٩م مؤلف كتاب الدليل الروحي والعملي لمقاتل الساموراي أنه طالما أن هؤلاء الفرسان قد انتظروا عاماً كاملاً ليختاروا الوقت المناسب للثأر، ماذا لو مرت تسعة أشهر من مقتل أسانو وتوفي كيرا بسبب إصابته بمرض؟ والواضح أن الجواب سيكون أن الفرسان السبعة والأربعين سيفقدون فرصتهم الوحيدة للثأر لسيدهم. وحتى لو قالوا أن سلوكهم الماجن هذا كان مجرد كسب للوقت والاستعداد لتنفيذ خطة الثأر، فمن كان سيصدقهم؟ وكانوا سيظلوا طيلة الزمن مثالاً للجبن والفسق وسيجلبون العار الأبدي لسمعة أسرة أسانو[1].

ويقول ياماموتو أن الشيء الصحيح الذي ينبغي عليهم فعله وفقاً لقانون الساموراي الصحيح البوشيدو هو مهاجمة كيرا ورجاله فور موت أسانو. وربما كان هؤلاء الفرسان سيهزمون لأن كيرا كان مستعداً لهجومهم حينها، لكن هذا ليس بالشيء المهم. لقد كان أويشي حسب مبادئ البوشيدو مهووساً بتحقيق النصر. لقد وضع خطة معقدة من أجل ضمان أنهم سيحققون بصورة أكيدة هدفهم في قتل كيرا، وهذا هو ليس الهم الحقيقي للساموراي. فالشيء المهم ليس موت كيرا بل إبراز عزم وشجاعة فرسان أسانو من خلال شنهم لهجوم واسع على منزل كيرا وبذلك يكسبون سيدهم المقتول شرفاً أزلياً. وحتى لو فشلوا في قتل كيرا وأبيدوا جميعهم، فالأمر لا يهم لأن النصر أو الهزيمة ليست أمورا ذات شأن في قانون السّاموراي (البوشيدو). لقد عزَّزَ انتظارهم عاماً كاملاً من فرص نصرهم لكنهم خاطروا بتلويث سمعة قبيلتهم وهي أسوأ خطيئة يمكن أن يرتكبها الساموراي. لهذا يقول

(1) Allyn, John, The forty Seven Ronin Story, New York, 1981 and Screech, Timon, Secret Memoirs of the Shoguns: Isaac Titsingh and Japan, 1779-1822, London, 2006.

ياماموتو أن قصة الفرسان السبعة والأربعين تصلح أن تكون أجمل قصة للثأر لكنها لا تصلح مثالاً لمبادئ الساموراي.

أصبحت قصة مأساة هؤلاء الفرسان من أكثر المواضيع شعبية في الفن الياباني، بل إنها دخلت أيضاً إلى الفن الغربي فأصبحت تمثل رمزا للوفاء والولاء. وقد كتبت الكثير من المسرحيات حولها أشهرها مسرحية خزينة الأتباع المخلصين أو **Kanadehon Chushingura** التي كتبها تأكيدا إيزومو واثنين من رفاقه في ١٧٤٨م التي لا تزال من أكثر المسرحيات شعبية في اليابان، بل وانتشرت القصة في معظم أنحاء آسيا، فأخرجت مسرحيات وأفلام ومسلسلات عنها في كافة أنحاء العالم.

الفصل الثامن

انتحار أمراء ورعايا ممالك جزيرة بالي



أكوام جثث أتباع أمير بادونج في بالي

خلاصة

مارس سكان جزيرة بالي بإندونيسيا طقساً دينياً يتضمن القيام بعملية انتحار جماعي يسمى بوبوتان. وأكبر عملية انتحار جماعي وفق هذا الطقس حصلت خلال العامين ١٩٠٦م و١٩٠٨م عندما تعرضت ممالك بالي لغزو القوات الهولندية الاستعمارية. بلغ عدد المنتحرين في حادث ٢٠ أيلول ١٩٠٦م حوالي ٤.٠٠٠ شخصا. بينما بلغ عددهم في حادث ٢٨ نيسان ١٩٠٨م والذي حصل في مملكة كلونج كونج بحدود مائتي شخص بضمنهم الملك وأسرته وأتباعه[١].

نبذة تاريخية :

حصل أكثر الحوادث دموية في تاريخ بالي في مدينة دينباسار في ٢٠ أيلول ١٩٠٦م، عندما قرر أمير بادونج (مملكة جنوب بالي) جستي جيد نجورا بألا يخضع للحكم الهولندي وأمر بالقيام بانتحار جماعي وفق طقس البوبوتان.

سبب الأزمة هو نهب السفينة سري كومالا التي كانت تتعثر في سيرها عند صخور سانور البحرية. تمكن الأهالي من إنقاذ سبائك النحاس والفضة التي تحملها لكن مالكها الصيني لم يكن مسرورا بذلك. فأشتكى لحاكم الجزيرة الهولندي وأقنعه بفرض حصار على بادونج وإجبار أميرها على دفع التعويض. تلا ذلك سلسلة من التهديدات العسكرية وإنزال قوات على ساحل سانور. وفي ٢٠ أيلول، وصلت

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Puputan.

القوات الهولندية إلى دينباسار وأدرك الأمير أن الوقت قد أزف. وقد يعتقد المرء أن الخيارين المطروحين أمام الباليين هما إما القتال أو الهرب، لكنهم وضعوا خياراً ثالثاً، ألا وهو تنفيذ عملية انتحار جماعي.

لم تواجه القوات الهولندية أي مقاومة في سانور وزحفت نحو دينباسار كما لو كانت في استعراض عسكري. وأثناء مرورها في المدينة لم يشاهدوا حركة لأي بشر وكأنها تسير في مدينة مهجورة. واقتربت القوات من القصر الملكي، ولاحظت دخاناً متصاعداً منبعثا منه وسمعت أصوات غريبة من ضرب الطبول قادمة من داخل أسوار القصر.

وعندما وصلت القوات الهولندية القصر، خرج منه موكب صامت يقوده أمير المملكة وهو محمول على محفة يحملها أربعة رجال. وكان يرتدي ثياب إحراق الموتى البيضاء ويتزين بأثمن الجواهر وبيده الخنجر الإندونيسي التقليدي. يرافق الأمير في موكبه هذا معظم المسؤولين الكبار في المملكة وحرس الملك والكهنة وزوجاتهم وأطفالهم وأتباعهم وجميعهم يرتدون نفس الزي والزينة.

وعندما أصبح الموكب على بعد مئة خطوة من القوة الهولندية، توقف وترجل الأمير من محفته وأومأ إلى أحد الكهنة الذي قام بطعن الأمير بخنجر في صدره. ثم أخذ باقي أفراد الموكب يقتلون أنفسهم والآخرين.

وقد دفع رصاص طائش وهجوم بالرماح والسيوف عناصر القوة الهولندية لإطلاق نيران بنادقهم ومدافعهم على الموكب. ورمت النسوة بازدراء مجوهراتهن الذهبية نحو الجنود الهولنديين. وكلما ازدادت أعداد البشر التي تخرج من القصر كلما ارتفعت أكوام الجثث. لقد مات بهذه الطريقة أكثر من ٤٠٠٠ بالي.

أخذ الجنود ينزعون الحلي الثمينة من الجثث ثم نهبوا المتبقي من حطام القصر المحترق.

ويصف الدكتور فان ويد وهو شاهد عيان، تفاصيل الحدث كما يلي:

"خرج الحاكم مع الأمراء وأتباعهم بزيهم البراق وخناجرهم في أحزمتهم وكانت مقابضها بشكل تمثال بوذا ومرصعة بالأحجار الكريمة. كانت ملابسهم بلون أحمر وأسود وشعورهم مسرحة بعناية ومدهونة بزيت ذي عطر. وكانت النسوة يرتدين أجمل ملابسهن وجواهرهن وقد أطلقن شعورهن وارتدين عباءات بيض. وكان الأمير قد أمر بإحراق قصره وتدمير كل شيء قابل للتدمير فيه.

وعند الساعة التاسعة أبلغ بأن العدو قد اقتحم دينباسار من جهة الشمال، بدأ موكب الموت المؤلف من ٢٥٠ شخصاً بالتحرك. كان كل رجل وامرأة يحملون خنجراً أو رمحاً طويلاً، وكذلك الأطفال القادرين على حمل هذه الأسلحة بينما حملوا الصغار على أذرعهم. وهكذا ساروا متجهين شمالاً في الطريق الواسع المحاط بأشجار طويلة ليلاقوا حتفهم.

كان الأمير يسير في المقدمة محمولاً بصمت على أكتاف أتباعه حسب التقاليد الإندنوسية... حتى وصلوا إلى منعطف الطريق الذي منه يمكن رؤية مقدمة مشاتنا. وعلى الفور صدر أمر إليهم بالتوقف وأمر النقيب شوتسال المترجمين بأن يطلبوا بالكلام والإشارة من الموكب المتقدم التوقف. لكن هذه الأوامر لم تلق أذنا صاغية، بل بالعكس من ذلك ورغم التحذيرات المتكررة، أخذ الباليون يركضون باتجاهنا.

حاول النقيب والمترجمون على نحو متواصل الإشارة إليهم بالتوقف، لكن كل ذلك راح عبثا. عندها أدركت قواتنا أن عليهم أن التعامل مع أناس يريدون الموت. فتركوهم يقتربون إلى مسافة مئة خطوة ثم ثمانين ثم سبعين ثم أخذوا يسرعون في خطوهم باتجاهنا رافعين رماحهم وخناجرهم وكان أميرهم في المقدمة.

وأي تأخير أكثر من هذا سيكون خطراً على رجالنا، لهذا صدرت أول الأوامر بإطلاق النيران، وكانت حصيلتها مقتل عدد من الرجال. كان أول القتلى هو الأمير نفسه، وهنا حصل أحد أكثر المشاهد المروعة في حياتي.

وبينما استمر الباقون بالهجوم علينا، وكنا نطلق النيران عليهم دفاعاً عن النفس، شاهدنا الجريح بجرح بسيط يوجه طعنة الموت لرفيقه الجريح بجرح قاتل. وأبرزت النسوة صدورهن لكي يقتلن أو يضربن ضربة قاتلة بين أكتافهن، ويسقط قتلتهن بنيران بنادقنا. وينهض رجال ونساء آخرون لمواصلة عملية القتل والانتحار. وحصلت عملية انتحار على نطاق واسع وكان كل فرد يتشوق لموته. وكان بعض النسوة يرمين على جنودنا الذهب والجواهر ويقفن أمامهم وهن يشرن إلى قلوبهن إشارة تقول اضربوني هنا. وإذا لم تطلق أي رصاصة نحوهن كن يقتلن أنفسهن. وقد شاهدت رجلاً مسناً يدوس على الجثث ويطعن بخنجره يميناً وشمالاً حتى أطلقنا النار عليه. وتولت مهمته سيدة مسنة أيضاً ولاقت نفس المصير. مع ذلك، لم نستطع عمل شيء لوقف ذلك. فهناك دائماً من ينهض لمواصلة عملية القتل والتدمير".



جثة أمير بادونج

وتكرر نفس الحدث في نفس اليوم في مدينة باميكوتان. وفي ٢٨ نيسان ١٩٠٨م تكرر أيضاً عند غزو الهولنديين لمملكة كلونج كونج التي تعتبر أكبر ممالك جزيرة بالي منذ أواخر القرن السابع عشر وحتى ١٩٠٨م. وكان حاكمها ديوا أجونج قد وقع معاهدة مع الهولنديين في ١٤ ت١ ١٩٠٦م. استمرت العلاقات هادئة بين الطرفين لمدة

أقل من سنتين. لكن فرض قانون احتكار الأفيون في بالي في ١٩٠٨م أدى إلى نشوب اضطرابات في المملكة. ادعى الهولنديون أن هذه الاضطرابات تمثل انتهاكا لاتفاقية ١٩٠٦م وأرسلوا قواتهم إليها. وفي ١٦ نيسان ١٩٠٨م حصلت مناوشات في مدينة جليجل قتل خلالها تاجر أفيون من جاوة ودمر متجره. وقتل وجرح أكثر من ١٠٠ شخص من بالي مع موظف هولندي وجرح عدد من الجنود الهولنديين فانسحبت القوة الهولندية إلى الساحل. فرّ حاكم جليجل والتجأ إلى ملك كلونج كونج، ديوا أجونج. زحف الهولنديون نحو قصر الملك وطلبوا تسليم اللاجئ. رفض الملك ذلك، وبدأت المدفعية بقصف القصر واقتربت القوات على مسافة ٢٠٠ من البوابة الرئيسة للقصر. وفي ٢٨ نيسان أمر الملك بدق أجراس البوبوتان (الانتحار الجماعي). فقاد موكباً شبيهاً بموكب أمير بادونج مكوناً من ٢٠٠ شخصاً وخرج من القصر باتجاه القوات الهولندية مرتديا البياض وحاملاً رمحاً في يده وخنجراً في يده الأخرى. وتوقف على مسافة ١٠٠ متر من المدافع الهولندية ثم انحنى وغرز خنجره بقوة في الأرض. فإذا ما تحققت نبوءة كاهنه فأن هذا الخنجر سيفتح هوه عميقة تبتلع كل أعدائه. وأثناء وقوفه، تلقى رصاصة في ركبته. وقبل أن يجثو تلقى رصاصة ثانية قتلته. ثم جثت ست من نسائه حوله وغرزن خناجرهن في صدورهن. ثم انشغلت الجماعة في عملية انتحار جماعي شاملة وأخذوا يقتلون وينتحرون وزادت المدفعية والبنادق من حجم الفاجعة. وحصلت مذبحة كبرى أنهت ٦٠٠ عام من حكم مملكة كلونج كونج وأدخلتها تحت السيطرة الاستعمارية الهولندية(١).

---

(1) Pringle, Robert, Bali: Indonisia's Hindu Realm; A short History of Asia Series, Allen & Unwin, 2004 and Britannica Online Encyclopedia, Denpasar, http://www.britannica.com,
and also Denpasar Government Municipality Tourism Office, History of Pupatan Badung, 13 Dec 2008,
http://www.balivision.com/dpsmun/aboutdenpasar..

الفصل التاسع

انتحار اليابانيين بعد معركة سايبان



العثور على طفل رضيع ياباني وسط جثث أسرته التي انتحرت بكامل أفرادها

خلاصة

عرفت اليابان تاريخاً طويلاً من تقاليد الانتحار، ابتداءا من السيبوكو أو الهارا- كيري (طقس بقر البطن)، إلى مقاتلي الكاميكاز الذين انتحروا بطائراتهم على البوارج الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية. وخلال نفس الحرب أيضاً، انتحر المئات من اليابانيين المحاصرين على جزيرة سايبان مفضلين الموت على الاستسلام للقوات الأمريكية الغازية.

لهذا ستتحدث عن السيبوكو، ثم الكاميكاز وأخيراً ما حصل في أعقاب معركة سايبان.

السيبوكو (الهارا- كيري):

أو بقر البطن هو شكل من أشكال الانتحار الديني بواسطة نزع الأحشاء. كان هذا الطقس في البداية خاصاً بطائفة الساموراي (أو السابوراي) وهم الطبقة العليا من القادة العسكريين في اليابان قبل الثورة الصناعية. فمن ضمن تقاليد الشرف لعنصر الساموراي أن يقوم بالسيبوكو (الانتحار ببقر البطن) ويموت بشرف إذا كان سيقع أسيراً بيد أعدائه، أو كشكل من أشكال العقوبة لعنصر الساموراي الذي يرتكب جريمة أو لأسباب قد تجلب العار لطائفته. ويمارس هذا الفعل بطعن البطن بالسيف وتحريكه يميناً وشمالاً بحركة تهدف إلى شق البطن. وقد يمارس السيبوكو لوفاة سيد معين ويسمى حينها اويبارا **Oibara**.

الشكل الأكثر شهرة من السيبوكو يعرف باسم الهارا-كيري (أو بقر البطن). والهارا-كيري هو الاسم العامي لهذا الفعل أما السيبوكو فهي مفردة أكثر رسمية. وطائفة الساموراي أو خلفاؤهم يفضلون استخدام مفردة السيبوكو بينما يفضل الياباني العادي استخدام مفردة الهارا- كيري وهو ينظر باستنكار لهذا الطقس سواء في زمن الإقطاع او الزمن الحالي.

يعتبر السيبوكو الجزء الرئيس في نظام مقاتلي الساموراي البوشيدو **Bushido**. وقد استخدمه المقاتلون من أجل تجنب السقوط بيد الأعداء وتفادي العار. وقد يؤمر الساموراي بارتكاب السيبوكو من قبل سادتهم الإقطاعيون أو ما يسمى بـ (دايميو **Daimyo**). وفي وقت متأخر، يسمح لبعض المقاتلين الذين لحقهم العار بالانتحار بطريقة السيبوكو بدلاً من إعدامهم بالطريقة الاعتيادية. الشكل الأكثر شيوعا للانتحار بطريقة السيبوكو للرجال هو أن يبقر الرجل منهم بطنه وعندما ينتهي يتمدد عارضاً عنقه لأحد المساعدين لضربه. ولأن الهدف الرئيس من ارتكاب هذا الفعل هو المحافظة على شرف المقاتل، فأن من لا ينتمي لطبقة الساموراي لا يؤمر ولا يتوقع منه ارتكاب السيبوكو. وبشكل عام لا يسمح للساموراي بارتكابه إلا بموافقة وإذن[1].

يقول ستيفن تيرنبول بكتابه "طريقة الساموراي في الموت" الفصل الرابع: "ينفذ السيبوكو عادة باستخدام حربة (بين ١٥-٣٠ سم) تسمى التانتو **Tanto**. ويمكن أن يجري بخصوصية في بيت المرء أو بسرعة في ركن هادئ من ميدان المعركة بينما يشاغل رفاق المنتحر العدو".

وبموجب أعراف مقاتلي الساموراي يعتبر السيبوكو عملاً من أعمال الشجاعة المطلوبة من الساموراي الذي يعرف أنه قد هزم أو لحقه العار أو إنه قد جرح جرحاً

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية **http://en.wikipedia.org/wiki/Sepuku** .

مميتاً. ويقصد منه أن ينهي حياته ويمسح خطاياه ويحافظ على سمعته ان لم يكن يرفع من شأنها. إن بقر البطن يجعل روح الساموراي تصعد إلى أعلى بطريقة عنيفة دراماتيكية مؤلمة وكريهة وأحياناً يطلب المنتحر من أحد رفاقه أن يضرب عنقه في سكرة الموت.

وأحياناً يطلب من السيد الإقطاعي ارتكاب السيبوكو كشرط لاتفاقية سلام. وهذا سيضعف الفريق المهزوم وبذلك تخفت المقاومة وتتوقف. وقد استخدم الزعيم الياباني تويوتومي هيديوشي ١٥٣٦م - ١٥٩٨م هذه الطريقة مع أعدائه في عدة مناسبات، وأكثرها إثارة تلك التي أنهت أسرة هوجو الإقطاعية إلى الأبد عندما هزمت في معركة أوداوارا في ١٥٩٠م. وقد أصر هيديوشي على انتحار الإقطاعي هوجو يوجيماسا ونفي ولده يوجيناو. وبطعنة سيف واحدة، انتهت أقوى أسرة إقطاعية في شرق اليابان.

وهناك طقوس يجب مراعاتها عند ارتكاب السيبوكو. فيجب غالباً تنفيذه أمام جماعة من المشاهدين إذا كان انتحاراً مخططاً له وليس انتحار ينفذ في أرض المعركة. فيستحم الساموراي ويرتدي رداءاً أبيضا ويتناول وجبته المفضلة وعندما ينتهي من ذلك يوضع سيفه على طبقه. وبعد ذلك يعد نفسه للموت بكتابة قصيدة الموت. وبوجود مساعده الذي اختاره واقفا بقربه، يفتح الساموراي رداءه (كيمونو) ويلتقط سيفه القصير ذا الشفرتين ويغرزه في بطنه ثم يحركه يساراً ويميناً لأحداث شق فيها. يقوم بعدها المساعد بضرب عنقه تاركاً رابطاً صغيراً يربط رأسه بجسده. ولأن عملية الجز تتطلب دقة ومهارة، غالباً ما يكون منفذها سيافاً ماهراً. ويعطي المنتحر الموافقة قبل قيام السياف بضرب العنق، ويكون ذلك عادة حالماً يدخل السيف الأحشاء.

وقد تطور هذا الطقس بعد إن توقف السيبوكو ليصبح ممارسة يمكن إجراؤها في أرض المعركة أو وقت الحرب ثم أصبح عرفاً شبه قضائي.

ويكون المساعد غالباً وليس دائماً أحد الأصدقاء. فإذا ما قاتل أحد المقاتلين المندحرين بشرف وبسالة، فقد يتطوع أحد خصومه الذي يود أن يحيي شجاعته ليكون مساعده.

يقول ياماموتو تسونتومو بكتابه ظلال الأوراق أو **Hagakure** وهو الدليل الروحي لمقاتلي الساموراي: "منذ عصور خلت يعتبر اختيار الساموراي كمساعد من النحس له. والسبب في ذلك أنه لا يكتسب سمعة طيبة من وراء هذا العمل حتى لو أداه بشكل جيد، أما إذا أخطأ لسبب ما، فيكون هذا عاراً يلحقه طيلة حياته".

وفي تجارب الزمن الماضي، حصلت عدة حالات طار فيها رأس الضحية. ويقال أن من الأفضل ترك رابط بسيط يربط الرأس بالجسد كي لا يطير باتجاه المشاهدين.

وهناك نوع معين من السيبوكو في زمن الإقطاع يعرف باسم كانشي **Kanshi** (أي انعدام أو موت التفاهم) وفيه يقوم التابع أو الخادم بالانتحار احتجاجا على قرار للسيد الإقطاعي. فقد يقوم التابع بطعن بطنه طعنة عميقة أفقية ثم يسرع لتضميد الجرح. بعدها يذهب لسيده ويلقي كلمة يعرب فيها عن احتجاجه على ما قام به سيده ثم يكشف عن جرحه المميت.

وقد يختار بعض الساموراي طريقة أكثر إيلاما من السيبوكو وتعرف باسم جومونجي - جيري أو الجرح الصليبي حيث لا يوجد في هذه الحالة مساعد ينهي معاناة الساموراي بسرعة. وهذه الطريقة تتضمن القيام بشق ثان عمودي في البطن يكون أكثر إيلاماً. ويتوقع من الساموراي الذي ينفذ هذه الطريقة أن يتحمل المعاناة بهدوء حتى يموت بفعل تدفق الدماء منه واضعا يديه على وجهه.

إن السيبوكو الاختياري الذي ذكرناه آنفا هو الشكل المعروف على نطاق واسع لكن من الناحية العملية فأن الشكل الشائع منه هو السيبوكو الأج باري الذي يستخدم كشكل من أشكال عقوبة الموت للساموراي الذي لحقه العار خاصة بالنسبة إلى أولئك الذين ارتكبوا جرائم كبيرة كالقتل أو السرقة أو الفساد أو الخيانة. وبصورة عامة يعلم الساموراي بجريمته بالتفصيل ويعطى مهلة من الوقت لارتكاب السيبوكو وغالبا ما يكون قبل غروب الشمس في يوم معين. وإذا كان المحكوم عليه غير متعاون في تنفيذ الحكم، فليس من الغريب أن يقبض عليه أو ينفذ فيه حكم ضرب العنق. وبخلاف السيبوكو الاختياري، لا يحل السيبوكو الإجباري الأسرة من تبعة جريمة الضحية، حيث يمكن أن تصادر نصف ممتلكات المتوفى وتخفض منزلة العائلة(١).

كانت المرة الأولى التي رأى فيها رجل غربي السيبوكو الرسمي هي في حادثة ساكاي **Sakai Incident** في ١٨٦٨م. ففي ١٥ شباط/ فبراير دخل ١١ بحار فرنسي يقودون الباخرة دوبليه **Dupleix** إلى مدينة يابانية تدعى ساكاي **Sakai** دون رخصة رسمية. خلق وجودهم ذعراً كبيراً بين السكان. ذهبت مفرزة من الجنود لإعادة البحارة إلى سفينتهم لكن نشب قتال بين الطرفين وقتل البحارة جميعهم. ونتيجة لاحتجاج المندوب الفرنسي تم دفع تعويضات مالية لأسر الضحايا وحكم على من تسبب بقتلهم بعقوبة الإعدام. وكان القبطان حاضراً لمشاهدة تنفيذ الحكم. وعندما كان كل واحد من الساموراي ينفذ السيبوكو ويبقر بطنه، أصابت وحشية هذا الصنيع القبطان الفرنسي بالصدمة وطلب العفو لهم حيث أنقذ حياة ٩ منهم. وقد وردت قصة هذا الحدث في قصة قصيرة شهيرة كتبها الروائي والشاعر والطبيب الياباني موري أوجاي **Mori Ogai 1862**م -١٩٢٢م بعنوان ساكاي جيكن **Sakai Jiken**.

(1) Seward, Jack, Hara-Kiri: Japanese Ritual Suicide, Charles E. Tuttle, 1968.

وفي ستينات القرن التاسع عشر، كان السفير البريطاني في اليابان اللورد ريديسديل يعيش بالقرب من معبد سنجاكو –جي حيث دفن ٤٧ من الساموراي. وقد وصف بكتابه "قصص من اليابان القديمة" قصة رجل جاء إلى قبور هؤلاء الساموراي ليقتل نفسه. فيقول:

"سأضيف قصة أخرى تبين قدسية وحرمة قبور الساموراي السبعة والأربعين. ففي أيلول/ سبتمبر ١٨٦٨م، جاء رجل للصلاة أمام قبر احدهم الذي يسمى أويشي جيكارا. وبعد إن انتهى من صلاته، قام بالانتحار بطريقة الهارا- كيري، ولأن شقه لبطنه لم يكن مميتا، قتل نفسه بضرب عنقه. وقد وجدت على جثة هذا الشخص أوراق تقول لأنه ساموراي دون سيد ودون وسيلة لكسب العيش، فانه يلتمس السماح له الانضمام لأسرة الأمير كوشيو التي يعتبرها أنبل أسرة في المملكة. وقد رفض طلبه، ولم يبق أمامه سوى الموت لأنه لا يريد أن يكون ساموراىا دون سيد وأنه سوف لن يخدم أي سيد غير الأمير كوشيو. وما المكان الأفضل من مقبرة الشجعان لوضع نهاية لحياته فيه؟ حصل هذا الحادث على بعد مائتي ياردة من منزلي، وعندما رأيت موقع الحادث بعد ساعة أو ساعتين كانت الأرض مغطاة بالدماء ومضطربة بفعل صراع الرجل مع الموت".

ويصف ميتفورد **Mitford** شهادة صديقه شاهد العيان على عملية انتحار بطريقة السيبوكو قائلا:

"هناك الكثير من القصص المسجلة عن بطولة استثنائية برزت عند تنفيذ أحد الأشخاص للهارا- كيري. القصة هي لرجل شاب يبلغ العشرين من العمر من أسرة كوشيو أخبرني بها شاهد عيان وهي تستحق الذكر كمثال رائع للعزم والتصميم. ولعدم اقتناعه بالطعنة الواحدة لنفسه، شق بطنه ثلاثا، مرة أفقيا ومرتين

عمودياً. ثم طعن نفسه في موضع الحنجرة حتى ظهر الخنجر من الناحية الثانية وضغطه على نفسه بكلتي يديه وخر صريعا".

وخلال ثورة أو نهضة ميجي Meiji Restoration ارتكب أحد أعوان تاكو جاوا شوجون السيبوكو:

"وفي قصة أخرى قيل أنه خلال الثورة قرر القائد الأعلى (التايكون Taikun) بعد هزيمته في عدة معارك وفراره إلى يدو Yedo (طوكيو القديمة) عدم خوض أي قتال والتنازل عن كل شيء. فذهب إليه أحد أعوانه وقال له: سيدي، الطريقة الوحيدة لك الآن لاستعادة شرف أسرة توكوجاوا هي أن تبقر بطنك، ولكي أثبت لك إخلاصي، أنا مستعد لبقر بطني معك. ثار القائد الأعلى بغضب شديد وقال أنه غير مستعد لسماع المزيد من هذا الهراء وترك الغرفة. ولكي يثبت مساعده إخلاصه، ذهب إلى ركن آخر من أركان القلعة ونفذ الهارا- كيري لوحده".

وفي كتابه قصص من اليابان القديمة يصف متفورد مشاهدته لأحدى عمليات الهارا- كيري فيقول[1]:

"سأصف لكم حالة هارا-كيري أرسلت لي رسمياً دعوة لحضورها ومشاهدتها. كان الرجل المحكوم عليه هو تاكي زنزابورو وهو أحد ضباط أمير منطقة بيزن الذي أصدر الأوامر بإطلاق النار على مستوطنة أجنبية في هيوجو في شباط/ فبراير ١٨٦٨م. لم يشهد أي أجنبي حتى ذلك الوقت عملية إعدام مثل هذه التي يمكن أن ينظر إليها على أنها من خرافات الرحالة.

(1) Freeman-Mitford, Algernon Bertram, Tales of Old Japan, BiblioBazaar, LLC, 1871

بدأت مراسيم العملية التي أمر بها الميكادو نفسه (أي الإمبراطور) عند الساعة ١٠:٣٠ ليلاً في معبد سايفوكوجي وهو مقر قوات مقاطعة ساتسوما في هايوجو. وقد أرسل مبعوثاً لحضورها من كل البعثات الأجنبية هناك. كنا سبعة أجانب فقط.

وبعد انحناءة احترام، تحدث تاكي زنزابورو بصوت يعبر عن كثير من التردد والتأثر، ولكن لم تظهر أي علامة من ذلك على وجهه أو سلوكه، فقال:

"إني أنا ولوحدي ودون مبرر قد أصدرت أوامري بإطلاق النار على الأجانب في ميناء كوبي Kobe وأصدرت هذه الأوامر مرة أخرى عندما كانوا يحاولون الفرار. وبسبب هذه الجريمة، سأبقر بطني وأرجو من الحضور أن يشرفوني بمشاهدة الفعل".

انحنى المتحدث وترك رداءه ينزل إلى خصره وبقي مكشوفا إلى وسطه. وحسب التقاليد، دَسَّ كُمّيه تحت ركبتيه ليمنع وقوعه إلى الوراء، لأن على النبيل الياباني أن يسقط إلى الأمام وليس إلى الخلف. وبيد ثابتة تناول الخنجر الموضوع أمامه ونظر إليه بحزن وتأثر، وبدا أنه يحاول أن يجمع أفكاره للمرة الأخيرة ثم طعن نفسه بعمق أسفل الخصر على جهة اليسار، ثم دفع الخنجر ببطء نحو جهة اليمين ثم حركه في الجرح محدثاً شقاً بسيطاً نحو الأعلى. وخلال هذه العملية المقززة المؤلمة، لم يحرك أي عضلة من عضلات وجهه. وعندما أخرج الخنجر، مال إلى الأمام ومد رقبته كأول تعبير عن الألم ظهر على وجهه لكنه لم يخرج أي صوت. وفي تلك اللحظة كان المساعد (أو الكايشاكو Kaishaku) يراقب كل حركاته ثم قفز على قدميه وجرد سيفه في الهواء وبضربة واحدة خاطفة وعنيفة، فصل الرأس عن الجسد.

تبع ذلك صمت لا يتخلله سوى حشرجات الدم المتدفق من الجثة الهامدة التي كانت قبل لحظات جسد فارس شجاع. كان المنظر مروعاً.

انحنى المساعد قليلاً وتناول ورقة معدة لهذا الغرض ومسح بها سيفه ونزل من المنصة وأُخِذَ الخنجر، كدليل دموي على تنفيذ الإعدام.

ترك ممثلاً الميكادو مكانيهما، واتجها إلى حيث يجلس الشهود الأجانب ودعونا للشهادة بأن حكم الإعدام قد نفذ بتاكي زنزابورو. وبعد انتهاء مراسيم الإعدام، غادرنا المعبد".

السيبوكو في اليابان الحديثة:

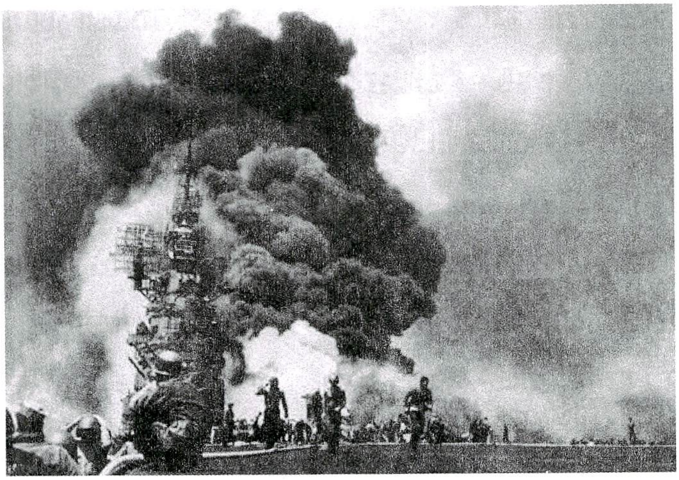
جرى إلغاء السيبوكو رسميا كعقوبة قضائية في عام ١٨٧٣م بعد ثورة ميجي مباشرة، لكن السيبوكو الاختياري لم ينته نهائيا. فهناك الكثير من الناس الذين ارتكبوا السيبوكو بما فيهم بعض العسكريين الذين انتحروا في ١٨٥٩م احتجاجا على إعادة المناطق التي فتحوها إلى الصين، وكذلك انتحر بنفس الطريقة الجنرال نوجي وزوجته بعد موت الإمبراطور ميجي في ١٩١٢م، إضافة إلى الكثير من الجنود والمدنيين الذين اختاروا الموت بدلاً من الاستسلام إلى الحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية مما سنأتي على شرحه.

وفي ١٩٧٠م، انتحر المؤلف الشهير يوكيو ميشيما Yukio Mishima وبعض من أتباعه بطريقة السيبوكو علناً في مقر قيادة قوات الدفاع الذاتي اليابانية بعد محاولة فاشلة لتحريض القوات المسلحة لتنفيذ انقلاب عسكري. نفذ ميشيما انتحاره في مكتب الجنرال كانيتوشي ماشيتا. وحاول مساعده ذو الخمسة وعشرون عاما ويدعى ماساكاتسو موريتا ثلاث مرات لضرب عنق ميشيما لكنه فشل. وأخيراً قطع هيروياسو كوجا رأسه. حاول بعدها موريتا الانتحار بطريقة السيبوكو. ورغم أن طعنته لنفسه لم تكن مميتة، لكنه أعطى الإشارة لكوجا لقطع رأسه وهذا ما قام به الأخير[1].

(1) Steinkopff, Suicide and Culture in Japan: A Study of Seppuku as an institutionalized form of Suicide, Social Psychiatry and Psychiatric Epidemiology, Volume 15, No. 2 June, 1980.

الكاميكاز[1]

وتعني المفردة حرفيا باليابانية "الريح الألهية"، تعني كامي الأله وكاز الريح. وهي تشير بالانجليزية إلى الهجمات الانتحارية التي قام بها الطيارون التابعون لسلاح الجو الياباني ضد سفن الحلفاء خلال المراحل الأخيرة من حملات المحيط الهادئ في الحرب العالمية الثانية، من أجل تدمير أكبر عدد ممكن من بوارج الحلفاء.



انتحاريا كاميكاز يصيبان البارجة يو اس اس بنكر هيل

وهذه المفردة أكثر شيوعاً لدى عامة الناس أما الحكومة اليابانية فلا تستخدمها، بل تستخدم بدلاً منها عبارة الوحدات الهجومية الخاصة أي الوحدات الانتحارية. وتختصر إلى تاكوتاي **tokkotai**. وتشير بشكل خاص إلى الوحدات الجوية الانتحارية التابعة للبحرية اليابانية. وخلال الحرب الثانية شاعت في اليابان مفردة كاميكاز بصورة غير رسمية لتدل على الهجمات الانتحارية، وبعد الحرب انتشر استخدامها في كافة أنحاء العالم.

(١) موسوعة ويكيبيديا الالكترونية **http://en.wikipedia.org/wiki/Kamikaze** .

ومنذ نهاية الحرب استخدمت هذه المفردة لتشير إلى الهجوم الذي يضحي فيه المهاجم بنفسه. ويشمل ذلك مجموعة مختلفة من الهجمات الانتحارية كاستخدام ألمانيا النازية لطائرة Selbstopfer والتفجيرات الانتحارية التي تقوم بها بعض المنظمات الإرهابية حول العالم (مثل هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر). وفي الانجليزية تستخدم المفردة مجازاً لتشير إلى الأعمال غير المميتة التي تؤدي إلى خسارة فادحة للمهاجم كجرحه القاتل أو انتهاء حياته.

يقوم طيارو الكاميكاز بصدم طائراتهم المحملة بالمتفجرات والقنابل والصواريخ وخزانات الوقود المليئة عمداً، بسفن الحلفاء. فيتحول دور الطائرة الاعتيادي لتصبح عبارة عن صاروخ بشري في محاولة يائسة لتحقيق أكبر فائدة ممكنة من حيث الدقة وحجم الحمولة المتفجرة من القنبلة العادية. فهم يعتبرون هدف شل أكبر عدد ممكن من بوارج الحلفاء يعادل كلفة الطائرة وطيارها.

جاءت هذه الهجمات والتي ابتدأت في ت١/ أكتوبر ١٩٤٤م بعد سلسلة من الهزائم العسكرية اليابانية الكبيرة. إن ما دفع اليابان لاستخدام أسلوب الكاميكاز أثناء تقدم قوات الحلفاء نحو الجزر اليابانية هو مزيج من عدة عوامل منها انخفاض قدرتها على شن الحرب مع خسائرها الفادحة بالطيارين المدربين إضافة إلى تدهور قدرتها التصنيعية قياسا بالولايات المتحدة مع رفض الحكومة اليابانية القبول بالاستسلام.

ويعتبر الكاميكاز هو الشكل المعروف والأكثر شهرة للهجمات الانتحارية اليابانية خلال الحرب الثانية. وهو يشبه الهجوم بأسلوب الموجات البشرية الذي استخدمه اليابانيون خلال نفس الحرب لتفادي الاستسلام وكمحاولة أخيرة لزيادة فرص النجاح أمام قوة تفوقهم عدديا. إضافة إلى هذا، استخدم الجيش الياباني أو وضع الخطط لهجمات انتحارية مختلفة بما فيها هجمات انتحارية بالغواصات والطوربيدات البشرية والقوارب السريعة والغواصين.

تمتد جذر تقليد اختيار الانتحار بدلاً من الهزيمة وتحمل العار عميقا في الثقافة العسكرية اليابانية. وعلى سبيل المثال يعتبر الانتحار أحد الأعراف الرئيسة في حياة الساموراي ونظام البوشيدو، وخاصة فيما يتعلق بالولاء والشرف حتى الموت.

وقبل تشكيل وحدات الكاميكاز، جرت حوادث اصطدام عمدي كأسلوب أخير يلجأ إليه الطيار عندما تكون طائرته قد أصيبت بشدة ولا يريد أن يقع أسيرا بيد أعدائه. وحصل هذا من جانب القوات الجوية التابعة للحلفاء وكذلك القوات الجوية التابعة لليابان على حد سواء. ويرى البعض إن هذه الحوادث الانتحارية هي حوادث فردية وقرارات ارتجالية اتخذها رجال كانوا مهيأين عقلياً للموت. ففي معظم هذه الحوادث لا يوجد دليل على أنها تحوي شيئاً أكبر من كونها حوادث تصادم عرضية من النمط الذي يحصل كثيراً في ذروة المعارك البحرية - الجوية. ومثال على ذلك ما حصل في ٧ ك١/ ديسمبر ١٩٤١م خلال الهجوم على بيرل هاربر. فقد أصيبت طائرة الملازم الأول فوساتا إيدا وكان ينقصها الوقود فأضطر لاستخدامها في هجمة انتحارية على قاعدة كانوهي الخاصة بمشاة البحرية الأمريكية (المارينز) في هونولولو. وقد قال لرفاقه قبل إقلاعه إنه لو أصيبت طائرته إصابة قاتلة، فأنه سوف يصدمها بهدف عسكري حيوي للعدو.

وخلال عامي ١٩٤٣م - ١٩٤٤م، كانت القوات الأمريكية تتقدم باطراد نحو اليابان. وأصبحت الطائرات المقاتلة اليابانية أقل عددا وتقنية من الطائرات الأمريكية الحديثة خاصة طائرات **F6F Hellcat** و**F4U Corsair** . وقد أنهك السلاح الجوي-البحري الياباني بعد المعارك الجوية ضد الحلفاء خلال حملات جزر سليمان وغويانا الجديدة. وأخيراً وفي معركة بحر الفيليبين خسرت اليابان أكثر من ٦٠٠ طائرة وطيار وثلاث حاملات طائرات، وهو الحدث الذي يسميه الحلفاء **Great Marianas Turkey Shoot** . فأصبح الطيارون الماهرون قليلي العدد. وجعلت الأمراض

الاستوائية إضافة إلى نقص قطع الغيار والوقود، العمليات العسكرية أكثر صعوبة لليابانيين.

وفي ١٩ حزيران/ يونيو ١٩٤٤م اقتربت طائرات يابانية تحملها حاملة الطائرات Chiyoda من قوة مهام أمريكية. وتشير بعض المصادر إلى قيام طائرتين بتنفيذ هجمتين انتحاريتين ضربت إحداهما البارجة الأمريكية إنديانا.

وفي ١٥ تموز/ يوليو ١٩٤٤م سقطت القاعدة الجوية اليابانية الكبيرة في سايبان بيد قوات الحلفاء. وقد وفّرَ سقوطها قواعد متقدمة مهمة مكنت القوات الجوية الأمريكية من استخدام قاصفات بي ٢٩ البعيدة المدى لضرب الجزر اليابانية.

وبعد سقوط سايبان أدركت القيادة العليا اليابانية أن الحلفاء سيحاولون السيطرة على الفيليبين التي تعتبر مهمة من الناحية الاستراتيجية بسبب موقعها بين الحقول النفطية في جنوب شرق آسيا وبين اليابان.

وفي آب/ أغسطس ١٩٤٤م أعلنت وكالة أنباء دومي Domei اليابانية أن معلم الطيران تاكو تاجاتا يدرب الطيارين في تايوان للقيام بمهام انتحارية.

ويقول مصدر آخر أن أول مهمة انتحارية (كاميكاز) وقعت في ١٣ أيلول/ ستمبر ١٩٤٤م. فقد قررت مجموعة من الطيارين من السرب ٣١ المقاتل في جزر نيجروز شن هجمة انتحارية صبيحة اليوم التالي. اختير الملازم الأول تاكيشي كوساي وأحد العرفاء لتنفيذ إحدى هذه المهام. عبئت المقاتلتان بقنبلتين زنة الواحدة ١٠٠ كغم، وأقلع الطياران قبل الفجر بهدف الارتطام بحاملة طائرات. لم تعد الطائرتان، ولم يسجل أي حادث عن ارتطام طائرة للعدو ببارجة للحلفاء.

وتشير بعض المصادر أنه بتأريخ ١٤ ت١/ أكتوبر ١٩٤٤م أن البارجة الأمريكية رينو قد تعرضت لارتطام عمدي بإحدى الطائرات اليابانية. مع ذلك، لا يوجد أي دليل بأن هذا الارتطام كان عمدياً.

وينسب إلى النقيب ماسافومي أريما آمر السرب الجوي ٢٦ وهو جزء من الأسطول الجوي ١١ ابتكار أسلوب الكاميكاز. وقد قاد أريما شخصياً هجوماً بمائة قاصفة نوع Yokosuka D4Y ضد حاملة الطائرات الأمريكية فرانكلين قرب خليج لايت. وفي ١٥ ت١/ أكتوبر ١٩٤٤م قتل المذكور وأصاب جزء من طائرته الحاملة فرانكلين. وقد استغلت القيادة اليابانية العليا ورجال الدعاية اليابانيين المثل الذي قدمه الطيار أريما، فرُقّي فخريا إلى رتبة أدميرال ومنح رسميا فضل اعتباره قائد أول هجوم كاميكاز. مع ذلك، ليس من المؤكد أن هذا كان هجوما انتحارياً مخططاً له كما إن الرواية اليابانية الرسمية للحادث لا تشبه الأحداث الفعلية.

وفي ١٧ ت١/ أكتوبر ١٩٤٤م، هاجمت قوات الحلفاء جزيرة سلوان في المحيط الهادئ وبدأت بذلك معركة خليج لايت. وكُلِّف الأسطول الجوي الأول التابع للبحرية اليابانية المتمركز في مانيلا بمهمة مساعدة السفن اليابانية التي تحاول تدمير قوات الحلفاء قي خليج لايت. لكن هذا الأسطول لم يكن يمتلك حينها سوى ٤٠ طائرة، منها ٣٤ طائرة مقاتلة ميتسوبيشي زيرو وثلاث قاصفات ناكاجيما وطائرة متسوبيشي G4M وقاصفتين نوع يوكوسوكا مع طائرة استطلاع واحدة. لهذا فالمهمة تبدو مستحيلة أمام القوات الجوية اليابانية. قرر آمر الأسطول الجوي الأول وكيل الأدميرال أونيشي تشكيل قوة هجومية انتحارية أسماها وحدة الهجوم الخاصة. وفي اجتماع في قاعدة مابلاكات الجوية (يسميها الأمريكيون قاعدة كلارك الجوية) قرب مانيلا في ١٩ ت١/ أكتوبر، أبلغ أونيشي ضباط مقر الفيلق الجوي الـ ٢٠١ ما يلي: "لا أعتقد أن هناك طريقة معينة لتنفيذ عملية السيطرة على الفيليبين غير وضع قنبلة زنة ٢٥٠ كغم على طائرة زيرو والاصطدام بها على حاملة الطائرات الأمريكية من أجل تعطيلها لأسبوع واحد"(١).

(1) Bill Coombes, Divine Wind, The Japanese Secret Weapon, Kamikaze Suicide Attacks, The Confederate Air Force and Bill Coombes, The Dispatch Magazine, Volume 20, No. 1, Spring 1995.

وحدة الكاميكاز الأولى :

طلب الآمر أسايكي تاماي من مجموعة من ٢٣ تلميذ طيار كان قد دربهم سابقا من أجل التطوع في قوة المهمات الخاصة. رفع جميع الطيارين أيديهم فتطوعوا جميعا لتنفيذ العملية. طلب تاماي فيما بعد من الملازم الأول يوكيو سيكي قيادة هذه القوة. ويقال أن سيكي أغمض عينيه وطأطأ رأسه وفكر لعشر ثوان ثم قال: "أرجو تكليفي بأداء المهمة". وبهذا أصبح سيكي الطيار الـ٢٤ الذي يتم اختياره. مع ذلك كتب سيكي فيما بعد قائلاً: "إن مستقبل اليابان مظلم لو كانت مضطرة لقتل أحد أفضل طياريها. لست ذاهبا في هذه المهمة من أجل الإمبراطور أو من أجل الإمبراطورية.. إني ذاهب إليها لأني أمرت بذلك". وخلال طيرانه سمعه آمره يقول: "الأفضل أن أموت بدلاً من أن أعيش جباناً".

كانت أول بارجة للحلفاء طالتها هجمات الكاميكاز هي البارجة Australia Hmas وجاء ذلك يوم ٢١ ت١/ أكتوبر ١٩٤٤م. ويبدو أن هذا الهجوم قد نفذه بشكل متزامن طيار غير معروف لا ينتسب لوحدة المهمات الخاصة التابعة لأونيشي. وظهر أنه من طياري اللواء السادس التابع لسلاح الجو الياباني وقد نفذه بطائرة ميتسوبيشي Ki-51. حصل الهجوم بالقرب من جزيرة لايت، وأطلق رماة البارجة Hmas Australia وزميلتها البارجة Hmas shropshire النار وأصابوا ثلاث طائرات يابانية. ابتعدت إحداها عن البوارج ثم استدارت واتجهت نحو البارجة Hmas Australia وضربت الهيكل في أعلى مقصورة القيادة فنثرت الوقود المشتعل والحطام على مساحة واسعة. نتج عن ذلك مقتل ٣٠ من طاقم البارجة بما فيهم ربانها القبطان إيميلي ديشانو. وكان من بين الجرحى الكومودور جون كولينز، آمر القوة الأسترالية. ولم تنفجر قنبلة كانت تحملها الطائرة زنتها ٢٠٠ كغم، وهذا ما قلل الأضرار التي أصابت البارجة كثيرا.

وفي ٢٤ ت١/ أكتوبر أغرقت البارجة سونوما (١١٢٠ طن) في خليج لايت لتكون أول بارجة تغرق بسبب هجمة كاميكاز.

ضُربت البارجة Hmas Australia ثانية في ٢٥ أكتوبر واضطروا لنقلها لجزيرة فانوتو لإصلاحها. وفي نفس اليوم نفذت قوة المهام الخاصة الكاميكاز أول مهمة لها. فقد إنطلقت خمس طائرات زيرو بأمرة سيكي ورافقها الطيار المخضرم هيرويوشي نيشيزاوا وهاجمت خمس ناقلات بحرية. حاولت إحداها ضرب برج البارجة Kitkun Bay لكنها انفجرت قبل أن تصل ووقعت في البحر. واثنان أسقطتهما نيران مقاومة الطائرات في البارجة Fanshaw Bay. والطائرتان الأخيرتان اتجهتا نحو البارجة White Plains ، ونتيجة للرمي الكثيف والدخان غيرت إحداها اتجاهها وسارت نحو البارجة St. Lo وارتطمت برصيف الطيران. أدت القنبلة التي تحملها إلى اشتعال النيران في مستودع العتاد وغرقت الناقلة.

وفي نهاية يوم ٢٦ أكتوبر، دمر ٥٥ طيارا من الكاميكاز سبع حاملات و٤٠ سفينة أخرى.

وخلال الفترة من٥ إلى ٩ يناير، تعرضت البارجة Hmas Australia خمس مرات لهجمات الكاميكاز وسبب لها ذلك خسائر فادحة أدت مرة أخرى إلى سحبها من الميدان. خسرت البارجة ٧٠ من طاقمها. وعانت بوارج أخرى للحلفاء من هجمات متكررة منها البارجة فرانكلين ويو أس أس إنتيربيد.

وبعد تحقيق اليابانيين لهذه النجاحات كإغراق البارجة St. Lo، قاموا بتوسيع برنامج الهجمات الانتحارية، وخلال الأشهر القليلة التالية، نفذت ٢٠٠٠ طائرة مثل هذه الهجمات.

وعندما بدأت اليابان تخضع للقصف المكثف بواسطة قاصفات B-29 ، حاول الجيش الياباني استخدام الهجمات الانتحارية لإحباط هذا الخطر. وخلال شتاء ١٩٤٤م - ١٩٤٥م شكّل سلاح الجو الياباني الكتيبة ٤٧ الجوية والتي تعرف باسم وحدة شنتن Shinten الخاصة في قاعدة ناريماسو الجوية بالقرب من طوكيو للدفاع عن العاصمة. زودت الوحدة بمقاتلات Nakajima Ki-44 أو مقاتلات توجو وواجبها الاصطدام بقاصفات B-29 الأمريكية. ورغم ذلك، أثبت هذا الأسلوب أنه أقل نجاحا وعملية من الهجمات الانتحارية على البوارج، لأن الطائرة هدف أصغر من البارجة وأكثر قدرة على المناورة وأكبر سرعة. كما إن قاصفات B-29 تمتلك أسلحة دفاعية فعالة، بحيث يتطلب أي هجوم انتحاري ناجح ضدها مهارة قيادية فائقة.

وفي مطلع ١٩٤٥م، طور ضابط العمليات الجوية التابع للبحرية الأمريكية جون ثاك استراتيجية مضادة لهجمات الكاميكاز تسمى الغطاء الواسع Big Blue Blanket . وتتضمن هذه الخطة القيام بدوريات جوية على مدار الساعة فوق أساطيل الحلفاء البحرية. لكن البحرية الأمريكية قد قلصت من برامج تدريب طياري المقاتلات، لذلك لم يتوفر العدد الكافي من طياري البحرية لمواجهة خطر الكاميكاز.

واقترح ثاك أيضاً القيام بدوريات قتالية جوية من حاملات الطائرات أكثر مما كان سابقاً، ثم ضرب القواعد الجوية اليابانية وقصف مدارج الطائرات بين آونة وأخرى للحيلولة دون تصليحها ووضع مفارز متقدمة على مسافة ٨٠ كم من الجزء الرئيس من الأسطول من أجل الكشف الراداري وتطوير التنسيق بين ضباط توجيه المقاتلات من على حاملات الطائرات.

وفي أواخر ١٩٤٤م استخدم أسطول المحيط الهادي البريطاني نيران الغواصات للدفاع الجوي. وقد قاومت هذه النيران بفاعلية هجمات الكاميكاز خلال إنزال إيوو جيما Iwo Jima . وجاء أفضل أداء لها بتأريخ ١٥ آب/ أغسطس ١٩٤٥م عندما أسقطت ٨ طائرات مهاجمة بينما خسرت واحدة.

وعندما اقتربت الحرب من نهايتها، لم يعانِ الحلفاء من خسائر كبيرة نتيجة هذه الهجمات رغم ازدياد سفنهم وتعرضها لهجوم مكثف. وقد جعل التدريب السيئ لطياري الكاميكاز منهم أهدافاً سهلة لطياري الحلفاء الأكثر خبرة وتجربة ويقودون طائرات أكثر تطوراً. إضافة إلى ذلك أشركت قوة المهام الأمريكية أكثر من ١٠٠٠ طائرة في القتال. وأصبح طيارو الحلفاء أكثر مهارة في تدمير طائرات العدو قبل ارتطامها ببوارجهم. كما طورت الطواقم البحرية التابعة للحلفاء أساليب لإجهاض هجمات الكاميكاز مثل إطلاق نيران مدافعهم عالية العيار أمام الطائرات المهاجمة التي تطير على مستوى البحر من أجل خلق جدران من المياه يمكن أن تغرق الطائرات المهاجمة. ورغم إن هذه الأساليب لا تستخدم ضد طائرات Okhas والهجمات السريعة الشديدة الانحدار، لكن هذه كانت عرضة أكثر لنيران مقاومة الطائرات. وفي ١٩٤٥م تم إنتاج كميات كبيرة من القنابل المضادة للطائرات التي تستخدم الترددات الراديوية، وهذه أكثر دقة من القنابل العادية بسبع مرات.

جاءت ذروة هجمات الكاميكاز خلال الفترة من نيسان/ أبريل إلى حزيران/ يونيو ١٩٤٥م في معركة أوكيناوا Okinawa. ففي ٦ نيسان/ أبريل قامت موجات من الطائرات بمئات الهجمات خلال عملية كيكوسوي Kikusui. تركزت هجمات الكاميكاز في أوكيناوا على مدمرات الحلفاء (سفن صغيرة) ثم بعدها على الحاملات في وسط الأسطول. وقد أدت الهجمات الانتحارية بالطائرات أو القوارب في أوكيناوا إلى إغراق أو تعطيل ما لا يقل عن ٣٠ بارجة حربية أمريكية وحوالي ٣ سفن تجارية

وأخرى تابعة لقوات الحلفاء. استهلكت هذه الهجمات ١٤٦٥ من الطائرات اليابانية. وقد دمرت العديد من البوارج من مختلف الأصناف ولكن لم تصب أي حاملة طائرات أو طراد أو طوافة. ومعظم السفن المدمرة هي مدمرات أو مراكب صغيرة خاصة تلك التي تقوم بواجب الخفارة.

وفي نهاية الحرب فقدت القوة البحرية اليابانية ٢٥٢٥ طيار كاميكاز وفقدت القوة الجوية اليابانية ١٣٨٧ طياراً.

بينما يعتبر عدد السفن التي أغرقت بهذه الهجمات الانتحارية محل خلاف. فتقول الدعاية اليابانية وقت الحرب أن هذه الهجمات أغرقت ٨١ سفينة ودمرت ١٩٥ أخرى وأنها كانت السبب في ٨٠٪ من الخسائر الأمريكية خلال المرحلة الأخيرة من الحرب في المحيط الهادئ. ويقول المؤرخون ويموت وجروس وفسينجر في كتابهم الحرب العالمية الثانية الصادر في ٢٠٠٤م أن عدد السفن التي أغرقت أو دمرت بفعل هجمات الكاميكاز أكثر من ٧٠ سفينة. وتعطي المصادر الرسمية الأمريكية عدداً أقل من ذلك بكثير. فيذكر الموقع الألكتروني لسلاح الجو الأمريكي ما يلي:

"أغرق حوالي ٢٨٠٠ من طياري الكاميكاز ٣٤ سفينة وأصابوا ٣٦٨ أخرى وقتلوا ٤٩٠٠ بحارا وجرحوا ٤٨٠٠. ورغم الكشف الراداري والإنذار والاعتراض الجوي وسلاح مقاومة الطائرات، تمكن ١٤٪ من طياري الكاميكاز من تسجيل إصابات على السفن المستهدفة، وغرقت حوالي ٥:٨ ٪ منها".

ويقول الصحفيان الأستراليان دنس وبيجي وارن بكتابهما The Sacred Warriors الذي أصدراه بالاشتراك مع المؤرخ الياباني سينو ساداو أن العدد الإجمالي للسفن التي أغرقها الكاميكاز بلغ ٥٧. مع ذلك، يذكر بيل جوردون المتخصص بالكاميكاز في مقال له في ٢٠٠٧م أن السفن التي أغرقها الكاميكاز بلغت ٤٩

سفينة. ويقول أن الصحفيين الأستراليين أدخلا بالعدد الكلي ثمان سفن لم تكن قد غرقت[1].

معركة سايبان[2]

حصلت هذه المعركة خلال الفترة من ١٥ حزيران/ يونيو إلى ٩ تموز/ يوليو ضمن حملة المحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية على جزيرة سايبان التي تعتبر إحدى جزر ماريانا. غادر أسطول الحملة ميناء بيرل هاربر في ٥ يونيو ١٩٤٤م في نفس اليوم الذي شن فيه الحلفاء العملية الكبرى، غزو النرمندي. يعتبر إنزال النرمندي أكبر إنزال برمائي بينما أستخدم في غزو ماريانا أكبر أسطول بحري. وقد هزمت فرقتا مشاة البحرية الثانية والرابعة وفرقة المشاة السابعة والعشرون الأمريكية والتي يقودها الجنرال هولاند سميث، الفرقة الثالثة والأربعين التابعة للجيش الياباني التي يقودها الجنرال يوشيتسوجو سايتو Yoshitsugu Saito. ويعتبر هذا النصر أكبر الانتصارات الأمريكية تكلفة في حرب المحيط الهادئ. فقد قتل من الأمريكيين ٢٩٤٩ وجرح ١٠٣٦٤ من مجموع ٧١٠٠٠ جندي تم إنزالهم في الجزيرة.

استولى الحلفاء خلال حملات ١٩٤٣م والنصف الأول من ١٩٤٤م على جزر سليمان وجلبرت ومارشال وشبه جزيرة بابوان وغويانا الجديدة. وقد وضع هذا الحلفاء مباشرة أمام الخط الدفاعي الياباني في المحيط الهادئ حيث يتمركز اليابانيون في جزر كارولين وبالاو وماريانا.

شن الحلفاء حملتين لاختراق هذا الخط. فقد تقدم دوجلاس ماك آرثر الذي يرأس قيادة منطقة جنوب غرب المحيط الهادي عبر جويانا الجديدة وموروتاي نحو

(1) Ohnuki-Tierney, Emiko, Kamikaze Diaries: Reflections of Japanese Student, Student Soldiers, University of Chicago Press, 2006.
(2) Goldberg, Harold J., D-Day in the Pacific: The Battle of saipan, Indiana University Press, 2007.

جزر الفيليبين. وهاجم تشيستر نيميتز الذي يرأس قيادة مناطق المحيط الهادي جزر ماريانا. وجاء اختيار ماريانا كهدف بفعل دخول القاصفات بعيدة المدى B-29 Superfortress . فإذا ما وقعت جزر ماريانا بأيدي الحلفاء، حينها ستكون طوكيو ضمن مديات هذه القاصفات والبالغة ٢٤٠٠ كم.

كان اليابانيون يتوقعون هجوما في مكان ما على خطوطهم الدفاعية، ويتوقعون أن الاحتمال الأكبر للهجوم سيكون على جزر كارولين. ومن أجل تعزيز وتجهيز حامياتهم هناك فأنهم يحتاجون لتفوق جوي وبحري، لهذا أعدوا في حزيران/ يونيو ١٩٤٤م عملية A-Go والتي تقضي بشن هجوم كبير على حاملات الطائرات.

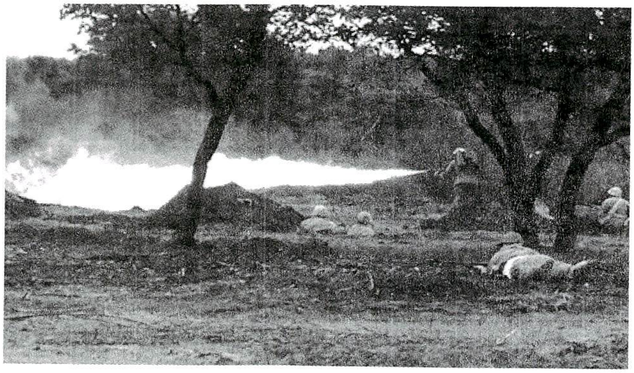
بدأ الحلفاء بقصف سايبان في ١٣ حزيران/ يونيو ١٩٤٤م. اشتركت بالقصف ١٥ بارجة حربية أطلقت ١٦٥٠٠٠ قنبلة. وأطلقت سبع بوارج سريعة حديثة ٢٤٠٠ قنبلة عيار ١٦ إنجا، لكن القصف كان من مسافة بعيدة تصل إلى ١٠٠٠٠ ياردة أو أكثر لتجنب حقول الألغام وكانت تعوز طواقمها الخبرة في مجال قصف السواحل. وفي اليوم التالي حلت ثمان بوارج، كانت في ميناء بيرل هاربر عند قصفه، وأحد عشر طراداً بأمرة الأدميرال جيس أولدندورف، محل البوارج السريعة، ولكن كانت تعوزها الذخيرة.

بدأ الإنزال على سواحل جزيرة سايبان عند الساعة السابعة من صباح يوم ١٥ حزيران/ يونيو ١٩٤٤م. فقد أنزلت بحدود الساعة التاسعة ٣٠٠ مركبة برمائية ٨٠٠٠ من جنود مشاة البحرية الأمريكية على الساحل الغربي من الجزيرة. غطت إحدى عشر سفينة إسناد عملية الإنزال هذه. وقد مكنت الاستعدادات الدقيقة لليابانيين - بوضعهم أعلاماً في الخليج لتحديد المديات - مكنتهم من تدمير ٢٠ برمائية أمريكية، كما إنهم وضعوا أسلاكاً شائكة ومدفعية ومدافع رشاشة وحفروا الخنادق من أجل زيادة خسائر الأمريكيين. مع ذلك، ومع هبوط الليل تمكنت

الفرقتان الثانية والرابعة لمشاة البحرية الأمريكية من تكوين رأس جسر عرضه ٦ أميال وعمقه ½ ميل. شن اليابانيون هجومهم المضاد ليلاً، لكنهم صدوا بخسائر فادحة. وفي ١٦ حزيران/ يونيو نزلت وحدات من فرقة المشاة السابعة والعشرين على الساحل وتقدمت نحو مطار أسليتو Aslito . ثم شن اليابانيون ثانية هجوماً مضاداً ليلاً. وفي ١٨ حزيران تخلى سايتو عن المطار.

لقد فاجأ هذا الغزو اليابانيين الذين كانوا يتوقعون أن يكون الهجوم من جهة الجنوب. ورأى الأدميرال تويودا سومو رئيس أركان البحرية اليابانية الفرصة سانحة لاستخدام القوة المخصصة لعملية A-Go لمهاجمة القوات البحرية الأمريكية المنتشرة حول جزيرة سايبان. وفي ١٥ حزيران/ يونيو أعطى الأوامر بشن الهجوم. ولكن النتيجة كانت كارثة على البحرية اليابانية وعرفت المعركة باسم معركة بحر الفيليبين حيث خسر اليابانيون ثلاث حاملات طائرات ومئات من الطائرات. وأصبح لا أمل للحاميات اليابانية في جزر ماريانا في وصول تعزيزات أو تجهيزات لها.

ودون وصول أي تجهيزات، تعتبر معركة سايبان معركة خاسرة للمدافعين، لكن اليابانيين قرروا القتال حتى آخر رجـل منهم. نظم سايتو قواته في خط دفاعي داخل المنطقة الجبلية الحصينة في وسط سايبان والتي تعرف باسم جبال تابوتشاو. وتشير الأسماء التي أطلقها الأمريكيون على أرض المعركة إلى حجم ضراوة القتال، فكانوا يسمونها "جيب الجحيم Hell's Pocket" أو "وادي الموت Death Valley" أو "سلس له القلب الأرجواني Purple Heart Ridge". وقد استخدم اليابانيون الكهوف العديدة في هذه الجبال البركانية لتأخير تقدم المهاجمين وذلك من خلال الاختباء أثناء النهار وشن الغارات في الليل. طوّر الأمريكيون أساليبهم القتالية وبدأوا بتطهير هذه الكهوف باستخدام فرق قاذفات اللهب التي تسندها المدفعية والمدافع الرشاشة.



قاذفات اللهب



الكهوف التي يختبئ بها اليابانيون في سايبان

وقد تخلل العملية جدال داخلي عندما أزاح جنرال مشاة البحرية هولاند سميث الذي يلقب بالمجنون المولول **Howling mad** قائد فرقة المشاة السابعة والعشرين الجنرال رالف سميث بسبب عدم اقتناع الأول بأداء الفرقة الأخيرة.

وفي ٧ تموز/ يوليو، لم يكن أمام اليابانيين مكاناً آخر يمكنهم التراجع نحوه. وضع سايتو خططا لشن هجوم انتحاري أخير بأسلوب الموجات البشرية. يقول

سايتو عن مصير المدنيين اليابانيين المتواجدين على أرض الجزيرة: "لم يعد هناك أي فرق بين المدنيين والعسكريين. من الأفضل لهم الالتحاق بالهجوم بدلا من أن يؤخذوا أسرى". وعند الفجر، شنت القوات الباقية السليمة (حوالي ٣٠٠٠ رجل) وفي طليعتها مفرزة تحمل علماً أحمراً كبيراً، آخر هجوم لها. ومن الغريب أنه كان يسير خلفهم الجرحى بعكازات ورؤوسهم مضمدة ودون سلاح تقريباً. شن اليابانيون هجومهم على فوجين أمريكيين وقتلوا وجرحوا ٦٥٠ رجلاً منهما. ثم تم عزل الجنرال سايتو في كهف بائس في وادي الفردوس شمال تاناباك. كان هذا الوادي يتعرض باستمرار لضربات المدفعية الأمريكية ونيران البحرية، فتشتت قواته ولم يبق منها غير بقايا بسيطة. وكان سايتو نفسه مريضاً وجائعاً وجريحاً. وبعد إن أعطى آخر أوامره لشن هجوم انتحاري، قرر الانتحار بطريقة الهارا- كيري في كهفه، وكان ذلك في الساعة العاشرة من صباح يوم ٦ تموز. وبحدود الساعة الرابعة والربع من عصر يوم ٩ تموز/ يوليو أعلن الأدميرال تيرنر أنه تمت السيطرة رسمياً على الجزيرة. انتحر مع سايتو إثنان من قواده هما هيراكوشي وإيجيتا. وفي نهاية المعركة، انتحر نائب الأدميرال تشوتشي ناجومو وهو القائد البحري الذي قاد الحاملات اليابانية خلال هجوم بيرل هاربر ومدوي والذي نزل في جزيرة سايبان لإسناد الدفاعات البرية.

انتحر أيضا في الأيام الأخيرة من المعركة مئات من المدنيين اليابانيين، بعضهم قفز من ارتفاعات جبلية حادة وبعضهم في هجوم انتحاري. ولم تفلح الجهود الأمريكية بإقناعهم بالاستسلام بدلا من الانتحار.

يقول نقيب المارينز الاحتياط جون شابن في مذكراته عن الحرب الثانية:

"وفي ٩ تموز اليوم ٢٤ من الحملة، حصلت آخر دراما للرعب. كان المقدم تشامبرز يراقب بدهشة. ففي هذا اليوم وبينما كنا نتقدم على امتداد سلسلة الجبال

والكهوف، كنا نرى المدنيين في كل الوقت. الجنود اليابانيون لا يستسلمون ولا يتركون أحداً من المدنيين يستسلم. وقد رأيت بأم عيني نساءاً بعضهن يحملن أطفالاً وهن يخرجن من الكهوف ويتقدمن باتجاهنا. ورأيت أبناء جلدتهن يطلقون النار عليهن. ورأيت عدداً من النساء يحملن أطفالهن ويلقين بأنفسهن من أعلى المنحدرات الجبلية نحو مياه المحيط. وكانت هذه المنحدرات شاهقة الارتفاع وشديدة الانحدار. فالنساء يرمين أطفالهن في مياه المحيط، ثم يقفزن وراءهم وينتحرن. شاهدت جماعة من على مسافة ١٠٠ ياردة مكونة من ثمانية إلى عشرة رجال مدنيين ومعهم نساء وأطفال فيجتمعون في مؤتمر صغير ثم يفجرون أنفسهم. إنه شيء مروع ومحزن".

وشهد الملازم سكوت من نفس الفرقة مناظر أخرى لا تصدق عن تدمير الذات فيقول:

"استدعى المترجمون وأخذوا يتوسلون بالمدنيين بواسطة مكبرات الصوت للقدوم والاستسلام إلى قوات الحلفاء. لم تحصل أي بادرة منهم بهذا الاتجاه. وشاهدت الناس يجتمعون مع بعضهم بتقارب متراص. كان معظمهم من المدنيين ولكن يشاهد بعض الأشخاص الذين يرتدون الزي العسكري يدورون حولهم. وكلما اقتربوا من بعضهم أكثر، نسمعهم يطلقون أصوات أناشيد غريبة. وفجأة يرتفع فوقهم مرفرفاً علم الشمس المشرقة. ثم تصبح الحركة أكثر نشاطاً، فيبدأ الرجال بالقفز نحو البحر، ويأخذ الصراخ يرتفع وسط أصوات الأناشيد، ثم ترتفع معها أصوات انفجارات القنابل اليدوية التي تلقيها زمرة من الجنود الذين قرروا منع مواطنيهم من الاستسلام أو الهرب. وكانوا يلقون هذه القنابل وسط حشد الرجال والنساء والأطفال ثم يلقون بأنفسهم في البحر الذي يعتبر الفرار منه أمراً مستحيلاً.

تقطع هذه القنابل أوصال الناس إرباً فتتركهم قتلى أو جرحى، ولأول مرة أرى مياه البحر وقد اصطبغت باللون الأحمر من دماء البشر.

صورت ماكنة الدعاية اليابانية في اليابان، الأمريكيين والبريطانيين بأنهم شياطين يعاملون أسرى الحرب بوحشية، وهذا ما حال دون استسلامهم. يقول ريتشارد ألدريك الذي نشر دراسة عن مذكرات الجنود الأمريكيين والأستراليين في صحيفة الديلي تلغراف بتاريخ ٦/ ٨/ ٢٠٠٥م أن جنود الحلفاء في المحيط الهادئ كانوا يقتلون بتعمد أي جندي ياباني يستسلم لهم، وأحياناً كانوا يقتلون أسرى الحرب. ويقول داور في كتابه حرب بلا رحمة الذي نشر في ١٩٨٦م في صفحة ٦٩: "في الكثير من الأحوال كان الجنود اليابانيون الذين يقعون في الأسر يقتلون في الموقع أو وهم في طريقهم إلى معسكرات الأسر". ويقول ألدريك أن عدم أخذ الأسرى يعتبر ممارسة عامة لدى القوات الأمريكية. وأكد ذلك أيضاً المؤرخ البريطاني نيل فرجسون في كتابه الحرب في التأريخ صفحة ١٤٨-١٩٢ حيث يقول: "ذكر تقرير استخباري أمريكي أنه لا شيء يغري الجنود الأمريكيين بعدم قتل اليابانيين الذين يستسلمون غير وعد بإعطائهم مرطبات مثلجة (أيس كريم) وإجازة ثلاثة أيام". ويقول أن هذه الممارسات قد لعبت دوراً كبيراً في جعل نسبة الأسرى اليابانيين إلى القتلى ١ إلى ١٠٠ في أواخر ١٩٤٤م. وقد بذلت القيادة العليا للحلفاء جهوداً حثيثة للقضاء على التوجه الذي يقول "لا تأخذوا أسرى". ويقول فرجسون: "ليس الخشية من العار أو الأعمال الضبطية هي التي منعت الألمان والجنود اليابانيين من الاستسلام، بل الأهم من ذلك أن الذي منعهم من الاستسلام هو قناعتهم بأنهم سيقتلون بكل الأحوال، لذلك على المرء أن يواصل القتال حتى النهاية". وما أشاع الرعب أيضاً في أوساط اليابانيين هو الممارسات التي قام بها بعض الجنود الأمريكيين على جثث القتلى اليابانيين فيقول شافير جولام Xavier Guillaume: "لقد دنس الجنود الأمريكيون

الكثير من جثث القتلى اليابانيين، فهم إما يبولون أو يطلقون النار عليها أو يقطعون بعض أجزائها كالأذان أو حتى الرأس ليأخذونها كتذكارات عن الحرب. وكانت ممارسة قطع أجزاء الجسم شائعة على نطاق واسع بحيث كثيرا ما تناولتها الصحافة الأمريكي واليابانية وقت الحرب. وعندما أعيدت جثامين اليابانيين في جزر ماريانا بعد الحرب، وجد أن ٦٠٪ منها ليس لها رؤوس. ويقول بيتر شرايفرز Peter Schrijvers بكتابه الحرب ضد اليابان: "يقال أن بعض الجنود الأمريكيين قد اغتصبوا بعض النسوة خلال معركة جزيرة أوكيناوا في ١٩٤٥م. ويذكر أن أحد المؤرخين من أهل الجزيرة يقدر عدد المغتصبات بأكثر من ١٠٠٠٠ امرأة، وسجلت ١٣٣٦ حالة اغتصاب خلال الأيام العشرة الأولى من احتلال الجزيرة. ويقول إيجي تاكيماي وورورت ريكتس وسباستيان سوان بكتابهم احتلال الحلفاء لليابان في صفحة ٦٧: "عندما هبط المظليون الأمريكيون في مدينة سابورو Sapporo، حصلت موجة من أعمال السلب والعنف الجنسي وعربدة وسكر. ولم يكن الاغتصاب الجماعي أو الاعتداءات الجنسية الأخرى بعيدة عن الوضع. وقد انتحرت بعض ضحايا الاغتصاب". وهذا جانب من الأسباب التي دفعت هؤلاء اليابانيين إلى الانتحار.

لهذا لا غرابة إن مات في هذه المعركة ٢٣٨١١ ياباني، مع آلاف غير معدودة أحرقتهم نيران قاذفات اللهب في الكهوف وتفحموا هناك إلى الأبد. وأخذ ٧٣٦ أسيراً فقط منهم ٤٣٨ من الكوريين. وتقول بعض المصادر أن خسائر اليابانيين بلغت ٢٤٠٠٠ قتيلاً و٣٦١٢ مفقوداً و١٧٨٠ أسيراً. وبالنسبة للأمريكيين يعتبر هذا النصر أكثر انتصاراتهم تكلفة. فتقول بعض المصادر أنهم خسروا ٣٢٢٥ قتيلاً و١٣٠٦١ جريحاً و٣٢٦ مفقوداً[1].

(1) Philip A. Crowl, US Army in World War II, The War in the Pacific, Campaign in the Marianas, Chapter V- Invasion, Indiana University Press, 1973, p. 74.

وقد تمكن جندي أول أمريكي يدعى جي جابالدن Guy Gabaldon من أسر ١٠٠٠ ياباني خلال المعركة. والجندي هو أمريكي من أصل مكسيكي من لوس أنجلس بكاليفورنيا نشأ في أحضان أسرة أمريكية من أصل ياباني وقد استخدم مزيجاً من اللغة اليابانية والمكر لإقناع الجنود والمدنيين بأن الجنود الأمريكيين ليسوا برابرة وأنهم سيعاملونهم بإحسان فيها لو استسلموا. ولشجاعته العالية، تم منحه وسام النجمة الفضية ثم منح وسام صليب البحرية. وجرت جهود لمنحه وسام الشرف، وهو أعلى وسام عسكري، لكنه توفي في ٢٠٠٦م.

ونتيجة لهذه الهزيمة أقيل رئيس الوزراء الياباني هايديكي توجو وأزيح من منصبه كقائد للجيش ثم في ١٨ تموز/ يوليو ١٩٤٤م استقال مجلس وزرائه بالكامل.

وأصبحت جزيرة سايبان بعد المعركة قاعدة حيوية لشن عمليات أخرى في جزر ماريانا، وفي ت١/ أكتوبر ١٩٤٤م بدأ غزو الفيليبين حيث أخذت القاصفات المتمركزة في سايبان بمهاجمة الفيليبين واليابان وجزر ريوكيو(١).

(1) Captain John C. Chapin, US Marine Corps Reserve, Marines in World War II Commemoratives Series, Marine Corps Historical Center, Washington, 1994.



جندي المارينز جابالدن (على اليمين) وهو يقود أحد الأسرى اليابانيين خلال معركة سايبان.

وبعد استسلام اليابان في ١٠ آب/ أغسطس ١٩٤٥م، ظل نقيب ياباني يدعى ساكي أوبا مع ٤٦ من رجاله متحصنين في غابات الجزيرة ويشنون غارات بين الفينة والأخرى على الدوريات الأمريكية فيها. وبعد ثلاثة أشهر، استسلم للقوات الأمريكية بعد إن أمره قائده الأعلى. وتعتبر تلك الوحدة آخر وحدة يابانية نظامية تستسلم للحلفاء.

الفصل العاشر

انتحار النسوة الألمانيات في برلين وقرية دمين



نساء من قرية دمين الألمانية

خلاصة

في ١٩٤٥م انتحرت ١٠.٠٠٠ سيدة ألمانية في برلين وحدها بعد تعرض النساء الألمانيات للاغتصاب على يد جنود الجيش الأحمر السوفيتي. وتسجل مستشفيات برلين رقم ١٠٠.٠٠٠ سيدة تعرضت للاغتصاب. وبلغ عدد النساء الألمانيات اللواتي اغتصبن من جنود الجيش الأحمر السوفيتي في عموم الأراضي الألمانية ما لا يقل عن مليوني سيدة وتعرض الكثير منهن للاغتصاب الجماعي. وفي نيسان ومايس ١٩٤٥م، وخلال الحرب العالمية الثانية، انتحرت ٩٠٠ سيدة من نساء قرية دمين في ألمانيا، لتفادي اغتصاب و بطش الجيش الأحمر الزاحف باتجاه القرية[١].

الظروف التاريخية :

تعتبر الجبهة الشرقية في الحرب العالمية الثانية من أكبر مسارح الحرب في التأريخ وتميزت بعنفها وضراوتها غير المسبوقة وبالتدمير والقتل الواسع النطاق. فقد قتل على هذه الجبهة من الرجال أكثر من أي جبهة أخرى في هذه الحرب. فقد قتل فيها أكثر من ٣٠ مليون إنسان، الكثير منهم من المدنيين. وقد سميت هذه الجبهة حرب الإبادة. وقد أدت إلى تدمير الرايخ الثالث وتقسيم ألمانيا وظهور الاتحاد السوفيتي كقوة عسكرية وصناعية عظمى.

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الالكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Demmin وكذلك دراسة منشورة على موقع Mailonline بعنوان Stalin's army of rapists: The brutal war crime that Russia and Germany tried to ignore, Andrew Roberts, 24 Oct 2008, http://www.dailymail.co.uk/news/article-1080493/Stalins-army-rapists-The-brutal-war-crime-Russia-Germany-tried-ignore.html

ولغرض فهم ما حصل في مقاطعة دمين، سنتناول في هذا الفصل ما هي القوى المتحاربة ثم ما هي أيديولوجيتها ونتائج ذلك ثم نتناول الهجوم السوفيتي على ألمانيا في الربع الأول من عام ١٩٤٥م الذي قاد إلى حصول عملية الانتحار الجماعي هذه ونتحدث عن الفظاعات التي ارتكبها الجيش الأحمر والتي فضّل المنتحرون الموت على معاناة أهوالها.

القوى المتحاربة

دارت هذه الحرب بين الرايخ الألماني وحلفائه وعدد من المتطوعين المؤيدين للنازية من البلدان المحتلة من جهة، وبين الاتحاد السوفيتي وحلفائه من دول الكومنويلث البريطاني وفرنسا والولايات المتحدة. بدأ الصراع على الجبهة الشرقية في ٢٢ حزيران ١٩٤١م مع بداية عملية بارباروسا حيث عبرت قوات المحور الحدود السوفيتية التي حددتها معاهدة عدم الاعتداء السوفيتية - الألمانية وبذلك تكون هذه القوات قد غزت الاتحاد السوفيتي. انتهت الحرب في ٩ مارس/ أيار ١٩٤٥م عندما استسلمت القوات المسلحة الألمانية دون شروط في أعقاب عملية الهجوم على برلين وهي عملية عسكرية قام بها الجيش الأحمر أو الجيش الشيوعي وتعرف أيضا باسم معركة برلين. والدول التي قدمت الدعم إلى المجهود الحربي الألماني هي دول المحور والتي تضم إيطاليا ورومانيا وهنغاريا وسلوفاكيا وكرواتيا المؤيدة للنازية. وانضمت إلى جانبها فنلندا المناوئة للسوفيت والتي قاتلت الاتحاد السوفيتي مرتين. وكان يساعد الجيش الألماني (Wehrmacht) الأفراد المناهضون للشيوعية في أماكن مثل غرب أوكرانيا ودول البلطيق وتتر القرم. وأبرز التشكيلات العسكرية المتطوعة بجانب الألمان هي الفرقة الأسبانية الزرقاء التي أرسلها الدكتاتور الأسباني فرانسيسكو فرانكو ليحافظ على علاقاته القوية مع دول المحور.

وفي المقابل قدم الدعم إلى الاتحاد السوفيتي الأفراد المناهضون للنازية في الدول المحتلة من الألمان في شرق أوربا خاصة في سلوفاكيا وبولندا ومملكة يوغسلافيا. إضافة إلى ذلك تم تدريب وتسليح القوات المسلحة البولندية خاصة الجيش الأول والثاني والتي ستقاتل في الآخر إلى جانب الجيش الأحمر. وساهمت قوات فرنسا الحرة أيضاً في دعم الجيش الأحمر من خلال إرسال الفرقة المقاتلة الثالثة GC3 تنفيذا لالتزام شارل ديغول زعيم فرنسا الحرة الذي كان يعتقد أن من المهم للجنود الفرنسيين أن يخدموا على كل الجبهات. وقدمت القوات البريطانية وقوات دول الكومنويلث الدعم المباشر للسوفيت على الجبهة الشرقية من خلال توفير الحماية وتدريب طياري الجيش الأحمر إضافة إلى تقديم الدعم الاستخباري واللوجستي. وآخر دعم مادي جاء من الولايات المتحدة وكندا من خلال برنامج الإعارة والإيجار Lend – Lease Program الذي لعب دوراً مهما في الدعم اللوجستي للحرب.

الأيديولوجيات المتصارعة

تحدث أدولف هتلر في سيرته الذاتية بكتابه كفاحي عن ضرورة "المجال الحيوي" Living space or lebensraum لألمانيا (ويقصد به أن الشعب الألماني يحتاج الأرض والمواد الخام لإقامة ألمانيا الكبرى، وهذه يجب توفيرها من الشرق. وهذا يقتضي قتل أو تهجير أو استعباد البولنديين والروس وباقي الشعوب السلافية التي يعتبرها من الشعوب المنحطة وفقاً لنظريته العنصرية وأنه يجب إعادة توطين العنصر الألماني النقي في أراضيهم). لهذا يجب الاستيلاء على أراض جديدة للاستيطان الألماني في أوربا الشرقية. كان يريد توطين الألمان كعنصر سيد في غرب روسيا وترحيل الروس إلى سيبيريا واستخدام المتبقين منهم كعبيد للسخرة. فبعد القمع والاضطهاد الشيوعي الواسع النطاق خلال الثلاثينات، رأى هتلر أن الاتحاد السوفيتي قد أصبح ضعيفاً عسكرياً وأنه مهيأ للهزيمة. فيقول: "علينا فقط أن نرفس الباب وسينهار كل

هذا الهيكل النخر". وهكذا أصبح من المتوقع اندلاع حرب خاطفة لكن لم يتم اتخاذ استعدادات جدية لحرب في الشتاء أو حرب طويلة. وفي أعقاب معركة كيرسك في ١٩٣٤م وما نتج عنها من وضع عسكري ألماني كارثي، ادعى هتلر والدعاية النازية أن هذه الحرب جاءت كدفاع ألماني عن الحضارة الأوربية الغربية ضد الدمار الذي تريده لها القطعان البلشفية المتدفقة نحو أوربا.

وبالمقابل تتضمن عقيدة جوزيف ستالين أيضاً مبدأ احتلال البلدان الأجنبية، فقد استغل فرصة انشغال العالم بالجبهة الغربية فقام بضم ثلاث دول بلطيقية[١] في ١٩٤٠م، وبهذا حصل على مصانع للأسلحة في حالة نشوب حرب مع ألمانيا الهتلرية. ويجب أن لا نغفل أيضاً اشتراك السوفيت مع هتلر في غزو بولندا في ١٩٣٩م. مع ذلك، يختلف ستالين عن هتلر بكونه لا يمتلك خططاً بعيدة المدى لتوسيع الأراضي السوفيتية لتشمل أوربا الشرقية أو ألمانيا. فيمكن تفسير سياسة الاتحاد السوفيتي بأنها تحاول خلق منطقة عازلة بينه وبين ألمانيا قبل هجوم هتلر الذي يمتلك الاتحاد السوفيتي كل الأسباب المعقولة التي تجعله يعتقد بأنه هجوم حتمي.

النتائج

يعتبر الصراع على الجبهة الشرقية أكبر صراع دموي في التأريخ البشري حيث قتل فيه أكثر من ٣٠ مليون إنسان. وقد شمل مساحة أرض أوسع من أي نزاع آخر. وتتمثل الطبيعة الوحشية لهذه الحرب في عدم الاعتبار والاحترام المقصود من كلا الطرفين للحياة الإنسانية. وتتضح هذه الطبيعة الدموية أيضاً من الاستعداد الأيديولوجي للحرب الذي يرى حتمية حصول صدام قاتل بين أيديولوجيتين

(١) والدول هي أستونيا ولاتفيا ولتوانيا. ويقعن على بحر البلطيق وأكبرهن هي لتوانيا بينما أصغرهن هي أستونيا

متضادتين وراديكاليتين[1]. فبالنسبة إلى النازيين في برلين تعتبر الحرب ضد الاتحاد السوفيتي هي حرب الفاشية ضد الشيوعية وحرب العنصر الآري ضد العناصر السلافية المنحطة. وقد أشار إليها هتلر بكلمات محددة فريدة قائلا أنها حرب إبادة، حرب يجب فيها تدمير الاتحاد السوفيتي كلية واستعباد وإبادة شعوب روسيا وأوربا الشرقية. وهذا سيسهم في زيادة التوسع الألماني ويعزز استعمار أوربا الشرقية وغرب روسيا. إضافة إلى ذلك، كان هتلر يسعى أيضاً لإنهاء الطائفة اليهودية الكبيرة في بلدان أوربا الشرقية.

وبعيدا عن الصراع الأيديولوجي بين الطرفين، فقد ساهمت طبيعة التفكير الخاصة بزعيمي ألمانيا والاتحاد السوفيتي هتلر وستالين في تصعيد مستوى الرعب والقتل إلى مستوى لم يسبق له مثيل. فكلا الزعيمين لا يحترمان الحياة البشرية في سبيل تحقيق هدفهما العسكري. وهذا يشمل إرهاب شعبيهما إضافة إلى التهجير الجماعي (ففي حالة ألمانيا، هجروا شعوبا بأكملها). كل هذه العوامل قادت إلى وحشية رهيبة سواء للمدنيين أو للعسكريين بما لا تجد نظيراً لها على الجبهة الغربية. وتقول صحيفة التايمز: "تبلغ الجبهة الشرقية من حيث القوى البشرية ومدة القتال والأراضي التي دار عليها النزاع والإصابات، أربعة أضعاف مستوى النزاع على الجبهة الغربية الذي بدأ مع غزو النرمندي.

ألحقت الحرب خسائر ومعاناة هائلة للسكان المدنيين في البلدان المتحاربة. وقد كانت الفظاعات التي يرتكبها الألمان ضد المدنيين في المناطق المحتلة من قبلهم، عملاً روتينياً بما فيه الإبادة الجماعية. فعاملت القوات الألمانية والقوات المتحالفة معها السكان المدنيين بوحشية لا مثيل لها، فأبادت قرى بأكملها وكانت عادة ما تقتل

---

(١) الراديكالية اصطلاح يطلق على الحركات أو الأحزاب أو العقائد التي تفضل وتسعى لأجراء الإصلاحات السياسية من خلال القيام بتغييرات جذرية في النظام الاجتماعي.

الرهائن المدنيين بشكل يومي. ومارس كلا الجانبين سياسة الأرض المحروقة على نطاق واسع، لكن الخسائر في الأرواح في حالة ألمانيا أقل بكثير من مثيلتها لدى الاتحاد السوفيتي حيث قتل النازيون ما لا يقل عن ٢٠ مليون مدني من سكانه. وعندما غزا الجيش الأحمر ألمانيا في ١٩٤٤م خضع الكثير من السكان الألمان لعمليات الثأر والانتقام على يد جنود الجيش الأحمر. وبعد الحرب وفي أعقاب اتفاقيات مؤتمر يالطا بين الحلفاء، تم تهجير السكان الألمان في بروسيا الشرقية وسيليسيا إلى غرب خط أودر-نيس، فيما أصبح يعرف بأكبر عملية تهجير قسري في تأريخ البشرية. وبذلك تم طرد الأقلية الألمانية المنتشرة على امتداد مساحات، شاسعة من أوربا الشرقية، وأبيد من لم يعمل على مغادرة أرضه.

دارت الكثير من المعارك داخل او بالقرب من المناطق المأهولة بالسكان، وساهمت أعمال الطرفين في زيادة الخسائر في الأرواح في صفوف المدنيين إضافة إلى الخسائر المادية الهائلة. وبموجب إيجاز قدمه اللواء رومان نودنكو خلال محاكمات نوريمبيرغ، بلغت الخسائر المادية التي ألحقها غزو دول المحور بالاتحاد السوفيتي ما قيمته ٦٧٩ مليار روبل. وأكبر عدد من القتلى المدنيين في مدينة واحدة بلغ ١:٢ مليون قتيل وكان ذلك خلال حصار لينينجراد. وتم تدمير ١٧١٠ مدينة و٧٠٠٠٠ قرية و٢٥٠٨ كنيسة و٣١٨٥٠ منشأة صناعية و٤٠٠٠٠ ميل من خطوط سكك الحديد و٤٠٠٠٠ مستشفى و٨٤٠٠٠ مدرسة، و٤٣٠٠٠ مكتبة عامة. وتم قتل سبعة ملايين حصان و١٧ مليون نعجة وماعز. وقتلت أيضاً الملايين من الحيوانات البرية. وأدى فرار الثعالب والذئاب غرباً من مناطق القتل أثناء تقدم الجيش الروسي خلال ١٩٤٣م - ١٩٤٥م إلى انتشار داء الكلب تدريجياً باتجاه الغرب ووصل إلى ساحل القنال في ١٩٦٨م.

سير العمليات

في الوقت الذي لا يقسم فيه المؤرخون الألمان مراحل سير العمليات على الجبهة الشرقية، نرى المؤرخون السوفيت والروس يقسمون الحرب ضد ألمانيا وحلفائها إلى ثلاث مراحل، وتقسم هذه بدورها إلى حملات رئيسة على مسرح الحرب. فهم يقسموها كما يلي:

١- الفترة الأولى من الحرب العالمية الثانية وتمتد من ٢٢ حزيران/ يونيو ١٩٤١م - ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٤٢م وتتميز بالهجوم الألماني على الأراضي السوفيتية (عملية باربا روسا).

٢- الفترة الثانية من الحرب وتمتد خلال الفترة من ١٩ ت٢/ نوفمبر ١٩٤٢م - ٣١ ك١/ ديسمبر ١٩٤٣م وتتميز بصد السوفيت للهجوم الألماني (معركة ستالينجراد ولينينجراد وكيرسك).

٣- الفترة الثالثة من الحرب وتمتد خلال الفترة من ١ ك١/ يناير ١٩٤٤م - ٩ أيار/ مارس ١٩٤٥م وتتميز بقيام الاتحاد السوفيتي بشن الهجوم على ألمانيا واحتلال برلين.

وما يخصنا في هذا الفصل هو خلفية ما حصل في دمين ، لهذا سنتحدث عن العمليات التي سبقت حصول حادث الانتحار الجماعي والتي أدت إليه، فنتناول عمليات صيف ١٩٤٤م لغاية حصول الحادث في ٣٠ نيسان/ أبريل ١٩٤٥م.

رأت قيادة التخطيط والعمليات في الجيش الألماني أن السوفيت سيهاجمون ألمانيا من الجنوب حيث تبعد جبهة القتال عن مدينة لفوف Lvov أو لفيف Lviv الأوكرانية حوالي ٥٠ ميلاً وبسقوطها يكون الطريق مباشراً وسالكاً إلى برلين. ووفقاً لذلك سحبوا بعض القوات من الجيش الألماني الأوسط المتمركز في عمق الاتحاد

السوفيتي. والهجوم البيلاروسي الذي يسمى عملية باجريشن والذي بدأ في ٢٢ حزيران/ يونيو ١٩٤٤م هو هجوم سوفيتي شامل قامت به أربعة تشكيلات تضم أكثر من ١٢٠ فرقة وحطمت فيه الخط الدفاعي الألماني الضعيف. ركز السوفيت هجومهم على الجيش الألماني الأوسط وليس الجنوبي كما ظن الألمان في البداية. ونقل الألمان أيضا قبل أسبوعين بعض الوحدات إلى فرنسا لصد غزو النرمندي. وحقق السوفيت بذلك تفوقاً ساحقاً على العدو بنسبة عشرة إلى واحد في مجال الدبابات وسبعة إلى واحد في مجال الطائرات. وفي ذروة الهجوم كان التفوق النوعي والعددي للسوفيت ساحقاً. فقد دخل في المعركة ٢:٣ مليون جندي سوفيتي ضد الجيش الألماني الأوسط الذي كان يفتخر بعديد قواته البالغة ٨٠٠٠٠٠ رجل. وانهار الألمان. وفي ٣ تموز/ يوليو استولى الروس على منسك عاصمة بيلاروسيا وأسروا ٥٠٠٠٠ ألماني. وبعد عشرة أيام وصل الجيش الأحمر إلى الحدود البولندية قبل الحرب. وقد قطع التقدم السوفيتي السريع وعزل الوحدات الألمانية من الجيش الثامن التي تقاتل في كورلاند **Courland** اللاتيفية والقوات الألمانية الأخرى التي تقاوم التقدم السوفيتي نحو الموانئ البلطيقية ونحو إستونيا. لهذا تعتبر عملية باجريشن إحدى أكبر العمليات في هذه الحرب بكل المقاييس. وفي نهاية آب/ أغسطس ١٩٤٤ خسر الجيش الأحمر ١٧٠٠٠٠ قتيلاً ومفقوداً وجريحاً بالإضافة إلى ٢٩٥٧ دبابة ومدفعاً هجومياً. وكلفهم الهجوم على إستونيا أيضاً ١٥٠٠٠٠– ٢٠٠٠٠٠ إصابة. وتكبد الألمان ما يقرب من ٦٧٠٠٠٠ بين قتيل ومفقود وجريح ومريض ومنهم ١٦٠٠٠٠ أسير إضافة إلى ٢٠٠٠ دبابة و٥٧٠٠٠ عجلة.

شُنّت عملية لفوف– ساندوميرز **Lvov-Sandomierz** في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٤٤م وأدت لهزيمة القوات الألمانية في غرب أوكرانيا. واستمر التقدم السوفيتي في الجنوب نحو رومانيا، وبعد انقلاب أطاح بالحكومة الموالية للمحور فيها في ٢٣

آب/ أغسطس، احتل الجيش الأحمر بوخارست في ٣١ آب/ أغسطس. وفي ١٢ أيلول/ سبتمبر وقع الاتحاد السوفيتي ورومانيا على هدنة أملت شروطها موسكو. لقد خلق الاستسلام الروماني ثغرة هائلة في الجبهة الألمانية الجنوبية وأدى إلى خسارتهم لكل أراضي البلقان.

وفي بولندا، ومع تقدم الجيش الأحمر، شن الجيش الوطني البولندي AK عملية العاصفة. وخلال انتفاضة وارشو توقف السوفيت عند نهر فستولا Vistula وهم غير قادرين أو غير راغبين في دعم المقاومة البولندية. ولم يقدم الجيش الأحمر الدعم لمحاولة الجيش البولندي الأول الذي يسيطر عليه الشيوعيون لنجدة المدينة فرُدَّ على أعقابه في أيلول/ سبتمبر بخسائر فادحة.

وفي سلوفاكيا بدأت الانتفاضة الوطنية في آب/ أغسطس إلى ت١/ أكتوبر ١٩٤٤ بصورة نزاع مسلح بين الجيش الألماني والقوات المتمردة السلوفاكية. وتركزت الانتفاضة في مدينة بانسكا بستريكا Banska Bystrica السلوفاكية.

وفي ٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٤م بدأ الجيش الأحمر هجومه على ممر دكلا Dukla Pass الجبلي على الحدود السلوفاكية البولندية. وبعد شهرين ربح السوفيت المعركة ودخلوا سلوفاكيا. كانت الخسائر ٨٥٠٠٠ جندي من الجيش الأحمر مقابل بضعة آلاف من الألمان والسلوفاك والجيك.

وفي ك٢/ يناير ١٩٤٥م دخل السوفيت أخيراً وارشو بعد إن دمرها الألمان وأخلوها من السكان. وبعد ثلاثة أيام بدأ الجيش الأحمر هجومه على جبهة واسعة انطلاقا من وارشو وعبر نهر ناريو Narew . كان السوفيت يتفوقون على الألمان بالعدد والعدة، وذلك بنسبة خمسة أسداس لسدس من حيث الرجال وستة إلى واحد من حيث المدفعية ومثلها من حيث الدبابات وأربعة إلى واحد من حيث المدفعية ذاتية

الدفع. وبعد أربعة أيام اندفع الجيش الأحمر وبدأ بالتحرك مسافة ثلاثين إلى أربعين كيلومترا في اليوم الواحد واستولى على الدول البلطيقية ودانزك وبروسيا الشرقية وبزنان وسار على خط يبعد ستين كيلومترا شرق برلين على امتداد نهر أودر Oder . خسر الجيش الروسي خلال عملية فستولا- أودر التي استمرت ٢٣ يوما ١٩٤٠٠٠ إصابة و١٢٦٧ دبابة ومدفع.

وفي ٢٥ ك٢/ يناير ١٩٤٥م غيَّر هتلر تسمية ثلاثة من جيوشه. فالجيش الشمالي أصبح يسمى جيش كورلاند والجيش الأوسط أصبح يسمى الجيش الشمالي وجيش (أ) أصبح يسمى الجيش الأوسط. وُضع الجيش الشمالي (الذي كان في السابق الجيش الأوسط) في جيب صغير حول مدينة كونجسبيرغ (كالينينجراد الحالية) في بروسيا الشرقية.

وفي ٢٤ شباط/ فبراير فشل هجوم مضاد أطلق عليه اسم عملية سولستس Solstice قام به جيش فستولا المشكل مؤخرا بقيادة الفيلد مارشال أو كما يسمى الرايخ فوهرر Reichsfuhrer هنريك هملر وتقدم السوفيت نحو منطقة بوميرانيا Pomerania واستطاعوا تطهير الضفة اليمنى من نهر أودر. وإلى الجنوب فشلت ثلاث محاولات ألمانية لنجدة مدينة بودابست المحاصرة وأخيرا سقطت المدينة في ١٣ شباط/ فبراير بأيدي السوفيت. ومرة أخرى قام الألمان بهجوم مضاد حيث أصر هتلر على تنفيذ المهمة المستحيلة في استعادة السيطرة على نهر الدانوب. وفي ١٦ آذار فشل الهجوم وفي نفس اليوم شن الجيش الأحمر هجوماً مضاداً. وفي ٣٠ آذار دخل الأخير النمسا وفي ١٣ نيسان استولى على فينا.

وفي ٩ نيسان ١٩٤٥م، سقطت كونجسبيرغ بيد الجيش الأحمر رغم أن بقايا الجيش الشمالي الألماني ظلت تقاوم عند رأس البر في هيلجنبيل ودانزك حتى نهاية

الحرب في أوربا. لهذا تعتبر عملية بروسيا الشرقية، رغم أنها تختلط أحيانا بعملية فستولا- أودر ومعركة برلين، من أكبر العمليات العسكرية التي خاضها الجيش الأحمر خلال الحرب وأكثرها تكلفة. وقد خسر الجيش الأحمر خلال فترتها الممتدة من ١٣ ك٢/ يناير إلى ٢٥ نيسان / أبريل ٥٨٤٧٨٨ إصابة و٣٥٢٥ دبابة ومدفعا هجوميا.

وفي بداية نيسان/ أبريل حررت القيادة العسكرية الروسية التشكيل البيلوروسي الثاني وتحركت غربا نحو الضفة الشرقية لنهر اودر. وخلال الأسبوعين الأولين من نيسان/ أبريل أنجز السوفيت أسرع انتشار جبهوي لهم في الحرب. فقد نشر جيورجي زوكوف **Georgy Zhukov** التشكيل البيلوروسي الأول، الذي كان منتشرا في الأول على امتداد نهر أودر من فرانكفورت في الجنوب وحتى بحر البلطيق، في منطقة تقع أمام مرتفعات سيلو **Seelow Heights**. وتحرك التشكيل البيلوروسي الثاني إلى المواقع التي أخلاها التشكيل الأول شمال هذه المرتفعات. وبينما كانت تجري عملية الانتشار هذه، حصلت ثغرات في الخطوط القتالية، وحاولت بقايا الجيش الألماني الثاني الذي كان محصوراً في جيب بالقرب من دانزك، الهروب عبر نهر أودر. وإلى الجنوب، نقل الجنرال السوفيتي إيفان كونيف الثقل الرئيس للتشكيل الأوكراني الأول خارج سيليسا العليا **Upper Silesia** بالاتجاه الشمالي الغربي نحو نهر نيس **Neisse** . بلغ تعداد التشكيلات السوفيتية الثلاث ٢:٥ مليون رجل (بضمنهم ٧٨٥٥٦ جندي من الجيش البولندي الأول)، و٦٢٥٠ دبابة و٧٥٠٠ طائرة و٤١٦٠٠ قطعة مدفعية وهاون و٣٢٥٥ صاروخ كاتيوشا محمولاً على العجلات (ويسمى سلاح ستالين) و٩٥٣٨٣ عجلة آلية، والكثير منها مصنوع في الولايات المتحدة.

وكل ما على السوفيت فعله الآن هـو البدء بشن الهجوم والاستيلاء على ما أصبح يعرف فيما بعد بألمانيا الشرقية. كان للهجوم السوفيتي هدفين. فبسبب شكوك

ستالين حول نوايا الحلفاء الغربيين في احتلال مناطق النفوذ السوفيتية، كان عليه أن يشن هجومه على جبهة واسعة ويتحرك بأسرع ما يمكن باتجاه الغرب لملاقاة الحلفاء الغربيين بأبعد نقطة ممكنة في الغرب. ولكن الهدف الأهم هو الاستيلاء على برلين. والهدفان يكملان بعضهما لأنه لا يمكن الاستيلاء على منطقة النفوذ سريعا دون الاستيلاء على برلين. وهناك اعتبار آخر هو أن في برلين أهدافا مهمة منها أدولف هتلر نفسه إضافة إلى البرنامج الذري الألماني.

بدأ الهجوم للاستيلاء على ألمانيا الشرقية وبرلين في ١٦ نيسان/ أبريل بصولة على الخطوط القتالية الألمانية على نهري أودر ونيس. وبعد عدة أيام من القتال الضاري تمكن التشكيل البلوروسي الأول والأوكراني الأول من فتح ثغرات في الخطوط الألمانية ومنها انتشروا في ألمانيا الشرقية. وفي ٢٤ نيسان/ أبريل أكملت عناصر التشكيلين الإحاطة ببرلين ودخلت معركة برلين مراحلها الأخيرة. وفي ٢٥ نيسان/ أبريل اخترق التشكيل البيلوروسي الثاني خط بانزر الألماني الثالث جنوب ستيتن **Stettin**. وبذلك فتح الطريق أمامهم للتحرك غرباً نحو الجيش البريطاني الحادي والعشرين وشمالاً نحو ميناء سترالسند **Stralsund** البلطيقي. وتمكنت فرقة الحرس ٥٨ من الجيش الخامس من التماس مع فرقة المشاة ٦٩ الأمريكية التابعة للجيش الأول الأمريكي بالقرب من تورجو في ألمانيا عند نهر إلبا **Elbe**.

وفي ٣٠ نيسان/ أبريل وأثناء تقدم القوات السوفيتية باتجاه مدينة دمين، دمرت القوات الألمانية الجسور المشيدة على نهر بين **Peene** وانسحبت من المدينة. وبسبب ذلك تأخر زحف الجيش الأحمر عند وصوله لها. وخلال الليل وفي صباح اليوم التالي تم تسليم المدينة للجيش الأحمر دون قتال إلى حد ما كما حصل في المدن الأخرى كمدينة جريفسفالد **Greifswald** . ورغم عدم وجود مقاومة تذكر سوى في جيوب قليلة من المدينة، إلا أن حوالي ٩٠٠ فرد من سكانها قد انتحروا خوفاً من الجيش

الأحمر. وتشير التحقيقات إلى أن معظمهم قد انتحر غرقاً في نهر تولينز Tollense وبين Peene بينما تناول الآخرون السم. ويعود السبب في ذلك إلى الفظاعات التي ارتكبها جنود الجيش الأحمر في المدينة من اغتصاب وسلب وإعدامات بالجملة. ولم تتوقف عمليات الانتحار إلى أن استطاع القائد العسكري للمدينة إقفال جميع المنافذ المؤدية إلى النهرين في ٣ مايس/ مايو ١٩٤٥م[1].



فتاة ألمانية تسير أمام جنود الجيش الأحمر السوفيتي
(وربما تكون قد اغتصبت في أطلال هذه الخرائب)

وفي ٣٠ نيسان / أبريل وبينما كان القوات السوفيتية تشق طريقها نحو وسط برلين، تزوج أدولف هتلر من إيفا براون وانتحر بأخذه جرعة من سم السيانيد ثم

(1) Buske, Norbert (Hg.): Das Kriegsende in Demmin 1945. Berichte Erinnerungen Dokumente (Landeszentrale für politische Bildung Mecklenburg-Vorpommern. Landeskundliche Hefte), Schwerin 1995

إطلاقه النار على نفسه. وفي ٢ مايس/ مايو سلَّمَ هلموت فيدلنج **Helmuth Weidling** قائد الدفاع عن برلين المدينة إلى السوفيت. كلفت عملية برلين (١٦ نيسان - ٨ مايس) الجيش الأحمر ٨١٣٦٧ إصابة (بين قتيل ومفقود وجريح ومريض) و١٩٩٧م دبابة ومدفعا هجوميا. ومن المستحيل معرفة الخسائر الألمانية في تلك الفترة من الحرب.

وفي الساعة ٢٢:٤١ من صباح ٧ مايس/ مايو ١٩٤٥م وقع رئيس الأركان الألماني ألفريد جودل في مقر قائد قوات الحلفاء في شمال غرب أوربا وثائق الاستسلام غير المشروط لجميع القوات الألمانية إلى الحلفاء. وفي نفس اليوم وقبل منتصف الليل، وقع الفيلد مارشال وهلم كيتل وثيقة الاستسلام في مقر زوكوف ببرلين. وبذلك انتهت الحرب في أوربا.

جرائم الحرب السوفيتية:

يقول المؤرخ الأمريكي نورمان نايمارك بكتابه الروس في ألمانيا(١) أن السبب في تجاوزات جنود الجيش الأحمر هو الدعاية التي تنشرها صحف القوات السوفيتية إضافة إلى أوامر القيادة العليا السوفيتية. والفحوى العامة في كتاباته تقول أن الجيش الأحمر قد دخل ألمانيا منتقما وقاضيا في سبيل معاقبة الألمان. وكتب الكاتب السوفيتي إيليا إهرينبيرج في ٣١ ك٢/ يناير ١٩٤٥م: "لقد عوقب الألمان في أوبيلن وفي كونجسبيرغ وبريسلاو. ولكن العقوبة غير كافية. لقد عوقب قسم منهم ولكن ليس جميعهم".

إضافة إلى ذلك، ساهمت دعوات الجنرالات السوفيت في تحريض الجنود على ارتكاب الفظائع. ففي ١٢ ك٢/ يناير ١٩٤٥م يخاطب الجنرال كيرنياكوفسكي

(1) Norman M. Naimark, The Russians in Germany: A History of the Soviet Zone of Occupation, 1945-1949, Belknap Press, 1997

Cherniakhovsky قواته قائلا: "لا رحمة لأحد، كما لم يرحمونا هم، يجب أن تتحول أرض الفاشست إلى صحراء قاحلة".

وعلى الجانب الألماني منعت الحكومة النازية أي إخلاء منظم للمدنيين وذلك من أجل رفع معنويات الجيش الذي يقاتل حينها للمرة الأولى دفاعا عن أرض الأجداد. وكان المدنيون الألمان يدركون طريقة تعامل الجيش الأحمر مع المدنيين من خلال الأخبار التي يتناقلها الأصدقاء والأقرباء الذين خدموا في الجبهة الشرقية وكانوا يخشون الجيش الأحمر. وكانت الدعاية النازية تريد تقوية المقاومة المدنية وذلك من خلال الإسهاب في وصف الفظاعات الشنيعة التي يرتكبها الجيش الأحمر كما حصل في مذبحة ميمرسدورف التي خلقت الهلع في أوساط المدنيين.

ونتيجة لذلك وحالماً يغادر المسؤولون النازيون أي بلدة، حتى يفر المدنيون غرباً في اللحظة الأخيرة وعلى مسؤوليتهم.

وعند فرارهم من الجيش الأحمر الزاحف باتجاههم، توفي أكثر من مليوني إنسان من المقاطعات الألمانية الشرقية (كبروسيا الشرقية وسيليسيا وبوميرانيا)، بعضهم بسبب البرد والجوع، والبعض الآخر قتلاً عندما يقعون في منطقة عمليات بين الجيوش المتحاربة. وأعلى حصيلة قتلى كانت عندما وقعت أرتال اللاجئين بأيدي وحدات من الجيش الأحمر. فديسوا بالدبابات وسلبوا وأطلقت النار عليهم وقتلوا، واغتصبت البنات والنساء ثم تركن بالعراء يلاقين حتفهن. إضافة لذلك اندفعت القاصفات المقاتلة التابعة لسلاح الجو السوفيتي عدة كيلومترات خلف خطوط القتال وهاجمت أرتال اللاجئين الفارين.

والذين لم يفروا، تحملوا عبء تنفيذ قوانين الاحتلال الخاصة بالجيش الأحمر كالقتل والاغتصاب والسرقة والتهجير. على سبيل المثال مدينة كونجسبيرغ في بروسيا

الشرقية، ففي آب/ أغسطس ١٩٤٥م، كان هانك ١٠٠.٠٠٠ مدني ألماني يعيشون في المدينة إبان دخول الجيش الأحمر لها. وعندما تقرر تهجير الألمان منها في ١٩٤٨م، وجد عشرين ألف مواطن ألماني حي فقط.

وغالبا ما تؤدي الأعمال الفوضوية التي يقوم بها الجيش الأحمر خلال احتلاله ألمانيا الشرقية إلى حصول حوادث كحادثة دمين، وهي مدينة صغيرة دخلتها القوات السوفيتية في ربيع ١٩٤٥م. ورغم استسلامها التام غير المشروط إلى الجيش الأحمر ودون أي مقاومة داخل أو في ضواحي المدينة، إلا أن حوالي ٩٠٠ من سكانها انتحروا بعد إن أعلن القادة السوفيت أن المدينة مفتوحة للسلب والنهب لثلاثة أيام.

ورغم أن الإعدامات الجماعية للمدنيين على يد الجيش الأحمر ليست عملاً منتظماً، إلا أن هناك حادثاً معروفاً حصل في ١ مايس ١٩٤٥م هو حادث ترونبرايتزن Treuenbrietzen حيث قيد ٨٨ رجل مدني وأطلقت عليهم النار. حصلت هذه الجريمة أثناء احتفال بالنصر أقامه الجنود السوفيت حيث اغتصبت في ذلك اليوم الكثير من الفتيات من سكان هذه المدينة وقتل مقدم من الجيش الأحمر على يد فاعل مجهول. وتقول بعض التقارير إن عدد المدنيين الذين قتلوا في الحادث بلغ ألف شخص.

وبعد الاستيلاء على برلين في ١٩٤٥م، حصلت أكبر وأشنع عملية اغتصاب جماعي في التأريخ. فقد اغتصب الجنود السوفيت الآلاف من الفتيات والنساء الألمانيات. وتبلغ أعداد ضحايا الاغتصاب بين عشرات الآلاف ومليوني ضحية. وبعد صيف ١٩٤٥م، عوقب الجنود الذين تثبت عليهم الجريمة بعقوبات بدرجات متفاوتة فمنهم من سجن ومنهم من أعدم. مع ذلك، استمرت عمليات الاغتصاب حتى شتاء ١٩٤٧م- ١٩٤٨م عندما حلّت السلطات السوفيتية المشكلة بإصدارها الأوامر بحصر نطاق حركة القوات السوفيتية داخل المعسكرات والمواقع المحمية

وعزلتها تماما عن السكان المدنيين في ألمانيا الشرقية. ويقول نورمان نايمارك أنه لم تحمل الضحية وحدها فقط هذه الصدمة النفسية طيلة المتبقي من حياتها، ولكن هذا الصنيع قد ترك صدمة نفسية جماعية على الأمة الألمانية الشرقية بأسرها. ويصل إلى الاستنتاج بان جريمة الاغتصاب هذه قد طبعت نفسية الرجال والنساء على حد سواء في ألمانيا الشرقية منذ الأيام الأولى للاحتلال السوفيتي وحتى الآن(١).

وفي هنغاريا تقول التقديرات أنه قد تم اغتصاب ٥٠٠٠٠ امرأة في مدينة بودابست وحدها عند احتلالها. فكانت تؤخذ الفتيات الهنغاريات ويحتجزن ويغتصبن وأحياناً يقتلن. ولا تعني جنسية ضحايا الاغتصاب شيئا للجنود، الذين هجموا أيضاً على المفوضية السويدية(٢).

وعلى العموم أعلن الجيش الأحمر جميع المدن والقرى والمزارع مستباحة للسلب والنهب في رومانيا وهنغاريا وألمانيا. مع ذلك لا يوجد أمر مكتوب بهذا الشأن. لكن هناك العديد من الوثائق التي تصف سلوك الجيش الأحمر في هذه المناطق. وأحدها هو تقرير المفوضية السويسرية في بودابست الذي يصف الأحداث التي حصلت عند دخول الجيش الأحمر تلك المدينة في ١٩٤٥م. فتقول هذه الوثيقة على سبيل المثال: "خلال حصار بودابست وأثناء الأسابيع المصيرية التي أعقبته، نهب الجنود الروس المدينة بحرية تامة. فدخلوا كل مسكن ومبنى سواء في الأحياء الفقيرة أو الغنية. وأخذوا كل ما يريدونه خاصة الطعام والملابس والأشياء الثمينة. ونهبت كل البنوك والمحلات والشقق. والأثاث أو الأعمال الفنية الكبيرة التي لا يستطيعون حملها، كانوا يحطمونها. وفي حالات عديدة كانوا يضرمون النيران في البيوت بعد نهبها مسببين

(1) James W. Messerschmidt, The Forgotten Victims of WWII: Masculinities and Rape in Berlin, 1945 University of Southern Maine, 2006.

(2) Ibid.

خسائر فادحة. أما قاصات البنوك فقد تم تفريغها دون استثناء حتى قاصات المصارف البريطانية أو الأمريكية. فأينما وجدت، يتم الاستيلاء عليها.

وفي حالات عديدة كان الجنود السوفيت يضرمون النيران في المباني والقرى والأحياء السكنية ويطلقون النار على أي شخص يحاول إخماد النيران كما حصل في ١ مايس/ مايو ١٩٤٥م عندما أضرم الجنود السوفيت النار في مركز مدينة دمين ومنعوا الناس من إخماد النيران. ولم يبق من بين المباني التي طالها جحيم النيران في سوق المدينة سوى برج الكنيسة.

وحصلت مذبحة مروعة خلال الأيام الأخيرة من نيسان/ أبريل ١٩٤٥م في قرية ترونبرايتزن Treuenbrietzen بعد معركة ضارية للسيطرة عليها. وقد قيد الجيش الأحمر حوالي ألفا من سكانها المدنيين وأعدمهم في الغابة المجاورة. وزعموا أن هذه الإعدامات جاءت رداً على مقتل ضابط سوفيتي كبير خلال المعركة حول القرية.



فظائع الجيش الأحمر في ألمانيا

وفي ٢٠٠٢م نشرت دار فايكنج بينجوين **Viking Penguin** البريطانية كتابا للكاتب أنتوني بيفر عنوانه "برلين: السقوط في ١٩٤٥م"، وصف فيه الفظاعات والجرائم التي ارتكبها الجيش الأحمر أثناء دخوله برلين. ويقول الكاتب المسرحي زاكار أجرانينكو **Zakhar Agranenko** بمذكراته أثناء خدمته العسكرية في بروسيا الشرقية: "لا يؤمن جنود الجيش الأحمر بالعلاقات الفردية مع النسوة الألمان، فقد اعتادوا على اغتصابهن جماعات جماعات من تسعة أو عشرة أو اثنى عشر رجلاً في كل مرة على أساس جماعي". وكان بيريا وستالين يعرفون جيدا ما يجري في ألمانيا من خلال التقارير التفصيلية التي تردهم. ويقول أحد هذه التقارير: "يذكر معظم الألمان أن النساء الألمانيات اللواتي بقين في بروسيا الشرقية قد جرى اغتصابهن على يد جنود الجيش الأحمر". وأوردت التقارير أمثلة عديدة على الاغتصاب الجماعي حيث

"تم اغتصاب الفتيات دون سن ١٨ ولم تسلم العجائز أيضاً". وقد جرت محاولات فردية لفرض النظام لكنها لم تفلح. ويقال أن قائد إحدى الفرق "قد أطلق النار شخصياً على ملازم كان قد صف جنوده بالدور على امرأة ألمانية فاتحة ساقيها مضطجعة على الأرض". إلا أن فرض النظام على جنود سكارى مسلحين بمدافع آلية كان أمراً خطيراً وصعباً.

لقد خلقت دعوات الانتقام من الألماني لغزوهم روسيا فكرة أن أي جريمة بحقهم أمر مسموح به. حتى أن الكثير من النساء الروسيات اللواتي كن يخدمن في طبابة الجيش الأحمر لم يستنكرن ما يقوم به رفاقهن الجنود. فتقول جندية روسية عمرها ٢١ سنة من مفرزة أجرانتكو للاستطلاع: "إن تصرف جنودنا مع الألمان وخاصة النساء الألمانيات هو صحيح مائة في المائة". وبعضهن وجدن فيه سلوكا مسليا. وتذكر بعض النساء الألمانيات كيف أن النساء العسكريات السوفيتيات كن يتفرجن ويضحكن أثناء اغتصاب الجنود السوفيت لهن. لكن بعضهن قد أصبن بصدمة بما شاهدنه في ألمانيا. فقد لاحظت ناتاليا جيس وهي مراسلة حربية سوفيتية وصديقة العالم أندريه ساخاروف، ما يرتكبه الجيش الأحمر في ١٩٤٥م وقالت: "كان الجنود السوفيت يغتصبون كل أنثى من سن ٨ إلى سن ٨٠، إنه جيش من المغتصبين".

ولا يسمح في روسيا الحديث عن الاغتصاب الجماعي الذي حصل في ألمانيا حتى أن المحاربين الروس القدامى لا يعترفون بما حصل فعلاً. والقليل منهم من تحدث بصراحة ولكن دون ندم أو أسف. فيقول آمر إحدى سرايا الدبابات: "كن جميعهن يرفعن ثيابهن لنا ويضطجعن على الأسرة"، ثم يتفاخر ويقول: "لقد ولد لنا بألمانيا مليونا طفل". ويبلغ أحد الضباط السوفيت برتبة رائد، صحفي بريطاني في ذلك الوقت قائلا: "كان رفاقنا جوعى جنسياً، بحيث أنهم اغتصبوا العجائز من

النساء اللواتي بلغن الستين أو السبعين أو الثمانين من العمر، وكان هذا مبعث صدمة لهؤلاء الجدات إن لم يكن مبعث غبطة لهن".

وفي دهلم زار الضباط السوفيت دار دهلم وهي مستشفى توليد ودار أيتام وتصرفوا بأدب وخلق بل أنهم حذروا مديرتها من القوات القادمة خلفهم. وكانوا على حق في تحذيرهم. فقد اغتصبت جميع النساء دون رحمة أو شفقة ابتداءا من الراهبات والفتيات الصغيرات والعجائز والحوامل بل وحتى من كانت قد وضعت مولودا لتوها لم تسلم من الاغتصاب.

وقد اضطرت الكثير من النساء إلى الاستسلام لجندي واحد على أمل أن يحميها من الباقين. فتقول ماجدة فيلاند وهي ممثلة في الرابعة والعشرين من العمر أنها قد أُخرجت من ديلاب في شقتها وقادها جندي من أواسط آسيا، وكان مثاراً جنسياً لمرأى فتاة شقراء جميلة بحيث أنه قد أفرغ حمولته قبل أن يلمسها. وبلغة الإشارات عرضت نفسها عليه لتكون خليلته لو حماها من باقي الجنود السوفيت، لكنه ذهب ليتفاخر بفعلته أمام الجنود الآخرين فجاء جندي آخر واغتصبها. واغتصبت أيضاً إيلين جوتز وهي فتاة يهودية صديقة لماجدة. وعندما قال بعض الألمان لهم أنها يهودية وعانت بالمثل من اضطهاد النازيين، أجابوا : "أن المرأة هي المرأة".

وتعلمت النساء كي تختفي عن أنظار الجنود خلال "ساعات الصيد" في المساء. وأخفيت الفتيات الصغيرات في الغرف العلوية لأيام طويلة. ولا تخرج الأمهات إلى الشوارع لجلب المياه إلا في ساعات الصباح الباكرة حيث يكون الجنود نائمين بعد ليل من الشرب والسكر. والخطر الأكبر يأتي أحياناً من أم يائسة تحاول إنقاذ ابنتها فتدل الجنود على أماكن الفتيات الأخريات. ولا يزال الكبار من أهل

برلين يتذكرون صرخات النساء في كل ليلة. وكان من المستحيل عدم سماعها لأن الشبابيك قد تكسرت بفعل القصف[1].

وتشير تقديرات اثنين من مستشفيات المدينة أن عدد ضحايا الاغتصاب في المدينة يتراوح بين ٩٥٠٠٠ إلى ١٣٠٠٠٠. ويقول أحد الأطباء أن ١٠٠٠٠ منهن قد توفين بسبب الحادث ومعظمهن قد انتحرن. ويعتقد أن عدد الوفيات في بروسيا الشرقية وبوميرانيا وسيليسيا أكثر من ١:٤ مليون إنسان. وفي كل ألمانيا يعتقد أن ما لا يقل عن مليوني امرأة ألمانية قد اغتصبت ومعظمهن قد عانين من اغتصاب لمرات عديدة[2].

وإذا حاول أي شخص الدفاع عن امرأة ضد جندي سوفيتي يهاجمها، فهو إما أن يكون والد يدافع عن ابنته أو ابن يدافع عن أمه. وكتب بعض جيران الطفل ديتر شال (١٣ سنة) في رسالة لبعض أقاربهم بعد الحادث مباشرة "أنه رمى نفسه ضاربا بقبضته الصغيرة أحد الروس وهو يغتصب والدته أمام عينيه، لكنه لم يمنع شيئا ولم يقبض سوى طلقة في رأسه"[3].

(1) Anonymous, A woman in berlin: Eight Weeks in a Conquered City, A Diary, New York, Metropolitan Books, 2005.

(2) Beevor, Antony, The Fall of berlin 1945, New York, Viking, 2002.

(٣) المصدر السابق، A Woman in Berlin .

الفصل الحادي عشر

انتحار أتباع طائفة معبد الشعب



مشهد ما بعد الانتحار وتشاهد على اليمين صورة أحد الأطفال

خلاصة

في ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م، مات ٩١٨ شخصا بمستوطنة جونز تاون بجويانا[1] بدفع من جيم جونز، المبشر الإنجيلي ورئيس كنيسة (معبد الشعب People's Temple). ومن بين هؤلاء القتلى، ٢٧٦ طفلاً وأكثر من ١٠٠ من العجائز.

جونز تاون هو الاسم غير الرسمي للمشروع الزراعي الخاص بأتباع معبد الشعب. وهو مشروع يضم أعراقا مختلفة ويقع في شمال غرب جويانا أسسته طائفة معبد الشعب. والأخيرة طائفة دينية أسسها جيم جونز في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد أصبح اسم المستوطنة مرادفا للأحداث التي حصلت في هذا المكان.

ففي ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م، توفي ٩١٨ من أتباع المعبد في مستوطنة جونز تاون بسبب التسمم بالسيانيد في حادث أطلق عليه عبارة "الانتحار الثوري"، وهي عبارة أطلقها جونز وبعض أعضاء المستوطنة في شريط صوتي عن الحادث وكذلك في نقاشات سابقة لهم. تعتبر أحداث جونز تاون عملية انتحار جماعي بكل معنى الكلمة، وهي أكبر عملية انتحار منذ ١٩٠٠م سنة خلت. ويمثل الحدث أكبر

(١) جويانا هي جمهورية جويانا التعاونية وعاصمتها جورج تاون، وتعرف سابقا باسم جويانا البريطانية وتقع في امريكا الجنوبية وتحدها من الشرق سورينام ومن الجنوب البرازيل ومن الغرب فنزويلا وهي ثالث أصغر بلد في تلك القارة وإحدى الدول الأربع غير الناطقة بالأسبانية فيها: (البرازيل: البرتغالية، وسورينام: الهولندية، وجويانا الفرنسية: الفرنسية)، أما جويانا فترتبط بشكل رئيس مع البلدان الكاريبية الأخرى الناطقة بالانجليزية كجامايكا وترينيداد وتوباجو.

حادث ألحق خسارة بالأرواح الأمريكية في كارثة غير طبيعية لغاية حصول أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

أعقب الحادث أيضاً مقتل خمسة آخرين من أتباع المعبد في مطار كايتوما القريب بضمنهم عضو الكونجرس ليو راين وهو عضو الكونجرس الوحيد الذي يقتل أثناء الواجب في تأريخ الولايات المتحدة.

ولإلقاء الضوء على الحادث وخلفيته ينبغي التحدث عن تأريخ معبد الشعب وتأسيس مستوطنة جونز تاون ثم الأحداث التي سبقت الحادث وزيارة وفد الكونجرس إلى المستوطنة وبعدها نتناول الحادث نفسه وشهادات الناجين ونتائج الفحوص الطبية[١].

التاريخ

تأسس معبد الشعب في مدينة أنديانا بوليس في ولاية انديانا الأمريكية خلال أواسط الخمسينات. الغاية المزعومة من تأسيسه هي ممارسة ما يسمى "بالأشتراكية الرسولية". ولتحقيق ذلك يحض المعبد أتباعه المؤسسين بأنه: "يجب تحويل من كان مخدرا بأفيون الدين إلى الاشتراكية التنويرية".

فبعد تلقي جونز انتقادات حادة في انديانا بسبب آرائه المؤيدة للاندماج العنصري، انتقل المعبد في ١٩٦٥م إلى وادي ردوود في كاليفورنيا. وفي بداية السبعينيات فتح المعبد فروعاً أخرى له في كاليفورنيا بما في ذلك لوس انجلس وسان فرانسيسكو. وفي منتصف العقد، نقل المعبد مقره الرئيس إلى سان فرانسييسكو.

وبعد إن أثبت معبد الشعب أنه عامل مؤثر في انتخابات رئاسة الولاية وفوز جورج موسكون في ١٩٧٥م، عيَّن الأخير جونز رئيساً لمفوضية إسكان سان

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Peoples_Temple .

فرانسيسكو. وبخلاف باقي الشخصيات من قادة الطوائف، كان جونز يتمتع بدعم شعبي واسع وله علاقات واسعة مع أرفع السياسيين في الولايات المتحدة. فقد التقى عدة مرات مع المرشح لنائب الرئيس والتر موندال ورزالين كارتر. ومن بين الذين حضروا حفلة عشاء كبيرة أقيمت على شرف جونز في أيلول/ سبتمبر ١٩٧٦م، كل من حاكم الولاية جيري براون ونائبه ميرفين ديمالي وعضو الجمعية ويلي براون.

وفي ١٩٧٤م استأجر المعبد أكثر من ٣٨٠٠ فدان (١٥.٤ كيلومتر مربع) من أراضي الغابات من حكومة جويانا. وأوضح عضو المعبد السابق تيم كارتر أن السبب وراء اختيار جويانا هو نظرة المعبد عن تنامي الفاشية من خلال سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على الحكومة وتفشي العنصرية لدى الحكومة الأمريكية. ويقول كارتر أن المعبد استنتج أن جويانا، وهي الدولة التي يسيطر عليها السود وتعتبر بلداً اشتراكياً ناطقاً بالانكليزية، يمكن أن تقدم لأعضاء المعبد السود مكاناً هادئاً للعيش فيه.



جيم جونز

أخذت مجموعة صغيرة من أتباع معبد الشعب ببناء مستوطنة جونز تاون. وشجع المعبد بعضاً من أعضائه للانتقال إليها وقد سميت "المشروع الزراعي لمعبد الشعب".

كان قصد جونز من إنشائها هو إنشاء طائفة شيوعية خيرية قائلاً: "أعتقد أننا أنقى الشيوعيين على الأرض". ووصف مارسيلين جونز المستوطنة بقوله: "أنها مكرسة لتعيش على مبادئ الاشتراكية والمساواة الاقتصادية والعرقية والاجتماعية التامة". كان جونز يريد خلق جماعة مثالية وادعى أن رئيس وزراء جويانا فوربس بيرنهام "لم يتحدث بما يكفي عنا، فلم يذكر الأشياء الجميلة التي فعلناها، كهذا المشروع الذي يعتبر مثالاً للاشتراكية". وبهذا الخصوص، لم يسمح جونز، أسوة بقيود الهجرة التي وضعها الاتحاد السوفيتي وكوبا وكوريا الشمالية، لأعضاء المعبد بمغادرة جونز تاون.

وفي صيف ١٩٧٧م، انتقل جونز وبضع مئات من أعضاء المعبد إلى مستوطنة جونز تاون للهروب من ضغوط تحقيقات وسائل الأعلام. وازداد سكان المستوطنة من ٥٠ عضوا في بداية ١٩٧٧م إلى أكثر من ١٠٠٠ في ذروة مجدها في ١٩٧٨م.

كان الكثير من أعضاء المعبد يعتقدون أن جويانا ستكون جنة الفردوس كما وعد جونز. كان العمل في البداية ستة أيام في الأسبوع ويستمر لإحدى عشرة ساعة تتخللها ساعة غداء في جو جويانا الاستوائي. وفي منتصف ١٩٧٨م وبعد تردي صحة جيم جونز وتولي مارسي جونز إدارة الأعمال في المستوطنة، تقلصت أيام العمل إلى خمسة أيام في الأسبوع وساعاته إلى ثمان ساعات باليوم.

وبعد انتهاء ساعات العمل، يشارك أعضاء المعبد لعدة ساعات في أنشطة مختلفة داخل بهو كبير تشمل دروس في الاشتراكية. ووصف جونز هذه الدراسة بأنها

تشبه النظام الكوري الشمالي الذي يقر ثمان ساعات من العمل اليومي تتبعها ثمان ساعات من الدراسة. وقد يقرأ جونز بعض الأخبار والتعليقات وقد يكون بعض منها من راديو موسكو أو راديو هافانا.

كانت قراءات جونز المسجلة للأخبار جزءاً من البث الإذاعي المستمر على مكبرات الصوت في المستوطنة كي يستطيع كل الأعضاء سماعها طيلة الليل والنهار. وتصور قراءات جونز للأخبار الولايات المتحدة عادة بأنها الوغد الإمبريالي الرأسمالي بينما تصف الزعماء الاشتراكيين كالدكتاتور الكوري الشمالي السابق كيم إيل سونج بأنه "القائد العظيم للثورة الذي يقف في طليعة الطبقة العاملة الكورية" ويصف روبرت موجابي بأنه "المعروف بتطلعاته الشيوعية من أجل الشعب الزيمبابوي وأنه أحد الأبطال الثوريين"، ويصف جوزيف ستالين بطريقة إيجابية بعد الانتقادات الكبيرة الموجهة إليه.

يعيش الأعضاء في مساكن جماعية صغيرة ويتناولون وجبات يقال أنها تتكون بشكل رئيس من الرز والفاصوليا في معظم الأوقات. ورغم ملايين الدولارات التي يقال أنها دخلت خزائن معبد الشعب، لكن جونز كان يعيش أيضاً في منزل جماعي صغير، إلا إن أناساً قليلين يعيشون معه بخلاف المساكن الأخرى. ويذكر أنه يوجد في بيته ثلاجة صغيرة تحتوي في بعض الأوقات بيضاً ولحماً وفاكهة وسلطة ومشروبات باردة ليس فيها كحولا. وفي شباط ١٩٧٨م أصابت مشاكل صحية كالإسهال الحاد والحمى الشديدة أكثر من نصف عدد أفراد الطائفة.

ورغم أنه لا يوجد في مستوطنة جونز تاون أي سجن أو أي شكل من أشكال عقوبات الموت، لكن استخدمت أشكال متعددة للعقوبات ضد الأعضاء الذين يرتكبون مخالفات انضباطية كبيرة. مثال ذلك رميهم في سجن عبارة عن قفص

خشبي بأبعاد ١.٨×١.٢×٠.٩ متر أو إجبار الأطفال لقضاء ليلة في قاع بئر وأحياناً على رؤوسهم. وبالنسبة إلى بعض الأعضاء الذين يحاولون الهرب، فأنهم يعطون عقاقير كالثورازين والصوديوم بنتاثول والكلورال هايدريت والديميرول والفاليوم، حتى "يعودوا إلى رشدهم"، ويحتفظون بسجل تفصيلي عن نظام تناول العقاقير لكل شخص. وتجوب المنطقة ليل نهار دوريات حراسة مسلحة لتعزيز أنظمة وقوانين المستوطنة. ويروي بعض سكان جويانا المحليين بضمنهم ضابط شرطة أخباراً عن الضرب المبرح وحفرة التعذيب وهي البئر الذي يلقى فيه الأطفال عندما يعرف أنهم قد أساءوا التصرف.

يخضع الأطفال عموما للرعاية الاشتراكية ويخاطبون جونز بعبارة "أبي" ولا يسمح لهم إلا أحياناً وفي الليل ولفترة قصيرة فقط، برؤية والديهم الحقيقيين. ويخاطب جونز أيضاً من قبل الكبار بلفظة "الأب" أو "الوالد".

يتلقى المعبد شهريا مبالغ تصل إلى ٦٥٠٠٠ دولار من المؤسسات الحكومية الأمريكية لرعاية ساكني المستوطنة. وفي ١٩٧٨م، أجرى مسؤولون من سفارة الولايات المتحدة في جويانا لعدة مرات لقاءات مع متلقي الضمان الاجتماعي في المستوطنة للتأكد من أنهم غير محتجزين فيها رغماً عن إرادتهم. ولم يذكر أي من الأفراد الـ ٧٥ الذي قابلتهم السفارة أنهم محتجزون قسراً أو أنهم قد أجبروا على توقيع صكوك الضمان الاجتماعي أو يرغبون في ترك المستوطنة.

وقدرت ثروة المعبد في أواخر ١٩٧٨م بأكثر من ٢٦ مليون دولار.



منزل جيم جونز في المستوطنة

اعتاد جونز على إلقاء خطابات على أعضاء المعبد بشأن سلامة المستوطنة وفيها يشير إلى أن وكالة المخابرات المركزية وباقي الوكالات الاستخبارية الأخرى تتآمر بالتعاون مع "الخنازير الرأسماليين" لتدمير جونز تاون وتحطيم أعضائها.

وفي مدينة جورج تاون عاصمة جويانا أجرى ممثلو معبد الشعب لقاءات عديدة مع سفارات الاتحاد السوفيتي وكوريا الشمالية ويوغسلافيا وكوبا. وتضمنت مفاوضاتهم مع الاتحاد السوفيتي نقاشات مستفيضة عن إمكانية إقامة مستوطنات أخرى فيه وأصدر المعبد مذكرة تتحدث عن الأماكن المحتملة لإقامة مثل هذه المستوطنات داخل الاتحاد السوفيتي.

وبعد ساعات العمل وعندما تظهر حالات طوارئ، يقيم المعبد اجتماعات يسميها جونز "الليالي البيضاء". فخلال مثل هذه الحالات يعطي جونز أعضاء المستوطنة أربعة خيارات هي:

١ - محاولة الهرب إلى الاتحاد السوفيتي.

٢ - الانتحار الثوري.

٣- البقاء في جونز تاون ومقاتلة المهاجمين المزعومين.

٤- الفرار داخل الغابة.

وفي مناسبتين على الأقل من هذه الليالي البيضاء وبعد التوصل إلى التصويت على الانتحار الثوري، جرت تجربة على الانتحار الجماعي. وقد وصفت دبورا لايتون وهي إحدى الفارات من معبد الشعب، هذا الحدث في شهادتها الخطية قائلة:

"أُمر الجميع بما فيهم الأطفال بالاصطفاف. وأعطينا كأساً صغيراً من سائل أحمر لنشربه. قيل لنا أن هذا السائل يحتوي على سم وأننا سنموت خلال ٤٥ دقيقة. فعلنا كما طلبوا منا. وعندما حان الوقت الذي كان يجب أن نخر صرعى فيه، أبلغنا سماحة جونز أن السم غير حقيقي وأن هذا كان مجرد اختبار لنا. وقال إن الوقت ليس ببعيد ذلك الذي يصبح فيه من الواجب علينا أن نختار الموت بأيدينا".



دبورا لايتون إحدى الفارات من المعبد

وبعد ازدياد الضغط في الولايات المتحدة الأمريكية لأجراء التحقيقات في مستوطنة جونز تاون، كتب هارفي ميلك[1] في ١٩ شباط/ فبراير ١٩٧٨م رسالة دعم وتأييد لمعبد الشعب إلى الرئيس جيمي كارتر. وقد وصف ميلك، جونز "بأنه رجل يتمتع بأسمى شخصية". وبخصوص الأعضاء الذين رجعوا عن عقيدة المعبد والذين يضغطون من أجل إجراء تحقيق حول المعبد، كتب ميلك: "أنهم يحاولون تشويه سمعة سماحة جونز بأكاذيب وقحة واضحة".

وفي ١١ نيسان/ أبريل ١٩٧٨م، وزعت جماعة من الأقرباء من أعضاء المعبد رزمة من الوثائق تتضمن رسائل وشهادات عنوانها "اتهام لسماحة جيمس وارن جونز بانتهاك حقوق الإنسان"، وقد وزعوها على أعضاء المعبد وعلى الصحفيين وأعضاء الكونجرس. وفي حزيران/ يونيو ١٩٧٨م، زودت دبورا لايتون التي رجعت عن عقيدة المعبد، هذه الجماعة بشهادة مفصلة عن جرائم معبد الشعب والظروف المعيشية القاسية في مستوطنة جونز تاون.

وخلال صيف ١٩٧٨م، استأجر جونز منظري مؤامرة اغتيال جون كينيدي، مارك لين ودونالد فريد للمساعدة في وضع نظرية عن مؤامرة كبيرة تقودها وكالات استخبارية ضد معبد الشعب. وفي أيلول/ سبتمبر ١٩٧٨م، تحدث لين إلى سكان جونز تاون مبدياً دعمه وتأييده لنظرية جونز مشبهاً إياه بمارتن لوثر كينج. ثم بعدها عقد مؤتمرات صحفية أوضح خلالها أن التهم الموجهة ضد المعبد غير صحيحة وغير دقيقة وأن هناك مؤامرة كبرى ضده تقودها مؤسسات مخابراتية مثل المخابرات المركزية الأمريكية ومكتب التحقيقات الفدرالي ومفوضية الاتصالات الفيدرالية بل وحتى دائرة البريد الأمريكية. ورغم أن لين قد وصف نفسه بأنه رجل محايد، لكن جونز كان يدفع له في الواقع ٦٠٠٠ دولار شهرياً لإخراج مثل هذه النظريات.

(١) هارفي بيرنار ميلك ١٩٣٠م – ١٩٧٨م سياسي أمريكي وأول مثلي ينتخب في دائرة عمومية في كاليفورنيا كعضو في هيئة المشرفين بسان فرانسيسكو.

وفي ٢ ت١/ أكتوبر ١٩٧٨م، زار فيودور تيموفاييف الموظف في السفارة السوفيتية بجويانا مستوطنة جونز تاون وأمضى بها يومين وألقى بها خطاباً. قال جونز قبل الخطاب: "لسنين عديدة لم نخف مشاعرنا قط بأن حكومة الولايات المتحدة ليست أمناً بل أن الاتحاد السوفيتي هو موطننا الروحي"، وهذا ما أثار موجة صاخبة من الهتاف والتصفيق من قبل جمهور جونز تاون. افتتح تيموفاييف خطابه قائلاً أن الاتحاد السوفيتي يرسل إلى شعب أول مستوطنة شيوعية اشتراكية في الولايات المتحدة أعمق وأخلص تحياته، وتلا ذلك أيضاً موجة من الهتاف والتصفيق. وقال: "أتمنى لكم أيها الرفاق الأعزاء كل النجاح والتوفيق في عملكم هذا".

وخلال ت١/ أكتوبر ١٩٧٨م، كان أعضاء المعبد يلتقون أسبوعيا مع تيموفاييف ويناقشون موضوع إمكانية الهجرة الجماعية إلى الاتحاد السوفيتي.

وفي ١ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م، أعلن عضو الكونجرس ليو راين بأنه قد يقوم بزيارة إلى جونز تاون. كان راين صديقا للأب بوب هوستن الذي وجدت جثته مشوهة بالقرب من خطوط سكة الحديد في ٥ ت١/ أكتوبر ١٩٧٦م وذلك بعد ثلاثة أيام من حصول محادثة تلفونية مسجلة بينه وبين زوجته السابقة حول احتمال مغادرته المعبد. وازدادت رغبة راين بزيارة المستوطنة خلال الشهور التالية بعد ظهور شكاوى جماعة الأقارب والمزاعم التي تلت رجوع دبورا لايتون عن عقيدة المعبد.

تدهورت صحة جونز حينها بشكل كبير وأبلغه الطبيب في ١٩٧٨م بأنه قد يكون مصاباً بمرض في رئته. ويقال أن جونز كان يتعاطى المسكنات. وقد خفت صوته الحاد في أيامه الأخيرة وكان يدغم الكلمات مع بعضها بل حتى انه لم يكن يستطيع أن ينهي الجمل بشكل صحيح عند القراءة[1].

(1) Galanter, Marc, Cults: Faith, Healing, and Coercion, Oxford University Press, 2nd, 1999, p. 119.

التحقيق الأول لبعثة راين في جورج تاون:

في يوم الثلاثاء ١٤ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م، طار عضو الكونجرس ليو راين إلى جورج تاون في جويانا التي تبعد ١٥٠ ميلا عن جونز تاون برفقة فريق مكون من ١٨ شخصاً من المسؤولين الحكوميين وممثلي وسائل الأعلام وبعض من أعضاء جماعة الأقارب. وراين هو عضو ديمقراطي ممثل مقاطعة في كاليفورنيا الشمالية. ضم الفريق راين نفسه ومستشاره القانوني جاكي سباير (الآن عضو كونجرس) وريتشارد دوير نائب رئيس البعثة الدبلوماسية الأمريكية في جويانا (الذي يقول البعض أنه ضابط في المخابرات المركزية) والمراسلون الصحفيون تيم رايترمان وجريك روبنسون من سان فرانسيسكو إيكسامنر ودون هاريس وستيف سانج وبوب فليك وبوب براون من NBC وبوب فليك وتشارلز كراوس من الواشنطن بوست ورون جيفرز من سان فرانسيسكو كرونيكل، وممثلو جماعة الأقارب أنتوني كاتساريس وجيم كوب وشيروين هاريس وكارولين هوستن بويد.

أراد راين والآخرون التحقيق في مزاعم عن انتهاكات يومية لحقوق الإنسان وتهم بالحبس ومصادرة الأموال والجوازات بشكل غير مشروع، وتهم بممارسات للانتحار الجماعي ومقتل سبعة من الأعضاء الذين حاولوا الرجوع عن هذه العقيدة.

وعندما وصل راين والآخرون إلى جورج تاون عاصمة جويانا صبيحة يوم ١٥ ت٢/ نوفمبر، رفض محامو معبد الشعب مارك لين وتشارلز غاري، السماح لفريق راين الدخول لمستوطنة جونز تاون.

بعثة راين تزور جونز تاون:

وفي ضحى يوم الجمعة ١٧ ت٢/ نوفمبر، أبلغ راين، لين وغاري أنه سيغادر نحو جونز تاون في الساعة ٢:٣٠ ب.ظ بغض النظر عن رغبة جونز أو جدول

مواعيده. وبالفعل طار فريق راين بحدود نفس الوقت يرافقه لين وغاري ووصل إلى مطار بورت كايتوما الذي يبعد ٦ أميال عن جونز تاون بعد بضعة ساعات. وفي البداية لم يسمح إلا لراين ولثلاثة من رفاقه الدخول إلى المستوطنة وعند الغروب سمح لباقي الفريق بالدخول. واتضح فيما بعد (وتأكد من خلال أشرطة التسجيل التي عثر عليها المحققون) أن جونز قد أجرى عدة تمارين حول كيفية استقبال بعثة راين من أجل إقناعها بأن الجميع سعداء ويتمتعون بمعنويات عالية.

وفي الليل جرى لبعثة راين حفل استقبال في بهو الاحتفالات. وحيَّت مجموعة من أعضاء المعبد، كان جونز قد اختارها بعناية، أعضاء البعثة. اتخذ اثنان من أعضاء المعبد هما فيرنون جوسني ومونيكا باجبي أول خطوة للرجوع عن عقيدة المعبد في تلك الليلة. فقد مرر جوسني قصاصة إلى دون هاريس (متصوراً أنه راين) تقول: "عزيزي عضو الكونجرس، نحن فينون جوسني ومونيكا باجبي. نرجو مساعدتنا للخروج من مستوطنة جونز تاون".

مكث فريق راين (راين نفسه مع سباير ودوير وأنيبورن) في المستوطنة. بينما أبلغ باقي الفريق من ممثلي وسائل الأعلام وجماعة الأقرباء أن عليهم إيجاد مكان آخر لإقامتهم، لهذا ذهبوا إلى بورت كايتوما ومكثوا في مقهى صغير.

وفي الصباح الباكر من يوم ١٨ ت٢/ نوفمبر، أحسَّ أكثر من عشرة أشخاص من أعضاء المعبد بالخطر فخرجوا من المستوطنة واتجهوا نحو خط سكة الحديد واستقلوا قطارا نحو جبل ماثيو في الأتجاه المقابل لمطار بورت كايتوما. ضم هؤلاء الفارون أسرة إيفانز وأسرة ويلسون (وهي أسرة رئيس الأمن في المستوطنة جو ويلسون). وفي الآخر وعندما وصل المراسلون وأعضاء جماعة الأقرباء، أجرت زوجة جيم جونز، مارسلين جونز، جولة ميدانية للمراسلين على المستوطنة.

استيقظ جيم جونز متأخرا صبيحة يوم ١٨ ت٢/ نوفمبر. تقدمت أسرتان وطلبتا الخروج من جونز تاون برفقة وفد راين. وهما أسرة باركز وبوج مع كريستوفر أونيل وهارولد كورديل. وعندما حاول ابن جونز بالتبني المدعو جوني التحدث مع جيري باركز لثنيهم عن الرحيل، أبلغه باركز: "لا مجال هناك، إن هذه المستوطنة ليست غير معسكر اعتقال شيوعي".

أعطاهم جونز الرخصة بالمغادرة مع بعض المال إضافة إلى جوازاتهم وأبلغهم أنه يرحب بهم في أي وقت إذا ما رغبوا في العودة. وفي عصر ذلك اليوم جرت مفاوضات مطولة في البهو. علم جونز أيضاً بهروب أسرتي إيفانز وويلسون، لكنه ظل هادئاً. بعدها سَلَّم دون هاريس مراسل NBC ، جونز، قصاصة فيرنون جوسني. شعر جونز بالغضب وقال أن أولئك الذين يريدون ترك جماعته، إنما يكذبون وسيدمرون المستوطنة.



عضو الكونجرس ليو راين

وبينما كانت المفاوضات جارية في البهو، جرت مشاهد عاطفية بين أعضاء بعض الأسر. تقدم آل سيمون وهو أمريكي هندي عضو في معبد الشعب إلى راين

وطفليه بين يديه وطلب العودة إلى الولايات المتحدة. استدعيت زوجته بمكبرات الصوت من قبل رفاق جونز وأعلنت إنهاء علاقتها به. توسل بها عبثاً للرجوع معه إلى الولايات المتحدة لكنها رفضت طلبه.

حوادث إطلاق النار في مطار بورت كايتوما:

أراد الكثيرون مغادرة جونز تاون وهذا يتطلب توفير طائرة أخرى. كانت خطة راين أن يرسل في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت مجموعة صغيرة إلى أرض المطار للمغادرة ويبقى هو مع الباقين حتى وصول طائرة أخرى تقلهم.

وبعد مغادرة المجموعة الأولى بالشاحنات بقليل، هاجم عضو المعبد دون سلاي، الذي يعمل بأوامر جونز المباشر، راين بسكين. لم يصب عضو الكونجرس بأذى كبير، واقترح نائبه دوير أن يغادر راين المستوطنة بينما يقيم ديور دعوى جنائية ضد سلاي. أيد راين المقترح وغادر واعدا بالعودة لتدبر أمر النزاع.

وقبل مغادرة البعثة إلى المطار بقليل، طلب أحد أنصار جونز المخلصين وهو لاري لايتون أن ينضم إلى المجموعة المغادرة. أعرب العديد من الراجعين عن عقيدة المعبد عن شكوكهم بدوافع لايتون، وهي تلك الشكوك التي أهملها راين وسباير. وهكذا غادر فريق راين و١٦ من أعضاء المعبد السابقين مستوطنة جونز تاون ووصلوا إلى مطار بورت كايتوما بين الساعة ٤:٣٠ و٤:٤٥.

كانت الخطة هي استخدام طائرتين للسفر إلى جورج تاون الأولى طائرة سيسنا Cessna ذات الستة ركاب وأخرى أكبر قليلاً نوع Twin Otter . لم تكن الطائرتان جاهزتين عند وصول المجموعة، وكان على الأخيرة الانتظار في أرض المطار حتى الساعة ٥:١٠ مساءاً.

كان لاري لايتون أحد ركاب طائرة سيسنا وهي الطائرة الأولى التي من المقرر أن تقلع. وعند الساعة ٥:٢٠ وفي الوقت الذي وصلت فيه الطائرة إلى آخر المدرج، أخرج لايتون بندقية كان يخفيها تحت معطفه وأخذ بإطلاق النار على الركاب. أصاب وجرح مونيكا باجبي وفيرنون جوسني وحاول قتل ديل باركز لكن الأخير استطاع إنتزاع السلاح منه.

في نفس الوقت كانت الطائرة الأخرى الأكبر محملة جزئيا بالركاب. وبينما كانت عملية إطلاق النار على طائرة السيسنا على وشك البدء، ظهرت ساحبة زراعية تجر مقطورة على أرض المطار يقودها عدد من أفراد رهط أمن اللواء الأحمر التابع للمعبد. وصلت الساحبة إلى مسافة ٣٠ قدما، ثم أخذ أفراد اللواء الأحمر بإطلاق النيران على الطائرة محاولين إحاطتها سيرا على الأقدام من كل الجوانب. وقد استطاعت كاميرا مصور الـ NBC بوب براون التقاط عدة ثوان من حالات إطلاق النار. قُتِلَ عضو الكونجرس راين وأعضاء الفريق الإخباري براون وروبنسون وهاريس والراجعة عن عقيدة المعبد باتريشيا باركز خلال الدقائق القليلة من إطلاق النيران. ومن بين المصابين التسعة داخل أو حول الطائرة جاكي سباير وستيف سانج وانتوني كاتساريس. وبعد إطلاق النار، تمكنت الطائرة سيسنا من الإقلاع إلى جورج تاون تاركة خلفها حطام طائرة Twin Otter واستطاع طيار الأخيرة ومساعده من الهروب على متن طائرة السيسنا.

يعتبر مقتل عضو الكونجرس راين الحادث الأول والوحيد من حوادث مقتل عضو كونجرس أثناء الواجب في تأريخ الولايات المتحدة.

حوادث الموت في جونز تاون:

قبل أن يغادر عضو الكونجرس راين مستوطنة جونز تاون باتجاه المطار، كان قد أخبر محامي المعبد تشارلز غاري بأنه سيعد تقريراً يصف فيه مستوطنة جونز تاون

وصفاً إيجابياً. فلم يكن أي من الستين شخصاً الذين قابلهم راين يود ترك المستوطنة، أما الـ ١٤ شخصا الذين غادروا فهم جزء بسيط من سكانها، وحتى لو أراد ٢٠٠ شخصا من أصل الـ ٩٠٠ المغادرة، "فأبقى أقول أن لديكم مكاناً جميلاً هنا" وإن الشعور بحجز هؤلاء الـ١٤ شخصاً جاء بسبب انعدام وسائط النقل. وبنفس الطريقة ذكر مراسل الواشنطن بوست تشارلز كراوس وهو في طريق العودة إلى المطار أنه غير مقتنع بأن جونز تاون مكان سيئ كما يدعي المرتدون عنها لأنه لا تتوفر أية علامات لسوء التغذية أو الإيذاء البدني، حيث يظهر أن العديد من الأشخاص يشعرون بالسعادة في جونز تاون وأن قلّة فقط من السكان التسعمائة اختاروا المغادرة.

ورغم تقرير غاري، إلا إن جونز أخبره "أنني قد فشلت". وقد كرر غاري قوله بأن راين سيقدم تقريراً إيجابياً، لكن جونز ظل يقول: "لقد ضاع كل شيء".

ويسجل شريط من ٤٤ دقيقة (شريط الموت) جزءاً من الاجتماع الذي عقده جونز في البهو في أول المساء. أحضر المعاونون وعاءاً معدنياً قبيل الاجتماع فيه عصير عنب مسمم بالفاليوم وكلورال الهايدرايت وربما أيضاً السيانيد (رغم أن ذلك ليس مؤكداً).

وعندما حضر الجمع، أخبرهم جونز: "أعلم أن أحد ركاب الطائرة سيطلق النار على الطيار. لم أخطط لذلك، لكنني أعلم أن ذلك سيحصل. ستطلق النار على الطيار وستسقط الطائرة في الغابة لهذا أفضل ألا يكون أحد من أطفالنا على متنها".

وظهر في الشريط أن عضواً واحدا فقط هو كريستين ميلر قد رفض صراحة قرار أعضاء المعبد للقيام بها سبق أن أشاروا له "الانتحار الثوري". وقال ميلر أن على أعضاء المعبد أن يجربوا خياراً بديلاً هو الطيران إلى روسيا. وبعد مناقشات عديدة مع ميلر والتي بيّن خلالها جونز أن الهجرة إلى الاتحاد السوفيتي غير ممكنة

إضافة إلى اعتراضات الأعضاء الآخرين على ميلر، اضطر الأخير إلى الخضوع. وربما توقف عن الاعتراض بعدما أكد جونز في لحظة معينة أن عضو الكونجرس قد مات إثر قيام رهط اللواء الأحمر بإطلاق النار عليه في المطار.

وبعد عودة رماة المطار إلى جونز تاون، ذكر تيم كارتر وهو محارب قديم في فيتنام أنه شاهد نظرة الهلع والموت في عيون هؤلاء الجنود المنهكين. كان عدد الرماة تسعة ولا تعرف أسماء معظمهم ولكن تتفق معظم المصادر إلى أن من بينهم كان جو ويلسون رئيس الأمن وتوماس كايس وألبرت توشيت.

وبعد إن أعلن جونز أن عضو الكونجرس قد مات، لم يظهر أي خلاف أو اعتراض في شريط الموت. وبعدها مباشرة قال جونز بشأن رهط اللواء الأحمر الذي أطلق النار على راين: "لقد أراهم اللواء ما هو العدل". ورداً على ردود الفعل لمشاهدة السم يأخذ مفعوله في الآخرين، أمر جونز قائلاً: "أوقفوا هذه الجنون. ليس هذا أسلوب الاشتراكيين أو الشيوعيين في الموت. لا سبيل آخر لنا للموت. يجب أن نموت بكرامة".

وحسبما يقول أحد أعضاء المعبد الفارين أوديل رودس، كان أول من تناول السم هو السيدة روليتا باول وطفلها الصغير ذو العام الواحد. استخدمت حقنة دون أبرة لزرق السم في فم الطفل بعدها زرقت باول حقنة أخرى في فمها. ورأى ستانلي كلايتون أمهات أخريات وهن يتقدمن أولاً مع أطفالهن نحو المنضدة التي تحوي السم. يقول كلايتون أن جونز تقدم من السكان يشجعهم على تناول السم وبعد إن رأى الكبار منهم السم وهو يأخذ مفعوله، "أبدوا رفضهم للموت".

أدى السم إلى موت متناوليه في غضون خمس دقائق. يقول رودس أنه بعد تناول السم اقتيد الناس إلى خارج البهو نحـو ممشى خشبي. وليس من المعروف إن كان

البعض قد اعتقد أن هذا العمل دو مجرد تمرين آخر "لليلة بيضاء". ويذكر رودس أنه كان على اتصال وثيق مع الأطفال المحتضرين.

وفي الوقت الذي لا يحوي فيه الشريط أي أصوات صراخ أو بكاء، إلا إن جونز قد أشار إلى وجود مثل هذه الأشياء. فيقول: "أنا لا أكترث بكم الصراخ الذي تسمعونه، ولا بكم زعيق الآلام، فالموت أفضل بمليون مرة من عشرة أيام أخرى من هذه الحياة. لو كنتم تعلمون ما سيحل بكم، لو كنتم تعلمون ما هو قادم إليكم، فستفضلون الأقدام على الموت هذه الليلة. ويقول رودس أنه بينما كان يوضع السم في أفواه الأطفال، لم أسمع صرخة ذعر ولا حالة ثوران عاطفي لدى الناس وكانوا أشبه بما يكونوا في حالة غفوة أو سكرة[1].

وتعتبر مأساة جونز تاون أكبر خسارة في حياة مدنيين أمريكيين في كارثة غير طبيعية حتى حصول حوادث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م[2].

الناجون وشهود العيان:

استطاع أربعة أشخاص كان مقرراً أن يجرعوهم السم من النجاة. أولهم جروفر ديفس، ٧٩ عاماً، وكان ضعيف السمع فلم يسمع الإعلان بالتجمع بواسطة مكبرات الصوت، فتمدد في حفرة وتظاهر بأنه ميت. وثانيهم السيدة ياسينث تراش، ٧٦ عاماً، التي اختبأت تحت سريرها عندما كانت الممرضات يدرن في مخدعها بكؤوس السم. وثالثهم أوديل رودس، ٣٦ عاماً، وهو حرفي ومعلم في المستوطنة

(١) تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية في ١٨ نوفمبر ١٩٧٨م بعنوان ١٩٧٨: Mass Suicide leaves 900 dead، منشور على موقعها الألكتروني:

http://news.bbc.co.uk/onthisday/hi/dates/stories/november/18/newsid_2540000/2540209.stm

(2) Catherine Wessinger, Hoq the Millennium comes violently: From Jonestown to Heaven's gate, seven Bridges Press, 2000, p. 30.

كان قد تطوع لجلب سماعة طبية واختبأ تحت بناية معينة. وأخيرا ستانلي كلايتون، ٢٥ عاماً، وهو عامل مطبخ وابن عم لهيو نيوتن وكان قد خدع حراس الأمن وهرب إلى داخل الغابة.

ويدعي ثلاثة ناجين آخرين أنهم قد كلفوا بواجب معين من قبل ماريا كاتساريس إحدى مساعدات جونز وبذلك تخلصوا من الموت. وهم الأخوان تيم ومايك كارتر وأعمارهم ٣٠ و٢٠ عاماً على التوالي، ومايك بروكس، ٣١ عاماً. وقد أعطيت لهم حقائب تحوي ٥٥٠ ألف دولار أمريكي وما يعادل١٣٠ ألف دولار بعملة جويانا مع ظرف وأبلغوهم بتسليمها إلى السفارة السوفيتية في جورج تاون. ويحوي الظرف جوازي سفر وثلاث رسائل وصايا. أولها موجهة إلى فيودور تيموفاييف الموظف في السفارة السوفيتية في جويانا وتقول:

"رفيقي العزيز تيموفاييف:

فيما يلي رسالة فيها بعض الوصايا التي تخص جميع موجوداتنا التي نود تركها إلى الحزب الشيوعي في جمهوريات الاتحاد السوفيتي. تجد طي هذه الرسالة خطابات موجهة إلى البنوك لأرسال صكوك مالية منها اليك. إني أفعل ذلك نيابة عن معبد الشعب لأننا كشيوعيين نريد أن تذهب أموالنا لمصلحة الشعوب المقهورة في جميع أنحاء العالم، أو ما تراه هيئة صنع القرار لديكم مناسبا".

تضمنت الرسائل قائمة بالحسابات المصرفية مع أرصدتها البالغة أكثر من ٧.٣ مليون دولار أمريكي والتي يجب تحويلها إلى الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. أخفى الشقيقان تيم ومايك مع بروكس الجزء الأكبر من المال وأفهما الجميع أنهما متجهان نحو قارب المعبد (كوجو) في كايتوما. ليس من المعلوم كيف كان يفترض منهم الوصول إلى جورج تاون التي تبعد ١٥٠ ميلاً، طالما أن القارب كان قد أُبعد من قبل قيادة المعبد في نفس ذلك اليوم.

في بداية اللقاء أُخبر المحاميان تشارلز غاري ومارك لين أن الناس غاضبون جدا عليهم. أُخِذَ المحاميان إلى "البيت الشرقي" الذي يستخدم لإقامة الزوار بعيداً عن بهو الاجتماعات. وحسبما يقول المذكوران أنهما قد شقا طريقهما أمام الحرس المسلح ودخلا الغابة حتى وصلا في الآخر إلى بورت كايتوما. وبينما كانا يسيران داخل الغابة ليس بعيداً عن المستوطنة سمعا هرجا ثم إطلاق نار. وتتفق هذه الملاحظة مع شهادة كلايتون الذي سمع نفس الأصوات أثناء تسلله عائداً إلى جونز تاون لاسترداد جواز سفره.

إن حجم الحدث إضافة إلى ميول جونز الاشتراكية قادت البعض إلى التفكير باحتمال تورط المخابرات المركزية الأمريكية بالموضوع. إلا إن اللجنة المنتخبة الدائمة للمخابرات قد حققت في الانتحار الجماعي في جونز تاون وأعلنت أنه لا دليل هناك على احتمال تورط المخابرات المركزية في موضوع جونز تاون.

الفحوصات الطبية:

الطبيب الوحيد الذي حضر المشهد وفحص الجثث وهي على أرض المستوطنة هو كبير الأطباء العدليين في جويانا الدكتور ليزلي موتو. فحص الأخير أكثر من ٢٠٠ جثة وأخبر المحلفين الجويانيين المحققين في القضية أنه رأى علامات زرق حقن على ما لا يقل عن ٧٠ جثة. مع ذلك لم يتم تحديد فيما إذا كانت هذه الحقن قد سبقت إعطاء السم أو كانت كما تسمى "حقن الرحمة" التي تعطى لتسريع الموت وتقليل معاناة وآلام أولئك الذين تناولوا السم في البداية عن طريق الفم. ولاحظ موتو وطبيب التشريح الأمريكي الدكتور لاين كروك وجود مادة السيانيد السامة في بعض الجثث، بينما كشف تحليل محتويات الوعاء الموجود في مسرح الحدث وجود مواد مهدئة مع نوعين من المواد السامة هما سيانيد البوتاسيوم وكلورايد البوتاسيوم.

وعثر في المنطقة التي وجدت فيها الجثث مواد مبعثرة من أكواب بلاستيكية وأكياس مسحوق عصير وحقن طبية بعضها بإبر والبعض الآخر دونها. وذكر موتو أن جرح الطلق الناري الذي أصاب أني مور لم يكن نتيجة إطلاق نار على نفسها، رغم أنها تناولت أيضاً جرعة قاتلة من مادة السيانيد.

تخلت السلطات الجويانية عن حقها في تشريح الجثث في حالة الموت غير الطبيعي. وأجرى أطباء الولايات المتحدة تشريحا لسبع جثث فقط هي جثث جيم جونز والدكتور لورنس شات وأني مور وكارولين لايتون. وقد شرحت جثتا الأخيرتين بناء على طلب أسرة مور وطلب شقيقتهما ربيكا مور التي لم تكن نفسها عضوة في المعبد.

أوراق بعض المتوفين من سكان المستوطنة:

عثر بالقرب من جثة مارسلين جونز قصاصة مكتوبة بالطابعة مؤرخة في ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م موقعة من مارسلين نفسها وشهدت عليها أني مور وماريا كاتساريس، تقول:

"إني مارسلين جونز أتنازل عن جميع الحسابات المصرفية المسجلة بأسمى إلى الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. توجد هذه الحسابات المصرفية في مصرف نوفا سكوشيا Nova Scotia في ناساو بجزر الباهاما. أرجو التأكد أن تذهب هذه الموجودات إلى الاتحاد السوفيتي. وأطلب بشكل خاص ألا يذهب أي جزء من هذه الأموال إلى يد ابنتي بالتبني سوزان جونز كارتمل. على كل من يعثر على هذه الرسالة أن يعامل هذا الطلب باحترام لأنه على قدر بالغ من الأهمية لي ولزوجي جيمس دبليو جونز".

وتركت آني مور قصاصة أخرى تقول في جزء منها: "أعيش لحظة أشعر فيها بالمرارة الشديدة إزاء العالم بحيث إني لا أعرف لماذا أكتبها. ومن يجد هذه القصاصة قد يرى إني مجنونة أو يؤمن بالأسلاك الشائكة والعوائق غير الموجودة في جونز تاون". ويقول السطر الأخير الذي كتب بلون حبر مختلف عن باقي الأسطر: "لقد متنا لأنكم لم تدعونا نعيش في سلام". لم يعثر على قصاصات أخرى تشير إلى أحداث ذلك اليوم. كتبت مور أيضاً: "إن جونز تاون هي أجمل المستوطنات وأكثرها سلاماً مما لا يوجد مثلها على وجه الأرض". وقالت أيضاً: "إن جيم جونز وهو الرجل الذي صنع هذا الفردوس على النقيض من كل الأكاذيب التي قيلت عنه بأنه رجل سادي متعطش للسلطة وشخص لئيم يعتقد أنه رب كُلِّ شيء". وتضيف: "إن كرهه للعنصرية والطبقية والنخبوية والتفرقة على أساس الجنس هو الذي دفعه لصنع عالم جديد للناس هو فردوس في هذه الغابة. لقد أحبه الأطفال وكل شخص آخر في المستوطنة".

وبعد ٢٥ عاما عثر على قصاصة أخرى مدفونة وسط أكوام الورق. كان عنوانها: "آخر الكلام" ولم تكن موقعة وتعزى على الأرجح إلى ريتشارد تروب. تحتوي هذه القصاصة على إشارات إلى أحداث اليوم الأخير:

"لم نكن نود أن يتم الأمر بهذا الشكل. كل شيء كان يسير سيراً حسناً بعد إن أكمل راين اليوم الأول من زيارته إلينا. بعدها حاول رجل مهاجمته دون نجاح وانطلق آخرون في الغابة بهدف إدراك مساعد راين والآخرين الذين غادروا معه. وقد أدركوهم وقتل البعض. وعندما سمعنا ذلك، لم يكن لنا من خيار. فربما قد نهاجم. لهذا علينا أن نرحل مرة واحدة. إننا نريد أن نعيش كأتباع للمعبد أو أن ننهي كل شيء. وقد اخترنا. وانتهى كل شيء".

وتقول قصاصة أخرى ربما يكون تيش ليروي هو الذي كتبها:

"والدي، لا أرى مخرجا من هذا. أتفق مع قرارك. أخشى أنه بدونك لا يتحول العالم إلى الشيوعية. وبالنسبة لي لقد سئمت من هذا الكوكب البائس عديم الرحمة ومن الجحيم الذي يقدمه لملايين الناس الجميلة. شكراً لك على هذه الحياة الوحيدة التي عرفتها".

وعثر بالقرب من جثة ماريا كاتساريس قصاصة مكتوبة بخط اليد وموقعة من قبلها مؤرخة في ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م وشاهد عليها جيم ماكلفان ومارلي بوج. تقول القصاصة: "إني ماريا كاتساريس أوصي بجميع مالي الموجود في البنك الاتحادي الفنزولي بكراكاس إلى الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي".

وعثر أيضاً بالقرب من جثة كارولين لايتون على قصاصة أخرى مكتوبة بخط اليد وموقعة من قبلها ومؤرخة في ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م وشهدت عليها ماريا كاتساريس وأني مور تقول: "هذه آخر وصية لي وإقرار. أوصي هنا بجميع الأموال في أي حساب مصرفي مفتوح بأسمى إلى الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي".

لا يعرف فيما إذا كان جونز قد أطلق النار على نفسه أو أطلق النار عليه شخص آخر. كانت إصابته في موضع وزاوية تناسب من يطلق على نفسه. مع ذلك، يعتقد ستيفن ابن جونز أن والده ربما يكون قد أمر شخصاً آخراً بإطلاق النار عليه.

حالات الوفاة في جورج تاون

في أول مساء يوم ١٨ ت٢/ نوفمبر، وفي فرع المعبد في جورج تاون، استلمت عضوة المعبد شارون عاموس إشارة لاسلكية من جونز تاون تطلب من أعضاء فروع المعبد الانتقام من أعداء المعبد وبعدها القيام بالانتحار الثوري. وبعد إن وصلت الشرطة إلى مقر فرع المعبد، أصيبت شارون بالذعر وأخذت أولادها ليان (٢١ عاماً)

وكريستا (١١ عاماً) ومارتن (١٠ أعوام) نحو الحمام. وبسكين المطبخ قتلت شارون أولاً كريستا وبعدها مارتن. ثم ساعدت ليان والدتها لقتل نفسها بنفس السكين وأخيراً قتلت ليان نفسها بها.

ما جرى بعدها:

قام الصحفي تيم ريترمان بتصوير آثار العنف على أرض المطار. تولى دوير القيادة في الموقع وبناءاً على طلبه اعتقلت الشرطة الجويانية لايتون. وقد أصيب دوير برصاصة غير قاتلة في مؤخرته خلال عمليات إطلاق النار في المطار. استغرق الأمر عدة ساعات حتى استطاع الجرحى العشرة والآخرون من أعضاء الفريق من جمع أنفسهم. أمضى معظمهم الليل في مقهى، ونام الجرحى الخطرون في خيمة صغيرة موجودة على أرض المطار. وصلت طائرة تابعة للحكومة الجويانية في الصباح التالي لأخلاء الجرحى. وقد اتبع خمسة من أعضاء أسرة باركز وبوج مع أحد أصدقائهم تعليمات المرتد عن عقيدة المعبد جيرالد باركز بضرورة الاختباء في الغابة المجاورة حتى وصول النجدة وتأمين سلامتهم. تاه هؤلاء لثلاثة أيام داخلها حتى شارفوا على الموت. وفي الآخر عثر عليهم الجنود الجويانيون.

وبعد هروبه من جونز تاون، وصل أوديل رودس إلى بورت كايتوما ليلة ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م. وأمضى ستانلي كلايتون تلك الليلة مع أسرة جويانية محلية ثم سافر إلى بورت كايتوما. وضع الشقيقان كارتر ومايكل بروكس تحت الحجز الوقائي في بورت كايتوما. تم بعد ذلك إطلاق سراحهم في جورج تاون. كذلك نقل رودس وكلايتون والمحاميين (غاري ولين) إلى جورج تاون. انتحر مايكل بروكز في آذار ١٩٧٩م بعد أربعة شهور من حادث الانتحار الجماعي في جونز تاون.



وبالنسبة إلى لاري لايتون الذي أطلق النار على عدة أشخاص كانوا على متن الطائرة سيسنا، فقد قررت محكمة جويانية أنه بريئ من جريمة القتل استناداً إلى رأي الدفاع بأنه كان "مغسول الدماغ". لم يكن بالإمكان محاكمته مرة أخرى في الولايات المتحدة عن جرائم قتل فيرن جوسني ومونيكا باجبي وقائد الطائرة السيسنا وديل باركز على الأراضي الجويانية، وحوكم بدلاً من ذلك بموجب القانون الفيدرالي بتهمة اغتيال عضو في الكونجرس وشخصيات محمية دوليا (راين ودوير). أدين بالتآمر وتقديم الدعم والتحريض على قتل عضو الكونجرس ليو راين ومحاولة قتل ريتشارد دوير. أطلق سراحه في ٢٠٠٢م ويعتبر الشخص الوحيد الذي أدين جنائيا عن أحداث جونز تاون.

ذهب خلال أحداث جونز تاون ثلاثة من أبناء جونز وهم ستيفن وتيم وجيم الكبير إلى السفارة الأمريكية في جويانا في محاولة للحصول على المساعدة. رفض الجنود الجويانيون الذين يحرسون السفارة السماح لهم بالدخول بعد سماعهم أنباء إطلاق النار في مطار بورت كايتوما. بعدها عاد الأشقاء الثلاثة إلى مقر المعبد في

جورج تاون ليجدوا جثة شارون وأولادها الثلاثة. وضع الجنود الجويانيون أبناء جونز تحت الإقامة الجبرية لخمسة أيام واستجوبوهم حول حادثة القتل في جورج تاون. اتهم ستيفن جونز بالتورط في هذه الحادثة ووضع في سجن جوياني لثلاثة أشهر. طُلِب من تيم جونز وجوني كوب وهو عضو في فريق كرة السلة التابع للمعبد الذهاب إلى جونز تاون للمساعدة في تحديد هويات الأشخاص الذين لقوا مصرعهم. وبعد عودته إلى الولايات المتحدة، وضع الابن جيم جونز الكبير تحت مراقبة الشرطة لعدة أشهر حيث كان يعيش مع شقيقته الكبرى سوزان التي كانت قد تحولت في وقت سابق إلى مناهضة للمعبد.

حالة المستوطنة حاليا:

المستوطنة مهجورة حاليا وقد وضعت في البداية تحت حماية الحكومة الجويانية في أعقاب الحادث. بعدها سمحت الحكومة للاجئي المونج القادمين من لاوس بأشغالها لعدة سنوات في بداية الثمانينات. ثم نهبت المباني والأراضي على يد السكان المحليين إلا إنه لم يستول أحد عليها بسبب ارتباطها بحادث القتل الجماعي. وفي أواسط الثمانينات دمرت المباني بحريق واسع شب بها وأحالها إلى حطام ثم أعيدت الأرض إلى الغابة.

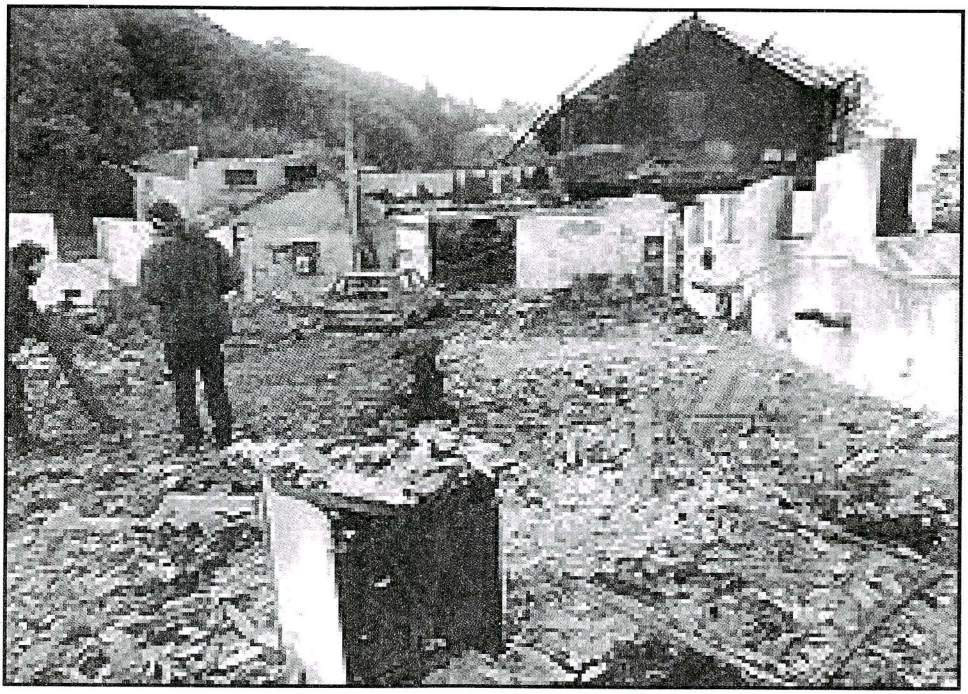
وخلال زيارة إلى موقع المستوطنة في ١٩٩٨م لتصوير مشهد لصالح برنامج أخباري في محطة ABC، اكتشف الأبن جيم جونز الكبير بقايا صدئة لوعاء للزيت بالقرب من المدخل السابق للبهو. شخَّصَ جونز الوعاء الذي كان يستخدم في البداية خلال وجبات الطعام حيث استخدم لمزج الشراب خلال تمارين "الليلة البيضاء". ويعتقد جونز أنه استخدم لخلط السم بالعصير في ١٨ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٨م.

لم يتبق الآن أي شيء عدا خزان زيت قديم مقلوب على جانبه وما من إشارة تدل على المستوطنة السابقة سوى أشجار فاكهة هرمة كانت جزءا من بستان جونز تاون وخزان للزيت وشاحنة مهجورة تعود لمعبد الشعب. قاد الطيار السابق، مذيع البرنامج إلى موقع البهو ولاحظا في الموقع الذي كانت الجثث متناثرة عليه نمو أزهار الربيع[1].

(1) Tim Reiterman with John Jacobs, Raven: the Untold Story of the Rev. Jim Jones and His People, Dutton adult, 1982

الفصل الثاني عشر

انتحار أتباع أخوية معبد الشمس



حطام قرية شيري بسويسرا

خلاصة

في ت١/ أكتوبر ١٩٩٤م، انتحر ١٠٢ شخصاً من أخوية معبد الشمس في مدينتين بسويسرا وثالثة في كندا. ثلثا هذه الوفيات، هي أعمال قتل، بضمنها عملية قتل طفل مولود حديثاً[1].

التاريخ:

الاسم الرسمي للأخوية هو منظمة الفرسان الدولية لناموس الشمس International Chivalric Organization of the Solar Tradition أو تسمى ببساطة أخوية معبد الشمس وهي جمعية سرية قائمة على الأسطورة الحالية القائلة باستمرارية وجود فرسان الهيكل.

وفرسان الهيكل أو أخوية الهيكل أو كما هو اسمها الرسمي الجنود الفقراء للمسيح وهيكل سليمان هي أشهر أخوية عسكرية لدى المسيحية الغربية. تأسست هذه المنظمة بعد الحملة الصليبية الأولى في ١٠٦٩م بهدف تأمين سلامة المسيحيين القادمين للحج إلى القدس بعد احتلالها من قبلهم. وقد ظلت قائمة مدة قرنين. وبعد اعتراف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بها في ١١٢٩م أصبحت أقوى مؤسسة خيرية في أوربا المسيحية وازداد نفوذها وأعضاؤها تدريجياً. ويعتبر هؤلاء الفرسان بعباءاتهم البيض والصلبان الحمر من أفضل القوات المقاتلة المدربة خلال الحملات الصليبية. وأدار الأعضاء غير المقاتلين فيها أكبر عملية بناء اقتصادي في أوربا

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Order_of_the_Solar_Temple

فابتكروا وسائل مالية تعتبر أول أشكال الأعمال البنكية وبنوا الكثير من التحصينات في أنحاء أوربا والأراضي المقدسة.

ارتبط نجاحهم بالحملات الصليبية، وعندما ضاعت الأراضي المقدسة من أيديهم، ضعف الدعم إليهم. وخلقت طقوسها السرية عدم الثقة بهم، كما أشعل ثراؤهم الفاحش الغيرة والحسد في نفوس الآخرين. واستغل فيليب الرابع ملك فرنسا ذلك بسبب عدم دعمهم إياه في حربه الخاسرة مع إنجلترا، فألقى القبض في ١٣٠٧م على الكثير من أعضائها في فرنسا وتم تعذيبهم وحرقهم على الخوازيق. وبناءا على ضغط فيليب حَلَّ البابا كليمينت الخامس الذي كان يقيم في مدينة أفينون الفرنسية، هذه الأخوية في ١٣١٢م. أدى الاختفاء المفاجئ للبنية التحتية الأوربية إلى ظهور الأساطير والإشاعات عن هذه الأخوية مما أدى لبقاء اسمها حيا حتى هذا اليوم. وتنتشر الإشاعات حالياً بأنهم يمتلكون خبرات وكنوزاً هائلة بما فيها الكأس المقدسة[(١)] ورأس بافوميت Baphomet أو رأس محمد[(٢)] والدليل على انبعاث المسيح بعد صلبه والدليل على زواجه من ماري أو مريم المجدلية[(٣)]. وتدعي الجماعات

(١) الكأس المقدسة هي الكأس التي شرب المسيح منها في العشاء المقدس وراح المسيحيون فيما بعد يجدون في البحث عنها.

(٢) رأس بافوميت أو رأس النبي العربي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو شكل رمزي يقال أن فرسان الهيكل يستخدمونه في طقوسهم.

(٣) تذكر الكتب المقدسة المسيحية أن مريم أو ماري المجدلية هي واحدة من أوائل النساء اللواتي آمن بالمسيح، وتصورها النصوص القديمة على أنها كانت بغيا تائبة وامرأة ثرية وشخصية ذات مواهب ومثالاً للأنوثة. وتقول الأناجيل أنها كانت من بين الذين حضروا صلب المسيح وأنها أول شخص شاهده بعد بعثه. وتشير الكتب المقدسة في مواضع أخرى دون أن تحددها بالاسم أنها المرأة الآثمة التي أدينت بالزنا وأنقذها المسيح من الرجم. وقد أشاعت إحدى الروايات في ٢٠٠٣م والتي جرى تصويرها كفيلم في ٢٠٠٦م والتي اسمها The Da Vinci Code أن المسيح قد تزوج منها وأنجب أطفالاً ولهذا فأن له سلالة تعيش حتى اليوم لكن الكنيسة قد أخفت هذه الحقيقة لقرون عديدة. وادعى سنت ماكسيم وباسيلكاس من فرنسا باحتفاظهم برفاتها.

الحديثة من فرسان الهيكل بعلاقتها بالفرسان القدامى وأنها تمتلك معارف وكنوزا سحرية[1].

أسس أخوية معبد الشمس في جنيف في ١٩٨٤م جوزيف دي مامبرو **Joseph Di Mambro** ولوك جوريت **Luc Jouret**. ويعتقد أن هناك آخرون مشتركون في ذلك لكن بقيت أسماؤهم غير معروفة للعامة.

جوزيف دي مامبرو:

ولد مامبرو في شرق فرنسا في ١٩٢٤م. وقد تدرب ليكون صانع ساعات وجواهري، لكنه اهتم بالديانات السرية. فدرس معتقدات الروزيكروشيين وأصبح عضوا في إحدى هذه الجمعيات أو الأخويات مدة ١٣ عاماً. وعندما تركها كان له مجموعة من الأتباع. وقد عرف عنه أنه محتال مخادع حقق نجاحات في عمله بالادعاء أنه طبيب نفسي. ففي ١٩٧٢م اتهم بالاحتيال وخيانة الأمانة وإصدار شيكات دون رصيد. لكنه نهض من كبوته وفي غضون عام أسس في ١٩٧٣م مركز التحضير للعهد الجديد، ويسمى أحيانا مدرسة الحياة، وكوميونا (مستوطنة أو قرية) قريبة من الحدود الفرنسية السويسرية. كان يشجع تلامذته على التخلي عن الممتلكات الدنيوية وخاصة الأموال النقدية وذلك للوصول إلى درجة من التأمل والتفكر. وكان يقول أنه تجسد جديد للعديد من الزعماء السياسيين والدينيين، ابتداءا من أوزيريس[2] إلى موسى وأقنع الناس بإعطائه أموالهم وممتلكاتهم كي يستطيع الاعتناء والاهتمام باحتياجات الكوميون. وقد أعطى أسماءاً ورتباً وزيجات تناسبه، فأضفى على بعض الأعضاء أسماءاً واعتبرهم تجسد جديد لبعض الشخصيات المشهورة. فكان يقرر من يجب أن يكون لديه أطفالاً ومن لا يجب بأمل إنتاج ذرية غير عادية يمكن أن تلعب

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية **http://en.wikipedia.org/wiki/Knights_Templar** .

(٢) أوزيريس أحد آلهة مصر القديمة.

دوراً في تقرير مصير العالم. واعتبر ابنه إيلي واحداً من هؤلاء وابنته إيمانويلا واحدة من الأطفال الكونيين التسعة الذين يبشرون بالعهد الجديد. واعتبر أنها هي المسيح الجديد. تقول المؤرخة فيسنجر[1] أنه لتحقيق هذه الغاية كانت الفتاة ترتدي خوذة وقفازات ومنع عليها الاتصال بأي فرد عدا أسرتها وذلك من أجل إبقائها نقية طاهرة.

ومن أجل إضفاء طابع من التماسك والوحدة بين أفراد الجماعة، وضع مامبرو بعض الطقوس البسيطة التي أصبحت أكثر تعقيداً بمرور الوقت فاستخدموا القلنسوات والسيوف والصلبان.



شعار أخوية معبد الشمس

ينحدر بعض أتباعه من أسر ثرية وهذا ما مكنه من شراء منزل يضم ١٥ غرفة في جنيف بسويسرا. وفي ١٩٧٨م أسس مؤسسة الطريق الذهبي التي أصبحت تسمى في ١٩٨٤م أخوية معبد الشمس. وقد جذبت أفكاره الكثير من المؤيدين

(1) Wessinger, Catherine, How the Millennium comes Violently: From Jonestown to Heaven's Gate, Seven Bridges Press, New York, 2000, p. 218.

الذين لم يعيشوا ضمن مجموعته لكنهم قدموا تبرعات هائلة إليه ومارسوا طقوسه. جرى ضمهم من خلال منظمات واجهية تعرف باسم النوادي، بينما ظلت الجمعية السرية بمعزل عنها وبقيت مقتصرة على النخبة المختارة. ونتيجة مشاكله مع سلطات الضرائب الفرنسية، نقل نشاطاته عبر الحدود إلى سويسرا ثم إلى كندا.



دي مامبرو في شبابه



دي مـامبرو

يقول أحد أتباعه السابقين: "إذا طلب من أتباعه الأيمان بشيء، فأنهم يؤمنون ويصدقون. وما يطلب منهم أن يفعلوه، يفعلونه دون تردد. لا شيء غريب أو ممنوع. فإذا طلب من امرأة (فارسة) أن تمارس الجنس معه، فإنها تطيعه دون نقاش. وهو لا يتردد عن التدخل في علاقات أتباعه الزوجية فيفرض عليهم أحيانا الطلاق إذا كان الزوجين لا يصلحان لبعضهما كونيا"[1].

(١) تقرير لمحطة CBC في ٦ أكتوبر ١٩٩٤م منشور على موقعهم :
http://archives.cbc.ca/society/crime_justice/clips/2474/

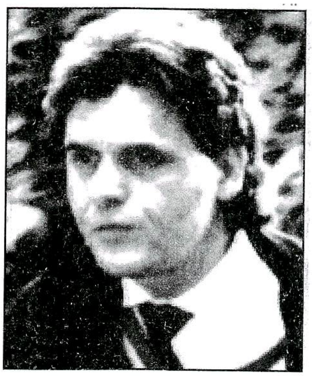
لوك جوريت:

والزعيم الثاني للأخوية هو لوك جوريت ١٩٤٧م - ١٩٩٤م وهو بلجيكي ولد في الكونغو البلجيكية. يعمل طبيباً ومولّداً نسائياً ويتمتع بشخصية كارزمية[١] وقد أضفى وجوده طابعاً من الموثوقية على الأخوية. كان قد أسس في وقت سابق الحزب القومي الأوربي بالاشتراك مع جين ثيريارت وترأس جماعة بلجيكية من النازيين الجدد تدعى أوربا الفتاة. أسس في ١٩٨٤م أخوية معبد الشمس مع مامبرو. كان لا يكل من العمل لمصلحة الأخوية، فضاعف أعداد أعضائها وكان لها المرشد والنبي. فمن خلال بلاغته وسحره وقوة حجته استطاع كسب الكثير من الناس إليها. وقد زار الهند وتأثر بمعتقداتها الروحية ومارس طب المعالجة بدواء مستخلص من الداء ذاته **Homeopathy**. ويقول تقرير منشور على موقع **Religious Tolerance**[٢] أن جوريت قد أقنع أتباعه بأنه كان في الحياة السابقة عضوا في الأخوية المسيحية في القرن ١٤ المسماة فرسان الهيكل، وأنه يأتي الآن كتجسد ثالث للمسيح، لهذا فأنه يمتلك معرفة روحية أكبر وقدرة على معرفة الأسرار المخفية. فبحسب رأيه أنه بعد أن يفارق الأعضاء أجسادهم على هذه الأرض سيلتقون ثانية في "رحلة الموت" التي ستقودهم إلى كوكب آخر هو الشعرى اليمانية. فبحسب معتقداته أن الموت وهم وإن الحياة ستستمر بشكل آخر أرقى من الأول في أماكن أخرى. وكان يعظ الناس بأن العالم سينتهي بكارثة بيئية نتيجة الإهمال البشري والدمار الكلي وقد اختير بعض الأعضاء لأجراء هذا الانتقال من كوكب الأرض

(١) الكارزمية: سحر أو جاذبية خاصة يتمتع بها بعض الأشخاص تجعل الآخرين ينقادون لهم بحماس ويأتي ذلك من مظهر مؤثر وشخصية ذات روح عالية وطاقة فائقة وقدرة استثنائية على التواصل والإقناع.

(2) http://www.religioustolerance.org/dc_solar.htm

إلى الشعري قبل حصول هذا الدمار المحرق، ولكن الحقيقة هي أن عليهم المغادرة من خلال هذه النيران، فليس أمامهم من طريق آخر.



لوك جوريت

تقول ساره موران بكتابها العالم السري للأديان[1] أن جوريت كان مهووساً بالنار بسبب ما قرأه من أن بعض فرسان الهيكل القدامى قد جرى إحراقهم حتى الموت وهم مربوطين بالخوازيق. كانت النار تعني له علامة الموت الدنيوي. فالنار إضافة إلى كونها مدمرة إلا أنها تتمتع أيضاً بقوة التحويل كما يحصل في المواد الكيمياوية التي تخضع لقوة خفية وتحولها إلى مادة نقية أكثر قيمة. وكجزء من خطته للموت بالنار زرع قنابل كازولين في أنحاء موضع الانتحار وتنفجر بأقل رنة هاتف. وكل من يكون قريباً من هذه القنابل سيشتعل حتى الموت.

أسس جوريت نادي أمينتا **Amenta** ليكون مركزاً للمحاضرات مدفوعة الثمن التي يلقيها حول مواضيع مثل الطب والضمير أو الحب وعلم الأحياء (**Biology**). ومن يؤمن بأفكاره، يعرفه بعدها بجملة من معتقداته وطقوسه ويلحق

(1) Moran, Sarah, The Secret World of Cults, Surrey, England: CLB International, 1999, p. 74.

بنادي اركاديا. وأخيراً يلتحق قسم مختار من هؤلاء الأفراد بالأخوية السرية. وعلى من ينضم إليها أن يدفع مالاً كثيراً ويخضع لانضباط صارم.

انتقل جوريت في ١٩٨٦م إلى كيوبيك بكندا وأسس هناك فرعاً لأخوية معبد الشمس. واشترى هو ودي مامبرو مجمع شاليهات (دوراً خشبية) أصبحت مقرا لهم فيما بعد. وقد جلب جوريت معه عدداً من أتباعه المخلصين من سويسرا ووصف المجمع الجديد بأنه الأرض الموعودة. وبعد سنوات قليلة أخذ يعلن أن العالم سيمر بحروب ومجاعة شديدة وإن كيوبيك وحدها ستنجو من ذلك. ثم بنى ملجأ عظيماً مضاداً للضربات الجوية النووية.

وفي بداية التسعينات أخذ زملاء جوريت يشكون في أقواله ويستاؤون من سيطرته الطاغية على بعض أتباعه. في نفس الوقت أخذ سلوكه يزداد غرابة. يقول أحد أتباعه السابقين: "الجنس والمال هو ولع جوريت الوحيد، فقبل أي طقس قد يمارس الجنس مع إحدى النساء من أجل رفع قوته الروحية قبل أدائه للطقس كما يقول. لم يكن متزوجاً لكن لديه الكثير من الزوجات، فهو يبدل زوجاته في كل وقت"[(١)].

انتحر جوريت في ت١/ أكتوبر ١٩٩٤م في قرية سالفان السويسرية في مقاطعة سان موريس بكانتون فالاي وقاد هذا إلى انتحار جماعي لأتباعه.

وصل عدد أعضاء الأخوية في أواخر الثمانينات إلى ٤٢٢ وتقول بعض التقارير أنهم ٦٠٠ عضوا من سويسرا وفرنسا وكندا الناطقة بالفرنسية وكذلك من جزر الكاريبي الفرنسية، وهناك الكثير من الأنصار لها في الولايات المتحدة وإسبانيا.

---

(1) Swiss Police Identity Cult Leader's Body: Cause of Death Unknown, Los Angeles Times, Oct 14, 1994.

ويقول مراسل التايم مايكل سفيلا أن جوريت ومامبرو قد جمعا مبلغا يصل إلى ٩٣ مليون دولار من أتباعهم.

ومعبد الشمس هو واحد من عدد كبير من الجماعات التي تعتقد أنها تنفذ تعاليم فرسان الهيكل. يزعم بعض المؤرخين أن جذور معبد الشمس تعود إلى الكاتب الفرنسي جاك بريير الذي أسس أخوية معبد الشمس المستقلة في ١٩٥٢م بهدف إحياء قيم أخوية فرسان الهيكل القديمة. وقد أثر عمله هذا في نفس مامبرو وجوريت. وفي ١٩٦٨م، إنشقت عنها أخوية أخرى تسمى الأخوية الجديدة لمعبد الشمس ويرأسها الناشط السياسي اليميني الفرنسي جوليان أوريجا. وتقول بعض التقارير أن أوريجا كان عضوا في الـ SS النازي[١] خلال الحرب العالمية الثانية[٢].

المعتقدات :

لا يعرف الكثير عن معتقدات هذه الجماعة. فهي منظمة سرية وظلت الكثير من معتقداتها خافية على الجميع باستثناء من كانوا جزءاً من الدائرة الداخلية.

يصف المراقبون أخوية معبد الشمس أنها تأتي ضمن سياق جماعات "الحكمة القديمـة" التي تدعي فهما خاصا للإله ولها جملة من الطقوس السرية التي تمتد إلى الكاثوليكية الرومانية وتمتزج بعناصر من الصوفية الشرقية والأساطير التي كانت تحيط بفرسان القرون الوسطى وبالبحث عن الكأس المقدسة. وبخصوص فرسان

(١) ويسمى بالألمانية Schutzstaffel أي وحدة الحماية وهي منظمة نازية كبيرة يقودها هتلر والحزب النازي وقد نشأت كوحدة صغيرة شبه عسكرية إلى أن أصبحت قوة كبرى تعمل كحرس رئاسي للفوهرر وكدرع حماية للحزب النازي وكقوة لها نفوذ سياسي كالقوات المسلحة الألمانية النظامية. كان تأسيسها يستند على الأيديولوجية النازية العرقية التي تؤمن بالعرق الآري المتفوق وقد اعتبرت مسؤولة عن ارتكاب جرائم ضد الإنسانية خلال الحرب العالمية الثانية .

(2) Ross, A. Rick, Solar Temple Suicides, Cult Education & Recovery, Sept 1999, http://www.culteducation.com/

القرون الوسطى يؤمن دي مامبرو وجوريت أنهم ودائرتهم الداخلية كانوا في الحياة السابقة أعضاءا في منظمة فرسان الهيكل التي تأسست من الرهبان الجنود في القرن ١٢ "لحماية الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة". وظهرت حركات معاصرة عديدة تدعي أنها تنفذ تعاليم فرسان الهيكل.

يقول بيرونيك (وهو الاسم المستعار لعضو المعبد روبرت شابراير) بكتابه "لماذا إحياء أخوية معبد الشمس" في صفحة ١٤٧-١٤٩ أن الغاية من إنشائها هي: "تصحيح مفاهيم السلطة والقوة في هذا العالم"، وتأكيد أهمية الروحي على الدنيوي، ومساعدة الإنسانية في تحقيق "التحول" الكبير، والاستعداد للظهور الثاني للمسيح كإله للنور، ودعم توحيد جميع الكنائس المسيحية والإسلام. ويذكر أن الجماعة قد استقت جزءاً من تعاليمها من أفكار الساحر والمنجم البريطاني أليستر كزولي الذي يترأس أخوية فرسان الهيكل الشرقيين من ١٩٢٣م وحتى وفاته في ١٩٤٧م وأخوية الفجر الذهبي للسحر وهي أخوية روزيكروشية[(١)] كانت قائمة في القرن الـ١٩ وانضم إليها كرولي لفترة بسيطة. ولكلا الأخويتين السحريتين نظام رتب يشبه إلى حد كبير نظام معبد الشمس. وهناك جماعة روزيكروشية أخرى اسمها جمعية الصداقة الروزيكروشية وترأسها ماكس هايندل وكانت تعبد المسيح على إنه "إله النور" رغم إن هذا ليس معتقداً مسيحياً متوارثاً.

وهناك أيضا محافل أخرى لمعبد الشمس في مرتفعات مورين **Morin** وسنت آن دي لا بيراد **St-Anne-de-la-Perade** في كيوبيك بكندا وفي أستراليا وسويسرا ومارتينيك[(٢)] وبلدان أخرى.

---

(١) **Rosicrucian Order** - هي جمعية سرية اشتهرت خلال القرنين الـ١٧ والـ١٨ والـ١٩ تزعم أنها تملك معرفة سرية للطبيعة والدين.

(٢) **Martinique** - جزيرة صغيرة في شرق البحر الكاريبي مساحتها ١١٢٨ كم^2 ونفوسها حوالي ٤٠١ ألف نسمة وتتبع إلى فرنسا وهي واحدة من ٢٦ منطقة أخرى في أعالي البحار تابعة لفرنسا وبذلك تعتبر جزءا من الاتحاد الأوربي وعملتها اليورو.

ونشاطات المعبد هي خليط من المسيحية البروتستانتية الأولى الممتزجة مع فلسفة العهد الجديد وتتبنى الكثير من طقوس الماسونيين الأحرار. وكان جوريت يهتم بشكل كبير بأعضاء المعبد من الأثرياء والمتنفذين والشخصيات الجذابة في المجتمع، ويشاع أن هناك الكثير من الشخصيات الأوربية المتنفذة هم أعضاء سريون في هذه الجماعة. وهناك تقارير صحفية تشير إلى أن المدراء التنفيذيين لشركة هايدرو كيوبيك Hydro-Quebec لإنتاج الطاقة الكهربائية قد بنوا سدوداً بناءاً على أمر من جوريت من أجل توفير الطاقة الكهربائية لمستوطنة كيوبية ستنشأ بعد مجيء يوم القيامة الذي تتنبأ به الجماعة.

الهيكل التنظيمي للأخوية:

تقسم الأخوية إلى ثلاث مجاميع أو مستويات من العضوية. يسمى المستوى الأول أمانتا Amanta ويتكون من أولئك الذين تم كسبهم من خلال محاضرات ومؤتمرات جوريت. والمستوى الثاني هو نوادي أركاديا Archedia ويتكون من أولئك الذين يودون التوغل أكثر في أفكار وتعاليم الأخوية. والمستوى الثالث هو الذراع صاحب المبادرة للأخوية.

تكون السلطة المركزية بموجب أدبيات الأخوية بيد هيئة تسمى القيادة المشتركة للمعبد Synarchy of the Temple وعضويتها سرية. ويسمى كبار أعضائها الـ٣٣ "الأخوة الكبار للصليب الوردي" وهو الاسم البديل لمفردة الروزيكروشيين، ويقع مقرها في زيوريخ بسويسرا. ولمجلس الأخوية محافل يديرها قائد إقليمي وثلاثة من الأخوة الكبار. تكون الترقية في الأخوية على أساس الرتبة والدرجة، فلكل رتبة ثلاث درجات. والرتب تصاعديا هي: أولاً أخوة الكنيسة، وثانياً فرسان الاتحاد، وثالثاً أخوة العهود القديمة. هناك الكثير من المنظمات المرتبطة بالمعبد مثل نوادي

ميتا وأركاديا وأجاتا وأطلنطا، وتعرض هذه جميعها تعاليم لوك جوريت إلى الرأي العام وإلى أعضاء المعبد أيضاً. ولهذه المحافل كنائس وطقوس وأعراف. وتجرى عند ترقية كل عضو مراسيم وطقوس تتضمن مشتريات ثمينة من المجوهرات والأزياء والنياشين إضافة إلى دفع رسوم الانضمام. ويرتدي الأعضاء خلال هذه المراسيم عباءات مماثلة لعباءات الصليبيين الأوائل وعليهم أن يحملوا باحترام وورع سيفاً يقول دي مامبرو أنه أثر حقيقي يعود لفرسان الهيكل القدماء أعطي له قبل ألف عام خلال الحياة السابقة.

القتل والانتحار الجماعي

أو مغادرة كوكب الأرض نحو كوكب الشعري اليمانية (سيريوس Sirius):

تقول بعض المصادر أنه بينما أخذت تنتشر الإشاعات عن خداع قادة الأخوية وسوء إدارتهم لأموالها مما أدى إلى ضعفها وتفككها، أخذت الاستعدادات تجري لإنهاء المشروع برمته. شيئا فشيئا أخذت الأخوية تشهد اضطرابا وأصبحت مفككة. ففي ١٩٩٣م ألقي القبض على بعض الأعضاء لمحاولتهم شراء بنادق وألقى هذا ضغطا كبيراً على الجماعة. وأخذ بعض الأعضاء يبعدون أنفسهم عنها من خلال عدم حضورهم لمقراتها وعدم دفع مساهماتهم المالية إليها. ويقال أن جوريت قد أبلغ الأعضاء بتخزين الأسلحة استعدادا ليوم نهاية العالم. وبنفس السنة حوكم في كندا وأعتبر مذنباً لامتلاكه أسلحة بصورة غير شرعية فغادر البلاد إلى سويسرا. ومما فاقم الوضع إضافة إلى فضيحة شراء الأسلحة هو اكتشاف أحد الأعضاء قليل الولاء هو توني دوتو أن دي مامبرو يستخدم أموال الأخوية لأغراضه الخاصة فأصيب بصدمة قاسية. وتوني هو أحد الأشخاص الذين نصبوا معدات ميكانيكية وألكترونية داخل حرم الطائفة لإظهار صور توحي للأعضاء أنهم يرون كائنات روحية استحضرها

جوريت. ويقال أن توني أخبر باقي الأعضاء عن هذه المعدات مما أدى إلى ترك بعضهم للطائفة. ونتيجة ذلك، أصبح توني وزوجته نيكي هدفا رئيسا لغضب دي مامبرو العنيف وكذلك طفلهم مانويل الذي أعلن دي مامبرو أنه عدو المسيح. ففي ت١/ أكتوبر ١٩٩٤م، قُتِلَ الطفل إيمانويل دوتو البالغ ثلاثة أشهر من العمر في مقر هذه الجماعة في مرتفعات مورين بكيوبيك بكندا. فقد طعن هذا الطفل ست طعنات بخازوق خشبي. وقيل أن دي مامبرو هو الذي أمر بالقتل لأنه قد تنبأ بأن هذا الطفل سيكون عدو المسيح الذي ورد وصفه في الكتاب المقدس. وهو يعتقد أن عدو المسيح سيولد داخل الأخوية لإفشال مساعي دي مامبرو في تحقيق أهدافه الروحية.



الضحايا أسرة دوتو وطفلهما

ولم يقتنع دي مامبرو بمجرد إلقاء الرقى والتعاويذ على أعدائه، لهذا اختار اثنين من أعضاء الدائرة الذهبية لأداء طقس القتل، وسافر أحدهم من سويسرا إلى كندا لتنفيذ الهجوم. وفي ٤ ت١/ أكتوبر ١٩٩٤م وبهجوم دقيق، تلقى توني دوتو ٥٠ طعنة. وطعنت نيكي دوتو ثمان طعنات في الظهر وأربع طعنات في الرقبة وطعنة في كل جانب من صدرها. وبعد مغادرة القاتلين، حضر اثنان من الأعضاء للقيام بالإجراءات النهائية على مسرح الجريمة. لفّا الطفل بكيس بلاستيكي أسود وتركا

الخازوق الخشبي في صدره قبل أن يهيئا لانتحارهما وحرق جميع الجثث. بينما عاد القاتلان إلى سويسرا والتحقا برفاقهما وبدي مامبرو وبجوريت اللذين غادرا كيوبيك قبل أشهر.

يعتبر دوتو هو أول من رجع عن الأخوية وكشف أن الصور التي تظهر خلال أداء المراسيم في الأخوية هي عروض وهمية مصطنعة وأنه قد اشترك في نصب وتركيب المعدات الألكترونية والميكانيكية التي تنتجها. ولم يكن هو الوحيد الذي ارتد عنها بسبب هذه العروض الوهمية الملفقة. فقد كان من أبرز المرتدين عنها إيلي ابن دي مامبرو نفسه الذي قال أنه شاهد التلفيق في العروض التي تظهر خلال مراسيم الأخوية التي يقيمها والده. وقد أدت صراحة إيلي ورغبته في كشف دجل والده إلى تخلي عشرات الأعضاء عن الأخوية. كانت تلك ضربة عنيفة لمعتقدات دي مامبرو، فقد كانت الجماعة تؤمن بأن إيلي هو طفل القدر وأنه نتاج زواج الآلهة **Theogamy**. فقد سبق إن ادعى دي مامبرو أن إيلي حملت به آلهة زيوريخ وهم القادة الحقيقيون للأخوية في إسرائيل في يوم الاعتدال الربيعي ٢١ آذار/ مارس. وبنفس الطريقة قال جوريت عن إبنه المولود في ١٩٨٣م بأنه سيكون سيد هيكل العهد الجديد وعهد العذراء. لكن ذلك لم يتوافق مع والدة الطفل التي ربته تربية عادية.

وبعد عدة أيام، أقام دي مامبرو و١٢ من أتباعه طقس العشاء الأخير(١). وبعد ذلك بأيام معدودة أي في ليلة ٤ و٥ ت١/ أكتوبر ١٩٩٤م، علم المقيمون في قريتي شيري آند كرانجز **Chiery and Granges-Sur-Salvan** في سويسرا أن النيران قد شبت في مدن العالم. وفي صباح اليوم التالي عثر على جثث ٥٣ عضواً من أعضاء الأخوية. فقد جرت عدة أعمال قتل وعمليات انتحار جماعي في القريتين التي كانت

---

(١) العشاء الأخير أو العشاء الرباني في المعتقدات المسيحية هو آخر وجبة اشترك بها السيد المسيح مع حوارييه الاثني عشر قبل وفاته.

الأولى في سويسرا والثانية في مرتفعات مورين. فقد انتحر ١٥ فرداً من أعضاء الدائرة الداخلية بتناول السم، وقتل ٣٠ آخرون بالرصاص واثنان منهم خنقا، وقتل ٨ آخرون بأسباب أخرى. وعند تشريح الجثث وجد أن أصحابها قد تعاطوا المخدرات ربما يكون ذلك من أجل منعهم من الاعتراض. بعدها أضرمت النيران في المباني بوسائل توقيت فنية ربما يكون ذلك كإشارة أخيرة إلى تطهر الجماعة. وكان من بين القتلى ١٢ امرأة وطفل بعمر ١٢ عاماً والباقي من الرجال. وقد وجدت في رؤوس بعض الجثث ثمان رصاصات. وشوهدت دلائل على مقاومة بعض الضحايا للقتل مما يشير إلى أن هذه الحوادث هي أبعد مما تكون اتفاقاً على انتحار اختياري جماعي. وإذا كانت هذه الحوادث جاءت نتيجة عمليات قتل، فمن يا ترى الجاني؟ ورغم إن معظم الضحايا قد تلقوا رصاصة في الرأس إلا أنه لم يعثر على أي بندقية في الموقع[1].

ورد في وصية أحد الأعضاء: "إنه الحب الذي لا يسبر غوره والبهجة الخالصة، فنحن لا نندم على مغادرتنا لهذا العالم. أيها الناس لا تبكوا على مصيرنا بل إبكوا على مصيركم أنتم". فإذا كانت هذه الوصية تشير إلى أن الموت قد تم بالاختيار ووفق معتقدات الأخوية، إلا أن الدلائل تشير إلى حصول أعمال قتل جماعي. وظل لغز هذه الحوادث غامضاً حتى هذه اللحظة.

(1) Serrill, Michael S. Remains of the day, Time, Oct 24, 1994.



موقع الحادث في قرية شيري بسويسرا

وقد قبض على مايكل تاباشنيك (١٩٤٢م-...) وهو موسيقار وقائد أوركسترا سويسري شهير في أواخر التسعينات كونه أحد قادة معبد الشمس. واتهم بالقتل والاشتراك في منظمة إجرامية وتسهيل عمليات الانتحار استنادا على الأدلة المتحصلة من كتاباته التحريضية عن الموت وأنه قد أعلن قبل ١١ يوما من أولى الحوادث، انتهاء المهمة. وهذا يفترض العلم بما سيجري. ويقال أنه كتب الكثير من أدبيات الجماعة وبهذا يكون قد هيأ الناس للموت بخلق دافع للقتل. وقيل أيضاً أنه خليفة دي مامبرو المحتمل. طالب المدعي العام بحبسه بين ٥-١٠ سنوات[١].

جرت المحاكمة في مدينة جرينوبل بفرنسا خلال ربيع ٢٠٠١م وأنكر كل التهم وقال أنه قطع علاقته بالمنظمة منذ ١٩٩٢م وأنه لا يعلم شيئاً عن خطة الانتحار الجماعي. وبعدها حكمت المحكمة ببراءته. قال للصحفيين : "أنه لم يفعل شيئا خاطئا مطلقا". استأنف المدعون العامون الفرنسيون الحكم وأمرت محكمة الاستئناف بإعادة المحاكمة والتي بدأت في ٢٤ ت١/ أكتوبر ٢٠٠٦م. ومع انعدام وجود أي

(١) تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية بعنوان Conductor cleared of cult deaths منشور على موقعهم http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/1406870.stm

أدلة ضده حول احتمال قيامه بأي دور في حوادث جرينوبل بفرنسا، أطلق سراحه ثانية بعد أقل من شهرين أي في ٢٠ ك١/ ديسمبر. وقد أصيب أهالي الضحايا بالإحباط. ادعى محاميه أن هذه الكتابات هي مجرد مسودات وخربشات لا يمكن بأي حال أن تكون محرضة على العنف.



قائد الأوركسترا مايكل تاباشنيك

وتشير المعلومات إلى أن دي مامبرو وتاباشنيك قد أسسا سوية هذه الأخوية بعد رحلتهما معاً إلى مصر وزيارة معابد الفراعنة هناك. فأسسا أولاً أخوية الطريق الذهبي في ١٩٧٨م وعلما أتباعهما أنهم سيجدون الراحة والسلام في الموت وسيبعثون بطاقة كونية أعلى. أصبحت هذه الجماعة فيما بعد أخوية معبد الشمس.

وفي غرب سويسرا، مات ٤٨ عضوا من الطائفة بعملية قتل وانتحار جماعي. ومن بين القتلى خمسة أطفال أحدهم بعمر أربع سنوات وكذلك قاتلي دوتو وجوريت ودي مامبرو وابنته "الكونية" إيمانويلا ذات الـ ١٢ ربيعا. وقد عثر على عدد كبير من الضحايا في مصلى كنيسة سري تحت الأرض وعلى جوانبهم مرايا وأشياء أخرى ترمز لفرسان الهيكل. وقد ارتدوا قبل وفاتهم عباءات الطقوس الخاصة بالأخوية واتخذوا شكل دائرة ووجوههم خارجها وغطيت رؤوس معظمهم بأكياس بلاستيكية وقد أطلق على كل فرد منهم طلقة في الرأس. ويعتقد أن هذه الأكياس البلاستيكية ترمز إلى

الكارثة البيئية التي ستحل بالجنس البشري بعد انتقال أعضاء المعبد إلى كوكب الشعرى اليمانية (سيريوس). ويعتقد أيضاً أن هذه الأكياس تستخدم كجزء من طقوس الأخوية وربما يكون الأعضاء قد ارتدوها طوعاً دون إكراه. وهناك دلائل تشير إلى أن الضحايا في سويسرا قد تعاطوا المخدرات أيضاً قبل إطلاق النار عليهم. ووجدت جثث أخرى في ثلاث شاليهات خشبية للتزلج في الجبال السويسرية ومن بينها جثث لعدة أطفال مرمية جنبا إلى جنب. وقد اكتشفت المأساة عندما انطلق رجال الشرطة إلى هذه المواقع لإخماد النيران المشتعلة فيها بوسائل توقيت عن بعد. وعثر على رسائل وداعية للضحايا تقول أنهم يؤمنون بأنهم يغادرون هذه الحياة بهدف التخلص من "النفاق والظلم في هذا العالم".



الشرطة السويسرية تنقل الضحايا

وقد وجد من بين القتلى في سويسرا المحافظ والصحفي والموظف المدني ومدير المبيعات. وتظهر السجلات التي وضعت شرطة كيوبيك يدها عليها أن بعض الأعضاء قد تبرع شخصياً بمبلغ أكثر من مليون دولار إلى زعيم الجماعة جوزيف دي مامبرو.

جرت محاولة أخرى للانتحار الجماعي قام . ا الأعضاء الباقون من الجماعة في أواخر التسعينات لكنها أحبطت. وقد حصلت جميع محاولات وعمليات الانتحار والقتل الجماعي خلال أيام الاعتدال الربيعي والخريفي من العام (٢١ آذار/ مارس و٢٣ أيلول/ سبتمبر) وهي أوقات لها علاقة بمعتقدات الجماعة.

وفي ك١/ ديسمبر ١٩٩٥م وبعد سنة من هذه الحوادث، عثر على ١٢ شخصا بضمنهم ثلاثة أطفال مقتولين بعملية انتحار وقتل أخرى في فرنسا. كانت الجثث ممدة على الأرض بشكل نجمي. ومعظم القتلى كانو قد تعاطوا المخدرات ووجدت على رؤوسهم أيضاً أكياس بلاستيكية. وهناك طلقة واحدة على الأقل في رأس كل قتيل وأشبعت الجثث بسائل قابل للاشتعال قبل إحراقها.

وبعد سنة ونصف أي في ٢٢ آذار/ مارس ١٩٩٧م، اشتعلت النيران في منزل بالقرب من مدينة كيوبيك. وبينما كان رجال الإطفاء يحاولون إخماد النيران، خرج عدة أطفال من سقيفة لخزن الحطب وقالوا أن آباءهم قد أدخلوهم قبل يومين في عملية الانتحار دون علمهم. وعندما فشلت معدات الإشعال في إحراق المكان، تمكن الأطفال من النجاة بحياتهم وبذلك لم يكونوا ضمن القتلى الخمسة الذين عثر عليهم داخل المنزل المحترق. فقد وجدت أربع جثث في غرفة النوم بالطابق العلوي ممدة على شكل صليب. والجثة الخامسة ممدة على أريكة في غرفة المعيشة وعلى رأسها كيس.

لا يعرف بدقة كم عدد الأشخاص الذين انتحروا فعلا وكم منهم قتل بأيدي الآخرين. ويتوقع أن تحصل عمليات انتحار وقتل مشابهة في المستقبل.

بلغ عدد القتلى والمنتحرين من جماعة معبد الشمس ١٠٢ شخصا خلال عامي ١٩٩٤م -١٩٩٥م.

تشير بعض التقارير إلى أن جماعة معبد الشمس لا تزال موجودة حتى الآن وهناك حوالي ٣٠ فردا من أعضائها في كيوبيك في مركز سنت آن دي لا بيراد مع حوالي ١٤٠ إلى ٥٠٠ عضوا آخرين منتشرين في أنحاء العالم.

وفي تقرير نشر في بريطانيا عام ١٩٩٧م يقول أن أميرة موناكو جريس التي قتلت في ١٩٨٢م كانت عضوة في هذه الأخوية وأن دي مامبرو هو المسؤول عن مقتلها، لكن المقربين منها ينفون ذلك بشدة.

وفي ٢٠٠٢م افتتحت سويسرا مركزاً للمعلومات عن الأديان والمذاهب لأعلام الناس عن الأخطار المحتملة فيها ومساعدة ضحاياها عند الطلب(١).

(1) Daraul, Arkon, A History of Secret Societies, Citadel, 2000, p.55.

الفصل الثالث عشر

انتحار أتباع طائفة بوابة السماء



جثث أتباع طائفة بوابة السماء كما وجدتها الشرطة

خلاصة

وفي ١٩٩٧، جرت عملية انتحار جماعي في دير (بوابة السماء Heaven's gate) قرب سان دييغو بكاليفورنيا. كانوا يعتقدون أن سفينة فضائية تتبع ذيل مذنب هالي وأن قتل أنفسهم يعتبر ضرورياً للحاق بها. تناول الضحايا المخدرات، وخنقوا أنفسهم بسلسلة من عمليات الانتحار استمرت ثلاثة أيام. توفي ٣٩ من خلفيات عرقية وثقافية مختلفة[1].

التاريخ:

تعرف هذه الجماعة بأسماء متعددة طيلة الـ ٢٢ عاما من وجودها. في البداية لم تعط الجماعة اسماً لنفسها. ومن هنا أعطى لها الغير وليس من الجماعة ذاتها أسماء متعددة. فيسميها عالم الاجتماع روبرت بالش الذي درس الجماعة في بداية نشأتها "مذهب (بو وبيب) عن الأجسام الطائرة المجهولة" Bo & Peep UFO Cult. ويسميها بعض المراسلين الإخباريين "التحول البشري الفردي" Human Individual Metamorphosis. بينما يشير أعضاؤها إلى أنفسهم باسم "الجماعة" ويسمون قادتهم: "الثنائي". وبإعلان صحفي نشرته الجماعة في ١٩٩٤ اسموا أنفسهم "الفائزون الكليون المجهولون" Total Overcomers Anonymous. أما

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Heaven%27s_Gate_(cult)

اسم بوابة السماء فهو اسم موقعهم الألكتروني والاسم الذي استقروا عليه قبل نهاية حياتهم(١).

الأباء الروحيون

مؤسس الجماعة هو مارشال هيرف أبلوايت **Marshall Herff Applewhite** وهو ابن متفوق لقس من الكنيسة المشيخية(٢). كان معروفا عنه دائما انه قيادي من الطراز الأول ويستطيع بسهولة إقناع الناس بقبول أفكاره وإتباعه. التحق بمعهد لاهوتي لأعداد رجال الدين وأصبح رئيس جوقة المرتلين في الكنيسة ولعب عدة أدوار في أوبرا هوستن جراند. وقد طرد من التدريس في كلية الموسيقى بجامعة ألاباما بسبب مشكلة أخلاقية مع أحد الطلبة. تركته زوجته وأخذت معها أبنيها. عمل بعدها بوظيفة أخرى لكنه وقع ثانية بمشكلة أخلاقية أخرى ولكن هذه المرة مع طالبة شابة. وفي ١٩٧٢ عرض نفسه على مستشفى للأمراض النفسية لمعالجته كما تشير بعض التقارير من الإفراط في الجنس. وفي بداية الأربعينات من عمره، كشف فعليا عن مرضه.

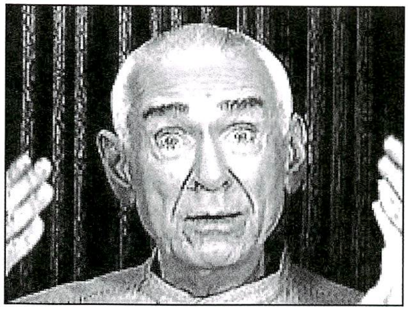
وهناك التقى بممرضة تدعى بوني لو تروسدال نيتلز **Bonnie Lu Trousdale Nettles** وهي عضو في الجمعية الثيوصوفية(٣) وتكبره بأربع سنوات. وكانت حينها قد انفصلت عن زوجها وأقنعت أبلوايت بأنه يمكن له أن يلعب دورا كبيرا في عملها وفي حياتها. استجاب لها وسرعان ما اشترك في نشاطاتها.

---

(1) http://www.holology.com/suicide.html.

(٢) الكنيسة المشيخية **Presbyterianism** نظام كنسي- بروتستانتي يدبر فيه شؤون الكنيسة شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية .

(٣) الثيوصوفية **Theosophy** هي معرفة الله عن طريق الكشف الصوفي او التأمل الفلسفي أو كليهما. والجمعية الثيوصوفية نشأت في الولايات المتحدة في ١٨٧٥ وبنيت في المقام الاول على أساس من التعاليم البوذية والبراهمية.



مارشال أبلوايت



بوني لو تروسدال نيتلز

اكتشف الاثنان ولعهما المشترك بالأجسام الطائرة المجهولة وبالتنجيم وبالقصص العلمي. شجعت نيتلز، أبلوايت على قراءة كتاب "المعتقد السري" لمدام بلافاتسكي وافتتحا مركزا في مدينة هوستن لدراسة الميتافيزيقيا (علم ما وراء الطبيعة). وأصبحا يؤمنان أنهما تجسيد دنيوي لأرواح عمرها ملايين السنين وأنهما الشاهدان اللذان ورد ذكرهما في الإصحاح الحادي عشر من سفر الرؤيا[1] وقد وضعا على هذه الأرض "لحصاد الأرواح" أي "لإنقاذ أكبر ما يمكن إنقاذه من البشر". وأقنعت نيتلز، أبلوايت بأنه لكونهما "الثنائي" فعليهما القيام بالمهمة الإنجيلية وهي إيصال الحقيقة إلى الآخرين. وبعد تسعة أشهر من أول لقاء لهما، قطعا علاقاتهما بأسرتيهما وأصدقائهما (فقد تركت هي أولادها الأربعة) وخرجا من هوستن لنشر رسالتهما.

ما قالاه للناس مشابه لما قاله الكثير من زعماء العقائد في العصور المتأخرة بأنهم سيُضطهدون ويُقتلون على يد أعدائهم وأن جثثهم ستبقى مكشوفة في العراء لثلاثة

(١) ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي – الإصحاح الحادي عشر – الآيات ٣-٧: "وسأعطي لشاهديَّ القدرة، فيتنبآن ألفا ومئتين وستين يوما لا بسين مسوحا (خيشا). هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض. وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما تخرج نار من فمهما وتأكل أعداءهما وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما فهكذا لا بد أنه يقتل. هذان لهما السلطان أن يغلقا السماء حتى لا تمطر مطرا في أيام نبوتهما ولهما سلطان على المياه أن يحولاها إلى دم وأن يضربا الأرض بكل ضربة كلما أرادا".

أيام ونصف وأنهم سيثبتون ألوهيتهم بالانبعاث من الموت والصعود والاختفاء في غيمة. ومن هناك سيصعدون إلى سماء أعلى ليكونوا مع الله. وتفسيرهم لمفردة "غيمة" الواردة في الإنجيل بأنها سفينة فضائية، وأنهم سيلقون الترحيب على متنها. والواقع أن هذا هو أسلوبهم الوحيد للخلاص من الشياطين Luciferians التي هي أرواح شريرة استعبدت الإنسان من خلال همومه الدنيوية كالعمل والجنس والأسرة. ومن يؤمن بهذه الرسالة يمكنه أن يلتحق بالثنائي وبذلك يحقق الخلاص[1].

وقبل أن يشرعا طويلا في رسالتهما، وضعتهما دعوتهما لوسائل الأعلام لأجراء مؤتمر صحفي معهما في ورطة حقيقية. ففي مدينة براونسفيل بتكساس قال أبلوايت لأحد المراسلين أنه إذا حضر لهذا المؤتمر الصحفي فأنهما سيزودانه بأهم خبر سمعه في حياته. كان المراسل يعتقد أن هذا الخبر يتعلق بالمخدرات لهذا جلب السلطات المعنية معه. وعندما رأى الثنائي الشرطة، غادرا على الفور وهذا ما أثار الشكوك. وعندما فحص ضباط الشرطة أرقام عجلتهما اكتشفوا أن العجلة مسروقة فتم إلقاء القبض عليهما.

اتهما بالتحايل في استخدام بطاقة الائتمان Credit Card Fraud (أسقطت التهمة فيما بعد) وبسرقة عجلة. ظل أبلوايت بالسجن ستة أشهر بانتظار المحاكمة وأدين وحكم عليه بالسجن لأربعة أشهر أخرى. وطلب القاضي إجراء فحص طبي نفسي عليه اجتازه أبلوايت بنجاح لكنه اعترف فيما بعد بأن هذا جعله يشك في سلامة عقله.

وبعد إن غادر السجن مهانا وشاعرا بالاضطهاد في ١٩٧٥، ذهب هو ونيتلز إلى كاليفورنيا للبدء في نشر دعوتهما. أطلقا على جماعتهما اسم HIM أو التحول البشري

(1) Vallee, Jacques, Messengers of Deception: UFO Contacts and Cults, Ronin Publications, 1979, p. 243.

الفردي واجتمع حولهما ٢٥ من الأتباع. بعدها بدءا بشن حملتهما الرسمية بجدية أكبر.

جرى أول مؤتمر عام رسمي لهما في مدينة والدبورت الساحلية بولاية أوريجون في ١٩٧٥. وقبل أربعة شهور من ذلك، أصدرا نشرات ووزعاها على نطاق واسع يدعوان الناس فيها لحضور المؤتمر العام لاكتشاف حقيقة واقعهم. وصل ٢٠٠ شخصا إلى فندق بايشور **Bayshore Inn** لمعرفة فحوى هذه النشريات.

قال الثنائي أنه لنصل إلى الخلاص، على الأشخاص الذين يتمتعون بعقول روحانية أن يدركوا بأن أطروحة أن لكل البشر أرواح هي محض وهم. فالذين يمتلكون أرواحا حقاً وتكون جاهزة ليأخذها الله لجواره، هم الوحيدون الذين يدركون حقيقة هذه الرسالة. وإذا ما آمنوا بها، فأنهم سيتخلون عن ممتلكاتهم الدنيوية حالا ويتبعون حمية صارمة. وقاد استخدامهما للمفاهيم الإنجيلية عن الملائكة عديمة الجنس وعن المسيح المبجل إلى إتباعهما من قبل بعض من ضحوا بحياتهم الأسرية. كانا يقولان أن الكمال الروحي لا يأتي إلا بدفع ثمن باهظ. على المرء أن يرى حقيقة الشرور المحيطة بنا ثم يرغب بتخليص نفسه.

لم يتمكن أبلوايت ونيتلز من إقناع الكثير من الناس كما كانا يأملان، مع ذلك أثبت إيمانهما الشديد بما يقولانه سوية مع حماستهما في توصيل رسالتهما بأنها كانت محل نظر واهتمام.

يقول أحد الأعضاء السابقين في الجماعة: "كانا يؤديان عمل فريق واحد ويكمل بعضهما البعض". ويقول آخر: "كانا مثل الأب والأم لكل فرد، وجعلا الناس يشعرون بالاطمئنان وأنهم تحت حمايتهم".

أجرى الثنائي عدة مقابلات تلفزيونية حول معتقداتهما والمعجزات التي سيظهرانها وهذا ما أثار اهتمام معظم الناس في الولايات المتحدة الأمريكية.

قال أبلوايت خلال نشرة إخبارية: "سنباشر بالرحيل وسوف يكون بإمكانكم مشاهدة ذلك. فعندما ينتصر الإنسان على أفعاله البشرية، يحصل تغير كيميائي في بدنه ويمر بحالة من التحول كما تفعل اليرقة عندما تتحول إلى عذراء داخل شرنقة ثم إلى فراشة كاملة".

وقال: "لا يعني هذا أنهم سيتركون أجسادهم خلفهم في القبور. سوف نُقتل وبعد ثلاثة أيام ونصف سنُبعث من جديد وسوف تشاهدون ذلك بأم أعينكم".

انضم إليهما ٢٠ شخصا من ولاية أوريجون. وبعضهم عاد لمنزله بعد هذه المؤتمرات مؤمنا أنه سيدخل ملكوت السماء لهذا أجروا تغييرات جذرية في حياتهم. وترك رجل وزوجته ابنتهما ذات العشر سنوات خلفهما وهما متأكدان أنها ستحصل على كل ما تريده.

وعندما يجتمع المؤمنون مع بعضهم، يبلغونهم أن يستعدوا فالسماء بانتظارهم والوقت أزف. فسرعان ما سيكتشف العالم أنه من الغباء تجاهل دعوة الثنائي.

وفي نفس تلك السنة المليئة بالأحداث ١٩٧٥، عَيّن أبلوايت ونيتلز موعدا لرحيلهم إلى العالم الخارجي. كان تلامذتهم المتلهفون يقطنون حينها في معسكر لهم وكانوا على قناعة بأن سفينة فضائية ستصل وستأخذهم جميعا معها نحو السماء. واحتشدوا جميعا تلك الليلة بانتظار وصولها. لكنها لم تصل في الوقت المحدد، لهذا ظلوا جالسين طيلة الليل بانتظارها. ومرت الساعات ولم يحصل شيء. وأخيرا اعتذر أبلوايت عن خطئه وطلب من كل ما يرغب بمجيئها المغادرة. عاد قليل منهم إلى أسرهم، ولكن بقي آخرون مفضلين انتظار الفرصة القادمة. وأصبح هذا المعسكر منزلهم فليس لهم مكانا آخرا للذهاب إليه فقد ضحوا بكل شيء من أجل الصعود إلى السماء فكانوا يريدون قدرهم الأسمى. أعاد الثنائي تفسير ما يقصدانه بالانبعاث

بكونه مجازي أكثر منه حقيقي (فلم يكونا يرغبان في أن يخرا صرعى في الشارع لثلاثة أيام ونصف)، لكن ظل الكثير من الناس بانتظار تعاليمهم القادمة.

طلب أبلـوايت ونيتلز ممن بقـي معهـم قـص شعرهم وارتداء ملابس خاصـة لا رجالية ولا نسائية لتمييزهم عن غيرهم وتمنع إغراءات الجسد وأن يلتزموا بنظام صارم من التدريب والاستعداد. والفكرة هي تدريب أجسادهم على تحقيق الكمال النهائي بكونها كائنات أبدية لا جنس لها. فهم يريدون أن تدخل هذه الأجساد إلى السماء.

كانت مطالب الأعضاء مثبطة للهمة وهذا مما حدَّ من نجاحها الأول. إلا إن الثنائي كانا يؤمنان بأن التطهر من الأشياء الدنيوية هو الأسلوب الوحيد لإعادة اكتشاف الأرواح التي تتمثل حقا فيهم جميعا. فلا اتصال جنسي من الآن ولا خصوصية شخصية. وشكّل الجماعة مجتمعا منعزلا خاصا بهم يشترك بنفس الأفكار ويكرر نفس النبوءات والمعتقدات. وقد ركزوا على ما اسماه أبلوايت "عقلية الفريق الواحد"، فالتفكير بعقلية واحدة هو أسلوب العمل على متن السفينة الفضائية.

وخلال فترة نشاط الجماعة، تسلل اثنان من علماء الاجتماع اللذان سمعا بها في الأخبار إلى داخل الجماعة وتظاهرا بأنهما عضوان جديدان يرغبان في الانتماء لها. وبعد عدة أشهر، تركاها، ولم يعرفا إلا القليل عنها. فلم يريا شيئا عن تلقين المبادئ أو شيئا من التماسك بين أفرادها مما يعزز مفهوم الصبر والجلد. لهذا لم يعرفا شيئا عنها، لقد كان برنامجها متطورا.

كان أبلوايت ونيتلز يعلمان تلامذتهما أنهم كلهم أقرباء، وأن أبلوايت أبوهم ونيتلز التي هي كائن قديم حل بجسد بشري قديم هي جدهم (وليس جدتهم). كانا يسمـيان نفسيهما بأسماء متعددة مثل Guinea & Pig أو بـو وبيب Bo & Peep

وأخيرا دو وتي Do&Ti . وبعد أن أدركا أن الأعلام يشوه رسالتهما، أخذا يعملان سرا. فلديهم خطة عليهم تنفيذها. مع ذلك تناقص عدد الجماعة في نهاية ١٩٧٦ من ٢٠٠ عضو إلى ٨٠ فقط.

وقد مكنتهم تركة إرث بمبلغ ٣٠٠ ألف دولار من الاستمرار بمهمتهم. ولجذب المزيد من الناس أعلنوا أن أجرة ركوب السفينة الفضائية هو ٤٣٣ دولار وجاءهم العشرات ممن قبلوا الرهان.

يقول خبير الأديان ستيفن حسن أن معظم الذين ينتمون لأديان أو معتقدات مثل هذه هم غالبا من الطبقة المثقفة والمتعلمة، والذي يجذبهم هو الشخصية الكاريزمية الساحرة التي تقدم مثل هذه المعتقدات التي لا يوجد اختبار للتحقق من واقعيتها. ويضيف: "يمكن للعقل البشري أن يتعلم، ويمكنه أن يتعلم أشياء مضرة لذات الإنسان".

وبعدها وفي عام ١٩٨٥، توفيت تي (نيتلز) بالسرطان ولم تبعث جسديا كما وعدوا. وبدا أن هذا الموت الدنيوي لا يتفق مع المعتقدات المقدسة للشاهدين، وأصبح واضحا أنها سوف لن تدخل السماء بجسد متكامل. وكان على أبلوايت إصلاح الضرر، لهذا ظل يؤكد على الشقاء الذي يعاني منه المؤمنون الحقيقيون داخل المجتمع الأمريكي وقال أن تي قد ذهبت قبلهم لتمهيد الطريق إليهم.

لم يكن من الصعب استخدام الانسلاخ الاجتماعي لخلق ما تسميه فيسينجر "الجو الذي يصبح فيه من المعقول للمؤمنين الخروج من كوكب الأرض". وفي الوقت الذي كان فيه أبلوايت يقلل من قيمة الحياة الحالية، حاول أيضا أن ينقح فلسفته بالقول أن أجسادهم المادية هذه هي ليست سوى مركبات إلى الروح يجب التخلص منها قبل الصعود على متن السفينة الفضائية. ثم ادعى أن تي نفسها ستكون

ربانة هذه السفينة "الأم" التي ستنقلهم إلى مكان أفضل. وهذا ما جعل الفكرة مشجعة وأكثر قبولا.

وفي ١٩٩٣، أدار أبلوايت حملة أخرى للتقدم نحو شيء "أكثر من كونه بشري". فقد وضع إعلانات كبيرة في صحيفة أمريكا اليوم USA Today يحذر الشعب الأمريكي من حقيقة أن الأرض ستميد تحتهم وستكون أمامهم فرصة وحيدة أخيرة للنجاة. وذهب بعيدا ليقول أنه الروح التي كانت داخل جسد المسيح، ولكن الأرواح لم تكن جاهزة للصعود قبل ألفي عام، وأنه قد عاد بهيئة أبلوايت ليأخذ معه المستعدين روحيا لذلك لكنه يبقى نفس تلك الروح وبنفس تلك الرسالة[1].

تقول ساره موران بكتابها العالم السري للأديان[2] أنه بعد هذه المقارنة المضحكة في واكو بتكساس في ربيع ١٩٩٤ تحدث أبلوايت عن كورش[3] وبدأ بجمع الأسلحة وأشار إلى شكل مشابه من الاضطهاد الذي عاناه المسيح. ويقول أستاذ الأديان وليم هنري بكتابه حماة بوابة السماء: "أنه لتحقيق السلام وتجنب دمار الأرض، فمن الواجب عليهم مغادرة الكوكب حالاً".

النهاية الحقيقية:

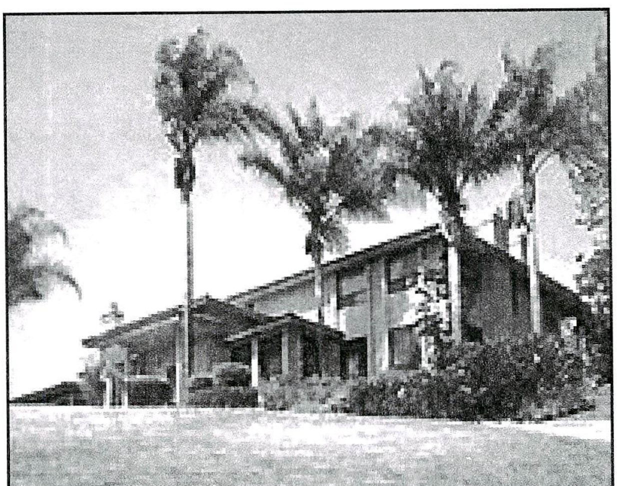
في ١٩٩٤ أخبر عدة أعضاء في الجماعة مراسلا لمجلة LA الأسبوعية أنهم سيرحلون جميعا. فهم سيذهبون إلى رصيف سانتا مونيكا البحري بكاليفورنيا ومن

(1) Lalich, Janja, Bounded Choice: True Believers and Charismatic Cults, University of California Press, 2004, p. 329.

(2) Moran, Sarah, The Secret World of Cults, Surrey, England: CLB International, 1999,

(٣) ديفيد كورش ١٩٥٩-١٩٩٣ زعيم طائفة الداووديين في واكو بتكساس يعتقد نفسه أنه آخر الأنبياء للطائفة. أنظر الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب.

هناك يشرعون برحلتهم نحو الفضاء. لكن هذا لم يحصل، وفي ت١/ أكتوبر ١٩٩٦، ذهبوا إلى جنوب كاليفورنيا واستأجروا منزلا بسبع غرف كبيرة في حي رانتشو سانتا الغني شمال سان دييجو في ١٨٢٤١ بكولينا نورت Colina Norte. وهناك أنشأوا مشروعا تجاريا كمصممي مواقع ألكترونية. اسموا هذا المكان "الدير" واسموا عملهم التجاري "المصدر الأعلى Higher Source" واستغلوا إمكانيات شبكة الإنترنت للترويج لمعتقداتهم وكسب المزيد من الاتباع إليهم. واسموا أنفسهم "بوابة السماء Heaven's Gate". يقول ويسنجر كان لديهم في هذا الوقت ٢٥ من الأتباع فقط.



المنزل في رانتشو سانتا

نشر أبلوايت على الموقع الألكتروني للجماعة مبادئهم التي تتلخص بست نقاط رئيسة هي:

١- إني وشريكي من مستوى متطور أعلى من الإنسان وقد حللنا بجسدي شخصين في الأربعينات من عمرهما كتب عليهما منذ الولادة أن يكونا كمركبين لنا.

٢- لقد جلبنا معنا إلى الأرض من ملكوت السماء كوكبة من التلاميذ.

٣- العديد منا وصل بسفن فضائية ارتطمت بالأرض وصادرت السلطات بعض أجسادنا.

٤- وآخرون وصلوا قبلنا لتأشير أجسادنا ببعض العلامات الخاصة.

٥- قبل أن نتجسد بأشكال بشرية، علمتنا الأرواح الأكبر منا بالتفصيل كيف نسير بالمركبة البشرية.

٦- إن ملكوت الله لا جنس فيها ويتكاثر أفرادها بالتحول ولهم إرادة حرة.

شعار جماعة بوابة السماء

ونشر على الموقع الكثير من الرسائل عن الهلاك الوشيك للأرض ومرة أخرى لم يستغل سوى القليل من الناس هذه "الفرصة الأخيرة" وينضموا إلى الجماعة[١].

وفي ت٢/ وك١ نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٩٦ ظهر في السماء مذنب يدعى مذنب هال- بوب[٢] ولم يظهر للجماعة فقط بل لكل الدنيا. كان آخر ظهور له في

(١) الموقع الالكتروني لجماعة بوابة السماء/http://www.heavensgate.com .

(٢) اكتشف مذنب هال بوب العالمان الأمريكيان ألن هال وتوماس بوب في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٩٥ وهو يمر في الأرض مرة كل ٤٢١٠ عاما ولولا مروره بالأرض في ذلك العام لما علم بوجوده أحد ويعتبر أسطع وأوضح مذنب يمكن رؤيته بالعين المجردة ويكبر مذنب هالي بست مرات ويبلغ قطر نواته بين ٢٠-٦٠ كيلومتر، وهو يختلف عن مذنب هالي الذي يمر بالأرض مرة كل ٧٦ عاما.

٢٢٠٠ قبل الميلاد وأعتبر حينها أنه نذير بظهور المعلم الكبير أو صانع السلام الذي سيزور مختلف الحضارات في كافة أنحاء العالم ليعلمهم عقيدته المقدسة. ويجلب معه الطهر ويخلص المؤمنين الصادقين من محن آخر الزمان.



مذنب هال بوب



صورة أخرى للمذنب

لهذا لا عجب أن يرى الكثير ممن يعرف ذلك إن اقتراب المذنب هو نذير حصول التغير الكبير.

ويقول أحد المنجمين الهواة أن هناك جسما يدق كصلصلة الجرس يتبع المذنب الذي يبلغ حجمه أكبر من الأرض بأربع مرات. ويقولون أن الفاتيكان كانت تبحث عن علامة في السماء إذ إن هذا سيكون آخر مذنب في الألفية. ويفترض أن هذا يشير إلى آخر ثلاث سنوات من حكم الشيطان على الأرض وأنه سيبشر بعصر أكثر نورا.

أخبر دو (أبلوايت) جماعته أن تي قد اتصلت به بطريق التخاطر بأن الوقت قد أزف وأن العلامة هي ظهور مذنب هال بوب. وأعلنوا على موقعهم اقتراب مذنب هال بوب.

وأبلغ الدكتور كورتني براون، المذيع أرت بيل أنه مأخوذ بصور المذنب. ويدعي براون أنه خبير في "الرؤية من بعيد" أو رؤية الأشياء التي تحصل على مسافة بعيدة. فيقول أن هذه الصور توضح وجود جسم في مؤخرة المذنب وله كل ملامح الطائرة الغريبة. وقال أيضا أنه نظر داخلها وشاهد أشكال حياتية غريبة فيها. وقد أثار هذا اهتمام الكثير من المستمعين بضمنهم أعضاء بوابة السماء الذين رغبوا في رؤية هذه الصور.

ولإدراكهم بقرب حصول أهم حدث في تاريخهم القصير، ذهبت المجموعة كلها معا لمشاهدة أفلام حرب النجوم، وحضرت كذلك لمؤتمر عن الأجسام الطائرة المجهولة وعملوا تأمينا ضد الخطف والحمل من الغرباء واشتروا منظارا عالي الدقة. كانوا يبحثون عن "رفيق" مذنب هال بوب وقالوا لصاحب المتجر القريب منهم أنه شكل صغير بالقرب من المذنب. ووصفوه بأنه سفينتهم "الأم". وعندما لا يشاهدونه بالعين المجردة يلجأون إلى المنظار. كان صاحب المتجر يشعر بالحيرة والاضطراب من أفكارهم.

وبعد ذلك وفي ك٢/ يناير ١٩٩٧ نشرت الصور الموعودة على موقع أرت بيل الألكتروني لكنه سرعان ما اكتشفت الخدعة بها. مع ذلك لم يرتدع أعضاء بوابة السماء. وكتبوا على موقعهم: "سواء كان هناك رفيق لمذنب هال بوب أو لم يكن، فهذا ليست له علاقة بوجهة نظرنا". فوصول المذنب بذاته هو أمر مهم بالنسبة لنا، "فهو الإشارة التي كنا ننتظرها. وسواء كانت السفينة مرئية أم غير مرئية، فأنها ستكون جاهزة هناك لنقلنا لموطننا". فهم يعتقدون أنهم سيخرجون من الحياة البشرية إلى حياة أكبر وأفضل منها. "ومن يقرأ رسالتهم، يود أن يحجز له مكانا على متنها".

وفي نهاية الشهر أي في ٢٣ ك٢/ يناير حصل حادث سماوي كبير، فقد اصطفت كواكب منظومتنا الشمسية في شكل يقول الكثير من الناس أنه يشبه النجمة السداسية، وهي النجمة اليهودية ورمز المسيح. وكانت آخر مرة اصطفت بها هذه الكواكب بهذا الشكل هي قبل عصر النهضة. فكل الأسباب اجتمعت على تصور أن هناك شيء ذو أهمية كونية كبرى على وشك الوقوع[1].

منزل الموت

وفي ليلة الجمعة ٢١ آذار ١٩٩٧ ذهب أعضاء الجماعة إلى فرع مطعم يسمى ماري كالندر Marie Callender حيث طلبوا ٣٩ وجبة مماثلة من السلطات وفطائر اللحم واختتموها بفطائر الجبن. ستكون هذه آخر وجبة أرضية لهم لأنه في اليوم التالي سيكون المذنب عند أقرب نقطة له من الأرض. فقد حان الوقت لرحيلهم.

وفي يوم السبت بدأ بالعمل. ارتدى الجميع نفس الملابس وهي عبارة عن قميص أسود بأكمام طويلة وسروال بنفس اللون مع أحذية تنس جديدة بلون أسود وأبيض ماركة Nike. وعلى أكمامهم اليسرى، خيطت رقع كتب عليها "الفريق المغادر لبوابة السماء"، ربما تقليدا للمسلسل التلفزيوني "ستار ترك: الجيل القادم"، الذي يقوم فيه طاقم صغير يسمى "الفريق المغادر" بمغامرات في الفضاء. ورزم أعضاء الجماعة في حقائب صغيرة، مجموعة من الأشياء مثل ملابس ومرهم شفاه ودفاتر ملاحظات ووضعوا الحقائب أسفل أسرّتهم. ووضعوا أيضا ورقة من خمسة دولارات و٧٥ سنتا في جيوب قمصانهم، وهي حالة اعتادوا عليها أينما يذهبون كي يمكنهم استخدامها كأجرة تكسي أو قطع نقد صغيرة للهواتف. كان شعار شركة

(1) Par Laurent Zecchini, Le Monde, 5 Avril 1997, Heaven's Gate: Les ames perdues de la ported u paradis, http://www.prevensectes.com/paradis1.htm

Nike حينها هو "افعلها فقط Just do it"، وهذا ما يفسر لنا لماذا ارتدى جميعهم أحذية Nike.

انقسموا إلى ثلاثة فرق. يتكون الفريق الأول من ١٥ فردا. تناولوا مسكن الباربيتوريت مخلوطا بحلوى البودنج أو عصير التفاح. ثم احتسوا مشروب الفودكا. بعدها أخذوا جرعة قاتلة من ٥٠ إلى ١٠٠ حبة. ويعتقد أنهم بعد تناولهم لهذا الخليط السام اضطجعوا على أسرتهم ووضعوا أكياسا بلاستيكية على رؤوسهم حتى ماتوا. ومن بقي حيا من الجماعة رفع الأكيـاس وغطى الجثث بملاءات أرجوانية. وفي اليوم التالي الذي صادف الأحد، تبعهم الفريق الآخر المكون من نفس العدد أي ١٥ فردا. وفي يوم الاثنين تبعهم سبعة أفراد وأخيرا بقي اثنان.

لم يُغطَ الشخصان الأخيران وكانا امرأتين لكنهما وضعتا أكياسا بلاستيكية على رأسيهما لمساعدتهما على الموت.

أرسل شريطان فيديويان بواسطة البريد الفدرالي إلى أعضاء سابقين في الجماعة الذين أدركوا ما حصل وأبلغوا الشرطة.

ذهب عمدة البلدة روبرت بنك إلى المنزل مساء يوم الأربعاء ٢٦ آذار/ مارس. وقد دلَّ انتشار الرائحة الكريهة إلى وجود الجثث لهذا طلب مساعدة المختصين. دخل ضابطان المنزل وتأكدا أن هذه الرائحة تعود لجثث بشرية فتذكرا حادثة جونز تاون وتساءلا عن احتمال حصول نوع من الانتحار الجماعي. لكنهما سرعان ما أدركا أن الموت هنا كان سلميا وطوعيا وموحدا بشكل مدهش.

وجدت ٣٩ جثة ممدة على أسرة عادية. ولأن جميع المتوفين كانوا يرتدون ملابس مشابهة ولهم قصة شعر واحدة، اعتقد المحققون أن جميعهم من الذكور وأبرقوا بذلك إلى مقراتهم. ونشرت وسائل الأعلام ذلك أيضا. واتضح فيما بعد أن من بين الضحايا

٢١ سيدة و١٨ رجلا جميعهم من البيض وتتراوح أعمارهم بين ٢٦-٧٢ عاما. ومعظمهم قد انضم للجماعة خلال السبعينات وثمانية فقط انضموا مؤخرا أي خلال التسعينات. كانت أكبر عملية انتحار جماعي خالصة في الولايات المتحدة حتى الآن.

كان المكان هادئا على نحو مخيف عندما أخذ المحقق يدخل في غرف المنزل ويصور المشهد. وجد ٢٠ كيس نفايات أبيض مرمية في النفايات مع أشرطة بلاستيكية. ووجد على شاشات الحواسيب داخل المبنى صورا لكائنات غريبة هجينة مع البشر، وإحدى الشاشات تعطي إنذارا أحمرا من الموقع الألكتروني لبوابة السماء. وهناك مئات من أشرطة الفيديو تصور أعضاء الجماعة وهم يتحدثون إلى الناس الذين تركوهم وراءهم عن كم هو مثير أن يلتحقوا بـ(تي) على متن المركبة الفضائية. والواضح أن كل فرد منهم قد مات بإرادته الحرة ورغب بذلك بشوق عارم.

بعدها أعلن الطبيب الشرعي في مقاطعة سان دييجو براين بلاكبورن حقيقة صادمة أخرى هي أن سبعة من أعضاء الطائفة كانوا مخصيين بما فيهم أبلوايت نفسه. واعترف الأعضاء السابقون فيها للصحفيين أن الأخير قد فعل ذلك وتبعه الآخرون. وهذا جزء من "عقلية الفريق الواحد" ومن المعركة ضد المؤثرات الشيطانية[1].

يقول البروفسور ستروزير من جامعة جون جاي: من الواضح أن هناك مشكلة تتعلق بالجنس لدى أبلوايت، ويشعر باقي الجماعة ممن يشبهونه بضرورة الاقتداء به في كل ما يفعل. وهذا كله جزء من واجب التخلص من الهوية الفردية لكل عضو.

وفي الآخر سلمت الجثث لأقرباء الضحايا الذين شعروا بالحزن والحيرة. وقال بعضهم صراحة أن ما فعله قريبهم المتوفي كان الأفضل بينما قال آخرون أن الضحية قد تعرض لغسيل دماغ ولو لا ذلك لما إرتكب فعل الانتحار.

(1) Ramsland, Katherine, The Heaven's Gate Cult, TRUE TV, http://www.trutv.com/library/crime/notorious_murders/mass/heavens_gate/1.html?sect=8

بعدها جاءت صدمة أخرى. ففي عيد الفصح الذي يصادف ٣٠ آذار/ مارس، أبلغ الكاتب لي شارجل، المذيع ديفيد برنكلي في برنامج حواري تلفزيوني أن أبلوايت كان يعاني من السرطان. وتساءل الناس الذين سمعوا ذلك إن كان أبلوايت قد دفع هؤلاء الضحايا للتفريط بحياتهم لمجرد أنه لا شيء عنده يخسره ولا يريد أن يموت وحيدا. لكن التقارير الطبية لم تشر إلى وجود علامة للسرطان في جسمه. كان شارجل كاتب قصة. فهل جاء تصريحه هذا من محض خياله؟ لا أحد يعلم.

ثم ظهر واين كوك، ٥٦ عاما، وهو عضو سابق في الجماعة يعرف باسم جوستن في برنامج "٦٠ دقيقة" مع المذيع لسلي شتاهل ليتحدث عن تجربته مع جماعة بوابة السماء وعن مشاعره إزاء عدم إلتحاقه بـ"الخروج". وأخذت الدموع تتلألأ في عينيه أثناء وصفه لما يعنيه هذا الرحيل وكيف إنه يرغب بشدة لو أنه كان معهم. والحقيقة أن زوجته كانت واحدة من الضحايا التسع والثلاثين.

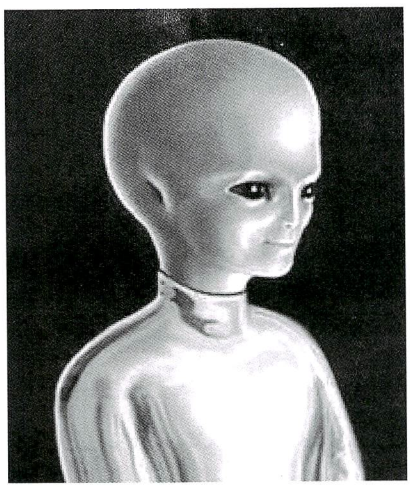
وبعد خمسة أسابيع أي في ٦ مايس/ مايو، ارتدى هو وزميل سابق له يدعى تشوك همفري، ٥٥ عاما، ملابس سود ورزما حقيبة صغيرة ووضعا في جيب كل واحد منهما ورقة من خمسة دولارات وقطعا نقدية صغيرة قدرها ٧٥ سنتا، وتناولا نفس العقار للتخلص من حياتهما في غرفة بأحد الفنادق بمدينة **Encinitas**. توفي كوك لكن همفري عاش. وفي شريط فيديوي يقول كوك لابنته أنه سيتبع زوجته، فيقول: "أنا سعيد حقا".

قال همفري أنه قد أعيد إلى الحياة ليواصل هداية الناس لهذا عمل موقعا ألكترونيا لنشر مذهب بوابة السماء. لقد عمل كل ما باستطاعته لنشر مذهبه وبعدها في شباط من عام ١٩٩٨ أنهى حياته في صحراء أريزونا. فوضع كيسا بلاستيكيا على رأسه واستخدم عادم سيارته لملأ الكيس بأول أكسيد الكربون السام، وارتدى ملابس سود وترك ملاءة أرجوانية على المقعد الذي أمامه مع ورقة مكتوب عليها:

"لا تسعفوا". قال عن انتحاره أنه "فرصة لي لبيان ولائي وإخلاصي وحبي وثقتي وإيماني بـ(تي) و (دو) وبالعالم التالي"[1].

النقطة الجديرة بالملاحظة في هذه الجماعة هي أنها بخلاف جميع المذاهب المنتقدة لتضليلها عقول الصغار، لم تأخذ معها إلى العالم الآخر أطفالا. فهم يعتقدون أن الكبار وحدهم من يستطيعون اتخاذ مثل هذا القرار. وهم لم يرحلوا للتخلص من الاضطهاد أو الشقاء، بل الحقيقة أن لديهم بيوتا مرفهة وأعمالا مزدهرة. ويظهر أنهم يريدون اللحاق برحلة معينة للوصول إلى حقيقة أخرى.

هناك الكثير الذي يمكن تعلمه من دراسة حياة وموت هذه الجماعة. فالناشطون ضد الأديان محقون عندما يقولون أن بعض الأديان يمكن أن تشكل خطورة على الإنسانية. وحاول أساتذة مثل لويس وكوربت وفيسينجر أن يحددوا عناصر الخطورة فيها والتي يمكن أن تقود إلى العنف.



صورة مأخوذة من موقع الطائفة تقول هكذا يبدو سكان السماء

(1) Joshuah Bearman, Heaven's Gate: The Sequel, LAWEEKLY, Mar 22, 2007 http://www.laweekly.com/2007-03-22/news/heaven-s-gate-the-sequel/

الفصل الرابع عشر

انتحار أتباع كنيسة فرع الداوديين



حريق مجمع الداوديين

خلاصة

كنيسة فرع الداوودين Branch Davidian جماعة تؤمن بالظهور الوشيك للمسيح. وهي منشقة عن جماعة سبتيي اليوم السابع Seventh Day Adventists[1] تأسست في ١٩٣٥ قرب مدينة واكو بولاية تكساس الأمريكية على يد فكتور هوتف. وعندما كان يقودها فيرنون هاول الذي اتخذ لاحقا اسم ديفيد كورش (١٩٥٩-١٩٩٣) أخذت تكدس الأسلحة في مجمع أتباعها الذي يعيش فيه ١٣٠ شخصا خلال ١٩٩٣. وخلال ذلك العام قتل أربعة من عناصر مكتب ATF (مكتب مكافحة سوء استخدام الكحول والتبغ والأسلحة والمتفجرات) بعد تبادل لإطلاق النار مع عناصر الجماعة. حاصرت وكالات تنفيذ القانون الفيدرالية (FBI +ATF) المجمع مدة ٥١ يوما. انتهى الحصار بناءا على أوامر النائب العام السيدة جانيت رينو بعد نشوب حريق قتل فيه حوالي ٨٠ شخصا بضمنهم ٢٣ طفلا تحت سن السابعة عشر وكورش نفسه. وقد وجد أن العديد منهم قد قتلوا بطلقة واحدة في الرأس وطفل واحد بطعنة سكين وهذا ما يرجح حصول عملية قتل مع انتحار جماعي. حصل جدل واسع حول الظروف الدقيقة لما حصل ومدى ضرورة شن هجوم نهائي عليهم. شكل الكونجرس الأمريكي لجنة للتحقيق بالحادث وأنهت أعمالها عام ٢٠٠٠ ببراءة عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي.

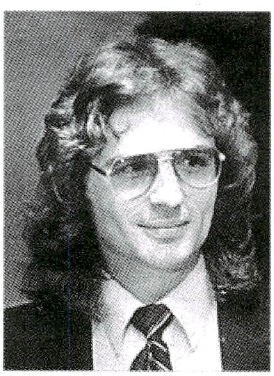
---

(١) هي جماعة تؤمن بالظهور الوشيك للمسيح ليحاسب الحي والميت. نشأت في الولايات المتحدة في ١٨٣١ عندما أعلن وليم ميلر وهو فلاح معمداني ظهور المسيح في ١٨٤٣ ثم عاد وأجلها إلى ١٨٤٤. يقدسون يوم السبت من غروب الشمس يوم الجمعة حتى غروبها لذلك سموا بالسبتيين.

التاريـــخ :

وكنيسة فرع الداوودين هي طائفة مسيحية تؤمن بالرؤيا تأسست في خمسينيات القرن العشرين على يد بين ولويس رودن. وهما يؤمنان بقرب ظهور المسيح الجديد كما تنبأ بذلك الكتاب المقدس، وسيكون ظهوره مؤشرا على بداية "الأيام الأخيرة" للكون. انضم فيرنون واين هاول **Vernon Wayne Howell** وهو عازف جيتار لأغاني الروك، إلى هذه الكنيسة في ١٩٨١ وسرعان ما أصبح على علاقة وطيدة برئيستها لويس، حيث توفيت في ١٩٨٦ وأصبح هاول هو الرئيس وادعى أنه آخر الأنبياء. وفي ١٩٩٠ غيّر اسمه إلى ديفيد كورش واستقر مع أكثر من مئة من أتباعه في مجمع أطلق عليه اسم جبل الكرمل الذي يبعد عشرة أميال عن واكو بتكساس، حيث وقعت الحادثة[١].





ديفيد كورش

حياته:

ولد ديفيد كورش في هوستن بتكساس لأم عزباء تبلغ الخامسة عشر من العمر تدعى بوني سو كلارك. ووالده نجار كان يبلغ العشرين عندما أقام علاقته مع الآنسة

(١) موسوعة ويكيبيديا الالكترونية**http://en.wikipedia.org/wiki/Branch_Davidian** .

كلارك، ويدعى بوبي هاول. وظل الاثنان على علاقتهما دون زواج. وبعد سنتين تعرف والده على سيدة ثانية وترك الأولى. لم يلتق كورش بوالده مطلقا وتربى في كنف زوج أم قاس. وصف كورش طفولته بأنه كان يعاني من الوحدة والعزلة، وقيل أنه تعرض للاغتصاب على يد مجموعة من الأولاد الأكبر منه سناً. ولكونه طالب فقير ومصاب بداء صعوبة التعلم، فصل من ثانوية جارلاند. وبسبب ضعف مهاراته التعليمية كان زملاؤه يطلقون عليه لقب "السيد المتخلف"، لكنه في سن ١٢ حفظ معظم كتاب العهد الجديد.

وعندما بلغ الثامنة عشر، ارتبط بعلاقة مع فتاة بعمر ١٦ عاما حيث حملت سفاحا منه. ادعى أنه قد ولد مسيحيا من جديد في الكنيسة المعمدانية الجنوبية ثم انضم إلى كنيسة والدته، كنيسة سبتيي اليوم السابع. وهناك وقع في حب ابنة القس. وبينما كان يطلب الهداية من الله فتح عينيه ويقول أنه وجد الكتاب المقدس مفتوحا على الإصحاح ٣٤ من سفر أشعيا الآيات ١٦-١٩ التي تقول: "فتشوا في سفر الرب واقرأوا. واحدة من هذه لا تفقد. لا يغادر شيء صاحبه لأن فمه هو قد أمر وروحه هو جمعها. وهو قد ألقى قرعة ويده قسمتها لها بالخيط. إلى الأبد ترثها. إلى دور فدور تسكن فيها". واقتنع بأن هذه آية من الله لهذا تقدم إلى القس وأخبره أن الله يريده أن يتخذ من ابنة القس زوجة له. طرده الأخير. وبعد إصراره على ملاحقة الفتاة، طُرد من الكنيسة كلها.

وفي ١٩٨١ انتقل إلى مدينة واكو بتكساس حيث انضم هناك إلى كنيسة فرع الداووديين، وهي جماعة دينيـة انشقت في خمسينيات القرن الماضي عن كنيسة عصا الراعي Shepherd's Rod التي هي نفسها منشقة عن كنيسة سبتيي اليوم السابع في الثلاثينيات. أسست كنيسة فرع الداووديين مقرها في ١٩٥٥ في مزرعة تبعد حوالي

١٠ أميال عن مدينة واكو أسموها مركز جبل الكرمل على اسم جبل الكرمل الوارد في الكتاب المقدس والموجود في فلسطين.

وفي ١٩٨٣ بدأ يدعي أنه يتلقى وحي النبوة. وفي هذه الفترة أقام علاقة جنسية مع لويس رودن وهي زعيمة الطائفة وتدعي أنها نبيتها وكانت بأواخر السبعينات من العمر. إدعى كورش أن الله قد إختاره ليلد منها طفلا، وسيكون هذا الطفل هو الأبن المختار. وفي نفس العام، سمحت رودن لكورش ان ينشر رسالته التي سببت الكثير من الجدل داخل الجماعة. كان جورج رودن[1] إبن لويس من بنجامين رودن يريد أن يكون هو الزعيم القادم للطائفة وإعتبر كورش متطفلا عليهم. وعندما أعلن كورش أن الله قد أمره بالزواج من راشيل جونز، حصل هدوء نسبي في مجمع جبل الكرمل، لكن تبين أنه هدوء مؤقت. فقد أجبر جورج رودن، الذي يدعي أنه يحظى

(١) يفترض أن يكون جورج رودن هو خليفة والدته في زعامة الطائفة وأصبح فعلا زعيمها بعد وفاة والده بنجامين رودن. لكن وصول كورش إلى مقر الطائفة في جبل الكرمل بواكو - تكساس وإقامة الأخير علاقة جنسية مع والدته الطاعنة في السن أغاظه كثيرا وهدد مركزه. رفع دعوى في المحكمة الفيدرالية بأنه قد اغتصب والدته وغسل دماغها لكن الدعوى انتهت إلى لا شيء. وفي ١٩٨٤ ترك كورش مجمع الطائفة وانتقل إلى منطقة فلسطين بتكساس مع مجموعة من أتباعه. وبعد ثلاث سنوات ولغيرة جورج رودن من نفوذ كورش على أفراد الطائفة، تحداه قائلا له أن من يحيي ميتا فهو الزعيم الحقيقي للطائفة. وبينما كان رودن يصلي على جثة مات صاحبها قبل عقدين من الزمن أبلغ كورش دائرة عمدة مقاطعة ماكليلان أن رودن قد انتهك حرمة الأموات. وفي ١٩٨٧ عاد كورش مع سبعة من أتباعه إلى مركز جبل الكرمل مدججين بالأسلحة ويرتدون ملابس تمويه وإخفاء وتسللوا خلسة إلى داخل المجمع وحصل تبادل لإطلاق النار مع رودن انتهى بهروب الأخير من المجمع مع إصابات في رأسه ويده وصدره. جرت محاكمة أنصار كورش بتهمة محاولة القتل ووجد أنهم غير مذنبين أما الدعوى ضد كورش فقد ردت لفساد في الإجراءات. وبعد سنتين قتل رودن زميله في الغرفة في أوديسا بتكساس مدعيا أنه مرسل من كورش لقتله. أحيل إلى المحاكمة ووجد أنه غير مذنب بسبب الجنون وأحتجز في مصح عقلي في شمال تكساس. وفي ١٩٩٣ هرب من المصح ولكن بعد يوم واحد ألقي القبض عليه وأعيد إلى المصح. وبعد خمس سنوات أي في ٨ ك١/ ديسمبر وجد رودن ميتا في حديقة المستشفى .

بتأييد غالبية أفراد الطائفة، كورش ومجموعته على مغادرة المجمع تحت تهديد السلاح. وبسبب هذا الحدث والابتعاد عن فلسفة مؤسسي الطائفة الأوائل، انشقت عنها مجموعة أخرى بزعامة تشارلز جوزيف بيس وتركت جبل الكرمل وأسست لها موطنا في جادسدين في ألاباما.

أسس كورش ومجموعته مخيما لهم في منطقة فلسطين التي تبعد ٩٠ ميلا عن مدينة واكو بتكساس وعاشوا هناك في حالة تقشف مدة سنتين استطاع خلالها كورش أن يجند أتباعا آخرين له من كاليفورنيا والمملكة المتحدة وإسرائيل وأستراليا.

وفي ١٩٨٥ سافر كورش إلى إسرائيل وهناك وردته الرؤيا بأنه سايروس[١] العصر الحديث. كان مؤسس الحركة الداوودية فيكتور هوتيف يريد أن يكون أداة الله ويؤسس مملكة داوود في فلسطين. وكان كورش أيضا يريد أن يكون أداة الله ويؤسس مملكة داوود في القدس. وكان يعتقد لغاية ١٩٩٠ أن مكان (استشهاده) سيكون في إسرائيل. لكنه منذ عام ١٩٩١ أخذ يؤمن أن (استشهاده) سيكون في الولايات المتحدة. وقال أن نبوءات دانيال ستتحقق في واكو بدلا من إسرائيل وأن مركز جبل الكرمل هو مملكة داوود.

وفي مخيم فلسطين بتكساس عمل كورش ليكون هو وحده الملجأ والملاذ لكل فرد من أفراد جماعته. فأخبرهم أن كل الالتزامات والروابط السابقة كالأسرة وما شابه ذلك لا تعني شيئا. وإذا كان عليهم أن يعتمدوا على شيء ما، فعليهم الاعتماد عليه وحده فقط، وهذا ما جعلهم أدوات في يده. وفي تلك الفترة كان قد بدأ ينشر

(١) سايروس الكبير (حكم من ٥٥٠-٥٣٠ ق.م) هو مؤسس الإمبراطورية الفارسية وشهد حكمه فقدان دول وادي الرافدين لنفوذها السياسي والعسكري إلى الأبد وسماحه بعودة الأسرى اليهود المحتجزين في بابل إلى أرض فلسطين.

رسالته بكونه "المسيح الجديد" مدعيا بأنه ابن الله، والخروف الذي يفتح الختوم السبعة[1].

توفيت لويس رودن في ١٩٨٦. ولغاية ذلك الوقت كان كورش يدافع عن أحادية الزواج ويعتبرها الطريقة الوحيدة للعيش لكنه أعلن فجأة أن تعدد الزوجات مسموح له. وفي آذار/ مارس ١٩٨٦ ضاجع كورش فتاة تبلغ ١٤ من العمر. وادعى أنها زوجته الثانية. وفي آب/ أغسطس ١٩٨٦، أخذ يضاجع سرا ميشيل جونز الشقيقة الصغرى لزوجته والبالغة ١٢ عاما. وفي أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦ بدأ يدعي أن لديه ١٤٠ زوجة منهن ٦٠ زوجة شرعية و٨٠ محظية. واستند في شرعية ذلك على تفسيره لنشيد سليمان في الكتاب المقدس. بعد ذلك وضع نظرية جديدة مختلفة تماما عن زواجه من السيدة دويل. وقد اسماها "النور الجديد" مشرعا مبدأ تعدد الزوجات لنفسه وأنه مؤسس "بيت داوود". وبموجب عقيدته يفترض أن يكون للسيدة دويل إبنة اسمها شوشانا والتي ستتزوج لاحقا من الابن الأول لكورش الذي يدعى سايروس. لكن دويل لم تحمل لذلك حول اهتمامه إلى شقيقة زوجته. ويقول عضو الطائفة السابق ديفيد بندز : "أن أساس معتقد كورش في تعدد الزوجات هو رغبته العميقة في ممارسة الجنس مع الفتيات الصغيرات. وعندما يستطيع أن يقنع نفسه بأن تلك هي إرادة الله عندها لا يشعر بالذنب ويستطيع أن يمارس الجنس مع أكبر عدد من هؤلاء الفتيات".

(١) الختوم السبعة من المفاهيم الأخروية المسيحية التي وردت في كتاب رؤيا يوحنا الإصحاح الخامس حيث يصف سفرا مكتوبا من داخل ومن وراء مختوما بسبعة ختوم ولا يفتحها إلا الخروف (الذي يفترض أنه المسيح)، وكلما يفتح ختما تعقبه سلسلة من الأحداث غير العادية. فعندما تفتح الختوم الأربعة الأولى يظهر خيال على حصانه ويسمى هذا الخيالة الأربعة. وعندما يفتح الختم الخامس تظهر نفوس الذين قتلوا من اجل كلمة الله وعندما يفتح الختم السادس تحصل زلزلة عظيمة وعلامات في السماء وعندما يفتح الختم السابع يظهر سبعة ملائكة ينفخون بسبعة ابواق وكل ما ينفخ بوق تحصل أحداث معينة.

وفي أواخر ١٩٨٧، انخفض التأييد لجورج رودن. لذلك ومن أجل استعادة دعم أعضاء الطائفة له، تحدى رودن، كورش في مسابقة لأحياء الموتى حتى لو تطلب الأمر نبش جثة ميت لأجراء المسابقة عليها. ذهب كورش إلى السلطات وأبلغ عن تهمة انتهاك حرمة الموتى ضد رودن لكنهم أبلغوه أن عليه أن يقدم دليلا على ذلك (مثلا صورة للجثة). عاد كورش إلى مركز جبل الكرمل متخفيا مع سبعة من أتباعه وهم مدججين بالأسلحة مدعيا أنه يريد جلب الدليل بالتقاط صورة للجثة. حصل تبادل لإطلاق النار بين الطرفين. قبضت الشرطة المحلية على الجميع باستثناء شخص واحد تمكن من الهرب وذلك بعد إطلاق نيران تحذيرية. وعندما وصل وكيل العمدة وجد كورش وسبعة من أتباعه يطلقون النيران باتجاه رودن الذي كان مسلحا أيضا ويعاني من إصابات طفيفة في رأسه وصدره ويده ومختبئا خلف شجرة داخل المجمع. ونتيجة لهذا الحادث أحيل كورش وأتباعه إلى المحاكمة بتهمة الشروع في القتل. وخلال المحاكمة قال كورش أنه ذهب إلى مركز جبل الكرمل لجلب دليل انتهاك حرمة الموتى على يد جورج رودن. تمت تبرئة أتباع كورش وردت الدعوى ضد كورش بكونها فاسدة الإجراءات.

وفي ١٩٨٨ قَتَل رودن، السيد ديل أدير بضربة فأس على جمجمته بعد إن عبر أدير عن إيمانه بأن كورش هو المسيح. اتهم رودن بالقتل، ولأنه مدين بآلاف الدولارات كضرائب غير مدفوعة، عرض مركز جبل الكرمل للبيع. جمع كورش وأتباعه المال واشتروا العقار وأسماه كورش "مزرعة الرؤيا". وقد وجد فيه مختبرا لصناعة مادة Methamphetamine[1] حيث ابلغ الشرطة المحلية بذلك وطلب إزالته.

(١) مادة كيميائية تستخدم كمثير للجهاز العصبي لمعالجة حالات ضعف التركيز والذهول والاضطرابات العقلية.

يقال أن كورش كان يرى نفسه أنه سايروس العصر الحديث الذي سمح لليهود "بالعودة إلى يهودا بعد تحريرهم من الحكم البابلي". وعن تفسيره لأسباب تغيير اسمه، قال: "أن تغييره جاء لأسباب مادية ولتحقيق مزيد من الشعبية". ويقول بعض النقاد أن تغيير اسمه جاء من اعتقاده بأنه أصبح الآن رئيس بيت داوود الوارد ذكره في الكتاب المقدس والذي تقول الروايات اليهودية والمسيحية أن المسيح سيظهر منه. واسم كورش هم الاسم العبري لسايروس الملك الفارسي الذي سمح لليهود الذين تشتتوا في بابل على يد نبوخذ نصر بالعودة إلى فلسطين.

لقد اختار اسم ديفيد أو (داوود) وكورش ليظهر اعتقاده بأنه الشخص المختار وهو الاعتقاد الناشئ من رؤيا يدعي أنه تلقاها من الله في ١٩٨٥ خلال رحلته إلى إسرائيل. فيقول خلال حصار المجمع للمفاوضين من مكتب التحقيقات الفيدرالي أن لمفردة كورش من وجهة نظره معنى أعمق:

كورش: ماذا كشف المسيح حسب الختم الرابع؟

ضابط المكتب: راكب شاحب على حصان شاحب.

كورش: وماذا كان اسمه؟

ضابط المكتب: الموت.

كورش: والآن، هل تعرف معنى مفردة كورش؟

ضابط المكتب: كلا.

كورش: إنها تعني الموت.

وقد ثبتت دائرة سجلات الوفيات في تكساس اسمه فيرنون هاول رغم إنه غير اسمه إلى ديفيد كورش[1].

(1) Wright, Stuart A. Armageddon in Waco, The University of Chicago Press, 1995.

أنكر كورش في المقابلات العامة جميع التهم الموجهة إليه بشأن تعدد الزوجات أو التحرش بالصغار. مع ذلك ذكرت وسائل الأعلام والمنشقون عن الطائفة والمتحدثون باسم الحكومة الأمريكية قصصا مريعة عن الحياة الشخصية لكورش.

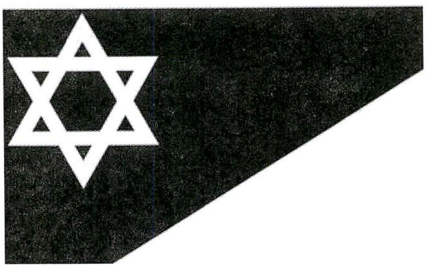
ويقال أن كورش كان يؤمن بتعدد الزوجات لنفسه ويؤكد أنه تزوج عددا من عضوات الطائفة داخل المجمع. وقال بعض الأعضاء السابقين فيها أن كورش كان يستطيع أن يدعو أيا من نساء المجمع إلى فراشه.

وفي ١٩٩٣ نشرت وزارة العدل الأمريكية تقريرا يورد مزاعم عن تحرش وانتهاك جسدي للصغار على يد كورش. يقول ضابط مكتب ATF ديفيد أجوليرا أنه قابل عضوة سابقة في الطائفة تدعى جينين بدز حيث قالت له أن لكورش حوالي ١٥ إبنا من مختلف النساء والفتيات الصغيرات في المجمع، وأن بعض هؤلاء الفتيات بعمر ١٢ عاما، وأنها شخصيا قد ولدت له سبعة أبناء. وقالت أن كورش يستطيع أيضا إبطال أي زيجة لزوجين يمكن أن يلتحقا بطائفته. وبذلك يستطيع أن يمارس الجنس لوحده مع هؤلاء النسوة. كما إن له علاقات جنسية منتظمة مع الفتيات الصغيرات. يقول جيمس تابور بكتابه لماذا واكو Why Waco : "أن كورش قد اعترف في شريط فيديو أرسل من المجمع أنه له ١٢ ابنا من عدة زوجات، وبعضهن بعمر ١٢ او ١٣ سنة عندما حملن أول مرة. وأثبت فحص عامل DNA للأطفال الذين قضوا في الحريق أنهم أبناؤه. وفي ٣ آذار/ مارس ١٩٩٣ ذكر كورش خلال المفاوضات التي تمت لتأمين إطلاق سراح باقي الأطفال، للفريق المفاوض: "أن أطفالي يختلفون عن الآخرين" مشيرا إلى الأطفال من سلالته المباشرة مقارنة بالأطفال الذين جرى إطلاق سراحهم مسبقا. وفي ذلك الوقت في تكساس كان سن الزواج أو سن إقامة علاقات جنسية بالنسبة للقاصرات والذي يتطلب موافقة الوالدين هو ١٤ عاما.

قالت كيري جيويل إبنة عضو الطائفة شيري جيويل بشهادتها أمام الكونجرس في ١٩٩٥ أن كورش قد تحرش بها جنسيا وهي في سن العاشرة ثم قرأ لها من الكتاب المقدس. وكانت قد ذكرت هذه الحادثة أيضا في ١٩٩٢ أمام القضاء في قضية الوصاية عليها وأمر القاضي بأبعادها عن كورش وجبل الكرمل. وفي الوقت الذي ربما تكون فيه شهادة جيويل صحيحة، لكن محامي شنايدر (الساعد الأيمن لكورش) أعرب عن شكوكه بصحة هذا الدليل[1].



مجمع فرع الداووديين قبل الحريق



علم الطائفة

الغارة والحصار

أبلغ أحد سائقي شركة UPS لنقل البريد السلطات الحكومية أنه وجد رمانات يدوية في أحد الصناديق المرسلة إلى مركز جبل الكرمل. ورغم أن الجماعة تمتلك رخصة المتاجرة بالسلاح لكنها لم تكن تلتزم بالقوانين. وأبلغ بعض الجيران أيضا عن وجود تدريبات كثيرة على إطلاق النار في المجمع. أضف إلى ذلك نشر عضو سابق في الجماعة هو مارك برولت سلسلة مقالات بعنوان المسيح الضال في صحيفة محلية وألف كتابا اسمه "المذهب من الداخل Inside the cult" تحدث فيها عن أعمال كورش المريبة وزود مكتب ATF بتفاصيل مثيرة عن زملائه السابقين وتحدث عن

(1) Tabor, James D., Why Waco? Cults and the Battle for religious Freedom in America, University of California Press, 1995,

تحرش كورش بالأطفال وبتعدد زوجاته. دفع مكتب ATF بعض عملائه للتحقق من هذه الأخبار وتظاهروا بأنهم طلبة جامعة ويرغبون بالتعرف على تعاليم كورش. وسكنوا منزلا قريبا منه.

وفي صباح يوم ٢٨ شباط/ فبراير ١٩٩٣، أغار مكتب ATF على جبل الكرمل. أسفرت الغارة عن مقتل أربعة من عناصر المكتب وستة من عناصر الطائفة. وبعد هذه الغارة الأولية بقليل تولى فريق إنقاذ الرهائن HRT التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي FBI زمام قيادة العملية لكون حوادث قتل الموظفين الفيدراليين تقع ضمن اختصاص مكتب التحقيقات. تم إجراء اتصالات مع كورش وهو داخل المجمع. استمرت هذه الاتصالات ٥١ يوما وتضمنت مكالمات هاتفية بين الطرفين.

وبينما كان الحصار مستمرا، حاول كورش مع القادة الآخرين المقربين منه طلب المزيد من الوقت كونه حسبما يقول يريد كتابة بعض الوصايا الدينية قبل الاستسلام. وقد كان مصابا بطلق ناري إصابة خطيرة. كانت أحاديثه مع المفاوضين مليئة بالتعابير الإنجيلية. تعامل المفاوضون الفيدراليون مع الموقف كأزمة رهائن رغم إرسال أعضاء الطائفة لشريط فيديو مدته ساعتين يوضحون فيه بوضوح وثقة أسباب اختيارهم البقاء بإرادتهم الحرة مع كورش.

انتهى حصار الـ٥١ يوما لجبل الكرمل عندما وافق النائب العام السيدة جانيت رينو على توصيات ضباط مكتب التحقيقات لشن هجوم نهائي على المجمع من أجل إخراج أعضاء الطائفة قسرا من مبانيهم. وأثناء الهجوم، أحاطت النيران بمبنى الكنيسة. ويقول تقرير دانفورد أن سبب الحريق يرجع إلى عمل مقصود قام به بعض أعضاء الجماعة داخل البناية. ولا يعرف سبب فعلتهم هذه، وهم يدركون أن المبنى فيه أطفال صغار. مع ذلك، تدحض وثيقة "واكو: قواعد الاشتباك" التي أصدرها

وليم جازاكي مقولة أن من أضرم النار هم أعضاء الطائفة وتقول الوثيقة أن النار قد أضرمت عندما قذفت عناصر الـFBI أداة إشعال داخل المبنى بعد تعبئته بغازCS المسيل للدموع. وعند محاكمة الأعضاء الناجين من الطائفة، استمع المحلفون لأجزاء من شريط تم تسجيله بواسطة لاقطات مخفية داخل مركز جبل الكرمل خلال الهجوم النهائي والحريق في يوم ١٩ نيسان/ أبريل. وهناك تشويش كبير في التسجيل بحيث لا يستطيع المرء سوى سماع صوت خافت يقول: "..حريق...". ويقول خبير حكومي انه بعد استخدام وسائل ألكترونية لتوضيح الصوت، فأنه سمع تعليقات واضحة تدل على الأجرام لم تسمعها هيئة المحلفين. واتضح فيما بعد أن مكتب FBI قد أرسل لاقطات صغيرة أخفاها بعلب الحليب الذي أرسله لتلبية احتياجات أطفال المجمع.

وبعد إن حوصروا داخل المبنى، قتلت النيران ستة وسبعين شخصا بما فيهم كورش نفسه. سبعة عشر من الضحايا كانوا من الأطفال تحت سن ١٧ سنة. يقول تقرير دانفورد أن القتلى إما أن يكونوا غير قادرين على الهرب أو غير راغبين بالهرب وأن ستيف شنايدر، الساعد الأيمن لكورش، ربما يكون قد أطلق النار على كورش ثم قتل نفسه بنفس البندقية. وتقول وثيقة "واكو: قواعد الاشتباك" أن عناصر الـ FBI قد أحرقوا وقتلوا الكثير من أعضاء الطائفة الذين حاولوا الهرب من النيران. وأيد هذا الادعاء عدد من أفراد الطائفة الذين تمكنوا من الهرب من النيران. وتشير سجلات تشريح الجثث أن حوالي ٢٠ شخصا من أعضاء الطائفة قد قتلوا بالرصاص بما فيهم خمسة أطفال. ويستنتج تقرير دانفورد أن الكبار الذين ماتوا بفعل إصابتهم بطلقات نارية هم الذين قتلوا أنفسهم بعد إن قتلوا الأطفال الصغار. وما يعزز هذا الاعتقاد كما يقول بعض الهاربين من طائفته أنه كان يقول لجماعته أن الطريق الوحيد لخدمة الله هو أن تكون راغبا في الموت، بل إنه يقول للأطفال أن الانتحار قد يكون

ضروريا يوما ما وشرح لهم كيف ينتحرون بتناول سم السيانيد أو بإطلاق النار على أنفسهم. وكان يعلم أتباعه أهمية (الشهادة) من أجل القضية، وفي نفس الوقت أخذ يكدس الأسلحة والطعام في المجمع للدفاع عن نفسه من هجمات المرتدين أو عناصر الحكومة الذين يسميهم "البابليين".

دفن ديفيد كورش في مقبرة **Memorial Park** بمدينة تايلر بتكساس[١].

يعتقد أعضاء الطائفة أن كورش سيعود يوما ما إلى الأرض. وبعضهم يأمل أن يتم ذلك بعد ١٣٣٥ يوما من وفاته استنادا إلى الآية ١٢ من الإصحاح ١٢ من سفر دانيال[٢] أي في ١٤ ك١/ ديسمبر ١٩٩٦. بينما تؤمن جماعة **Hidden Manna** أن ظهوره سيكون في ٦ آب/ أغسطس ٢٠٠٠ ثم قالوا ٢٠ ت١/ أكتوبر ٢٠٠٠ والآن يقولون أنه سيحصل في آذار/ مارس ٢٠١٢. بينما يتجنب غيرهم ذكر أي تأريخ لعودته.



تيموثي ماكفيه

(1) Newport, Kenneth G. C. The Branch Davidians of Waco: the History and Beleifs of an Apocalyptic Sect.Oxford University Press, 2006,

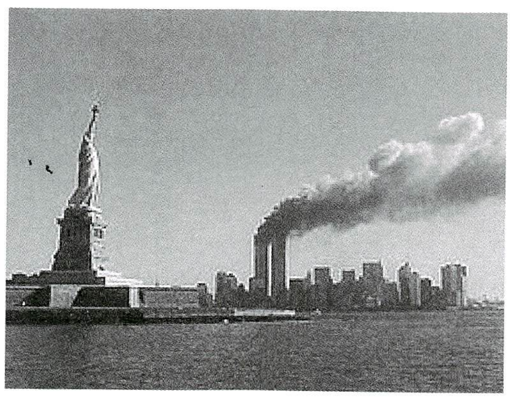
(٢) تقول الآية ١١ و١٢ من الإصحاح ١٢ من سفر دانيال: "ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ألف ومائتان وتسعون يوما . طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوما."

وخلال الذكرى الثانية لهذا الحادث أي في ١٩ نيسان/ أبريل ١٩٩٥ قام تيموثي ماكفيه (١٩٦٨-٢٠٠١) بتفجير المبنى الاتحادي في مدينة أوكلاهوما. قتل في التفجير ١٦٨ مواطنا بضمنهم ١٩ طفلا. قال المذكور للمحققين أنه حانق على الحكومة بسبب هجومها على طائفة فرع الداووديين في ١٩٩٣. أدين بالجريمة في ١٩٩٧ وحكم عليه بالإعدام، وطلب عدم الاستئناف وتنفيذ الحكم. وفي ١١ حزيران/ تموز ٢٠٠١ تم إعدامه بحقنة قاتلة(١).

(1) Ted Ottley, Timothy McVeigh & Terry Nichols: Oklahoma Bombing, TruTV Crime Library, Criminal Mind and Methods, 2009.
http://www.trutv.com/library/crime/serial_killers/notorious/mcveigh/dawning_1.html

الفصل الخامس عشر

الهجمات الانتحارية في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١





مبنى مركز التجارة العالمي في نيويورك

خلاصة

في الصباح الباكر من يوم ١١/ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، تمكن ١٩ خاطف انتحاري من السيطرة على أربع طائرات تجارية في طريقها من بوسطن إلى سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة ونيويورك وواشنطن دي سي (مطار واشنطن دالاس الدولي). فعند الساعة ٨:٤٦ صباحا تمكن خاطفو الرحلة ١١ للخطوط الجوية الأمريكية **American Airlines** من صدم طائرة الرحلة ببرج التجارة العالمي الشمالي، تلاها بعد ذلك صدم البرج الجنوبي برحلة الخطوط الجوية المتحدة رقم ١٧٥ عند الساعة ٩:٠٣ صباحا. وعند الساعة ٩:٣٧ صباحا قادت مجموعة أخرى من الخاطفين الانتحاريين رحلة الخطوط الجوية الأمريكية رقم ٧٧ وصدمت بها وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). أما الطائرة الرابعة وهي رحلة الخطوط الجوية المتحدة رقم ٩٣ والتي يعتقد أنه كان من المقرر لها إما أن تصدم مبنى الكونجرس الأمريكي أو البيت الأبيض، فقد سقطت قرب شانكسفيل في بنسلفانيا عند الساعة ١٠:٠٣ صباحا.

استخدم الخاطفون في خطف الطائرات شفرات (كتر) لقتل المضيفين والركاب وطاقم الطائرة بمن فيهم ربان الرحلة ١١، جون أوجونوفسكي. تمكن بعض الركاب من إجراء مكالمات هاتفية باستخدام الهواتف المحمولة وهواتف الخدمة العمومية في الطائرة وأعطوا بعض التفاصيل مثل أن هناك مجموعة من الخاطفين على ظهر كل طائرة وأنهم استخدموا في عملية الخطف بخاخات أو مرشات رذاذ تحوي

مواد كيميائية ضارة أو غازات مسيلة للدموع أو فلفل حار وأن هناك بعض الأشخاص قد تلقوا طعنات قاتلة منهم. وأكدت اللجنة المشكلة للتحقيق بحوادث ١١/ ٩ أن اثنين من الخاطفين قد اشتريا قبل الحادث عدة (لذرمان) اليدوية متعددة الأغراض. وذكر مضيف الرحلة ١١ وراكب في الرحلة ١٧٥ وركاب الرحلة ٩٣ أن الخاطفين يحملون قنابلا، لكن أحد الركاب قال أنه يعتقد أن هذه القنابل هي خدعة. لم يعثر على آثار متفجرات في مواقع الارتطام أو السقوط. وتعتقد لجنة ١١/ ٩ أن هذه القنابل ربما تكون مجرد خدعة.

وقد كشفت تسجيلات الصندوق الأسود في الرحلة ٩٣ أن طاقم الطائرة والركاب حاولوا استعادة السيطرة على الطائرة من أيدي الخاطفين بعد إن علموا عبر الهواتف أن طائرات مختطفة مماثلة أخرى قد صدمت بعض المباني في نفس هذا الصباح. ووفقا لما ورد في تسجيل الرحلة ٩٣ أن أحد الخاطفين قد أصدر الأوامر بإسقاط الطائرة عندما أصبح واضحا له أنهم سيفقدون السيطرة عليها لصالح الركاب. وبعدها مباشرة سقطت الطائرة في حقل قرب شانكسفيل في منطقة ستوني كريك بمقاطعة سومرست في بنسلفانيا. وقال أحد قادة القاعدة خالد شيخ محمد[1]

(١) خالد شيخ محمد مهندس هجمات ١١/ ٩ مواليد ١ آذار/ مارس ١٩٦٤ في الكويت من أبوين بلوشيين من الباكستان. أمضى طفولته في الكويت وانضم إلى الأخوان المسلمين في سن ١٦ وعاد بعدها إلى الباكستان وبعد قضاء فترة هناك ذهب إلى الولايات المتحدة للدراسة وتخرج في جامعة نورث كارولينا كمهندس ميكانيك عام ١٩٨٦. وبعدها بعام ذهب إلى أفغانستان مع أشقائه لقتال السوفيت هناك. وفي ١٩٩٢ ذهب إلى البوسنة والهرسك واشترك بالقتال إلى جانب المسلمين. ثم انتقل إلى قطر وعمل في وزارة الكهرباء والماء القطرية لغاية ١٩٩٦. اعتقلته المخابرات الأمريكية في آذار/ مارس ٢٠٠٣ في راوليبندي بالباكستان وأرسل إلى جوانتانامو، وفي ١٣ نوفمبر ٢٠٠٩ تم نقله إلى نيويورك مع رمزي بن الشيبة وعلي عبد العزيز علي ووليد بن عطاش ومصطفى الحوسوي لمحاكمته أمام المحكمة الجزائية الأمريكية في مانهاتن.

بمقابلة تلفزيونية مع يسري فودة المذيع في قناة الجزيرة أن هدف الرحلة ٩٣ هو مقر الكونجرس الأمريكي الذي أعطوه الاسم الرمزي "كلية الحقوق"[1].

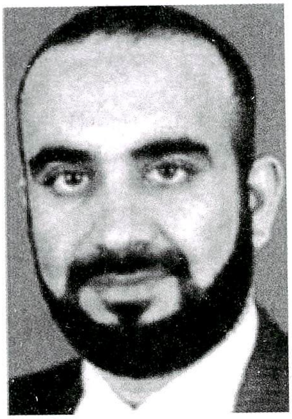
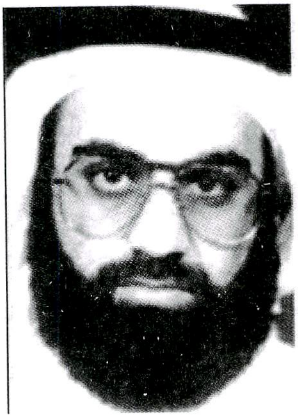
انهارت ثلاثة مبان في مجمع مركز التجارة العالمي بنيويورك في يوم الهجوم بسبب عدم صمود هياكلها. وسقط البرج الجنوبي عند الساعة ٩:٥٩ صباحا بعد اشتعاله بالنيران التي سببتها رحلة الخطوط الجوية المتحدة ١٧٥ لمدة ٥٦ دقيقة. وانهار البرج الشمالي عند الساعة ١٠:٢٨ بعد فترة اشتعال دامت ١٠٢ دقيقة. وقد سببت الأنقاض الناجمة من انهياره سقوط مبنى مركز التجارة العالمي السابع، فقد ساهمت هذه الأنقاض مع النيران المشتعلة في تقويض دعاماته الهيكلية وانهار المبنى آخر اليوم في الساعة ٥:٢٠ مساءا[2].

خلقت هذه الهجمات تشوشا واسعا في المؤسسات الإعلامية وارتباكا كبيرا لدى مؤسسات الخطوط الجوية في الولايات المتحدة. جرى حظر هبوط جميع طائرات الخطوط الجوية المدنية العالمية لثلاثة أيام. أما الطائرات التي كانت في الجو حينها، فقد أمرت بالعودة من حيث جاءت أو الهبوط في مطارات كندا أو المكسيك. وبثت المحطات الإخبارية طيلة اليوم تقارير غير مؤكدة وغالبا متناقضة. وأكثرها شيوعا كان تقريرا عن انفجار سيارة مفخخة في مقر وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن دي سي. ومباشرة بعد أول إعلان عن الارتطام بالبنتاجون، أعلنت محطة السي إن إن CNN وباقي المحطات أن حريقا قد نشب في مجمع واشنطن التجاري (واشنطن مول). وأعلنت وكالة الأسوشيتد بريس في تقرير آخر أنه جرى اختطاف الرحلة ١٩٨٩ التابعة للخطوط الجوية دلتا. واتضح أن كل هذه التقارير عارية عن الصحة.

---

(١) يسري فوردة، برنامج سري للغاية – حلقات بعنوان الطريق إلى سبتمبر، محطة الجزيرة، منشور على موقع اليوتيوب:
http://www.youtube.com/watch?v=bM5yGfx1KUk

(٢) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Twin_Towers_Attacks .

خالد شيخ محمد

المهاجمون ودوافعهم

في خلال ساعات من هذه الهجمات، استطاع مكتب التحقيق الفيدرالي FBI تحديد أسماء وأحيانا تفاصيل شخصية عن كافة الخاطفين والطيارين الانتحاريين. فقد احتوت أمتعة محمد عطا الشخصية والتي لم تشحن على الرحلة ١١، أوراقا تكشف هوية الخاطفين التسعة عشر ومفاتيح مهمة أخرى عن خططهم ودوافعهم وخلفياتهم. وفي يوم الهجمات، اعترضت وكالة الأمن الوطني الأمريكية اتصالات مع أسامة بن لادن كما كانت تفعل وكالات الاستخبارات الألمانية. وفي ٢٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ نشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الـ FBI صور الخاطفين التسعة عشر مع معلومات عن جنسياتهم وأسمائهم المستعارة. كان منهم خمسة عشر شخصا من المملكة العربية السعودية واثنين من دولة الأمارات العربية المتحدة وواحد من مصر وواحد من لبنان. وكان محمد عطا زعيمهم. والخاطفون رجال ناضجون ومتعلمون بشكل جيد ولهم عقيدتهم الراسخة.

ويعتبر تحقيق الـ FBI في هذه الهجمات والذي أعطوه الاسم الرمزي عملية بينتبوم Penttbom Operation[١] أكبر وأعقد تحقيق أجراه مكتب التحقيقات الفيدرالي في تأريخه حيث اشترك فيه أكثر من ٧٠٠٠ عنصرا. فمن خلال الاستجوابات التي جرت مع المشتبه بهم بحادث تفجير السفينة الأمريكية يو أس أس كول USS Cole في اليمن، استطاع ألـFBI أن يربط بين الخاطفين والقاعدة. فأعلنت حكومة الولايات المتحدة أن القاعدة برئاسة أسامة بن لادن تتحمل مسؤولية الهجمـات وأعلن الـ FBI "أن الدلائل على تورط القاعدة وبن لادن في هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر واضحة ودامغة". وتوصلت حكومة المملكة المتحدة إلى نفس الاستنتاج بشأن مسؤولية القاعدة وبن لادن عن هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر[٢].

منظمة القاعدة :

تعود جذور تنظيم القاعدة إلى عام ١٩٧٩ عندما غزا الاتحاد السوفيتي أفغانستان. فبعد الغزو مباشرة، سافر أسامة بن لادن إلى هناك حيث ساهم في تنظيم المجاهدين العرب وأسس مكتب الخدمات من أجل مقاومة السوفيت[٣]. وفي ١٩٨٩ وبعد انسحاب الاتحاد السوفيتي تحول هذا المكتب إلى "قوة الرد السريع" ومهمتها الجهاد ضد حكومات العالم الإسلامي. وبتأثير من أيمن الظواهري[٤]

---

(١) هي اختصار لعبارة التحقيق بتفجيرات وزارة الدفاع وبرجي التجارة Pentagon/ Twin Towers Bombing Investigation.

(2) National Commission on Terrorist attacks upon the United States, 9/11 commission report, 2004, p. 4-414

(3) Coll, Steve, Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, And Bin Laden, from the Soviet Invasion to Sept 10, 2001, 2nd ed. Penguin Books, 2005.

(٤) هو أيمن محمد ربيع الظواهري مواليد المعادي – القاهرة- مصر. القائد الثاني للقاعـدة وآخـر زعـماء تنظيم الجهاد الإسلامي المصري بعد عبود الزمر المسجون مدى الحياة في السجون المصرية. وهو طبيب جراح ومؤلف كتب له عدة أعمال. ويتحدث الانجليزية إضافة إلى العربية. وهو نجل أستاذ =

= صيدلاني من أسرة من الطبقة المتوسطة العليا ومعظم أفرادها أطباء وأساتذة. وأمه أميمة عزام تنتسب لأسرة ثرية وناشطة سياسيا. كان متفوقا في الدراسة ومحبا للشعر ومرتبطا بشدة بوالدته، ويكره الرياضات العنيفة لأنه يعتقد أنها غير إنسانية. وأسرته متدينة رغم أنها ليشت متشددة. تأثر بخاله محفوظ عزام الذي كان من أتباع سيد قطب. وفي سن الـ ١٤ انضم إلى جماعة الأخوان المسلمين وبعد سنة من انضمامه أعدمت السلطة سيد قطب فأسس الظواهري مع عدد من طلاب الثانوية العامة خلية سرية للإطاحة بنظام الحكم وإقامة الدولة الإسلامية. بعدها شكل مع آخرين منظمة الجهاد الإسلامي. درس في جامعة القاهرة الطب وتخرج في ١٩٧٤ بدرجة جيد جدا. ثم خدم في الجيش ثلاث سنوات كطبيب جراح. وفي ١٩٧٨ حاز على درجة الماجستير في الجراحة. وفي ١٩٧٨ تزوج من عزة النواري وكانت طالبة متدينة ارتدت النقاب وأحيانا تمضي الليل في قراءة القرآن. كانت حفلة عرسهما خالية من الصور او الموسيقى أو اختلاط الجنسين. وبعد هجمات ١١/ ٩ قالت أنها لم تكن تعرف مطلقا أن زوجها أمير المجاهدين خلال العقد الماضي رغم إن معارفهم يشكون في ذلك. لديه أربع بنات: فاطمة مواليد ١٩٨١ وأميمة ونبيلة مواليد ١٩٨٦ وخديجة مواليد ١٩٨٧. وله ولد يدعى محمد ويقال أنه رقيق ومهذب ومدلل أخواته. وبعد ١٠ سنوات من ولادة محمد ولدت عزة عائشة وكانت تعاني من مرض Down Syndrome أي (منغولية). توفيت عزة وعائشة بعد ١١/ ٩ في أعقاب قصف أمريكي لمبنى تابع لطالبان في جاردز.

اشترك في خلية للإطاحة بنظام حكم الرئيس المصري السابق أنور السادات، وبعد اغتيال الرئيس ألقي القبض عليه وزج في السجن. يقول محاميه منتصر الزيات بكتابه الظواهري كما عرفته أنه تعرض للتعذيب وكشف مكان اختباء عصام القمري وهو أحد الأعضاء البارزين في خلية الجهاد، حيث تم إلقاء القبض عليه وإعدامه. وحكم على الظواهري بالسجن ثلاث سنوات لحيازته الأسلحة دون رخصة. خرج من السجن في ١٩٨٤. وفي ١٩٨٥ غادر لأغراض الحج إلى العربية السعودية ثم عمل طبيبا في جدة ثم سافر إلى بيشاور بالباكستان ليعمل في مستشفى للهلال الأحمر لمعالجة اللاجئين الجرحى. وهناك التقى بعدد من عناصر الجهاد وفي هذه المرحلة هجر استراتيجية الانقلابات القديمة وتبنى فكرة التكفير. وفي ١٩٩١ انشق عن الزمر وأصبح قائد تنظيم الجهاد المصري. وفي بيشاور التقى بأسامة بن لادن الذي كان يدير قاعدة للمجاهدين تسمى مكتب الخدمات الذي أسسه الفلسطيني الشيخ عبد الله يوسف عزام. وقد كان يحمل جوازي سفر مزورين واحد سويسري باسم أمين عثمان والآخر هولندي باسم محمود حفناوي. عاد إلى مصر في ١٩٩٠ وزار الولايات المتحدة في محاولة لجمع التبرعات لمجموعته فظهر في جوامع كاليفورنيا باسم عبد المعز من الهلال الأحمر الكويتي ويحاول جمع المال لأطفال أفغانستان الذين انفجرت عليهم الألغام السوفيتية. ولم يجمع سوى ٢٠٠٠ دولار فأضطر إلى التقرب أكثر من القاعدة. يقال أن لديه علاقات متميزة مع الحكومة الإيرانية وأنه =

أصبح بن لادن أكثر راديكالية. وفي ١٩٩٦، أصدر الأخير أول فتوى له تدعو الجنود الأمريكيين إلى الانسحاب من العربية السعودية.

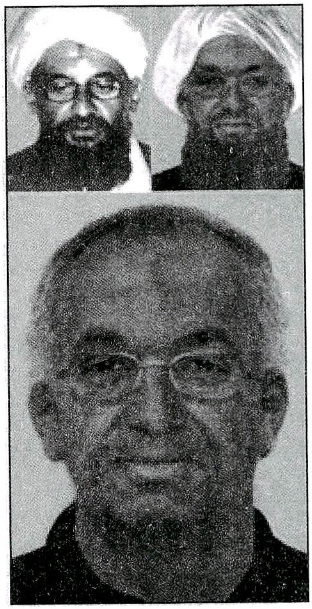
وفي فتوى ثانية له أوضح بن لادن اعتراضه على السياسة الخارجية الأمريكية المؤيدة لإسرائيل إضافة إلى رفضه للتواجد المستمر للقوات الأمريكية في أراضي العربية السعودية بعد حرب الخليج. واستخدم نصوصا مقدسة إسلامية للحث على

= سعى للحصول على تدريب من الإيرانيين للإطاحة بالحكومة المصرية وأنه قدم لإيران معلومات عن خطة الحكومة المصرية لاستعادة الجزر المتنازع عليها بين إيران والأمارات في الخليج العربي. وقيل أن إيران دفعت له مقابل هذه المعلومات مليوني دولار وساعدته في تدريب جماعته على كيفية تنفيذ الانقلاب الذي لم يحصل. مع ذلك كان الظواهري يشجب علنا ممارسات الحكومة الإيرانية ويقول: "لقد اكتشفنا تعاون إيران مع الولايات المتحدة في غزوها لأفغانستان والعراق". وربما يكون من نتائج تعاون الظواهري مع إيران التفجير الانتحاري الفاشل الذي استهدف وزير الداخلية المصري حسن الألفي في آب/ أغسطس ١٩٩٣، وكذلك محاولة اغتيال رئيس الوزراء المصري السابق عاطف صدقي بعد ثلاثة أشهر. كان الهجوم على السفارة المصرية بالباكستان هو الهجوم الناجح الوحيد لجماعة الظواهري لكن بن لادن استنكر العملية لأنها تحرج الباكستان ممرهم المفضل إلى أفغانستان.

وبعد محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في السودان اختفى الظواهري وقيل أنه ذهب إلى سرايفو بجواز سفر مزور. وفي ١٩٩٦ أعتقل في روسيا مدة ستة أشهر لمحاولته العبور إلى الشيشان دون تأشيرة دخول وادعى أنه تاجر سوداني. أطلق سراحه وألقي على الحدود الأذرية. يقول ضابط الأمن الاتحادي الروسي FBS ألكساندر ليتفينينكو الذي تم اغتياله فيما بعد أن الأمن الروسي هو الذي استقدم الظواهري سرا ودربه ليكون رابطة اتصال بينه وبين القاعدة وأيد ذلك ضابط المخابرات السابق والكاتب الروسي كونستانتين بريوبراسنسكي حيث قال: "كان ليتفينينكو مسؤولا عن تأمين سرية وصول الظواهري إلى روسيا وقد تم تدريبه هناك على يد ضباط الأمن الاتحادي الروسي في داغستان شمال القوقاز خلال الفترة من ١٩٩٦ -١٩٩٧".

استقر في جلال آباد بأفغانستان مع عوائل عناصر القاعدة حيث اجتمع هناك حوالي ٢٥٠ عنصرا. وفي ت٢/ نوفمبر ١٩٩٧ اشترك مع عناصر تنظيم الجماعة الإسلامية في تنفيذ مذبحة الأقصر بمعبد حتشبسوت التي راح ضحيتها ٥٨ سائحا أجنبيا و٤ مصريين. لاقت المذبحة استنكارا شعبيا عميقا وفي ١٩٩٩ حكم على الظواهري غيابيا بالإعدام. وحاليا مختبئ في المنطقة الحدودية الأفغانية الباكستانية.

القيام بأعمال عدائية ضد الجنود والمواطنين الأمريكيين حتى ترفع هذه المظالم مشيرا إلى أن العلماء المسلمين وطيلة التأريخ الإسلامي قد اتفقوا بالإجماع على أن الجهاد واجب على كل فرد إذا ما دمر العدو البلدان الإسلامية.



أيمن الظواهري وصورة تخيلية له دون لحية وعمامة

أسامة بن لادن:

هو أسامة بن محمد بن عوض بن لادن مواليد الرياض بالمملكة العربية السعودية في ١٠ آذار/ مارس ١٩٥٧. وهو نجل رجل أعمال يرتبط بعلاقات وطيدة مع الأسرة الحاكمة السعودية. وهو الابن الوحيد من زوجة محمد بن لادن العاشرة حميدة العطاس. وبعد ولادته مباشرة طلقت والدته ثم تزوجت من محمد العطاس. وأصبح لها أربعة أولاد من زوجها الجديد وعاش أسامة وسط أسرته الجديدة مع ثلاثة من الأخوان لأم وأخت لأم واحدة. تربى بن لادن ليكون مسلما ملتزما. ومن

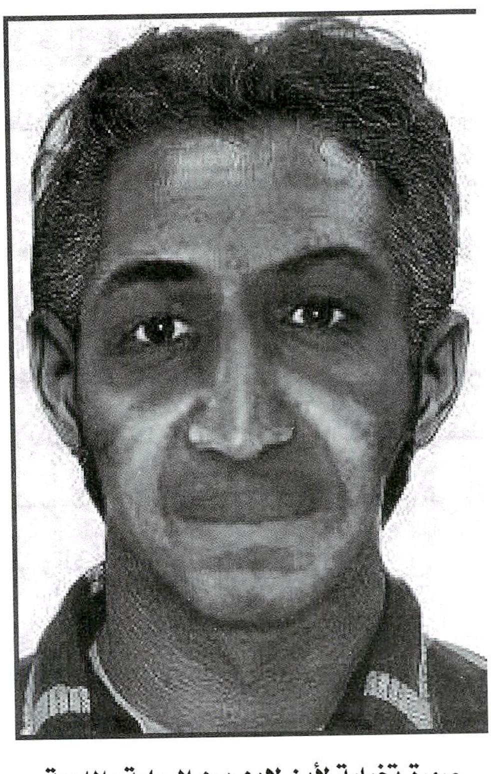
١٩٦٨-١٩٧٦ التحق بمدرسة الذكر النموذجية في جدة. ثم درس الاقتصاد وإدارة الأعمال في جامعة الملك عبد العزيز. وتقول بعض المصادر أنه حصل على شهادة في الهندسة المدنية في ١٩٧٩ أو شهادة في الإدارة العامة في ١٩٨١. وتشير مصادر أخرى أنه ترك الجامعة في سنته الثالثة ولم يكمل دراسته. كان جل اهتمامه في الجامعة هو الدين حيث انشغل بتفسير القرآن والجهاد وفي الأعمال الخيرية. وكان شاعرا أيضا.

وفي ١٩٧٤، وفي سن السابعة عشر، تزوج من زوجته الأولى نجوى غانم في اللاذقية. ويقول مراسل الـ CNN لشؤون الأمن القومي ديفيد إنسور أنه لغاية عام ٢٠٠٢، تزوج بن لادن أربع نساء وأصبح أبا لحوالي ٢٥ إلى ٢٦ طفلا. وتشير مصادر أخرى أن أبناءه حوالي ١٢- ٢٤ إبنا.

وهو يعتقد أن تطبيق الشريعة الإسلامية سيعالج كل مشاكل العالم الإسلامي وأنه يجب مقاومة باقي العقائد كالقومية أو الاشتراكية أو الشيوعية أو الديمقراطية. ويرى أن أفغانستان تحت حكم ملا عمر زعيم الطالبان هي الدولة الإسلامية الوحيدة في العالم الإسلامي. وغالبا ما يؤكد على الجهاد للرد على ما يعتقده المظالم التي ترتكبها الولايات المتحدة وباقي الدول غير الإسلامية ضد المسلمين وأنه يجب إزالة إسرائيل وإجبار الولايات المتحدة على الانسحاب من منطقة الشرق الأوسط. وبرسالته في ت١/ أكتوبر ٢٠٠٢ دعا الأمريكيين للتخلي عن الأفعال غير الأخلاقية كالزنا واللواط والسكر والقمار والربا.



أسـامة بن لادن



صورة تخيلية لأبن لادن دون العمامة واللحية

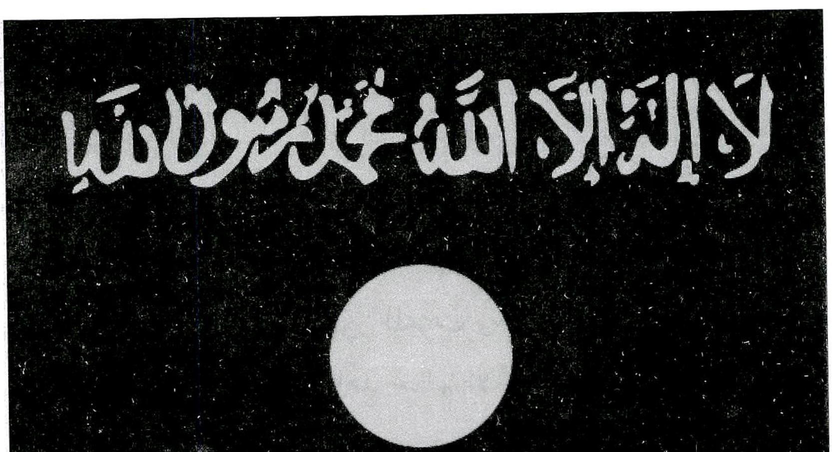
وأهم جزء مثير للجدل في عقيدة بن لادن هو موقفه من المدنيين، فهو يرى أنه يمكن قتل النساء والأطفال في عمليات الجهاد. وهو أيضا مناهض لليهود وحذر العالم من المؤامرات اليهودية قائلا أنهم سادة الغدر في العالم، ويعتبر الشيعة هراطقة كأمريكا وإسرائيل، فبمنظوره العقائدي أن أعداء الإسلام الأربعة الرئيسين هم: الهراطقة والشيعة وأمريكا وإسرائيل.

وكرجل يتبع المذهب الوهابي فأنه يحرم الموسيقى لأسباب دينية وموقفه من التكنولوجيا مزيج من التحريم والتحليل. فهو من جانب يهتم بآليات النقل والهندسة الوراثية للنباتات ومن جانب آخر يحرم الماء البارد. ونتيجة لآرائه هذه ووسائله في تحقيقها، أعتبره معظم العلماء والمهتمين بالشؤون العامة إرهابيا.

وبعد تركه الجامعة في ١٩٧٩ انضم إلى الفلسطيني عبد الله عزام لقتال السوفيت في أفغانستان، واستقر فترة من الوقت في بيشاور بالباكستان حيث كان من خلال مكتب الخدمات يجلب المقاتلين العرب ويزودهم بالمال والسلاح للاشتراك في قتال السوفيت. فاستخدم ثروة أسرته التي ورثها لهذه الأغراض. وخلال هذه الفترة أي في ١٩٨٤ التقى مع أيمن الظواهري الذي شجعه على الانفصال عن عبد الله عزام وتأسيس معسكره الخاص في أفغانستان. وفي ١٩٨٨ انفصل عن عزام الذي كان يفضل دعم المقاتلين الأفغان وتوحيد المقاتلين العرب معهم بينما يفضل بن لادن القيام بدور عسكري مباشر وأن يكون للعرب وحدات مقاتلة منفصلة. عاد بعدها إلى السعودية في ١٩٩٠ كبطل مجاهد حطم الاتحاد السوفيتي. ولكن بعد الغزو العراقي للكويت التقى بالأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد السعودي وطلب منه عدم الاعتماد على غير المسلمين وأنه سيساعده في الدفاع عن المملكة. رفض طلبه فشجب علنا اعتماد العربية السعودية على القوات الأمريكية. وقد أدى نقده المستمر للمملكة إلى محاولة الحكومة السعودية إسكاته.

وفي ١٩٩٢ انتقل إلى السودان وأسس قاعدة جديدة للمجاهدين في الخرطوم. وبسبب تهجمه المستمر على الملك السعودي فهد، أرسل الأخير في ٥ آذار/ مارس مبعوثا إلى السودان لسحب جواز بن لادن. أقنعت الحكومة السعودية أسرته لقطع مرتبه الشهري الذي يعادل سبعة ملايين دولا سنويا. وهناك ارتبط بن لادن بمنظمة الجهاد المصرية الإسلامية التي شكلت قلب القاعدة. وفي ١٩٩٥ حاولت هذه المنظمة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك. فشلت المحاولة وتم طرد أعضائها من السودان.

وفي مايس ١٩٩٦، وبسبب الضغط الشديد الذي مارسته العربية السعودية ومصر والولايات المتحدة على السودان، عاد بن لادن إلى أفغانستان وبنى علاقة وطيدة مع الملا محمد عمر. وهناك استطاع جمع المزيد من الأموال من المتبرعين ومن أجهزة المخابرات.



علم القاعدة

يعتقد أن أول هجوم تورط فيه بن لادن كان تفجير فندق Gold Mihor في عدن في ٢٩ ك١/ ديسمبر ١٩٩٢ حيث قتل شخصان. وفي هذا التفجير بررت القاعدة لنفسها قتل الأبرياء. فحسب فتوى أصدرها ممدوح محمود سالم[1] اعتبر أن قتل شخص قد يكون واقفا بالصدفة بجانب العدو هو أمر مشروع لأنه إن كان بريئا سيذهب إلى الجنة وإن كان مذنبا أو غير مسلم فسيذهب إلى النار.

وفي التسعينيات دعم بن لادن المجاهدين في مصر وأفغانستان ماليا وأحيانا عسكريا. ففي ١٩٩٢ أو ١٩٩٣ أرسل مبعوثه قاري السعيد مع مبلغ ٤٠٠٠٠ دولار إلى الجزائر لدعم الإسلاميين هناك والحث على الحرب بدل التفاوض مع الحكومة. سمع الإسلاميون الجزائريون نصيحتهم فأحرقت نيران الحرب بين ١٥٠-٢٠٠ ألف جزائري، وانتهت باستسلام الإسلاميين إلى الحكومة. والعملية الأخرى التي مولها بن لادن هي مذبحة الأقصر في ١٧ ت٢/ نوفمبر ١٩٩٧ التي راح فيها اثنان وستون مدنيا، لكنها أججت الرأي العام المصري وحولته ضد المتشددين الإسلاميين.

بعدها نفذ هجوما ناجحا على مدينة مزار شريف الأفغانية، فقد وطد علاقته بمضيفيه الطالبانيين بإرساله مئات من المقاتلين العرب لمساعدتهم في قتل خمسة إلى ستة آلاف مواطن للسيطرة على المدينة.

وفي ١٩٩٨ أصدر فتوى مع أيمن الظواهري باسم الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين أعلن فيها أن قتل الأمريكيين وحلفائهم هو واجب عيني على كل مسلم لتحرير المسجد الأقصى والحرم المكي من قبضتهم.

(١) ممدوح محمود سالم سوداني ولد بالعراق ودرس الهندسة فيه ويكنى بأبي هاجر العراقي وهو أحد مؤسسي القاعدة. اشترك في عملية بوجينكا وألقت الشرطة الألمانية القبض عليه في ١٩٩٨ وسلمته إلى الولايات المتحدة بتهمة الاشتراك بتفجير السفارتين الأمريكيتين بأفريقيا. قام بطعن أحد حراس السجن في عينه وسبب له عمى وشللا وتلفا في المخ وصعوبة في النطق. يقبع حاليا في سجن ولاية كولورادو.

وقد أعلن بن لادن مسؤوليته عن هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر على الولايات المتحدة[١]. ففي تسجيل فيديوي من ١٨ دقيقة في ٢٠٠٤ بثته الجزيرة أعلن أنه قد وجه بنفسه الخاطفين التسعة عشر لتنفيذ هذا العمل وقال إن ما ألهمه بتدمير البرجين هو تدمير إسرائيل لأبراج لبنان خلال حرب ١٩٨٢[٢].

التخطيط للهجمات:

تعتبر فكرة هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر من بنات أفكار خالد شيخ محمد الذي يعتبر أول من طرح الفكرة على أسامة بن لادن خلال عام ١٩٩٦. مع ذلك لم يحصل شيء بشأنها. في هذه الفترة كانت القاعدة وبن لادن في مرحلة انتقال، إذ أنهم قد عادوا لتوهم من السودان إلى أفغانستان. ويعتبر تفجير السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا في ٧ آب/ أغسطس ١٩٩٨ وفتوى بن لادن بشأنها نقطة تحول في رغبة بن لادن في مهاجمة الولايات المتحدة. ففي أواخر ١٩٩٨ وبداية ١٩٩٩ أعطى موافقته إلى خالد شيخ محمد للمضي قدما في تنظيم وتنفيذ الخطة. عقدت عدة اجتماعات في ربيع ١٩٩٩ بين خالد وأسامة ومساعده محمد عاطف[٣]. قدم خالد الدعم العملياتي للخطة من حيث اختيار الأهداف وترتيب سفر الخاطفين. رفض بن لادن بعض الأهداف كبرج البنك الأمريكي في لوس أنجلس لأنه لا وقت كاف لتنفيذ مثل هذه العملية.

(1) Bin Laden claims responsibility for 11/9, CBC News, Oct 29, 2004 http://www.cbc.ca/world/story/2004/10/29/binladen_message041029.html

(2) Bergen, Peter, Holy War: Inside the secret world of Osama Bin Laden, Free Press, New York, 2001.

(٣) محمد عاطف (أبو حافظ) مواليد ١٩٤٤ – ١٦ ت٢/ نوفمبر ٢٠٠١ يعتقد أنه القائد العسكري لمنظمة القاعدة. كان ضابط شرطة في بلده الأم مصر وعضوا في منظمة الجهاد الإسلامي المصرية. اتهمته الحكومة الأمريكية بأنه مخطط الهجمات على سفارتيها بأفريقيا في ١٩٩٨، وبعد هجمات ١١/ ٩ وضعته السلطات على رأس قائمة المطلوبين الاثنين والعشرين. قتل في غارة جوية أمريكية على منزله خلال غزو أفغانستان. وفي ك٢/ يناير ٢٠٠١ تزوجت ابنته من محمد نجل أسامة بن لادن .



محمد عاطف أو أبو حافظ المصري

ووفقا لتقارير السلطات الاستخبارية في الولايات المتحدة والفيليبين، فأن بداية فكرة الهجمات بدأت مع عملية بوجينكا Operation Bojinka (وهي عملية لم تنفذ) التي سبق إن طرحها خالد شيخ محمد وابن أخيه رمزي يوسف[١]. المرحلة الأولى منها اغتيال البابا جون بول الثاني وتفجير ١١ طائرة. وتتضمن المرحلة الثانية والثالثة تعبئة طائرات صغيرة بالمتفجرات وصدمها بمقر المخابرات المركزية وبعض الأهداف الأخرى. كشفت شرطة مانيلا الخطة في ٦ ك٢/ يناير ١٩٩٥ وتم القبض

(١) رمزي يوسف هو الاسم الحركي لعبد الباسط محمد عبد الكريم إبن أخ خالد شيخ محمد، وهو باكستاني من مواليد الكويت وأحد مخططي تفجير مركز التجارة العالمي في ١٩٩٣. خريج هندسة كهربائية من جامعة سوانسيا ببريطانيا ولديه شهادة في الكيمياء. يجيد سبع لغات منها الإنجليزية والعربية والبشتوية والفارسية والتركية. اشترك في محاولة اغتيال بناظير بوتو في ١٩٩٣ وفي عملية بوجينكا. ألقي القبض عليه في ١٩٩٥ في إسلام آباد بالباكستان بعد إن وشى به أحد رفاقه من جنوب أفريقيا (إستايك باركر) طمعا بالمكافأة التي عرضتها الحكومة الأمريكية البالغة مليوني دولار، وسلم إلى الولايات المتحدة وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. قال في المحكمة: نعم أنا إرهابي وأفتخر أن أكون كذلك طالما أن هذا ضد الحكومة الأمريكية. أنظر: Reeve, Simon, The New Jackals: Ramzi Yousef, Osama Bin Laden, and the Future of Terrorism, Northeastern University Press, Boston, 1999.

على عبد الحكيم مراد[1]. وقبض على رمزي يوسف في الباكستان في شباط/ فبراير ١٩٩٥. وتمكن والي خان أمين شاه من الفرار بعد القبض عليه ولكن قبض عليه ثانية في ماليزيا في ك١/ ديسمبر ١٩٩٥. وفر أيضا خالد شيخ محمد وتم تجاهل رضوان عصام الدين المعروف باسم حنبلي.

انتقل خالد شيخ محمد إلى قطر. وقبل أن تعتقله الحكومة هناك بناءا على طلب الولايات المتحدة، فرَّ إلى أفغانستان. أعجب قادة القاعدة بفكرة المرحلة الثانية والثالثة من العملية التي طرحها خالد. وبدلا من استخدام طائرات صغيرة محملة بالمتفجرات، كما خطط مراد، أراد خالد استخدام طائرات تجارية. وورد أسلوب الهجوم هذه في كتاب جانيت وكريس موريس الصادر في ١٩٨٤ بعنوان "حرب الأربعين دقيقة". أصبح خالد وأبو زبيدة قادة هذه العملية. وخلال ١٩٩٦ و١٩٩٧ أقام خالد في جمهورية التشيك لأن طالبان لم تكن موافقة على ميوله النسائية. ويرى المسؤولون الألمان أن زعماء القاعدة قد وضعوا خطة ٩/١١ كلها في أفغانستان، ولكن ستة من الخاطفين الاحتياط لهم رأي آخر.

وبموجب تقرير لجنة التحقيق بأحداث ٩/١١ كان خالد شيخ محمد يرى ضرورة خطف عشر طائرات من الساحل الشرقي والغربي للولايات المتحدة وصدم تسع منها بمركز التجارة العالمي والبنتاجون والبيت الأبيض أو مقر الكونجرس وأعلى بناية في لوس أنجلس (برج البنك الأمريكي) وبرج سيرز Sears[2]

(١) عبد الحكيم علي هاشم مراد مواليد ١٩٦٨ يعتقد أنه اشترك بمؤامرة بوجينكا وكان واجبه فيها قيادة طائرة وصدمها بمقر المخابرات المركزية الأمريكية في فرجينيا. قبضت عليه الشرطة الفليبينية وأرسلته إلى الولايات المتحدة في ١٢ نيسان ١٩٩٥ حكم عليه بالسجن مدى الحياة في ١٦ مايس ١٩٩٨. وحاليا موجود في سجن بولاية كولورادو. يجب ألا يختلط اسمه بالأستاذ عبد الحكيم مراد المحاضر في جامعة كامبرج والمذيع في هيئة الإذاعة البريطانية والذي كان اسمه تيموثي وينتر.

(٢) برج سيرز وهو أطول ناطحة سحاب في الولايات المتحدة لغاية ١٩٧٣ ويقع في شيكاجو.

وبرجي[1] Space Needle وبنك أمريكا مع بنايات أخرى. ويقول التقرير أن خالدا أراد أن يختطف بنفسه الطائرة العاشرة ويقتل جميع الرجال على ظهرها ويهبط بها في الولايات المتحدة ثم يلقي خطابا سياسيا ويحرر جميع النساء والأطفال.

وفي أواخر ١٩٩٨ وبداية ١٩٩٩ استدعى بن لادن، خالد شيخ محمد إلى قندهار وأعطاه موافقته على المضي بالعملية. وأصبحت تسمى داخل تنظيم القاعدة "عملية الطائرات". وبالإضافة إلى خطة قيادة الطائرات وصدمها بالمباني، هناك خطة موازية أخرى تقضي بصدم طائرات أخرى في آسيا تتم بواسطة الأفراد الذين لم تمنحهم الولايات المتحدة تأشيرة دخول ولم يتلقوا التدريب على الطيران. لكن بن لادن ألغى هذا الجزء من الخطة في ربيع ٢٠٠٠ بسبب صعوبات تنسيق العملية. ويقول التقرير أن خالد كان يخطط لخطف ست طائرات أخرى لو استطاع أن يعثر على خاطفين آخرين. وأنه درس أيضا المرحلة الثانية لكنه وزملاءه قضوا معظم الوقت في دراسة الخطة الراهنة بحيث لم يتوفر عندهم الوقت للتخطيط للمرحلة الثانية.

عقدت عدة اجتماعات في ربيع ١٩٩٩ بين خالد شيخ محمد وأسامة بن لادن ومساعده محمد عاطف. اقترح بن لادن أربعة أفراد للعملية هم نواف الحازمي وخالد المحضار ووليد محمد صالح بن عطاش (خلاد) وأبو براء التعزي.

يعتبر بن لادن هو قائد الخطة ومسؤولا عن توفير الدعم المالي لها واختيار المشتركين. ونواف الحازمي وخالد المحضار مجاهدان محترفان سبق إن قاتلا في البوسنة. ولكونهما سعوديين فمن السهل عليهما الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. أما خلاد والتعزي فلكونهما يمنيين فلم يستطيعا الحصول على الفيزا لأمريكا بسهولة. لهذا اختيرا للجزء الآسيوي من الخطة. وعندما وصل محمد

---

(١) برج سبيس نيدل يقع في سياتل بواشنطن وبني في ١٩٦٢ وارتفاعه ١٨٤ مترا ويعتبر رمز سياتل وأطول هيكل غرب المسيسبي.

عطا وباقي أعضاء خلية هامبورج إلى أفغانستان، اختارهما بن لادن للعملية وعُيِّن عطا ليكون قائد المجموعة.

قيل أن عدة أعضاء آخرين من القاعدة حضروا الاجتماع المنعقد في ٥-٨ ك٢/ يناير ٢٠٠٠ في كوالالمبور في ماليزيا حيث خططوا لتفجير السفينة الأمريكية USS Cole والذي حدث في ١٢ ت١/ أكتوبر ٢٠٠٠، إضافة لهجمات ١١/ ٩. وحضر هذا الاجتماع الحنبلي ورمزي بن الشيبه[1] ونواف الحازمي وخالد المحضار وتوفيق ابن عطاش. جرى تصوير هؤلاء الرجال بعد خروجهم. ولم يستطع المحققون الأمريكيون تشخيصهم إلا في وقت لاحق. وقد تم تصوير الاجتماع فيديويا.

كان خالد شيخ محمد هو رئيس اللجنة العسكرية للقاعدة. وقدم دعما عملياتيا كبيرا مثل اختيار الأهداف وترتيب سفر الخاطفين. وقد قال لمذيع الجزيرة يسري

(١) رمزي بن الشيبه مواليد ١ مايس ١٩٧٢ بحضرموت في اليمن تعتبره السلطات الأمريكية الخاطف العشرين في هجمات ١١/ ٩ . انتقلت عائلته في سن مبكرة إلى صنعاء ثم توفي والده وأصبحت والدته وشقيقه الأكبر أحمد مسؤولين عنه. وفي ١٩٨٧ وبينما كان في الثانوية العامة، أخذ يعمل كاتبا في البنك الدولي في اليمن وظل بهذا العمل حتى ١٩٩٥. قدم على تأشيرة دخول للولايات المتحدة في ١٩٩٥ ورفض طلبه فاتجه إلى ألمانيا وطلب اللجوء السياسي لكن القاضي الألماني رفض طلبه أيضا. عاد إلى اليمن ثم رجع إلى ألمانيا وهناك التقى بمحمد عطا في أحد الجوامع وسكنا سوية في غرفة واحدة مدة سنتين. وفي ١٩٩٩ سافر إلى أفغانستان وتلقى التدريبات هناك. لعب دور المنسق بين عطا في الولايات المتحدة وبين خالد شيخ محمد في أفغانستان. له ضلع في تفجير السفينة الأمريكية USS Cole والمعبد اليهودي في تونس. أصدر مكتب التحقيقات الفيدرالي قائمة بخمسة أسماء لأكثر المطلوبين لديه وعلى رأسهم رمزي بن الشيبه. وفي ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢ تم إلقاء القبض عليه في كراتشي بالباكستان بعد معركة بالأسلحة الخفيفة وتم تسليمه إلى الولايات المتحدة حيث نقل إلى معتقل جوانتانانو. أنظر تقرير مكتب مدير المخابرات القومية الأمريكية Office of the Director of National Intelligence وعنوانه سيرة حياة المعتقلين منشور في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٩ على موقعهم
http://www.webcitation.org/query?urlhttp%3A%2F%2Fwww.odni.gov%2Fannouncements%2Fcontent%2FDetaineeBiographies.pdf+&date=2009-08-31

فودة: "لدينا الكثير من الأخوان الراغبين في نيل الشهادة. وعندما درسنا الأهداف المحتملة، برزت أمامنا المنشآت النووية كهدف رئيس".

وحسبما شهد به بعض قادة القاعدة المعتقلين، قرر قادتها اختيار مركز التجارة العالمي والبنتاجون ومقر الكونجرس الأمريكي وتم استبعاد البيت الأبيض لأنه من الصعب رؤيته من الجو. بينما يقول المعتقل أبو زبيده أن البيت الأبيض هو الهدف المختار للرحلة ٩٣. وقال زكريا موسوي في اعترافه الذي أنكره بعد الحكم عليه بالسجن مدى الحياة أنه أراد خطف طائرة خامسة مع ريتشارد كولفن ريد[1] ويمكن فيها استخدام جهاز تحديد المواقع GPS لتعيين موقع البيت الأبيض.

خلية هامبورج

دخل محمد عطا ورمزي بن الشيبه ومروان الشحي وزياد جراح في الصورة في ١٩٩٩ عندما وصلوا قندهار قادمين من ألمانيا. تأسست خلية هامبورج في بداية ١٩٩٨ عندما استلم خالد شيخ محمد موافقة قيادة القاعدة على خطته. وكان من أعضائها محمد عطا ومروان الشحي وزياد جراح ورمزي بن الشيبه وسعيد بحجي وزكريا الصابر وخمسة عشر آخرين. كان محمد عطا متدينا لكنه لم يكن متزمتا عندما جاء إلى ألمانيا في خريف ١٩٩٢ لدراسة التخطيط الحضري في الجامعة التقنية في هامبورج. وعندما كان هناك، ارتاد جامع القدس الذي يتبنى طابعا أصوليا عنيفا وعسكريا من الإسلام السني. وكان أحد أصدقائه هو الذي دعاه للقاء في الجامع في ١٩٩٣ ولا يعلم بالضبط متى بدأ يذهب هناك. عاش عطا معظم حياته مسلما شديد

(١) ويعرف باسم عبد الرحيم أو كما تسميه وسائل الأعلام الأمريكية (مفجر الحذاء) لأنه كان يخفي المتفجرات في حذائه. وهو مواليد ١٩٧٣ لندن من أب جامايكي وأم إنجليزية. قضى معظم سني طفولته في السجن وتحول للإسلام في معهد فيلثام لإصلاح الأحداث، قيل أن خالد شيخ محمد هو الذي دفعه للقيام بهذه المهمة، وقد أدين بالإرهاب ويقضي حاليا عقوبة السجن مدى الحياة في الولايات المتحدة لمحاولته تدمير طائرة تجارية باستخدام متفجرات بلاستيكية.

الالتزام. وذهب إلى مكة في ١٩٩٥ وعاد إلى ألمانيا أكثر تعصبا وتزمتا. وفي أواخر ١٩٩٧ أخبر زميله في الغرفة أنه سيذهب إلى مكة لكنه ذهب بدلا من ذلك إلى أفغانستان. فقد سبق إن قام بالحج إلى مكة قبل ١٨ شهرا فقط. ويقول يسري فودة مذيع الجزيرة أنه ذهب إلى الجامع بحدود نفس الفترة "ليس من أجل الصلاة بل لتوقيع وصيته لما بعد موته". ويظهر أنه قد جاء للتدريب في معسكرات القاعدة في أفغانستان في ١٩٩٩ و٢٠٠٠.

ورمزي بن الشيبه الذي يعرف باسم رمزي عمر هو مواطن يمني. جاء إلى ألمانيا في ١٩٩٥ باسم مستعار طالبا اللجوء مدعيا أنه لاجئ سياسي من السودان. رفض القاضي طلبه وعاد إلى منطقة حضرموت في اليمن. بعدها حصل على تأشيرة دخول إلى ألمانيا باسمه الحقيقي ووصلها في ١٩٩٧. وهناك التقى بمحمد عطا قائد خلية هامبورج في أحد الجوامع. عاش عطا وبن الشيبه لستين زميلين في غرفة واحدة بألمانيا. وفي أواخر ١٩٩٩ سافر بن الشيبه إلى قندهار بأفغانستان حيث تلقى تدريبات في معسكرات القاعدة والتقى ببعض الأشخاص المشتركين في التخطيط لهجمات ٩/١١. كانت الخطة الأصلية أن يكون المذكور أحد الطيارين الخاطفين سوية مع محمد عطا ومروان الشحي وزياد جراح. ومن هامبورج قدم أوراقه للاشتراك في دورة تدريبية على الطيران في الولايات المتحدة. وفي نفس الوقت قدم أوراقه للاشتراك بدورة عن لغة الطيران وتطوير لغة الطيارين الطلبة. وقدم طلبات للحصول على تأشيرة الدخول إلى الولايات المتحدة أربع مرات، وفي كل مرة يرفض طلبه. فقد قدم طلبات الحصول على التأشيرة في ١٧ مايس/ مايو ٢٠٠٠ وكرره في حزيران ثم في ١٩ أيلول/ سبتمبر و٢٥ ت١/ أكتوبر من نفس العام. وحسب تقرير لجنة ٩/١١ فأن الرفض جاء نتيجة قلق المسؤولين الأمريكيين من أن مواطني اليمن لن يعودوا لوطنهم بعد انتهاء مدة إقامتهم ويبحثون عن عمل في الولايات

المتحدة. كذلك تم رفض طلب صديقه زكريا الصابر للحصول على التأشيرة. وبعد فشله في الدخول إلى الولايات المتحدة، اتخذ دورا تنسيقيا في الخطة وأصبح واسطة اتصال بين عطا في الولايات المتحدة وخالد شيخ محمد في أفغانستان.

وصل مروان الشحي إلى بون بألمانيا في ١٩٩٦ في بعثة دراسية على نفقة جيش دولة الأمارات العربية المتحدة لدراسة الهندسة البحرية. وفي ١٩٩٧ التقى بعطا وفي ١٩٩٨ انتقل إلى هامبورج لينضم إلى عطا وبن الشيبه. ولأنه نجل رجل متعلم دينيا، كان الشحي شخصا شديد التدين وله إطلاع واسع بالإسلام وملتزما بطابع متشدد فيه. مع ذلك، كانت لديه صديقة، وشخصيته أكثر مرحا من عطا الذي كان في الغالب جديا وأكثر زهدا.

وصل زياد جراح من لبنان إلى ألمانيا في نيسان/ أبريل ١٩٩٦ حيث التحق بمعهد عال في مدينة جريفسفالد. وهناك التقى بصديقته أيسل سنجوين وهي طالبة طب. وفي أواخر ١٩٩٦، أخذ يتحول إلى أكثر راديكالية. وفي أيلول/ سبتمبر ١٩٩٧، تحول إلى الجامعة التقنية في هامبورج لدراسة هندسة الطائرات. وفي صيف تلك السنة عمل في معمل صباغة سيارات فولكس واجن في فولفسبيرج.

وتشمل خلية هامبورج أعضاء آخرين مثل سعيد بحجي الذي جاء إلى ألمانيا في ١٩٩٥. لقد ولد فيها لكنه انتقل إلى المغرب في سن التاسعة. وفي ١٩٩٦ انضم إلى برنامج الهندسة الكهربائية في الجامعة التقنية. كان يمضي أيامه في بيت الطلبة ويمضي إجازات نهاية الأسبوع في منزل خالته باربارا أرينس. وقد طردته الأخيرة بعد إن لاحظت تحوله إلى الراديكالية في معتقداته الدينية.

يعتقد المحققون أن عامل بريد يدعى محمد بن ناصر بلفاس هو أول من أخذ يجند الأعضاء سواء بعلمهم أو بغير علمهم وذلك بتحويلهم إلى الإسلام الراديكالي من خلال دروسه التعليمية عن الإسلام التي يعقدها في شقته. أصبح محمد عطا

ومروان الشحي أعضاء منتظمين فيها. ويقول المحققون أن هناك عامل ميكانيك سيارات يدعى محمد حيدر زمار هو الذي كان يعمل وسيطا مع أفغانستان.

وفي ١٩٩٨ كان عطا وبحجي وبن الشيبه يعيشون معا عندما وضعتهم الشرطة تحت المراقبة المحدودة. ولكن لم يسفر عنها شيئا وانتهت المراقبة. وفي أواخر ١٩٩٨ أمضى الشحي عدة أشهر يحاول اجتياز اختبارات اللغة في هامبورج ولكن دون جدوى.

عاد عطا إلى ألمانيا في ١٩٩٨. وترك بن الشيبه محل سكنه في الكرفانات (منازل خشبية متنقلة) في ربيع تلك السنة وأمضى وقته مع بلفاس. وخلال الصيف عمل عطا وبن الشيبه والشحي وبلفاس في مخزن حاسبات إلكترونية حيث يقومون بتعبئتها بصناديق لأغراض الشحن.

فشل الشحي باختبارات اللغة وعاد إلى بون. وبعدها بقليل وصل هامبورج رجل يدعى عاطف بن منصور. وكان قد قدم مع عطا على غرفة في الجامعة التقنية. وفي الشتاء انتقل عطا وبن الشيبة وبحجي إلى شقة في ماريان ستراب ٥٤ التي وصفها يسري فودة بأنها مطبخ هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١.

وعندما توفي شقيق منصور وهو عسكري في القوات الباكستانية خلال قتال جرى في ١٩٩٩، عاد منصور إلى الباكستان. وبعد ذلك بوقت قليل عاد الشحي إلى هامبورج.

كان عطا عادة ما يحضر دروس مجموعة بلفاس خلال ١٩٩٩. وقد أبلغه أحد أصدقائه هو فولكر هاروم برون بالابتعاد عن المتطرفين الإسلاميين لكن النصيحة راحت سدى[1].

(١) المصدر السابق, National Commission on Terrorist attacks upon the United States. Chapter 5.

اختيار خطة ٩/١١

في ١٩٩٩ قررت هذه المجموعة الذهاب إلى الشيشان للقتال. وبينما لا يزالون في ألمانيا، التقوا بخالد المصري الذي عرفهم بأبي مصعب في دوسبيرج بألمانيا. تبين فيما بعد أن أبا مصعب هو محمد ولد صلاحي وهو عميل مهم للقاعدة. نصحهم صلاحي بأنه من الصعب عليهم الوصول إلى الشيشان واقترح عليهم الذهاب أولا إلى أفغانستان للتدريب. وفي أواخر ١٩٩٩، التقت المجموعة بابن لادن وأعلنت بيعتها له. وقبلوا تنفيذ مهمة بالغة السرية وأبلغوا بالذهاب والانضمام لدورات للتدريب على الطيران. واختير عطا من قبل بن لادن لقيادة المجموعة. والتقاه الأخير عدة مرات أخرى لتلقي المزيد من التعليمات. تم اختيار الخاطفين بقرار فردي من بن لادن يساعده في ذلك محمد عاطف. لم يلتق الخاطفون بعد بخالد شيخ محمد. وكان فريق الخاطفين يضم حينها نواف الحازمي وخالد المحضار الذين اختارهم أسامة بن لادن في بداية ١٩٩٩.

حصل عطا والشحي وجراح على جوازات جديدة قبل تقديمهم على تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة، مدعين أن جوازاتهم القديمة قد فقدت. عاد عطا وجراح وابن الشيبه إلى هامبورج في بداية عام ٢٠٠٠ بينما عاد الشحي إلى دولة الأمارات العربية للحصول على جواز جديد وتأشيرة دخول للولايات المتحدة. وبعدما عادوا إلى ألمانيا، حاولوا التظاهر بأنهم أقل راديكالية وابتعد أحدهم عن الآخر وتوقفوا عن ارتياد جوامع المتطرفين وغيروا مظهرهم وسلوكهم وحاول جراح أن يتصرف بنفس الطريقة التي قابل بها أول مرة صديقته سنجوين[١].

(١) المصدر نفسه، الفصل الخامس.

هاني حنجور

وصل هاني حنجور إلى سان دييجو في ٨ ك١/ ديسمبر ٢٠٠٠ وانضم إلى الحازمي هناك. كان حنجور قد عاش في السابق في الولايات المتحدة وحضر دروسا للتدريب على الطيران في ١٩٩٦ و١٩٩٧. وفي ١٩٩٧ وبعد ثلاثة أشهر من التدريب في أريزونا حصل على رخصة في الطيران الفردي. وبعد تدريب أكثر حصل في نيسان/ أبريل على رخصة طيران تجاري صادرة من مؤسسة الطيران الفيدرالي. كان حنجور يطمح أن يكون طيارا تجاريا وقدم أوراقه في ١٩٩٩ إلى مدرسة للطيران المدني في جدة، لكن رفض طلبه.

وفي ربيع ٢٠٠٠ ذهب حنجور إلى أفغانستان. وفي معسكر تدريب الفاروق، عرف قادة القاعدة أنه طيار مدرب وطلبوا منه اللقاء بخالد شيخ محمد. وفي ٢٠ حزيران/ يونيو عاد إلى العربية السعودية وفي ٢٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠ حصل على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. وفي ٨ ك١/ ديسمبر ٢٠٠٠ وصل ثانية إلى سان دييجو. غادر بعدها الحازمي وحنجور إلى ميسا بأريزونا حيث اشترك الأخير بدورة تدريبية على الطيران في أريزونا لاستعادة معلوماته. كان يواجه مصاعب في التدريب على الطائرات متعددة المحركات بسبب قلة مهاراته اللغوية باللغة الإنجليزية. أجرى بعض التدريبات على نموذج لطائرات بوينج ٧٣٧ في الأكاديمية الأمريكية للطيران الدولي لكنه واجه صعوبات أيضا. ورغم ذلك، فأنه أكمل التدريب الأولي في نهاية آذار/ مارس ٢٠٠١. وفي تلك المرحلة، غادرا أريزونا وتوجها شرقا. وفي ٤ نيسان/ أبريل، وصلا إلى مدينة فولز تشيرتش بولاية فرجينيا.

الوصول إلى الولايات المتحدة

وصل الحازمي والمحضار إلى لوس أنجلس في ١٥ ك٢/ يناير ٢٠٠٠ بعد إن سافرا إلى ماليزيا لحضور أحد اللقاءات. وفي ربيع ٢٠٠٠ تلقى الاثنان دروسا في

الطيران في سان دييجو بكاليفورنيا، لكنهما لم يك نا يجيدان الإنجليزية بشكل جيد لهذا لم يتعلما الكثير من دروس الطيران وفي الآخر كان دورهما عضليا في الاختطاف. وفي ١٨ ك٢/ يناير قدم مروان الشحي طلبا للحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة عندما كان في الأمارات العربية. كان أول عضو في خلية هامبورج يتقدم بطلب التأشيرة. وفي آذار/ مارس، أخذ محمد عطا يراسل ٣٠ مدرسة طيران في الولايات المتحدة.

وفي أواخر حزيران/ يونيو، وصل محمد عطا ومروان الشحي وزياد جراح إلى الولايات المتحدة. اختار بن لادن هؤلاء الرجال للعملية لكونهم متعلمين ويجيدون الإنجليزية ولديهم خبرة في العيش مع الغرب. ثم اختير مجندون آخرون يتمتعون بمهارات خاصة ومن بينهم هاني حنجور الذي لديه رخصة قيادة الطائرات مسبقا.

وصل حنجور إلى سان دييجو في ٨ ك١/ ديسمبر ٢٠٠٠ لينضم إلى الحازمي. بعدها غادرا إلى أريزونا حيث تلقى حنجور تدريبا لاستعادة معلوماته. وصل مروان الشحي في نهاية مايس/ مايو ٢٠٠٠ بينما وصل عطا في ٣ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠ ووصل جراح في ٢٧ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠. قدم بن الشيبه عدة مرات للحصول على فيزا إلى الولايات المتحدة لكن طلبه رفض لكونه يمنيا ويحتمل أن لا يعود لوطنه ويبقى مهاجرا غير شرعي في الولايات المتحدة. وبقي بن الشيبه في هامبورج للتنسيق بين عطا وخالد شيخ محمد. وقرر دعم الخلية بإرسال المال إليهم. ودخل أعضاء خلية هامبورج الثلاثة بدورة تدريبية على الطيران في جنوب فلوريدا. وفي ربيع ٢٠٠١ بدأ الخاطفون الذين سيعتمد على قوتهم العضلية في الخطف بالوصول إلى الولايات المتحدة. وفي تموز/ يوليو ٢٠٠١ التقى عطا بابن الشيبه في إسبانيا حيث درسا تفاصيل الخطة بما فيها اختيار الهدف النهائي. كذلك أوصل له رغبة بن لادن بتنفيذ هذه الهجمات بأقرب وقت ممكن.

أجرى خالد شيخ محمد عدة رحلات بين إندونيسيا والفيليبين في جنوب شرق آسيا. وترك جراح إلى حد ما دوره في العملية ويحتمل أن يكون قد تم استبداله بزكريا موسوي.

كان هناك رجل يدعى عمر البيومي متواجد في سان دييجو بكاليفورنيا منذ ١٩٩٥. ولديه أسرة هناك ويتلقى معاشا شهريا من رب عمله السابق وهو شركة طيران في العربية السعودية. كان يُرى باستمرار وهو يصور بعض الأماكن. ويعمل غالبا في مجال توفير السكن للمهاجرين الذين يرغبون بذلك. وفي ٢٠٠٠، أسكن نواف الحازمي وخالد المحضار بإحدى الشقق. ويقول الحازمي أن البيومي قد التقاهم في مطعم بلوس أنجلس. وعرض عليهم إيصالهم إلى سان دييجو بعد إن سمعهم يتحدثون العربية. وقد وقع الحازمي عقد إيجار لمدة ستة أشهر وقال له أنه جاء ليتعلم الإنجليزية في الولايات المتحدة. وكان غالبا ما يتصفح الإنترنت داخل مكتبة جامعة سان دييجو.

دفع الرجلان إيجار شهرين لكنهما اشتكيا من أن مبلغ الإيجار مرتفع جدا. وخلال الربيع، أخبر الحازمي أحد أصدقائه أن شخصا ما سيحول له مبلغ ٥٠٠٠ دولار وأن هذا المال سيأتي من العربية السعودية. وقال الحازمي لصديقه أنه ليس لديه حسابا مصرفيا. وسمح له هذا الصديق باستخدام حسابه واكتشف فيها بعد أن هذا المال قد حول من شخص يدعى علي وأنه لم يأت من الولايات المتحدة. كان الرجلان يريدان تلقي دروس بالطيران وهذا هو سبب تلقيهم هذا المبلغ. أخذهم أحد أصدقائهم إلى مطار مونتجمري ورتب لهما موضوع هذه الدروس. أخذا درسا واحدا ولم يعودا. يقول معلمهما فريدون سوربي: "في أول يوم وصلا، قالا أنهما يريدان أن يتعلما الطيران بطائرات بوينج. قلنا لهما عليكما أن تبدءا بشيء أقل سرعة، فلا يمكنكما القفز مباشرة إلى البوينج".

كانت لدى الحازمي تذاكر لدخول حديقة حيوان سان دييجو وعالم البحار. وكان الاثنان يترددان على ناد يدعى Cheetah بالقرب من المركز الإسلامي، وغالبا ما يذهبا إلى لاس فيجاس بسيارتهما نوع تويوتا سيدان.

التدريب على الطيران:

وفي آذار/ مارس ٢٠٠٠، اتصل محمد عطا بواسطة البريد الألكتروني بأكاديمية ليكلاند في فلوريدا يستفسر عن تدريبات الطيران قائلا: "سادتي الأعزاء، نحن مجموعة صغيرة من الشباب من مختلف الدول العربية، ونعيش حاليا في ألمانيا لأغراض الدراسة. ونود التدريب على وظيفة طيارين محترفين. ليست لدينا أية معلومات في هذا المجال لكننا مستعدون للخضوع لبرنامج تدريبي مكثف". وأرسل ٥٠-٦٠ إيميل مماثل إلى مدارس التدريب على الطيران في الولايات المتحدة.

وفي ١٨ مايس/ مايو ٢٠٠٠، قدم عطا طلب تأشيرة دخول للولايات المتحدة وحصل عليها. ثم سافر إلى براغ قبل أن يتجه إلى الولايات المتحدة. وصل مع مروان الشحي إلى مدينة فينيس في فلوريدا وزارا مدرسة هوفمان للطيران لمعرفة المكان. قالا: "أنهما جاءا من مدرسة للطيران في نفس المنطقة لكنهما يبحثان عن واحدة أخرى". وفي ك١/ ديسمبر تركا مدرسة هوفمان وفي ٢١ من الشهر استلما رخصة الطيران.

الخاطفون العضليون

خلال صيف وخريف ٢٠٠٠، بدأ بن لادن وقادة القاعدة الكبار اختيار الخاطفين الذين سيعتمد على قوتهم العضلية في الخطف. تم اختيار ١٣ آخرين بالإضافة إلى الحازمي والمحضار. وجميعهم من العربية السعودية باستثناء فايز بني حمد الذي كان من الأمارات العربية. وجميعهم بين ٢٠-٢٨ عاما وعاطلين عن

العمل ولا يمتلكون شهادات أعلى من الثانوية العامة وغير متزوجين. وضمت مجموعة الخاطفين بالقوة العضلية سالم الحازمي وهو الشقيق الأصغر لنواف الحازمي. فقد جاءا إلى أفغانستان للتدريب من أجل القتال في الشيشان. وفي صيف وخريف ٢٠٠٠، تم ترشيحهم لعملية ٩/١١ وجئ بهما أمام أسامة بن لادن وعاطف. وقد اختار الأخير بنفسه ١٣ من المرشحين. غادرت المجموعة أفغانستان مؤقتا للحصول على تأشيرات الدخول لأمريكا ثم عادت في أواخر ٢٠٠٠ وبداية ٢٠٠١ لتلقي مزيد من التدريب. وفي أواخر نيسان ٢٠٠١، بدأت المجموعة بالوصول إلى الولايات المتحدة.

تنفيذ العمل:

غادر المحضار الولايات المتحدة في حزيران/ يونيو ٢٠٠٠. حول رمزي بن الشيبه مبلغ ١١٥ ألف دولار إلى حساب في مصرف سنترست **Suntrust** بعد وصول عطا والشحي إلى فلوريدا بفترة قصيرة. بدأ الأخيران تلقي دروس عن الطيران في مدرسة هوفمان الدولية للطيران في مدينة فينيس بفلوريدا. ادعى عطا أنه من الأسرة الحاكمة السعودية وأن الشحي من عناصر حمايته الشخصية. استلم الرجلان أموالا لتمويل العملية من عبد العزيز علي ومحمد يوسف محمد القصيدي الذي يعتقد أنه شقيق الشحي.

في نفس الوقت وصل زياد جراح إلى الولايات المتحدة في أواخر حزيران/ يونيو ٢٠٠٠. وقد غادر البلاد خمس مرات خلال الأشهر الـ ١٣-التالية. عمل الحازمي عاملا في محطة تكساكو لغسيل السيارات التي يملكها عدد من الفلسطينيين. وكان غالبا ما يتذمر مما يشعر به من وجود تمييز ضد المسلمين. وتقول أسرته أنه لم يخبر أصدقاءه مطلقا بأنه كان يقاتل في الشيشان بعد مغادرته العربية السعودية قبل ثلاث سنوات. وبالنسبة إلى سعيد بحجي فقد أخبر رب عمله وأسرته أنه سيترك

العمل وسيذهب للعمل كطبيب مقيم في الباكستان. وتقول خالته أن الشكوك كانت تساورها لذلك ذهبت إلى الشرطة وطلبت منهم فعل شيء، لكنهم لم يتخذوا أي إجراء.

كان رجال عملية ١١/٩ في حركة دائبة وصرفوا آلاف الدولارات على بطاقات الخطوط الجوية وقطعوا آلاف الأميال بسيارات الأجرة. وكانوا غالبا ما ينزلون في غرف مستأجرة. وعادة ما يذهبون إلى مدن فيها مخزن أو أكثر من مخازن مكاتب البريد. فيستأجرون صناديق بريد ويستخدمونها كعناوين دائمة لهم لاستلام رخص قيادة السيارات وخطابات القبول في مدارس الطيران.

وفي ٢٠ ت١/ أكتوبر ٢٠٠٠ وصل إلى ضواحي واشنطن دي سي المعلم الروحي لعطا، محمد بلفاس وطالب هندسة معمارية إندونيسي كان بلفاس يعرفه منذ سنوات هو أجوس بوديمان. وقال أنه يريد الانتقال إلى الولايات المتحدة وأن عائلته في شمال فرجينيا. ويمتلك بلفاس أيضا إجازة قيادة سيارات صادرة من فرجينيا. وأثناء وجوده في الولايات المتحدة كان يرافق بوديمان خلال عمل الأخير كسائق لتوصيل طلبات أحد المطاعم للمنازل.

وعندما عرض بلفاس على بوديمان أن يساعد الأخير في عمله لو استطاع أن يستخرج له رخصة قيادة، أجاب بوديمان أنه لا يحتاج لرخصة قيادة أخرى. قال بلفاس أنه يريد واحدة أخرى للذكرى. وفي ٤ ت٢/ نوفمبر، ذهبا إلى دائرة العجلات في مقاطعة أرلنجتون بفرجينيا. وأقسما أن بلفاس يعيش في مقاطعة أرلنجتون، وهكذا حصل على هوية تعريف شخصية صادرة من فرجينيا. وبعد يومين حصل على رخصة قيادة عجلات باستخدام هوية التعريف الشخصية. وبعد أسبوع عاد بلفاس إلى ألمانيا.

وفي ت١/ أكتوبر أيضا، قيل أن زكريا موسوي قد استلم ٣٥٠٠٠ دولارا ومستندات سفر من يزيد صفاة من جماعة الحنبلي أثناء وجوده في ماليزيا. وقد زوده صفاة بالمال والمستندات بناءا على أوامر الحنبلي.

وفي ك١/ ديسمبر وصل رجل يدعوه الحازمي باسم "هاني" إلى سان دييجو. والحقيقة أن هذا هو هاني حنجور الذي أمضى معظم السنوات الثلاث في أواخر التسعينات في أريزونا يتدرب على الطيران. وكل تقرير عنه يقول أنه طالب سيئ لكنه حصل على الرخصة وعاد إلى العربية السعودية. فقد ترك هو والحازمي سان دييجو وبدءا التدريب على الطيران في أريزونا.

وفي ٢٩ ك١/ ديسمبر مارس عطا والشحي الطيران على نموذج مماثل لطائرة بوينج ٧٢٧. كان هذا النموذج في مدرسة سيم سنتر بفلوريدا. ويقول معلمهما هنري جورج أنهما أخبراه أنهما يريدان أن يكونا طيارين تجاريين في بلدهما. وهو لا يعتقد أنهما يمتلكان المهارات الحقيقية ليكونا طيارين. وعلق قائلا: "كل ما كانا يفعلانه هو إعداد نفسيهما للمهمة". وخلال الساعات الثلاث من التدريب، كانا يقومان بالكثير من الاستدارات والمناورات. ورغم أنهما يستطيعان الإقلاع والهبوط بسلام لكن هذا النموذج هو "شكل مصغر جدا للطائرة".

وبعد ذلك بفترة قصيرة، غادر عطا إلى ألمانيا، ثم سافر إلى إسبانيا قبل أن يعود إلى الولايات المتحدة. دخل زكريا موسوي الولايات المتحدة في شباط/ فبراير ٢٠٠١. حول له رمزي بن الشيبه الذي كان في ألمانيا مبلغ ١٤٠٠٠ دولار، كما حول الأخير مالا إلى مروان الشحي والى الخاطف اللاحق فايز بني حمد.

عاد المحضار إلى الولايات المتحدة في ٤ تموز/ يوليو ٢٠٠١. وفي هذا الوقت وصل ١٢ رجلا سعوديا وآخر إماراتي إلى الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

لا يعرف بدقة كيف تم تجنيدهم. وقد اختير الكثير من السعوديين لهذه المهمة لأنه من السهل على المواطنين السعوديين الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة.

وفي ٨ تموز/ يوليو ٢٠٠١، سافر عطا ثانية إلى إسبانيا منطلقا من ميامي إلى مدريد. وهذه هي المرة الثانية التي يصل فيها اسبانيا منذ مجيئه أول مرة إلى الولايات المتحدة. كذلك خرج الشحي مرتين من الولايات المتحدة وعاد إليها. استأجر عطا سيارة نوع هيونداي فضية اللون وسار ثمان ساعات إلى تاراجونا. كان رمزي بن الشيبه موجودا أيضا حينها في إسبانيا مقيما في فندق مونيكا بكامبرلز. مكث عطا بفندق في تاراجونا التي تبعد ١٥ دقيقة عن كامبرلز. أمضى عطا ١١ يوما في إسبانيا. وفي اليوم التالي خرج بن الشيبه دون إفطار واختفى سوية مع عطا. لا يعرف بالضبط لماذا جاءا إلى إسبانيا. ربما قد جاءا للقاء شخص ثالث. وقيلت عدة فرضيات عنه منها أنه قائد العملية أو مبعوث ينقل إليهما آخر التعليمات بشأن الخطة. وربما يتعلق الاجتماع بزكريا موسوي وهو فرنسي من أصل مغربي أمضى وقتا في أفغانستان والشيشان ويفترض أنه في طريقه إلى الولايات المتحدة لملء الفراغ الذي سببه رفض منح بن الشيبه التأشيرة المطلوبة. ولم يحسم قرار ضمه إلى الخطة لأن قيادة المجموعة تشك في كفاءته. ويعتقد أن الاجتماع بين عطا وبن الشيبه قد عقد في وكر سري. وفي ٢٠ تموز/ يوليو عاد بن الشيبه إلى هامبورج. وفي ٢٩ تموز/ يوليو أجرى زكريا موسوي عدة مكالمات مع هاتف في دسلدورف. وفي ٣٠ و٣١ تموز/ يوليو استلم ابن الشيبه في هامبورج ١٥ ألف دولار من أحد الأشخاص في الأمارات العربية المتحدة. وفي ١ و٣ آب/ أغسطس حول ١٤ ألف دولار إلى موسوي.

وبعد عودته مباشرة إلى الولايات المتحدة، عقد اجتماعا في لاس فيجاس. ومرة أخرى لا يعرف لماذا عقد هذا الاجتماع. كان الحازمي وحنجور يعيشان في شقة في

باترسن بنيوجيرسي بالقرب من المكتب الذي اشترى منه عطا تذكرة الطيران لرحلته الثانية إلى إسبانيا.

وفي ١ آب/ أغسطس ترك هاني حنجور شقة باترسون.

وفي ٢ آب/ أغسطس ٢٠٠١، راجع سالم الحازمي وعبد العزيز العمري وماجد موقد واثنان أو أربعة آخرون من الخاطفين مقر مقاطعة أرلنجتون للحصول على البطاقات الشخصية وإجازات السوق بنفس الطريقة التي حصل بها بلفاس على هذه المستندات. وقد دفعوا لأشخاص معينين ليوقعوا على أوراقهم. واستخدموا هذه البطاقات للحصول على تذاكر طيران بطريقة أسهل وأسرع.

الأستعدادات النهائية:

يشير تقرير لجنة التحقيق في أحداث ٩/١١ أن أسامة بن لادن أصر على تنفيذ خطة هجمات ٩/١١ رغم أن بعض أصدقائه المقربين نصحوه بإلغاء الخطة. كان يتصور أنه بعد الهجمات سيزداد تجنيد الأشخاص للقاعدة والتبرع بالأموال لها.

وبعد استلام موسوي المال بأسبوع، ذهب إلى مينيسوتا قادما من أوكلاهوما. ودفع في ١٠ آب/ أغسطس ٦٣٠٠ دولار نقدا إلى الأكاديمية الأمريكية الدولية للطيران. قبض عليه في ١٧ آب/ أغسطس بتهمة خرق قوانين الهجرة. ويرى بعض المحققين أن هذا الأجراء هو الذي أطلق شرارة التحرك نحو تنفيذ الهجمات.

وقبل حوالي ثلاثة أسابيع من التنفيذ، تم تحديد الأهداف للمجاميع الأربع. وأعطوا مقر الكونجرس الأمريكي اسم "كلية القانون" ووزارة الدفاع اسم "كلية الفنون الجميلة"، وأعطى عطا اسم "كلية التخطيط المدني" لمركز التجارة العالمي.

أرسل أحد المشتركين في العملية ويدعى أبو عبد الرحمن "رسالة حب" بواسطة غرف الدردشة على الإنترنت إلى صديقته الألمانية التي كانت هي في الواقع رمزي بن الشيبة. تقول الرسالة:

"سيبدأ الفصل الأول خلال ثلاثة أسابيع. مدرستان ثانويتان وجامعتان.... من المؤكد أن هذا الصيف سيكون ساخنا... ١٩ شهادة للتعليم الخاص وأربعة امتحانات (إشارة إلى الخاطفين الـ١٩ والطائرات الأربع). تحياتي إلى الأستاذ. مع السلامة".

وخلال الفترة من ٢٥-٢٨ آب/ أغسطس، اشترى الخاطفون تذاكر الطائرات. وبعضهم اشتراها عبر الإنترنت من موقع Travelocity وبعضهم اشتراها بنفسه داخل المطار.

ودفع خاطفا الرحلة ١٧٥، ٤٥٠٠ دولار لكل منهما. والثلاثة الآخرون على نفس الرحلة دفعوا ١٦٠٠ و١٧٦٠ دولارا للتذكرة. حجز عطا المقعد D٨ وجلس وليد ووائل الشهري على المقعدين B٢ و A٢ واستخدما نفس عنوان صندوق البريد في هوليوود لشراء التذاكر. ودفع سطام السقامي ثمن التذكرة نقدا وجلس على المقعد B١٠ ويفترض أيضا أن يكون عبد العزيز العمري على نفس الرحلة.

وفي ٢٨ آب/ أغسطس اشترى محمد عطا تذكرته ببطاقة الائتمان التي لديه من موقع الخطوط الجوية الأمريكية الألكتروني مستخدما العنوان على هوليوود - فلوريدا وكارول سبرينجز - فلوريدا.

وحسبما يقول رمزي بن الشيبه أنه في يوم ٢٩ آب/ أغسطس أبلغه محمد عطا بعد القبض على موسوي أول الصباح رسالة تلفونية مشفرة تقول: "لدي صديق أزعجني بهذا اللغز أرجو أن تساعدني في حله وهو: عصاتان ثم خط قصير ثم كعكة وفيها عصاة إلى الأسفل. ما هذه؟".

أجابه رمزي بن الشيبه: "أتوقظني من أجل أن تخبرني هذا اللغز؟". كان عطا يعني أن الهجمـات ستحصل يوم ١١ أيلول/ سبتمبر. لقد اختار موعد تنفيذ الهجمات. لم يكن موعد تنفيذها محددا حتى جاءت هذه المكالمة الهاتفية. يقول تقرير لجنة التحقيق في الأحداث أن عطا اختار هذا التأريخ "لأن الكونجرس الأمريكي سيكون حينها محل انعقاد".

كان سالم الحازمي وماجد موقد وثلاثة آخرين يتدربون في قاعة ألعاب رياضية في ماريلاند خلال الفترة من ٢ – ٦ أيلول/ سبتمبر.

يقول المحققون أن عطا قد أرسل في ٤ أيلول/ سبتمبر طردا إلى مصطفى أحمد وهو المسؤول المالي المزعوم للقاعدة. وكان الأخير في الأمارات العربية حينها.

وفي ٤ أيلول/ سبتمبر غادر سعيد بحجي ألمانيا نحو كراتشي عن طريق إسطنبول. ووجدت الشرطة الألمانية رجلين آخرين كانا على الرحلة ومكثا مع بحجي في فندق السفارة في كراتشي. وكانت لديهما أوراقا شخصية مزورة. وقد اختفى زكريا الصابر في نفس هذا الوقت. ويعتقد المحققون أنه ربما يكون أحد هؤلاء الركاب الذين كانوا على ظهر طائرة بحجي.

وفي ٥ أيلول/ سبتمبر عاد رمزي بن الشيبه إلى إسبانيا قادما من دوسلدورف. يقول المحققون أنه مكث في منزله بمدريد ولم يستخدم تذكرة العودة بل توجه إلى أفغانستان.

وخلال هذا الوقت لم يتمكن مكتب التحقيقات الفيدرالي من الدخول على حاسبة موسوي الشخصية. وأبلغت وكالة المخابرات المركزية عملاءها بالبحث عن خالد المحضار ونواف الحازمي.

وفي ١٠ أيلول/ سبتمبر كتب زياد جراح رسالة وأرسلها إلى صديقته. كتب يقول: "لقد فعلت ما كان يجب أن أفعله، ويجب أن تكوني فخورة، فهذا شرف كبير، وسترين النتائج، وسيكون الجميع سعداء... استمري بعملك حتى نلتقي ثانية". أعيدت الرسالة إلى الولايات المتحدة لأن جراح قد ارتكب خطأ في كتابة العنوان.

أمضى محمد عطا يوم ١٠ أيلول/ سبتمبر مع عبد العزيز العمري في جنوب بورتلاند بولاية مين. واتصل هاتفيا بخالد شيخ محمد في ذلك اليوم. ويعتقد ضباط المخابرات أن محمد قد أعطاه إشارة جفرية للبدء بالعملية[١].

الدعم المالي :

يقول تقرير لجنة التحقيق بالأحداث "أن المتآمرين أنفقوا بين ٤٠٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف دولار للتخطيط ولتنفيذ الهجوم"، لكن "مصدر هذه الأموال غير معروف". ويستمر التقرير بالقول: "ولم نر أية دلائل عن تمويل أية حكومة أجنبية أو مسؤول حكومي لهذه العملية". يقول بعض الناس أنها قد مولت من بعض عناصر الحكومة الباكستانية خاصة من داخل أجهزة المخابرات إضافة إلى عناصر من الحكومة السعودية العاملة داخل الولايات المتحدة.

أخبر مصدر حكومي أمريكي رفيع محطة CNN في ت١/ أكتوبر ٢٠٠١ أن المحققين الأمريكيين يعتقدون أن أحمد عمر سعيد شيخ وهو عميل للمخابرات الباكستانية قد حول أكثر من ١٠٠ ألف دولار من الباكستان إلى محمد عطا قائد الخاطفين في هجمات ٩/١١. ويذكر:

---

(1) Gunaratna, Ronan, Inside Al Qaeda, Berkley Books, 2002, p. 29 and after.

"يقول المحققون أن عطا وزع هذا المال على الخاطفين في فلوريدا قبل أسابيع من حصول الهجمات التي دمرت مركز التجارة العالمي وأصابت البنتاجون وخلفت آلاف القتلى... ويعتبر سعيد (أو سيد) الشخصية الرئيسة في تمويل عملية القاعدة هذه، ويعتبر أسامة بن لادن العقل المدبر لها".

وتقول صحيفة بتسبيرج تريبيون: "هناك الكثير من أعضاء حكومة مشرف يرون أن نفوذ سعيد شيخ لا يتأتى من علاقته بالمخابرات الباكستانية بل من علاقاته داخل وكالة المخابرات المركزية".

وأكدت الـ CNN بعدها "أن السلطات تقول أن أحمد عمر سيد شيخ انتحل اسما مستعارا وحول مبلغ ١٠٠ ألف دولار إلى الخاطف محمد عطا والأخير قام بتوزيع المال داخل الولايات المتحدة".

وبعد اكتشاف أمر تحويل المال، استقال رئيس المخابرات الباكستانية الجنرال محمود أحمد من منصبه. وقالت مصادر إخبارية هندية أن مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI يحقق في أمر احتمال طلب الجنرال محمود أحمد من سعيد شيخ لإرسال مبلغ ١٠٠ ألف دولار إلى عطا، بينما ذكرت معظم المصادر الإعلامية الغربية أن سبب تركه للمخابرات الباكستانية هو علاقاته بطالبان.

كانت صحيفة وول ستريت جورنال هي واحدة من المؤسسات الإخبارية القليلة التي تابعت القصة، فتورد عن صحيفة التايمز الهندية ما يلي: "أن السلطات الأمريكية طلبت إقالة الجنرال محمود أحمد بعد إن تأكدت من حقيقة قيامه بالطلب من أحمد عمر شيخ بتحويل مبلغ ١٠٠ ألف دولار من الباكستان إلى الخاطف محمد عطا".

وقدمت صحيفة The Daily Excelsior أفضل تغطية للخبر قائلة: "لقد قاد فحص مكتب التحقيقات الفيدرالي للقرص الصلب من الهاتف المحمول لعمر شيخ إلى اكتشاف العلاقة بينه وبين رئيس المخابرات الباكستانية المقال الجنرال محمود أحمد. وبعد التعمق بالتحقيق، ظهرت معلومات حساسة تتعلق بتحويل مبلغ ١٠٠ ألف دولار إلى محمد عطا وهو أحد الخاطفين الذين قادوا طائرة البوينج لتضرب مركز التجارة العالمي. وقد وجد محققو مكتب التحقيقات الفيدرالي أن الجنرال محمود أحمد على علم تام بتحويل هذا المبلغ لعطا".

وأوردت صحيفة الواشنطن بوست تقول: "في صبيحة يوم ١١ أيلول/ سبتمبر تناول الصحفيان بورتر جوس وبوب جراهام الإفطار مع جنرال باكستاني يدعى محمود أحمد وهو رئيس المخابرات الباكستانية الذي سيقال قريبا". وفي ١٢ و١٣ أيلول/ سبتمبر التقى الجنرال محمود مع نائب وزير الخارجية الأمريكي ريتشارد أرميتاج وعضو الكونجرس جوزيف بايدن ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الأمريكي ووزير الخارجية كولن باول. تم التوصل إلى اتفاق بين محمود وأرميتاج حول تعاون الباكستان في الحرب ضد الإرهاب.

بعدها ترأس الجنرال محمود أحمد وفدا من ستة أشخاص واتجه إلى مدينة قندهار الأفغانية من أجل التحدث مع قادة طالبان في محاولة لإقناعهم بتسليم بن لادن.

وفي حزيران/ يونيو أبلغ عضو بارز في وكالة المخابرات المركزية، مراسل محطة BBC جريك بالاست: "أبلغت الوكالات الاستخبارية بعد انتخابات ٢٠٠٠ بالكف عن التحري عن أعضاء الأسرة المالكة السعودية وأسرة بن لادن".

وفي مايس/ مايو ٢٠٠٢، عقد ضابط مكتب التحقيقات الفيدرالي السابق روبرت رايت مؤتمرا صحفيا تخللته الدموع وهو يعتذر من الأسر التي فقدت أحباءها

يوم ١١/٩. وشرح كيف أن رؤساءه قد طلبوا منه قصدا التوقف عن التحقيق في تمويل القاعدة".

وأبلغ رايت فيما بعد مراسل محطة ABC براين روس: "إن أحداث ١١/ ٩ هي النتيجة المباشرة لعجز وحدة مكافحة الإرهاب الدولي في مكتب التحقيقات الفيدرالي"، مشيرا بشكل خاص إلى طلب المكتب منه التوقف عن التحري عن ياسين القاضي الذي وصفه المراسل بأنه رجل أعمال سعودي متنفذ له علاقات مالية واسعة في شيكاجو. وبعد شهر من أحداث ١١/ ٩ عرفت الحكومة الأمريكية رسميا شخصية ياسين القاضي بكونه أحد الممولين الرئيسين لأسامة بن لادن وأحد الإرهابيين الدوليين الكبار.

وفي مقابلة مع مجلة عالم الكمبيوتر، وصف رجل أعمال، علاقته بالقاضي قائلا: "قابلته عدة مرات وتحدثت معه عبر الهاتف. لم يتحدث معي مطلقا عن العنف. بل بالعكس كان يتحدث بفخر عن علاقته بالرئيس السابق جيمي كارتر ونائب الرئيس ديك تشيني".

كان ياسين القاضي يرأس مؤسسة الموفق التي أكدت السلطات الأمريكية أنها أحد أذرع مؤسسة الإرهاب التابعة لأبن لادن. ويعرف عن القاضي أيضا أنه مالك شركة Ptech وهي شركة سبق إن جهزت أنظمة كمبيوتر عالية التقنية إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي والكونجرس الأمريكي والبيت الأبيض والجيش الأمريكي وسلاح البحرية وسلاح الجوية ومنظمة حلف الناتو وإدارة الطيران الفيدرالية وجهاز الضرائب. ويقول أحد ضباط مكتب التحقيقات السابقين في مكافحة الإرهاب: "أن يترأس شخص مثل القاضي مؤسسة أو شركة تستطيع الوصول إلى معلومات مصنفة والى أجهزة كومبيوتر حكومية سرية، فهذا أمر بالغ الخطورة".

ومن أعضاء مجلس إدارة شركة Ptech يعقوب ميرزا "وهو مسؤول كبير في مؤسسات إسلامية راديكالية كبيرة ترى الحكومة الأمريكية أنها مرتبطة بالإرهاب". إضافة لذلك هناك حسين إبراهيم نائب رئيس Ptech وكبير علمائها، فقد كان هذا رئيس مجلس إدارة مجموعة BMI الاستشارية المصفاة وهي شركة يعتبرها مكتب التحقيقات واجهة استخدمها القاضي لغسيل الأموال لمنظمة حماس الفلسطينية.

ويقول عضو الكونجرس بوب جراهام رئيس لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ للفترة من حزيران/ يونيو ٢٠٠١ إلى حرب العراق: "هناك شبكة دعم لأثنين من مختطفي ١١/ ٩ داخل الولايات المتحدة تضم عناصر من الحكومة السعودية وأوقفت إدارة بوش ومكتب التحقيقات الفيدرالي تحقيقات الكونجرس بهذه العلاقة". كما أوردت ذلك صحيفة ميامي هيرالد.

"وأوضح جراهام في كتابه "شؤون مخابراتية" قائلا: "وردت تفاصيل الدعم المالي المقدم من العربية السعودية في ٢٧ صفحة من التقرير النهائي لتحقيق الكونجرس حيث تم حظر نشرها من قبل الإدارة رغم طلبات قادة الحزبين في لجنتي المخابرات".

مسؤولية بن لادن :

رأى المحققون في إعلان بن لادن الجهاد ضد الولايات المتحدة وفتواه مع آخرين بقتل المدنيين الأمريكيين في ١٩٩٧، دليلا على ارتكابه مثل هذه الأعمال. لكنه أنكر في البداية اشتراكه فيها. وفي ١٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ وفي رسالة له أذيعت من محطة الجزيرة القطرية نفى تورطه فيها وقال: "أؤكد هنا أني لم أرتكب مثل هذه الأعمال، ويبدو أنها ارتكبت من أفراد بدوافع فردية منهم". وأذيع ذلك في وسائل الأعلام الأمريكية والعالمية.

ولكن في ت٢/ نوفمبر ٢٠٠١ عثرت القوات الأمريكية على شريط فيديو في في منزل مدمر بمدينة جلال آباد الأفغانية تحدث فيه بن لادن إلى خالد الحربي[1]. وفيه اعترف بمعرفته المسبقة بالهجمات. وأذيع الشريط أيضا في محطات التلفزة الأمريكية والعالمية.

وفي ٢٧ ك١/ ديسمبر ٢٠٠١ قال في شريط فيديوي: "أنه يجب تشجيع الإرهاب ضد أمريكا لأنه رد على الظلم والغاية منه إرغام أمريكا على وقف دعمها لإسرائيل التي تقتل شعبنا".

وقبل الانتخابات الأمريكية في ٢٠٠٤ اعترف بن لادن علنا بمسؤولية القاعدة عن هذه الهجمات وعلاقته المباشرة بها. وقال أننا نفذنا هذه الهجمات "لأننا أحرار ونريد إعادة الحرية لأمتنا، وكما تهددون أمننا كذلك نهدد أمنكم". وقال "أنه أشرف بنفسه على عمل الخاطفين التسعة عشر وإنه اتفق مع القائد محمد عطا يرحمه الله على تنفيذ العملية كلها خلال ٢٠ دقيقة قبل أن يلحظ ذلك بوش وإدارته". وفي شريط فيديوي آخر بثته الجزيرة في ٢٠٠٦ ظهر بن لادن مع رمزي بن الشيبه واثنين من الخاطفين هما حمزة الغامدي ووائل الشهري أثناء استعدادهما لتنفيذ الهجمات.

(١) خالد بن عودة بن محمد الحربي أو أبو سليمان المكي مواليد ١٩٦٣ في المملكة العربية السعودية أحد أعضاء مجموعة بن لادن في الثمانينات ويقال أنه انضم إلى القاعدة في منتصف التسعينات. اشترك في قتال السوفيت في أفغانستان ثم تطوع للذهاب إلى البوسنة وفقد ساقيه هناك، وهو يستخدم حاليا كرسيا متحركا. ظهر في شريط الفيديو وهو يتحدث مع بن لادن عن عملية ١١/ ٩ في ٢٠٠١ وقبل التنفيذ. وبعد غزو أفغانستان اختفى في المنطقة الحدودية الإيرانية الأفغانية وفي ١٣ تموز / يوليو ٢٠٠٤سلم نفسه إلى السفارة السعودية في إيران بعد العفو الذي أعلنته الحكومة السعودية في ٢٣ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. أطلق سراحه في ١٢ ت٢/ نوفمبر ٢٠٠٤ وحاليا حر طليق في المملكة العربية السعودية .

وبالنسبة إلى خالد شيخ محمد، فقد اعترف في مقابلة له مع مذيع الجزيرة يسري فودة في ٢٠٠٢ باشتراكه مع رمزي بن الشيبه في "عملية الثلاثاء المقدسة". ويقول تقرير لجنة التحقيق بأحداث ٩/١١ أن عداء خالد الشيخ محمد، وهو مهندس هجمات ٩/١١، لم ينجم عن تجربته الحياتية كطالب فيها، بل نتيجة اعتراضه العنيف على السياسة الخارجية الأمريكية التي تحابي إسرائيل". ويشاركه نفس الدافع محمد عطا الذي وصفه رالف بودنشتاين زميله في المدرسة بالقول أنه كان مهووسا بأمر الحماية الأمريكية للسياسات الإسرائيلية في المنطقة. وقال عبد العزيز العمري أحد خاطفي الرحلة ١١ مع محمد عطا بوصيته الفيديوية: "إن عملي هو رسالة إلى من يسمعني ويراني وفي نفس الوقت إلى الكفار بأن عليكم مغادرة الجزيرة العربية مدحورين وأن تكفوا عن مد يد العون إلى اليهود الجبناء في فلسطين".

تم القبض على خالد شيخ محمد في ١ آذار/ مارس ٢٠٠٣ في روالبندي بالباكستان بواسطة ضباط الأمن الباكستانيين العاملين مع المخابرات الأمريكية ويقبع حاليا في سجن خليج جوانتانامو. وخلال جلسات الاستماع التي انتقدت كثيرا من المحامين ومجموعات حقوق الإنسان اعترف بمسؤوليته عن هذه الهجمات قائلا: "إني مسؤول عن هذه العملية من الألف إلى الياء".

أعضاء القاعدة الآخرين

في اقتباس لشهادة خالد شيخ محمد خلال محاكمة زكريا موسوي، قال أن هناك خمسة أشخاص يعرفون مسبقا تفاصيل العملية. وهم: أسامة بن لادن وخالد شيخ محمد ورمزي بن الشيبه وأبو تراب الأردني[1] ومحمد عاطف. ولم يحاكم أو يدان

(١) أبو تراب الأردني هو صهر أيمن الظواهري وهو أردني الجنسية وصفته الحكومة الأمريكية بأنه واحد من خمسة أشخاص كانوا على علم مسبق بتفاصيل هجمات ٩/١١ وهم أسامة بن لادن وخالد =

سوى الأشخاص غير الرئيسيين في هذه الهجمات، أما أسامة بن لادن فلم يتهم رسميا بالهجمات.

وفي ٢٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥ حكمت المحكمة الأسبانية العليا على أبو ذهبه بالسجن لـ٢٥ عاما لاشتراكه بأحداث ٩/١١ وكونه عضوا في منظمة القاعدة الإرهابية. في نفس الوقت حكم على ١٧ آخرين من تنظيم القاعدة بعقوبات مختلفة تتراوح بين ست إلى إحدى عشرة سنة. وفي ١٦ شباط/ فبراير خفضت محكمة الاستئناف الحكم على أبي ذهبـه إلى ١٢ عاما لأنها رأت أنه لا دليل على اشتراكه بالهجمات.

الدوافع

الأيديولوجية:

يعتبر غزو العراق للكويت في ١٩٩٠ نقطة التحول التي حوّلَ بها بن لادن انتباهه إلى الولايات المتحدة. فقد حث العربية السعودية بإلحاح على عدم السماح بدخول ٥٠٠ ألف جندي أمريكي إلى الأراضي السعودية، وطلب استخدام قوة المجاهدين لإخراج القوات العراقية من الكويت. وكان يعارض بشدة وجود القوات الأمريكية على الأراضي السعودية. ويستند في ذلك على أحاديث الرسول محمد (ﷺ): "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" و"لا يجتمع دينان في جزيرة العرب". وهذا هو السبب الذي دفع بن لادن لضرب أهداف عسكرية أمريكية في

= شيخ محمد ورمزي بن الشيبه ومحمد عاطف. وهو مدرب الخاطفين الذين يعتمد على قـوتهم العضـلية في الخطف. و دربهم في مجمع المطار على نزع أسـلحة حـرس الطـائرة السريـين وعـلى اللياقـة البدنيـة وبعض العبارات الأساسية بالانجليزية. ودربهم كذلك على تفجير الشاحنات والبنايـات واختطـاف القطارات وأمن المعلومات فيما لو تم إلقاء القبض عليهم. قتل في المراحل الأولى للغارات الأمريكيـة على أفغانستان .

العربية السعودية. وكان اليوم الذي اختاره لتفجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا والذي يصادف ٧ آب/ أغسطس ١٩٩٨، هو نفس اليوم الذي نزلت فيه القوات الأمريكية على الأراضي السعودية قبل ثمان سنوات.

ويرى بن لادن أيضا أن بيت آل سعود مرتدون، وتلك تهمة خطيرة يمكن أن تقود إلى إهدار الدم. كما إنه يرفض تحالف حكومات الكويت والأردن ومصر مع الولايات المتحدة.

وهو يرى أن الإسرائيليين كفرة غير مرحب بهم في أراضي المسلمين ويرفض السياسة الخارجية الأمريكية إزاء إسرائيل. ويقول أن مادلين أولبرايت وساندي بيرجر ووليم كوهين وكلهم يهود قد حرفوا سياسة واشنطن لتكون مؤيدة لإسرائيل[1].

الفتاوى

في ١٩٩٦ أصدر بن لادن فتوى يدعو فيها القوات الأمريكية إلى الرحيل عن أراضي العربية السعودية. وفي شباط/ فبراير ١٩٩٨ أصدر مع أيمن الظواهري فتوى أخرى يعلن فيها الحرب على الأمريكيين. فيقول: "علينا ألا نفرق بين المدني أو العسكري، فبالنسبة لنا كل الأمريكيين أهدافا". وأعرب عن شكواه من وجود الأمريكيين "الكفرة" على الأراضي المقدسة الإسلامية ومن معاناة الشعب العراقي بسبب العقوبات المفروضة في أعقاب حرب الخليج ومن الدعم الأمريكي لإسرائيل. وفي مقابلة له مع رحيم الله يوسف زاي في ك١/ ديسمبر ١٩٩٩ كرر رفضه للوجود العسكري الأمريكي في العربية السعودية وكون الأمريكيين قريبين جدا من مكة. وهذا استفزاز للعالم الإسلامي برمته. وكان يقول أيضا أن إسرائيل تقتل وتعاقب الشعب الفلسطيني بالسلاح والأموال الأمريكية.

(1) Rahimulah Yusufzai, Face to Face with Osama, The Guardian, 26 Sept 2001.

وبشكل عام تتفق الهجمات مع بيانات وتصريحات القاعدة كما جاءت في فتاوى القاعدة مثل فتوى ١٩٩٨ التي أصدرها أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وأحمد رفاعي طه ومير مرزا وفضل الرحمن. تبدأ هذه الفتوى بالآية الكريمة التي تقول ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[1] ويستنتج منها أنه من واجب كل مسلم "قتل الأمريكيين حيثما وجدوا". وحول هذا المضمون يقول في رسالته إلى أمريكا في ت١/ أكتوبر ٢٠٠٢: "أنتم أسوأ حضارة في تأريخ البشرية. فبدلا من أن تحكموا وفق شريعة الله، وضعتم قوانينكم كما تشتهون. لقد فصلتم الدين عن السياسة وناقضتم الطبيعة الطاهرة التي تؤكد على السلطة المطلقة لله وللخالق".

وقد أيد الكثير من الخبراء النتائج التي توصلت إليها لجنة التحقيق في أحداث ٩/١١ بشأن دوافع الانتحاريين. فيقول خبير مكافحة الإرهاب ريتشارد كلارك بكتابه "ضد كل الأعداء Against all enemies": وما عزز دوافع القاعدة أيضا، السياسة الخارجية الأمريكية مثل مواجهة السوفيت في أفغانستان ودخول الجيش الأمريكي إلى الخليج العربي وتقوية إسرائيل باعتبارها قاعدة جنوبية ضد السوفيت". ويركز جاسون بورك مراسل صحيفة الأوبزرفر على الجانب السياسي في دوافع القاعدة. فيقول: "إن بن لادن هو ناشط لديه فهم واضح لما يريده وكيف يحققه. فوسائله بعيدة عما هو معروف من الأنشطة السياسية... لكن أجندته سياسية دون شك".

ويركز عدد من المحللين على استراتيجية بن لادن الشاملة كدافع للهجمات. فعلى سبيل المثال يقول المراسل الصحفي بيتر بيرجن أن الهجمات جزء من خطة لدفع الولايات المتحدة لزيادة وجودها العسكري والثقافي في الشرق الأوسط وبذلك يرغمون المسلمين على مواجهة "شرور" حكومة غير إسلامية لتأسيس حكومات

(١) سورة النساء ٤ آية ٨٩.

إسلامية محافظة في المنطقة". ويقول ميتشيل سكوت دوران مراسل صحيفة الشؤون الخارجية **Foreign Affairs** أن بن لادن يحاول تصعيد رد فعل عميق في الشرق الأوسط ليؤكد أن المسلمين يمكن أن يردوا بأعنف ما يمكن على زيادة التدخل الأمريكي في منطقتهم".

نتائج الهجمات

الإصابات :

بلغ عدد القتلى في هذه الحوادث عدا الانتحاريين التسعة عشر ٢٩٧٤ منهم ٢٤٦ كانوا على متن هذه الطائرات حيث لم ينج أحد منهم، و٢٦٠٣ كانوا داخل أبراج التجارة أو على الأرض و١٢٥ من وزارة الدفاع البنتاجون. وهناك ٢٤ شخصا آخر مفقودين. جميع القتلى من المدنيين باستثناء ٥٥ عسكريا في وزارة الدفاع. وفقد ٩٠ دولة عددا من رعاياها في هذه الهجمات. وأضافت دائرة الطب العدلي في نيويورك شخصا على قائمة الوفيات توفي بعد خمسة شهور من الحادث بفعل استنشاقه للغبار أثناء انهيار البرجين وتضرر رئته من ذلك.

وقدر المعهد القومي للمقاييس والتكنولوجيا NIST عدد الذين كانوا في مجمع مركز التجارة العالمي وقت حصول الهجمات هو ١٧٤٠٠ بينما تشير تسجيلات الأبواب الدوارة إلى وجود ١٤١٥٤ شخصا في البرجين عند الساعة ٨:٤٥ صباحا. وقد أخلت الغالبية العظمى من الناس المتواجدين أسفل منطقة الارتطام هذه المباني بسلام إضافة إلى ١٨ شخصا في منطقة الارتطام في البرج الجنوبي. وقتل ١٣٦٦ شخصا كانوا داخل أو أعلى منطقة الإصابة في البرج الشمالي. ويقول تقرير لجنة التحقيق عن الحدث أن المئات من الأشخاص قد قتلوا فورا عند الاصطدام بينما حوصر الآخرون وماتوا بعد انهيار البرج. وقتل حوالي ٦٠٠ شخصا فورا أو بعد أن حوصروا في الأدوار العلوية من البرج الجنوبي.

وقفز ٢٠٠ شخصا من فوق البرجين المحترقين ليلاقوا حتفهم على أرضية الشوارع أو أسطح البنايات المجاورة التي تقع أسفلهم بمئات الأقدام. وشق بعض شاغلي الأدوار العلوية في البرجين طريقهم إلى سطحي البرجين بأمل أن تأتي طائرات الهيليكوبتر لإنقاذهم لكن أبواب السطح قد أقفلت. لم تكن هناك خطة لإنقاذ الضحايا بالهيليكوبتر، كما إن الدخان الكثيف والحرارة الشديدة تمنع الطائرات من إجراء عملية الإنقاذ.

ومات أيضا ٤١١ عاملا من عمال الإنقاذ والطوارئ الذين كانوا يحاولون إطفاء النيران وإنقاذ الناس. وفقدت دائرة مطافئ نيويورك ٣٤١ من عمال الإطفاء واثنين من رجال الإسعاف. وفقدت مديرية شرطة نيويورك ٢٣ من عناصرها. وفقدت مديرية شرطة البوابات ٣٧ من عناصرها وقتل أيضا ٨ من رجال الإسعاف من وحدات الطوارئ الأهلية EMS.

وخسر بنك كانتو فيتزجيرالد Cantor Fitzgerald الاستثماري الذي يقع في الطوابق من ١٠١-١٠٥ في أحد البرجين ٦٥٨ من موظفيه، وهي أكبر من خسارة أي رب عمل آخر. وخسرت شركة مارش Marsh التي تقع أسفل بنك كانتور فيتزجيرالد أي في الطوابق ٩٣-١٠١ (حيث موضع الارتطام) ٢٩٥ من موظفيها، وقتل ١٧٥ موظفا في شركة AON. وتأتي ولاية نيو جيرسي بالمرتبة الثانية من حيث الخسائر بعد نيويورك حيث تكبدت مدينة هوبوكن أكثر الخسائر.

وبعد أسابيع من الهجمات، ارتفع عدد القتلى إلى أكثر من ٦٠٠ شخصا. واستطاعت السلطات المعنية تحديد هوية ١٦٠٠ قتيلا من الضحايا في مركز التجارة العالمي. وجمعت دائرة الطب العدلي في نيويورك أكثر من ١٠٠٠٠ قطعة من العظام واللحم التي لا يعرف أصحابها ولا تعود لأي من الأفراد في قوائم الموتى. وعثر

العمال في ٢٠٠٦ على أجزاء من عظام بشرية أثناء رفع أنقاض البنك الهولندي المهدم[١].

الأضـرار

بالإضافة إلى تدمير البرجين ذوي الـ ١١٠ طوابق للبرج الواحد في مركز التجارة العالمي، دمرت مواقع أخرى في المركز أو أصيبت بأضرار فادحة مثل المباني رقم ٤ و٥ و٦ و٧ إضافة إلى مبنى ماريوت ومجمع المركز المالي وكنيسة نيكولاس للإغريق الأرثدوكس.

دمر الحريق وزارة الدفاع وانهار جزء منها. واعتبرت بناية البنك الهولندي الواقعة على الجهة الثانية من شارع الحرية مقابل المركز التجاري العالمي أنها غير صالحة للأشغال والسكن لكونها آيلة للسقوط وكذلك مبنى جامعة فيترمان Fiterman. وأصيبت مبان مجاورة أخرى مثل بناية فريزون Verizon بأضرار جسيمة، لكنه أعيد ترميمها. وأصيبت مبان المركز المالي العالمي ومباني ليبرتي بلازا وميلينيوم هيلتون بأضرار متوسطة. ودمرت أيضا معدات الاتصال في أعلى البرجين بضمنها هوائيات إرسال محطات إذاعية وتلفزيونية وخطي لاسلكي، لكن المحطات سرعان ما غيرت مواقع بثها واستأنفت البث.

جهد الإنقاذ :

نشرت مديرية إطفاء نيويورك ٢٠٠ وحدة (وهي نصف عدد وحداتها) في الموقع. وعزز جهدهم العديد من رجال الإطفاء والإسعاف الذين كانوا بوقت استراحة في منازلهم. وأرسلت مديرية شرطة نيويورك وحدات طوارئ وعناصر شرطة آخرين مع نشر وحدة الطيران الخاصة بها في موقع الحادث. لم تنسق هذه

(١) المصدر السابق ...National Commission on Terrorist Attacks .

القوات جهودها وانتهت إلى أن تقوم ببحث عشوائي عن المدنيين. وعندما تدهورت الأحوال، عبرت وحدة طيران شرطة نيويورك هذه المعلومات إلى قادة الشرطة الذين أصدروا الأوامر لعناصرهم بأخلاء البرجين. وتمكن معظمهم من الانسحاب بسلام منهما. ونتيجة لوجود مواقع قيادية منفصلة واتصالات لاسلكية مستقلة، لم تعبر هذه التحذيرات إلى قادة مديرية المطافئ. وبعد انهيار البرج الأول، أصدر قادة المطافئ أوامرهم بالأخلاء. مع ذلك ونتيجة صعوبات فنية وقصور الأجهزة الراديوية، لم يسمع الكثير من رجال الإطفاء أوامر الأخلاء. واستلمت مرسلات ٩-١-١ معلومات من المتصلين لكنها لم تمرر إلى القادة الميدانيين. فخلال ساعات من الهجوم بدأت أكبر عملية بحث وإنقاذ. وبعد أشهر من العمل اليومي على مدار الساعة، تم تنظيف موقع مركز التجارة العالمي في نهاية مايس/ مايو ٢٠٠٢.

الآثـــار:

وعلى الصعيد السياسي الداخلي، وصلت نسبة التأييد للرئيس بوش ٨٦٪ في أعقاب الهجمات. وفي ٢٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ تحدث الرئيس أمام الأمة والاجتماع المشترك للكونجرس الأمريكي بشأن أحداث ذلك اليوم وجهود الإنقاذ والإسعاف التي دامت ٩ أيام وعزمه على الرد على هذه الأحداث. وقد نال عمدة مدينة نيويورك رودي جولياني ثناء الأمة وشعب نيويورك للدور الكبير الذي لعبه في عمليات الإنقاذ والطوارئ. وأنشئت صناديق عديدة لمساعدة ضحايا هذه الهجمات وأسرهم.

كما أصدر الكونجرس قانون الأمن الداخلي لعام ٢٠٠٢ **Homeland Security Act** ووقعه الرئيس بوش وتأسست بموجبه وزارة الأمن الداخلي ويعتبر هذا القانون أكبر عملية إعادة هيكلة الحكومة الأمريكية في التأريخ المعاصر. كما أصدر

الكونجرس قانون الوطني الأمريكي USA Patriot Act مبينا أنه سيساعد في كشف ومقاضاة الإرهاب والجرائم الأخرى. وقد انتقدت جماعات الحريات المدنية هذا القانون قائلة أنه سيسمح بانتهاك خصوصية المواطن ويبعد الرقابة القضائية على نشاطات الجهات المسؤولة عن تطبيقه. واستغلت إدارة بوش أحداث ١١/ ٩ للقيام بعملية وكالة الأمن الوطني السرية التي تقضي بالتنصت على الهواتف والاطلاع على البريد الألكتروني المتداول بين الولايات المتحدة وأشخاص خارجها دون أذن قضائي.

وبسبب هذه الهجمات حصلت جرائم كراهية عديدة ضد العرب والمسلمين ومن يشبههم من المواطنين الآخرين. وتعرض السيخ أيضا لمثل هذه الاعتداءات لكونهم يرتدون عادة عمامات تشبه عمامات المسلمين في الولايات المتحدة. وهناك أخبار عن اعتداءات عديدة على الجوامع والمباني الدينية الأخرى بضمنها إحراق معبد هندوسي واعتداءات على مواطنين أبرياء كقتل المواطن بلبير سنج سودي بإطلاق النار عليه في ١٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١. وقد كان الرجل سيخيا ولكن المجرم اعتقد أنه مسلم(١).

كان لهذه الهجمات آثارا شديدة على الشعب الأمريكي. فقد أخذ العديد من عمال الإنقاذ وعناصر الشرطة من باقي الولايات إجازات من أجل السفر إلى نيويورك للمساعدة في عملية استخراج الجثث من ركام البرجين. كما شهدت عمليات التبرع بالدم نشاطا واسعا في أعقاب الهجمات. وأمرت جميع الطائرات المدنية داخل الولايات المتحدة وكندا وبعض البلدان الأخرى عدا طائرات الطوارئ بالهبوط فورا وتعطل عشرات الآلاف من الركاب في أنحاء العالم. وأغلقت إدارة

(1) Hate Crime reports up in wake of terrorist attcks, Atlanta, Georgia, CNN News. http://archives.cnn.com/2001/US/09/16/gen.hate.crimes/

الطيران الفيدرالية المجال الجوي الأمريكي أمام العديد من الرحلات الدولية مما حدا بها للتوجه إلى مطارات دول أخرى. وكانت كندا إحدى الدول الرئيسة المستقبلة لهذه الرحلات وأعلنت حالة الاستنفار للتعامل مع هذه الأعداد الكبيرة من الرحلات والركاب[1].

أما على الصعيد الخارجي، شجبت جميع حكومات العالم ومعظم وسائل الأعلام هذه الهجمات. وعرضت معظم الدول المساعدة للولايات المتحدة وأبدت تضامنها معها. واستنكر معظم قادة الدول العربية والإسلامية بمن فيهم قادة أفغانستان هذه الأعمال. وكان العراق هو الاستثناء من ذلك فقد أعلنت حكومته في بيان رسمي لها أن: "رعاة البقر الأمريكيين (الكاوبوي) يحصدون ثمار جرائمهم ضد الإنسانية"[2]. والاستثناء الآخر هو ابتهاج بعض الفلسطينيين بالحادث[3].

وأعلن مجلس الناتو[4] أن الهجوم على الولايات المتحدة هو هجوم على جميع دول الناتو وطبقوا المادة ٥ من ميثاق الحلف. وفعّل رئيس الوزراء الأسترالي جون هاوارد المادة ٤ من معاهدة أنزوس Anzus[5] مع الولايات المتحدة. وبعد الهجمات مباشرة أعلنت إدارة بوش الحرب على الإرهاب وهدفها جلب أسامة بن لادن والقاعدة إلى العدالة ومنع ظهور شبكات إرهابية أخرى. وأنه سيتم تنفيذ هذه

(1) Actions taken following 11/9 terrorist attacks, Transport Canada, 11 Dec 2001.

(2) Attacks draw mixed response in Middleast, CNN News, Nov. 10, 2001.
http://archives.cnn.com/2001/WORLD/europe/09/12/mideast.reaction/index.html

(٣) هبة صالح، هيئة الإذاعة البريطانية تقرير بعنوان Mixed response from Arab World, 11 سبتمبر ٢٠٠١ منشور على موقع الهيئة :
http://news.bbc.co.uk/2/hi/americas/1538861.stm

(٤) بيان مجلس الناتو في ١٥ سبتمبر ٢٠٠١ منشور على موقع المجلس:
http://www.nato.int/docu/pr/2001/p01-124e.htm

(٥) هي معاهدة أمنية بين الولايات المتحدة ونيوزيلنده واستراليا وقعت خلال الحرب العالمية الثانية.

الأهداف بكافة الوسائل بما فيها العقوبات الاقتصادية والعسكرية ضد الدول التي تأوي الإرهابيين وزيادة المراقبة الدولية والتعاون الاستخباري. وتعتبر ثاني أكبر عملية أمريكية عالمية ضد الإرهاب خارج الولايات المتحدة هي إسقاط حكم طالبان في أفغانستان على يد التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة. وقد حاول عشرات الآلاف من الأشخاص الفرار من أفغانستان في أعقاب الهجمات خشية رد الفعل الأمريكي. وكانت الباكستان تأوي العديد من اللاجئين الأفغان بالقرب من حدودها مع أفغانستان. وبعد حوالي شهر قادت الولايات المتحدة أكبر تحالف دولي للإطاحة بطالبان بسبب إيوائها لمنظمة القاعدة. ووقفت الحكومة الباكستانية إلى جانب الولايات المتحدة في الحرب ضد طالبان والقاعدة وفتحت عددا من مطاراتها وقواعدها العسكرية أمام الولايات المتحدة لشن الهجوم على نظام طالبان وقبضت على أكثر من ٦٠٠ من أعضاء القاعدة وسلمتهم إليها.

ولم تكن الولايات المتحدة وحدها التي زادت من استعدادها العسكري لمواجهة الإرهاب، بل حذت حذوها الفيليبين واندونيسيا وهما الدولتان اللتان تعانيان من صراعات داخلية سببها إرهاب المتشددين الإسلاميين. ونظر المسؤولون الأمريكيون إلى احتمال تورط صدام حسين في هذه الهجمات، فقاد هذا إلى غزو العراق في ٢٠٠٣ رغم عدم وجود دلائل مؤكدة على اشتراكه بها.

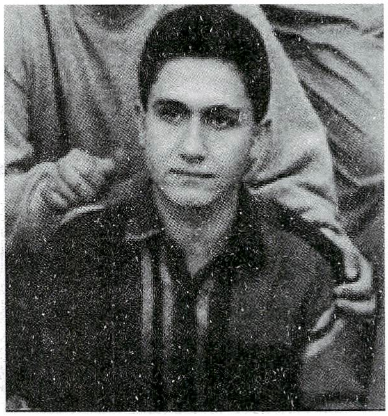
وأصدرت العديد من الدول كالمملكة المتحدة والهند وأستراليا وفرنسا وألمانيا وإندونيسيا والصين وكندا وروسيا والباكستان والأردن وموريشوس وأوغندا وزيمبابوي تشريعات لمكافحة الإرهاب وتجميد الحسابات المصرفية للأفراد والشركات التي يشك بعلاقتها بالقاعدة. وألقت العديد من المؤسسات الاستخبارية في عدد من البلدان القبض على مشتبه بكونهم إرهابيين. وقد أثارت هذه الأعمال في الولايات

المتحدة الكثير من الانتقادات من قبل جماعات حقوق الإنسان بكونها تمثل انتهاكا للحقوق المدنية للأفراد التي أقرها الدستور والقوانين المتعاقبة.

وأسست الولايات المتحدة مركزا للاعتقال في خليج جوانتانامو بكوبا لحجز ما أطلق عليهم اسم مقاتلي العدو غير الشرعيين. وانتقد البرلمان الأوربي ومنظمة العفو الدولية ومنظمة الولايات المتحدة شرعية هذه الاعتقالات(١).

نبذة عن الخاطفين(٢):

١ـ محمد عطا السيد:



صورة محمد عطا وهو في الجامعة

مواليد ١ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦ في كفر الشيخ - مصر لأب محام وأم متعلمة من عائلة ثرية. وهو الابن الوحيد للأسرة مع شقيقتين واحدة طبيبة والثانية أستاذة جامعية. نزح مع أسرته إلى حي عابدين بالقاهرة وهو في عمر العاشرة. في ١٩٨٥

(١) موقـــع :bio True Story

http://www.biography.com/profiles-of-9-11/about911.jsp

(٢) المصدر السابق The Final 9/11 Commission Report ,

http://www.gpoaccess.gov/911/pdf/fullreport.pdf

درس الهندسة المعمارية في جامعة القاهرة وتخرج فيها وكان من الأوائل. عمل في التخطيط الحضري بالقاهرة ودرس الإنجليزية في الجامعة الأمريكية ثم الألمانية في معهد Goethe. وفي ١٩٩٠ انتقلت أسرته إلى الدور ١١ بأحدي العمارات في الجيزة. وفي ١٩٩٢ سافر إلى ألمانيا لإكمال دراسته، وبقي فيها لغاية ١٩٩٩ حيث انضم للقاعدة وذهب إلى أفغانستان[1].

٢ـ سالم محمد سالم الحازمي:





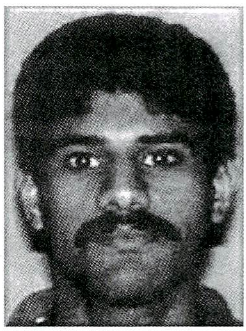
سالم الحازمي

مواليد ٢ شباط/ فبراير ١٩٨١ في مكة بالمملكة العربية السعودية لأب يعمل بقالا. اشترك مع شقيقه الأكبر نواف في تفجير البنتاجون. ويعرف خلال عمليات التحضير والاستعداد باسم بلال. تشير بعض التقارير أنه قاتل في أفغانستان مع شقيقه المذكور وتقول تقارير أخرى أنهما قاتلا في الشيشان. حصل على التأشيرة إلى الولايات المتحدة في نيسان/ أبريل ١٩٩٩ من خلال قنصلية جدة. ودخلها في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠٠١. وأقام مع سطام السقامي في تكساس ثم انتقل ليسكن في نيوجيرسي مع هاني حنجور. وقد سافر هو وأحمد الغامدي إلى بيروت في ت٢/

(1) Atta's Odyssey, Time, Sept 30, 3001,
http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,176917,00.html

نوفمبر ٢٠٠٠ برحلتين منفصلتين. حضر لقاء القاعدة في ٢٠٠٠ بكوالالمبور بماليزيا حيث تم إقرار تفاصيل هجمات ١١/ ٩.

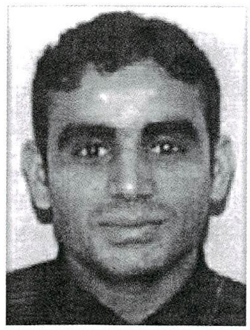
٣ـ نواف محمد سالم الحازمي:



نواف الحازمي

مواليد ٩ آب/ أغسطس ١٩٧٦ – ١١/ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ في مكة في المملكة العربية السعودية لأب يعمل بقالا. وفي ١٩٩٣ أي في سن ١٧ سنة ذهب إلى أفغانستان. وفي تقرير للـ CNN في أعقاب الهجمات قيل ان أحد معارفه الموثوقين قد ذكر لهم: "لقد أخبرني مرة أن أباه حاول قتله عندما كان طفلا. لكنه لم يخبرني السبب لكني رأيت أثر سكين على ذراعه". ويقول أن شقيقه يعمل ضابط شرطة في جيزان بالسعودية. وفي ١٩٩٥ ذهب إلى البوسنة للقتال بجانب المسلمين بعدها عاد إلى افغانستان وهناك قاتل إلى جانب طالبان ضد التحالف الشمالي وانضم للقاعدة ثم ذهب في ١٩٩٨ للقتال في الشيشان وعاد إلى السعودية في ١٩٩٩.

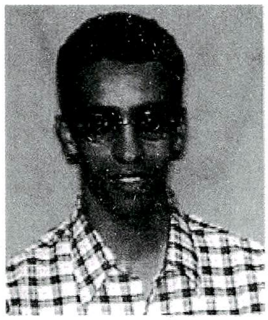
٤ - فايز راشد أحمد حسن القاضي بني حمد :



فايز بني حمد

مواليد أبو ظبي في دولة الأمارات العربية المتحدة. ويسمى أبو أحمد الإماراتي. اشترك في تفجير برج التجارة العالمي في نيويورك. في عام ٢٠٠٠ ترك أسرته في عسير بالمملكة العربية السعودية قائلا أنه يحاول أن يجد له عملا في منظمة الإغاثة الإسلامية الدولية. ولم يتصل بأسرته بعدها إلا مرة واحدة. يعتقد أنه سافر إلى الفيليبين خلال ت١/ أكتوبر من نفس العام. ولم يذكر في طلب التأشيرة للولايات المتحدة الغرض من زيارته ولا المحل المحتمل لأقامته. وقبل وصوله اليها فتح حسابا بالأمارات وضع فيه أشخاص غير معروفين مبلغ ٣٠ ألف دولار. وبعد وصوله فتح حسابا آخرا في فلوريدا. وفي ١٨ تموز/ يوليو عمل توكيلا لمصطفى الحوساوي للتصرف بحسابه المصرفي في بنك دبي.

٥ - أحمد الغامدي:

أحمد الغامدي

مواليد الباحة في المملكة العربية السعودية. اشترك في تفجيرات برجي التجارة العالميين. ترك الدراسة في ٢٠٠٠ للقتال في الشيشان وحصل على تأشيرة دخول للولايات المتحدة في ٣ أيلول/ سبتمبر من نفس العام. وأقام مع رفاقه الآخرين في مدينة **Falls Church** بولاية فرجينيا. سافر إلى بيروت في ت٢/ نوفمبر على أساس أنه من عناصر حزب الله البارزين، رغم أنه لا دلائل تشير لعلاقته بحزب الله. تقول أسرته أنه آخر مرة رأته فيها في ك١/ ديسمبر ٢٠٠٠.

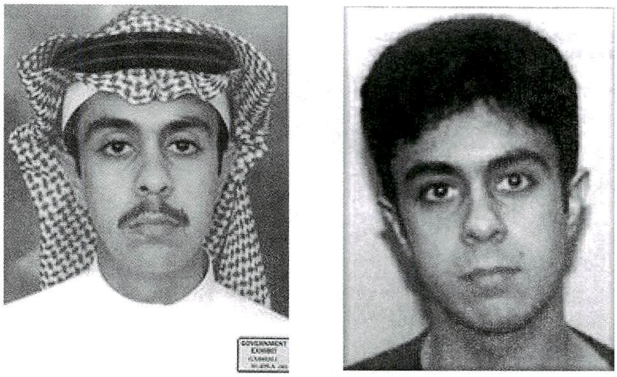
٦ـ حمزة الغامدي :



حمزة الغامدي

مواليد مدينة الباحة في المملكة العربية السعودية. اشترك بضرب برجي التجارة في نيويورك. يعرف عنه أنه أكثر الخاطفين تدينا. تقول بعض المصادر أنه غادر في ٢٠٠٠ للقتال في الشيشان ضد الروس. وتقول مصادر أخرى أنه غادر في ك٢/ يناير ٢٠٠١. اتصل بأسرته عدة مرات في منتصف ٢٠٠١ قائلا أنه في الشيشان.يعرف باسم جليبيب خلال عمليات الاستعداد والتحضير للعملية. سافر إلى الأمارات في أواخر ٢٠٠٠ حيث اشترى صكوك المسافرين **Traveler's Cheques** التي يعتقد أن مصطفى أحمد هو الذي دفع ثمنها. وصل إلى الولايات المتحدة في ٢٨ مايس/ مايو ٢٠٠١ مع مهند وعبد العزيز العمري. لا تعرف تفاصيل أخرى ذات قيمة عنه.

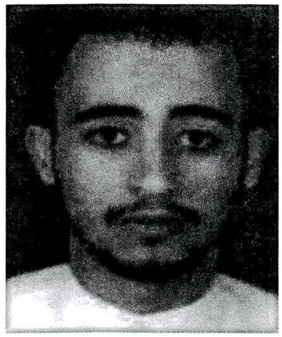
٧- سعيد الغامدي:



سعيد الغامدي

مواليد ٢١ ت٢/ نوفمبر ١٩٧٩ في مدينة الباحة السعودية. شارك في اختطاف الرحلة ٩٣ التي سقطت في منطقة شانكسفيل ببنسلفانيا. لم يحصل على شهادة جامعية. كان على معرفة بباقي الخاطفين منذ ١٩٩٩. أمضى وقتا من حياته في القصيم بالسعودية لإكمال دراسته الجامعية لكنه تركها وانقطعت علاقته بأسرته. وربما يكون قد اتصل بعالم الدين السعودي المتشدد سليمان العلوان كما فعل بعض الخاطفين. سافر إلى الشيشان للقتال ضد الروس. وفي هذا الوقت صرف المقاتلون الشيشان الكثير من المقاتلين الأجانب الذين انتهى بهم المطاف في معسكرات القاعدة في أفغانستان للتدريب وانتظار العودة ثانية إلى الشيشان. دخل سعيد معسكر الفاروق للتدريب والتقى هناك بأحمد النامي والأخوين وائل ووليد الشهري. وقد أقنعه توفيق بن عطاش بأن يكون انتحاريا وكان يعمل حينها حرسا في مطار قندهار مع وليد الشهري. وفي أواخر ٢٠٠٠ سافر إلى الأمارات واشترى صكوك المسافرين التي دفع ثمنها مصطفى أحمد الحوساوي ووصل إلى الولايات المتحدة في حزيران/ يونيو ٢٠٠١. أقام مع أحمد النامي في مدينة **Delray Beach** بفلوريدا.

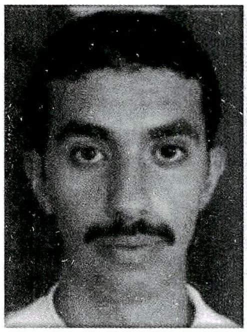
٨ـ هاني صالح حنجور:



هـاني حنجـور

مواليد ١٣ آب/ أغسطس ١٩٧٢ في الطائف بالمملكة العربية السعودية. ضرب وزارة الدفاع البنتاجون في ٩/١١. كان طيارا مدنيا وعاش في الولايات المتحدة مدة ١٠ سنوات. ويعتبر من أكثر الخاطفين تدينا والتزاما. وهو الرابع من بين سبعة أطفال لرجل أعمال سعودي يعمل في تجارة المواد الغذائية في الطائف. له شقيق يقيم في مدين توكسن بأريزونا يدعى عبد الرحمن. رتب له الأخير تأشيرة الدخول والإقامة والدراسة في جامعة أريزونا. حيث ظل هناك من ١٩٩٠ - ١٩٩٢ ثم عاد إلى السعودية وعمل في مزرعة لأسرته مدة خمس سنوات ثم سافر لأفغانستان في ١٩٩٦ وعمل في وكالة إغاثة. عاد بعدها إلى الولايات المتحدة وأقام مع بندر الحازمي ودرس الطيران في مدرسة أريزونا للطيران. حصل على شهادة بالطيران في ١٩٩٩ وعاد إلى السعودية لكنه لم يجد عملا. ثم سافر إلى الأمارات وعاد بعدها إلى الولايات المتحدة ليلتقي بنواف وسالم الحازمي والمحضار ويشترك في العملية.

٩ - أحمد إبراهيم الحزناوي:



أحمد الحزناوي

مواليد ١١ ت١/ أكتوبر ١٩٨٠ في مدينة الباحة السعودية. نشأ في قرية الحزنة حيث كان والده إمام الجامع في وسط القرية. وعشيرته جزء من قبيلة الغامدي. سقطت الطائرة التي اختطفها مع مجموعته في منطقة شانكسفيل ببنسلفانيا. في ١٩٩٩ أعلن أنه سيسافر إلى الشيشان لقتال الروس هناك رغم اعتراض والده. آخر مرة سمع أهله أخبارا عنه كانت في أواخر ٢٠٠٠ حيث قال لهم أنه يتدرب في أفغانستان. وخلال الفترة من ٢٧ ت٢/ نفمبر إلى ٢٧/ ك١/ ديسمبر ٢٠٠٠ عاد إلى العربية السعودية وأمضى رمضان فيها. يعتقد انه خلال هذه الفترة أخبر سعيد وحمزة الغامدي بالعملية. وفي أواخر ٢٠٠٠ سافر إلى الأمارات واشترى صكوك المسافرين. وفي ٨ حزيران/ يونيو وصل إلى ميامي في فلوريدا مع وائل الشهري.

١٠ ـ زياد سمير جراح :



زياد جراح



جراح في مدرسة الطيران بفلوريدا في ٢٠٠٠

مواليد ١١ مايس/ مايو ١٩٧٥ في المزرعة بلبنان. وهو من أسرة ثرية، ووالداه مسلمان سنيان رغم إنهما علمانيان. وهو الوحيد من بين الخاطفين الذي لديه صديقة ألمانية من أصل تركي. وعندما كان في سن السابعة اجتاحت إسرائيل لبنان فأرسله والداه إلى مدرسة كاثوليكية ببيروت حيث تطوع لمساعدة الأطفال المعوقين والاشتراك في برنامج لمكافحة المخدرات. بعدها خدم في كنيسة قريبة لمساعدة الأطفال الأيتام. كان مستواه الدراسي متوسطا لهذا وضع له والداه أساتذة خاصين بالرياضيات والفيزياء والكيمياء. وظل قريبا من أسرته وهو الوحيد من بين الخاطفين الذي له روابط قوية بها. يقول والده أنه منذ طفولته يود أن يكون طيارا لكننا منعناه، فنحن ليس لنا ابن غيره وأخشى عليه أن يموت". وفي ١٩٩٦ سافر إلى ألمانيا مع ابن عمه سالم للدراسة وهناك التقى بمحمد عطا وأصبح عضوا في خلية هامبورج. في ١٩٩٧ أخذ يدرس هندسة الطيران ويعمل في نفس الوقت بمعمل صباغة سيارات فولكس واجن في مدينة فولسبيرج. وفي ١٩٩٩ سافر إلى أفغانستان والتقى ابن لادن وخضع للتدريب على الهجمات الإرهابية.

١١ ـ خالد المحضار:



خالد المحضار

مواليد ١٦ مايس/ مايو ١٩٧٥ في مكة بالمملكة العربية السعودية من أسرة معروفة يعود نسبها إلى قبيلة قريش. لا يعرف الكثير عن حياته قبل سن الـ٢٠ حيث التحق بعده بالمجاهدين في حرب البوسنة. ثم ذهب إلى أفغانستان وقاتل مع طالبان ضد التحالف الشمالي. وفي ١٩٩٧ أخبر أسرته أنه سيذهب إلى القتال في الشيشان، لكن من غير المؤكد أنه ذهب إلى هناك. وفي أواخر التسعينات تزوج من سيدة يمنية تدعى هدى وله منها ابنتان.

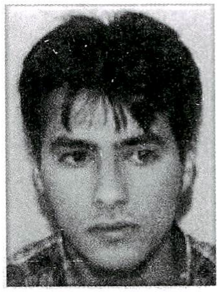
١٢ ـ ماجد مشعان موقد:



ماجد موقد

مواليد مدينة النخيل في غرب المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية. اشترك في ضرب البنتاجون. طالب في كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة الملك فهد. وفي ١٩٩٩ تركها والتحق بالقاعدة مع صديقه سطام السقامي الذي كان يشاركه نفس الغرفة في القسم الداخلي للطلبة. تدرب في معسكر خلدان للتدريب قرب كابل الذي يديره ابن الشيخ الليبي. يقول أحد أصدقائه أنه رآه آخر مرة في ٢٠٠٠ وقال له أنه سيغادر إلى الولايات المتحدة لدراسة اللغة الإنجليزية. وفي ت٢/ نوفمبر ٢٠٠٠ سافر مع السقامي إلى إيران عن طريق البحرين. وفي أواخر ٢٠٠٠ سافر إلى الأمارات حيث اشترى صكوك المسافرين وسافر إلى الولايات المتحدة في ٢ مايس/ مايو ٢٠٠١ حيث أقام مع سالم الحازمي وعبد العزيز العمري في شقة بمدينة باترسن بولاية نيو جيرسي.

١٣ـ أحمد عبد الله النامي :



أحمد النامـي

مواليد ١٣ ك١/ ديسمبر ١٩٧٧ في المملكة العربية السعودية. عمل مؤذنا في جامع الصقلي بعد إن أصبح أكثر تدينا في بداية ١٩٩٩. وفي خريف تلك السنة التحق بجامعة الملك خالد في أبها لدراسة الشريعة. وفي صيف ٢٠٠٠ ترك أسرته في مدينة خميس مشيط جنوب غرب السعودية لإكمال حجه لكنه لم يعد، وسافر بدلا من ذلك إلى معسكر الفاروق للتدريب في أفغانستان حيث التقى بوليد ووائل الشهري وسعيد الغامدي. يوصف من زملائه بأنه بالغ التهذيب. قيل أنه حلم مرة بأنه يمتطي مهرا مع الرسول محمد (ﷺ) وأن الرسول قد أخبره أن يترجل ويقاتل أعداءه لتحرير أرضه. وفي ٢٣ نيسان/ أبريل ٢٠٠١ حصل على تأشير دخول إلى الولايات المتحدة وفي ٢٨ مايس/ مايو وصل إلى فلوريدا قادما من دبي وأقام مع سعيد الغامدي.

١٤ – عبد العـزيز العمري :



عبد العزيز العمري

مواليد عسير في المملكة العربية السعودية. اشترك في ضرب مركز التجارة العالمي بنيويورك. إمام جامع في السعودية وحرس أمن في مطار قندهار. استخدم تاريخين لميلاده فمرة ذكر ٢٤ ك١/ ديسمبر ١٩٧٢ ومرة أخرى ذكر ٢٨ مايس/ مايو ١٩٧٩. تخرج في جامعة الأمام محمد ابن سعود. كان تلميذا لعالم الدين المتشدد سليمان العلوان الذي يقع جامعه في القصيم. متزوج وله بنت واحدة. وصل إلى الولايات المتحدة في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠٠١. أقام مع زملائه الآخرين في مدينة باترسون بنيوجيرسي.

١٥ـ مروان يوسف الشحي:

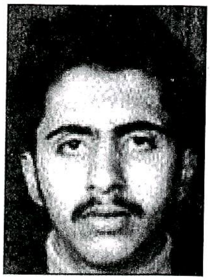


مروان الشحي

مواليد ٩ مايس/ مايو ١٩٧٨ في رأس الخيمة بدولة الأمارات العربية لعالم دين. يوصف بأنه رجل هادئ ومسلم ملتزم. في شباط/ ١٩٩٦ التحق بمعهد لغات في بون بألمانيا. سكن مع أسرة ألمانية. وبعد سنتين التحق بإحدى الجامعات في بعثة عسكرية. أمضى عدة أشهر في ١٩٩٨ محاولا اجتياز اختبار اللغة في هامبورج لكنه فشل وعاد إلى بون. وكان يجب على الطلبة الأجانب في ألمانيا أن يجيدوا الألمانية لكي يتخرجوا. انتقل إلى هامبورج في ١٩٩٩ وانضم لخلية هامبورج مع محمد عطا ورمزي بن الشيبه. وهناك أخذت أفكاره تصبح أكثر راديكالية. وعندما سأله أحد أصدقائه لماذا لا تضحكان أنت وعطا؟ أجاب الشحي: "كيف يمكنك أن تضحك بينما الناس يموتون في فلسطين؟" في ١٩٩٩ أراد السفر إلى الشيشان للقتال هناك ولكن خالد المصري أقنعه بالعدول وذهب بدلا من ذلك إلى أفغانستان حيث التقى بن لادن وخضع للتدريب على الهجمات الإرهابية.

١٦ ـ مهند الشهري:





مهند الشهري

مواليد ٥ تموز/ يوليو ١٩٧٩ في عسير بالمملكة العربية السعودية. اشترك في ضرب مركز التجارة العالمي. طالب في جامعة الأمام محمد ابن سعود. وبسبب تشدده الديني كان يذهب باستمرار إلى القصيم وأدى ذلك إلى فشله في الامتحانات النهائية. وفي بداية ٢٠٠٠ ذهب إلى الشيشان للقتال حيث التقى هناك بحمزة الغامدي. وفي ٢٣ ك١/ أكتوبر تقدم في جدة بطلب تأشيرة إلى الولايات المتحدة. تم منحه التأشيرة حتى دون مقابلة ورغم العنوان الخاطئ للمدرسة التي يفترض أنه سيدرس فيها. دخل الولايات المتحدة في ٢٨ مايس/ مايو ٢٠٠١ مع حمزة وعبد العزيز العمري.

١٧ ـ وائل محمد علي عسكلي الشهري:



وائل الشهري

مواليد ٣١ تموز/ يوليو ١٩٧٣ في عسير بالمملكة العربية السعودية. اشترك في ضرب مركز التجارة العالمي بنيويورك. معلم ابتدائية في مدرسة بخميس مشيط في عسير. لديه عشرة أخوة وأخت واحدة. يعمل الكثير من أفراد أسرته في الجيش منهم عدد من أخوته وعمه الذي يعمل رائدا فيه. ويعمل والده تاجر سيارات. وأسرته وهابية متزمتة تحرم الكثير من مظاهر الحداثة والحضارة كالتلفزيون والإنترنت والموسيقى أو الاختلاط بين الجنسين. زار عدد من أخوته الولايات المتحدة وهم يتحدثون الإنجليزية لكن وائل لا يعرف سوى القليل منها. وخلال دراسته الثانوية والجامعية كان شديد التدين ويرتاد باستمرار جامع الصقلي الذي بنته أسرته للمنطقة. ولأبيه علاقات قوية مع محمد بن عواد بن لادن والد أسامة بن لادن. تخرج في كلية المعلمين في أبها في ١٩٩٩ وأصبح معلما للألعاب في خميس مشيط.

وبعد خمسة أشهر من العمل ونتيجة لمعاناته من كآبة واضطرابات عقلية، أخذ إجازة لأغراض العلاج. وبدلا من أن يذهب إلى الأطباء، ذهب إلى بعض شيوخ الدين الذين نصحوه بزيارة المدينة المنورة. سافر إليها في بداية ٢٠٠٠ مع شقيقه الأصغر وليد. ثم اختفيا هناك وبعدها سافرا إلى أفغانستان في آذار/ مارس ٢٠٠٠

ودخلا معسكر الفاروق للتدريب. وبعد اختيارهما لهذه العملية عادا إلى السعودية في ك١/ أكتوبر ٢٠٠٠ للحصول على جواز آخر ثم عادا إلى أفغانستان. وفي آذار/ مارس ٢٠٠١ سجل وصيته الأخيرة. وصل إلى الولايات المتحدة في حزيران/ يونيو ٢٠٠١، واشترك في قاعات الألعاب الرياضية طيلة الصيف وكان أحد الخاطفين الذين يعتمد على قوتهم العضلية في المهمة.

١٨ ـ وليد محمد علي الشهري:

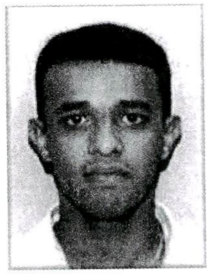




وليد الشهري

مواليد عسير في المملكة العربية السعودية. وشارك في ضرب مركز التجارة العالمي بنيويورك. وهو شقيق وائل الشهري. وقد ذكر سنوات ميلاد مختلفة له منها ١٩٧٥ و١٩٧٦ و١٩٧٧ و١٩٧٩. درس في كلية المعلمين ليكون كشقيقه معلم ابتدائية. رافق شقيقه وائل في رحلة العلاج إلى المدينة المنورة. وصل مع شقيقه وائل إلى معسكر الفاروق بأفغانستان حيث تعرف على أحمد النامي وسعيد الغامدي. عمل وليد حارس أمن في مطار قندهار مع سعيد الغامدي. خضع للتدريب على العملية داخل المطار على يد أبي تراب الأردني. بعد ذلك سافر إلى كراتشي ثم الأمارات وبعدها دخل الولايات المتحدة بتأريخ ٢٣ نيسان/ أبريل ٢٠٠١. كان من الخاطفين الذين يعتمدون على القوة العضلية. يقول بن الشيبه أن بن لادن سلمه رسالة لنقلها إلى عطا يبلغه فيها بضرب البيت الأبيض بدلا من مقر الكونجرس.

١٩ ـ سطام السقامي:



سطام السقامي

مواليد ٢٨ حزيران/ يونيو ١٩٧٦ في الرياض بالمملكة العربية السعودية. شارك بضرب مركز التجارة العالمي. طالب شريعة في جامعة الملك سعود. ومن هناك التحق مع زميله في الغرفة بالقسم الداخلي إلى معسكر خلدان للتدريب في أفغانستان التابع لمنظمة القاعدة ويديره ابن الشيخ الليبي وذلك عبر البحرين ثم إيران ثم إلى أفغانستان. وفي ٢٣ نيسان/ أبريل ٢٠٠١ وصل إلى الولايات المتحدة وأقام مع وليد الشهري في فلوريدا.

الفصل السادس عشر

انتحار الفلاحين الهنود



خلاصة

انتحر آلاف من الفلاحين الهنود خلال العقد الأخير بسبب مشاكل متعددة. حدثت أغلب هذه الحوادث في ولايات أندرا برادش Andra Pradesh ومهاراشترا Maharashtra وكارناتاكا Karnataka وكيرالا Kerala والبنجاب. وقد انتحر أكثر من ١٤ ألف فلاح هندي من مختلف الولايات خلال الفترة من ٢٠٠١-٢٠٠٦. وانتحر في منطقة فيداربا Vidarbha وحدها في عام ٢٠٠٦، (١٠٤٤) فلاحا أي أن هناك حادثة انتحار واحدة كل ثمان ساعات في هذه المنطقة[(١)].

التاريخ:

تتبنى الهند مبدأ التجارة الحرة، ومنذ عام ٢٠٠٢ أصبح اقتصادها واحدا من أسرع الاقتصاديات نموا في العالم. وتعد الدولة الثالثة في العالم بإنتاج القطن. ولكن لم يصل هذا الازدهار إلى المناطق الريفية الفقيرة حيث يعيش ثلثا سكان الهند البالغ عددهم مليارا ومائة مليون نسمة تقريبا. فقد انتشرت فيها خلال التسعينيات موجة من حوادث الانتحار التي قام بها الفلاحون. أول ولاية سجلت بها مثل هذه الحوادث هي ولاية مهاراشترا Maharashtra . بعدها بدأت وسائل الأعلام تنقل أخبارا مشابهة من ولاية أندرا براديش. كان يعتقد في البداية أن جميع المنتحرين هم من فلاحي القطن خاصة من فلاحي فيداربا. ولكن نظرة إلى سجلات مكتب تسجيل الجرائم تكفي لمعرفة أن المنتحرين هم ليسوا من فلاحي القطن فحسب بل

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Farmers%27_suicides_in_India

من الفلاحين بوجه عام بغض النظر عن مساحة أرضهم. علاوة على ذلك، لم تكن النسبة الأعلى من المنتحرين من منطقة فيداربا فحسب بل عانت عموم أنحاء ولاية مهاراشترا من ارتفاع هذه النسبة. وهذه المنطقة عبارة عن غابات جبلية تقع وسط الهند، وكانت تعرف باسم حزام القطن للهند لكنها الآن أصبحت تسمى حزام الانتحار(١).

يعاني فلاحو فيداربا من هبوط شديد في نسبة الإنتاج من محصول القطن مع انخفاض حاد في أسعاره العالمية وتركم الديون عليهم. ونتيجة لعجزهم عن تسديد الأقساط المصرفية بموعدها إلى البنوك لجأوا إلى مرابين غير شرعيين وحملوهم نسبة فائدة تبلغ ١٠٠٪. واختفت شبكة الحماية الاجتماعية الحكومية التي كانت تحافظ على أسعار للقطن مقاربة لسعر التكلفة. وبموجب سياسات التجارة الحرة الجديدة التي تتبعها الهند، كان على فلاحي فيداربا البالغ عددهم ٣.٢ مليون نسمة ومعظمهم من ملاكي الأرض الصغار، أن يتنافسوا في سوق عالمي مع منافسين أشداء يتلقون الدعم من حكوماتهم بضمنهم فلاحي القطن الأمريكيين. ونتيجة غرقهم بديون لا طاقة لهم عليها ومعاناتهم الشديدة لإعانة أسرهم، اضطر عدد كبير منهم إلى الأقدام على الانتحار إما بشنق أنفسهم أو تناول المبيدات الزراعية التي اشتروها وتراكمت دينا عليهم(٢).

أجرت الحكومة عدة تحقيقات لمعرفة أسباب انتحار هؤلاء الفلاحين والمشاكل الزراعية بوجه عام. وتوصلت حكومة ولاية مهاراشترا إلى أن ٩٣٪ من حوادث

(1) Bt Cotton and Farmer Suicides in India, International Food Policy Research Institute, Discusion Paper Oct 2008.

(2) Amy Waldman, Debts and Drought Drive India's Farmers to Despair, The New York Times, June 6 2004.
http://www.nytimes.com/2004/06/06/world/debts-and-drought-drive-india-s-farmers-to-despair.html

الانتحار في الولاية جاءت بسبب مديونية الفلاحين، و٧٤٪ بسبب الركود الاقتصادي و٥٥٪ بسبب خلافات عائلية و٤١٪ بسبب موت المحاصيل. وبهذا يكون انتحار الفلاحين ناتج في جزء كبير منه من الديون التي تكبلهم بالفوائد. ونتيجة خوفهم من مافيا سلب الأراضي، يضطرون إلى الهروب إلى الموت. فهم ضحايا المصارف والمرابين وقوانين رأس المال وحرية التجارة. يقول أحد أقارب المنتحرين عن قريبه: "لقد أخذ قرضاً من البنك وتعرضت المنطقة للجفاف ولم تنجح محاصيلنا الزراعية، ولم يكن بمقدوره أن يوفي الديون المترتبة عليه، وعندما جاء مسؤولون من البنك قدموا له مذكرة لدفع المستحقات وعندما علم أنه لن يكون بمقدوره إيفاء الديون قرر الانتحار.[1]"

وبناءا على ذلك زار رئيس الوزراء مانموهان سنج منطقة فيداربا وقال: "لقد جئت من عائلة فلاحية ولدي فكرة عن معاناة الفلاحين، لكن بعدما شاهدت وسمعت اليوم، علمت إلى أي حد بلغت خسائر الفلاحين هذه الفترة". ومنحت الحكومة أسر الضحايا منحا مالية مجانية بمبلغ مئة ألف روبية للأسرة الواحدة أي ما يعادل ألفي دولار أمريكي تقريبا. وهذا المبلغ يتغير حسبما تواجهه الحكومة من هجوم من وسائل الأعلام أو مدى ما توليه أحزاب المعارضة من اهتمام بمشاكل الفلاحين. ومثل هذا المبلغ يعتبر مرتفعا إذا ما قيس بمعدل الدخل السنوي للأسرة في هذه المنطقة والذي يبلغ حوالي ٢٧٠٠ روبية أي ٥٤ دولارا تقريبا للأكر الواحد بالسنة. ويمكن توضيح مشكلة الفلاح هذه إذا ما تصورنا أن فلاحا يمتلك ١٥ أكرا (٦١ ألف متر مربع)، وهنا يعتبر فلاحا ثريا، فأنه سيتقاضى دخلا مساويا للحد

(١) وائل عواد، ظاهرة انتحار المزارعين في القرى الهندية، برنامج مهمة خاصة، قناة العربية، الخميس ١/٦/٢٠٠٦. منشورة أيضا على موقع المحطة :

http://www.alarabiya.net/programs/2006/06/04/24351.html#002

الأدنى من الأجور المقررة قانونا فيما لو عمل ٣٦٥ يوما بالسنة. لهذا لا عجب إن بقيت نسب الانتحار الكارثية في أوساط الفلاحين الهنود خلال ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ رغم جهود الحكومة في ضخ الأموال في المناطق التي ينتشر فيها الانتحار أي منطقة حزام الانتحار. إن مشاكل هؤلاء الفلاحين عويصة. ولا يتوفر المزيد من قروض التسليف. وما هو متوفر مكلف للغاية. وليس هناك حل يحدد الطريقة الأفضل لأجراء العمليات الزراعية. فالدخل المتأتي من الزراعة لا يكفي لتلبية الحد الأدنى من احتياجات الأسرة الفلاحية. ونظام الدعم كالتأمين الصحي الحكومي المجاني غير متوفر من الناحية الفعلية. وقد كانت الحكومة سابقا مسؤولة عن توفير الدعم لسكان القرى. ولكنها ولأسباب متعددة سحبت نفسها من هذه المهمة أو لأن سوء الحكم والإدارة قد تركت منشآت الدعم تضمحل وتتلاشى.

تعتبر الزراعة عماد اقتصاد ولاية مهاراشترا. وهي المهنة الرئيسة لمعظم السكان. وهم يزرعون المحاصيل الغذائية والصناعية. وأهم منتجات الولاية الزراعية المانجو والعنب والموز والبرتقال والقمح والرز والشعير والحبوب. أما المحاصيل الصناعية فأهمها الفول السوداني والقطن وقصب السكر والكركم والتبغ.

تبلغ المساحة المروية من الأرض المستخدمة لأغراض زراعة المحاصيل ٣٣.٥٠٠ كيلومتر مربع. وهناك مناطق واسعة من الولاية مخصصة لزراعة الفاكهة وأهمها البرتقال والمانجو والعنب.

وقد ازداد معدل النمو الزراعي بنسبة ١.٩٧٪. ولتسهيل حصول الفلاحين على القروض تم تخفيض نسبة الفائدة إلى ٦٪. لكن المشكلة الأهم هي الاعتماد على مياه الأمطار. ولتقليل الاعتماد عليها، تم توسيع شبكة الري لتصل إلى مساحات إضافية أخرى تبلغ ١٤٠ ألف هكتار. ولتوفير الإعانة للفلاحين المتضررين من ظروف

الجفاف، صادقت الحكومة المركزية على منحهم ٥٢٠٠ كرور من الروبيات الهندية (الكرور يساوي عشرة ملايين روبية). ومنحت تلك الإعانة إلى ست مقاطعات في منطقة فيداربا. ومنح الفلاحون الفقراء ٣٦٧ كرورا من الربيات لتعويضهم عن خسائرهم من المحاصيل. إضافة إلى ذلك اتخذت سلسلة من الإجراءات ضد ٢٨٢١ من المرابين غير القانونيين.



جثة أحد الفلاحين المنتحرين بسبب تراكم الديون عليه. علما أن ديونه تبلغ ٤٠ ألف روبية أي أقل من تسعمائة دولار. ترك وراءه ثلاثة بنات وطفل.

وللقضاء على المشاكل المناخية- الزراعية المختلفة، ينبغي إجراء بحوث علمية على الزراعة والمنتجات الزراعية في المنطقة. وبغض النظر عن كل ذلك، فقد ساعدت خدمات النقل والمواصلات وتنمية البنية التحتية للمناطق الريفية على تطوير الإنتاج الزراعي في الولاية.

ويمكن إجمال الأسباب الرئيسة لظاهرة انتحار هؤلاء الفلاحين بغياب البنية التحتيـة السليمة للدعم الاجتماعي على مستوى القرية والمقاطعة وتقلب الإنتاج الزراعي في الهند ومديونية الفلاحين وارتفاع كلف الزراعة وهبوط أسعار المنتجات

الزراعية ونقص قروض التسليف للفلاحين الصغار وانعدام وسائل الري والفشل المتكرر في زراعة المحاصيل.

اشتهرت فيداربا في السنوات الأخيرة بكونها موطن أكبر موجة من حوادث انتحار الفلاحين بسبب انخفاض الحد الأدنى من الأسعار المدعومة لمحصول القطن. والمشكلة معقدة وتمتد جذور أسبابها إلى السياسات غير المتوازنة لمنظمة التجارة العالمية وقلة إعانات الحكومة الهندية لمزارعي القطن مما جعل أسعار قطن فيداربا غير منافسة في السوق العالمية. وبالنتيجة حلت الكوارث بهذه البلدة كارتفاع نسب المتسربين من المدارس وزيادة عدد الأرامل بسبب انتحار معيليها واستغلال حيتان المال لهذه المجاميع من الناس[1].

وقد وعدت الحكومة بزيادة الحد الأدنى لسعر القطن بحدود ١٠٠ روبية (٢ دولار) لكنها نكثت بوعدها وخفضت أكثر الحد الأدنى لسعر الدعم. وأدى هذا إلى زيادة عدد حوادث الانتحار لأن الفلاحين يشعرون بالعار فيما لو عجزوا عن تسديد أقساط القروض المسلمة إليهم من حيتان المال.

وفي نيسان ٢٠٠٧ أصدرت منظمة غير حكومية تدعى مؤسسة الأرض الخضراء للتنمية الاجتماعية تقريرا بعد تدقيقها لصندوق إعانات الحكومة المركزية وحكومة الولاية في فيداربا، ووجدت الآتي:

- لم تؤخذ احتياجات الفلاحين بنظر الاعتبار عند إعداد صندوق الإعانات. ولم تستشر منظمات المجتمع المدني ولا مؤسسات الحكومة المحلية ولا غيرها.
- لم تكف هذه الإعانات لسد ولو جزء بسيط من احتياجات الفلاحين.

(1) P. Sainath, Farm Suicides worse after 2001- Study, The Hindu, Nov. 13 2007 http://www.hindu.com/2007/11/13/stories/2007111352250900.htm

- لم يحدد بشكل دقيق الأساس الذي يتم بموجبه إختيار المستفيدين من هذه الإعانات. كذلك أدى نوع المساعدة المقدمة إلى حصول مشاكل للفلاحين. مثال ذلك يعطى الفلاح الذي يحتاج زوج ثيران، مضخة مائية وبالعكس، أو أن يعطى الفلاح الذي تكون أرضه بعيدة عن المياه مضخة مائية بينما هو لا يحتاج إليها.

وانتهى التقرير بتحذير يفيد أن عبء القروض على الفلاحين سيتضاعف في عام [1] ٢٠٠٩.

(١) موقع مؤسسة الأرض الخضراء للتنمية الاجتماعية :

http://greenearthconsulting.org/Articles/GreenEarth%20report%20on%20Impact%20of%20Relief%20Packages%20on%20farmers%20suicides%20in%20Vidarbha.pdf

الفصل السابع عشر

انتحار أتباع حركة استعادة وصايا الرب العشر



بقايا الجثث المحترقة

خلاصة

هي طائفة منشقة من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أسستها السيدة كريدونيا موريند Credonia Mwerinde والسيد جوزيف كيبويتيرا Joseph Kibweteere في أوغندا. وقد نشأت في أواخر الثمانينيات بعد أن ادعت موريند وكيبويتيرا أنهما قد رأيا رؤيا للسيدة العذراء. وقادة الكنيسة الخمس بالإضافة إلى موريند وكيبويتيرا، جوزيف كازابوراري وجون كاماجارا ودومينيك كاتاريبابو. في بداية عام ٢٠٠٠ هلك أتباع هذه الطائفة في حريق مدمر وسلسلة من أعمال القتل والتسميم والتي ربما تكون انتحارا دينيا طائفيا أو انتحارا جماعيا دبره قادة الطائفة بعد فشل نبوءاتهم في الرؤيا. اسمتهم هيئة الإذاعة البريطانية وصحيفة النيويورك تايمز في تغطيتهما للحادث مذهب يوم القيامة[١].

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Movement_for_the_Restoration_of_the_Ten_Commandments_of_God

وأيضا :

Cult in Uganda Poisoned Many, Police say, New York Times, July 28, 2000
http://www.nytimes.com/2000/07/28/world/cult-in-uganda-poisoned-many-police-say.html

وكذلك تقرير هيئة الأذاعة البريطانية في ٢٩ مارس ٢٠٠٠ بعنوان :

Quiet Cult's Doomsday Deaths:
http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/683813.stm

المعتقدات :

من أهم مبادئهم الالتزام بالوصايا العشر كما وردت في الكتاب المقدس ونشر كلمة عيسى المسيح. فهم يعظون الناس بأن عليهم لتجنب اللعنة أو الخطيئة الكبرى أن يتبعوا بالتزام صارم الوصايا العشر. تؤكد الحركة بشدة على الوصايا بحيث أنها تمنع الكلام قدر الإمكان بين أعضاء الجماعة مخافة انتهاك الوصية التاسعة التي تقول: "لا تشهد زورا على جارك"، وأحيانا وفي بعض الأيام يتم التواصل من خلال لغة الإشارات فقط. وهم يؤدون الصيام بانتظام ويتناولون خلال أيام الجمعة والاثنين وجبة واحدة فقط. والجنس محرم لديهم وكذلك الصابون. ويحرمون العناية الطبية.

والوصايا العشر هي:

١- "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية.

٢- لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تضع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثاني والثالث والرابع من مبغضيّ. وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي.

٣- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً.

٤- أذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملاً ما أنت وأبنك وأبنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب بيوم السبت وقدسه.

٥- أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

٦- لا تقتل.

٧- لا تزن.

٨- لا تسرق.

٩- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠- لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك"[١].

أعلن قادة الحركة أن رؤيا نهاية العالم ستحصل في عام ٢٠٠٠. وهم يؤكدون أيضا على هذه الرؤيا وعلى نهاية العالم وشرحوها في كتيبهم "رسالة موقوتة من السماء: نهاية الزمن الحالي". ويجب على الأعضاء الجدد دراستها والاختبار بنصوصها، وينبغي قراءتها ما لا يقل عن ست مرات. ويعظون أيضا بأن للسيدة العذراء دورا خاصا في نهاية العالم وهي تتواصل أيضا مع قادة الحركة. ويضعون أنفسهم بسفينة مشابهة لسفينة نوح هي سفينة الصلاح وسط بحر الفساد والانحطاط.

ووضعت الحركة لها هيكلا هرميا من أصحاب الرؤيا تقف على رأسه موريند التي كانت تعمل قبل تأسيس الحركة في متجر صغير وصانعة جعة الموز وموسا[٢] تريد أن تكفر عن خطاياها. وعمل معها قساوسة كاثوليك سابقين كعلماء لاهوت يشرحون للناس فحوى رسالتها. ورغم أن الجماعة منشقة عن الكنيسة الكاثوليكية،

(١) سفر الخروج – الإصحاح ٢٠– الآيات ٢–١٨ .

(٢) تقرير هيئة الإذاعة البريطانية في ٢٩ مارس ٢٠٠٠ بعنوان The Preacher and the Prostitute منشور على موقع الهيئة:

http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/694729.stm

لكن لديها أيقونات (تماثيل) كاثوليكية موضوعة في مكان بارز ورهبان وراهبات ممن كانت لهم علاقة بالكنيسة الكاثوليكية وجرى عزلهم من وظائفهم الكنسية.

وجوزيف كيبويتيرا (١٩٣٢-٢٠٠٠) كاثوليكي متدين ورجل ثري وفق المقاييس الأوغندية وقد تبرع بأرض لديه لإنشاء مدرسة كاثوليكية. وفي ١٩٦٠ تزوج من سيدة قدر لها أن تبقى حية بعد وفاته. وقد أرسل لها قبل الحادث بيوم رسالة يحثها فيها على الاستمرار بنشر رسالتهم "لأن أعضاء الطائفة سيهلكون في اليوم القادم". ويقول الأطباء أنه قد عولج من مرض Bipolar Disorder[١] قبل عام من حصول حادث الانتحار الجماعي[٢].

الظروف المحيطة بالتأسيس:

تميز ماضي أوغندا القريب باضطراب سياسي واجتماعي. فقد سبب نظام حكم عيدي أمين الذي قتل حوالي ٥٠٠ ألف أوغندي وتفشي وباء الإيدز والحرب الأهلية الأغندية ١٩٨١ -١٩٨٦ فوضى وخرابا في البلاد. فماتت نسبة كبيرة من عدد السكان إما بفعل الحروب أو بسبب وباء الإيدز. فأصبح الناس أكثر تشاؤما وتعصبا وكانت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية منغمسة بارتكاب المعاصي والفضائح ولم يعد المسيحيون المؤمنون يثقون بها. وفي هذا الجو اتجهت في أواخر الثمانينيات عدة مجموعات كاثوليكية سابقة نحو أفراد يتمتعون بشخصيات كاريزمية ويدعون أنهم المسيح ونبذوا سلطة الحكومة والكنيسة. ومثال على هذه الظاهرة جماعة المقاومة المسيحية المسماة حركة الروح القدس التي قاتلت ضد حكومة ياوي موسفيني فقد

(١) مرض نفسي يتعلق باضطراب المزاج فيتردد مزاج المريض بين الهوس والجنون تارة وبين الكآبة والقلق والسوداوية تارة أخرى.

(2) Logan Nakyanzi, Uganda: Religion that kills, abcnews, Feb. 14, 2000 http://abcnews.go.com/International/story?id=81484&page=1

قتل المئات من أتباعها في مواجهات مع القوات الحكومية معتقدين بأن زيوتا سحرية طلوا بها أجسادهم ستحميهم من رصاص الجيش. ويوضح باول إيكازير العضو السابق في هذه الطائفة دوافعه للانضمام إلى هذه الحركة بقوله: "لقد انتمينا إلى هذه الحركة احتجاجا على الكنيسة الكاثوليكية. كانت نوايانا حسنة. بينما الكنيسة ترتكب الفواحش، وفضائح القساوسة تزكم الأنوف ويحصد وباء الإيدز الآلاف من المسيحيين المؤمنين. يبدو العالم وكأنه فقد توازنه".

التاريـخ :

التأسيس :

تعود جذور الحركة إلى والد كريدونيا موريند المدعو باولو كاشاكو. ففي ١٩٦٠ ادعى أنه رأى رؤيا لأبنته المتوفاة إيفانجلستا أخبرته خلالها أنه سيكون لديه رؤى أخرى من السماء. وفي ١٩٨٨ ادعى أنه هذه النبوءة تحققت وأنه رأى عيسى المسيح ومريم العذراء والقديس جوزيف. ادعت إبنته كريدونيا أيضا أن لديها رؤى مماثلة وانضمت إلى مذهب العذراء. فتقول أنها ترى مريم العذراء عندما تنظر إلى حجر في أعلى الجبال. وفي ١٩٨٩ أبلغها كاشاكو بنشر الرسالة في أوغندا بناءا على أوامر مريم العذراء. فارتحلت في كل أنحاء أوغندا تنشر رسالة الأسرة. وفي ذلك العام التقت بجوزيف كيبويتيرا وأخبرته برؤاها وتواصلها مع مريم العذراء.

ادعى جوزيف كيبويتيرا في ١٩٨٤ أن لديه هو أيضا رؤيا لمريم العذراء. وقالت موريند أنها رأت رؤيا مماثلة في كهف قرب منزل كيبويتيرا في قرية رواشامير في أوغندا. وفي ١٩٨٩ التقى الاثنان وأسسا حركة استعادة وصايا الرب العشر ومهمتها نشر رسالة العذراء بشأن هذه الرؤى. وسرعان ما ازداد عدد أعضائها وجذبت إلى صفوفها عددا من الرهبان والراهبات الكاثوليك السابقين، وعملوا كلاهوتيين

يعقلنون رسالة قيادة الحركة. ومن بين أعضائها القسين باول إيكازير ودومينيك كاتاريبابو اللذين عزلا عن الكنيسة الكاثوليكية سابقا. فقاد الثنائي موريند وكبويتير مجموعة منتخبة مكونة من ستة رجال وست نساء واعتبراهم "الحواريين الجدد". وجرى اختيار عدد مساو من النساء بجانب الرجال للتأكيد على دور الأم ماري كعنصر أساسي ينقلهم إلى السماء.

ازداد شأن الطائفة مع انضمام دومينيك كاتاريبابو إليها، وهو قس يحظى بشعبية واحترام كبيرين ويحمل شهادة الدكتوراه من الولايات المتحدة. وبهدف توفير الأموال اللازمة التي تلبي حاجة الأعداد المتزايدة من الأتباع، باع كيبويتيرا ممتلكاته بما فيها سيارته وماكنتي طحن. وفي أواخر التسعينيات توسعت الكنيسة لتصبح جماعة مزدهرة تمتلك مزارع للموز والأناناس. يعيش أعضاؤها بشكل جماعي على أرض اشتروها من أرباح ممتلكاتهم التي باعوها عندما انضموا للحركة. تدعي موريند تلقيها رسائل من مريم العذراء بواسطة جهاز تلفون مخفي يمكن أن يعمل من خلال أي شيء أو غرض معين. وقد بنوا في غرب أوغندا منازل لتجنيد الأشخاص وتلقينهم مبادئ الحركة والعبادة ومدرسة ابتدائية. وقد اعتبروا عام ٢٠٠٠ هو العام النهائي الذي تتحقق فيه نبوءات الطائفة التي عرفوها من خلال الرؤى. ولكن ليس لهذه الادعاءات أي تأثير على العالم الخارجي، وظل كيبويتيرا غير معروف داخل أوغندا حتى حصول الحادث[١].

وفي ١٩٩٢ طلب كبراء قرية رواشامير من الجماعة ترك القرية، وعلى إثر ذلك انتقلت إلى بلدة كانونجو Kanungu حيث عرض عليهم والد موريند أرضا شاسعة يمكنهم الاستقرار فيها وتقع هذه البلدة في مقاطعة روكينجيري التي تبعد ٣٢٠

(1) Douglas E. Cowan, The religious Movements, The University of Virginia, 2005 http://web.archive.org/web/20060907005952/http://etext.lib.virginia.edu/relmove/

كيلو مترا جنوب غربي العاصمة الأوغندية كمبالا. وفي ١٩٩٤، ترك بول إيكازير الطائفة وأخذ معه حوالي سبعين شخصا من أعضائها. وفي ١٩٩٧، تشير إحصاءات الحكومة عن عدد أعضاء الطائفة بأنهم قرابة ٥٠٠٠ شخص. وفي ١٩٩٨ ذكرت الصحافة الأوغندية أن الحكومة قد أغلقت مدرسة الطائفة بسبب الظروف غير الصحية واستخدامها الأطفال في الأعمال وربما اختطافهم، لكنها رفعت الحظر عنها فيما بعد.

ومع اقتراب بداية الألفية الجديدة، ازدادت استعداداتهم للنهاية. ففي ١٩٩٩ أجرت صحيفة مملوكة للدولة تدعى الرؤية الجديدة New Vision مقابلة مع أحد أعضاء الطائفة الذي يبلغ دون العشرين من العمر. قال: "سينتهي العالم السنة القادمة. ليس لدينا وقت نضيعه. وقد تحدث بعض قادتنا مباشرة إلى الله. والنهاية قد تأتي بأية لحظة، وعندما تأتي، فكل مؤمن يكون في نقطة ستكشف لاحقا، سينقذ".

الرؤيا النبوءة :

مع اقتراب السنة الجديدة، ازدادت حمى نشاط أعضاء الجماعة، فحثهم قادتهم على الاعتراف بخطاياهم استعدادا ليوم النهاية. وبيعت الملابس والماشية برخص التراب، وأعيد تجنيد الأعضاء السابقين، وتوقفت الأعمال في الحقول. مر يوم ١ ك٢/ يناير ٢٠٠٠ دون ظهور رؤيا النبوءة، فبدأت الحركة تتحلل. وأخذت الأسئلة تمطر على موريند وكيبويتيرا وانخفضت الإعانات للكنيسة بشكل خطير. وتقول الشرطة الأوغندية أن بعض الأعضاء الذين باعوا ممتلكاتهم وسلموا أثمانها إلى الحركة، أعلنوا التمرد وطلبوا إعادة هذه الأموال. ويعتقد أن الأحداث التي تلت ذلك كانت منسقة ومنظمة من قادة الطائفة وجاءت نتيجة للأزمة داخل صفوف الحركة.

غيّر قادتها بعد ذلك نبوءتهم. وقالوا أن نهاية العالم ستكون في يوم ١٧ آذار/ مارس وسيكون يوم قيامة بمراسيم وطقوس خاصة كما ذكرت ذلك صحيفة النيويورك تايمز. أقامت الحركة احتفالا كبيرا في كانونجو وشووا ثلاثة ثيران واحتسوا ٧٠ صندوقا من المشروبات الغازية. وارتدى الأعضاء جلابيب بيض وسود وخضر في وقت مبكر من صباح يوم الجمعة ورتلوا بعض التواشيح. وسبق إن أعلن إجراء احتفال آخر يوم ١٨ آذار/ مارس، لكن المسؤولين الحكوميين يعتقدون أن قادة الطائفة أرادوا بهذا الإعلان تضليل السلطات المعنية عن نواياهم الحقيقية. وقبل ذلك بعد أيام شوهد أحد قادة الحركة وهو دومينيك كاتاريبابو يشتري خمسين لترا من حامض الكبريتيك (ماء النار أو التيزاب) الذي ربما سيستخدم في إشعال الحريق. وفي يوم السابع عشر من آذار/ مارس وصل أعضاء الجماعة إلى كنيستهم في منطقة كانونجو للصلاة والترتيل، وبعد دقائق سمع سكان القرى المجاورة صوت انفجار كبير ثم اندلعت النيران في المبنى مما أدى إلى مقتل ٥٣٠ شخصا بضمنهم عشرات من الأطفال. إنخلعت أبواب وشبابيك البناية بفعل عصف الانفجار. ويفترض أن يكون قادة الطائفة الخمس الرئيسيين قد ماتوا بالحريق. وبسبب هذا الحريق عرفت السلطات الأوغندية ما كان يجري داخل هذه الحركة.

وبعد أربعة أيام من حريق الكنيسة، فحصت الشرطة ممتلكات الحركة ووجدت مئات الجثث في مختلف المواقع بجنوب أوغندا. ووجدوا ست جثث محجوزة في المراحيض بحائط من الاسمنت إضافة إلى ١٥٣ جثة في مجمع بوهوناج **Buhunage**، و١٥٥ جثة في عزبة دومينيك كاتاريبابو في روجازي، حيث جرى إعطاؤهم السم ثم طعنهم، وكذلك وجدت الشرطة ٨١ جثة في مزرعة أحد قادة الطائفة وهو جوزيف نايموريندا. وأشارت التحقيقات القضائية إلى أنهم قد قتلوا قبل أسابيع من حريق

الكنيسة. ويعتقد أن كاتاريبابو من بين القتلى الذين عثر على جثثهم في الكنيسة بكونونجو، إذ عثر على جثة قس لا يزال بملابسه الدينية[1].



موريند



كيبويتيرا (اليسار) وكاتاريبابو (اليمين)

يزعم أن كيبويتيرا قال لأتباعه أنه سمع حديثا بين عيسى المسيح ومريم العذراء، تقول فيه العذراء أن العالم سينتهي ما لم يبدأ البشر بأتباع الوصايا العشر بحذافيرها. وعندما لم تأت نهاية العالم في يوم ٣١ ك١/ ديسمبر ٢٠٠٠، أجّل كيبويتيرا التاريخ إلى ١٧ آذار/ مارس قائلا أن مريم ستظهر خلال هذا اليوم وتأخذ المؤمنين المخلصين معها إلى السماء. بعدها ستحل الكارثة على العالم وسيقضى على الستة مليارات إنسان. وتعتقد الجماعة أنها ستعيش بعدها حياة تشبه حياة آدم وحواء حيث "لا ملابس ولا فلاحة ولا عمل".

الآثـــار:

يقول الأطباء الشرعيون أنه إضافة إلى الأفراد الذين قضوا بفعل الحريق، لكن الأغلبية العظمى من أعضاء الطائفة قد ماتوا بسبب تناولهم السم. وتقول التقارير

(1) Anna Borzello, A party, prayers, then mass suicide, The Guardian, 20 March 2000,
http://www.guardian.co.uk/world/2000/mar/20/3

الأولية أنهم شنقوا، استنادا إلى وجود حبال من ألياف الموز ملفوفة حول رقابهم. وهذا ما أكده الدكتور ثاديوس بارونجي بأنه شاهد علامات الشنق على معظم جثث الضحايا. وتقول بعض التقارير غير المؤكدة أن الأعضاء قد رشوا على أجسامهم قبل الحريق مادة الجازولين والبارافين.

وبعد تفتيش جميع مواقع الطائفة، قالت الشرطة إلى أن التقديرات الأولية لعدد القتلى والبالغة حوالي ألف قتيل هو رقم مبالغ فيه، وأن العدد النهائي للقتلى هو ٧٧٨.

وبعد إجراء العديد من المقابلات وأعمال التحري، استبعدت الشرطة أن يكون الحادث هو انتحار ديني واعتبرته بدلا من ذلك حادث قتل جماعي ارتكبته قيادة الحركة. فقد رأت هذه القيادة أن عدم تحقق نبوءتها بمجيء يوم القيامة قد أدى إلى تمرد في صفوف الحركة فوضع القادة موعدا جديدا له مع خطة للتخلص من أتباعهم. فاكتشاف جثث في مواقع أخرى وسد أبواب وشبابيك الكنيسة بالألواح الخشبية ووجود مواد الإشعال واحتمال اختفاء قادة الطائفة ، كل هذه الدلائل تؤيد هذه النظرية. إضافة إلى ذلك يقول الشهود أن قادة الحركة لم يتحدثوا مطلقا عن انتحار جماعي عندما كانوا يهيئون الأعضاء ليوم نهاية العالم.

أدانت الحكومة الأوغندية الحادث. وسماه الرئيس الأوغندي "حادث القتل الجماعي على يد هؤلاء القساوسة لمكاسب مالية". وقالت المتحدثة باسمه لقد انتابه غضب شديد عندما علم أن الذين نفذوا ما وصفه بالعمل الهمجي اصطحبوا أطفالا وعرضوهم لمثل هذا الموقف الوحشي وأنه انتقد زعماء بعض الطوائف الدينية ممن يغررون بالناس الذين يثقون بهم وينتفعون من ممتلكاتهم ويضللونهم بمعتقدات يمكن أن تعرض حياتهم للخطر. وقال نائب الرئيس الدكتور سبيسيوزا وانديرا

كازيبو: "إنها حوادث قتل جماعية قاسية أعدتها ونظمتها شبكة من المجرمين الأشرار الحقودين الذين يتظاهرون بكونهم أناس متدينين". ورغم أنه يعتقد من الناحية الأولية أن القادة الخمس قد ماتوا بالحريق، إلا أن الشرطة تعتقد أن جوزيف كيبويتيرا وكريدونيا موريند لا يزالان أحياء وأنهما قد غادرا مجمع الطائفة في الساعات الأولى من يوم ١٧ آذار/ مارس. وفي نيسان ٢٠٠٠ أصدرت الشرطة مذكرة دولية بالقبض عليهما بتهمة قتل أعضاء الطائفة(١).

وقالت الشرطة أن البالغين الذين لقوا حتفهم في الحادث سيعاملون كضحايا حادث انتحار جماعي فيما سيعامل من هم دون ١٨ عاما كضحايا جريمة قتل. وقد احترقت غالبية الجثث حتى أصبح من المستحيل التعرف عليها بعد أن تحولت إلى بقايا مكومة فوق بعضها وملتصقة بفعل حرارة النيران ومن غير المحتمل معرفة عدد الضحايا بشكل دقيق. وتقول الشرطة أن عمال الإنقاذ لم يتمكنوا من الوصول لأعضاء الطائفة لأن أبواب الكنيسة ونوافذها مغلقة بأحكام.

وقال المفتش الجنرال جون كيسمبو أن جميع الأدلة تشير إلى أن الحادث عملية انتحار جماعي وأن الشرطة تعرف أن زعماء الكنيسة قد خططوا له. وكان شهود قد تحدثوا عن وجود أدلة على أن الطائفة كانت تستعد لحدث كبير في الأيام السابقة على الحريق(٢).

(1) Anna Borzello, Mass Graves found in Sect House, The Guardian, 25 Mar. 2000 http://www.guardian.co.uk/world/2000/mar/25/1

(2) Bernard Atuhaire, The Uganda Cult Tragedy, Janus Publishing Company Ltd, London, 2003,

الفصل الثامن عشر

الهجمات الانتحارية لنمور التاميل





الانتحارية التاميلية ثياجاراجا جياراني (٢٦ سنة) فجرت نفسها في 7/7/2004 في مركز شرطة بالعاصمة السريلانكية

خلاصة

بدأت الحرب الأهلية السريلانكية في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٨٣ ولا تزال مستمرة حتى الآن تتخللها فترات من التوقف. وطرفاها هما الحكومة السريلانكية من جانب ومنظمة نمور تحرير التاميل عيلام من جانب آخر. والأخيرة هي منظمة مسلحة انفصالية تسعى إلى تكوين دولة مستقلة في إقليم التاميل عيلام الواقع في شمال وشرق الجزيرة.

قتل أكثر من ٧٠ ألف شخص منذ نشوب القتال في ١٩٨٣. وقد سبب هذا الصراع أضرارا بشرية وبيئية واقتصادية هائلة للبلاد. وارتكبت فيها هذه المنظمة الكثير من الفظاعات والجرائم وبموجب ذلك اعتبرتها ٣١ دولة بما فيها الولايات المتحدة واليابان والبرازيل وأستراليا وكندا وبلدان الاتحاد الأوربي منظمة إرهابية.

نفذت المنظمة منذ ١٩٨٧ وحتى نهاية عام ٢٠٠٨ أكثر من ٢٠٠ عملية انتحارية في البر والبحر راح ضحيتها آلاف القتلى بضمنهم راجيف غاندي رئيس وزراء الهند الأسبق وراناسنج بريماداسا رئيس جمهورية سريلانكا وجيراج فرناندوبول وزير تنمية الطرق وبارامي كولاثونجا معاون رئيس أركان الجيش وجاميني ديساناياكي زعيم المعارضة والعديد من الشخصيات السياسية والعسكرية والبرلمانية والإعلامية البارزة في سريلانكا مع خسائر تقدر بمليارات الدولارات. أكثر من ربع هذه العمليات الانتحارية نفذتها سيدات من التاميل. وتعتبر المنظمة أول من ابتكر أسلوب الأحزمة الناسفة الانتحارية وأسلوب نشر الانتحاريين في أماكن متعددة

وبهذه الطريقة تم اغتيال راجيف غاندي وبريماداسا رغم أنها لم تكن الأولى في استخدام السيارات المفخخة. وقد جاءت ٣٠-٤٠٪ من هذه العمليات بواسطة نساء.

وأكبر عملية انتحار جماعي لنمور التاميل حصلت في ٥ ت١ ١٩٨٧ عندما انتحر ١٢ مقاتل تاميلي كانت القوات البحرية السريلانكية قد ألقت القبض عليهم، فتناولوا كبسولات تحوي سم السيانيد[١].

خلفية تأريخية :

سريلانكا أو سيلان أو سرنديب كما يسميها العرب القدماء جزيرة تقع على مسافة ٣١ كيلو متر من الساحل الجنوبي للهند. يبلغ عدد سكانها حوالي ٢١.١٢٨.٧٧٣ نسمة بموجب تقديرات ٢٠٠٨، منهم حوالي ٨١.٩٪ من السنهال وهم الجماعة العرقية الرئيسة والغالبة في الجزيرة ولغتهم السنهالية. وهناك حوالي ٨٪ من مجموع السكان أي أقل من أربعة ملايين نسمة من التاميل. وهؤلاء ترجع أصولهم إلى ولاية تاميل نادو الهندية. ويتحدثون التاميلية ومعظمهم يدين بالهندوسية مع أقلية منهم تدين بالإسلام أو المسيحية ويقطنون غالبا في المنطقة الشمالية الشرقية من سريلانكا.

ترجع جذور الصراع الحالي بين الحكومة السريلانكية ومنظمة نمور التاميل إلى فترة الحكم الاستعماري البريطاني عندما كانت هذه البلاد تعرف باسم سيلان. ففي بدايات القرن العشرين، ظهرت حركة سياسية وطنية من الشعب السنهالي تطالب

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/1987_Mass_Suicide_of_Tamil_Tigers

وكذلك : http://en.wikipedia.org/wiki/LTTE

بالاستقلال السياسي للبلاد. وقد تحقق هدفها بعد الدخول في مفاوضات سلام مع البريطانيين في ١٩٤٨. وعند كتابة دستور ما بعد الاستقلال، نشب الخلاف بين ممثلي الشعبين السنهالي والتاميلي. يتركز هذا الخلاف حول الفروقات العرقية والجغرافية بين الجماعتين التاميلية في الشمال والسنهالية في الجنوب. كانت العلاقات بينهما سلمية في عهد ما قبل الاستعمار. ولكن بعد دخول الاستعمار الهولندي والبرتغالي والبريطاني، بدأت الجماعتان بالتنافس بينهما للحصول على الثروات والتنمية. فاقم البريطانيون المشكلة بقيامهم بنقل أعداد كبيرة من التاميل من جنوب الهند إلى سريلانكا لتوفير المزيد من القوى العاملة. تم وضع هؤلاء العمال في البداية في مزارع الشاي وسط الغالبية من السكان السنهاليين. مع ذلك لم ينشب نزاع بينهما حتى حصول الاستقلال. فتم نقل السلطة من البريطانيين إلى النخبة من السنهال دون إراقة دماء. وقد مرت السنوات الأولى بسلام نسبي ولكن لم تكد تمضي أقل من ١٠ سنوات حتى تحول النزاع إلى أكثر قسوة وضراوة. كان النزاع في البداية يدور حول سؤال محدد هو هل ستكون سيلان دولة علمانية أم دينية؟ مركزية أم اتحادية؟ منفتحة ثقافيا أم مغلقة؟ كان جواب الطبقة الحاكمة السنهالية واضحا هو أن سيلان دولة سنهالية. وأخذت تذكي المشاعر القومية وكذلك فعل التاميل. فأعلنت أن سيلان دولة بوذية، والواقع أنها الدولة البوذية الوحيدة في العالم، وأيدها في ذلك القوميون السنهال. وأصبحت البوذية الدين الرسمي للدولة. واتخذوا من أجل خلق دولة بوذية إجراءات عنيفة وقمعية ضد الأقلية التاميلية في الشمال. وتدين الأخيرة بالهندوسية والمسيحية والإسلام. تقطن الجالية المسلمة في المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد. وكانت في الغالب تتخذ موقفا متميزا لها يستند على هويتها الدينية. فهي تندمج أحيانا مع السكان التاميل الأكثر أو تنعزل عنهم حسب الظروف السياسية السائدة. وفي الأيام الأولى لاستقلال الدولة، كانت الجالية المسلمة جزءا لا يتجزأ من الأقلية التاميلية.

وكانت الشرارة التي أشعلت فتيل النزاع هي إصدار قانون اللغة الرسمية للبلاد خلال حكم رئيس الوزراء باندارانايكا في ١٩٥٦ . حيث عَدَّ هذا القانون اللغة السنهالية اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد. رفض ممثلو شعب التاميل ذلك واعتبروه تهميشا لهم ومحاولة لفرض لغة الأغلبية على الأقليات العرقية الأخرى. فتصاعدت احتجاجات الطلبة والمثقفين التاميل ضد الدولة وعلق التعليم في جميع مدارس ولاية جفنة. وقادت إلى حصول أول أعمال عنف عرقية في ١٩٥٨ . ورغم أنه تم قمع أعمال الشغب بسرعة لكن جذور العنف امتدت إلى جميع أنحاء المنطقتين الشمالية والشرقية. وأتت الحرب الأهلية نتيجة مباشرة لتصعيد سياسات المواجهة التي تلت ذلك القانون. وتعتبر انتفاضات الخمسينيات و١٩٧٧ وتأسيس الجبهة المتحدة لتحرير التاميل TULF من أهم أحداث هذا الصراع. وقاد هذا إلى تشدد الطرفين في تمسكهما بمواقفهما. وشهدت السبعينيات تحول نشاط التاميل من المعارضة الديمقراطية السلمية إلى المطالبة بالانفصال باستخدام وسائل العنف. وتوسع هذا التحول بانضمام معظم الشبيبة التاميلية لهذه الحركة وعززه السياسات الحكومية القائمة على التفرقة بين الشعبين. ففي ١٩٧٠ تخلى التاميل عن مبدأ المساواة ضمن دولة مركزية، وأخذوا يطالبون بتحويل السلطة إلى نظام اتحادي (فيدرالي). أما السببان اللذان فجرا الصراع وحولاه من اللاعنف إلى العنف فهما: أولا: إصدار الحكومة في ١٩٧٠ لقانون التوحيد القياسي Standardization Act الذي تم على إثره تخفيض أعداد الطلبة التاميل المقبولين في الجامعات الحكومية وزيادة أعداد الطلبة السنهال المقبولين في هذه الجامعات وكذلك حظر دخول المطبوعات والمنشورات التي يصدرها تاميل الهند إلى سريلانكا، وثانيا: إصدار الدولة لدستور جديد في ١٩٧٢ أعاد التأكيد على أن السنهالية هي اللغة الرسمية للبلاد ولم يتح أي فرصة لحكم ذاتي داخل الدولة السنهالية.

دعمت الجبهة المتحدة لتحرير التاميل الأعمال المسلحة التي يقوم بها بعض الشباب المسلحين وأخذت تدعوهم بلقب "أولادنا". وهؤلاء الأولاد هم نتاج الانفجار السكاني الذي حصل بعد الاستقلال. والكثير منهم غير متعلمين ويعانون البطالة ويؤمنون بالحلول الثورية العنيفة لمشاكلهم. ولم تحظ الأحزاب اليسارية لفترة طويلة بالشعبية المطلوبة، كما لم يحاول الحزب الاتحادي **The Federal Party** وفرعه جبهة تحرير التاميل وهي أحزاب محافظة تسيطر عليها طبقة الفيلالا الثرية **Vellala** تشكيل تحالف وطني مع اليساريين في صراعهم بشأن الحقوق اللغوية(1).

وبعد النصر الانتخابي الكاسح الذي حققه الحزب الوطني المتحد **United National Party (UNP)** ، أصبحت جبهة تحرير التاميل الحزب المعارض الرئيس وحصلت على سدس الأصوات الانتخابية. وفي أواخر ١٩٧٧، وبعد حصول صدام شعبي خطير في آب/ أغسطس من تلك السنة، منحت حكومة جونيوس ريتشارد جاياواردين من الحزب الوطني المتحد جميع الحقوق اللغوية والتعليمية التي يطالب بها التاميل. ولكن قيادة التاميل التي أصبحت خاضعة بالقوة لمنظمة نمور تحرير التاميل عيلام لم تستطع الاستفادة من هذا الموقف السياسي الأفضل وأجبرت على دعم حملة العنف التي تقودها الجماعات التاميلية المسلحة المختلفة.

نتيجة للصراع السياسي الدائر في سريلانكا، أخذت شبيبة التاميل في شمال وشرق البلاد بتشكيل مجاميع عسكرية. وكانت مستقلة عن قيادة التاميل في العاصمة كولومبو. وأبرز هذه المجاميع هي منظمة نمور تحرير التاميل عيلام **LTTE**. حيث شنت في البداية حملة عنف ضد الدولة واستهدفت بشكل خاص قوات الشرطة والسياسيين التاميليين المعتدلين الذين يسعون لأجراء حوار مع الحكومة. كانت أولى

(1) Gamage, Siri and I.B. Watson, Conflict and community in Contemporary Sri Lanka- "Pearl of the East" or "Island of Tears"? Sage Publications, 1999.

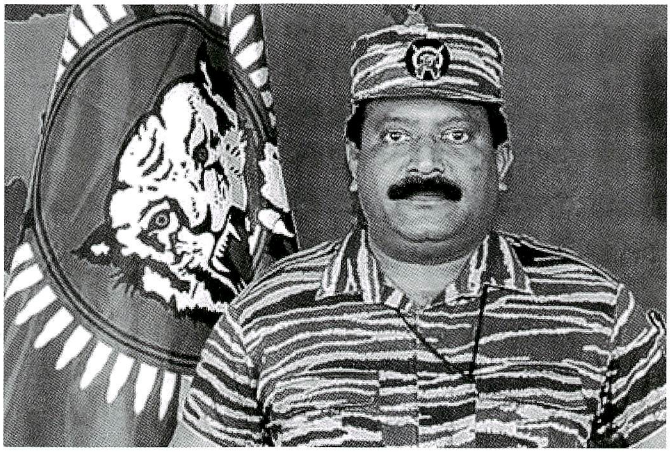
عمليات المنظمة هي اغتيال ألفريد دورايبا محافظ ولاية جفنة في ١٩٧٥. وفي ١٩٧٧ اغتال فيلوبيلاي براباكاران[1] Vellupillai Prabhakaran شخصيا وهو زعيم المنظمة، السيد كاناجارانم عضو البرلمان عن التاميل.

وفي تموز/ يوليو ١٩٨٣، شنت المنظمة هجوما كاسحا على الجيش في شمال البلاد وقتلت ١٣ جنديا. وردا على ذلك ارتكب السنهال بدافع من المشاعر القومية مذابح ومجازر منظمة ضد التاميل في كولومبو العاصمة وفي أماكن أخرى فيما أطلق عليه مذابح تموز الأسود. تقدر نسبة القتلى بين ٤٠٠ - ٣٠٠٠ تاميلي، وفر الكثير من التاميليين من المناطق التي غالبيتها من السنهال. وتعتبر تلك بداية الحرب الأهلية في سريلانكا.

---

(١) برباكاران أو كما يعرف شعبيا باسم ثامبي أو الأخ الأصغر هو زعيم منظمة نمور التاميل من مواليد ١٩٥٤ في مدينة فلفتي شمال سريلانكا. في ١٩٧٢ إنضم للمجموعة الطلابية المناهضة لقانون التوحيد القياسي. ثم أسس في ١٩٧٤ منظمة نمور التاميل الجدد المناهضة للأغلبية السنهالية. وفي ١٩٧٥ نفذ بنفسه أول عملية اغتيال ضد محافظ جفنة دوريبا. وفي ١٩٧٦ غيّر اسم المنظمة لتكون باسم منظمة نمور تحرير التاميل. لا يعتبر الدين عنصرا مهما في فلسفته أو أيديولوجيته، ولكن المنظمة تعتبر من المنظمات المعارضة للبوذية. كما أنها لا تستشهد بأي نصوص دينية في كتاباتها أو أعمالها الدعائية بل تستند فقط على المفاهيم القومية وتعتبرها أساسا لتحقيق الدولة التاميلية المستقلة. كما أنهم لا يحرقون موتاهم كما يفعل الهندوس بل يدفنوهم. وقد أسمى ابنه تشارلز أنطوني على اسم أحد أخلص أصدقائه الذي قتل في ١٩٨٣. متزوج من السيدة ماثيفاثاني إيرامبو وله منه ولدان وبنت. ولا يعرف محل إقامتهم ويعتقد أنهم خارج سريلانكا. وهو متخرج من الدراسة الثانوية. ويعاني من مرض السكري وضغط الدم والجلطة الدماغية. وهو مطلوب من قبل الأنتربول الدولي لارتكابه جرائم الإرهاب والقتل والجريمة المنظمة والتآمر.

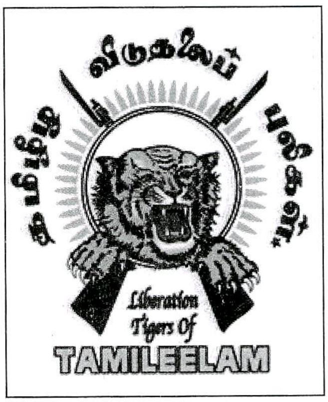
وفي ١٨ مايس ٢٠٠٩ أعلنت الحكومة السريلانكية مقتل برباكاران ومساعديه سوساي وبوتو أمان وتحرير آخر شبر من الاراضي السريلانكية من قبضة حركة نمور التاميل التي ظلت تقاتل طيلة ثلاثة عقود.



فيلوبيلاي براباكاران زعيم منظمة نمور التاميل

في البداية كانت هناك الكثير من المجاميع التاميلية المسلحة عدا منظمة نمور التاميل. ولكن رأي المنظمة هو أنه يجب أن تكون هناك منظمة واحدة فقط تقود الصراع التاميلي- السنهالي، كما هو الحال مع منظمة التحرير الفلسطينية. وقد استطاعت المنظمة أن تفرض سيطرتها على المجاميع الأخرى بسبب هجماتها التدميرية الواسعة مثل مذبحة المدنيين في قريتي كنت ودولار الزراعيتين في ١٩٨٤ التي راح ضحيتها ٦٢ مدنيا سنهاليا ومذبحة أنورادابور في ١٩٨٥ والتي راح ضحيتها ١٤٦ مدني سنهالي. ولم تستثن المذبحتان النساء أو الأطفال. وقد ردت القوات الحكومية على المذبحة الأخيرة بارتكابها لمذبحة قارب كومويديني التي راح ضحيتها أكثر من ٢٣ مدني تاميلي. وبمرور الوقت تمكنت منظمة نمور التاميل من القضاء على جميع المجاميع التاميلية المسلحة الأخرى. ونتيجة ذلك، انشقت العديد من هذه المجاميع وأخذت تعمل مع الحكومة السريلانكية كقوات شبه عسكرية أو أنها نبذت العنف وانتهجت الطريق السياسي بالانضمام إلى الأحزاب التاميلية الشرعية، وجميعها تعارض وجهة نظر منظمة نمور تحرير التاميل بإقامة دولة مستقلة لهم.

وفي ١٩٨٥، دخل الطرفان في مفاوضات سلام في مدينة ثيمبو لكن المفاوضات تعثرت واستؤنفت الحرب. وفي ١٩٨٦ قتل الكثير من المدنيين من الجانبين نتيجة الصراع. وفي ١٩٨٧ تمكنت القوات الحكومية من دفع مقاتلي منظمة نمور التاميل وحصرهم في مدينة جفنة الشمالية. وفي نيسان/ أبريل ١٩٨٧، اشتد القتال بعنف أكثر حيث شن الطرفان سلسلة من العمليات الدموية ضد الطرف الآخر.



علم حركة نمور تحرير تاميل عيلام

وخلال مايس/ مايو- حزيران/ يونيو ١٩٨٧، شن الجيش السريلانكي هجوما واسعا أطلق عليه اسم عملية التحرير من أجل استعادة السيطرة على شبه جزيرة جفنة من قوات منظمة نمور التاميل. ويعتبر هذا الهجوم هو أول هجوم في حرب تقليدية للجيش السريلانكي منذ الاستقلال.نجحت العملية وفر براباكاران زعيم المنظمة وسوساي قائد بحريتها أمام القوات المتقدمة نحو فالفيتيشوراي.

وفي تموز/ يوليو ١٩٨٧، شنت المنظمة أول هجوم انتحاري لها. حيث قاد النقيب ميلر أحد عناصر نمور التاميل شاحنة صغيرة محملة بالمتفجرات عبر سور ثكنة عسكرية سريلانكية وقتل أربعين جنديا. ومنذ ذلك الوقت شنت أكثر من ١٧٠ هجوم انتحاري، وأصبحت بذلك وحتى عام ٢٠٠٤ عندما تفوقت عليها

المنظمات والميليشيات المسلحة في العراق، المنظمة الأولى في العالم في استخدام مثل هذا الأسلوب. وأصبح الهجوم الانتحاري علامة مميزة لمنظمة نمور تحرير التاميل وسمة للحرب الأهلية السريلانكية.

نفذت المنظمة الآلاف من عمليات الاغتيال منها عملية اغتيال الدكتورة راجيني ثيراناجاما Rajini Thiranagama في ٢١ أيلول ١٩٨٩ بسبب انتقادها لها لارتكابها الفظائع. وكانت رئيسة قسم التشريح في كلية طب جامعة جفنة وناشطة نسوية وفي مجال حقوق الإنسان. كما قتل الأب ماري باستين وجورج جياراجاسنجام وكلاهما ناشطان في مجال حقوق الإنسان. وقد قيل أن القوات الحكومية هي المسؤولة عن مقتلهما. وهؤلاء هم جزء من آلاف الضحايا التي فقدت حياتها في تلك الفترة.

بدأت الهند تتدخل في الصراع منذ الثمانينيات لعدة أسباب منها رغبة قادتها لإبراز الهند كقوة إقليمية في المنطقة والخشية من أن يطالب التاميل الهنود بالاستقلال عن الهند. وهذه النزعة رائجة في ولاية تاميل نادوا الهندية حيث يدعم سكانها بشدة أبناء عمومتهم تاميل سريلانكا لتحقيق استقلالهم عن الدولة الأخيرة. وطيلة النزاع كانت الحكومة الهندية المركزية وحكومات الولايات تدعم كلا طرفي النزاع بمختلف الطرق. ففي الثمانينيات قدمت الهند من خلال وكالة مخابراتها Research & Analysis Wing (RAW) الأسلحة والتدريب والدعم المالي إلى عدد من المجاميع التاميلية المسلحة في سريلانكا وبضمنها منظمة نمور تحرير التاميل ومنافستها منظمة تحرير التاميل عيلام TELO. ويعزى صعود منظمة نمور التاميل إلى الدعم القوي الذي تتلقاه من وكالة المخابرات الخارجية الهندية RAW. ويعتقد أن سبب دعم الحكومة لمختلف المجاميع المسلحة التاميلية هو لإبقاء حركة استقلال التاميل مجزأة ومنقسمة وبهذا تتمكن من السيطرة عليها[1].

(1) Balasingham, Anton, War and Peace: Armed Struggle and Peace Efforts of Liberation Tigers, Fairmax Publishing Ltd, 2004.

وفي أواخر الثمانينيات تدخلت الهند بفاعلية أكبر، وفي ٥ حزيران/ يونيو ١٩٨٧، أسقطت القوات الجوية الهندية من الجو مواد غذائية إلى جفنة بينما كانت محاصرة من القوات السريلانكية. ففي الوقت الذي أعلنت فيه الحكومة السريلانكية أنها على وشك هزيمة منظمة نمور التاميل، أسقطت الهند ٢٥ طنا من المواد الغذائية والطبية باستخدام المظلات في المناطق التي تسيطر عليها المنظمة في حركة دعم مباشرة للمتمردين. عقدت مفاوضات بين الجانبين الهندي والسريلانكي وتم توقيع اتفاقية السلام الهندية السريلانكية في ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٨٧ ووقعها عن الجانب الهندي رئيس الوزراء راجيف غاندي وعن الجانب السريلانكي الرئيس جيواردين. قدمت الحكومة السريلانكية بموجب هذه الاتفاقية عددا من التنازلات لصالح التاميل بضمنها التنازل عن السلطة في الولايات ودمج الولايات الشمالية والشرقية بولاية واحدة بعد إجراء الاستفتاء والاعتراف باللغة التاميلية لغة رسمية. وجرى هذا بالتعديل الثالث عشر للدستور السريلانكي. ووافقت الهند على إقرار النظام في الشمال والشرق بواسطة قوة حفظ السلام الهندية IPKF والتوقف عن مساعدة المتمردين التاميل. وقد قبلت المجاميع المسلحة التاميلية بضمنها نمور التاميل تسليم أسلحتها إلى قوة حفظ السلام، رغم إن موافقتها كانت على مضض في البداية.

كانت الحكومة السريلانكية حينها تواجه انتفاضة ماركسية في الجنوب يقودها جاناثا فيموكتي بيرامونا، لهذا استدعت الجيش الهندي بعد توقيع الاتفاقية مباشرة. فتشكلت قوة حفظ السلام الهندية وبدأت باتخاذ إجراءات وقف إطلاق النار ونزع أسلحة المجاميع المسلحة. سحبت الحكومة السريلانكية قواتها وأرسلتها إلى الجنوب وقمعت تمرد جاناثا وسيطرت قوات حفظ السلام على معظم المناطق في شمال البلاد.

وفي الوقت الذي وضعت فيه جميع المجاميع المسلحة أسلحتها جانبا ووافقت على الحل السلمي للنزاع، رفضت منظمة نمور التاميل نزع أسلحة مقاتليها. ونتيجة

لرغبة الهند في ضمان نجاح الاتفاق، حاولت قوة حفظ السلام الهندية حل منظمة نمور التاميل بالقوة وانتهى ذلك بنزاع شامل معهم. تميزت السنوات الثلاث منه باتهام العديد من مجموعات حقوق الإنسان إضافة إلى وسائل الأعلام الهندية لقوة حفظ السلام بارتكاب انتهاكات عديدة لحقوق الإنسان. كذلك واجهت هذه القوة مقاومـة عنيدة من التاميل. وبنفس الوقت، قادت المشـاعر القومية للكثير من السنهاليين إلى مقـاومة الوجـود الهندي في سريلانكا. وبالنتيجـة ، دعت الحكومة السريلانكية الهند إلى سحب قواتها من البلاد، ويقال أنها عقدت صفقة سرية مع نمـور التاميل تـمخضت عن وقف لإطلاق النار بين الطـرفين. استمرت الأعمال القتالية بين نمـور التاميل وقوة حفظ السلام، وتقول بعض التقارير أن الحكومة السريلانكية قامت بتسليح بعض المتمردين من أجل تحقيق هزيمة القوات الهندية. ورغم ارتفاع حصيلة الإصابات بين صفوف قوة حفظ السلام ودعوات طرفي الصراع في سريلانكا (الحكومة ونمور التاميل) بسحبها من البلاد، إلا إن راجيف غاندي رئيس الوزراء الهندي ١٩٤٤-١٩٩١ رفض ذلك. وبعد هزيمة الأخير في انتخابات ك١/ ديسمبر ١٩٨٩، أمر رئيس الوزراء الهندي الجديد فشواناث براتاب سنج Vishwanath Pratap Sing بسحبها، وغادرت آخر سفينة لهم سريلانكا في ٢٤ آذار/ مارس ١٩٩٠. كانت حصيلة وجود قوة حفظ السلام الهندية في سريلانكا والذي استمر ٣٢ شهرا ١١٠٠ قتيل من الجنود الهنود وأكثر من ٥٠٠٠ سريلانكي. وتقدر تكاليف هذه العملية بأكثر من ٢٠ مليار ربية[1].

وفي ٢١ مايس/ مايو ١٩٩١، نفذت انتحارية من نمور التاميل تدعى ثينمولي راجاراتنام Thenmuli Rajaratnam عملية انتحارية ضد رئيس الوزراء الهندي

(1) Balasingham, Adele, The Will to Freedom- an Inside View of Tamil Resistance, Fairmax Publishing Ltd, 2nd ed. 2003.

الأسبق راجيف غاندي في مدينة سرايبرمبودور Sriperumbudur التي تبعد ٣٠ ميلا عن مدينة شيناي Chennai عاصمة ولاية تاميل نادو جنوب الهند. قتل في العملية ١٨ شخصا إضافة إلى غاندي. وبعد هذه العملية إنخفض الدعم لمنظمة نمور التاميل بشكل كبير في الهند. واتهمت وسائل الأعلام الهندية براباكاران Prabhakaran زعيم المنظمة بكونه يقف وراء العملية لأنه أراد إبعاد غاندي عن مسرح السياسة اعتقادا منه أن غاندي يقف ضد كفاح تحرير التاميل ويخشى أن يعيد نشر قوة حفظ السلام الهندية التي يسميها القوة الشيطانية في حال فوزه بانتخابات ١٩٩١. وفي ١٩٩٨ وجدت المحكمة الهندية المسؤولة عن النظر بالحادث والتي رأسها القاضي نافينيتام أن منظمة نمور تحرير التاميل وزعيمها فيلوبيلاي براباكاران مسؤولان عن عملية الاغتيال. وفي مقابلة مع أنتون بالاسنجام منظر الحركة في ٢٠٠٦، أعرب عن أسفه للاغتيال رغم إنه أعلن صراحة تأييده لمسؤولية الحركة عنه.

ظلت الهند تراقب من بعيد عملية السلام الجارية حينها مع مطالب متكررة من الكثير من الجماعات بتسليم براباكاران لمحاكمته.

وفي الثمانينيات والتسعينيات أصدرت الحكومات المتعاقبة في سريلانكا سلسلة من القوانين الهادفة لاسترضاء شعب التاميل فيها بما في ذلك الاعتراف باللغة التاميلية كلغة رسمية في البلاد ودمج الولايات الشمالية والشرقية بولاية واحدة. مع ذلك استمر العنف واستولت منظمة نمور التاميل على أجزاء مهمة من شمال البلاد بعد انسحاب قوة حفظ السلام الهندية وأسست ما يشبه الحكومة في تلك الأراضي. وفي ١٩٩٠ عقد اتفاق لوقف إطلاق النار لأن المنظمة كانت منشغلة بقتال خصومها المنافسين من التاميل بينما انشغلت الحكومة بقمع انتفاضة جاناتا الماركسية. وبعد إن وطدا قواعدهما، استأنف الطرفان قتالهما، حيث شنت الحكومة هجوما واسعا لاستعادة السيطرة على جفنة.

سميت هذه المرحلة بحرب عيلام الثانية وتميزت بوحشية غير مسبوقة. فقتلت منظمة نمور التاميل ١١٣ رجل شرطة من السنهال والمسلمين بعد استسلامهم وتلقيهم تطمينات بحسن معاملتهم. وفرضت الحكومة حظرا على توريد الغذاء والدواء إلى شبه جزيرة جفنة وقامت القوات الجوية بقصف مواقع المنظمة في المنطقة. وردت الأخيرة بمهاجمة القرى السنهالية والمسلمة وذبح المدنيين فيها. وأكبر مذبحة ارتكبتها المنظمة خلال تلك الفترة قيامها بقتل ١٦٦ مدني مسلم في قرية بالياجوادالله. وكان من بينهم الكثير من النساء والأطفال. واشترك في هذه العملية من جانب منظمة نمور التاميل الكثير من النساء والأطفال المقاتلين في صفوفها. قامت الحكومة بتدريب وتسليح وحدات من المسلمين أسمتها الحرس المحلي المسلم وقاموا بالثأر لقتلاهم من القرى التاميلية. وحصلت أيضا مذبحة كبرى للمدنيين التاميل ونسبت إلى القوات الحكومية في الولاية الشرقية. وأصبحت الجثث المحترقة على جانبي الطرق في شمال وشرق البلاد منظرا مألوفا. وانتشرت فرق الموت الحكومية في طول وعرض البلاد وأخذت تختطف وتقتل كل شاب سنهالي أو تاميلي مشكوك بأنه يتعاطف مع انتفاضة جاناثا أو مع منظمة نمور التاميل. وفي ت١/ أكتوبر ١٩٩٠ هجرت المنظمة جميع المسلمين المقيمين في جفنة. وأجبر ٢٨.٠٠٠ مسلم على ترك منازلهم دون أن يأخذوا شيئا غير ملابسهم التي يلبسونها.

حصلت أكبر معركة خلال هذه الفترة في تموز/ يوليو ١٩٩١، عندما حاصر ٥.٠٠٠ مقاتل تابع لمنظمة نمور التاميل قاعدة إليفانت باس العسكرية التي تسيطر على الطريق المؤدي إلى شبه جزيرة جفنة. قتل أكثر من ٢.٠٠٠ من كلا الطرفين خلال الحصار الذي استمر لشهر وذلك قبل أن تصل النجدة الحكومية لفك الحصار عن القاعدة.

وفي شباط ١٩٩٢، فشلت عدة هجمات حكومية للسيطرة على جفنة. وتمكنت المنظمة من قتل اثنين من كبار قادة الجيش السريلانكي عن طريق لغم أرضي وهذا ما أثر كثيرا على معنويات الجيش.

وفي ١ مايس/ مايو ١٩٩٣، حققت منظمة نمور التاميل واحدا من أكبر انتصاراتها عندما استطاع مقاتل انتحاري منها أن يفجر نفسه ويقتل الرئيس السريلانكي راناسنج بريماداسا.

وفي ١٩٩٤ مني الحزب الوطني المتحد السريلانكي بهزيمة في الانتخابات النيابية التي جرت في ذلك العام واستلم السلطة حزب تحالف الشعب الذي ترأسه شاندرايكا كوماراتونجا. وفي نفس السنة أيضا اغتالت المنظمة زعيم المعارضة جاميني ديساناياك. وفي ظل هذه الأجواء عقد اتفاق وقف إطلاق النار في ك٢/ يناير ١٩٩٥ ولكن لم تثمر المفاوضات التي جرت بعده عن شيء. وفي ١٩ نيسان/ أبريل، انتهكت المنظمة اتفاق وقف إطلاق النار وبدأت ما تسمى بحرب عيلام الثالثة(١).

انتهجت الحكومة الجديدة سياسة الحرب من أجل السلام. فحشدت القوات في شبه جزيرة جفنة بهدف السيطرة على معقل المنظمة الرئيس في جفنة التي يحتلها ٢.٠٠٠ متمرد. عزلت القوات الحكومية شبه الجزيرة عن باقي البلاد وبعد سبعة أسابيع من القتال العنيف، تمكنت من إحلال السيطرة الحكومية على جفنة لأول مرة منذ عقد من الزمن. وترفع العلم السريلانكي على قلعة جفنة في ٥ ك١/ ديسمبر ١٩٩٥. تقدر الحكومة أن ٢.٥٠٠ جندي ومتمرد قد قتلوا خلال الهجوم وجرح حوالي ٧.٠٠٠ آخرين. وقتل أيضا الكثير من المدنيين منهم أكثر من ١٢٥ مدني خلال قصف كنيسة نيفالي. وفرَّ أكثر من ٣٥٠.٠٠٠ مدني مع عناصر المنظمة إلى منطقة فاني وسط البلاد. عاد معظمهم في السنة التالية إلى جفنة.

(1) Pretap, Anita, Island of Blood: Fortline Reports From Sri Lanka, Afghanistan, and Other South Asian Flashpoints, Penguin Books, 2001.

وفي آب/ أغسطس ١٩٩٦، شنت الحكومة هجوما آخرا. وفرَّ أيضا خلاله ٢٠٠.٠٠٠ من المدنيين. وتمت استعادة مدينة كيلينوتشي في ٢٩ أيلول. وفي ١٣ مايس حاولت الحكومة فتح طريق للمؤن والتجهيزات عبر منطقة فاني التي تسيطر عليها المنظمة ولم تفلح. وكان المدنيون ضحية أعمال القتل والإصابة من كلا الجانبين.

وبينما كان العنف دائرا في شمال البلاد، كانت المنظمة ترسل انتحارييها وتزرع عبواتها الناسفة في جميع المناطق المزدحمة بالسكان ومحطات النقل العام في جنوب البلاد مما أدى إلى مقتل الآلاف من المدنيين. وفي ك٢/ يناير ١٩٩٦، نفذت المنظمة واحدة من أشنع هجماتها الانتحارية وأكثر دموية عندما فجرت البنك المركزي في كولومبو وقتلت ٩٠ شخصا وجرحت ١.٤٠٠ آخرين. وفي ت١/ أكتوبر ١٩٩٧، فجروا مركز التجارة العالمي السريلانكي.وفي ك٢/ يناير ١٩٩٨، فجروا بشاحنة مفخخة معبد السن في مدينة كاندي وهو أحد أقدس المراقد الدينية البوذية في العالم. وردا على هذا التفجير، حظرت الحكومة السريلانكية قانونيا، منظمة نمور التاميل وضغطت على باقي دول العالم للحذو حذوها، وهذا ما أثر بشكل جدي على نشاطات الحركة في جمع الأموال.

وفي آذار/ مارس ١٩٩٩، حاولت الحكومة غزو فاني من الجنوب، وبعد تحقيق بعض الانتصارات الجزئية لم تتمكن من إزاحة المنظمة من المنطقة. وفي أيلول ١٩٩، قتلت الأخيرة في غارة ليلية ٥٠ مواطنا مدنيا سنهاليا في قرية جوناجالا. وقد وجدت جثث الأطفال غارقة بدمائها في أسرتهم حيث قتلوا وهم نيام.

وفي ٢ ت٢/ نوفمبر ١٩٩٩ عادت المنظمة إلى الهجوم وسرعان ما سقطت منطقة فاني بأسرها بأيديهم. وشنت ١٧ هجوما ناجحا وسيطرت على قاعدتين عسكريتين للحكومة. قتل الآلاف خلال هذا القتال. ثم تقدموا نحو قاعدة إليفانت باس وجفنة.

ونجحت المنظمة في قطع جميع طرق الإمداد للقوات المسلحة السريلانكية في مدينة كيلينوتشي وضواحيها. وفي ك١ ١٩٩٩ حاولت اغتيال الرئيسة كوماراتونجا بهجوم انتحاري خلال لقائه بجمهور الناخبين قبيل الانتخابات. فقدت الرئيسة إحدى عينيها لكنها تمكنت من هزيمة زعيم المعارضة رانيل ويكريميسنج وأعيد انتخابها للمرة الثانية.

وفي ٢٢ نيسان/ أبريل ٢٠٠٠ سقطت شبه جزيرة جفنة بأيدي المنظمة. حاول الجيش استعادة الجزء الجنوبي منها لكنه عانى من خسائر فادحة. واستمرت المنظمة في محاولاتها للسيطرة على عاصمة شبه الجزيرة لكن الجيش استطاع صدها وحافظ على سيطرته عليها.

وفي أواسط عام ٢٠٠٠ قدرت مجموعات حقوق الإنسان أن هناك أكثر من مليون مهجر في سريلانكا ويكافح من أجل البقاء. ونتيجة ذلك، نشأت حركة سلام واسعة وبذلت جهود حثيثة لتقريب وجهات النظر بين الطرفين على جميع المستويات. وفي شباط ٢٠٠٠ طُلب من النرويج التوسط بينهما والبدء بتحركات دبلوماسية لإيجاد تسوية سلمية للنزاع(١).

كسبت الآمال بالسلام أرضية لها عندما أعلنت منظمة نمور التاميل كانون الأول ٢٠٠٠ من جانب واحد وقفا لإطلاق النار، لكنها عادت وألغته في ٢٤ نيسان ٢٠٠١ وشنت هجوما آخرا ضد الحكومة. وبعد استيلائها على منطقة شاسعة كان الجيش يسيطر عليها، تقدمت شمالا أكثر. وقد شكل تقدمها هذا تهديدا خطيرا لقاعدة إليفانت باس التي تضم حوالي ١٧.٠٠٠ جنديا من القوات الحكومية.

(1) Human Rights Watch, Sri Lanka: New Killings Threaten Ceasefire, July 26, 2004
http://www.hrw.org/en/news/2004/07/26/sri-lanka-new-killings-threaten-ceasefire

وفي تموز ٢٠٠١، نفذت المنظمة هجوما انتحاريا مدمرا على مطار باندارانايكا الدولي ودمرت ثمان طائرات تابعة لسلاح الجو السريلانكي وأربع طائرات تابعة للخطوط الجوية السريلانكية، فأوهنت الاقتصاد ودمرت السياحة التي تعتبر إحدى المصادر الأساسية للحصول على العملة الصعبة للحكومة.

وفي نهاية ٢٠٠١ وبعد هجمات ٩/١١ بدأت المنظمة تعلن عن رغبتها في البحث عن سبل لأجراء تسوية سلمية للنزاع. وجاء ذلك بسبب خشيتها من الضغط الدولي ونتيجة الدعم الأمريكي للحكومة السريلانكية كجزء من الحرب ضد الإرهاب. وفي الجنوب، كانت الحكومة تواجه نقدا متزايدا بسبب ستراتيجيتها "الحرب من أجل السلام"، بينما لا يلوح أي سلام في الأفق والاقتصاد في حالة متدهورة. وبعد سحب البرلمان للثقة بالرئيس كوماراتونجا، اضطر الأخير لحله والدعوة لأجراء انتخابات جديدة. حقق رانيل ويكريماسنج زعيم الجبهة الوطنية المتحدة نصرا كاسحا في انتخابات ٥ ك١ ٢٠٠١. وكان قد وعد في حملته الانتخابية بإحلال السلام وإيجاد تسوية مرضية للنزاع.

وفي ١٩ ك١، وبعد الجهود النرويجية لإقناع الحكومة ونمور التاميل بالجلوس على مائدة المفاوضات، أعلنت المنظمة وقفا لإطلاق النار لمدة شهر وطلبت إيقاف جميع العمليات العسكرية ضد القوات الحكومية. رحبت الحكومة الجديدة بالخطوة وأعلنت أيضا وقفا لإطلاق النار لمدة شهر ورفعت الحظر الاقتصادي المفروض على مناطق المتمردين.

وفي ٢٢ شباط ٢٠٠٢ تم توقيع اتفاقية وقف دائم لإطلاق النار وتعيين النرويج وسيطا بين الطرفين وتشكيل لجنة من الخبراء من الدول الأسكندنافية لمراقبة تنفيذ

الاتفاقية. وفي آب رفعت الحكومة الحظر على المنظمة ومهدت الطريق للمفاوضات المباشرة معها[1].

وبعدها بدأت رحلات الطيران تتجه إلى جفنة وفتحت المنظمة الطريق السريع الذي يربط المناطق التي تسيطر عليها الحكومة في الجنوب مع جفنة عبر الأراضي التي تسيطر عليها المنظمة وأخذت وسائل النقل المدنية تمر في منطقة فاني لأول مرة منذ سنوات بعيدة ولكن شريطة دفع رسوم معينة للمنظمة. وعرضت الكثير من الدول الدعم المالي لسريلانكا فيما لو تحقق السلام، وازداد التفاؤل بوضع نهاية لهذا النزاع الطويل.

وفي ١٦ أيلول بدأت مفاوضات السلام في مدينة بوكيت بتايلاند تلتها خمس جولات أخرى في النرويج وبرلين بألمانيا. وافق الطرفان خلال المحادثات على مبدأ الحل الفيدرالي وتخلى النمور عن مطلبهم القديم بقيام دولة مستقلة لهم. ويعتبر هذا تنازلا كبيرا من المنظمة التي ظلت دائما تنادي بالدولة التاميلية المستقلة، وتنازلت الحكومة أيضا عن موقفها السابق الذي لا يسمح إلا بإعطاء سلطات اسمية صورية للأقاليم. وتبادل الطرفان لأول مرة أسرى الحرب.

بعد انتخابات ٢٠٠١، حصل تغير في الوضع السياسي السريلانكي، فأصبحت الرئيسة ورئيس الوزراء من حزبين مختلفين. ولم يكن هذا الحكم المشترك بالأمر السهل، خاصة وإن رئيس الوزراء وحزبه الوطني المتحد يفضل الحل الفيدرالي للنزاع، بينما لا تثق العناصر المتشددة في حزب الرئيسة كوماراتونجا وبعض المجاميع القومية السنهالية المتحالفة ضد معارضيها بمنظمة نمور التاميل التي استمرت في جباية الضرائب من الناس وأخذت تقوي نفسها عسكريا بتهريب المزيد من الأسلحة

(1) Samuel M. Katz, At Any Cost: National Liberation Terrorism, Twenty-first Century Books, 2004.

والأعتدة وتجنيد المقاتلين الأطفال والاستمرار بقتل أعضاء الجماعات التاميلية الأخرى المنافسة لها وعناصر الاستخبارات الحكومية. وأقامت المنظمة في هذا الوقت أيضا العديد من القواعد العسكرية حول ميناء ترينكومالي وفي الولاية الشرقية.

وفي ٢١ نيسان ٢٠٠٣، توقفت المحادثات عندما أعلنت المنظمة تعليقها لها بسبب عدم ارتياحها لطريقة معالجة بعض القضايا الحيوية. ومن بين الأسباب التي طرحتها المنظمة لتعليق المفاوضات هي استبعادها من محادثات إعادة الأعمار الجارية في واشنطن دي سي في ١٤ نيسان، وبشكل خاص عدم استلامهم لكامل المكافآت الاقتصادية للسلام. ومن الأسباب الأخرى عدم تحقق انسحاب عسكري حكومي على الأرض واستمرار العنف في المناطق التي تسيطر عليها المنظمة. مع ذلك أعلنت التزامها بالتسوية السلمية، لكنها قالت بأنه يجب أن يتحقق التقدم أولا على الأرض وبعدها تتم إجراء التسوية النهائية للنزاع.

وفي ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر أصدرت المنظمة مشروع السلام الذي تراه مناسبا ودعت فيه إلى إقامة سلطة حكم ذاتي مؤقتة. وتكون المنظمة هي التي تدير هذه السلطة على أن تتمتع بصلاحيات واسعة في مناطق الشمال والشرق. سبب ذلك ردة فعل قوية من قبل العناصر المتشددة في الجنوب واتهمت رئيس الوزراء ويكريماسنج بتسليم المناطق الشمالية والشرقية من البلاد إلى منظمة نمور التاميل. واستجابة لضغوط من داخل حزبها، أعلنت الرئيسة كوماراتونجا حالة الطوارئ في البلاد وتولت مهام ثلاث وزارات رئيسة فيها هي وزارة الأعلام والداخلية والدفاع. ثم أسست تحالفا مع جماعة جاناثا الماركسية سمي تحالف حرية الشعب المتحد لمقاومة مشروع المنظمة واتخاذ موقف أكثر تشددا معها ودعت أيضا إلى إجراء انتخابات جديدة . أسفرت الانتخابات عن فوز تحالف حرية الشعب وتعيين ماهيندا راجاباكس رئيسا للوزراء.

أعلنت الحكومة الجديدة عن رغبتها باستمرار عملية السلام وإيجاد تسوية نهائية للنزاع.

حصل في هذا الوقت انقسام كبير داخل منظمة نمور التاميل بين الجناحين الشرقي والشمالي منها. فقد أعلن العقيد كارونا قائد الجناح الشرقي وأحد أقرب مساعدي براباكارانا انفصاله عن المنظمة وسحب معه ٥٠٠٠ مقاتلا، مدعيا أن الجناح الشرقي لا يتلقى الدعم والنفوذ الموازي للجناح الشمالي. كانت أكبر عملية انشقاق في تأريخ المنظمة وبدا أن حربا أهلية أخرى داخل المنظمة على وشك الوقوع. وبعد الانتخابات البرلمانية، نشب قتال قصير بينهما انتهى بهزيمة سريعة لكارونا واستسلام مجموعته، بينما اختفى قادتهم بينهم كارونا نفسه حيث ساعده سيد علي زاهر مولانا وهو سياسي متنفذ من الحزب الحاكم على الهرب. مع ذلك ظل جناح كارونا يتمتع بتأييد وحضور كبير داخل المنطقة الشرقية وأخذ يشن الهجمات ضد منظمة نمور التاميل. اتهمت الأخيرة الجيش بأنه يؤيد سرا المجموعة المنشقة. أسست الأخيرة لها حزبا سياسيا باسم نمور تحرير شعب التاميل TMVP.

استمر وقف إطلاق النار وسط هذه الفوضى وانشقت الكثير من المجاميع عن المنظمة وفر أيضا حوالي ٣٠٠ جندي من الجيش السريلانكي كما تذكر لجنة المراقبة. ثم أصبح الوضع أكثر تعقيدا باتهام الطرفين لأحدهما الآخر بشن عمليات سرية ضد بعضهما. وتدعي الحكومة أن المنظمة تقتل معارضيها السياسيين وتجند الأطفال وتستورد الأسلحة وتقتل ضباط الأمن والمخابرات الحكوميين. بينما يتهم المتمردون الحكومة بدعم المجاميع شبه العسكرية الأخرى المناوئة لهم خاصة جماعة كارونا.

في ٢٦ ك١/ ديسمبر ٢٠٠٤ ضربت الهزة الأرضية في المحيط الهندي (تسونامي) سريلانكا وقتلت أكثر من ٣٠.٠٠٠ إنسان وشردت أكثر من هذا العدد.

أخذت المساعدات تتدفق على البلاد من الدول المانحة ولكن سرعان ما نشبت الخلافات حول كيفية توزيعها على المناطق التي تسيطر عليها منظمة نمور التاميل. وفي ٢٤ حزيران اتفقت الحكومة والمنظمة على تشكيل هيئة عرفت باسم هيئة إدارة العمليات لما بعد تسونامي P-TOMS لكنها تعرضت لنقد شديد من جانب المسلمين وجماعة جاناثا اللذين انسحبا من الحكومة احتجاجا على ذلك. كما أقيمت دعاوى قضائية ضد الهيئة. وفي الآخر، اضطرت الرئيسة كوماراتونجا إلى حلها مما أدى إلى تصاعد الانتقادات من جانب المناطق الشرقية والشمالية بأنه لم تصلهم إعانات كافية. مع ذلك، لوحظ انخفاض في العنف في الشمال في أعقاب تسونامي.

وفي ١٢ آب/ أغسطس ٢٠٠٥، اغتيل وزير الخارجية السريلانكي لاكشمان كادرجامار على يد قناص من منظمة نمور التاميل، وهو شخصية تحظى باحترام كبير وسط الدبلوماسيين الأجانب ومنتقد بشدة للمنظمة. أدى اغتياله إلى عزل الأخيرة عن المجتمع الدولي وفقدت تعاطف الدول الأخرى لها.

ثم حصل تطور سياسي آخر هو إعلان المحكمة العليا في سريلانكا انتهاء ولاية الرئيسة كوماراتونجا وطلبت منها إجراء انتخابات رئاسية جديدة. أبرز المرشحين في هذه الانتخابات هو رئيس الوزراء السابق رانيل ويكريماسنج الذي يؤيد إعادة المفاوضات مع المنظمة ورئيس الوزراء راجاباكسا الذي يتبنى خطا متشددا ضدها وإعادة النظر في اتفاق وقف إطلاق النار. دعت المنظمة علنا التاميل لمقاطعة الانتخابات. ونتيجة لاقتناعها بأن التاميل سيشاركون بالانتخابات بأعداد كبيرة، استخدمت المنظمة العنف والترويع ضدهم لمنعهم من المشاركة بالانتخابات. كان يؤمل أن يصوت هؤلاء لصالح ويكريماسنج، لكن خسارته لأصواتهم أدى إلى هزيمته بالانتخابات وفوز راجاباكس بفارق ضئيل. ورغم مواقف الأخير المتشددة، لكنه وعد بمواصلة محادثات السلام مع المتمردين.

وبعد الانتخابات مباشرة، أعلن زعيم منظمة نمور التاميل فيلوبيلاي براباكاران في خطابه السنوي أن النمور سيستأنفون قتالهم في ٢٠٠٦ إذا لم تتخذ الحكومة خطوات جدية نحو السلام.

وبعد يومين من هذا الخطاب، اندلعت موجة جديدة من أعمال العنف. فابتداء من ك١ ٢٠٠٥، ازداد نشاط حرب العصابات في شمال البلاد منها مقتل ١٥٠ جنديا حكوميا في هجمات بالعبوات الناسفة والألغام ، وحصول صدام بين البحرية السريلانكية ونمور البحر التابعين للمنظمة ومقتل مؤيدي الجانبين بضمنهم تاراكي سيفارام وهو صحفي مؤيد للمنظمة وجوزيف باراراجاسينجام وهو عضو برلمان مؤيد للمنظمة أيضا. قيل أن المنظمة هي التي دبرت قتلهما لكونهما قد غيرا موقفهما منها وبدءا التحدث ضدها.

وابتداء من ٢٠٠٨، أخذت الحرب تتجه نحو الأهداف المدنية حيث تم تفجير الكثير من سيارات وقطارات النقل في جميع أنحاء البلاد.

وفي ٢٠ نيسان ٢٠٠٦ انسحبت المنظمة من مفاوضات السلام، وأخذ العنف يتصاعد بين الطرفين. ففي ٢٣ نيسان قتلت المنظمة ستة فلاحي رز من السنهال وبعدها بيومين قتل اثنان من نمور التاميل وهما يحاولان زرع لغم أرضي. ثم شنت المنظمة هجوما انتحاريا على قافلة بحرية قتل فيه ١٨ بحارا. وردا على ذلك قتل ١٣ مدنيا تاميليا شمال سريلانكا. بعدها فجرت انتحارية حامل نفسها في مقر قيادة الجيش السريلانكي في محاولة لاغتيال قائد الجيش الجنرال ساراث فونسيكا. قتل في الحادث ١٠ أشخاص وجرح القائد وسبعة وعشرون آخرون. أدى هذا إلى تزايد الإدانة الدولية لأعمال المنظمة. شنت الحكومة بعدها سلسلة من الضربات الجوية على مواقع المنظمة.

دفعت هذه العملية مع عملية اغتيال لاكشمان كاديراجامار قبل سنة مع هجوم المنظمة على ناقلة بحرية تحمل ٧١٠ شخصا أعزلا، الاتحاد الأوربي إلى اعتبار منظمة نمور التاميل منظمة إرهابية وذلك في ١٩ مايس ٢٠٠٦. أدى هذا إلى تجميد أرصدة المنظمة في دول الاتحاد وإيقاف حملاتها لجمع الأموال لتمويل نشاطاتها في سريلانكا.

تلا ذلك سلسلة من المذابح والجرائم منها تفجير باص ومقتل ٦٤ مدني سنهالي على يد نمور التاميل ثم اغتيالهم نائب رئيس أركان الجيش السريلانكي بهجوم انتحاري قادته المنظمة وقطع المياه عن ١٥.٠٠٠ قروي في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة ومقتل ١٧ شخصا من منظمة إنسانية دولية تدعى العمل ضد الجوع في مدينة موتور.

وفي ٢ ك٢/ يناير ٢٠٠٨ أعلنت الحكومة السريلانكية رسميا انسحابها من اتفاقية وقف إطلاق النار، وشرعت بشن عدد من العمليات العسكرية ضد المنظمة لاستعادة السيطرة على المناطق التي تتمركز فيها. وتمكنت خلال ٢٠٠٨ من تحقيق مكاسب عسكرية مهمة منها الاستيلاء على مدينة أدامبان في ٩ مايس، وفي ٢ آب استولت القوات الحكومية على مدينة فيلانكولام بمقاطعة منار مما أدى إلى قطع الأمدادات القادمة من الهند إلى المنظمة. وفي ٢ أيلول استولت على مدينة مالافي. وفي ١٥ أيلول قال الناطق باسم الجيش السريلانكي أنهم على بعد ٥.٥ كم من عاصمة المتمردين كيلينوتشي التي تركها سكانها وأضحت مهجورة تماما. وفي ٢٩ ت١ سقطت مدينة ناشيكودا ثم مدينة مانكولام وألامبيل. وفي ٢٣ ت٢ ٢٠٠٨ صرح الناطق باسم الجيش أنهم بدأوا هجومهم على كيلينوتشي وأن القوات تحاصرها من ثلاث جهات. ولكن لم تسفر المعارك حتى الآن عن شيء عدا إصابات بالغة في صفوف الطرفين[1].

(1) Wilson, A. Jeyaratnam, Sri Lankan Tamil Nationalism, Its Origin and Developments in the Ninteeth and Twentieth Centuries, University of British Columbia Press, 2000.

وفي ١٦ مايس ٢٠٠٩، أعلن الرئيس السريلانكي ماهيندا راجاباكسا النصر العسكري على نمور التاميل بعد ٢٦ عاما من القتال[١]. وفي نفس اليوم ولأول مرة في تأريخ صراعهم مع الحكومة السريلانكية، عرض المتمردون إلقاء سلاحهم مقابل ضمان سلامتهم. وقال وزير حقوق الإنسان ومعالجة الكوارث ماهيندا ساماراسينج أن المرحلة العسكرية قد انتهت إلى الأبد. وبذلك تمت هزيمة منظمة نمور التاميل، وانتهت أكبر عملية لإنقاذ الرهائن في العالم. وتشير الأرقام أن عدد هؤلاء الرهائن لغاية ٢٠ أبريل ٢٠٠٩ هو ١٧٩.٠٠٠ رهينة[٢].

وفي ١٧ مايس ٢٠٠٩، اعترف الناطق الرسمي باسم المنظمة سلفاراسا باثماناثان بالهزيمة وقال في تصريح على النت: لقد وصلت هذه المعركة إلى نهاية مريرة. وقد انتحر العديد من مقاتلي الحركة عندما شعروا أنهم محاصرون ولا أمل لهم بالنجاة. وفي ١٨ مايس أعلم عن مقتل زعيم الحركة فيلوبيلاي برابهاكاران مع جماعة من كبار قادته. وتقول التقارير الحكومية أنه كان يستقل عجلة مدرعة مع عدد من نوابه ومساعديه واتجهوا صوب القوات السريلانكية المتقدمة. وبعد ساعتين من القتال، أصيبت العجلة بصاروخ مضاد للدروع وقتل جميع من في العجلة[٣].

---

(١) موقع محطة C.T.V Ca Toronto:

http://toronto.ctv.ca/servlet/an/local/CTVNews/20090516/srilanka_rebels_090516?hub=Toronto

(2) Steve Herman, Sri Lanka Rebels Concede Defeat, Voice of America, 17 May 2009.

http://www.voanews.com/english/index.cfm

(٣) موقع Denver Mile High Holidays

http://cbs4denver.com/national/sri.lanka.Tamil.2.1018033.html



بقايا جثة انتحاري من نمور التاميل

الدوافـــع :

تتبنى منظمة نمور تحرير التاميل العقيدة القومية التاميلية المرتبطة بالاشتراكية الثورية وخلق مجتمع يقوم على المساواة على حد تعبيرهم. وهدفها النهائي هو إقامة دولة مستقلة في إقليم التاميل عيلام بسريلانكا وتكون معترفا بها حسب ميثاق الأمم المتحدة الذي يضمن حق الشعوب في تقرير مصيرها. وهي تعتبر الكفاح المسلح السبيل الوحيد لخوض معركة غير متكافئة، لكون الحكومة السريلانكية تمتلك كل الأسلحة بينما يكون الطرف الآخر غير مسلح. وترى المنظمة أنها اختارت الوسائل العسكرية بعد أن لاحظت أن أسلوب اللاعنف عقيم وغير مجدي، خاصة بعد حادثة موت ثليبان. والأخير عقيد في الجيش اختار أسلوب المهاتما غاندي (اللاعنف) للاحتجاج ضد أعمال القتل التي تنفذها قوة حفظ السلام الهندية، حيث صام عن الطعام والشراب حتى الموت من تأريخ ١٥ أيلول ١٩٨٧ حتى ٢٦ أيلول، ومات

أمام ألوف التاميليين الذين قدموا للصيام معه. وهذا ما رسخ قناعة المنظمة بأن الاحتجاجات السلمية إما أن تقمع بالقوة أو تهمل ولا يسمع بها أحد.

تختلف منظمة نمور التاميل عن باقي المنظمات التي تستخدم التفجيرات الانتحارية كأسلوب للعمل العسكري. فهي تختلف عن حماس وحزب الله بكونها ليست منظمة دينية بل منظمة تستند على مبادئ القومية الشوفينية المتعصبة القائمة على الهوية الثقافية واللغوية، كما أنها أكثر ضبطا وتنظيما وتسيطر على مساحات واسعة من الأراضي وتجبي الضرائب وتدير المستشفيات والمدارس. وتختلف عن باقي الجماعات المشتركة في النزاع بأنها استطاعت أن تسيطر على الشعب التاميلي وأصبحت الممثل الوحيد لهم في شمال سريلانكا.

استخدمت المنظمة أسلوب التفجير الانتحاري لأول مرة في ٥ تموز في ١٩٨٧ عندما فجر أحد أعضائها هو النقيب ميلر نفسه وقتل ٤٠ جنديا سريلانكيا في معسكر نيليادي شمال سريلانكا. ومنذ ذلك التأريخ تستخدم المنظمة هذا الأسلوب في سعيها لتحقيق أهدافها. وهي تستخدمه في ثلاثة أغراض: القتال، والاغتيال، وضد الأهداف المدنية السنهالية. وأثبت هذا الأسلوب فاعليته لهم، فهم الجماعة الوحيدة التي استطاعت اغتيال اثنين من رؤساء الدول هما رئيس وزراء الهند راجيف غاندي في ١٩٩١ وبريماداسا رئيس سريلانكا في ١٩٩٣. ويعود الفضل في نجاحها باستخدام هذا الأسلوب هو الهيكل التنظيمي لها. فتقسم فرقها العسكرية إلى فرق متخصصة بضمنها فرقة تسمى النمور السود وهي تستخدم التفجيرات الانتحارية برا، وفرقة نمور البحر التي تستخدم التفجيرات الانتحارية في البحر. وكلا الوحدتين تعملان بسرية تامة. ويقول مسؤولو المنظمة أن التجنيد لفرقة النمور السود طوعيا. وعلى من يريد أن يلتحق بها أن يلتحق أولا بجيش المنظمة وبعد أن يخدم فترة ٥-٦ سنوات عليه أن يقدم طلبا بالانضمام إلى قيادة الفرقة. وإذا ما تم

قبوله، يتم إدخاله في دورة تدريبية مكثفة لمدة ستة أشهر ثم يعاد إلى وحدته السابقة. ويبقى أمره سرا على الجميع حتى يتم استدعاؤه لتنفيذ واجب معين. فيبقى المقاتل في وضع الخلية النائمة حتى يتم استدعاؤه لتنفيذ الواجب. وبعد التنفيذ يعامل كبطل من أبطال الحركة.

ومن تقاليد الحركة أن يحمل أعضاؤها في رقابهم قارورة تحوي سم السيانيد بهدف ابتلاعه فيها لو قبض عليهم، وهي علامة على التضحية والإصرار على تحقيق الأهداف. وكذلك أداؤهم لقسم الولاء الذي يتعهدون فيه بالعمل على تحقيق هدف المنظمة بإقامة دولة التاميل المستقلة. وقد ساهمت هذه الممارسات في زيادة التأييد الشعبي لهم في أوساط التاميل(١).

العمليات الانتحارية الأكثر دموية التي شنتها منظمة نمور تحرير التاميل:

١- تفجير البنك المركزي السريلانكي: ويعتبر واحدا من أكثر الهجمات الانتحارية دموية. حصل الحادث في ٣١ ك٢/ يناير ١٩٩٦ في مدينة كولومبو. فقد اقتحمت شاحنة تحمل ٤٤٠ رطلا من المواد شديدة الانفجار البوابة الرئيسة للبنك المركزي، وهو مبنى مرتفع يقع على الشاطئ وتدار منه معظم العمليات المالية للبلاد. وبينما كان رجال الحرس يتبادلون النار مع مسلحين، فجر الانتحاري الشاحنة المفخخة وأدى هذا إلى تدمير مبنى البنك بالكامل مع ثمان مبان مجاورة أخرى. تلا التفجير دخول سيارة بثلاث عجلات تحمل عنصرين من عناصر منظمة نمور التاميل وبأيديهم بنادق رشاشة أوتوماتيكية مع قاذفة آر. بي. جي.

قتل في الانفجار ٩١ شخصا وجرح ١.٤٠٠ آخرين. وفقد ١٠٠ شخص على الأقل بصرهم. وكان من بين القتلى اثنين من المواطنين الأمريكيين وستة يابانيين

(1) Schalk P. Historisation of the martial ideology of the Liberation Tigers of Tamil Ealam, South Asia: Journal of South Asian Studies, p. 35-72.

ومواطن هولندي. ومعظمهم كانوا من المارة أو المدنيين الذين يديرون محلات صغيرة بالقرب من البنك. مات الانتحاري في الحال وألقي القبض على العنصرين الآخرين بمساعدة الأهالي. وشنت القوات الأمنية حملة للقبض على المتورطين في الحادث. أسفرت التحقيقات أن الانتحاري والمجموعة المساعدة له هم من عناصر منظمة نمور التاميل.

وبعد الحادث مباشرة تلقت وكالات السفر والسياحة المحلية والأجنبية تحذيرات من قوة إيلالان Ellalan Force وهي منظمة واجهية لمنظمة نمور التاميل تدعوها لمقاطعة سريلانكا.

أدين أحد عشر شخصا ينتمون لهذه المنظمة بتهمة تفجير البنك المركزي، واتهم عشرة منهم بـ٧١٢ تهمة بضمنها التسبب بموت الأبرياء وجرائم القتل وتدمير الممتلكات الحكومية وتأجيج العنف. وفي ٢٠٠٢ أصدر القاضي ساراث أمبيبيتيا أمرا بالقبض على زعيم المنظمة براباكاران على خلفية ٥١ تهمة وحكم عليه بالسجن مائتي عام.

أدى الحادث إلى انخفاض السياحة في البلاد بنسبة ٤٠٪ ويعتبر من بين أكثر التفجيرات الانتحارية دموية(١).

٢- مذبحة هابارانا: حصلت بتاريخ ١٦ ت١/ أكتوبر ٢٠٠٦ عندما فجر انتحاري يقود عجلة مفخخة نفسه مع العجلة برتل عسكري مكون من ١٥ شاحنة تحمل أكثر من ٢٠٠ جندي بحار وربما ٣٤٠ وهم في طريقهم بأجازة إلى أسرهم في منطقة ديجامباثانا بالقرب من مدينة هابارانا.

(١) موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Central_Bank_bombing

قتل التفجير حوالي ٩٢-١٠٣ جندي وأكثر من ١٥٠ جريحا بضمنهم أكثر من ١٠٠ بحار. كما قتل أيضا عدد من المدنيين بضمنهم ثمانية عمال مع الجيش السريلانكي وجرح الكثير من المارة والبائعين على أرصفة الطرق. ويعتبر الحادث الأكثر دموية منذ تفجير البنك المركزي السريلانكي في ٣١ ك٢/ يناير ١٩٩٦ الذي قتل فيه ٩٠ شخصا وجرح ١٤٠ آخرين. وجاء في أعقاب المعركة الحامية في شبه جزيرة جفنة والتي خلفت ١٣٣ قتيلا من صفوف الجيش السريلانكي وحوالي ٢٠٠ من مقاتلي المنظمة. أعقبت هذا الهجوم حملة من الضربات الجوية الحكومية على المناطق الخاضعة للمنظمة، رغم أن الجيش قال أن هذه الضربات جاءت ردا على القصف المدفعي للمنظمة وليس التفجير الانتحاري[١].

٣- تفجير قطار دهيوالا: وحصل بتأريخ ٢٤ تموز/ يوليو ١٩٩٦. وأسفر عن مقتل ٦٤ مدني وجرح ٤٠٠ آخرين. نفذ العملية عناصر من منظمة نمور التاميل حيث وضعوا أربع حقائب مليئة بالمتفجرات بأربع عربات لقطار لنقل المسافرين. وقد سبب التفجير المتزامن لهذه القنابل حصول خسائر كبيرة في صفوف المسافرين. فلأول مرة تستخدم المنظمة التفجير المتزامن للقنابل. وفي ٢٥ تموز ١٩٩٦ أدانت وزارة الخارجية الأمريكية والاتحاد الأوربي تفجير محطة سكة حديد دهيوالا. وواصلت الحكومة الهندية حظرها لمنظمة نمور التاميل وإعتبرتها منظمة غير شرعية[٢].

العمليات الانتحارية النوعية للمنظمة:

١- عملية اغتيال الرئيس السريلانكي بريماداسا: تولى راناسينج بريماداسا ١٩٩٤-١٩٩٣ رئاسة سريلانكا في ٢ ك٢/ يناير ١٩٨٩، وقبلها كان رئيسا للوزراء من

(١) موقع University Teachers for Human Rights, Jaffna, Sri Lanka
http://www.uthr.org/BP/volume1/Chapter6.htm

(٢) موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Dehiwala_train_bombing

١٩٧٨ إلى ١٩٨٩. تم اغتياله في ١ مايس/ مايو ١٩٩٣ بواسطة شاحنة مفخخة يقودها انتحاري يدعى بابو تابع لمنظمة نمور التاميل أثناء احتفال بمناسبة يوم العمال العالمي. قتل في الحادث أيضا ١٩ شخصا آخر(١).

٢- عملية اغتيال راجيف غاندي رئيس الوزراء الهندي الأسبق: جرت العملية في ٢١ مايس/ مايو ١٩٩١ بقرية سيريبرنمبودر التي تبعد ٣٠ ميلا عن مدراس عاصمة ولاية تاميل نادو الهندية. ونفذتها الانتحارية ثنموزي راجاراتنام من منظمة نمور التاميل بتخطيط وتدبير من رئيس المنظمة براباكاران ورئيس استخباراته بوتو أمان.

وصل غاندي إلى مدينة شيناي قبل ساعتين ثم اتجه بموكب سيارات إلى القرية المذكورة. وكان يتوقف في الطريق في بعض المناطق الانتخابية. رافقه في رحلته صحفي أجنبي وأجرى مقابلة معه وهو في السيارة. وعندما وصل إلى المقر الانتخابي في قرية سرايبرمبودور، ترجل من السيارة وبدأ يتمشى باتجاه المنصة لإلقاء خطابه. وفي طريقه اليها، كان أنصاره من أطفال المدارس وأعضاء حزب المؤتمر يطوقونه بأكاليل الورد. وعند الساعة ١٠:١٠ مساءا، اقتربت منه الانتحارية ثنموزي وحيته. ثم انحنت لتلمس قدمه وبدلا من ذلك فجرت حزاما ناسفا معبئا بمادة RDX المتفجرة ومخفيا تحت ملابسها. قتل غاندي والعديد من حاشيته. صور أحد المراسلين هذا الحدث لكنه قتل فيه أيضا. وبمـوته انتهت أسرة نهرو التي قادت الهند منذ استقلالها عن بريطانيا وحتى عام ١٩٩١ باستثناء خمس سنوات. حكم على أربعة من المتورطين في الحادث بالإعدام وعلى عشرين آخرين بالسجن مدد مختلفة(٢).

---

(١) هيئة الإذاعة البريطانية، تقرير بعنوان **Blast Kills Sri Lankan Minister**

http://news.bbc.co.uk/2/hi/south_asia/140084.stm

(٢) هيئة الإذاعة البريطانية تقرير بعنوان:

= **Bomb kills India's former leader Rajiv Gandi 1991.**

٣- عملية اغتيال وزير تنمية الطرق جياراج فرناندوبول ١٩٥٣-٢٠٠٨: وجرت في مدينة وليفيريا السريلانكية في ٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠٨ على يد انتحاري تابع للمنظمة حيث فجر نفسه عند بداية انطلاق سباق ماراثون يعتبر جزءا من احتفالات التاميل والسنهال بالسنة الجديدة. قتل في الحادث إضافة إلى الوزير ١٦ شخصا آخر وجرح تسعون آخرون. والوزير عضو في البرلمان عن حزب الحرية السريلانكي[١].

٤- عملية اغتيال وزير التنمية الصناعية كليمنت فكتور جوناراتن: وجرت في ٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠ بمدينة راتمالانا جنوب كولومبو العاصمة على يد انتحاري تابع لمنظمة نمور التاميل. وهو نائب في البرلمان عن حزب الحرية السريلانكي. قتلت في الحادث زوجته أيضا مع عشرين شخصا[٢].

= http://news.bbc.co.uk/onthisday/hi/dates/stories/may/21/newsid_2504000/2504739.stm

(١) هيئة الإذاعة البريطانية تقرير بعنوان World: South Asia Sri Lanka assassination plot منشور في ٢٧ يوليو ١٩٩٨.

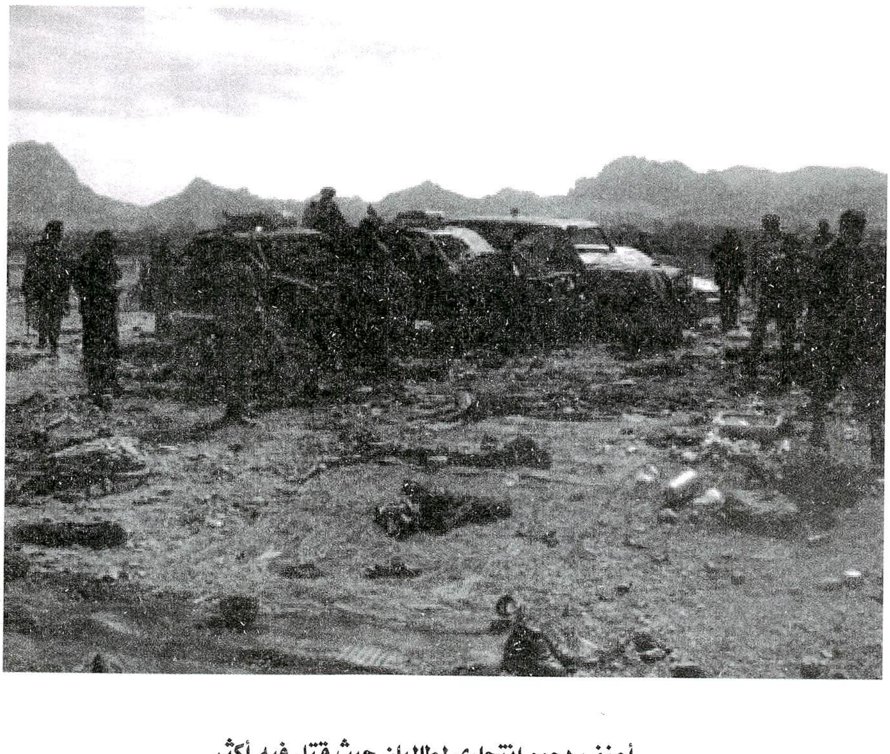
http://news.bbc.co.uk/2/hi/south_asia/7332952.stm

(٢) وكالة رويترز تقرير بعنوان Chronology attacks blamed on Sri Lanka's Tamil Tigers في ١٦ يناير ٢٠٠٨:

http://www.reuters.com/article/featuredCrisis/idUSCOL119777

الفصل التاسع عشر

الهجمات الانتحارية في أفغانستان



أعنف هجوم انتحاري لطالبان حيث قتل فيه أكثر
من ٨٠ مواطنا مدنيا كانوا متجمهرين حول مباراة لعراك الكلاب.

تنفذ منظمتا طالبان والقاعدة منذ احتلال أفغانستان على يد قوات التحالف الدولي في ٧/ ١٠/ ٢٠٠١ وحتى الآن هجمات انتحارية مستمرة وقد تصاعدت في الآونة الأخيرة لتبلغ أكثر من ٣٠٠ عملية انتحارية خلال عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨ أي ضعف عدد الهجمات الانتحارية التي نفذتها منذ تأريخ إسقاط حكم طالبان في كابل(١).

نبذة تاريخية(٢):

مفردة طالبان هي صيغة الجمع بلغة البشتون لمفردة طالب العربية ويقصد بها طلاب علوم الدين، وحركة طالبان هي حركة إسلامية سنية معظم عناصرها من قومية البشتون جنوب أفغانستان وغرب الباكستان مع عناصر أخرى من بعض الدول الإسلامية كدول شمال أفريقيا والشرق الأوسط والاتحاد السوفيتي السابق. وكانت تتلقى الدعم بالمال والأسلحة والتدريب من الحكومة الباكستانية خاصة جهاز مخابراتها ISI . وقد حكمت أفغانستان من ١٩٩٦ - ٢٠٠١ ولم تعترف بنظام حكمها سوى ثلاثة دول هي الباكستان والعربية السعودية والأمارات العربية. يرأسها الملا محمد عمر(٣).

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/War_in_Afghanistan_(2001%E2%80%93present

(٢) Pierre Tristam, History of the Taliban: who they are, What they want? - منشور على الموقع : http://middleeast.about.com/od/afghanistan/ss/me080914a.htm .

(٣) الملا محمد عمر مواليد ١٩٥٩ في إحدى قرى قندهار. توفي والده وهو في بطن أمه وبعد أن كبر تولى هو مسؤولية أسرته. وهو من قبيلة هوتاك البشتونية. كان والده فلاحا بسيطا لا يملك أرضا وقد =

كانت الحركة تحظى في البداية بتأييد وتعاطف كبير بين أوساط الأفغان الذين أتعبهم الفساد والوحشية والحروب المتواصلة بين أمـراء الحرب من المجاهدين. وهناك روايتان متناقضتان عن بدايات طالبان. الأولى أن محمد عمر ورفاقه من الطلبة قد أقسم على تخليص أفغانستان من المجرمين بعد إن شاهد عملية اغتصاب وقتل لأولاد وبنات إحدى الأسر المسافرة إلى قندهار على يد قطاع الطرق من المجاهدين. والرواية الأخرى أن مافيا النقل الباكستانية المعروفة باسم تجارة الترانزيت عبر أفغانستان مع حلفائها في الحكومة الباكستانية قد دربت وسلحت ومولت حركة طالبان لتطهير الطريق الجنوبي المار عبر أفغانستان إلى جمهوريات وسط آسيا من عصابات قطاع الطرق وابتزازها.

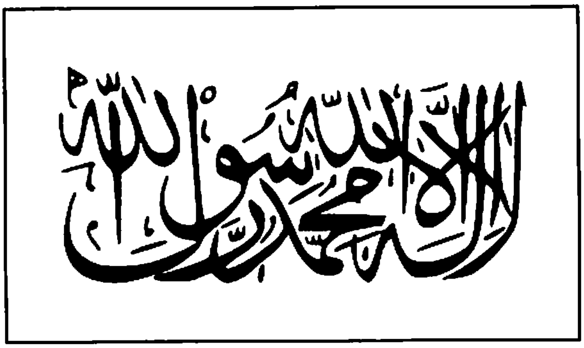
= ولد في كوخ طيني في قرية سانجيسار. قاتل السوفيت مع حركة الانقلاب الإسلامي التي يراسها نك محمد ثم قاتل نظام نجيب الله خلال ١٩٨٩-١٩٩٢. يقال أنـه نحيـف طويـل ذو بنيـة قويـة بـارع في الرمي وقد دمر العديد من الدبابات السوفيتية خلال حرب أفغانستان. جرح أربع مرات وفقد إحدى عينيه وتركت معركة جلال آباد آثار جروح في خـده وجبهتـه. وبعـد إصـابته درس في مدرسـة دينيـة بمدينة كويتا الباكستانية وأصبح مـلا أو معلـما دينيـا بمدرسـة قريـة قـرب قنـدهار. وهـو معجـب بمحاضرات الشيخ عبد الله عزام. ومن صفاته كما يقول الصحفي لورنس رايـت التقـوى والتواضـع والشجاعة. وبعد انسحاب السوفيت في ١٩٨٩ وسقوط النظام الشـيوعي بكابـل في ١٩٩٢، غرقـت البلاد في فوضى عارمة. جمع عمر مجموعة من طلبة المدارس الدينية وأخـذ يقاتـل بهـم أمـراء الحـرب الذين ظهروا خلال الحرب الأهلية. وقد رحب الأهالي بدوره هذا في البداية. ويقال أنـه قـاد في بدايـة ١٩٩٤ ثلاثين رجلا مسلحين بـ١٦ بندقية وحرر فتاتين كانتـا قـد اختطفتـا واغتصـبتا عـلى يـد أحـد الزعماء المحليين. وخلال سنة توسعت حركته وجمع متطوعين من جميع المـدارس الدينيـة الإسـلامية. وفي ت٢ ١٩٩٤ نجح في الاستيلاء على قندهار ثم هراة في أيلـول ١٩٩٥. وفي أيلـول ١٩٩٦ اسـتولى على كابل. وبعد الغزو الأمريكي لأفغانستان، اختفى عمر ولا يزال مختبئا حتى الآن. يعتقد أنـه يتنقـل في المناطق البشتونية على الحدود الباكستانية الأفغانية. وقد عرضت الولايات المتحدة مبلغ ١٠ ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات تقود إلى القبض عليه. وخلال القصـف الأمريكـي لمنـزل عمـر قتـل والـد زوجته وابنه ذو العشرة أعوام.

ورغم أنه لا دليل على قيام وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بدعم حركة طالبان أو منظمة القاعدة، إلا أن المخابرات المركزية والمخابرات الباكستانية قد قدمتا في بداية الثمانينات نوعا من الدعم العسكري وبالتحديد تجهيز الأفغان الذين يقاومون الغزو السوفيتي في أفغانستان بالأسلحة، وساهمت المخابرات الباكستانية في حشد المسلمين المتشددين من كافة أنحاء العالم للقتال ضد السوفيت. ويعتبر أسامة بن لادن أحد الشخصيات الرئيسة التي لعبت دورا كبيرا في تنظيم معسكرات التدريب للمتطوعين المسلمين الأجانب. وأغرقت الولايات المتحدة أفغانستان بالأموال والأسلحة، وفي عام ١٩٨٧، قدمت الولايات المتحدة ٦٥.٠٠٠ طنا من الأسلحة والعتاد إلى الأفغان.

كان مقر طالبان في البداية في مناطق هيلماند وقندهار وأوروزجان ويسيطر عليها البشتون وبالتحديد ائتلاف الدراني أو العبدلي القبلي البشتوني.

وأول نشاط عسكري كبير للطالبان كان في ت١- ت٢ ١٩٩٤ عندما زحفوا من مقاطعة ميواند في جنوب أفغانستان واستولوا على مدينة قندهار وضواحيها وفقدوا فقط بضعة رجال. وبعد أسابيع قليلة من استيلائهم على مستودع هائل للذخيرة عبر الحدود يعود لأمير الحرب قلب الدين حكمتيار، شنوا هجوما على جماعة أخرى من أمراء الحرب تحاول ابتزاز المال من قافلة بضائع كانت في طريقها بين الباكستان ووسط آسيا ونجحت في تحرير هذه القافلة. وخلال الأشهر الثلاثة التالية، سيطرت هذه الجماعة غير المعروفة سابقا على ١٢ ولاية من ولايات أفغانستان الأربع والثلاثين، وكان أمراء الحرب المجاهدين يستسلمون لهم دون قتال ويلقي الأهالي المدججون بالأسلحة أسلحتهم بسرعة. وفي أيلول/ سبتمبر ١٩٩٦ استولت الحركة على العاصمة الأفغانية كابل.

تتبنى طالبان أيديولوجية متطرفة مناهضة للحداثة وتوصف بأنها شكل جديد من الشريعة الإسلامية الممتزجة بالتقالية القبلية البشتونية وتستند على التفسير الراديكالي الديوبندي[1] للإسلام الذي يحبذه أعضاء منظمة جمعية علماء الإسلام الأصولية الباكستانية والجماعات المنشقة عنها. ويضاف إلى هذا المزيج مبادئ المذهب الوهابي الذي يتبعه المحسنون السعوديون الداعمون لها ومبادئ الجهاد والدفاع عن الإسلام التي يتبناها رفيقهم بالسلاح أسامة بن لادن. وعقيدتها تختلف عن عقيدة المجاهدين الأوائل الذين قاتلوا ضد الاتحاد السوفيتي وحلت طالبان محلهم. فهي تميل إلى الصوفية والسلفية والراديكالية التي تستلهمها من جماعة الأخوان المسلمين.



علم طالبان أفغانستان

وهي تفسر الشريعة الإسلامية بطريقة تحرم فيها الكثير من النشاطات والأعمال التي كانت مشروعة في أفغانستان. ويقول منتقدوها أن معظم الأفغان هم ليسوا من

(١) ديوبند مدينة في ولاية أتار برادش الهندية توجد فيها مدرسة دار العلوم الإسلامية ومنها ظهرت حركة تجديدية للإسلام عرفت باسم الديوبندية وانتشرت في الباكستان وأفغانستان وجنوب أفريقيا والمملكة المتحدة. ومبادئها هي: التوحيد، والتقيد بالسنة، وإتباع الصحابة، والتقليد والأتباع، ثم أخيرا الجهاد في سبيل الله. وقد نشأت ردا على الاستعمار البريطاني للهند حيث رأى العلماء المسلمون أنه يدمر الدين الإسلامي، فأسس الشيخ قاسم نانوتفي دار العلوم في ديوبند ومنها نشأت هذه الحركة.

البشتون وهم يتبعون تفسيرا مختلفا متسامحا ومتساهلا للإسلام. ورغم تشابهها مع الوهابية، إلا أنها لا تحرم الطقوس والممارسات الشعبية التقليدية. فهي لم تدمر قبور الأولياء كما أنها تعتبر الأحلام نوعا من الرؤية.

وتوصف طالبان بأنها حركة مناهضة للقومية وفي نفس الوقت تؤمن بالقومية البشتونية. يقول الصحفي أحمد رشيد بكتابه (طالبان) الصادر عام ٢٠٠٠ أنها كانت تؤمن على الأقل في السنوات الأولى من حكمها بالمبدأ الإسلامي المناهض للقومية وتعارض البنى الإقطاعية والقبلية، فهي تستبعد القيادات الإقطاعية أو القبلية التقليدية من القيام بأي دور قيادي. ويقول السيدان علي جلالي وليستر جرو أن الحركة قد تلقت دعما هائلا من البشتون في كافة أنحاء البلاد حيث يرون أنها يمكن أن تعيد سيادتهم القومية. وأعرب المثقفون البشتون في الغرب الذين يختلفون جذريا عن طالبان في العديد من القضايا عن دعمهم للحركة على أسس عرقية محضة.

وبأية حال، لم ترغب حركة طالبان أن يشاركها الآخرون في السلطة، وبما أن معظم قياداتها من البشتون، فإن امتداد حكمها إلى مناطق غير بشتونية يعني سيطرة بشتونية على سكان من غير البشتون. وقد استبدلوا جميع الموظفين الكبار من الطاجيك والأوزبك والهزارة، ونصبوا بدلهم موظفين من البشتون بغض النظر عن مؤهلاتهم. ونتيجة للافتقاد للخبرة، تعطلت الوزارات عن أداء مهامها بدرجات متفاوتة. وكان أعضاء طالبان وليس السكان المحليون هم المسيطرين على الوحدات الحكومية المحلية كمجالس المدن في كابل أو هراة، حتى لو لم يستطع عضو الطالبان التفاهم مع السكان المحليين الذين يتكلمون لغة أخرى غير لغته البشتونية. وقد أدى انعدام تمثيل السكان في المجالس المحلية للإدارات المدينية إلى ظهور طالبان بمظهر القوة المحتلة.

وكما هو الحال لدى الوهابية والديوباندية، تناوئ حركة طالبان المسلمين الشيعة بقوة. فقد اعتبرت الحركة جماعة الهزارة الشيعية التي يبلغ تعدادها ١٠٪ من مجمل سكان أفغانستان أنها جماعة غير مسلمة.

وإضافة إلى تزمتها الشديد، ترفض الحركة الجدال عن العقيدة مع غير المسلمين، ولا تسمح حتى للمراسلين المسلمين أن يناقشوا أوامرها وقوانينها أو تفاسيرها للقرآن.

وعندما أقامت سلطتها في كابل، وضعت شكلا جديدا من الراديكالية الإسلامية والتي انتشرت خارج حدود أفغانستان خاصة إلى الباكستان. وخلال ١٩٩٨- ١٩٩٩ ، حظرت المجاميع البشتونية المؤيدة لطالبان في الحزام البشتوني الباكستاني وفي الجزء الباكستاني من كشمير، التلفزيون والفيديو، وأجبرت الناس وخاصة النساء على ارتداء زي طالبان وإتباع أسلوب حياتهم.

وقد وصفت حكومة طالبان بأنها جمعية سرية تديرها جماعة غامضة سرية مستبدة من القندهاريين. وهم لم يجروا أية انتخابات. يقول الناطق باسمهم الملا وكيل:

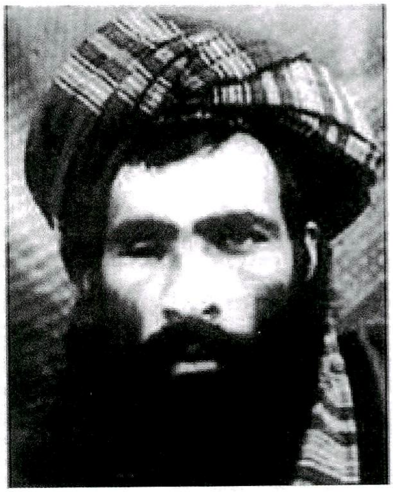
"لا تسمح الشريعة الإسلامية الاشتغال بالسياسة ولا بإقامة الأحزاب السياسية. وهذا هو السبب الذي يمنعنا من إعطاء الرواتب إلى الجنود أو الموظفين، فنحن ندفع لهم فقط الغذاء والملابس والأحذية والأسلحة. نريد أن نحيا الحياة التي عاشها النبي قبل ١٤٠٠ سنة والجهاد حق من حقوقنا. نريد أن نعيد عصر النبي ونحن ننفذ ما أراده الشعب الأفغاني خلال السنوات الأربع عشرة الماضية".

لا تأتي شرعية القائد لديهم من الانتخاب بل من البيعة أو قسم الولاء وهو تقليد لما مارسه النبي والمسلمون الأوائل. وفي ٤ نيسان ١٩٩٦، ارتدى الملا عمر ما يزعم أنها عباءة الرسول محمد، بعد إن أخرجها من مذخرها لأول مرة منذ ستين

عاما. فظهر على سطح أحد المباني وسط قندهار وهو يلف نفسه بهذا التذكار المقدس، بينما تجمع المئات من الملالي البشتون وهم يهتفون "عاش أمير المؤمنين" في شكل من أشكال العهد والولاء.

وتقليدا أيضا للمسلمين الأوائل، كان نظام حكمهم يفتقر للمؤسسات الحكومية أو لنظام القيادة والسيطرة المعروف حتى لدى أكثر الدول تخلفا. ولم تقم الحركة مؤتمرات صحفية ولم تدل ببلاغات توضح سياساتها ولا ببيانات صحفية. وبالطبع لم يكن العالم الخارجي ولا معظم الشعب الأفغاني يعرف ما هو شكلهم حيث التصوير محرم لديهم. ويشبه جيشهم النظامي قوة عشائرية تقليدية ويبلغ تعداده بين ٢٥.٠٠٠ إلى ٣٠.٠٠٠ مقاتل، ويمكن زيادتهم حسب الحاجة. والوزراء ونوابهم هم من الملالي الذين يحملون تعليما دينيا فقط. والعديد منهم كوزير الصحة أو محافظ البنك المركزي هم قادة عسكريون. وعندما تتطلب الحاجة، فأنهم يتركون مناصبهم الإدارية هذه ويتوجهون إلى القتال. وإذا ما حوصروا أو قتلوا، تنشأ فوضى عارمة في الإدارة الحكومية. ولا يوجد لدى وزارة المالية ميزانية أو مصرفي أو اقتصادي ذا مؤهلات. ويتم جمع وصرف الأموال لتمويل المجهود الحربي للحركة من قبل ملا عمر دون تسجيل بدفاتر[1].

(١) موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Taliban .



الملا محمد عمر

وفي ١٩٩٧، أجرت طالبان لقاءات مع شركة نفط كاليفورنيا يونوكال **Unocal** في تكساس للتفاوض حول مد أنبوب لنقل الغاز من تركمانستان إلى الباكستان. ويقال أنه تم عقد الصفقة لكنها فشلت فيما بعد. ويشاع أن سبب الفشل هو إجراء مفاوضات حول نفس الموضوع مع شركة منافسة أخرى هي بريداس الأرجنتينية.

لم تكن أيديولوجية طالبان ثابتة. فقبل استيلائهم على كابل، كانوا يقولون أنهم سيتنحون جانبا حالما تقام حكومة إسلامية صالحة ويستعاد الأمن والنظام إلى المجتمع. كانت عملية صنع القرار لديهم تجري بطريقة مشابهة لما عليه الحال في المجالس القبلية البشتونية (الجيركا)، مع إضافة ما يعتقد أنه النموذج الإسلامي الأول. وبعد النقاش يجري الإجماع بين المؤمنين حول موضوع معين.

ولكن بعد إن ازدادت قوتهم، أخذ الملا عمر يصدر القرارات دون استشارة الجيركا ودون حتى أن يزور الأجزاء الأخرى من البلاد. فعندما كان في السلطة لم يزر كابل العاصمة سوى مرتين. يقول الناطق باسم طالبان الملا وكيل:

"تستند القرارات على رأي أمير المؤمنين. ومشورتنا ليست ضرورية. فنحن نرى أن هذا متفق مع الشريعة الإسلامية. فنحن نلتزم برأي الأمير حتى لو اتخذ هذا الرأي لوحـده. ليس لدينا رئيسا للدولة، بل أميرا للمؤمنين. وملا عمر هو أعلى سلطة، ولا تستطيع الحكومة أن تنفذ قرارا لا يوافق عليه. والانتخابات العامة تتعارض مع الشريعة الإسلامية، لهذا نرفضها".

وفي ١٩٩٩، أصدر الملا عمر مرسوما أوضح فيه أنه ستتم المحافظة على تماثيل بوذا في منطقة باميان لأنه لا يوجد بوذيون في أفغانستان ومن ثم لا تعد الوثنية مشكلة فيها. ولكن في آذار ٢٠٠١، تم تدمير هذه التماثيل بعد إن صدر مرسوم مناقض للأول يقول أنه يجب تدمير جميع التماثيل الموجودة في أفغانستان.

تعرضت طالبان للكثير من الانتقادات بسبب تزمتها الشديد. ويقول بعض المسلمين أن الكثير من فتاوى التحريم التي تصدرها الحركة لا أساس لها في القرآن ولا في السنة والشريعة. مثال ذلك تحريمها للتصفيق خلال الألعاب الرياضية أو التسلية بالطيارات الورقية أو تشذيب اللحى أو الألعاب الرياضية للنساء. ومن الانتقادات الأخرى الموجهة للحركة أنها تفرض ٢٠٪ ضريبة على حمولة الشاحنة من مادة الأفيون المخدرة كزكاة، بينما مبلغ الزكاة محدد بـ٢.٥٪ من فائض دخل دافعه.

كما انتقد أيضا منح محمد عمر لقب أمير المؤمنين على أساس أنه يفتقر إلى التعليم الديني والمحتد القبلي أو النسب لآل الرسول. ويتطلب منح هذا اللقب تأييد معظم علماء الأمة بينما لم يؤيد منحه لعمر سوى ١٢٠٠ ملا بشتوني. لم يتبن أي أفغاني هذا اللقب منذ ١٨٣٤ عندما اتخذه دوست محمد خان قبل أن يعلن الجهاد ضد مملكة السيخ في بيشاور. كان دوست محمد يقاتل أجانبا، بينما أعلن عمر الجهاد ضد الأفغان الآخرين.

تعتبر الغالبية العظمى من قيادات وأعضاء طالبان (باستثناء ملا عمر) من طلبة المدارس الدينية التي أسستها جمعية علماء الإسلام الباكستانية للاجئين الأفغان. وزعيم هذه الجمعية هو مولانا فضل الرحمن وهو حليف سياسي لبناظير بوتو. وبعد إن أصبحت رئيسة للوزراء، تمكن فضل الرحمن من التأثير على الحكومة والجيش والمخابرات ودفعهم لتقديم المساعدة لحركة طالبان.

يقول الصحفي أحمد رشيد[1] أن التدمير والخراب الذي أحدثته الحرب ضد الاتحاد السوفيتي ثم الحرب الأهلية يعتبر عاملا آخرا اثر كثيرا على عقيدة طالبان. فقد كان جل أعضائها من طلبة علوم الدين في مخيمات اللاجئين الأفغان في الباكستان ومعظم أساتذتهم من أنصاف المتعلمين وليس فيهم الظليع في الشريعة الإسلامية أو التأريخ. وقد نشأ هؤلاء اللاجئون بمجتمعات ذكورية خالصة ولم يتعلموا شيئا من الرياضيات أو العلوم أو التأريخ أو الجغرافية، كما أنهم لم يمتلكوا المهارات التقليدية العادية كالزراعة أو تربية الحيوانات أو الحرف اليدوية، بل حتى أنهم لا يعرفون نسبهم القبلي والعشائري.



طالبان تعدم امرأة في ملعب لكرة القدم

(1) Rashid, Ahmed, Taliban: Militant Islam, Oil and Fundamentalism in Central Asia, Yale University Press, 2000, p.32

وفي مثل هذه الأجواء، تعني الحرب لهم العمل بينما يعني السلام البطالة. والسيطرة على النساء هي تأكيد للرجولة. فالأصولية المتشددة بالنسبة إلى قيادتهم ليست مجرد قضية مبدأ، بل هي مسألة وجود سياسي. وكانوا يقولون للصحفي رشيد على الدوام: "أنهم إذا ما أعطوا مزيدا من الحرية للنساء أو فرصة لهن للذهاب إلى المدارس، فأنهم سيفقدون تأييد أعضاء الحركة".

حرمت طالبان مجموعة كبيرة من الفعاليات والنشاطات الإنسانية التي كانت مشروعة في أفغانستان قبل حكمها مثال ذلك: العمل والتعليم والرياضيات النسائية والأفلام والتلفزيون والفيديو والموسيقى والرقص وتعليق الصور في البيوت والتصفيق خلال الألعاب الرياضية والطيارات الورقية وتشذيب اللحى. وقد أدرج أحد عناصر طالبان قائمة المحرمات كالتالي:

"الخنزير ولحمه ودهنه وكل ما يتعلق به، وكل ما هو مصنوع من الشعر البشري، وأطباق الأقمار الصناعية، وصناعة السينما، والآلات الموسيقية، وموائد القمار، والشطرنج، والأقنعة، والكحول، وأشرطة التسجيل، والحاسبات، والفيديو سي دي، والتلفزيون، وأي شيء يثير الجنس وفيه موسيقى، والخمر، وسرطان البحر، وتلميع الأظافر، والألعاب النارية، والتماثيل، وكتالوجات الخياطة، والصور، وبطاقات الأعياد..."[1].

(1) Amy waldman, A Nation Challenged: The Law; No TV, No Chess, No Kites: Taliban's Code, From A to Z, The New York Times, Nov. 10 2009-11-10 http://www.nytimes.com/2001/11/22/world/a-nation-challenged-the-law-no-tv-no-chess-no-kites-taliban-s-code-from-a-to-z.html



شرطة طالبان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
تضرب النساء بالعصي في كابل.

وعلى الرجال أن يطلقوا لحاهم إلى أبعد من قبضة اليد من أسفل الذقن. وعليهم من جانب آخر، أن يحافظوا على شعر رؤوسهم حليقا وأن يلبسوا غطاءا للرأس.

تملك صور الأشياء الحية محرمة، بما فيها تماثيلها أو الحيوانات المحنطة أو الدمى.

أصدرت هذه القوانين وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونفذتها شرطتها الدينية، وهي فكرة مستعارة من هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوهابية. فعندما يحتلون إحدى المدن، يبدأ أفراد من الشرطة الدينية بالضرب بعصي طويلة المخالفين وخاصة الرجال الذين يحلقون لحاهم والنساء اللواتي لم يرتدين البرقع بشكل صحيح.

عقوبة السرقة قطع اليد والاغتصاب القتل أمام الملأ. وعقوبة زنا المتزوج الرجم حتى الموت. وكانت العقوبات تنفذ في كابل أمام مرأى الناس في ملعب كرة القدم السابق للمدينة.

وقد كانت النساء على وجه التحديد هدفا لقوانين طالبان. فقد حرم عليهن العمل ولبس الملابس التي تعتبر مثيرة وجذابة بما فيها الشادور الأيراني (العباءة أو

السدال) لأنهم يعتبرونه غير كاف لتغطية كل جسم المرأة، وتأجير سيارة أجرة دون محرم، وغسل الملابس في الجداول والأنهر، أو أن يأخذ الخياط مقاساتهن.

ولا يسمح للنساء أيضا بالالتحاق بالمدارس المختلطة، وقد حرم هذا الأمر الغالبية العظمى من الفتيات الأفغانيات من تلقي حتى التعليم الابتدائي.

وعلى النساء ارتداء البرقع وهو رداء طويل يغطي كل الجسم باستثناء خرم صغير يمكن للمرأة النظر من خلاله. وبعد إن استلمت طالبان السلطة أصبحت قوانينها أكثر صرامة وقسوة. وفي شباط ١٩٩٨، أجبرت الشرطة الدينية جميع النساء على عدم النزول إلى شوارع كابل وأصدرت تعليمات جديدة تأمر أرباب الأسر بصبغ نوافذ بيوتهم باللون الأسود حتى لا يرى أي عابر في الشارع النسوة وهن في البيوت. ثم منعت الدروس المنزلية للفتيات. وفي حزيران/ يونيو ١٩٩٨، منعت طالبان النسوة من مراجعة المستشفيات العامة، وخصصت لجميع نساء كابل مستشفى واحدا كادره كله من النساء. وهناك تقارير لا تحصى عن قيام طالبان بضرب النساء المسلمات بسبب مخالفتهن لشريعة الحركة[١].

أُغلقت دور السينما وحُظرت الموسيقى. وتم تدمير المئات من التحف الفنية والثقافية والتي اعتبروها وثنية بما في ذلك متحف كابل الرئيس وأعداد لا تحصى من الأعمال الفنية الخاصة. أما بالنسبة لحديقة حيوان كابل، فالحيوانات إما قتلت أو تركت لتموت جوعا.

وبعد استيلاء طالبان على كابل، أصدرت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الشرطة الدينية في ك١ ١٩٩٦ أمرت حرمت فيه عددا كبيرا من الأشياء والأعمال

(١) تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن ممارسات حقوق الإنسان في جنوب آسيا- أفغانستان- صادر في ٢٠٠١ منشور على موقع الوزارة:
http://www.state.gov/g/drl/rls/hrrpt/2001/sa/8222.htm

مثل حلق اللحى وتربية الحمام وعرض الصور وقص الشعر على الأسلوب الغربي والموسيقى والرقص بالأفراح والقمار والسحر وعدم إقامة الصلاة في أوقاتها. وفي شباط ٢٠٠١، استخدمت الحركة مطارق ثقيلة لتحطيم بعض الأعمال النحتية الفنية في المتحف الوطني بأفغانستان.

ولم تسلم الأعياد غير الأوربية من الحظر. فقد حرمت الحركة الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة الأفغاني (نوروز) واعتبرته مخالفا للإسلام، كما حرمت طقوس عاشوراء الشيعية ومنعت أيضا أي شكل من أشكال الاحتفال بالأعياد. ولا يسمح للشعب الأفغاني بممارسة احتفالاته الثقافية إذا كانت النساء حاضرة. ويسمح بالاحتفال إذا كان الحضور فقط من الرجال شريطة ألا يتجاوز وقت منع التجول وهو التاسعة مساءا.

يقول الملا محمد حسن وهو أحد مسؤولي طالبان: "بالطبع نحن ندرك أن الناس بحاجة إلى شيء من التسلية، لكن بإمكانهم الذهاب إلى الحدائق ومشاهدة الأزهار، ومنها يتعلمون شيئا عن الإسلام". وأجاب وزير التربية الملا عبد الحنيفي على أحد السائلين: "أن طالبان تحرم الموسيقى لأنها تخلق توترا في الدماغ وتعيق دراسة الإسلام".

وفي آذار ٢٠٠١، أمرت طالبان بتدمير تمثالي بوذا[1] المنحوتين في صخور جبال باميان. طول أحدهما ٣٨ مترا وتم نحته في ٥٠٧ ق.م. وطول الثاني ٥٣ مترا وتم نحته في ٥٥٤ ق.م. أدانت اليونسكو والعديد من دول العالم هذا الفعل.

وظلت الغاية من تدميره غير واضحة حتى الآن. فقد أيد الملا عمر في البداية المحافظة على التراث الأفغاني وقدمت اليابان مساعدة مالية كبيرة مقابل الحفاظ على

(1) Luke Harding, The guardian, 3 March 2001, http://www.guardian.co.uk/books/2001/mar/03/books.guardianreview2

هذين التمثالين. مع ذلك، وبعد سنوات قليلة، أصدر الملا عمر مرسوما يقول فيه أنه يجب تدمير أي تشبيه للإنسان أو الأوثان بما فيها تلك المعروضة في المتاحف، حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية التي تحرم أي شكل من أشكال عبادة الأوثان.

وناشدت الحكومة الباكستانية التي تحتفظ هي نفسها بأثمن وأقدم مجموعة من الفن البوذي، طالبان بالإبقاء على التمثالين . كما استنكرت العربية السعودية والأمارات العربية هذا الفعل فيما بعد واعتبرته عملا همجيا.

زار سيد رحمة الله هاشمي سفير طالبان المتجول، الولايات المتحدة في آذار ٢٠٠١. قال أن عمل طالبان هذا ليس عملا لا عقلانيا لكنه عمل نابع من غضب الحركة إزاء اليونسكو وبعض الحكومات الغربية التي ترفض استغلال طالبان للأموال المخصصة لصيانة التمثالين بعد تضررهما بالحرب. وقال أن طالبان كانت تريد استخدام هذه الأموال لنجدة الناس بفعل القحط والجفاف.

حصل أشنع هجوم على المدنيين في صيف ١٩٩٨ عندما زحفت طالبان من هراة نحو مدينة مزار شريف وهي أكبر مدينة في الشمال وتقطنها طائفة الهزاره الشيعية والأوزبك. دخلوها عند الساعة العاشرة صباح يوم ٨ آب ١٩٩٨ وطيلة اليومين التاليين كانت عناصر الطالبان تجوب الشوارع الضيقة للمدينة بشاحناتها الصغيرة وتطلق النار يمينا وشمالا وتقتل كل ما يتحرك فيها، فقتلوا أصحاب المحلات وأصحاب عربات الدفع والمتبضعين من النساء والأطفال بل وحتى الماعز والحمير لم تسلم من نيران بنادقهم. وذكرت التقارير أن أكثر من ٨٠٠٠ مدني قد قتل في مزار شريف خلال تينك اليومين. وقد منعت طالبان خلافا لتعاليم الإسلام التي تحث على دفن الموتى بسرعة، أي فرد يقوم بدفن الجثث. وظلت في العراء لستة أيام حيث تعفنت تحت حرارة الصيف وأكلتها الكلاب. وبالإضافة إلى عملية القتل

الوحشي العشوائي هذه، أخذت طالبان تبحث عن أفراد طائفة الهزارة الشيعية وتقتلهم فردا فردا(١).

تعزى وحشية عملية القتل هذه لعدة أسباب منها الاختلاف العرقي والشك بولاء الهزارة لامتدادهم الطائفي في إيران والغضب الشديد من الخسائر بالأرواح التي عانتها طالبان خلال هجوم فاشل سابق لهم للاستيلاء على المدينة. بينما يقول البعض أن الدافع الرئيس هو اعتقاد سنّة طالبان أن شيعة الهزارة كفار ومرتدون. وقد عبر عن هذا الملا نيازي قائد الهجوم وحاكم مزار شريف بعد ذلك بخطبته في الجامع الكبير بالمدينة قائلا:

"في السنة الفائتة تمردتم علينا وقتلتمونا. كنتم تطلقون النار علينا من جميع بيوتكم. والآن جئنا هنا لنتعامل معكم. إن الهزارة ليسوا مسلمين وعلينا قتلهم. فأما أن تصبحوا مسلمين أو أن تتركوا أفغانستان. وأينما ستذهبون، سنمسك بكم. إذا ما صعدتم، سنسحبكم من أقدامكم، وإذا ما اختبأتم في الأسفل، سنسحبكم من شعر رؤوسكم".

وفرضت طالبان أيضا حصارا على موطن الهزارة (هزاراجات) في وسط أفغانستان ورفضت السماح للأمم المتحدة تزويد الأهالي في ولايات باميان وغور وورداك وغزني بالطعام. وبعد شهر من مذبحة مزار، اقتحمت طالبان خطوط الهزارة واستولت على كل هزاراجات. لم يكن عدد القتلى من المدنيين كبيرا كما حصل في مزار شريف ولكن مع ذلك حصلت أعمال قتل كبيرة.

(١) تقرير منظمة حقوق الإنسان في نوفمبر ١٩٩٨ بعنوان Afghanistan, The massacre in Maza-e-Sharif, Incitement of Violence Against Hazaras by Governor Niazi.
http://www.hrw.org/legacy/reports/reports98/afghan/Afrepor0-03.htm

وخلال السنوات التي تلت ذلك، سجلت منظمة مراقبة حقوق الإنسان Human Rights Watch عدة عمليات اغتصاب وقتل لأفراد الهزارا على يد قوات طالبان.

ولم يجلب السلام التنمية الاقتصادية لأفغانستان. فقد قطعت مافيا النقل التي تعمل في أفغانستان ملايين الأفدنة من الغابات في أفغانستان لتسويقها في السوق الباكستاني وتركت الريف أجردا إذ لم تجر عملية إعادة تشجير للغابات المقطوعة. وفككوا المعامل المتوقفة وباعوها سكرابا... ولم تسلم أعمدة الهواتف والكهرباء، فقلعوها وباعوها إلى معامل الفولاذ في لاهور الباكستانية.

وبالنسبة لزراعة الخشخاش وهو النبتة التي يستخرج منها مادة الأفيون المخدرة فقد كان يرزع منذ القدم في أفغانستان ولكن بعد تدهور قطاعات الاقتصاد الأخرى، أصبح الخشخاش المادة المصدرة الأولى في البلاد[1].

وأصدرت طالبان فتوى إسلامية للفلاحين لزراعة المزيد من نبات الخشخاش رغم أن القرآن يحرم على المسلمين إنتاج أو شرب المسكرات. يوضح عبد الرشيد رئيس قوة مكافحة المخدرات لدى طالبان طبيعة عمله الفريد. فهو يفرض حظرا تاما على زراعة الحشيش لأنه يستهلك من الأفغان والمسلمين بينما يقول بجدية أن زراعة الخشخاش مسموح بها لأنه يستهلك من قبل الكفار في الغرب وليس المسلمين الأفغان.

ولكن في عام ٢٠٠٠ حظرت طالبان زراعة الخشخاش لأول مرة في التأريخ الأفغاني. مع ذلك ظل الإنتاج الأفغاني من الخشخاش يشكل ٧٥٪ من الإنتاج العالمي.

(١) تقرير مكتب منظمة الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة والمخدرات في ٢٠٠٧ منشور على موقع المنظمة:
http://www.unodc.org/pdf/research/AFG07_ExSum_web.pdf

ويقول البعض أن سبب منع طالبان لزراعة الخشخاش هو ليس من أجل مكافحة المخدرات بل لرفع سعره وبذلك تزداد إيرادات الفلاحين وبالتالي زيادة الضرائب المفروضة عليهم.

لكن الرأي الرسمي لطالبان هو غير ذلك. يقول ملا أمير محمد حقاني، أكبر مسؤول طالباني عن المخدرات أن الحظر باق سواء تلقت طالبان الاعتراف والدعم الدولي أم لم تتلقه. ويوضح أن قرارنا هو منع زراعة الخشخاش إلى الأبد، وسواء تلقينا معونة أم لا، سوف لن نسمح بزراعته ثانية في البلاد.

وبعد إسقاط نظام حكم طالبان، توسعت زراعته في الولايات الجنوبية وبلغ إنتاجه في ٢٠٠٥ (٨٧٪) من الإنتاج العالمي للخشخاش وارتفع في ٢٠٠٦ ليصل إلى ٩٠٪.

أدت سياسات طالبان المتشددة وسلوكها المتساهل مع القوات المتحالفة معها إلى نشوب انتفاضة قتل فيها الآلاف من أفضل قوات طالبان.

ففي عام ١٩٩٧، ابتكر أحمد شاه مسعود خطة يستخدم فيها أسلوب حرب العصابات في السهول الشمالية لإلحاق الهزيمة بقوات طالبان المتقدمة. فقد وضع بالتعاون مع السكان المحليين قواته في منازل مدنية وأماكن مخفية أخرى. وعند وصول طالبان، خرج بعض الأهالي الذين لديهم عهد سلام مع طالبان إضافة إلى قوات مسعود المختبئة وشنوا هجوما مفاجئا واستولوا على شمال كابل. بعدها لم تبذل طالبان الجهد للسيطرة على السهول الشمالية وأخذت تقتل الناس دون تمييز وتهجر السكان. وقد كتب كمال حسين وهو مندوب خاص للأمم المتحدة تقريرا شاملا عن جرائم الحرب هذه التي كرست وأججت موضوع الصراعات العرقية.

وفي ٨ آب ١٩٩٨، استولت طالبان ثانية على مزار شريف حيث ثأروا هذه المرة لهزيمتهم السابقة وخلقوا جدلا دوليا كبيرا بأعمال القتل الجماعي التي نفذوها ضد

المدنيين وبعض الدبلوماسيين الإيرانيين.وقد ترك هذا الهجوم جزءا بسيطا فقط من أفغانستان ١٠-١٥٪ في الشمال بيد قوات التحالف الشمالي. واستعادت طالبان السيطرة على معظم البلاد حتى هجمات ١١/ ٩/ ٢٠٠١. وفي ٩/ ٩/ ٢٠٠١، فجر انتحاري يعتقد أنه من تنظيم القاعدة تظاهر بأنه صحفي، نفسه على القائد العسكري لمجاهدي تحالف الشمال أحمد شاه مسعود وقتله. ورغم تخلصهم منه، لكن بعد شهرين تمكنت القوات البرية للتحالف الشمالي وبمعونة القصف الأمريكي من إخراج طالبان من معظم أنحاء أفغانستان.

قدمت إدارة ريجان في الثمانينيات عدة مئات من صواريخ ستينجر FIM-92 إلى جماعات المقاومة الأفغانية بما فيها طالبان لمساعدتهم في هزيمة السوفيت. وعندما استولت طالبان على السلطة في كابل وأسست الأمارة الإسلامية في أفغانستان. بينما عارضتها معظم الدول في العالم كروسيا وإيران والهند وأوزبكستان وقرغيزستان وطاجاكستان، والولايات المتحدة فيما بعد، وقدمت الدعم لعدوها التحالف الشمالي.

وتنكر الباكستان رسميا أنها قدمت الدعم لطالبان، لكن دعمها كان كبيرا. فقد قدمت خلال ١٩٩٧-١٩٩٨ معونة تقدر بثلاثين مليون دولار بصورة قمح ووقود الديزل والبترول والكيروسين وتجهيزات أخرى. كما أن نفوذ وتأثير طالبان لدى الجارة الباكستان قويا. فقد مكنها تأثيرها على الأوساط الباكستانية من أن تلعب دورا كبيرا في دعم أحد الأطراف ضد الآخر. وأحيانا كانت تستطيع أن تتحدى سلطة جهاز المخابرات الباكستاني القوية.

في البداية كانت الدول الأجنبية بما فيها الولايات المتحدة مؤيدة لطالبان على أمل أن تعيد النظام لأفغانستان بعد سنين من الانقسام وحكم أمراء الحرب الفاسدين. على سبيل المثال لم تبد الحكومة الأمريكية أي اعتراض عندما استولت الحركة على هراة في ١٩٩٥ وطردت الآلاف من الفتيات من المدارس. وأخذت هذه

الآمال تتلاشى عندما بدأت تمارس نفس أساليب أمراء الحروب كاستهداف المدنيين العزل أو المجموعات العرقية الأخرى (الهزاراة بشكل رئيس) وتقييد حقوق المرأة. وفي أواخر ١٩٩٧، بدأت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية حينها تبعد الولايات المتحدة عن طالبان وفي السنة اللاحقة انسحبت شركة نفط كاليفورنيا UNOCAL من صفقة مد أنبوب غاز عبر أفغانستان، كان يفترض أن تعقد مع نظام طالبان. وكانت الشركة تشجع طالبان ضمنا لمد مثل هذا الخط.

وفي بداية آب ١٩٩٨، تعقدت أكثر علاقات طالبان مع الدول الأجنبية. فبعد مهاجمة مدينة مزار، قتلت قوات طالبان عدة آلاف من المدنيين وعشرة دبلوماسيين إيرانيين وضباط مخابرات كانوا يعملون في القنصلية الإيرانية في المدينة. وتشير مكالمات راديوية تم استراقها أن ملا عمر شخصيا هو الذي أمر بقتلهم. شعرت الحكومة الإيرانية بغضب شديد وحصلت أزمة إقليمية خطيرة عندما حشدت إيران ٢٠٠.٠٠٠ جنديا على الحدود الأفغانية لكن الحرب لم تنشب.

وقبل يوم من الاستيلاء على مزار، فجر أنصار ضيف طالبان أسامة بن لادن السفارتين الأمريكيتين في أفريقيا وقتلوا ٢٢٤ شخصا وجرحوا ٤٥٠٠ آخرين معظمهم من الأفارقة[1]. ردت الولايات المتحدة بإطلاق صواريخ كروز على معسكرات يعتقد أنها لتدريب الإرهابيين في أفغانستان وقتلت أكثر من ٢٠ شخصا لكنها فشلت في قتل بن لادن أو الكثير من عناصر القاعدة. أدان ملا عمر الهجوم الصاروخي والرئيس الأمريكي بيل كلنتون. وطردت العربية السعودية سفير طالبان لديها احتجاجا على رفض الحركة تسليم بن لادن إليها وإهانة ملا عمر للأسرة الحاكمة السعودية. وفي منتصف ت١ صوت مجلس الأمن بالإجماع على حظر رحلات

(١) تقرير وكالة رويترز في ٢١/٨/١٩٩٨ بعنوان Taliban Blame Clinton scam for attacks.

الطيران التجاري القادمة والذاهبة إلى أفغانستان وجمد حساباتها المصرفية في جميع أنحاء العالم.

وأخذت تزداد عزلة النظام في آذار ٢٠٠١ مع تدمير أهم كنزين وأثرين تاريخيين في أفغانستان وهما تمثالي بوذا العملاقين في باميان. وفي ذلك الشهر أيضا أصدرت طالبان أمرا تأمر فيه غير المسلمين بارتداء قطعة قماش صفراء تميزهم عن غيرهم.

ومن القضايا الرئيسة المثارة خلال حكم طالبان هي علاقاتها مع منظمة الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية. فقد دمرت الحرب التي دامت لأكثر من عشرين عاما مع السوفيت أولا ثم بين المجاهدين أنفسهم، البنى التحتية والاقتصاد الأفغاني. فلا توجد في البلاد مياه صافية ولا كهرباء ولا هواتف ولا طرق صالحة ولا مصادر للطاقة. وهناك نقص شديد في الحاجات الأساسية كالمياه والطعام والسكن وباقي الاحتياجات الأخرى. إضافة إلى هذا، تعرضت القبيلة أو البنية الأسرية التي تكفل للأفغان الحد الأدنى من الحماية الاجتماعية والاقتصادية إلى التدمير الشديد. فنسبة موت الأطفال في أفغانستان هي الأعلى في العالم. وربع الأطفال يموتون قبل أن يصلوا عامهم الخامس، وهي نسبة أعلى بعدة مرات من أعلى نسبة لموت الأطفال في الدول النامية.

ونتيجة ذلك، يعتبر نشاط المنظمات الإنسانية الدولية وباقي المنظمات غير الحكومية أمرا حيويا لتقديم الطعام والقضاء على البطالة وإعادة بناء البلاد وباقي الخدمات الأخرى. ومع موت أكثر من مليون شخص خلال سنوات الحرب، وصل عدد الأسر التي تعيلها الأرامل إلى ٩٨.٠٠٠ في ١٩٩٨. لهذا فأن القيود التي تفرضها طالبان على النساء هي ليست مجرد انتهاك لحقوق الإنسان بل هي مسألة حياة أو موت. ففي كابل وحدها حيث دمرت الهجمات الصاروخية أجزاء كبيرة من المدينة، يستفيد أكثر من ١.٢ مليون إنسان من نشاط المنظمات غير الحكومية حتى لو كانت تقدم مياه

الشرب فقط. وقد استمرت الحرب الأهلية وما تخلفه من نشوء معسكرات لاجئين طيلة فترة حكم طالبان. فخلال هذه الفترة، تشرد نحو ثلاثة أرباع المليون من البشر بفعل هجمات طالبان على مزار في الشمال. وقد استخدمت الحركة في هجماتها أسلوب الأرض المحروقة لمنع الأهالي من تقديم المعونة لعدوها.

ورغم استلام طالبان لمعونات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية، إلا أن موقفها تجاهها يتسم بالشك والريبة وليس العرفان أو التسامح. والسبب في ذلك هو أن الأمم المتحدة تعمل وفق القانون الدولي وليس الشريعة الإسلامية كما أنها لم تعترف بطالبان كحكومة شرعية لأفغانستان. إضافة إلى هذا، فأن معظم المانحين وعمال تقديم المعونات الذين حاولوا إقناع طالبان بتغيير سياساتها المتشددة والسماح بمزيد من الحرية للنساء، هم في معظمهم غير مسلمين.

وكما عبر عن ذلك المدعي العام لطالبان جليل الله مولوي زاده بقوله[١]:

"دعونا نرى ما هو نوع التعليم الذي تريده الأمم المتحدة. فهذه هي سياسة الكفار تريد إعطاء حرية الفجور إلى النساء وهذا مما يقود حتما إلى الزنا والى تدمير الإسلام. فإذا ما شاع الزنا في أي بلد إسلامي، فأنه سيدمر ويدخل تحت سيطرة الكفار لأن رجال هذا البلد سيصبحوا كالنساء ولا تستطيع النساء الدفاع عن أنفسهن. على كل من يريد أن يتحدث معنا بهذا المجال، أن يتحدث وفق الإطار الإسلامي. فلا يمكن للقرآن الكريم أن يغير نفسه حسب أهواء الآخرين، وعلى الآخرين أن يغيروا أنفسهم حسب ما يريده القرآن الكريم".

كانت إحباطات وكالات المعونات كبيرة. فصناع القرار في طالبان وخاصة الملا عمر، لا يتحدث مع الأجانب غير المسلمين، لهذا كان على مقدمي المعونات أن

(١) مقابلة بين مولوي جليل الله مولفيزاده وأحمد رشيد في حزيران ١٩٩٧ منشورة في كتاب أحمد رشيد، المصدر السابق، ص ١١١-١١٢ .

يتحدثوا مع وسطاء، وهؤلاء غالبا ما تأتي قرارات قيادات طالبان مناقضة لقراراتهم. وفي أيلول ١٩٩٧، ألقت شرطة طالبان الدينية في كابل القبض على إيما بونينو المفوض الأوربي للشؤون الإنسانية مع ١٩ صحفي غربي وعمال تقديم المعونات واحتجزتهم لثلاث ساعات إثر تصوير بعض النساء المرضى. وبحدود نفس الفترة تقريبا، تم طرد رؤساء ثلاث منظمات تابعة للأمم المتحدة في قندهار بعد الاحتجاج على إجبار محامية من منظمة شؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة على التحدث مع مسؤولي طالبان من وراء ستار كي لا يرون وجهها.

وعندما رفعت الأمم المتحدة أعداد الموظفات المسلمات في منظماتها تلبية لطلبات طالبان للكادر المسلم، أصرت طالبان بعدها على أن يرافق كل موظفة مسلمة قادمة إلى أفغانستان محرم من أقاربها. وفي ٢٠ تموز ١٩٩٨، أغلقت طالبان جميع مكاتب المنظمات غير الحكومية بالقوة بعد أن رفضت هذه المنظمات الانتقال إلى مقر كلية سابقة للفنون التطبيقية جرى تفجيره في السابق، كما أمرتها طالبان. وبعد شهر أيضا أغلقت مكاتب الأمم المتحدة.

وبعد إن ارتفعت أسعار المواد الغذائية وتدهورت الأوضاع، أعرب وزير تخطيط طالبان قاري الدين محمد عن عدم اكتراث طالبان بفقدان المساعدات الإنسانية قائلا:

"نحن كمسلمين نؤمن أن الله سبحانه وتعالى سيطعم الجميع بطريقة أو بأخرى. فإذا ما غادرت المنظمات الحكومية أفغانستان، فهذا هو شأنها. لكننا لم نطردها"[(١)].

في عام ١٩٩٦، انتقل أسامة بن لادن من السودان إلى أفغانستان. وقد جاء دون دعوة من طالبان. وكان أحيانا يثير غضب ملا عمر ببلاغاته عن الحرب وبفتاويه بقتل مواطني البلدان الأخرى وإجراء المقابلات الصحفية، لكن العلاقات بينهما

(١) أحمد رشيد المصدر السابق، ٧١-٧٢.

أصبحت وطيدة بمرور الوقت. وتوثقت في الآخر لتصل إلى مرحلة أن يصد الملا عمر ظهيرته ونصيرته العربية السعودية ويهين وزيرها الأمير تركي الفيصل (مدير المخابرات) ويرفض تسليمها بن لادن كما وعد سابقا.

وتمكن بن لادن من إقامة تحالف بين منظمته القاعدة وحركة طالبان. ويقال أن مقاتلي القاعدة المدربين والمجهزين بأحدث المعدات والذين يعرفون باسم اللواء ٥٥ قد انضموا إلى جيش طالبان بين ١٩٩٧ و٢٠٠١. وقد ساعد عدة مئات من المقاتلين العرب الذين أرسلهم بن لادن، طالبان في مذبحة مزار شريف. وتوثقت علاقات طالبان والقاعدة بزواج أحد أبناء بن لادن من بنت ملا عمر. وقد مول بن لادن طالبان خلال وجوده في أفغانستان. وربما يكون أكبر صنيع قدمته القاعدة لطالبان هو اغتيالها بهجوم انتحاري لأكبر عدو لطالبان هو قائد التحالف الشمالي أحمد شاه مسعود في ٩ أيلول ٢٠٠١. وحصل هذا في الوقت الذي أكسبت فيه انتهاكات طالبان لحقوق الإنسان وتطرفها الشديد، التأييد الدولي لجماعة مسعود باعتبارها الممثل الشرعي لأفغانستان. ويقال أن الذي خطط للعملية وأشرف عليها أيمن الظواهري والجهاد الإسلامي المصري أحد أجنحة القاعدة. وتركت العملية التحالف الشمالي دون قائد وأزاحت آخر عقبة أمام سيطرة طالبان التامة على البلاد[1].

وبعد تفجير السفارتين الأمريكيتين في أفريقيا، اتهمت المحكمة الجنائية الأمريكية أسامة بن لادن وعددا آخرا من أعضاء القاعدة بالضلوع بالجريمة. وقد وفرت طالبان الحماية لأبن لادن ورفضت طلبات الولايات المتحدة بتسليمه، مرة بذريعة أنه قد اختفى في جبال أفغانستان، ومرة أخرى بذريعة أن واشنطن لا تملك أي دليل على تورط بن لادن بنشاطات إرهابية، ودون هذا الدليل فالرجل برئ وهو

(1) Wright, Lawerence, The Looming Tower: Al Qaeda and the road to 11/9, Knopf, United States, 2006, p. 355.

حر. والدليل المتوفر ضده هو شهادة شهود أمام المحكمة وتسجيلات لمكالمات بهواتف فضائية. وبالمقابل أثنى بن لادن على طالبان باعتبارها الحكومة الإسلامية الوحيدة الموجودة على ظهر الأرض وامتدح الملا عمر لتحطيمه للأوثان كما حصل عند تدمير تمثالي بوذا.

نتيجة لعلاقات طالبان الوثيقة مع جمعية علماء الإسلام في الباكستان، استقبلت طالبان الكثير من طلبة المدارس الدينية في المنطقة الحدودية الباكستانية. وبعد طلب الملا عمر للمساعدة في ١٩٩٧، أغلق مولانا سامي الحق مدرسته التي تضم أكثر من ٢٥٠٠ طالبا وأرسلهم جميعا عبر مئات الأميال للقتال إلى جانب طالبان. وفي السنة التالية، أقنع نفس الزعيم قادة ١٢ مدرسة دينية أخرى في الولاية الحدودية الشمالية الغربية بإغلاق مدارسهم لشهر واحد وإرسال ٨٠٠٠ طالب لتعزيز جيش طالبان في أفغانستان.

ردت طالبان الجميل بالمساعدة في نشر عقيدتها إلى باقي أنحاء الباكستان. وفي ١٩٩٨، حرمت بعض المجاميع الدينية على امتداد الحزام البشتوني التلفزيون والفيديو وفرضت العقوبات الإسلامية كالرجم وبتر الأعضاء خلافا للنظام القانوني للبلاد، وأخذت تقتل الشيعة الباكستانيين وتجبر الناس خاصة النساء على ارتداء زي طالبان وإتباع طريقة حياتها. وفي كـ١ ١٩٩٨ تجاهلت حركة طالبان الباكستانية النظام القانوني الباكستاني وأعدمت علنا أمام ألفي إنسان وبأسلوب طالبان أحد المتهمين بالقتل. ووعدت أيضا بأنها ستنفذ العدل بأسلوب طالبان وتحظر التلفزيون والموسيقى والفيديو. وفي مدينة كويتا، أحرقت المجاميع البشتونية المؤيدة لطالبان جميع دور السينما وأطلقت النار على أصحاب محلات الفيديو ودمرت الأطباق اللاقطة للبث الفضائي ومنعت النساء من النزول إلى الشوارع. وفي كشمير الباكستانية، حاول الأفغان العرب

القادمون من أفغانستان فرض اللباس الوهابي وحرموا ارتداء الجينز والمعاطف القصيرة. وفي ١٥ شباط ١٩٩٩ أطلقوا النار وجرحوا ثلاثة من عمال الكابلات التلفزيونية الكشميريين أثناء عملهم في مد هذه الكابلات.

ولا يزال تأثير طالبان قائما في الباكستان مع استمرار تمردهم في أفغانستان. فقد قام أحد أنصارها بعملية انتحارية داخل مطعم في بيشاور ردا على القبض على أحد أقارب زعيم طالبان الباكستانية الملا دادوالله قتل فيها ٢٥ مدنيا. وتذكر وكالة الأسوشيتد بريس في ١٥/ ٥/ ٢٠٠٧ أن عشرات من الناس قد قتلوا خلال السنتين أو الثلاث الماضية بسبب ما يزعم عن علاقتهم بالحكومة الباكستانية أو بحلفاء أمريكا في الحرب ضد الإرهاب.

وفي ك١ ٢٠٠٧، أعلن عن تشكيل حركة طالبان الباكستانية بزعامة بيت الله محسود. وقد اتهمتها الحكومة الباكستانية بأنها تقف وراء اغتيال رئيسة الوزراء السابقة بناظير بوتو في ك٢ ٢٠٠٨ وأيدتها في ذلك وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، لكن الحركة تنكر ذلك. كما قامت الحركة بالعديد من العمليات الانتحارية منها الهجوم الانتحاري على مجمع عسكري باكستاني في ٢١ آب ٢٠٠٨ والهجوم الانتحاري داخل مجلس لرؤساء العشائر الباكستانيين في ٦ ت٢ ٢٠٠٨ والذي قتل فيه ١٦ وجرح ٣١، حيث كانوا يناقشون مسألة التنسيق مع الحكومة الباكستانية ضد حركة طالبان الباكستانية. كما نفذت هجوما انتحاريا آخرا في ٢٣ آب ٢٠٠٨ بسيارة مفخخة ضد مركز للشرطة في مدينة شرباغ تحصيل بوادي سوات في الولاية الشمالية الغربية، وقد قتل فيه ٢٠ شخصا.

حرب إسقاط طالبان :

بعد هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ وظهور نتائج التحقيق فيها، أصدرت الولايات المتحدة الإنذار التالي إلى طالبان[١]:

١- تسليم جميع قادة القاعدة إلى الولايات المتحدة.

٢- إطلاق سراح جميع المعتقلين الأجانب.

٣- إغلاق جميع معسكرات تدريب الإرهابيين.

٤- تسليم جميع الإرهابيين وأنصارهم إلى السلطات المعنية.

٥- السماح للولايات المتحدة بدخول جميع معسكرات التدريب الإرهابية لتفتيشها.

وفي ٢١ أيلول ٢٠٠١، ردت طالبان أنه إذا كانت الولايات المتحدة تستطيع أن تقدم الدليل على إدانة بن لادن، فأنها ستسلمه، ثم تقول أنه لا يوجد أي دليل لدى الولايات المتحدة يثبت علاقته بهجمات ١١/ ٩.

وفي ٢٢ أيلول، سحبت الأمارات العربية ثم العربية السعودية فيما بعد اعترافها بطالبان كحكومة شرعية لأفغانستان تاركة الباكستان وحدها الدولة الوحيدة التي لها علاقات دبلوماسية مع طالبان. وفي ٤ ت١ ٢٠٠١، يقال أن طالبان قد عرضت سرا تسليم بن لادن إلى الباكستان لمحاكمته بمحكمة دولية وفقا للشريعة الإسلامية، لكن الباكستان رفضت العرض. وفي ٧ ت١ ٢٠٠١، وقبل اندلاع العمليات العسكرية، عرض سفير طالبان لدى الباكستان اعتقال بن لادن ومحاكمته وفقا

(١) تقرير محطة السي أن أن في ٢١ سبتمبر ٢٠٠١ بعنوان **Transcript of President Bush's address** منشور على موقعهم
: http://archives.cnn.com/2001/US/09/20/gen.bush.transcript/

للشريعة الإسلامية إذا ما قدمت الولايات المتحدة طلبا رسميا بذلك وقدمت الدليل الدامغ لطالبان. رفضت الولايات المتحدة أيضا هذا العرض واعتبرته غير كاف.

بعدها بقليل، وفي ٧ ت١/ أكتوبر ٢٠٠١، شنت الولايات المتحدة بمساعدة المملكة المتحدة وكندا وبدعم من دول أخرى بضمنها بعض دول حلف الناتو، عملية عسكرية في أفغانستان وقصفت معسكرات القاعدة وطالبان. كان الهدف المعلن من هذه العمليات هو إسقاط نظام حكم طالبان بسبب رفضها تسليم أسامة ابن لادن لمحاكمته عن تورطه في هجمات ١١ أيلول ومنع استخدام أفغانستان كقاعدة لعمليات الإرهابيين. وفي ١٤ ت١ عرضت طالبان مناقشة تسليم بن لادن لبلد محايد إذا ما أوقفت الولايات المتحدة قصفها ولكن شريطة تقديم الدليل على تورطه بالهجمات إلى طالبان. ورفضت الولايات المتحدة هذا العرض على أساس أنه خدعة دعائية وواصلت عملياتها العسكرية.

قاد التحالف الشمالي والعناصر المتبقية من القوات المناوئة لطالبان والتي سبق أن هزمتها الأخيرة لكنها لم تقض عليها تماما، الحرب البرية ضد طالبان. وفي ٩ ت٢ سقطت مزار شريف بيد التحالف الشمالي المدعوم من الولايات المتحدة، سقطت بعدها معظم الولايات دون مقاومة وغيرت العديد من القيادات المحلية ولاءاتها من طالبان إلى التحالف الشمالي. وفي ليلة ١٢ ت٢، تقهقرت طالبان إلى جنوب كابل. وفي ١٥ ت٢، أطلقت سراح ٨ موظفي معونات غربيين بعد احتجازهم مدة ثلاثة أشهر. وفي ١٣ ت٢، انسحبت طالبان من كابل وجلال آباد. وأخيرا وفي بداية ك١، تخلت طالبان عن آخر معاقلها في قندهار وتشتت باتجاهات مختلفة.

فبعد إن تملصت من القوات الأمريكية خلال صيف ٢٠٠٢، بدأت بقايا طالبان تجمع قواها وشنت عمليات التمرد التي وعد بها ملا محمد عمر في الأيام الأخيرة من

حكم طالبان. وخلال أيلول ٢٠٠٢ شنت قوات طالبان حملة تجنيد في المناطق البشتونية الأفغانية والباكستانية لإعلان الجهاد من جديد ضد الحكومة الأفغانية والتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة. فوزعوا المنشورات سرا خلال الليل في العديد من القرى جنوب أفغانستان. وتقول مصادر أفغانية وأخرى تابعة للأمم المتحدة أن الفارين من عناصر القاعدة وطالبان قد أسسوا معسكرات صغيرة متنقلة على امتداد الحدود مع الباكستان لتدريب المتطوعين الجدد على حرب العصابات والأساليب الإرهابية. ومعظم هؤلاء المتطوعون هم من طلبة المدارس الدينية في المناطق القبلية الباكستانية التي نشأت بها حركة طالبان. وأسسوا في صيف ٢٠٠٣ قواعد عسكرية لهم في المناطق القبلية الجبلية يبلغ تعداد أفراد بعضها حوالي ٢٠٠ رجل. ولم تستطع القوات الباكستانية القضاء عليها.

هناك قوى عديدة في أفغانستان تعمل ضد قوات حلف الناتو. ولكن وسائل الأعلام تعتبرها كلها طالبان. مع ذلك هناك حركتان رئيستان لطالبان الأولى طالبان الأفغانية والثانية طالبان الباكستانية. الهدف الرئيس لطالبان الأفغانية هو إخراج القوات الأجنبية والحكومة التي يؤيدونها من أفغانستان. ومجالس قيادة هذه الحركة سليمة وتعمل في جميع أنحاء أفغانستان بطريقة أو بأخرى. وهي تسيطر على معظم المناطق الريفية من هراة في شمال غرب البلاد حتى قندهار في الجنوب وكونار في شمال شرق أفغانستان. كما نفذت الحركة أيضا عمليات في مدينة مزار شريف الشمالية، لهذا فأنها تستطيع أن تصل إلى أي مكان. وهم منظمون بدقة، ويعتبرون أحيانا من أكثر القوى تنظيما في أفغانستان. ولديهم هيكل تنظيمي وضبط عسكري بها لم يشاهد مثله في السابق. وقد جعلتهم هذه المزايا مجتمعة من أكثر الحركات فاعلية ونشاطا. وما يثبت ذلك هو العملية الشبيهة بعمليات الكوماندو (المغاوير) التي نفذوها مؤخرا في قندهار حيث ١١٠٠ سجينا كان معتقلا لدى قوات التحالف.



التفجير الانتحاري الذي استهدف السفارة الهندية في كابل قتل فيه ٤١ شخصا.

أما الهدف الرئيس لطالبان الباكستانية فهو غير معروف. وقد اعتادت على أن تعبر الحدود الباكستانية الأفغانية لمقاتلة قوات حلف الناتو لكن يبدو اهتمامهم الأساس هو المناطق القبلية الباكستانية.

وهناك أيضا ميليشيا الحزب الإسلامي التي تعمل في شمال شرق أفغانستان.

تعتمد طالبان الأفغانية حاليا على عوائد بيع الأفيون لشراء الأسلحة وتدريب عناصرها وشراء الذمم. ففي ٢٠٠١ كانت أفغانستان تنتج ١١٪ من الإنتاج العالمي للأفيون، أما اليوم فأنها تنتج ٩٣٪ من الإنتاج العالمي لهذه المادة، وتشكل تجارة المخدرات نصف الإنتاج القومي الإجمالي للبلاد. ويقول تقرير أمريكي صادر من الكونجرس في ١٨ ت١ ٢٠٠٨ أن إيران تقدم الدعم المالي والعسكري أيضا إلى طالبان لزيادة نفوذها التقليدي في المناطق المحاذية لها.

وخلال شتاء ٢٠٠٢-٢٠٠٣ أعادت طالبان تدريجيا تنظيم نفسها وتشكيل قواتها للتحضير لهجوم صيف ٢٠٠٣. فأسسوا طريقة جديدة لإدارة العمليات حيث يتجمعون بمجموعات من حوالي ٥٠ مقاتلا ويشنون هجمات على المواقع العسكرية

المنعزلة أو أرتال الجنود أو الشرطة الأفغانية ثم يقسمون أنفسهم إلى مجموعات من ٥-١٠ عناصر لتفادي الهجوم المقابل. بينما تهاجم القوات الأمريكية بطريقة غير مباشرة وذلك بواسطة الهجمات الصاروخية على قواعدها أو العبوات الناسفة المزروعة على جوانب الطرق أو الهجمات الانتحارية. وقد عين ملا عمر مجلسا قياديا للمقاومة مكونا من عشرة قادة هو على رأسهم عمله تنسيق تنفيذ هذه الإستراتيجية. تم تقسيم البلاد إلى خمس مناطق عملياتية وعين عليها خمسة قادة من طالبان، فوضع مثلا ملا دادوالله مسؤولا عن العمليات في ولاية زابل. بينما تنفذ قوات القاعدة شرق البلاد ستراتيجية أكثر جرأة وذلك بتركيزها على الأمريكيين واصطيادهم بكمائن دقيقة.

جاءت أول إشارة على أن طالبان تعيد تنظيم نفسها في ٢٨ ك٢ ٢٠٠٣ عندما اكتشفت القوات الأمريكية مجموعة مكونة من ٨٠ مقاتلا من طالبان والحزب الإسلامي في كهوف عدي غار على بعد ٢٤ كم شمال مدينة سبن بولداك وشنت هجوما عليهم. قتل ١٨ من المتمردين وليست هناك خسائر أمريكية. يعتقد أن هذا الموقع كان قاعدة لجمع المؤن والتجهيزات والمقاتلين من الباكستان. وبحدود هذا الوقت استهدفت مجاميع كبيرة نسبيا من طالبان عدة أهداف حكومية.

وفي صيف ٢٠٠٣، ازدادت الهجمات تدريجيا في مناطق تواجد طالبان. وقد قتل العشرات من جنود الجيش الوطني الأفغاني وأفراد المنظمات الإنسانية غير الحكومية والجنود الأمريكيين خلال غارات وكمائن وهجمات بالصواريخ شنتها طالبان. وبالإضافة إلى حرب العصابات، أخذ مقاتلو طالبان يؤسسون قواعد لهم في مقاطعة داي شوبان داخل ولاية زابل، وهي مقاطعة بعيدة ضئيلة السكان تقع جنوب شرق أفغانستان وتتميز بجبالها الوعرة المرتفعة وممراتها الضيقة. وقرر مقاتلوها أن تلك المنطقة تعتبر مثالية لجعلها قاعدة لشن الهجمات ضد القوات الحكومية الأفغانية وقوات الحلفاء. وخلال صيف ٢٠٠٣ تجمع فيها حوالي ألف مقاتل لطالبان وربما

يكون هذا أكبر تجمع لهم منذ سقوط كابل. وبعد أن ازدادت قوة مقاتلي طالبان، قتل أكثر من ٢٢٠ شخصا بضمنهم عشرات من أفراد الشرطة الأفغانية خلال آب ٢٠٠٣. وفي أواخر ٢٠٠٥ شنت القوات الحكومية الأفغانية تساندها القوات الأمريكية هجوما على قاعدة طالبان الجبلية وتمكنت من قتل ١٢٤ عنصرا منهم وفر الباقون. بينما أنكرت طالبان أنها قد خسرت هذا العدد.

يقول القادة البريطانيون في هيلماند أن الجيش البريطاني لم يخض معركة بمثل هذا العنف منذ الحرب الكورية.

ومنذ بداية ٢٠٠٦، تواجه أفغانستان موجة شديدة من الهجمات بالعبوات الناسفة والهجمات الانتحارية خاصة بعد إن تولى حلف الناتو زمام القيادة لقتال المتمردين في ربيع ٢٠٠٦.

وقد أكدت منظمة مراقبة حقوق الإنسان أن هجمات طالبان والى حد أقل الحزب الإسلامي الذي يرأسه قلب الدين على المدنيين الأفغان قد ازدادت خلال ٢٠٠٦ وأن ٦٦٩ مدني أفغاني قد قتل بـ٣٥٠ عملية مسلحة معظمها كان ضد أهداف مدنية. و١٣١ من هذه العمليات هي عبارة عن هجوم انتحاري، كانت حصيلته مقتل ٢١٢ وجرح ٧٣٢ من المدنين ومقتل ٤٦ جندي وشرطي أفغاني و١٠١ جريح و١٢ جندي أجنبي و٦٣ جريح[1].

وقبل هجوم صيف ٢٠٠٦، كانت هناك إشارات تفيد بأن القوة الدولية للمساعدة في حفظ الأمن (إيساف) قد فقدت نفوذها وتأثيرها على المجاميع الأفغانية. وفي مايس حصلت إضطرابات في كابل بعد حصول حادث مروري.

(1) Ben Arnoldy, In Afghanistan, Taliban Kills more civilians than US, Christian Science Monitor, 31 July 2009, http://www.csmonitor.com/2009/0731/p06s15-wosc.html

إن الدعم المستمر لطالبان من القبائل والمجموعات الباكستانية وتجارة الأفيون والفشل في تشكيل حكومة مركزية قوية وقلة عدد قوات حلف الناتو مع التأريخ الطويل من المقاومة والعزلة، كل تلك العوامل تقود إلى الاستنتاج بأنه حتى لو لم تستلم قوات طالبان والزعامات المتحالفة معها السلطة في أفغانستان، فأنها موجودة وستلعب دورا خطيرا في البلاد بالمستقبل.

وتفضل طالبان استخدام أسلوب التفجير الانتحاري. فقد شهد عام ٢٠٠٧ حصول أكثر من ١٤٠ تفجير انتحاري، أكثر مما حصل خلال السنوات الخمس السابقة مجتمعة. قتل خلال هذه التفجيرات أكثر من ٣٠٠ مواطن مدني. يقول تقرير للأمم المتحدة أن منفذيها غالبا هم من الشباب المحبطين عديمي التعليم الذين تم تجنيدهم في المدارس الدينية الباكستانية على يد قادة طالبان.

ويقدر المحللون الغربيون في تقرير نشرته صحيفة النيويورك تايمز في ٣٠ ت١ ٢٠٠٨ أن طالبان يمكن أن تحشد حوالي ١٠.٠٠٠ مقاتل بأي وقت. وتقول الصحيفة أن من هذا العدد حوالي ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ هم من المتمردين المفرغين للعمل وشديدي الحماس. بينما الباقون فهم غير مفرغين ومعظمهم من الشباب الأفغان العاطلين الساخطين على الغارات الجوية أو يقاتلون من أجل المال. وفي ٢٠٠٧، دخل البلاد مقاتلون أجانب أكثر مما دخلوها من قبل حسب ما يقوله المسؤولون الأمريكيون والأفغان. فهناك حوالي ١٠٠-٣٠٠ مقاتل أجنبي متفرغ للقتال وأغلبهم من الباكستان وأذربيجان والشيشان ومختلف الدول العربية وربما أيضا من تركيا وغرب الصين. وهم أكثر عنفا وتعصبا وغالبا ما يستخدمون مهاراتهم في صنع القنابل أو في وضع التسجيلات الفيديوية لنشاطاتهم على الإنترنت. وفي نيسان ٢٠٠٧، اعترف كرزاي أنه تحدث مع طالبان لإحلال السلام في أفغانستان. وقال أن طالبان الأفغانية مرحب بها دائما في أفغانستان،

لكننا لا نرحب برجال الميليشيات الأجانب. وفي ١٢ مايس ٢٠٠٧ قتل ملا دادوالله أحد أكبر زعامات طالبان في جنوب البلاد وكان نصرا معنويا كبيرا للحكومة الأفغانية. لكن هجمات طالبان شرق البلاد قد ازدادت بنسبة ٤٠٪ عما كانت عليه في ٢٠٠٧. وفي عام ٢٠٠٨ ازدادت العمليات الانتحارية التي تشنها الحركة حيث استهدفت فيها المدنيين العزل وموظفي الإعانات الدولية[1].

(1) United Nations Mission to Afghanistan, Human Rights Unit, Afghanistan, Mid Year Bulletin on Protection of Civilians in armed Conflict, 2009. http://unama.unmissions.org/Portals/UNAMA/human%20rights/09july31-UNAMA-HUMAN-RIGHTS-CIVILIAN-CASUALTIES-Mid-Year-2009-Bulletin.pdf

الفصل العشرون

الهجمات الانتحارية لعناصر حزب الله اللبناني



التفجير الانتحاري لثكنات قوات المارينز في بيروت

خلاصة:

يُتهم حزب الله أنه نفذ خلال الفترة من ١٩٨٢-١٩٨٦ (٣٦) هجوما انتحاريا ضد القوات الإسرائيلية والأمريكية والفرنسية في لبنان، قتل فيها أكثر من ٦٥٩ فردا من هذه القوات. لكن الحزب ينكر تورطه في أي منها[١].

يعتبر حزب الله أول الحركات الإسلامية التي استخدمت أسلوب التفجيرات الانتحارية في عملها المسلح. وأول التفجيرات الانتحارية المنسوبة إليه هو تفجير مقر الجيش الإسرائيلي في مدينة صور بجنوب لبنان وثكنات قوات المارينز الأمريكية وقوات حفظ السلام الفرنسية في بيروت. وقد حفزت هذه الأعمال باقي الجماعات المتطرفة لتبني هذا الأسلوب لتحقيق أهدافها. وكان الشيعة في جنوب لبنان قد تحملوا وطأة الغزو الإسرائيلي لبلادهم في ١٩٨٢، ودفع مئات الألوف منهم إلى ترك منازلهم والنزوح إلى ضواحي بيروت المكتظة حينها بحوالي ٣٠٠ ألف من فقراء الشيعة فيما يسمى بحزام الفقر المحيط ببيروت. كما شعر الكثير منهم بخيبة الأمل والإحباط بعد دخول القوات الأوربية والأمريكية متعددة الجنسيات إلى بيروت في ١٩٨٢، ليس من أجل إيجاد حل لمشاكلهم بل لدعم إسرائيل وتقوية سلطة الحكومة اللبنانية التي يسيطر عليها حزب الكتائب المسيحي بقيادة أمين الجميل ووجهاء السنة مثل رئيس الوزراء شفيق الوزان. وابتدأت أولى مهامها بطرد السكان الشيعة الفقراء من بيروت الغربية وإبعادهم عن المطار. وهذا ما هيأ الفرصة المناسبة للميليشيات والحركات الراديكالية لتجنيدهم وضمهم إلى صفوفها. يقول الصحفي

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Hezbollah .

الأمريكي جيفري جولدبيرج في إحدى مقالاته بصحيفة النيويوركر[1]: "وسرعان ما أصبح حزب الله أكبر حركة متطرفة في التأريخ الحديث، وأصبح نموذجا تحتذي به الجماعات المتطرفة الأخرى في العالم.

ابتكر الحزب أسلوب الهجمات الانتحارية المتزامنة عندما نفذ هجمتين في ٢٣ ت١ ١٩٨٣ بتوقيت واحد على ثكنات الجيش الأمريكي والفرنسي. ولم يفصل بين الهجمتين سوى ٢٠ ثانية فقط. (لم يعلن حزب الله مسؤوليته عن هذين الهجومين)". يقول روبرت باب في كتابه "الموت من أجل النصر"[2] أن الحزب قد نفذ ثلاث حملات من الهجمات الانتحارية ضد القوات المحتلة للبنان، وكما يلي:

١- ١٩٨٣-١٩٨٤: نفذ حزب الله خمس هجمات انتحارية ضد الولايات المتحدة وفرنسا بضمنها:

- تفجير السفارة الأمريكية في ١٨ نيسان ١٩٨٣.
- تفجير ثكنات الجيش الأمريكي والفرنسي في ٢٣ ت١ ١٩٨٣.

٢- ١٩٨٢-١٩٨٥: نفذ الحزب ١١ هجمة انتحارية ضد إسرائيل.

٣- ١٩٨٥-١٩٨٦: نفذ الحزب ٢٠ هجمة انتحارية ضد إسرائيل وجيش لبنان الجنوبي الموالي لإسرائيل.

٤- إضافة إلى هذه الحملات، هناك ست هجمات انتحارية أخرى نفذها الحزب خلال الأعوام من ١٩٨٥-١٩٩٩.

---

(1) Jeffrey Goldberg, In The Party of God: Are terrorists in Lebanon preparing for a larger war? The New Yorker, Oct 14, 2002, http://www.newyorker.com/archive/2002/10/14/021014fa_fact4

(2) Pape, Robert, Dying to Win, The Strategic Logic of Suicide Terrorism, Random House, 2005, p. 253.

وبعد انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان في ٢٠٠٠، اختفت الظروف التي تبرر للحزب استخدام أسلوب الهجمات الانتحارية. لهذا لم يشترك بشكل مباشر منذ ١٩٩٩ بأي هجوم انتحاري، ويبدو أن قادته قد تخلوا عن هذا الأسلوب نهائيا.

نبذة تاريخية :

يوجد في لبنان أكثر من ١٨ طائفة وملّة. وتوزع المناصب والسلطات الحكومية على أساس الانتماء الديني والطائفي للأفراد. وقد ظهر هذا النظام في ١٩٤٣ باتفاق وطني غير مكتوب بين المسيحيين الموارنة والمسلمين السُنَّة بعد انتهاء الانتداب الفرنسي على لبنان، وأعطيت بموجب هذا الاتفاق معظم السلطات إلى رئيس الدولة الذي يجب أن يكون مسيحيا مارونيا ورئيس الوزراء الذي يجب أن يكون مسلما سنيا، أما منصب الناطق باسم البرلمان وهو منصب لا صلاحيات ولا سلطات له فقد أعطي للمسلمين الشيعة. ووزعت باقي المناصب الحكومية والمقاعد البرلمانية بين الطائفتين المسيحية والمسلمة السنية بنسبة ستة إلى خمسة. ويفترض أن هذا الترتيب قد جاء في ضوء نسب السكان التي ظهرت في إحصاء ١٩٣٢ وهو آخر إحصاء جرى في البلاد حتى هذا اليوم. ويرجع تأريخ ظهور الشيعة في لبنان إلى أكثر من ألف عام. وتشير تقديرات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى أنهم يشكلون ٤١٪ من مجموع السكان في لبنان، لكن الاتفاق الوطني لعام ١٩٤٣ قد أبقاهم مهمشين اجتماعيا واقتصاديا[1].

(١) منشورات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية The World Factbook, Lebanon
https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/lc.html#People



علم حزب الله

ظل هذا النظام جامدا ولم يأخذ بعين الاعتبار التغييرات الديمغرافية التي حصلت خلال أكثر من سبعين عاما. كان معدل النمو السكاني للشيعة أسرع من غيره لدى باقي الطوائف، ونتيجة هذا الجمود، تفاقم تدني تمثيل الشيعة في الحكومة. بنفس الوقت أصبحت الطائفية وسيلة للوصول إلى ثروات البلاد، حيث تخصص الحكومة الأموال لإقامة شبكات الخدمات الاجتماعية كالمدارس والمستشفيات على أساس طائفي. ولأن التمثيل الشيعي في الحكومة ضعيفا، لذلك يذهب قليل جدا من ثروات البلاد لإقامة الخدمات الاجتماعية للسكان الشيعة مما زاد من نسبة الفقر بينهم قياسا لنسبته لدى الطوائف الأخرى. وقد تفاقم هذا الوضع مع إعطاء المقاعد المخصصة للشيعة في البرلمان إلى الإقطاعيين وملاك الأراضي وباقي النخب المنعزلة عن بسطاء الشيعة.

كان السكان الشيعة حتى نهاية الستينيات يعيشون في المناطق الريفية خاصة في جنوب البلاد وفي وادي البقاع حيث لا تصل مستويات المعيشة لديهم لمثيلتها لدى باقي سكان البلاد. ونتيجة لبرامج التحديث وتأسيس شبكات الطرق ودخول زراعة المحاصيل الصناعية في الريف، هاجر الكثير منهم إلى بيروت واستقروا في حزام فقر حول العاصمة بيروت. وقد وسع التمدن السريع الذي جاء مع الاندماج في الاقتصاد العالمي الرأسمالي من التفاوت الاقتصادي داخل لبنان.

لم يكن في البداية هذا التجمع السكاني المتنامي في ضواحي بيروت والمكون في أغلبه من فقراء الشيعة مجتمعا على أساس طائفي. ففي الستينيات وبداية السبعينيات، كانوا يشكلون قادة وقواعد الحزب الشيوعي والحزب القومي الاشتراكي السوري. ولكن في السبعينيات ظهر موسى الصدر(١)، وهو عالم دين شيعي ذو شخصية كاريزمية كان قد درس علوم الدين في مدينة النجف الأشرف بالعراق، وأخذ ينافس الأحزاب اليسارية في كسب ولاء الشباب الشيعي.

قدم الصدر إلى لبنان في ١٩٦٠ وسرعان ما أصبح أبرز شخصية شيعية في مدينة صور. فقد عرف عنه بكونه من أكبر المدافعين عن حقوق الشيعة في لبنان. وفي ١٩٦٩ أصبح أول رئيس للمجلس الشيعي الإسلامي الأعلى وهو مؤسسة ناطقة

(١) ولد موسى الصدر في مدينة قم بإيران في ١٩٢٨ وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية هناك وكان يتلقى أيضا الدروس الدينية في الحوزة العلمية بقم. وفي ١٩٤١ تفرغ للدراسة الدينية مدة تسع سنوات التحق بعدها بكلية الحقوق في جامعة طهران في ١٩٥٠. ونال شهادة الليسانس في الحقوق الاقتصادية في ١٩٥٣. وفي ١٩٥٤ وبعد وفاة والده توجه إلى العراق وبقي فيه حتى ١٩٥٩ وشارك في الهيئة الإدارية لجمعية منتدى النشر في النجف والتي كانت تهتم بعقد الندوات الثقافية ونشرها. زار لبنان لأول مرة في ١٩٥٥ وتوالت بعدها زياراته إليه. انتخب رئيسا للمجلس الشيعي الأعلى الذي تأسس في ١٩٦٩ ثم أعيد انتخابه في ١٩٧٥. أسس الكثير من المؤسسات الاجتماعية والمدارس المهنية والعيادات الصحية ومراكز محو الأمية. واكتسب نشاطه بعدا وطنيا هاما لما كان يقوم به من توعية وتحذير من مخاطر الاعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان. قاد احتجاجا في ١٨ آذار ١٩٧٤ ضد إهمال الحكومة للمناطق الريفية وبعد سلسلة من التظاهرات أسس حركة المحرومين التي تبنت شعار "النضال المستمر حتى لا يبقى محروم في لبنان". أسس أثناء الحرب الأهلية أفواج المقاومة اللبنانية – الجناح العسكري لحركة أمل التي حاربت مع الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ضد مشاريع التقسيم وتوطين الفلسطينيين في لبنان. آخر مرة ظهر فيها الصدر كانت في ليبيا بعدها أعلن عن اختفائه، ولا يزال الحادث غامضا حتى اليوم. لكن الحزب يتهم ليبيا بالوقوف وراء اختفائه. يقول السيد حسن نصر الله في أعقاب الاحتفال بانسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠: "إن اللبنانيين لن يقبلوا من العقيد الليبي هدية على انتصارهم على الجيش الإسرائيلي في الجنوب أعظم من عودة الأمام موسى الصدر".

باسم الشيعة وتسعى لأن يكون لهم دور في حكم البلاد. وفي ١٩٧٤ أسس "حركة المحرومين" وهدفها الحصول على الحقوق السياسية للشيعة داخل الدولة اللبنانية وتحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية. أسس مجموعة من المدارس والمستوصفات في أنحاء جنوب لبنان لا يزال الكثير منها قائما ويؤدي خدماته إلى السكان حتى هذا اليوم. وفي بداية الحرب الأهلية اللبنانية في ١٩٧٥، وقف إلى جانب الحركة الوطنية اللبنانية، ثم طورت حركة المحرومين جناحا عسكريا لها (ميليشيا) عرف باسم أفواج المقاومة اللبنانية وتختصر باسم أمل. وبعد اختطاف الصدر تحولت قيادة الأخيرة مؤقتا في ١٩٧٩ إلى حسين الحسيني ثم تحولت في ١٩٨٠ إلى نبيه بري الذي ظل قائدها حتى هذا اليوم. وتحت قيادته، ابتعد الكثير من القيادات الشيعية عن صفوف الحركة بسبب تأييد بري للرئيس إلياس سركيس الذي يحظى بدعم سوريا وابتعاده عن نهج الصدر في المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية والسياسية. لقد وفرت علمانية أمل الأرضية المناسبة لطلبة حوزة النجف السابقين لتأسيس ميليشيا جديدة تقوم على الفكر الشيعي.

بينما كان موسى الصدر يعتبر الدولة اللبنانية كيانا شرعيا بحاجة فقط إلى إصلاح، وكانت له علاقات طيبة مع السياسيين المسيحيين المؤمنين بالإصلاح، لكن بعض الطلبة الحوزويين الذين درسوا في النجف يرفضون الاعتراف بكيان الدولة اللبنانية وحدودها الحالية أو حتى نظام الحكم المشترك القائم فيها. تأسست هذه الجماعة تحت إشراف آية الله محمد باقر الصدر وهو أحد أبرز علماء الدين في الحوزة العلمية في النجف في العراق. تؤمن هذه الجماعة بإقامة دولة إسلامية من خلال بناء تنظيم سري أصبح يعرف فيما بعد باسم حزب الدعوة الإسلامية. أسس علماء الدين اللبنانيون العائدون من النجف مثل السيد عباس الموسوي أول خلية لهذا التنظيم في لبنان.

وإلى جانب موسى الصدر، هناك أيضا بعض علماء الدين الشيعة الناشطين في هذا المجال، ومعظمهم كان قد درس في مدينة النجف، وهم يسعون لإقامة قاعدة

دينية واجتماعية في ضواحي بيروت الشيعية. ومن بين هؤلاء السيد محمد حسين فضل الله[1]، وهو الآن من أكبر مراجع التقليد لدى المسلمين الشيعة في لبنان وخارجه. وهناك أيضا السيد حسن نصر الله[2]. ويقصد بمرجع التقليد عالم دين ذو

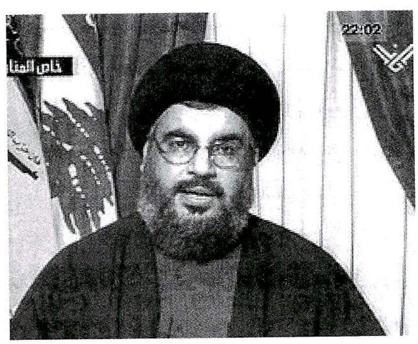
---

(١) ولد الشيخ محمد حسين فضل الله في النجف بالعراق في ١٦ت٢ ١٩٣٥ وظل فيها لغاية ١٩٦٦. والده هو عالم الدين عبد الرؤوف فضل الله ووالدته هي الحاجة رؤوفة حسن بازي. سافر بعدها إلى لبنان حيث أخذ يمارس نشاطه الديني والاجتماعي. فكتب عشرات الكتب وألقى مئات المحاضرات وأسس العديد من الهيئات والمؤسسات الدينية والاجتماعية كالمعهد الشرعي الإسلامي والحوزة العلمية للنساء والكثير من العيادات الطبية وجمعيات رعاية الأيتام والمراكز الإسلامية ومكتبة عامة. وهو يؤيد مبادئ الثورة الإسلامية في إيران والحركة الإسلامية في لبنان. ودعا إلى المقاومة المسلحة ضد إسرائيل في لبنان وفلسطين. وهو يحمل أفكارا ليبرالية إلى حد ما حول وضع المرأة. اتهمته الولايات المتحدة وفرنسا بالوقوف وراء هجمات ١٩٨٣ التي أودت بحياة أكثر من ٣٠٠ جندي أجنبي. تعرض لثلاث محاولات اغتيال أهمها حادث تفجير السيارة في ٨ آذار ١٩٨٥ والذي قتل فيه أكثر من ٨٠ شخصا. يعتبر فضل الله من أهم الرموز الدينية الشيعية في العالم الإسلامي.

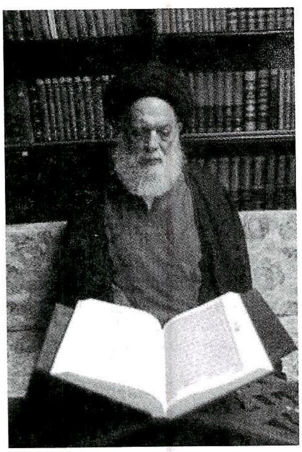
(٢) ولد السيد حسن عبد الكريم نصر الله في ٣١ آب ١٩٦٠ في بلدة برج حمود في بيروت الشرقية بلبنان لأسرة فقيرة حيث كان أبوه يعمل بقالا وكان تسلسله التاسع من بين عشرة أشقاء. وأبوه من قرية البازورية في جبل عامل بجنوب لبنان بالقرب من صور. وفي سن السادسة عشر ذهب إلى النجف بالعراق لدراسة العلوم الدينية وظل فيها مدة أربع سنوات. عاد بعدها إلى لبنان بعد إن طرد الدكتاتور العراقي السابق صدام حسين المئات من الطلبة اللبنانيين الذين كانوا يدرسون في النجف. ثم أكمل دراسته الثانوية في صور وهناك انضم لحركة أمل. درس بعدها في الحوزة العلمية في مدينة بعلبك في وادي البقاع وكانت هذه الحوزة تتبع تعاليم آية الله محمد باقر الصدر العراقي المولد مؤسس حركة حزب الدعوة في العراق خلال الستينيات. تتلمذ على يد السيد عباس الموسوي الذي كان حينها أحد قادة أمل. كانت خطابات نصر الله الحماسية تثير إعجاب المسلمين الشيعة وجمعت حوله الكثير من الأنصار. سافر إلى إيران لإكمال تعليمه الديني وأصبح في ١٩٨٩ ممثلا لحزب الله في إيران. وفي عام ١٩٩١ عاد إلى لبنان. وبعد اغتيال السيد الموسوي على يد إسرائيل، أصبح نصر الله أمينا عاما للحزب. قاد حملة عسكرية ضارية ضد الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان أدت إلى قرار إسرائيل بالانسحاب نهائيا من جنوب لبنان بعد احتلال دام أكثر من ١٨ عاما. وقد زاد هذا القرار من شعبية نصر الله في كل أنحاء العالم العربي والإسلامي. ثم عزز شعبيته بعقد صفقة تبادل الأسرى مع إسرائيل التي أسفرت عن عودة مئات الأسرى اللبنانيين والفلسطينيين إلى ذويهم واستلامه لجثة ابنه هادي وجثث الشهداء الآخرين. نشرت مدونة الملف العراقية في ١٥ ت١ ٢٠٠٨ أن السيد نصر الله قد تعرض لمحاولة اغتيال عن طريق السم وقد أرسل بطائرة خاصة إلى إيران حيث تمكن الأطباء الإيرانيون من إسعافه وأن المخابرات الإسرائيلية تقف وراء هذه المحاولة. لكن الحزب أنكر صحة =

معرفة واسعة يرجع اليه المسلمين الشيعة ويتبعون فتاويه في الشؤون الدينية. ويعني لقب "سيد" لدى الشيعة الانحدار من سلالة الرسول محمد.

حصلت خلال الأعوام بين ١٩٧٨ و١٩٨٢ سلسلة من الأحداث دفعت التعبئة الشيعية الوليدة إلى أمام وأبعدتها عن الأحزاب اليسارية. أولها غزو إسرائيل مرتين للبنان وثانيها الاختفاء الغامض لموسى الصدر وثالثها الثورة الإسلامية في إيران. ففي عام ١٩٧٨ وخلال زيارته لليبيا، اختفى الصدر بشكل غريب وازدادت شعبيته بعدها. وفي نفس ذلك العام، غزت إسرائيل جنوب لبنان بهدف طرد مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية المتمركزين حينها فيه، وشردت أكثر من ٢٥٠ ألف من سكان الجنوب. كانت النتيجة الأولية لهذين الحادثين هي إعادة نشاط حركة أمل، حيث كان رجالها يقاتلون فدائيي منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان.



السيد حسن نصر الله



السيد محمد حسين فضل الله

= هذا الخبر وقال أنها محض كذبة وتلفيق. متزوج من السيدة فاطمة ياسين من قرية العباسية وله منها خمسة أولاد أستشهد أكبرهم (هادي) في عملية عسكرية في جبل الرافعي بجنوب لبنان ضد الجيش الإسرائيلي.

وحصل إدراك واسع لدى الشيعة بأن اليسار اللبناني قد فشل في تأمين حقوق أكبر للفقراء وكذلك في حماية الجنوب من القتال بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وفي السنة التالية، وضعت الثورة الإسلامية في إيران نموذجا جديدا يحتذى به للمسلمين الشيعة في أنحاء العالم، وقدمت رؤية عالمية بديلة للرأسمالية الليبرالية الغربية ومختلفة عن رؤية اليسار. وآخر الأحداث وأهمها في هذه السلسلة الساخنة من الأحداث هو الغزو الإسرائيلي الثاني للبنان في حزيران ١٩٨٢. ففي هذه المرة تقدمت القوات الإسرائيلية شمالا بهدف طرد منظمة التحرير الفلسطينية نهائيا من لبنان، وفرضت حصارا على بيروت الغربية. قتل وجرح في هذه العملية عشرات الألوف من اللبنانيين وشُرِّد أكثر من ٤٥٠ ألف مواطن لبناني. وخلال الأيام من ١٦-١٨ أيلول ١٩٨٢، وتحت حماية وإشراف الجيش الإسرائيلي ووزير الدفاع حينها أريل شارون، دخلت ميليشيات حزب الكتائب اللبناني إلى مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين وقتلت ومثلت بجثث آلاف اللاجئين المدنيين. ربع هؤلاء اللاجئين من الشيعة اللبنانيين الذين فروا من العنف في الجنوب. لا يمكن التغاضي مطلقا عن أهمية الغزو الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢ في تأسيس حزب الله.

يقول أحمد نزار حمزة في كتابه "في طريق حزب الله"[(1)] أن هناك أربع أزمات ساهمت في ظهور حزب الله:

- الاضطهاد وأزمة الهوية: عندما حصل لبنان على استقلاله في ٢٢ ت٢ ١٩٤٣، شعر الشيعة بأنهم مواطنون محتقرون من الدرجة العاشرة في دولة يحكمها تحالف ماروني- سني. وكانوا مهيأين للالتحاق بأي منظمة أو حزب يمكن أن يوفر لهم شيئا من حقوقهم كحزب الله مثلا.

(1) Hamzeh, Ahmad Nizar, In the Path of Hizbullah, Syracuse University Press, 2004.

- التركيبة غير المتوازنة: يعتبر التمثيل الشيعي في الحكومة بموجب الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣ متدنيا، حيث منحت المناصب التشريعية والتنفيذية والعسكرية بنسب لا تتفق مع الحجم الديمغرافي لكل طائفة من طوائف البلاد. ففي عام ١٩٤٦ شغل المسيحيون الموارنة ٤٠٪ من المناصب الحكومية العالية في الدولة وشغل المسلمون السنة ٢٧٪ منها. بينما شغل الشيعة ٣.٢٪ من المناصب العليا في الدولة. وفي الثمانينيات أصبح الشيعة أكبر طائفة في لبنان من حيث عدد السكان، حيث بلغ تعدادهم ١.٤٠٠.٠٠٠ نسمة متفوقين في ذلك على أعداد السكان المسيحيين والمسلمين السنة الذين يبلغ تعداد كل طائفة منهم بحدود ٨٠٠.٠٠٠ نسمة. لهذا أصبح الشيعة يعتقدون أن تمثيلهم لا يتناسب مع حجمهم العددي. ومن الناحية الاقتصادية فأن الجزء الأعظم من الطائفة الشيعية في لبنان هم دون حد الفقر. و٨٥٪ منهم يعيشون في المناطق الريفية من جنوب لبنان والبقاع ويعيشون على ما يكسبونه من بيع التبغ إلى الدولة أو من زراعة الخضروات. كما أنهم غالبا ما يكونون ضحية الصراع بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وقد فرَّ الكثير منهم بسبب هذا الصراع واستقروا في أكواخ في بيروت الشرقية وضواحي جنوب بيروت. وتعرف هاتان المنطقتان باسم حزام الفقر وقد أصبحت مرتعا لنمو الميليشيات الشيعية في الثمانينيات. وساهم موسى الصدر خلال الستينيات والسبعينيات في توعية وتنظيم الشيعة سياسيا.

- الهزيمة العسكرية: عندما تعززت أزمة الهوية والتركيبة اللامتوازنة، بهزيمة عسكرية، ازدادت القدرة القتالية للمجتمع. لقد فتحت الهزيمة العسكرية وما أعقبها من احتلال أجنبي، الطريق أمام تأسيس حركات مسلحة وانتشار حرب العصابات مع تمتعها بدعم شعبي واسع. وقد حصل هذا عندما غزت إسرائيل لبنان في ١٩٧٨ (عملية الليطاني) ثم في ١٩٨٢ (حرب لبنان) بهدف إخراج منظمة

التحرير الفلسطينية من لبنان وتقويض النفوذ السوري فيه. كانت إسرائيل ترى أنه إذا كان لبنان بعيدا عن النفوذ السوري ويسيطر عليه نظام حكم مسيحي، سيحقق السلام ويبني روابط قوية بين البلدين. لكن هاتين العمليتين قد ألحقتا أضرارا كبيرة بالشيعة الذين يعيشون في جنوب لبنان. فقد قتلت إسرائيل أكثر من ألف مواطن مدني شيعي وهذا ما أدى إلى حركة نزوح كبيرة إلى أكواخ ضواحي بيروت. وعزز الغزو الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢ من فرص حزب الله لأنه قد وفر جوا سياسيا وعسكريا يضفي الشرعية على وجود الجماعة ويعطيها سببا منطقيا مشروعا للقيام بعمليات فدائية. كذلك عزز تواجد القوات الغربية في لبنان وخاصة قوات المارينز الأمريكية من فرص حزب الله الذي اعتبر قتال هذه القوات واجبا شرعيا كقتال قوات الاحتلال الإسرائيلي.

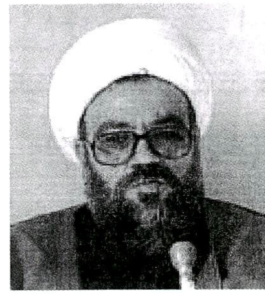
- ظهور النموذج مجسدا بالثورة الإسلامية في إيران: كان للثورة الإيرانية تأثيرا كبيرا على لبنان رغم عدم تجاور البلدين، وذلك لأنها قدمت مثالا حيا يمكن استلهامه في الثورة ضد الظلم السياسي والاجتماعي. كان علماء الدين الشيعة في لبنان والعراق وإيران يعرف بعضهم البعض أثناء اشتراكهم في الحلقات الدراسية الدينية في مدينة النجف بالعراق. وعند عودة الخميني منتصرا إلى إيران في ١ شباط ١٩٧٩، أصبح القائد الأوحد والمرجع الديني الأكبر للشيعة داخل وخارج إيران. وفي آب ١٩٨٢، وخلال مؤتمر الحركات الإسلامية المنعقد في طهران المعروف باسم "مؤتمر المستضعفين"، التقى الخميني مع علماء الدين اللبنانيين الشيعة بضمنهم الشيخ صبحي الطفيلي[1] والسيد عباس الموسوي.

---

(١) الشيخ صبحي الطفيلي مواليد ١٩٤٨ في لبنان. درس العلوم الدينية في مدينة النجف بالعراق لتسع سنوات التقى خلالها وتأثر بعدد من علماء الدين كالسيد محمد باقر الصدر وآية الله الخميني. وبعد عودته إلى لبنان ساهم مع السيد عباس الموسوي في تأسيس حزب الله في منطقة وادي البقاع. =

وبعد أحداث ١٩٨٢، ترك العديد من أعضاء أمل البارزين صفوف الحركة التي أصبحت مهتمة أكثر في سياسات المحسوبية وتخلت عن الكفاح ضد الفقر والاحتلال الإسرائيلي. في هذه الأعوام، ظهرت في الجنوب وفي وادي البقاع وضواحي بيروت جماعات مسلحة من الشباب تحمل راية الإسلام. وقد عزمت على قتال قوات الاحتلال الإسرائيلية، واشتركت أيضا في الحرب الأهلية اللبنانية التي بلغت أطرافها حينذاك أكثر من ١٥ ميليشيا وجيش. قدمت إيران للميليشيات الشيعية المعدات والتدريب العسكري الأساسي. وبمرور الوقت، توحدت هذه المجاميع وأسست حزب الله، رغم أنه لم يعلن عن تأسيسه رسميا وتأسيس جناحه العسكري "المقاومة الإسلامية" إلا في ١٦ شباط ١٩٨٥ عبر خطابهم "رسالة مفتوحة إلى المستضعفين في لبنان والعالم".

= كان الناطق الرسمي باسم الحزب خلال الفترة من ١٩٨٥-١٩٨٩ حيث أصبح بعدها أول أمين عام للحزب. وفي ١٩٩٢ حل محله في منصب الأمين العام السيد عباس الموسوي وذلك بعد قرار الحزب المشاركة في الانتخابات الوطنية، إذ عارض الطفيلي ذلك. وهو ربما يكون قد ترك الحزب بإرادته أو أنه أزيح عنه. يعتقد حاليا أنه يقود جماعة منشقة تعرف باسم أنصار الله التي تلقى عليها مسؤولية بعض الهجمات في لبنان وبنما والأرجنتين. يحظى الطفيلي بتأييد سوريا التي تحتفظ به كوسيلة للضغط على السيد حسن نصر الله. وفي ١٩٩٧ نظم احتجاجا ضد الحكومة عرف باسم ثورة الجياع. وفي ك٢ ١٩٩٨ قاد ميليشياته لاحتلال حوزة عين برضاي وهي إحدى المدارس الدينية التابعة لحزب الله وحصلت مواجهة عنيفة مع الجيش اللبناني قتل فيها عدد من الجنود حيث أصدرت بعدها السلطات أمرا بالقبض عليه ولكن لم ينفذ القبض حتى الآن، ويقال أنه لا يزال في منزله يستقبل زواره ويقيم معهم كل خميس مجالس عزاء حسينية. قال الجيش في بيانه: "بعد قرار المدعي العام العسكري بإلقاء القبض على الشيخ صبحي الطفيلي وأتباعه بتهمة تشكيل جماعات مسلحة وتهديد الأمن الوطني وقتل الجنود والمدنيين، سيطر الجيش على منزل الطفيلي". وفي شباط ١٩٩٨ حاصرت القوات اللبنانية إحدى القرى بحثا عنه وبعد يومين من المصادمات التي قتل فيها ثمانية جنود، سمح للطفيلي ولمئة من أنصاره بالخروج بعد تدخل مدير الاستخبارات العسكرية السورية في بعلبك المدعو علي صافي. وفي ١٩٩٩ استولت ميليشيا الطفيلي على مستودع للأسلحة تابع لحزب الله في قرية النبطية بالقرب من بعلبك واستولى على عدد كبير من المدافع الرشاشة وقاذفات الصواريخ ومعدات عسكرية أخرى. وهو يقول أن حسن نصر الله ينفذ أجندة علي خامنئي في لبنان.



الشيخ صبحي الطفيلي



السيد عباس الموسوي

وتختلف المصادر في شأن التأريخ الرسمي لتأسيس حزب الله. فبعضها يرجعه إلى بداية عام ١٩٨٢، بينما يقول آخرون أنه ظل عبارة عن جماعات شيعية متطرفة تعمل تحت هذا الاسم حتى أواخر ١٩٨٥. وتقول مصادر أخرى أنه تأسس من أنصار الشيخ راغب حرب وهو زعيم المقاومة الشيعية في الجنوب الذي قتلته إسرائيل في ١٩٨٤. وبغض النظر عن حيثيات تأسيس الحزب، لكنه نشأ في ظل ثلاث عوامل رئيسة. أولها الثورة الإيرانية في ١٩٧٩ ثم التهميش والاضطهاد الذي تعرض له الشيعة على يد الطائفتين السنية والمسيحية في لبنان وآخرها وليس أخيرها الغزو الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢.

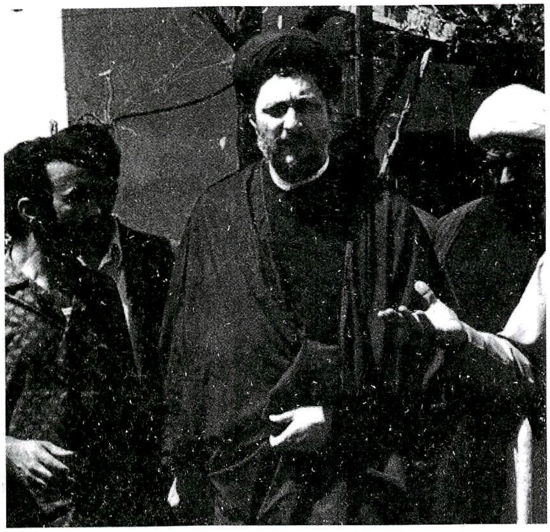
وبعد الإعلان رسميا عن تأسيس الحزب في ١٩٨٥، أصبح الشيخ صبحي الطفيلي أول أمين عام له. وفي ١٩٩١ خلفه السيد عباس الموسوي لكنه قتل بعد عدة أشهر من قبل إسرائيل، وخلفه السيد حسن نصر الله.

ركز الحزب نشاطاته خلال الحرب الأهلية اللبنانية على طرد الإسرائيليين والقوى الغربية الأخرى من لبنان ولم ينشغل في معارك طائفية مع باقي الطوائف اللبنانية ولا في معارك مع الجيش اللبناني، لكنه خاض قتالا مع شقيقته منظمة أمل للسيطرة على المناطق الشيعية، كما أنه حارب بضراوة جيش لبنان الجنوبي الموالي لإسرائيل.

تعززت قوة الحزب بإرسال إيران حوالي ١٠٠٠-١٥٠٠ عنصرا من الحرس الثوري الإيراني لدعم الحزب، وتلقيه المساعدات المالية منها. وقد أشرف علماء الدين الإيرانيون وخاصة فضل الله محلاتي على نشاطات الحزب. وأصبح فيما بعد القوة العسكرية والسياسية الرئيسة للطائفة الشيعية في لبنان والذراع الضارب للمقاومة الإسلامية فيه.

وبالمقابل تعرض عناصر الحزب لعدة عمليات اغتيال واختطاف منها:

- محاولة اغتيال الشيخ محمد حسين فضل الله في ١٩٨٥ بسيارة مفخخة، لكن المحاولة فشلت. يزعم أن المخابرات المركزية الأمريكية تقف وراء هذا الهجوم.
- في ٨ تموز ١٩٨٩، اختطف فريق كوماندوز إسرائيلي الشيخ عبد الكريم عبيد، أحد قادة حزب الله. وقد أدان مجلس الأمن بالقرار ٦٣٨ جميع عمليات الاختطاف من كلا الجانبين.
- وفي ١٩٩٢، هاجمت طائرات هيليكوبتر إسرائيلية موكب سيارات في جنوب لبنان وقتلت السيد عباس الموسوي الأمين العام لحزب الله مع زوجته وابنه وأربعة آخرين.
- وفي ١٢ شباط ٢٠٠٨، قتل عماد مغنية قائد الجناح العسكري للحزب بانفجار سيارة مفخخة في دمشق بسوريا.



السيد موسى الصدر

طور الحزب منذ ١٩٨٥ هيكلا تنظيميا داخليا معقدا. ففي الثمانينيات تشكل مجلس ديني من كبار القادة سمي مجلس الشورى. ويضم هذا المجلس المكون من سبعة أعضاء لجانا مختلفة ومتعددة مختصة بشؤون الجماعة كاللجنة المالية والقضائية والاجتماعية والسياسية والعسكرية. وهناك أيضا مجالس إقليمية محلية في بيروت والبقاع والجنوب. وفي نهاية الحرب الأهلية اللبنانية، دخل الحزب في ميدان الحياة السياسية اللبنانية وتأسس مجلسان لصنع القرار هما المجلس التنفيذي والمكتب السياسي.

يوصف محمد حسين فضل الله غالبا بأنه الزعيم الروحي للحزب. لكن كلاهما أي فضل الله والحزب ينكران وجود مثل هذه العلاقة. والحقيقة هناك خلاف بينهما لبعض الوقت بشأن طبيعة المؤسسة الإسلامية الشيعية أو ما تسمى بالمرجعية. ففضل الله يؤمن أن عالم الدين يجب أن يعمل من خلال مؤسسات متعددة لا أن ينتمي إلى حزب سياسي معين ولا أن ينشغل في الشؤون الدنيوية للحكم. وباعتقاده هذا يكون

قريبا من الفقه الشيعي التقليدي وبعيدا عن مفهوم ولاية الفقيه الذي يدعو إليه آية الله روح الله الخميني في إيران.

أما حزب الله فيتبع ويقلد رسميا آية الله علي الخامنئي خليفة الخميني كمرشد أعلى للجمهورية الإسلامية في إيران. لكن أنصار الحزب وأعضاءه أحرار في اختيار المرجع الذي يقلدونه، والكثير منهم يقلد فضل الله. والنقطة الجوهرية في الموضوع هي أن الولاء السياسي والتقليد الديني هما أمران منفصلان، فقد يتطابقان أو يختلفان لدى الفرد الواحد.

يعتبر حسن نصر الله الزعيم السياسي الحالي للحزب. وفي الوقت الذي يعتبر فيه هو عالم دين أيضا ودرس في النجف، لكنه لم يرتق إلى مرتبة الاجتهاد ليكون مرجعا للتقليد وظل مقلدا دينيا للخامنئي. أصبح نصر الله أمينا عاما للحزب في ١٩٩٢ بعد اغتيال إسرائيل لسلفه السيد عباس الموسوي سوية مع زوجته وأبنه ذي الخمسة أعوام. وينظر إلى نصر الله في لبنان على أنه رجل يقول الحقيقة كما هي ، حتى الذين لا يتفقون مع أيديولوجية وأعمال حزبه لكنهم ينظرون إليه كذلك. فَتَحْتَ زعامته، التزم حزب الله بالعمل السياسي داخل إطار الدولة وأخذ يشارك في الانتخابات، وهو قرار ساهم في ابتعاد الكثير من رجال الدين الثوريين عن قيادة الحزب. وتشير التقارير إلى أنه قد تخلى عن هدفه في إقامة حكومة شيعية أصولية في لبنان، رغم أن الشكوك تظل قائمة. ففي عام ١٩٩٢ قرر الحزب المشاركة في الانتخابات وأيده في ذلك السيد علي الخامنئي. بينما اعترض الشيخ صبحي الطفيلي على هذا القرار مما قاد إلى حصول انشقاق في صفوف الحزب. بعدها نشر الحزب برنامجه السياسي الذي يتضمن السعي لتحرير الأراضي اللبنانية من الاحتلال الصهيوني وإلغاء الطائفية السياسية وتعزيز الحرية السياسية وحرية وسائل الأعلام وتعديل قانون الانتخابات ليكون أكثر تمثيلا للشعب. استطاع الحزب بعد هذه الانتخابات الفوز بجميع

المقاعد الاثنى عشر في القائمة الانتخابية. وفي نهاية تلك السنة أقام الحزب حوارا مع المسيحيين اللبنانيين. وهو يعتبر الحريات الثقافية والسياسية والدينية في لبنان مقدسة. وامتد هذا الحوار ليشمل باقي الطوائف والجماعات باستثناء من كانت له علاقات مع إسرائيل.

أما بالنسبة لأيديولوجية الحزب الأولى، فيلخصها البيان الذي أصدره الشيخ إبراهيم الأمين في ١٦ شباط ١٩٨٥ بعنوان "رسالة مفتوحة: برنامج حزب الله". يقول البيان أن أهداف الحزب ثلاثة هي:

- طرد الأمريكيين والفرنسيين وحلفائهم من لبنان، وإنهاء أي كيان استعماري على أرضنا.
- تسليم الكتائب إلى قوة عادلة وتقديمهم للعدالة عن الجرائم التي ارتكبوها ضد المسلمين والمسيحيين.
- السماح لأبنا شعبنا بتقرير مستقبلهم وأن يختاروا بكل حرية شكل الحكومة التي يريدونها. ونحن ندعوهم لاختيار حكومة إسلامية حيث أنها وحدها القادرة على ضمان العدل والحرية للجميع. فالنظام الإسلامي وحده القادر على إحباط أي محاولة للتسلل الإمبريالي إلى بلادنا في المستقبل.

وقد أوضح البيان بشكل جلي أن حزب الله سيلجأ إلى القوة المسلحة لتحقيق هذه الأهداف، وأطلق على هذه الوسيلة الجهاد الدفاعي.

ورغم أن هدف الحزب في البداية هو إقامة جمهورية إسلامية في لبنان وفق نظام ولاية الفقيه، لكنه يظهر أنه قد تخلى عن هذا الهدف. يقول السيد نصر الله: "إننا نعتقد أن إقامة دولة إسلامية تتطلب رغبة شعبية شاملة. ونحن هنا لا نتحدث عن خمسين بالمائة زائد واحد، بل عن أغلبية مطلقة. وهذا غير متوفر في لبنان وربما لن

يتوفر أبدا". ومنذ ذلك الحين تحول الحزب من حركة ثورية إلى منظمة سياسية واجتماعية للشيعة اللبنانيين وقبل بالتعدد الثقافي والديني والطائفي في لبنان. مع ذلك، لم يقتنع الحزب بالحصص المقررة للطوائف في الحكومة اللبنانية بموجب اتفاق الطائف وذلك لأنه يرى أن حصة الشيعة في الدولة أقل بكثير من نسبتهم السكانية، وهو يفضل النظام الانتخابي الذي يقرر صوت واحد لكل شخص، لكنه لا يريد فرضه على باقي الطوائف.

وبعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١، أدان حزب الله منظمة القاعدة لاستهدافها المدنيين في مركز التجارة العالمي بنيويورك، لكنه بقي صامتا عن الهجوم على وزارة الدفاع الأمريكية- البنتاجون فلم يدين أو يؤيد الفعل. كما أنه استنكر مذابح الجماعة الإسلامية في الجزائر وهجمات الجماعة الإسلامية على السياح في مصر ومقتل الأمريكي نيك بيرج[١]. وفي مقابلة مع صحيفة الواشنطن بوست أدان نصر الله العنف ضد المدنيين الأمريكيين.

الانتحار في الفقه الإسلامي:

في أعقاب هجمات ٢٠٠١/٩/١١ أصبح العالم الغربي ينظر إلى التفجيرات الانتحارية على أنها ظاهرة إسلامية تقليدية، فحواها قيام المسلم المحروم والمضطهد بتفجير نفسه وسط المدنيين نتيجة الإحباطات التي يعاني منها في حياته. لكن هذا في الحقيقة بعيد عن الصواب. فالاستشهاد ليس مجرد إنسان ملغم يعاني من الإحباط. وقد يبدو استخدام حماس والمجاميع الفلسطينية الأخرى والجماعة الإسلامية في الفيليبين بل وربما حتى فدائيي صدام أيضا، وكأن التفجير الانتحاري عميق الجذور

(١) نيكولاس بيرج مقاول أمريكي اختطفته الميليشيات الإسلامية السنية المسلحة في العراق في ٢٠٠٤ وقطعت رأسه ونشرت ذلك على مواقع الإنترنت وقيل أن الزرقاوي نفسه هو الذي حز رأسه، وسبب ذلك موجة استياء كبيرة وردة فعل سلبية نحو الإسلام والمسلمين في العالم.

في التاريخ العربي والإسلامي، لكن الحقيقة ليست كذلك. عندما تبنى حزب الله هذا الأسلوب في ١٩٨٣، كان فريدا في ذلك بحيث انه قد جلب أنظار العالم إلى هذه الجماعة المشكلة حديثا.

ليست هناك سابقة من نوع معين لنمط التفجيرات الانتحارية لحزب الله في التاريخ العربي أو الإسلامي بل وحتى العالمي. فأن شن هجوم يقوم خلاله المهاجم بقتل نفسه سوية مع أناس آخرين يعتبر عملا استثنائيا بكل معنى الكلمة. يقول الكاتب الأمريكي جيفري جولدبيرج مؤلف كتاب "حزب الله": "لقد ابتكر الحزب من حيث الواقع أسلوب الهجوم الإرهابي المتشعب. ففي صبيحة ٢٣ ت١ ١٩٨٣، شن هجومين انتحاريين متزامنين في بيروت: الأول على ثكنات قوات المارينز الأمريكية والثاني على بناية تأوي عناصر كتيبة قوات حفظ السلام الفرنسية. ولم يفصل بين الهجومين سوى عشرون ثانية فقط. قتل خلال هذا الهجوم الانتحاري المزدوج حوالي ثلاثمائة عنصر من القوات المتعددة الجنسيات. لقد ميز هذا التكتيك العسكري الفاعل والبالغ الدقة والتنظيم، حزب الله عن غيره من التنظيمات الإسلامية وغير الإسلامية.

وإذا كانت المهمات الانتحارية لحزب الله هي شارة وعلامة الحزب في هجماته، لكنها تستحق التحليل التاريخي كظاهرة شاذة غير عادية. والواقع أن هناك العديد من الكتاب يرون في الهجمات الانتحارية للحزب ظاهرة غير جديرة بالاهتمام. تقول آن ماير على سبيل المثال أن هناك العديد من المنظمات الإسلامية والجماعات الإرهابية في مختلف أنحاء العالم تستخدم أساليب مشابهة لتحقيق غايات سياسية مماثلة. وإذا ما تحدثت الصحافة الغربية عن حزب الله، فهي لا ترى فيه أكثر من كونه جماعة إرهابية شيعية ترتبط بإيران وتشكل جزءا من التهديد الإسلامي اللاعقلاني الخطير. وعندما نفذ حزب الله هجماته الانتحارية، لم يتحدث المراسلون الغربيون سوى عن نذالة

وإجرام المنفذين. لم تستخدم الجماعات الإسلامية السابقة لحزب الله التفجيرات الانتحارية كأسلوب في العمل، لذلك لا يمكن تفسير لجوء الحزب لهذا الأسلوب على أنه تقليد إسلامي متوارث.

كذلك لم يعط الاهتمام الكافي للبعد الديني الذي قد يضفي على التفجير الانتحاري الطابع الشرعي. حتى أن هناك العديد من الكتاب العرب من عمد إلى استبعاد الدافع الإسلامي عن موجة التطرف ووصف هذه الجماعات كحزب الله بأنها جماعات مضلَّلَة (بفتح اللامين) في دعواتها للجهاد. ويعتبر الكاتب اللبناني سعد غريب أحد هؤلاء المشككين. فهو يعتقد أن إدعاءات حزب الله بالدوافع الإسلامية نابعة من مبدأ المصلحة الذي يمكن فيه تبرير أي فعل في إطار المصلحة الإسلامية. مع ذلك، اتخذ محمد حسين فضل الله الزعيم الروحي للحزب وأحد المؤيدين للتفجيرات الانتحارية، موقفا حاسما رافضا لأسلوب الاختطاف الذي تبناه الحزب في فترة معينة. وهذا يدل على أن الحزب لم يستخدم الإسلام الشيعي لتبرير أي فعل، وأن الشرعنة الدينية للتفجير الانتحاري كانت مدروسة بعناية ومحل إيمان صادق بها.

لا تكفي مثل هذه التفسيرات لتوضيح لجوء الحزب لاستخدام أسلوب التفجير الانتحاري. إن ما يميز حزب الله عن غيره من الجماعات في الثمانينيات هو اختياره الدقيق والمدروس لأسلوب التفجير الانتحاري كوسيلة عسكرية فاعلة ومشروعة دينيا لتحقيق أهداف سياسية. ولهذا السبب ينبغي دراسة التفجيرات الانتحارية التي قام بها الحزب دراسة علمية منهجية تاريخية.

بعد الثورة الإيرانية وما تلاها من أزمة الرهائن والتفجيرات الانتحارية لثكنات قوات المارينز الأمريكية واختطاف وإعدام الرهائن الغربيين على يد حزب الله، أخذ العالم الغربي ينظر إلى الإسلام على أنه دين متطرف لاعقلاني وإن الإسلام الشيعي هو أكثر تطرفا من الإسلام السني. لقد اهتم الشيعة منذ قرون بعيدة بكيفية المحافظة على

وجودهم وسط عالم إسلامي يسيطر عليه السنة. "لقد غرس المذهب الشيعي في نفوس أبنائه قيم الصبر والمعاناة. فنموذج الشخصية الشيعية هو نموذج الشهيد الصابر وليس الثوري المتمرد". فالانتحاري الذي يحتضنه عالم الدين ويديره ويدربه ويجهزه عضو من حزب الله، هو نموذج بعيد كل البعد عن الشخصية السلبية للإنسان الصابر التي طبعت معظم التأريخ الشيعي".

يحصل أهم حدث ديني في سجل المناسبات الشيعية خلال الأيام العشرة الأولى من شهر محرم، حيث يندبون الشهداء العظام الذين سقطوا في معركة الطف في ١٢ ت١ ٦٨٠ م. فخلال اليوم العاشر من محرم، يسير الشيعة في مواكب تخترق شوارع مدنهم ويضرب قسم منهم صدورهم وينوحون على مقتل الأمام الحسين الذي يعتبرونه الخليفة الشرعي الثالث للرسول محمد بعد علي بن أبي طالب والحسن ابن علي. فتأخذ الجموع بالبكاء على مقتله وعلى اضطهاد شيعة آل محمد على مر التأريخ. وهم يعتقدون أنه قد مات شهيدا من أجل إقامة العدل ورفع الجور.

كان الشيعة في الماضي يقدسون الحسين ويتفجعون لمقتله لكنهم لم يشعروا بأن عليهم محاكاة استشهاده. فهم يعتقدون أن هذه القاعدة الشرعية قد زالت من الأرض مع غيبة الأمام المهدي في ٨٧٤ م. لهذا فأنهم ينتظرون اليوم الذي يظهر فيه الأمام الغائب ويحررهم ويقيم حكم الله على الأرض. لذلك وحتى يظهر الأمام أخذوا يمارسون مبدأ التقية فيتظاهرون علنا أحيانا بأنهم سنة لكنهم يخفون هويتهم الشيعية حتى يكون للأمام الغائب العدد الكافي من الأتباع لإقامة حكم الله على الأرض.

وبعبارة أخرى، تمثل التقية رغبة الأئمة في إقامة حكومة إسلامية مثالية، إن لم يكن عن طريق ثورة مشروطة بظهور الأمام الغائب كزعيم للأمة، فعلى الأقل بتمهيد الطريق أمام قيام مثل هذه الثورة في المستقبل. وفي نفس الوقت، كان الشيعة يتحاشون إثارة العداء من خلال إحجامهم عن التعبير الصريح عن آرائهم بمفاسد الحكومات الإسلامية.

لقد ظل الدين والسياسة بالنسبة إلى الشيعة منفصلين. فالسلطة السياسية الحقيقية تعود لله وللأمام الغائب فقط. وكل سلطة دنيوية هي سلطة غاصبة وزائفة. وقد يدعم أئمة الشيعة الحكام السياسيين بحكم الضرورة لكنهم يبتعدون قدر الإمكان عن السياسة. فهم وأتباعهم لا يثقون بالسياسة وقلما يستخدمون الحروب كوسيلة سياسية. يقول الكاتب جون كيلسي بكِتابه الإسلام والحرب[1]: "إنهم ينظرون بريبة إلى فكرة إمكانية شن الحرب لأغراض دنيوية (مثل الدفاع عن الدولة)، ويعتبرون أنها تفتح الباب على مصراعيه لشن الحروب". فأي نشاط عسكري، دع عنك التفجير الانتحاري، الذي يهدف لتحقيق أغراض سياسية يعتبر بعيدا عن ناموس التفكير الشيعي التقليدي.

ورغم الاضطهاد الذي تعرض له الشيعة بعد غيبة الأمام المهدي، إلا أنهم يشعرون بمقت واشمئزاز من فكرة الانتحار. وتقول إحدى الروايات الشيعية كيف أن جماعة مضطهدة من الشيعة قد ناقشت أمر القيام بانتحار جماعي كوسيلة للتخلص من المحنة التي يعانون منها، لكنهم رفضوا الفكرة. ويروى أن أحدهم قد قال: "والله، لو أعلم أن انتحاري سيغفر لي ذنوبي وسيرضى الله عني، لقتلت نفسي في الحال. ولكن ما حلله الله لبني إسرائيل، حرمه على المسلمين".

لقد حرك الفكر الشيعي الجديد الذي ظهر في الحوزات العلمية في النجف بالعراق وفي إيران خلال الستينيات، السكون الشيعي والانعزال السياسي. فأخذ المفكرون المعاصرون يؤكدون على أن تذكر تضحيات الشهداء ليس أمرا كافيا، ولا يستطيع المرء أن يعجل بظهور الأمام الغائب إلا بتحقيق الشهادة. لقد سيَّس هذا الطرح المذهب الشيعي وأنهى حالة السكون التي حافظ عليها طيلة قرون. وبفعل

(1) Kelsay, John, Islam and War: The Gulf War and Beyond, A Study in Comparative Ethics, Louisville: Westminister/ John Knox Press, 1993, p. 48.

آراء وطروحات السيد محمد باقر الصدر في العراق والسيد روح الله الموسوي الخميني في إيران والسيد موسى الصدر في لبنان، تبنى هذا الشعب الصابر على البلاوي والمحن أيديولوجية ثورية فاعلة. وسرعان ما استغل زعماء آخرون آراء وأفكار هؤلاء القادة لتبرير وشرعنة التفجيرات الانتحارية.

لقد رفضت الأيديولوجية التي قادت الثورة الإيرانية مبدأ التقية وسيَّست مفهوم الشهادة. يقول الخميني: " إن قول الحق واجب"، حتى لو وضع هذا القول المؤمن في خطر ولا يحتمل أن يحصل أي تغيير من قوله. والواقع أن المذهب الشيعي قد تغير كلية مع ظهور هؤلاء المفكرين الثوريين. فلم تعد التقية وسيلة المرء للحفاظ على حياته، بل أصبح من واجبه أن يموت شهيدا إلا إذا كان الإسلام لا ينتفع شيئا من موته.

ويعتبر هذا تحولا مبدئيا. وأصبح المبدأ الشيعي الجديد يقول: "أن التقية أمر شخصي وهي تخص الأفراد الذين يكونون في وضع ضعيف بمواجهة عدو غاشم جبار. فبإمكانهم ممارسة التقية إذا شعروا أنهم لو لم يمارسوها، فقد يفقدوا حياتهم ولا تتحقق أي نتيجة إيجابية من مقتلهم"[١].

أصبح الدفاع عن المذهب الشيعي السياسي بعد الثورة الإيرانية أكثر بروزا. وقد وضع الشيعة أمر حماية مبادئ الثورة الإيرانية قبل حمايتهم لأنفسهم. فالخميني يعتقد أن حماية مبادئ الثورة تعجل في ظهور الأمام الغائب.

كان الشيعة في السابق ينظرون إلى الدعوة للجهاد نظرة شك وريبة. وكانت الحرب دفاعا عن النفس مشروعة دائما، لكن المفكرين التقليديين من الشيعة يفضلون أن يسمونها حربا دفاعية وليست جهادا. فالأمام الغائب وحده من يستطيع إعلان

(1) Ayatollah Ja'far Sobhani, Doctrines of Shi'I Islam, A compendium of Imami Beliefs and Practices, I.B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2001, p. 153.

الجهاد وذلك عندما يظهر من غيبته. ويتفق الخميني بأن مثل هذه الحروب هي حروب دفاعية وليست جهادا، لكنه قلل من شروط هذه الأعمال العسكرية وقال أن المشاركة بها واجب على كل مؤمن حقيقي. فيقول:

"إذا ما غزا العدو مدن المسلمين وحدودهم، فمن واجب كل مسلم الدفاع عنها بأي وسيلة ممكنة والتضحية في سبيلها بالأنفس والأموال. ولا يتطلب الأمر في هذه الحالة رخصة من الحاكم الديني الشرعي".

"إذا ما خشي المسلمون من أن الأجانب يدبرون مكيدة لإخضاع مدنهم سواء بصورة مباشرة أو من خلال عملائهم، وسواء من الخارج أو من الداخل، فمن واجب كل مسلم الدفاع عن البلدان الإسلامية بأي وسيلة ممكنة".

"إذا ما وضع الأجانب داخل البلدان الإسلامية خططا يخشى أنهم بواسطتها سيسيطرون على البلدان الإسلامية، فمن واجب كل مسلم إحباط خططهم بأي وسيلة ممكنة ومنع انتشار نفوذهم".

إن مجرد الهاجس بأن الأجانب قد يؤثرون على بلد إسلامي، دع عنك مهاجمته، يبرر استخدام أي وسيلة ممكنة لقتالهم. لقد كان المذهب الشيعي في يوم ما عبارة عن معتقد شخصي للمرء لا أكثر، لكنه تحول على يد الخميني إلى مذهب ذي أهداف سياسية. فيرى الخميني أن الفقيه يجب أن يقود جميع الوظائف الحكومية وأنه لا فصل هناك بين الدين والسياسة.

وفي لبنان أيضا، سيَّس موسى الصدر المذهب الشيعي في محاولة منه لتعبئة الشيعة من أجل الحصول على نفوذ سياسي أكبر ومعاملة أكثر عدلا. لم يعتنق أتباع الصدر الأفكار الثورية التي نادى بها الخميني، بل كانت كل مطالبهم تحسين ظروفهم المادية وتوفير حماية حكومية لهم وفرص متساوية ومستقبل أفضل لأطفالهم. مع ذلك وبعد

حشر الأغراض السياسية والدينية في نطاق نشاط واحد، أعلن الصدر كما فعل الخميني من قبل أن الدفاع الشرعي بأي وسيلة ممكنة هو أمر سياسي وهو مقبول شرعا. وأصبح القتال من أجل إقامة العدل بدلا من انتظاره حتى يظهر الأمام الغائب، تعويذة الشيعة في لبنان. يقول الخبير بشؤون الشرق الأوسط جيلي كيبل: "لقد حوّل الصدر استشهاد الحسين إلى نموذج عقائدي من أجل تعزيز التعبئة الشعبية ضد الظلم الاجتماعي، وهذا ما رفع لأول مرة مستوى الشيعة الضعفاء في لبنان إلى مستوى قوة سياسية حقيقية مما أعطاهم شعورا بالكرامة الشخصية". لقد خلق الصدر حركة شيعية سياسية في لبنان قبل اندلاع الثورة الإيرانية. لكنه وفي عام ١٩٧٨، اختفى.

زرع اختفاء الصدر، كما زرع استشهاد الحسين من قبله، بذور المقاومة ضد احتلال وسيطرة الدول الأجنبية على لبنان. فقد هيأ الجو السياسي المشحون الذي خلقه والفراغ السياسي الذي خلفه اختفاؤه، الأرض الخصبة لنمو أفكار الخميني الثورية في لبنان. فأسست جماعة من نشطاء الشيعة حزب الله. لقد طور الحزب مبدأ اعتبر فيه الاستشهاد بعملية تفجير انتحاري لتحقيق غرض سياسي هو أسمى دليل على التقوى. كان الخميني قد سيَّس مبدأ الاستشهاد، لكن القفزة من الاستشهاد لغرض تحقيق هدف سياسي إلى الاستشهاد بقتل النفس، كان يتطلب جهدا دينيا كبيرا من علماء دين حزب الله.

لقد طور الحزب مبدأ التفجير الانتحاري واستخدمه بأقصى فائدة سياسية وعسكرية لهزيمة ما اعتبره غزاة أجانب لأرض لبنان. ولكن بينما كانت الحاجة التي قادت لاستخدام هذا التكتيك هي سياسية دون شك، إلا أن الحزب قد طور مبدأ الاستشهاد بقتل النفس ضمن إطار الفقه الشيعي المسيس الذي مصدره إيران. ويبدو واضحا ارتباط حزب الله برجال الدين الإيرانيين الثوريين وخاصة الخميني من خلال رسالة الحزب المفتوحة التي أعلنها في ١٩٨٥: "نحن أبناء أمة حزب الله، التي

نصرها الله في إيران وأسست نواة الدولة الإسلامية في العالم، تلتزم بأوامر القيادة الحكيمة الوحيدة المجسدة بسماحة آية الله روح الله الموسوي الخميني....".

مع ذلك، فأن مبدأ التفجير الانتحاري يتطلب قفزة نوعية في المفهوم الثقافي الإيراني التقليدي للاستشهاد. فقد بيّن آية الله مرتضى مطهري، الذي ساهم في تأجيج الثورة الإيرانية، صعوبة تطوير التسويغ الديني المعقول للتفجير الانتحاري. ففي رسالته الإسلامية في باب تعريفه لمفهوم الانتحار والاستشهاد، يوضح مطهري الطبيعة المتناقضة للتفجير الانتحاري، فيقول: "قتل النفس: يشكل الموت في هذه الحالة جريمة، ومن هنا تعتبر أسوأ أصناف الموت. ويدخل ضمن هذا الصنف، الموت بسبب الانتحار والموت في حوادث الطرق عندما يكون الميت هو المتسبب بالحادث، وأيضا موت الذي يقتل أثناء ارتكابه لجريمة. أما الاستشهاد فهو موت الشخص الذي رغم علمه الكامل بالمخاطر التي يواجهها لكنه يقدم عليها طواعية وبرغبة من أجل قضية مقدسة أو في سبيل الله".

ويرى مطهري أن الانتحار هو أسوأ أشكال الموت أما الاستشهاد فهو أفضلها. لقد خلق هذا الرأي مأزقا لعلماء دين حزب الله، لذلك طور فضل الله تبريرا دينيا يستند على تسييس الاستشهاد وبهذا تغلب على التحريم الشيعي للانتحار.

مرَّ فضل الله خلال الحرب الأهلية اللبنانية بتحول ديني عميق عندما تعرضت المدينة التي يعمل بها لقصف مدفعي شديد من قبل المارونيين استمر عدة أيام. ففي كتابه الإسلام ومنطق القوة الصادر في ١٩٧٦، دعا فضل الله إلى القوة والشدة في إقامة العدل. فيقول أنه بدون قوة لا يستطيع الشيعة نشر كلام الله ولا النهوض بعباده، لهذا يحب الله من يستخدم العنف للقتال في سبيله. مع ذلك لم يتضمن استخدام العنف باسم الإسلام ، تبني أسلوب التفجير الانتحاري. كانت طريقة تفكير فضل الله منسجمة مع طريقة الخميني والصدر وباقي علماء الدين الثوريين

حينها. كان بحاجة لمصادر إسلامية أخرى يمكن الاستلهام منها لوضع تبرير ديني معقول يشرعن التفجير الانتحاري.

يعتبر الشيعة العقل أحد مصادر الفقه الإسلامي. وقد مهّد هذا، الطريق أمام فضل الله لوضع التبرير الديني للتفجير الانتحاري. يشترك فضل الله مع الخميني في إيمانه بمفهوم أن كل شيء جائز في حالة الدفاع. كان هذا مفهوما غريبا لكن الكثير يؤمنون به. يقول عبد العزيز عبد الحسين ساجدينا: "عندما يهدد الكفر وجود الأيمان، يعلّق كل شيء، حتى القواعد العرفية للحرب". ويؤكد فضل الله أن هذا المبدأ لا يختلف كثيرا عما يؤمن به الغرب. فيقول أن قصف هيروشيما وناجازاكي مع الأعداد الرهيبة من الأرواح البشرية التي أزهقت خلاله، هو مثال عن المبدأ الذي يعتنقه الكثيرون من أن اليأس يبرر اللجوء لاستخدام أسلحة غير مقبولة عرفيا في الحروب.

ويقول أن احتلال الدول الأجنبية للبنان وخاصة إسرائيل والقوات متعددة الجنسيات، ومحاولة هذه القوى الإبقاء على وضع حكومة يسيطر عليها المسيحيون في لبنان، قد خلق وضعا دفاعيا للمسلمين تصبح فيه كل وسائل الحرب مشروعة. وذهب حزب الله بعيدا أكثر من الخميني ذاته. ففي رسالته المفتوحة، سمّى المقاومة جهادا بدلا من أن تكون مجرد دفاع. ونتيجة ذلك، أصبح من واجب كل مسلم المشاركة في هذه المقاومة وعليه استخدام أي وسيلة يراها مناسبة. وبما أن الاستشهاد هو أسمى أشكال الموت، فأن الظروف تحتم على المسلمين الأقدام على الاستشهاد والتضحية بالنفس.

وطرحت أيضا حجة أخرى تقول أنه بما أن الأمام الحسين كان يعلم باستشهاده الوشيك في كربلاء مع ذلك اختار طريق القتال، فأن التفجير الانتحاري يعتبر أمرا مقبولا شرعا. فكما كان الحسين يعلم باستشهاده، كذلك المفجر الانتحاري، وبما أن

انتحاره هو وسيلة جهادية ضد السيطرة الأجنبية، لهذا يعتبر مشروعا دينيا. والمشروع دينيا هو ليس الانتحار بل هي الحرب في سبيل الله. يقول فضل الله: " أن الانتحار ليس قيمة مطلقة، بل هو خيار متروك للشعب الذي ليس أمامه أي خيار، لهذا لا يعتبر هذا الفعل انتحارا بل استشهادا دفاعا عن النفس. وهذا جزء من منطق الحرب".

ويقول أن الذي يهم هو التضحية بالذات في سبيل الله وليس الانتحار. وقد استخدم فضل الله حادثة استشهاد الحسين في كربلاء وكذلك اختفاء موسى الصدر كنماذج تاريخية يـحتذى بها لشرعنة تضحيات الشباب الذين يفجرون أنفسهم. ولتقديم حافز إضافي، يؤكد فضل الله أن الذي يموت في عمل جهادي شرعي يرتفع إلى السماء دون أن تلحقه أفعاله الأخرى على الأرض والتي قد يحاسبه الله عليها.

كان علماء الدين الإيرانيون هم الذين رسخوا مبدأ الاستشهاد والتضحية بالذات في المذهب الشيعي. كتب علي شريعتي الذي ساهمت أفكاره بإنضاج الثورة الإيرانية واغتيل في ١٩٧٧ على يد الشرطة السرية للشاه: "الشهادة هي دعوة لكل الأجيال في كل العصور، أنه إذا لم يكن بمقدورك أن تقتل من يظلمك، فَمُت". وفي ١٩٨٣، دعا الخميني الشيعة في كل أنحاء العالم لمواصلة العمل والتضحية بالذات لتعزيز تصدير الثورة"[(١)].

من كل ما تقدم، جمع فضل الله ما يرى أنه تبرير ديني منطقي للتفجير الانتحاري، واستند في ذلك على ما يلي:

- إن التحديات الاستثنائية للإسلام تتطلب إجراءات استثنائية لمواجهة هذه التحديات.

---

(1) Adam Parfrey, Extreme Islam: anti-American Propaganda of Muslim Fundamentalism, Feral House, Los Angeles, 2001, p. 201-202.

- إن الأمام الحسين كان على علم مسبق باستشهاده.
- تسييس الشهادة.
- دعوة الخميني للتضحية بالذات في سبيل تصدير الثورة.

وهكذا استند التبرير الديني للتفجير الانتحاري على التفكير المنطقي داخل إطار الفقه الشيعي الراديكالي. لقد ظهر هذا التبرير قبل أن يرسل حزب الله أول مهاجم انتحاري لديه. لكن تبرير فضل الله للتفجير الانتحاري لم يكن السبب الكافي الذي يبرر تبني الحزب لهذا الأسلوب الجديد، بل أنه ببساطة جعل هذا السلاح في المتناول. وجاء قرار استخدام هذا الأسلوب نتيجة لفهم حزب الله للقيمة العسكرية لهذا السلاح والقناعة بأن مثل هذا التفجير سيحدث تغييرا سياسيا كبيرا.

في ت١ ١٩٨٣ عندما استخدمت حركة الجهاد الإسلامي (إحدى واجهات حزب الله) الانتحاريين لتفجير ثكنات قوات المارينز الأمريكية وقوات حفظ السلام الفرنسية في بيروت، استنكر معظم الغربيين هذا الفعل وقالوا أنه عمل طائش من العنف نفذه المسلمون لا لهدف سوى القتل. وظل هذا الانطباع لمدة طويلة في أذهان الغربيين. وحتى بعد إن حول حزب الله وجهة هجماته الانتحارية نحو أهداف أخرى بعد مغادرة القوات المتعددة الجنسيات لبنان، ظل الغربيون ينظرون إلى هذه الأعمال على أنها دليل على التعصب الإسلامي الأعمى. لكن قرار حزب الله باستخدام أسلوب التفجير الانتحاري هو أي شئ عدا كونه لا منطقي ولا عقلاني. فبعد إضفاء الطابع الديني الشرعي على هذا العمل، درس الحزب النتائج العسكرية والسياسية التي قد تتمخض عنه قياسا بالأساليب العسكرية الأخرى التي يمكنهم استخدامها. وبعد فهم عميق لإمكانيات هذا السلاح والأهداف السياسية التي قد يساعد على تحقيقها، نفذ الحزب بتوقيت ناجح عمليات انتحارية مؤثرة جعلت أعداءهم يدفعون ثمنا سياسيا وعسكريا باهظا.

حدد قادة حزب الله مبكرا الأهداف السياسية التي يأملون تحقيقها في لبنان. وقد أوضح عباس الموسوي مؤسس وزعيم الحزب حتى اغتالته إسرائيل في ١٩٩١، هذه الأهداف قائلا: "إن هدف حزب الله هو طرد الاستعمار من لبنان وإسرائيل من جنوبه وإقامة جمهورية إسلامية بالكفاح المسلح والعمل الاجتماعي".

كما حدد السيد حسن نصر الله زعيم الحزب بعد اغتيال الموسوي الأهداف السياسية للحركة. فقد أعلن بإحدى خطبه في ١٩٨٤: "نحن نعارض برامج وخطط حكومة أمين الجميل اللاشرعية واللاقانونية وبرامج أي شخصية عسكرية أخرى تعتمد على القوى العظمى. سنواصل نضالنا حتى إسقاط حكومته. إن أمريكا وفرنسا وإسرائيل هم أعداء الإسلام. ونعلن هنا أننا نتبع طريق الثورة الإسلامية ولا نقبل بأي حكومة أخرى في لبنان".

من الواضح أن هدف إسقاط الحكومة وطرد القوى الأجنبية من لبنان هي أهداف سياسية رغم صياغتها بلغة دينية إسلامية. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف قرر الحزب اللجوء إلى السلاح. يقول فضل الله: "أن الغاية من الكفاح المسلح هي رفع نير الظلم عن كاهل الشيعة في لبنان. إنه ثورة من أجل حريتهم". وقال أن الكفاح المسلح سيستمر حتى تترك إسرائيل آخر شبر من الشريط الحدودي اللبناني المحتل. لهذا فأن قرار الحزب باستخدام أسلوب التفجير الانتحاري هو قرار عملي. فالجماعة تعتقد أن هذا السلاح سيكون ناجعا في تحقيق أهدافهم السياسية.

أظهر الحزب واقعية سياسية وعسكرية كبيرة بتبنيه للأسلوب العسكري الناجح وتخليه عن الأسلوب غير الفعال. ورغم أنه غير قادر على الانتصار على الإسرائيليين في حرب تقليدية، لكنه قرر مواجهة قوتهم بقوة مساوية أو متفوقة عليهم. ويستلزم هذا إست خدام أساليب عسكرية مختلفة وغير تقليدية، وخاصة

أسلوب التفجير الانتحاري. عندما استخدمت إسرائيل أساليب وأسلحة جديدة لتقويض أساليب الحزب، طوّر الأخير أساليب جديدة أخرى أكثر نجاحا من الأولى. يقول الناطق السياسي باسم قوات الأمم المتحدة في لبنان: " أن حزب الله هو الوحيد من بين الميليشيات العديدة في لبنان الذي يراجع بين فترة وأخرى عملياته العسكرية ليقرر أفضل أسلوب لتنفيذها في المرة القادمة". ويضيف: "أن هؤلاء الأشخاص يتعلمون من أخطائهم". وتدل مراجعاتهم المستمرة لنتائج عملياتهم العسكرية على واقعية عملية صنع القرار العسكري لديهم. ويمكن القول بإيجاز أنهم نفذوا عمليات عسكرية من أجل قيمتها العسكرية. وكان قرارهم باستخدام أسلوب التفجير الانتحاري هو قرار واقعي عملي يستند على الكفاءة العسكرية لهذا النوع من الهجمات.

من المؤكد أن حزب الله كان قادرا وراغبا في تنفيذ أشكال أخرى من الهجمات. ففي ك١ ١٩٨٣، هاجم الحزب خلال ثلاث ساعات مواقع إسرائيلية بالصواريخ والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية والعبوات الناسفة المسيطر عليها عن بعد. والواضح أن التفجير الانتحاري هو ليس الأسلوب أو السلاح الوحيد الذي في متناول حزب الله، بل إنه يفضل هذا الأسلوب على غيره لأنه يوفر مزايا عسكرية أفضل مما توفره الأساليب العسكرية التقليدية كالكمائن أو الهجمات بالقنابل اليدوية. ويلقي الكاتبان ديفيد بنيامين وستيفن سيمون بكتابهما عصر الرعب المقدس الصادر في ٢٠٠٢ بعض الضوء على هذه المزايا قائلين: "يعني استخدام انتحاري بسيارة مفخخة أنه إذا نجح السائق في البقاء في السيارة والاقتراب بها إلى أقصى قدر ممكن من الهدف، فإن الانفجار سيلحق أكبر عدد ممكن من الإصابات في أفراد العدو، بينما سوف لن يعد السائق موجودا بعد الحادث كي يفشي أسماء رفاقه وبذلك تنخفض نسبة الضرر للحزب إلى أدنى حد".

وغالبا ما يتمكن الانتحاري صادق العزم من إلحاق أكبر الضرر بالعدو خلال هجومه. فلكونه يرتدي ملابس مدنية ولا يهاب الموت ومصمم على إزهاق أرواح أكبر عدد ممكن من أفراد العدو، فغالبا ما يكون الهجوم الانتحاري بالغ التأثير. وقد وصفه خير وصف مرّة جنرال إسرائيلي كان يعمل في جنوب لبنان قائلا: "إن التفجير الانتحاري ظاهرة تصعب محاربتها".

كان حزب الله دقيقا في كيفية استخدامه لأسلوب التفجير الانتحاري. فرغم أنه يعني أن المهاجم الانتحاري سوف لن يقبض عليه ولن يدلي بأية معلومات إلى العدو، لكن هذا النوع من الهجوم يخفض من القدرة القتالية للحزب بسبب مقتل المهاجم. فالإفراط في شن هجمات انتحارية قد لا تلحق خسائر كبيرة بالعدو، سوف تخفض من أعداد أعضاء الحزب التي هي قليلة أصلا، ولن تحقق فائدة عسكرية كبيرة له. أضف إلى ذلك، أنه كلما ازداد استخدام هذا الأسلوب، كلما قلت الفوائد المتوخاة منه. فإذا ما أفرط الحزب في استخدامه، فأن الإسرائيليين سيتكيفون معه، وإذا ما أخفق هذا التكتيك في إلحاق خسائر كبيرة بهم وتحقيق فوائد سياسية، فمن غير المحتمل أن يجد الحزب مزيدا من الانتحاريين الذين يرغبون بتفجير أنفسهم. وقد فهم فضل الله ذلك، وقال: "نحن نعتقد أنه لا يجوز تنفيذ أي عملية انتحارية إلا إذا كانت تحدث تغيرا عسكريا وسياسيا يوازي آلام وتضحيات الشخص الذي يجعل من جسمه قنبلة متفجرة. وبهذا المعنى تعتبر العمليات التي نفذها المسلمون ضد مراكز الاستخبارات الإسرائيلية في صور والمطلة ناجحة لأنها قد ألحقت أضرارا فادحة بالإسرائيليين. لكن الظروف الراهنة لا تسمح بالقيام بمثل هذه العمليات ويجب عدم تشجيع تنفيذ هجمات لا تلحق سوى خسائر محدودة بالعدو أو تدمر البنايات فقط بينما يكون ثمنها موت منفذ الهجوم.

استخدم حزب الله التفجيرات الانتحارية في ظروف محددة كان يحقق من ورائها فوائد كبيرة. وأسفر استخدامه الحكيم لهذا التكتيك عن تحقيق أهداف سياسية وعسكرية كبيرة. وما يدل على الفهم الصحيح لحزب الله للوضع السياسي ومعرفته بايجابيات وسلبيات هذا السلاح، وضوح وسهولة معرفة الأهداف السياسية والعسكرية التي يقصدها الحزب من وراء هجماته.

سعت الولايات المتحدة وإسرائيل في نيسان ١٩٨٣ لتعزيز السيطرة المارونية على لبنان والدفع باتجاه عقد اتفاقية سلام لبنانية إسرائيلية. يعتبر توقيع مثل هذه الاتفاقية مناقضا لتوجهات حزب الله. فهي تعطي إسرائيل نفوذا سياسيا دائما في لبنان وتسمح لقواتها بالبقاء في جنوب لبنان وتعطي المارونيين الشرعية الدولية باعتبارهم الحكام السياسيين للبنان. وكان على حزب الله أن يرد.

جاء أول تفجير انتحاري للحزب عصر يوم ١٨ نيسان ١٩٨٣، وذلك عندما فجّر انتحاري من "حركة الجهاد الإسلامي"، وهي إحدى واجهات حزب الله، سيارة مفخخة كان يقودها قرب السفارة الأمريكية ببيروت وقتل عددا من الجنود اللبنانيين والأمريكيين (بضمنهم روبرت أمس مدير محطة المخابرات المركزية في لبنان) ودمر جزءا من مبنى السفارة. حقق التفجير نجاحا تكتيكيا لأنه أفلح في قتل بعض الأمريكيين ودمر مبنى السفارة. كما أنه حقق بعض الفوائد الاستراتيجية لحزب الله، حيث عطّل مفاوضات السلام التي شعر الإسرائيليون والأمريكيون بالحاجة إلى الإعلان أنها متواصلة رغم التفجير. ويقول مصدر أمريكي عبر إذاعة صوت بيروت إن الأمريكيين قد فهموا أن الغاية من التفجير هي إحباط مبادرة الرئيس ريجان بشأن لبنان والشرق الأوسط.

والمؤكد أن محور هذه المبادرة هي اتفاقية السلام الإسرائيلية اللبنانية. وقد حقق حزب الله نجاحا لا بأس به في هجومه الأول. فالمعاهدة التي توقع الكثيرون أنها

ستوقع فورا، أخذت شهرا آخر من المفاوضات، وأشهرا أخرى لإقرارها في البرلمان. وكان هذا نذير شؤم بالمقبل من الحوادث.

ففي ٢٣ ت١ ١٩٨٣، ظهر حزب الله على المسرح الدولي بشنه هجومين انتحاريين على ثكنات الجنود الفرنسيين والأمريكيين. وفي تعليق للحزب على الحادثين عبر إذاعة لبنان الحر يقول: "لقد أصبح واضحا أن أعداءنا سوف لن يتركوا بلادنا دون قتال. وقد أقسم الطفيلي بأن المؤمنين سيجرعونهم الموت ولو كانوا في بروج مشيدة". لقد وضع الحزب هدفا سياسيا واضحا له، وهذا ما جعل الحلفاء يدركون بوضوح أن غاية الحزب من استخدام سلاح التفجير الانتحاري هو إخراجهم من لبنان. فالعنف لم يكن عشوائيا، وقد أراد الحزب أن يدرك أعضاء القوات المتعددة الجنسيات ذلك. فهو قد منحهم خيارين: إما مغادرة لبنان أو الموت.

استمر الحزب في ممارسة الضغوط لإجبار القوات متعددة الجنسيات على المغادرة. وفي آذار من السنة التالية، حذر المواطنين اللبنانيين من الاقتراب من المواقع الفرنسية لأنها ستكون هدفا لهجماته حتى تغادر لبنان. كان الحزب يريد أن يجعل الأجانب يدركون أنه يملك الوسيلة والإرادة لقتل جنودهم وانه لا مكان آمن لهم في لبنان. وتعني هذه الرسالة تقويض الدعم الشعبي داخل الولايات المتحدة وباقي البلدان لمهمات جنودها في الخارج وذلك من خلال جعل هذه المهمات تنطوي على مخاطر كبيرة. وقد نجح هذا الأسلوب، حيث حسب الله بشكل صحيح أن الولايات المتحدة ستضطر لتغيير سياستها الراهنة إذا كانت الثمن الذي تدفعه بسببها باهظا. وقد أدركت القوات متعددة الجنسيات رسالة حزب الله، وأخيرا انسحبت من لبنان.

وبعد عدة أيام من تفجيرات ت١ ١٩٨٣، نفذ الحزب هجوما انتحاريا آخر، والهدف هذه المرة مقر جهاز الأمن الإسرائيلي (الشين بيت) في صور. أسفر الهجوم عن قتل وجرح الكثير من الإسرائيليين رغم إنه يفترض أنهم قد أخذوا حذرهم بعد

تفجير الثكنات الفرنسية والأمريكية. وأصبح بعدها هدف الحزب أكثر وضوحا. ومرة أخرى أعلنت منظمة الجهاد الإسلامي عن مسؤوليتها عن الحادث وقالت أن هدفها هو إحباط معاهدة السلام اللبنانية الإسرائيلية وإن هجماتها الانتحارية ستتواصل حتى يغلق ملف هذه الاتفاقية إلى الأبد.

حقق هجوم صور فوائد عسكرية جمة لحزب الله. فقد أثار نجاح الحزب في تفجير هدف إسرائيلي كبير رغم علم الجيش باحتمال تعرضهم لمثل هذا الهجوم، قلقاً كبيراً في نفوس الإسرائيليين وأجبرهم على إعادة النظر في إمكانياتهم لحماية أنفسهم من عدو يمتلك سلاحا يصعب صده. وأجبرهم أيضا على ترك المراكز السكانية مما أعطى الحزب الحرية التامة في التحرك وسط الأهالي وتقليل الأضرار الجانبية التي قد تصيب المدنيين عند تنفيذ أي هجوم ضد الإسرائيليين. وقد تعلم الحزب من تجربة المعارك بين الفلسطينيين والإسرائيليين أن الأضرار التي قد تصيب المدنيين قد تحول الجماهير ضد قضية التحرير. وهذا ما جرّبه كلا الطرفين على حد سواء. لهذا فأن إرغام الإسرائيليين على الابتعاد عن المراكز السكانية يعتبر نصرا عسكريا كبيرا لحزب الله، حيث سيكون بإمكانه مهاجمتهم دون أن يلحق الضرر بالسكان المدنيين.

وقد كشفت عمليات ما بعد ١٩٨٣ تعقيد أسلوب الهجمات الانتحارية وتنسيقها مع الأهداف السياسية والعسكرية المتوخاة. حيث نجح هجوم انتحاري بسيارة مفخخة على السفارة البريطانية في بيروت قي ٢٠ أيلول ١٩٨٤ في قتل السفيرين الأمريكي والبريطاني في لبنان. وقد أثبت الهجوم على السفيرين أنهما لا يمكن أن ينشطا دون أن يطالهما العقاب. كما أثبت أن الحزب يستطيع أن يطور وينفذ مثل هذه الهجمات بسرعة. وفي ٨ آذار ١٩٨٥ انفجرت قنبلة يعتقد أن المخابرات المركزية الأمريكية هي التي زرعتها أمام منزل فضل الله في بيروت فقتلت الكثيرين ولكن فضل الله قد نجا. وبعد يومين رد حزب الله بهجوم انتحاري على

رتل عسكري إسرائيلي وقتل ١٠ جنود. أراد الحزب أن يثبت أنه لن يمر أي عمل عسكري ضدهم دون رد، وأن ردهم يكون دائما موجعا للعدو.

وفي نهاية ١٩٨٥، نجح الحزب في إرغام القوات متعددة الجنسيات على مغادرة لبنان وإجبار الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من بيروت ومن أجزاء واسعة من جنوب لبنان ليحتفظ بشريط ضيق فيه. وبهدف دفع إسرائيل للإسراع بالانسحاب وطردها من كافة الأراضي اللبنانية، نفذ الحزب ١٢ عملية انتحارية اعتبارا من منتصف تلك السنة وحتى شهر ت٢. ونُفذت بعض هذه العمليات بواسطة انتحاريين يمتطون حميرا. وكانت الرسالة السياسية والعسكرية واضحة من وراء هذه الهجمات وهي أن الجنود الإسرائيليين سيظلون يتعرضون للموت يوميا حتى يكتمل انسحابهم من لبنان.

وفي ١٩٨٦ وما بعدها وبعد إن أصبحت هذه الهجمات لا تلحق خسائر كبيرة في صفوف العدو، قلل الحزب من استخدامها، لكنها ظلت على الدوام خطرا قائما. ففي ت١ ١٩٨٨، فجر انتحاري نفسه وقتل ٨ من الجنود الإسرائيليين. ونتيجة لأدراك الحزب أن هذه العملية قد يتبعها هجوم إسرائيلي مضاد، هدد بإعدام جنديين إسرائيليين كان قد أسرهما في شباط ١٩٨٦. وهذه الأساليب الفريدة أي التفجير الانتحاري ثم التهديد بإعدام الأسرى توضح قدرة حزب الله على تبني وابتكار أساليب جديدة في نضاله لتحقيق أهدافه السياسية والعسكرية.

كان المشهد السياسي اللبناني خلال الحرب الأهلية ١٩٧٥-١٩٩٠ فوضويا، ليس لأن الفئات المتصارعة عديدة ويصعب حصرها، بل لأن سوريا وإسرائيل والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا وبريطانيا وإيران جميعها متورطة في الأعمال العسكرية الدائرة في لبنان. وسعت إسرائيل وسوريا للسيطرة على البلاد، ونجحت الأخيرة وحدها في الآخر. وقد شعر الناس بالامتعاض من هذه الأوضاع وأصبحوا

يرون جميع الميليشيات بكونها عبارة عن مجموعات من قطاع الطرق لا تختلف إحداها عن الأخرى. وفي هذا الجو المتوتر ظهر حزب الله فوق هذه الحشود والمجاميع بكونه المدافع النزيه عن لبنان والذي يحمل بصدق مبادئ ومثلا عليا. وبالإضافة إلى خطابه الديني والعسكري، كان استخدامه للهجمات الانتحارية الجادة التي أوصلته لكسب الشرعية داخل البلاد وخارجها. وقد أعلن الحزب بأنه حامي حمى لبنان وأنه يريد إنهاء التشرذم والتناحر ويسعى لطرد الأجانب على الأقل غير السوريين من أرض لبنان. وما هذه التفجيرات الانتحارية إلا دليلا على صدق مسعاهم.

يقول دانيال بنيامين وستيفن سيمون بكتابهما عصر الإرهاب المقدس[(١)]: "لقد انتعشت الأصولية الدينية في ظل الإحساس بمخاطر الحرب وويلاتها، ولم يسع حزب الله لخلق مثل هذا الإحساس لدى الشيعة المحرومين في جنوب لبنان وأحياء بيروت الفقيرة. فهؤلاء قد وجدوا أنفسهم في منطقة حرب حيث حل الدمار والخراب في منازلهم ومحلات عملهم على يد الأطراف المتصارعة، بينما تصر الحكومة على حرمانهم من السلطة والنفوذ الذي يقرره وضعهم كأغلبية". دفع هذا الإحساس الأجيال السابقة من الشيعة إلى الانضمام إلى منظمة أمل التي أسسها موسى الصدر. وبعد موته، فقدت الحركة الكثير من الدعم الشعبي وأصبحت لا تختلف عن باقي المجاميع التي تتنافس من أجل السيطرة. وعندما حاول عباس الموسوي قيادتها إلى الطريق الإسلامي المنسجم مع خط الثورة الإيرانية، جرى فصله من المنظمة. وردا على ذلك أسس في ١٩٨٢ منظمة أمل الإسلامية وهي البذرة التي نشأ منها حزب الله. وقد اكتسبت المنظمة شرعيتها من خلال مقاومتها للاحتلال الإسرائيلي والشعار الإسلامي الذي تبنته.

(1) Daniel Benjamin and Steven Simon, The Age of Sacred Terror, random House, New York, 2002, p. 115.

كان يمكن أن تبقى هذه الجماعة الجديدة مجرد وجه آخر من وجوه مجاميع قطاع الطرق التي سيطرت على أنحاء كثيرة من البلاد لولا حادث النبطية الذي حصل في ١٦ ت١ ١٩٨٣. ففي ذلك اليوم دخل رتل إسرائيلي وسط موكب شيعي عاشورائي. رد الشيعة بقذف الجنود الإسرائيليين بالحجارة وقلب عدة عربات إسرائيلية. رد الإسرائيليون بإطلاق النار على الحشود الشيعية فقتلوا وجرحوا الكثيرين. رأى الشيعة في ذلك تدنيسا لمقدساتهم وتحولت الطائفة بمعظمها ضد إسرائيل والقوات متعددة الجنسيات والتي تراها الطائفة بأنها التابع الذليل لإسرائيل. ردت أمل والمنظمات الشيعية الأخرى بالكلام فقط. ودعا محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بلبنان للعصيان المدني ضد إسرائيل وحرم التعاون بأي شكل من الأشكال مع القوات الإسرائيلية وطالب بإنهاء الخلافات الحزبية وأن تولي الحكومة المزيد من الاهتمام بمشاكل الشيعة ودعا إلى وحدة اللبنانيين.

وبينما كان رد أمل وشمس الدين بالأقوال فقط، رد حزب الله بالأفعال وذلك بتفجير ثكنات الجنود الفرنسيين والأمريكيين وبناية الشين بيت في صور. لقد دعا شمس الدين الأهالي لتبني أسلوب العصيان المدني "والانتظار لسنوات طويلة حتى تتحقق أهدافنا النهائية"، في حين سعى حزب الله لتحقيق هذه الأهداف بطريقة أسرع وذلك من خلال تبنيه لخيار العمل العسكري.

مثَّل المفجّر الانتحاري في عيون معظم اللبنانيين وليس الشيعة وحدهم المقاومة الحقيقية المضحية في سبيل طرد الاحتلال الأجنبي من لبنان. وأعطت روح التضحية التي مثلها الانتحاري في بلد يمزقه الفساد والخراب والأحزاب الأنانية، لحزب الله الأساس الأخلاقي ومن ثم الشرعية لوجوده في البلاد. وترسخت شرعيته بعد التفجيرات التي نفذها في أعقاب إصداره لرسالته الشهيرة في ١٩٨٥. فقد أثبتت عملياته الانتحارية لمعظم اللبنانيين صدق دعاواه التي أعلنها في رسالته المذكورة

والتي كان طابعها التقوى والإخلاص لقضية تحرير لبنان من السيطرة الأجنبية والشقاقات الحزبية.

حققت أعمال حزب الله لكسب الشرعية نجاحا منقطع النظير. يقول الكاتب أوغسطس ريتشارد نورتن: "تعرضت أمل في ١٩٨٥ لتحد كبير على يد حزب الله الأكثر راديكالية... فقد تمكن الأخير من طرد أريل شارون من ضواحي بيروت...". وما يؤكد نجاح الحزب في كسب الشرعية بواسطة الهجمات الانتحارية، اندفاع منافسيه وخاصة السوريين في تبني نفس الأسلوب. وأخذت المجاميع الأخرى تعلن عن تنفيذها لعدد من الهجمات الانتحارية والعمليات الفدائية ضد إسرائيل والأجانب في لبنان، وغالبا ما كانت تضخم العدد لتضفي على نفسها موثوقية أكثر بكونها قوات مقاومة. ودعت عدة مجاميع وسائل الإعلام المحلية والدولية لذكر أكبر عدد ممكن من الهجمات الانتحارية اعتقادا منها أن التفجيرات الانتحارية والادعاء بمهاجمة الإسرائيليين والأجانب هو أنجع أسلوب لكسب الشرعية.

لقد مثّل انتحاريو حزب الله نموذجا احتذى به الآخرون في قتالهم لأعدائهم. كان الشهداء منذ زمن بعيد مصدرا للإلهام إن لم يكن للتقليد للمسلمين الشيعة، وفي هذه الفترة ظهر المفجّر الانتحاري وكأنه عاش ومات ميتة ترضي الأئمة الاثنا عشر وباقي رموز المذهب الشيعي. وأخذ الشيعة يمجدون تضحيات الانتحاريين ويحثون الشباب لمحاكاتهم. وأخذ بعض الأطفال يلعبون لعبة التفجير الانتحاري أمام أنظار معلميهم الذين يستحسنون لعبتهم. ووضعت لافتات في معظم أنحاء ريف لبنان الجنوبي تمجد بطولة الانتحاري. تقول إحداها: "في ظهيرة يوم ١٩ ت١ ١٩٨٨، أحال أحد الشهداء بسيارته المفخخة التي تحمل ٥٠٠ كغم من المواد المتفجرة جنديين إسرائيليين إلى كتلة من النار والأطراف المتناثرة في واحدة من أعنف الضربات التي تلقاها الجيش الإسرائيلي في لبنان".

لقد حول حزب الله التفجير الانتحاري إلى مثال للمقاومة، وسعى الآخرون متأثرون بصدق عزيمته لتقليده في أسلوب المقاومة، حيث نفذت عدة نساء لم يكن أعضاء في الحزب هجمات انتحارية في لبنان. ودفع الثناء الذي ناله شهداء حزب الله الآخرين إلى إتباع خطاهم وحث الرأي العام الدولي إلى الاعتراف بالحزب كممثل للمقاومة الشرعية في لبنان. وأخذ الكتاب حتى من أهل طرابلس السنية يمجدون فضائل حزب الله وهجماته الانتحارية. لقد أصبحت الهجمات الانتحارية التي تحولت إلى وسيلة دعائية فعالة لصالح الحزب رمزاً للحركة وأصبح أعضاؤها بنظر الكثيرين الحاملين الحقيقيين للواء المقاومة[١].

ومن المؤكد أن حزب الله قد حقق نجاحا منقطع النظير بتبنيه لهذا الأسلوب بينما لم تحقق المنظمات الأخرى مثل ما حققه الحزب.

أهم الهجمات الانتحارية لحزب الله :

١ـ تفجير مقرات الجيش الإسرائيلي في صور :

حصل هذا التفجير في هجومين انتحاريين في ١٩٨٢ و١٩٨٣. أسفر الهجومان عن قتل أكثر من ١٠٠ جندي إسرائيلي وعشرات من اللبنانيين. ويمثلان أكبر خسارة يتعرض لها الجيش الإسرائيلي منذ تأسيسه وحتى الآن[٢].

أسس الجيش الإسرائيلي بعد غزوه للبنان في حزيران ١٩٨٢ مواقع للقيادة للسيطرة على المدن اللبنانية المحتلة. وفي ١١ ت٢ ١٩٨٢، دخلت سيارة نوع بيجو

(1) Captain Daniel Helmer, US army, Hezbollah's Employment of Suicide Bombing During the 1980's: The Theological, Political, and Operational development of a New tactic, Military Review, July-August 2006, http://www.army.mil/professionalwriting/volumes/volume4/november_2006/11_06_1_pf.html

(٢) موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Tyre_headquarters_bombings .

محملة بالمتفجرات إلى مقر الجيش الذي كان عبارة عن بناية من سبعة طوابق يستخدمها الجيش الإسرائيلي كمقر لحكم مدينة صور. دمر الانفجار الأول البناية بالكامل وساواها مع الأرض وقتل ٧٥ جندي إسرائيلي وشرطة حدود وعناصر من الشين بيت (جهاز الأمن الإسرائيلي). كما قتل أيضا بين ١٤-٢٧ أسير لبناني كان محتجزا لدى القوات الإسرائيلية. وجرح ٢٧ إسرائيلي و٢٨ لبناني.

ادعت الحكومة اللبنانية بعد الحادث وتصر على ذلك حتى الآن بأن الانفجار جاء نتيجة انفجار اسطوانات غاز. وهذا بالطبع يناقض ما رواه شهود العيان بأنهم رأوا سيارة بيجو مسرعة واقتحمت البناية ويناقض ما الأدلة التي عثر عليها في الأنقاض وهي أجزاء السيارة البيجو، وكذلك ما أورده تقرير الشين بيت عن استعدادات حزب الله لشن مثل هذا الهجوم.

يوجد بالقرب من بعلبك نصب تذكاري يخلد أحمد قصير وهو الانتحاري الذي نفذ الهجوم في ١١ ت٢ ١٩٨٢.

وبعد سنة تقريبا، حصل هجوم مماثل آخر في صور. إذ قاد انتحاري شاحنة نقل نوع شفروليه مليئة بنصف طن من المتفجرات واقتحم بها مقر جهاز الأمن الإسرائيلي الشين بيت في إحدى القواعد العسكرية في صور. أسفر الانفجار عن مقتل ٢٨ إسرائيليا و٣٢ أسيرا لبنانيا وفلسطينيا وجرح حوالي ٤٠ آخرين[1].

٢ـ تفجير مقر السفارة الأمريكية في بيروت :

حصل هذا الهجوم في ١٨ نيسان ١٩٨٣ وقتل فيه أكثر من ٦٠ شخصا معظمهم من كادر السفارة ومن البحارة وجنود المارينز الأمريكيين. ويعتبر أعنف

(1) bergman, Ronan, The Secret War with Iran, Simon & Schuster, 2008

هجوم على مقر بعثة دبلوماسية أمريكية حتى ذلك الوقت، ويمثل فاتحة هجمات الجماعات الإسلامية على الأهداف الأمريكية.

ادعت منظمة الجهاد الإسلامي، إحدى واجهات حزب الله، مسؤوليتها عن الانفجار وتوعدت بألا تبقي أمريكيا واحدا على أي شبر من الأرض اللبنانية.

جاء الهجوم في أعقاب تدخل القوات متعددة الجنسيات المكونة من الولايات المتحدة والبلدان الغربية في الحرب الأهلية اللبنانية لمحاولة إعادة سلطة الحكومة المركزية في لبنان. كما أنه جاء في أعقاب مذبحة الفلسطينيين واللبنانيين في مخيمي صبرا وشاتيلا على يد رجال الميليشيات المسيحية وبعد أربع سنوات من قيام الثورة الإيرانية المضادة للغرب.

قام بهذا التفجير انتحاري كان يقود سيارة نوع (فان) محملة بحوالي ٩١٠ كغم من المتفجرات ودخل بها مقر السفارة عند الساعة الواحدة من ظهر يوم ١٨ نيسان. يعتقد أن هذه السيارة كانت مسروقة من السفارة قبل سنة لذلك سمح لها بالدخول إلى المجمع وتوقفت عند بوابة المبنى وهناك انفجرت. ويقول ضابط المخابرات المركزية الأمريكية روبرت باير أن السيارة قد اقتحمت مبنى ملحقا بالسفارة واندفعت نحو بوابة البناية الرئيسة وانفجرت هناك. أدى الانفجار إلى انهيار الواجهة الوسطى من المبنى الذي كان بشكل حذوة حصان وأسقط الشرفات والمكاتب ونثر قطع الزجاج والمعادن والأنقاض على مسافة واسعة. وقد سمع الانفجار في أنحاء بيروت الغربية وحطم نوافذ المنازل على مسافة ميل تقريبا. وظل عمال الإنقاذ يعملون على مدار الساعة لانتشال الجثث وإنقاذ الضحايا.

بلغت حصيلة القتلى ٦٣ قتيلا، منهم ٣٢ مستخدما لبنانيا و١٧ أمريكيا و١٤ زائرا وعابر سبيل. ومن بين القتلى الأمريكيين ثمانية من وكالة المخابرات المركزية

بضمنهم مدير محطة الشرق الأدنى ومحلل المعلومات عن الشرق الأوسط روبرت أمس وكامل أعضاء محطة الشرق الأوسط التابعة للمخابرات المركزية. وجرح حوالي ١٢٠ أو أكثر.

وقد أعلنت جماعة تطلق على نفسها اسم منظمة الجهاد الإسلامي مسؤوليتها عن التفجير وذلك في مكالمة هاتفية من متحدث مجهول لأحدى وكالات الأنباء بعد الحادث مباشرة. قال: "هذا جزء من حملة الثورة الإيرانية ضد الأهداف الاستعمارية في كافة أنحاء العالم. سنظل نضرب الوجود الاستعماري في لبنان بما في ذلك القوات الدولية. وكانت الجماعة قد أعلنت مسؤليتها عن هجوم بالقنابل اليدوية على قوة حفظ السلام الدولية حيث جرح خمسة أمريكيين.

وفي ٣ ك١ ٢٠٠٣، أصدر القاضي الأمريكي جون باتس من محكمة واشنطن دي سي، حكما بتعويض ٢٩ ضحية أمريكية قضوا خلال حادث تفجير السفارة في ١٩٨٣ ببيروت. بلغت قيمة التعويض في الحكم ١٢٣ مليون دولار. وفي ٣٠ مايس ٢٠٠٣، أقر القاضي رويس لامبيرث من نفس المحكمة بأن التفجير قد نفذته جماعة حزب الله بموافقة وتمويل مسؤولين إيرانيين كبار، ممهدا الطريق في ذلك أمام الضحايا لرفع الدعاوى ومطالبة الأطراف المعنية بالتعويض.

أدان الرئيس الأمريكي رونالد ريجان بعد الحادث "هذا التفجير الإرهابي الشرير" واعتبره "فعلا جبانا" وقال: "أن هذا العمل الإجرامي على مؤسسة دبلوماسية سوف لن يمنعنا من تحقيق أهدافنا في حفظ السلام في المنطقة". وأرسل مبعوثين هما فيليب حبيب وموريس درابر إلى بيروت لمناقشة موضوع سحب القوات من لبنان.

وفي اليوم التالي قال السفير ديلون الذي نجا من الحادث بأعجوبة: "من بين أولى مهماتنا الأساسية هي سحب جميع القوات الأجنبية من لبنان. ولا يمكن تجنب

حصول مثل هذه المآسي المفجعة كالتي عانينا منها في المستقبل إلا بتأمين سيطرة الحكومة اللبنانية على جميع البلاد".

واتصل الرئيس اللبناني أمين الجميل بالرئيس ريجان وأعرب له عن بالغ عزائه لأسر الضحايا الأمريكيين، وقال أن عبء السلام لا يحمله إلا الشجعان. وبنفس الوقت طلب لبنان من الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا لزيادة حجم قوات حفظ السلام في لبنان. وكانت تبلغ في ١٦ آذار ٤.٨٠٠ جندي، منهم ١.٢٠٠ من المارينز الأمريكيين و١.٤٠٠ من الإيطاليين و٢.١٠٠ من الفرنسيين و١٠٠ من البريطانيين.

وأنكرت إيران أي دور لها في الهجوم. وقال وزير خارجيتها علي أكبر ولايتي: ليس لدينا أي علاقة بهذا الهجوم وما هذا الاتهام إلا مؤامرة دعائية ضدنا".

وعلى إثر الهجوم، انتقل مقر السفارة الأمريكية إلى منطقة أكثر أمنا في بيروت الشرقية، لكنه وفي ٢٠ أيلول ١٩٨٤، انفجرت سيارة مفخخة ثانية في هذا المبنى وقتلت عشرين لبنانيا وجنديين أمريكيين.

وقد ازداد استخدام الهجمات الانتحارية في أعقاب هذا الحادث. فانفجرت سيارات مفخخة أخرى على السفارتين الأمريكية والفرنسية في الكويت ثم على مقر الجيش الإسرائيلي في صور.

وإثر هذا الحادث أعادت وزارة الخارجية الأمريكية النظر في أمن سفاراتها في الخارج وصدر تقرير "إنمان" الذي تشكلت بموجبه في وزارة الخارجية هيئة الأمن الدبلوماسي وجهاز أمن البعثات الدبلوماسية وأدخلت تحسينات وإجراءات أمنية مشددة على مباني السفارات[1].

---

(١) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/1983_United_States_Embassy_bombing

٣ـ تفجير ثكنات قوات المارينز الأمريكية وقوات حفظ السلام الفرنسية:

عند حوالي الساعة ٦:٢٠ من صباح يوم ٢٣ ت١ ١٩٨٣، دخلت شاحنة نوع مرسيدس بينز إلى مطار بيروت الدولي حيث نصب الفوج الأول من اللواء الثامن التابع للفرقة الثانية لقوات مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) مقراته هناك. وقد دخلت هذه الشاحنة كبديل عن شاحنة حوضية لنقل المياه جرى اختطافها. واتجهت نحو طريق يؤدي إلى مجمع قوات المارينز واستدارت في ساحة وقوف السيارات. بعدها أطلق السائق الشاحنة بأقصى سرعتها واقتحم بها سور الأسلاك الشائكة المحيط بموقف العجلات ومر من بين موقعي جنود الحراسة واقتحم بوابة البناية ودخل الممر الرئيس لمقر القوات. كان حارسا البوابة يعملان وفق قواعد الاشتباك التي تجعل من الصعب عليهما الرد بسرعة على ما قامت به الشاحنة. وبينما كانت بندقيتاهما معبأتين ومحمولتين على الأكتاف، دخلت الشاحنة في ممر الدخول الرئيس للبناية.

فجر الانتحاري شاحنته المحملة بـ ٥.٤٠٠ كغم من مادة التي أن تي. أدى الانفجار إلى انهيار البناية ذات الأربعة أدوار بالكامل وحولها إلى مجرد أنقاض سحقت من كان بداخلها. يقول إريك هامل في كتابه "تأريخ قوات الإنزال التابعة للمارينز": "لقد رفعت شدة الانفجار في البداية هيكل المبنى بالكامل عن الأرض، وحطم قواعد أعمدة الإسناد الكونكريتية التي يبلغ محيط الواحد منها ١٥ قدما ومسلحة بقضبان حديدية عديدة قياس الواحد منها إنج وثلاثة أرباع الأنج. وبعد إن ارتفعت البناية عن الأرض، سقطت على نفسها. وحصلت موجة اصطدام شديدة وكرة غاز مشتعل في جميع الاتجاهات". وقد استخدمت في التفجير غازات شـديدة الاشتعال كالبروبين والبوتان والأسيتيلين معبأة في قنان ومربوطة بسلك إشعال. وكل هذه المواد موجودة في السوق المحلي. ورغم بساطة وتوفر العناصر

المكونة للقنبلة، إلا أن تعزيزها بالغازات القابلة للانفجار يجعل منها سلاحا شديد القتل. وهي تشبه القنابل الفراغية أو الحرارية أو قنابل الوقود والهواء من حيث شدة التفجير والأضرار التي تسببها. وحصل بعد الحادث تبادل بإطلاق النيران جرح خلاله جنديان أمريكيان. وبعد حادث تفجير ثكنات بيروت وإدراك الأمريكيين أن بإمكان المنظمات الإرهابية أن تستخدم وسائل متوفرة كالشاحنات العادية أو سيارات الفان كقنابل متفجرة، قاموا بوضع حواجز وقائية (كالأعمدة) حول المنشآت الحكومية المهمة في الولايات المتحدة.

وبعد أقل من دقيقة، حصل هجوم مماثل على ثكنات السرية الثالثة من كتيبة مشاة المظليين الأولى الفرنسية التي تبعد مسافة ٦ كيلومترات وتقع في منطقة رملة البيدا في بيروت الغربية. حيث قاد انتحاري شاحنته المفخخة ودخل بها موقف العجلات أسفل البناية التي يقيم فيها عناصر السرية وفجرها هناك. أدى الانفجار إلى تسوية هذه البناية ذات الثمانية أدوار مع الأرض وقتل ٥٨ جنديا فرنسيا. وكان العديد منهم مجتمعين في شرفات البناية لمشاهدة التفجير الحاصل في أرض المطار.

استمرت جهود الإنقاذ عدة أيام. وكان يحصل خلالها تبادل بإطلاق النيران حيث قتلت فتاة لبنانية بعمر ١٨ عاما، كما عطلت نيران القناصة جهود فريق الإنقاذ الذي استطاع انتشال بعض الأحياء من وسط الإنقاذ حيث تم إرسالهم إلى حاملة الطائرات إيوو جيما الراسية قبالة السواحل اللبنانية وأرسل قسم آخر إلى مستشفيات سلاح الجو البريطاني في قبرص أو إلى المستشفيات العسكرية الأمريكية في ألمانيا الغربية.

بلغت خسائر الهجوم على ثكنات الأمريكيين: ٢٢٠ جندي مارينز و١٨ من جنود البحرية وثلاثة من جنود القوات البرية أو الجيش. وجرح ٦٠ آخرون. بينما بلغت خسائر الهجوم على الثكنات الفرنسية مقتل ٥٨ مظلي وجرح ١٥ آخرين في

واحدة من أسوأ الخسائر العسكرية الفرنسية منذ نهاية حرب الجزائر. كما قتل أيضا في الانفجار الأول الوكيل اللبناني لمالك بناية المارينز. وقتل أيضا بواب بناية الجنود الفرنسيين مع زوجته وأطفاله الأربعة.

ويشكل هذا الحادث أكبر خسارة عانى منها صنف المارينز في يوم واحد منذ معركة إيوو جيما[1] في الحرب العالمية الثانية والتي راح فيها ٢٥٠٠ جندي مارينز في يوم واحد، وأكبر خسارة عاني منها الجيش الأمريكي في يوم واحد منذ هجوم تت خلال حرب فيتنام في ٣١ ك٢ ١٩٦٨ الذي راح فيه ٢٤٣ جندي أمريكي. ويبقى هذا الحادث يمثل أكبر خسارة للأمريكيين منذ الحرب العالمية الثانية.

وقد وصف الرئيس الأمريكي الهجوم بأنه عمل حقير وتعهد بإبقاء قوات عسكرية في لبنان. وقال وزير الدفاع كاسبر واينبيرجر الذي سبق إن نصح الإدارة الأمريكية بعدم إرسال أي قوات إلى لبنان ، أنه لن يكون هناك أي تغيير في السياسة الأمريكية تجاه لبنان. وفي ٢٤ ت١، زار الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتيران موقع الانفجار. لم تكن زيارته رسمية ومكث هناك عدة ساعات فقط لكنه صرح: "أننا سنبقى". وفي ٢٦ ت١ زار نائب الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأب) موقع الانفجار وقال: "أن الإرهابيين لن يروعوا الولايات المتحدة".

(١) حصلت معركة إيوو جيما في ١٩ شباط ١٩٤٥ واستمرت لغاية ٢٦ آذار. حاولت الولايات المتحدة خلالها السيطرة على جزيرة إيوو جيما اليابانية في المحيط الهادي. حصل قتال عنيف خلال هذه الأيام استخدمت فيه كافة أنواع الأسلحة. وتمثل المعركة أول هجوم أمريكي على الأراضي اليابانية. وقد دافع الجنود اليابانيون بضراوة عن أراضي بلادهم. ومن بين ٢٢.٠٠٠ جندي ياباني اشترك في المعركة، قتل منهم أكثر من ٢٠.٠٠٠ وانتحر الكثيرون وأسر ١.٠٨٣ جندي ياباني فقط. وبلغت خسائر الأمريكيين أكثر من ١٠.٠٠٠ قتيل.وتمكن الأخيرون بعدها من تحقيق النصر ورفع العلم الأمريكي على أعلى قمة جبل في الجزيرة.

وفي رد على هذه الهجمات، شنت فرنسا ضربات جوية على مواقع يزعم أنها للحرس الثوري الإيراني في وادي البقاع. واجتمع الرئيس الأمريكي ريجان مع فريق الأمن الوطني ودرسوا موضوع ضرب منزل الشيخ عبد الله في بعلبك بلبنان الذي يعتقد أنه يأوي الحرس الثوري الإيراني المسؤول عن تدريب عناصر حزب الله. وقد صادق الرئيسان ريجان وميتيران على تنفيذ هذه الضربات لكن وزير الدفاع واينبيرجر تصدى بحزم لهذه الخطة وحال دون تنفيذها.

باستثناء بعض عمليات القصف البسيطة، لم يقم الأمريكيون بأي رد جدي على تفجيرات بيروت. وفي ك١ ١٩٨٣ هاجمت حاملة طائرات أمريكية بعض الأهداف السورية في لبنان لكن هذا الهجوم كان ردا على هجمات سورية بالصواريخ على بعض الطائرات وليس ردا على تفجير الثكنات. ثم جرى سحب وحدات عسكرية أمريكية من بيروت في أعقاب تهديدات بالقصف.

أعطى هذا الهجوم زخما قويا لحزب الله، بينما أنكر الأخير تورطه فيه، لكن معظم اللبنانيين يعتقدون أن الحزب يقف وراءه خاصة وأنه يمتدح الانتحاريين ويصفهم بالشهداء المجاهدين الذين ألحقوا هزيمة نكراء بالإدارة الأمريكية لم تمر بمثيل لها منذ حرب فيتنام. وأصبح الكثير من اللبنانيين ينظرون إليه على أنه رأس الرمح في المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الأجنبي.

وطلب زعيم ميليشيا أمل نبيه بري الذي سبق إن أيد جهود الوساطة الأمريكية من فرنسا والولايات المتحدة مغادرة لبنان واتهمها بمحاولة ارتكاب مجازر ضد الشعب اللبناني وخلق جو من العنصرية ضد شيعة لبنان. وأطلقت منظمة الجهاد الإسلامي في مكالمات هاتفية مع وكالات الأنباء تهديدات ضد القوات متعددة الجنسيات وتعهدت بأنها ستزلزل الأرض تحت أقدام هذه القوات إن لم تنسحب قبل رأس السنة الجديدة ١٩٨٤.

انسحبت قوات المارينز إلى السواحل حيث لا يمكن استهدافها. وفي ٧ شباط ١٩٨٤، أمرها الرئيس ريجان بالانسحاب من لبنان. واكتمل ذلك في ٢٦ شباط أي بعد أربعة أشهر من حادث تفجير الثكنات. وفي نيسان انسحبت نهائيا باقي القوات متعددة الجنسيات.

وبعد التفجير، ادعت عدة جماعات شيعية مسؤوليتها عن الحادث، وقالت إحداها وهي الحركة الثورية الإسلامية الحرة أن منفذي الهجوم هما أبو مازن وأبو سجعان.

وبعد عدة سنوات من التحقيق يعتقد حاليا أن المسؤول عن تنفيذ الهجوم هو منظمة حزب الله عندما كان الحزب لا يزال سريا، ولكن لا إجماع على هذا الرأي. ولم يعلن الحزب عن وجوده رسميا إلا في شباط ١٩٨٥ عندما نشر أول بياناته التي أدان فيها الغرب. تعتقد الحكومة الأمريكية أن حزب الله هو المسؤول عن هذا التفجير بدعم من سوريا وإيران، ومسؤول كذلك عن حادث تفجير السفارة الأمريكية في بيروت. لكن الحزب وإيران وسوريا ينكرون أي تورط لهم في الموضوع.

وبعد التفجير بسنتين، أدانت هيئة محلفين أمريكية كبرى عماد مغنية بكونه العقل المدبر لهذا التفجير. لم يتم اعتقاله لكنه قتل في ١٢ شباط ٢٠٠٨ بحادث تفجير سيارة مفخخة يعتقد أنه مدبر من عملاء المخابرات الإسرائيلية (الموساد).

وتقول الكاتبة اللبنانية الأصل البريطانية الجنسية حلا جابر أن إيران وسوريا هما اللتان دعمتا تفجير الثكنات بينما أشرف عماد مغنية ومصطفى بدر الدين على عملية التخطيط والتنفيذ. ومغنية رجل أمن مدرب جيدا كان يعمل مع القوة ١٧ التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية. كانت مهمتها جمع المعلومات عن السفارة الأمريكية ووضع خطة تضمن إحداث أكبر الخسائر دون أن تترك أي أثر عن المنفذ.

جرت عدة اجتماعات في مقر السفارة الإيرانية بدمشق ترأسها السفير حجة الإسلام علي أكبر محتشمي وهو الرجل الذي لعب دورا أساسيا في تأسيس حزب الله. وبعد التشاور مع كبار ضباط المخابرات السورية، تم إقرار الخطة ووضعها موضع التنفيذ. تمت تهيئة العجلة والمتفجرات في وادي البقاع الذي كان يخضع حينها للسيطرة السورية.

يقول المعلقون الغربيون أن عدم الرد الأمريكي على هذه الهجمات هو الذي شجع المنظمات الإرهابية على تنفيذ المزيد من الهجمات ضد الأهداف الأمريكية.

وفي ٣ ت١ و٢٨ ك١ ٢٠٠١، رفعت أسر ٢٤١ جندي كانوا قد قتلوا في هذا الحادث إضافة إلى عدد من الناجين، دعاوى مدنية ضد الحكومة الإيرانية ووزارة الأمن والمعلومات الإيرانية، في محكمة واشنطن دي سي. طالب المشتكون بتحميل إيران مسؤولية هذا الهجوم وتعويضهم عن الخسائر التي لحقت بهم والأذى النفسي الذي تحملوه.

وفي ٣٠ مايس ٢٠٠٣، أصدر القاضي لامبيرث حكما بتحميل إيران قانونيا مسؤولية دعم حزب الله ماليا ولوجستيا مما ساعده في تنفيذ هجومه. وقال أن المحكمة تملك الولاية القضائية على المدعى عليهم بموجب قانون الحصانات الأجنبية الأمريكي، وأن حزب الله قد تأسس برعاية الحكومة الإيرانية التي كان معتمدا عليها بالكامل في ١٩٨٣، وأنه قد نفذ هجومه بالتنسيق مع عملاء وزارة الأمن والمعلومات الإيرانية.

وفي ٧ أيلول ٢٠٠٧، أصدر القاضي المذكور حكما بتعويض المدعين بمبلغ قدره ٢.٦٥٦.٩٤٤.٨٧٧ دولار أمريكي. يقسم هذا المبلغ على الضحايا، وأعطيت أكبر حصة وقدرها ١٢ مليون دولار إلى لاري جيرلاش الذي يعاني من شلل رباعي نتيجة كسر رقبته بفعل حادث التفجير.

وقد كشف محامي أسر الضحايا معلومات جديدة عن القضية منها استراق وكالة الأمن الوطني الأمريكي لبرقية مرسلة من مقر جهاز المخابرات الإيراني في طهران إلى حجة الإسلام علي أكبر محتشمي، السفير الإيراني في دمشق. يقول القاضي لامبيرث: "أن هذه البرقية تأمر السفير الإيراني بالاتصال بحسين الموسوي أحد قادة حركة أمل وإبلاغه باتخاذ إجراء صارم ضد قوات المارينز الأمريكية". وقد انشق حسين الموسوي عن أمل وانضم للحركة الوليدة حينها المسماة حزب الله.

ويرى بعض المسؤولين الحكوميين الأمريكيين أنه لم يتم حتى الآن تحديد الجهة التي تتحمل مسؤولية هذه الأحداث. ففي ٢٠٠١، يقول وزير الدفاع السابق كاسبر واينبيرجر: "لا نزال حتى الآن لا نملك المعلومات المؤكدة عن الجهة التي تتحمل مسؤولية تفجير ثكنات المارينز في أرض مطار بيروت".

يقول عميل المخابرات الإسرائيلية السابق فكتور أوستروفسكي أن المخابرات الإسرائيلية كانت تعلم بخطط التفجير لكنها لم تعلم الحكومة الأمريكية. والسبب في ذلك أن وجود القوات الأمريكية والفرنسية في لبنان يحد من حرية القوات الإسرائيلية في شن عملياتها العسكرية داخل هذه البلاد. بينما يقول آخرون أن آراء أوستروفسكي هي محض خيال.

تصنف الولايات المتحدة هذا العمل على إنه عمل إرهابي. فبموجب القانون الدولي تعتبر قوات حفظ السلام قوات غير مقاتلة بسبب دورها في حفظ السلم. بينما يعتبر اللبنانيون قوات المارينز الأمريكية حليفة للمسيحيين الموارنة وقد خاضوا معارك عديدة إلى جانبهم وبذلك فقدت هذه القوات وضعها كقوات غير مقاتلة. لا تزال الولايات المتحدة تصنف هذا الهجوم على أنه عمل إرهابي لأنه موجه ضد جنود أثناء عطلتهم وبذلك يكونون في وضع القوات غير المقاتلة. لكن القانون

الدولي لم يذكر أن الجنود النيام أو الذين يتمتعون بعطلة أو استراحة هم قوات غير مقاتلة(١).

٤ـ تفجير مقر جمعية الصداقة الإسرائيلية الأرجنتينية :

Asociacion Mutual Israelita Argentina AMIA

يعيش في الأرجنتين حوالي ٢٠٠.٠٠٠ يهودي، وهي أكبر جالية يهودية في أمريكا اللاتينية. وفي ١٨ تموز ١٩٩٤، انفجرت سيارة فان نوع (رينو) أمام مقر الجمعية المذكورة الذي يمثل مركزا للجالية اليهودية في الأرجنتين، ويقع وسط منطقة مكتظة بالمباني في العاصمة بوينس آيرس. وكانت العجلة محملة بـ٢٧٥ كغم من سماد نترات الأمونيا ومزيج من المواد المتفجرة المصنوعة من زيت الوقود مع بعض المواد الخارقة للدروع. لا تبعد البناية المستهدفة سوى ٣ أو ٥ أمتار عن السيارة الملغمة. وهي مكونة من خمسة أدوار وتستند على جدران خارجية مبنية من الآجر. وقد أدى الانفجار إلى تحطيم هذه الجدران مما سبب انهيار البناية بالكامل.

قتل في الحادث ٨٥ شخصا معظمهم من اليهود، وجرح ٣٠٠ آخرون. جاء هذا التفجير بعد سنتين من حادث الهجوم على السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس الذي قتل فيه ٢٢ شخصا. ولا تزال السلطات الأرجنتينية حتى هذا اليوم عاجزة عن تحديد الجهة أو الأشخاص المسؤولين عن إرتكاب هذين الحادثين.

وبعد يوم من الهجوم على جمعية الصداقة هذه، حصل هجوم انتحاري آخر على طائرة بنمية قتل فيه ١٢ يهوديا و٩ من أصول أخرى. صدر بعده بيان من جماعة تطلق على نفسها أنصار الله وأعلنت مسؤوليتها عن تفجير الجمعية وكذلك الهجوم على الطائرة البنمية. وبعد إجراء التحقيقات في أربع بلدان على الأقل، تبين أن هذا البيان هو مجرد خدعة وأهمل ما ورد فيه.

---

(١) موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/1983_Beirut_barracks_bombing .

وبعد ثمانية أيام من حادث جمعية الصداقة، تعرضت السفارة الإسرائيلية في لندن لهجوم بسيارة مفخخة. ولم تثبت التحقيقات أي رابطة بين هذه الحوادث، ولم يكشف الدافع من ورائها بالدليل الملموس.

وبعد حادث الجمعية بأيام أرسلت إسرائيل ضباطا من المخابرات الإسرائيلية (الموساد) إلى الأرجنتين للتحقيق في الحادث، لكن الأخيرة لم تسمح بدخولهم إلى أراضيها.

يعتقد أن منفذي الهجوم قد دخلوا عبر المثلث الحدودي الأرجنتيني- البرازيلي- الباراجواني. ويقال أن وكالة المخابرات الأرجنتينية قد وضعت شبكة مراقبة في براجواي لهذا الغرض[1].

كما أرسلت الشرطة الإسرائيلية فريقا مكونا من أربعة محققين عدليين للمساعدة في تحليل شهادات ما قبل الوفاة وتشخيص الضحايا. كما أرسل الجيش الإسرائيلي طاقما من عناصره لمساعدة الأرجنتينيين في جهودهم لانتشال جثث الضحايا.

لم يوجه الاتهام إلى أي مشتبه به في التفجير بينما ظهرت عدة مزاعم تلقي المسؤولية عن الحادث على عاتق الحكومة الإيرانية. لكن الأخيرة قد أدانت هذا الحادث ووصفته بالإرهابي ودعت لمعاقبة فاعليه فورا.

شاب تحقيقات السلطات الأرجنتينية الكثير من القصور. وقال الرئيس الأرجنتيني السابق نيستور كيرشنر في ٢٠٠٥ أنها "فضيحة وطنية". وفي ٢٠٠٦ وجهت محكمة أرجنتينية الاتهام إلى طهران بكونها تقف وراء هذه الهجمات، وربما جاء هذا تبريرا لقرار بوينس آيرس بتعليق نقل المواد والتكنولوجيا النووية إلى طهران.

---

(١) المصدر نفسه، http://en.wikipedia.org/wiki/1994_AMIA_bombing .

تقول مصادر دبلوماسية إسرائيلية في ٢٠٠٣ أن الهجوم قد نفذه شخص انتحاري يدعى إبراهيم حسين برو ويبلغ التاسعة والعشرين وقد شوهدت لافتة في جنوب لبنان تحيي استشهاده في ١٨ تموز ١٩٩٤ وهو تأريخ حصول التفجير. وقد أكد ذلك مكتب التحقيقات الفيدرالي في ت٢ ٢٠٠٥. مع ذلك، أنكر شقيقا برو المقيمان في الولايات المتحدة هذه الرواية في نيسان ٢٠٠٥ أمام النائب العام الأمريكي وقالا أن برو قد مات في ٩ أيلول ١٩٩٤ خلال عملية قتالية في لبنان وأنه كان عضوا في حزب الله. وقد أخرجت الشرطة رأسا من صندوق مدفون يعتقد أنه للانتحاري. ولكن لم يجر أي تشريح للجثة أو لعوامل الـ DNA.

تابع قاضي التحقيق الأرجنتيني خوان خوزيه جالينو تحقيقاته بشأن علاقة أي مواطن أرجنتيني أو شرطة بوينس آيرس بالحادث. وسرعان ما ألقى القبض على المدعو كارلوس تليليدين وعشرين آخرين من شرطة بوينس آيرس. ويزعم أن تليليدين هو الذي وفر السيارة المستخدمة في التفجير. ولكن وفي ٢٠٠٣ عرض شريط فيديو على التلفزيون الأرجنتيني يظهر فيه القاضي المذكور وهو يعرض على تليليدين مبلغ ٤٠٠.٠٠٠ دولار أمريكي مقابل تزويده بدليل. أدى ذلك إلى تنحية القاضي المذكور عن القضية، وفي آب ٢٠٠٥ تم توجيه الاتهام إليه بالتقصير.

وكان القاضي جالينو قد أصدر أيضا أوامر قضائية باعتقال ١٢ إيرانيا بضمنهم هادي سليمان بور، السفير الإيراني في الأرجنتين خلال ١٩٩٤. وفي ٢١ آب ٢٠٠٣ وبناءا على طلب من السلطات الأرجنتينية تم اعتقال المذكور في المملكة المتحدة. وأطلق سراحه فيما بعد لأنه وحسب بيان وزارة الداخلية لم يقدم دليل كاف لإثبات التهمة يجعلها تستمر في إجراءات تسليم المتهم.

وفي ١٩٩٩، صدرت مذكرة قبض أخرى ضد قيادي في حزب الله هو عماد مغنية له صلة بالحادث.

وقد استمع القاضي جالينو لشهادة أبي القاسم مصباحي "الشاهد ج"، وهو ضابط مخابرات إيراني سابق، وزعم أن الرئيس الأرجنتيني السابق كارلوس منعم قد قبض مبلغ ١٠ مليون دولار من طهران لغلق ملف التحقيق في القضية. وقد أنكر الرئيس السابق هذه المزاعم، لكنه اعترف، بعد تقرير نشرته صحيفة النيويورك تايمز، أن لديه حسابا مصرفيا سريا في أحد البنوك السويسرية. وقال منعم في ٢٠٠٤ أن الهجوم له علاقة بدعمه للولايات المتحدة خلال حرب الخليج الأولى وبزيارته إلى إسرائيل خلال فترة رئاسته. وقال أبو القاسم للمحكمة الأرجنتينية أن إيران قد خططت للهجوم لكونها تعتقد أن مقر الجمعية هو قاعدة لجهاز المخابرات الإسرائيلي.

وفي ٢ أيلول ٢٠٠٤، وجدت المحكمة أن كل المواطنين المحليين الذين يشتبه بصلتهم بالحادث بضمنهم عناصر شرطة بوينس آيرس، غير مذنبين. وتمت تبرئة خمسة أشخاص بما فيهم أربعة من ضباط الشرطة بسبب عدم كفاية الأدلة.

وفي ٣ آب ٢٠٠٥، أدين القاضي جالينو بالتقصير وأزيح عن منصبه كقاض اتحادي بسبب الانتهاكات الخطيرة التي ارتكبها وبسبب سوء إدارته للتحقيق. وقالت صحيفة كلارين الأرجنتينية أن التهم ستوجه إليه قريبا، بينما ينفي القاضي المذكور مثل هذه المزاعم.

وفي آذار ٢٠٠٥، أعاد القاضي السويسري جاك أنتينن فتح التحقيق بقضية حسابات جهاز المخابرات الإيراني في سويسرا بعد اغتيال أحد المعارضين الإيرانيين. ويفترض أن هذا الحساب قد استخدم لتمويل عملية الاغتيال هذه وكذلك لدفع المبلغ المزعوم للرئيس السابق منعم. وقد أُبلغ القاضي السويسري عن وجود حساب باسم رامون هيرنانديز السكرتير السابق للرئيس. وقد أودع في هذا الحساب مبلغ ستة ملايين دولار، وتقول تقارير أخرى أنه عشرة ملايين.

وفي ٢٠٠٦، أعلنت محكمة الأستئناف الأرجنتينية أن المحكمة السابقة قد زورت في ملفات التحقيق من أجل إخفاء الحقائق.

وفي تموز ٢٠٠٥ أصدرت حكومة الرئيس نيستور كيرشنر مرسوما أعلنت فيه عن تحملها جزءا من المسؤولية للإخفاق في التحقيقات بشأن الهجوم. وقال أنها فضيحة وطنية، وأن الحكومات المتعاقبة قد أخفت الحقائق وسن في المرسوم آلية للضحايا لاستلام التعويضات. وبعد استلامه لمهام منصبه في ربيع ٢٠٠٣، أمر بفتح ملفات المخابرات الأرجنتينية بخصوص القضية.

كانت الأرجنتين وإسرائيل والولايات المتحدة تشتبه بأن حزب الله وبدعم من إيران هو الذي يقف وراء هذا التفجير، لكن الحزب ينكر مسؤوليته عنه.

وفي ٢٥ ت١ ٢٠٠٦، وجه النائب العام في بوينس آيرس الاتهام رسميا إلى إيران ومنظمة حزب الله بتنفيذ الهجوم، واتهم السلطات الإيرانية بتوجيه حزب الله بتنفيذ الهجوم ودعا للإلقاء القبض على الرئيس الإيراني السابق آية الله أكبر هاشمي رفسنجاني وسبعة آخرين بضمنهم بعض من يحتلون مناصب رسمية مهمة في إيران. قال الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية محمد علي حسيني "أن هذه الاتهامات هي مؤامرة صهيونية، وأن إيران وحزب الله ينكران تورطهما بمثل هذا العمل". ويقول أن القصد من وراء هذه الاتهامات هو تحويل انتباه الرأي العام العالمي عن الجرائم الكبيرة التي يرتكبها الصهاينة ضد نساء وأطفال فلسطين.

وفي ٦ آذار ٢٠٠٧، قدم عضو الكونجرس الأرجنتيني السابق ماريو كافيرو وأحد المسؤولين الحكوميين السابقين، دليلا خلال مؤتمر صحفي يثبت أن أبا القاسم واثنين آخرين سبق أن اتهما إيران بالتورط بالحادث، هم من عناصر منظمة مجاهدي خلق التي تصفها الولايات المتحدة بالإرهابية. وقالا أن هناك أوامر قضائية صادرة من الأنتربول الدولي تدعو لإلقاء القبض على زميلي أبي القاسم، هادي روشان رافاني وهادي رضا إيشاجي[١].

---

(١) موقع Pagina12 بالأسبانية:

http://www.pagina12.com.ar/diario/elpais/1-81353-2007-03-07.html

الفصل الحادي والعشرون

الهجمات الانتحارية في الشيشان



مئات الأطفال والنساء الرهائن الذين حجزهم الانتحاريون الشيشانيون
في قاعة الألعاب بمدرسة بيسلان التي زرعت بالمتفجرات في كل جانب.

خلاصة:

أضاف المتمردون الشيشانيون خلال الفترة من حزيران ٢٠٠٠ ولغاية أيلول ٢٠٠٤ التفجيرات الانتحارية إلى أسلحتهم المستخدمة ضد الروس. فخلال هذه الفترة نفذوا أكثر من ثلاث وعشرين هجمة انتحارية داخل وخارج الشيشان. وتختلف هويات وجنس هؤلاء الانتحاريين حسب طبيعة الظروف المحيطة بكل تفجير[١].

لم يبدأ المتمردون الشيشانيون باستخدام أسلوب الهجمات الانتحارية إلا في عام ٢٠٠٠. فخلال السنوات الخمس من الحرب الشيشانية الأولى والسنة الأولى من الحرب الشيشانية الثانية، لم يستخدم الشيشانيون هذا الأسلوب في حربهم ضد روسيا. وبعد أزمة رهائن مدرسة بيسلان في الشيشان، توقف الانفصاليون عن استخدامه في هجماتهم.

ورغم إن أهم هذه الهجمات قد حصلت داخل روسيا، إلا أن الجزء الأكثر منها قد خدث داخل الشيشان، حيث وقعت ١٤ هجمة من مجموع ٢٣ داخل البلاد، بينما وقعت أربع هجمات أخرى في مناطق شمال القوقاز. نُفذت معظم هذه التفجيرات ضد المنشآت العسكرية والمجمعات الحكومية داخل وخارج البلاد والتي يعتبرها الانفصاليون أهدافا عسكرية.

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الألكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Chechen_suicide_attacks#Overview#Overview

يشكل النساء الغالبية العظمى من الانتحاريين الشيشانيين[1]. ويسمون في الشيشان "الشهيدكا" وفي روسيا "الأرامل السود"، ومعظمهن قد فقدن أفرادا من أسرهن في الحرب. ويختلف هذا كثيرا عن حملات التفجير الانتحاري في كل من العراق وفلسطين حيث تشكل النساء الجزء الأقل من الانتحاريين. لا توجد دلائل على تورط أجنبي في تخطيط أو تنفيذ الهجمات الانتحارية في الشيشان. وبينما تتلقى أسر الانتحاريين الفلسطينيين أحيانا مكافآت ومساعدات من بعض المتبرعين، لكنه لا توجد أية دلائل عن تلقي أسر الانتحاريين الشيشانيين أية مكافآت أو معونات مالية. مع ذلك، يُعتقد أن المجاهدين العرب يقفون وراء أعنف الهجمات في شمال القوقاز[2].

جرت أعلى نسبة من الهجمات الانتحارية في الشيشان في صيف ٢٠٠٠، حيث استخدم الانتحاريون شاحنات معبئة بالمتفجرات وهاجموا أهدافا عسكرية في داخل البلاد. وأغلبهم هذه المرة من الرجال. تلاها ما حصل خلال عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤، عندما اجتاحت موجة من التفجيرات الانتحارية لأول مرة موسكو والشيشان واستهدفت هذه المرة أهدافا مدنية.

نبذة تاريخية عن الصراع الروسي ـ الشيشاني:

تبلغ مساحة جمهورية الشيشان ١٥.٣٠٠ كم^2 ونفوسها ١.١٠٣.٦٨٦ نسمة بموجب إحصاء ٢٠٠٢. وتسمى أحيانا إشكيريا أو شيشينيا أو نوخشين وتقع في جبال القوقاز الشمالية في المنطقة الجنوبية من الاتحاد الفدرالي الروسي وشمال شرق جورجيا وجنوب داغستان.

(1) Neil Arun, Women Bombers Break New Ground, BBC News, 15 Non. 2005, http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4436368.stm

(2) Groskop. Viv, The woman with death at their fingertips- martyrs or victims? News.scotsman.com, published 5 Sept 2004. http://news.scotsman.com/beslanschoolsiege/The-women-with-death-at.2561572.jp

والشيشان جماعة عرقية من بين ٥٥ جماعة عرقية أخرى تسكن مناطق جبال القوقاز ولهم ثقافة ولغة خاصة بهم تختلف عن الثقافة واللغة الروسية. ومنذ ما قبل القرن السادس عشر، كانت روسيا تعتبر هذه المنطقة حاجزا بينها وبين الإمبراطوريتين التركية والفارسية. لذلك بنت حصونا على امتداد الحدود بينها وبين هاتين الدولتين. ومنها حصن جروزني الذي بنته في ١٨١٨ وأصبح حاليا عاصمة جمهورية الشيشان. وخلال الأعوام من ١٨٠٠-١٨٦٤، سعت روسيا لإخضاع المنطقة، لكنها واجهت مقاومة عنيفة من الشعب الشيشاني والداغستاني الذي كان يقوده حينها الإمام شامل[1] حتى استسلامه المشرف في ١٨٥٩. تلت هذه الحروب حملات نفي واسعة إلى الأراضي العثمانية.

وقد سجل أحداث هذه الحروب الكاتبان تولستوي وليرمنتوف اللذان كانا حينها في جروزني.

وفي ١٨٢٣ اكتشف النفط في جروزني لكنه لم يستثمر تجاريا إلا في ١٨٩٣ عندما جرى مد سكة حديد الشيشان.

وفي ١٩٢٢ تأسست جمهورية الشيشان السوفيتية، ثم في ١٩٣٤ أدمجت مع جمهورية الأنجوش وأصبحت تسمى جمهورية الشيشان والأنجوش السوفيتية ASSR. وفي ١٩٣٧، قتل النظام السوفيتي ١٤.٠٠٠ شيشاني. وفي ١٩٤٤، أنهى بيريا،

(١) الامام شامل دنجوف ١٧٩٧-١٨٧١ الزعيم الديني والسياسي للقبائل المسلمة في شمال القوقاز خاض حربا لا هوادة فيها ضد التوسع الروسي في مناطق داغستان والشيشان واستطاع توحيد القبائل القوقازية وتكبيد الروس آلاف القتلى. وفي ١٨٣٩ وبعد حصاره في قلعة أكولجو التي تقع على بعد ١٠ أميال شرق مدينة جمري، قتل معظم مقاتليه البالغ عددهم حوالي ٤٠٠٠ مقاتل بينما خسر الروس ٣٠٠٠ جندي وتمكن شامل من الفرار ثم عاود القتال من جديد ضد الروس. وفي ١٨٥٩ استسلم مع أسرته إلى القوات الروسية وسجن في كييف ثم سمح له بأداء فريضة الحج وتوفي في المدينة ودفن في جنة البقيع.

رئيس المخابرات السوفيتية، وستالين، جمهورية الشيشان والأنجوش ورحلوا إلى سيبيريا ٣٩٠.٠٠٠ شيشاني و٩٠.٠٠٠ أنجوشي بذريعة تعاونهم مع النازيين، رغم وجود ٤٠.٠٠٠ جندي شيشاني في الجيش الأحمر السوفيتي. مات ٢٠٪ من هؤلاء المرحلين أثناء نقلهم بعربات المواشي إلى أصقاع سيبيريا المتجمدة. وبلغ العدد الكلي للقتلى في عام ١٩٥٧، ٢٠٠.٠٠٠ شيشاني و٣٠.٠٠٠ أنجوشي، حيث أمر بعدها خروتشوف بإعادتهم إلى موطنهم الأصلي وإعادة تأسيس جمهورية الشيشان والأنجوش السوفيتية. وقد بلغ عدد الشيشانيين المسجلين في وسط آسيا في ١٩٥٢، ٣١٦.٠٠٠ مواطن فقط.

وفي ١٩٨٩، أصبحت جروزني ثاني مركز لتكرير النفط في الاتحاد السوفيتي، وبلغ عدد سكانها ٤٠٠.٠٠٠ نسمة ثلثهم فقط من الشيشانيين. يعيش حوالي ٢٩٤.٠٠٠ روسي في جمهورية الشيشان والأنجوش. وفي إحصاء ١٩٨٩، بلغ عدد الشيشانيين في الاتحاد السوفيتي مليون نسمة منهم ثلاثة أرباع المليون فقط يعيشون في جمهورية الشيشان والأنجوش.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، انتخب جوكار دوداييف في ١٩٩١ رئيسا لجمهورية الشيشان المستقلة حيث اعترضت روسيا على استقلال الشيشان. ترك السكان الروس هذه البلاد وأصبح سكان جروزني في ١٩٩٣، ١١٨.٠٠٠ نسمة فقط[(1)].

وخلال الفترة من كـ١ ١٩٩٤ ولغاية آب ١٩٩٦، اندلعت الحرب الروسية الشيشانية الأولى التي انتهت بخراب كبير للشيشان. قتل دوداييف في نيسان ١٩٩٦ بضربة صاروخية روسية، ووقع مسخادوف في أيلول اتفاقية سلام مع الرئيس

(1) Stone, David R. Military History of Russia: from Ivan the Terrible to the War in Chechnya, Greenwood Publishing Group, 2006.p.218.

الروسي يلتسين تتعهد بموجبها روسيا بسحب قواتها من الشيشان. وبذلك انتهت الحرب الشيشانية الأولى التي أسفرت عن تدمير تام للعاصمة جروزني.

وفي ١٩٩٧ انتخب مسخادوف رئيسا للبلاد، لكنه لم يتمكن من السيطرة عليها لأنها كانت مقسمة بين أمراء الحروب وجماعات الجريمة المنظمة.

رغم أنه لا تعرف بدقة خسائر الشيشانيين، لكن أحمد زاخاييف رئيس الوزراء في الحكومة الشيشانية الانفصالية يقدر عددهم بمائتي ألف قتيل مع مئات الآلاف من اللاجئين في أنجوشيشيا وداغستان وجنوب روسيا. وقتل أيضا ١٥٠.٠٠٠ روسي من سكان جروزني، ولم يبق منهم سوى ٣٠.٠٠٠ إنسان لا غير.

وفي آب ١٩٩٩، شن الزعيم الانفصالي شامل باساييف والأمير خطاب[1] مع مئات من رجال الميليشيات الشيشانيين والمجاهدين العرب هجوما على القوات الروسية في داغستان، وبعد أسبوع من القتال تمكنت القوات الروسية من صدهم وإعادتهم إلى الحدود الشيشانية. وفي ٩ أيلول ١٩٩٩، حصلت عدة انفجارات في موسكو، ألقيت اللائمة فيها على الشيشانيين.

(١) الأمير خطاب هو صالح عبد الله السويلم سامر ١٩٦٩-٢٠٠٢ من مواليد العربية السعودية لأب عربي وأم شركسية. كان مقاتلا وممولا للمجاهدين الشيشانيين واشترك في الحربين الشيشانيتين الأولى والثانية وفي حرب البوسنة والهرسك وفي الحرب الأذربيجانية الأرمنية ودعم المعارضة الإسلامية في الحرب الأهلية في طاجكستان. كان قد غادر السعودية وهو في الـ١٦ من العمر واشترك في القتال ضد السوفيت في أفغانستان وتعرضت يده اليمنى للإعاقة وبترت عدة أصابع منها بسبب انفجار عبوة ناسفة. وهو خبير في صناعة القنابل اليدوية. تتهمه روسيا بكونه العقل المدبر لتفجيرات الشقق الروسية التي راح ضحيتها أكثر من ٣٠٠ مدني روسي والتي ساهمت بإشعال الحرب الشيشانية الثانية. وفي يوم ١٩ آذار ٢٠٠٢ قتل على يد عميل مزدوج لجهاز الأمن الروسي بتسليمه رسالة مسمومة مات على إثرها. وبعد شهر قتل هذا العميل في أذربيجان بناءا على أوامر شامل باساييف. خلفه الأمير أبو الوليد.

رأت روسيا أن هذه الانفجارات تشكل خرقا لاتفاقية كاساف- يورت مع الجانب الشيشاني. لذلك، وفي ١ ت١ ١٩٩٩ دخلت القوات الروسية الشيشان. وابتدأت بذلك الحرب الشيشانية الروسية الثانية. سيطرت القوات الروسية على السهوب الشيشانية وحاصرت العاصمة جروزني التي استسلمت في شباط ٢٠٠٠. وعينت موسكو أحمد قاديروف (١٩٥١-٢٠٠٤) حاكما على البلاد.

تغيرت طبيعة الحرب في حزيران ٢٠٠٠ مع أول استخدام لأسلوب الهجمات الانتحارية في الشيشان وموسكو. كان مسخادوف يدين دائما مثل هذه الأعمال بينما يعلن باساييف مسؤوليته عنها. وفي ت١ ٢٠٠٣ انتخب قاديروف رئيسا للبلاد بانتخابات تشوبها الشكوك. وفي شباط ٢٠٠٤، نقلت روسيا الحرب إلى خارج حدودها عندما اغتالت ياندرباييف، خليفة دوداييف قبل مسخادوف، من قبل اثنين من عملائها في قطر. وفي مايس ٢٠٠٤، اغتيل قاديروف بانفجار قنبلة خلال الاحتفال بيوم النصر تاركا إبنه مديرا للشرطة الشيشانية.

وفي ١٠ آذار أعلن باساييف، عبد الحليم سعد الله يف، زعيما للمقاومة الشيشانية. ويصفه أحمد زاخاييف بأنه رجل دين معاد للوهابية كان مقربا من مسخادوف. وقتل المذكور في ٢٠٠٦ خلال تبادل لإطلاق النار مع جهاز الأمن الروسي.

استمر الأنفصاليون الشيشان بالمقاومة وخاضوا عدة معارك شرسة مع القوات الروسية ولكن بعد مقتل قادتهم كأصلان مسخادوف وشامل باساييف، انخفضت حدة التمرد[1].

(1) **Rob Ferguson, Chechnya: The Empire Strikes Back, International Socialism Journal, Isse 86, Spring 2000.**
http://pubs.socialistreviewindex.org.uk/isj86/ferguson.htm

كانت الشيشان تحكم من قديم الزمان بواسطة مجالس محلية من كبار القوم. وهناك حوالي ١٣٠ قبيلة كبيرة وائتلافات قبلية. ورغم محاولات شامل باساييف لتطبيق الشريعة الإسلامية وبعدها حاول تطبيق القانون القيصري الروسي، لكن ظل العرف التقليدي الذي يسمونه "العادات" هو السائد إلى هذا اليوم. وأسوأ ما فيه هو أخذ الثأر، حيث توقفت هذه العادة في ١٩٢٣، لكنها عاودت الظهور بعد انتهاء الفترة السوفيتية.

انتشر الإسلام السني في البلاد خلال القرنين الثامن والتاسع عشر. وكانت الطريقة الصوفية النقشبندية والقادرية متوارثة في عائلات معينة[1]. مارس الاتحاد السوفيتي أشد حالات القمع ضد الإسلام خلال الفترة من ١٩٢٨-١٩٣٨، ولم ترخ القبضة إلا في ١٩٨٨ مع الجلاسنوست عندما سمح للمسلمين بالحج إلى مكة. وهناك خضع الشباب الشيشاني لحملة من التوعية الدينية على يد علماء الدين الوهابيين الذين يتلقون تمويلا هائلا. فتحولوا إلى المذهب الوهابي وانشقوا عن أسرهم، لأن الوهابية تحرم التبرك بالمراقد وزيارة الأولياء، وهذا جزء حيوي من الإسلام السني القوقازي. وأعلن أمراء الحرب، مثل باساييف، تحولهم إلى المذهب الوهابي وادعوا مسؤوليتهم عن الهجمات الانتحارية في روسيا والشيشان. ويقدر الدكتور الداغستاني محمد كانوف في ٢٠٠٢ نسبة الشباب الشيشاني الذي تحول إلى المذهب الوهابي بأنها ٢٥٪ من مجموع الشباب، بينما تبلغ نسبتهم في داغستان المجاورة ٥٪[2].

(1) Johanna Nichols, Who are the Chechen? University of California, Berkeley, 15/9/2006.
http://web.archive.org/web/20060915080123/http://socrates.berkeley.edu/~bsp/caucasus/articles/nichols_1995-chechen.pdf

(2) Emil Souleimanov, Chechnya, Wahhabism and the Invasion of Dagestan, The Middle East Review of International Affairs, Volume 9, No. 4, Article 4, Dec. 2005.
http://meria.idc.ac.il/journal/2005/issue4/jv9no4a4.html

وكذلك..

Hughes, James, Chechnya: From Nationalism to Jihad, University of Pennsylvania Press, 2007, p. 94

وأطراف النزاع الحالي هم:

١- الجيش الروسي الذي يمارس النهب والسلب والابتزاز بعد كل عملية عسكرية، ويتاجر بالأسلحة في السوق السوداء وبالمخدرات والبشر. وهناك أيضا جهاز الأمن الروسي FSB الذي لا يقل فسادا عن الجيش، ثم الإدارة الشيشانية وأجهزة الأمن الموالية لروسيا.

٢- ويقف في المنتصف جماعات الجريمة المنظمة الدولية.

٣- وعلى الطرف المقابل يقف المتمردون الانفصاليون أنصار مسخادوف مثل زاكاييف. وهناك أمراء الحرب المستقلون مثل باساييف الذي هو وهابي أصولي، ويقول عنه بوتين أنه يحاول ربط هذه الحرب بالإرهاب الدولي. وهناك أيضا القوات الإسلامية والعربية الأجنبية. لكن لم يعثر في الشيشان على أي سلاح آخر عدا السلاح الروسي. وتطلق هذه المجاميع على نفسها أسماء مثل: الكتيبة الإسلامية الخاصة SPIR ولواء حفظ السلام الإسلامي الدولي IIPB وفوج رياض الصالحين والنهضة وشهداء الشيشان الفدائي. ويصنفها المجتمع الدولي على أنها منظمات إرهابية لكونها ترتبط بعلاقات مع القاعدة وارتكبت الكثير من الأعمال الإرهابية غير المسؤولة(١).

أهم الهجمات الانتحارية ضد الأهداف الحكومية الروسية(٢):

١- في ٦ حزيران ٢٠٠٠، حصل أول تفجير انتحاري في الشيشان وذلك عندما هاجمت فتاتان شيشانيتان واحدة بعمر ١٦ والثانية بعمر ١٧ عاما، بشاحنة

(1) Robert Chenciner, Russia's Splitting Headache- A Brief History of Chechnya, 6th May 2005
http://polosbastards.com/pb/brief-history-of-chechnya/

(٢) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Chechen_suicide_attacks#Overview#Overview

مفخخة نقطة سيطرة للشرطة العسكرية الروسية بالقرب من قاعدة الخان- يورت في الشيشان. يقول المتمردون أنهم قتلوا ٢٧ شرطيا بينما يدعي الروس أن القتلى هم إثنان فقط والجرحى خمسة. وبعد خمسة أيام فجر انتحاري آخر سيارته المفخخة على نقطة سيطرة للشرطة الخاصة الروسية بالقرب من قاعدة خنكالا في الشيشان. والانتحاري الأخير هو أسير حرب روسي يقال أنه تحول إلى الأسلام وإنضم إلى المتمردين عند وجوده في الأسر.

٢- في ٢ و٣ تموز ٢٠٠٠، شن الفدائيون الشيشانيون خمس هجمات انتحارية على ثكنات ومقرات الشرطة والجيش الروسي وقتلوا ما لا يقل عن ٥٤ شخصا وجرحوا أكثر من مئة.

٣- وفي ٢٩ ت٢ ٢٠٠١، فجرت فتاة شيشانية نفسها بحزام ناسف وقتلت الجنرال الروسي جايدار جازاييف الذي تحمله مسؤولية مقتل زوجها وأفراد حمايته الذين كانوا معتقلين لدى الروس.

٤- وفي ٢٧ ك١ ٢٠٠٢، اقتحم ثلاثة انتحاريين شيشانيين يعتقد أنهم من أسرة واحدة، بشاحنة مفخخة، مقرا حكوميا حصينا في جروزني، وفجروا البناية ذات الأربع طوابق. يقول المسؤولون الشيشانيون أن عدد القتلى بلغ ٨٣ والجرحى ٢١٠. وادعى الأصولي الإسلامي شامل باساييف زعيم الحركة الانفصالية الشيشانية المسؤولية عن تخطيط وتنفيذ الهجوم. وقد اغتيل باساييف إثر هجوم ضده في ١٠ تموز ٢٠٠٦.

٥- وفي ١٢ مايس ٢٠٠٣، اقتحم ثلاثة انتحاريين (رجل وامرأتان) بشاحنة محملة بالمتفجرات مجمعا حكوميا يضم مقر جهاز الأمن الاتحادي الروسي FSB في قرية زنامنسكي شمال الشيشان. قتل في الحادث ٥٩ شخصا وجرح أكثر من ٢٠٠ بضمنهم عدد كبير من المدنيين.

٦- وفي ١٤ مايس ٢٠٠٣، تعرض الرئيس الشيشاني الموالي لروسيا أحمد قاديروف لهجوم انتحاري لسيدات شيشانيات أثناء احتفال ديني في مدينة الخان-يورت. تمكن حراسه من إحباط الهجوم ولكن قتل ١٦ فردا. وبعد عدة أسابيع تعرض لهجوم انتحاري آخر لسيدة شيشانية في مدينة جروزني.

٧- وفي ٥ حزيران ٢٠٠٣، فجرت انتحارية باصا يحمل طيارين من سلاح الجو الروسي شمال أوسيتيا وقتلت نفسها مع ١٩ فردا آخرا وجرحت ١٤.

٨- وفي ١ آب ٢٠٠٣، قاد انتحاري شاحنة معبئة بالمتفجرة واقتحم بها مستشفى عسكريا في مدينة موزدوك شمال أوسيتيا جوار الشيشان وقتل ٥٠ شخصا.

٩- وفي ١٥ أيلول ٢٠٠٣، فجر انتحاريان شاحنتهما المفخخة خارج مقر جهاز الأمن الاتحادي الروسي في ماجاس بأنجوشيشيا. قتل ثلاثة وجرح ٢٩ آخرون.

هجمات انتحارية فاشلة[١]:

١- في ك١ ٢٠٠١، أوقف إطلاق النيران الصادر من رجال الشرطة شاحنة مفخخة تقودها فتاة انتحارية بعمر ١٦ عاما، كانت متجهة نحو بناية وزارة الداخلية في جروزني. جرحت الفتاة لكنها نجت.

٢- وفي ٥ شباط ٢٠٠٢، فجر صديق إحدى الفتيات والبالغ من العمر ١٦ عاما، قنبلة صغيرة كانت تحملها صديقته في كيس وهي داخل مبنى مركز شرطة منطقة زافودسكي في جروزني. ولحسن حظ الفتاة التي كانت مرغمة على الاشتراك في هذه العملية لم تنفجر القنبلة كما كان متوقعا ولم تحدث اصابات.

(١) المصدر نفسه.

٣- وفي ٢٠ حزيران ٢٠٠٣، فشل هجوم انتحاري على بناية حكومية شيشانية عندما انفجرت الشاحنة قبل الموعد المقرر لانفجارها. أسفر الحادث عن جرح ٣٦ شخصا.

٤- وفي ٧ نيسان ٢٠٠٤، جرح رئيس أنجوشيشيا مراد زيازيكوف، وهو جنرال سابق في المخابرات السوفيتية، بعد ان تعرض موكبه لهجوم انتحاري بسيارة مفخخة. ولم ينقذه سوى درع سيارته المرسيدس.

٥- وفي ١ ت١ ٢٠٠٨، هاجم انتحاري موكب سيارات وزير الداخلية الانجوشي موسى ميدوف الذي تتهمه المعارضة بمقتل زعيمها في شهر آب. اندفع الانتحاري بسيارته الـ(لادا) المعبئة بالمتفجرات، نحو موكب الوزير أثناء سيره في مدينة نازران عند الساعة ٨:٢٠ صباحا لكن السيارة انفجرت قبل أن تصطدم بسيارة الوزير المصفحة. وقد نجا الأخير مع حراسه لكن جرح خمسة من المارين ودمرت عدة بيوت. يقول الخبراء الأمنيون أن هذا الحادث هو الثاني من نوعه خلال خمسة أسابيع بعد فترة هدوء دامت أربع سنوات كان يعتقد أن المتمردين قد تخلوا عن هذا الأسلوب.

الهجمات الانتحارية ضد الأهداف المدنية الروسية[(١)]:

١- في ٥ تموز ٢٠٠٣، حاولت انتحارية تفجير نفسها في احتفال بمطار توشينو بالقرب من موسكو. ولكن قنبلتها لم تنفجر كما كان متوقعا. وبعد ١٥ دقيقة فجرت انتحارية أخرى نفسها في نفس المكان وقتلت ١١ شخصا ومات ٤ آخرون في المستشفى. وجرح ٦٠ على الأقل.

(١) المصدر نفسه .



بقايا جثة الانتحارية التي فجرت نفسها في مطار موسكو

٢- وفي ٥-١٠ ك١ ٢٠٠٣، فجر انتحاري حزاما ناسفا مليئا بالشظايا في قطار ستافربول بالقرب من الشيشان وقتل ٤٦ شخصا وجرح ٢٠٠ آخرين. وقد حصل الانفجار خلال ساعات الصباح الأولى المزدحمة حيث كان القطار مليئا بالطلبة والعمال. وبعد خمسة أيام فقط، هز انفجار آخر وسط موسكو عندما فجرت انتحارية نفسها بالقرب من الكرملين ومجلس الدوما الروسي (مجلس النواب). كانت هذه الانتحارية ترتدي حزاما ناسفا معبئا بالكرات المعدنية وقتلت ٦ أشخاص وجرحت ٤٤. أعلن شامل باساييف مسؤوليته عن تنظيم هذين الهجومين.

٣- وفي ٦ شباط ٢٠٠٤، فجر انتحاري نفسه في مترو موسكو خلال ساعة الصباح الأولى. أسفر الحادث عن مقتل ٤٠ شخصا وجرح ١٣٤ آخرين. أعلنت جماعة شيشانية غير معروفة مسؤوليتها عن الحادث وقالت أنه يأتي ثأرا لمذبحة نوفي ألدي في ٥ شباط ٢٠٠٠ التي قتلت فيها القوات الروسية ٦٠ مدنيا شيشانيا في ضاحية نوفي ألدي بالقرب من جروزني ونهبت ودمرت الكثير من المنازل وكانت المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان قد أدانت روسيا لانتهاكها الخطير لحقوق الإنسان خلال عمليات شباط ٢٠٠٠.

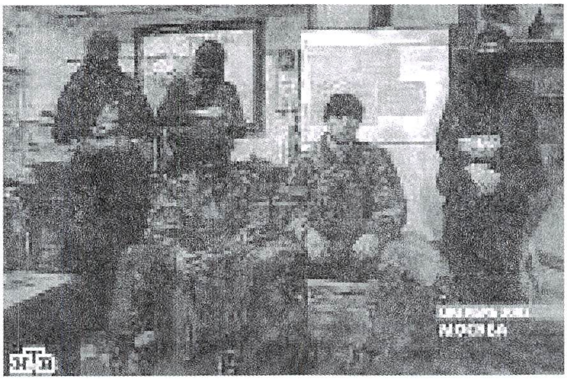
٤- وفي ٢٧ آب ٢٠٠٤، سقطت طائرتان مدنيتان روسيتان في نفس الوقت تقريبا. قتل في الحادث ٩٠ شخصا. أثبتت التحقيقات وجود آثار للمتفجرات في حطام الطائرتين. ادعت جماعة إسلامية متطرفة مسؤوليتها عن الهجوم. وقالت أن منفذتي الحادث هما سيدتان شيشانيتان واحدة في الثلاثين والثانية عمرها ٣٧.

٥- وفي ٣١ آب ٢٠٠٤، قتل عشرة أشخاص عندما أصيب إحدى الانتحاريات بالهلع وفجرت نفسها قبل أن تدخل محطة مترو رزاسكي في موسكو.

استخدام الأحزمة الانتحارية خلال أزمتي الرهائن في موسكو:

١ ـ أزمة رهائن مسرح موسكو:

في ٢٣ ت١ ٢٠٠٢، اقتحم ٤٠-٥٠ مسلحا، بينهم عدد كبير من النساء الشيشانيات المنقبات، مسرح موسكو أو ما يسمى ببيت الثقافة الواقع على مسافة ٢.٧ ميلا من الكرملين بموسكو. ادعى المسلحون أنهم من أنصار الحركة الانفصالية الشيشانية وإن هؤلاء النسوة يرتدين أحزمة ناسفة معبأة بالمتفجرات. سيطر المسلحون على ٨٥٠ - ٩٠٠ رهينة داخل المسرح وطالبوا بانسحاب القوات الروسية من الشيشان وإنهاء الحرب الشيشانية الثانية. قاد المسلحون الشيشاني موفسار باراييف البالغ الثانية والعشرين من العمر. بينما قادت وحدة النساء الشيشانية زهرة باراييفا وهي زوجة الانفصالي أربي باراييف أحد زعماء التمرد في الشيشان.



مجموعة من الانفصاليين الشيشانيين الذين اشتركوا في عملية مسرح موسكو

وبعد يومين ونصف من الحصار، أطلقت القوات الخاصة الروسية غازا كيمياويا غير معروف من خلال جهاز التهوية الخاص بالبناية، ثم شنت هجوما على المسرح. قتل جميع المتمردين مع ١٢٩ من الرهائن. لم تفجر أي معدات متفجرة خلال الهجوم وإتضح فيما بعد أن هذه الأحزمة هي مجرد خدعة.

أعلن شامل باساييف عبر موقعه الألكتروني مسؤوليته عن الحادث وتوعد بشن المزيد من الهجمات. وقد أدان مجلس الأمن بالقرار رقم ١٤٤٠ في ٢٠٠٢ هذا العمل وسماه "الشائن" وطالب المتمردين بأطلاق غير مشروط لسراح جميع الرهائن ودعا جميع دول العالم للتعاون مع السلطات الاتحادية الروسية لتقديم مخططي ومنفذي وراعيي هذه العملية الارهابية إلى المحاكمة(١).

٢- أزمة رهائن مدرسة بيسلان:

في ١ أيلول ٢٠٠٤، سيطرت جماعة يقدر عددها بـ ٣٢ مسلحا شيشانيا على مدرسة ابتدائية في مدينة بيسلان الواقعة شمال أوسيشيا التابعة للاتحاد الفدرالي

(1) L. Burban and others, NORD-OST; Invistigation Unfinished: Events, Facts, Conclusions, Regional Public Organization for Support of Victims of Terrorist Attacks, Moscow, 2006.
www.pravdabeslana.ru/nordost/dokleng.doc

الروسي. أخذ المتمردون ١.١٠٠ من المدنيين كرهائن، منهم ٧٧٧ طفلا. وبعد ثلاثة أيام من الحصار، شنت قوات الأمن الروسية هجوما على المدرسة، استخدمت فيه الدبابات والصواريخ ومختلف الأسلحة الثقيلة. حصل حريق وعدة انفجارات في البناية وإطلاق نار متبادل. أسفر الحادث عن مقتل ٣٩٦ رهينة منهم ١٨٦ طفلا. وفقد ٢٠٠ شخصا. وجرح المئات. وقتل أيضا جميع المتمردين عدا واحد ألقي القبض عليه حيا. اشتركت ثلاث نساء في العملية وقتلن في اليوم الأول للأزمة بانفجار غريب راح ضحيته بعض الرهائن أيضا. معظم المهاجمين كانوا من الأنجوش والشيشانيين وأحدهم بريطاني من أصل جزائري يدعى أسامة لاروسي وعمره ٣٥ عاما(١).

ادعى فوج رياض الصالحين والنهضة وشهداء الشيشان الذي يقوده شامل باساييف مسؤوليته عن الهجوم. سبب الحادث ردة فعل قوية داخل روسيا، وأجريت عدة إصلاحات حكومية عززت سلطة الرئيس في الكرملين. ولا يزال الكثير من جوانب القضية محل خلاف، كعدد المسلحين المشتركين في العملية وما هي استعداداتهم، وهل هرب قسم منهم أم قتل جميعهم. كما أثيرت الكثير من التساؤلات عن معالجة الحكومة للأزمة كمفاوضاتها مع المتمردين ومن يتحمل مسؤولية الدماء البريئة التي سالت وأسباب استخدام الحكومة للقوة المفرطة في مثل هذا الحادث.

لاقى حادث بيسلان استنكارا دوليا واسعا وتبرعت معظم البلدان والجمعيات الخيرية بالأموال لمساعدة الأطفال والأسر من ضحايا هذه العملية. وفي ١ أيلول ٢٠٠٥، دعا صندوق الطفولة التابع للأمم المتحدة في الذكرى الأولى لهذه المجزرة إلى تجنيب الأطفال ويلات الحروب والمنازعات(٢).

(1) US Department of State, Beslan School Massacre one Year Later, Aug. 31 2005 http://www.state.gov/documents/organization/45313.pdf

(٢) تقرير لصندوق الطفولة التابع للأمم المتحدة في ١ أيلول ٢٠٠٥ منشور على موقعهم:
http://www.unicef.org/ceecis/media_2753.html

الفصل الثاني والعشرون

الهجمات الانتحارية لحزب العمال الكردستاني



تفجيرات إستنبول ٢٠٠٨ التي يتهم بها حزب العمال الكردستاني

خـلاصـة:

نفذ حزب العمال الكردستاني PKK خلال الفترة من ١٩٩٥- ١٩٩٩ أكثر من ١٤ هجمة انتحارية[١]. وقد نفذت ١١ منها بواسطة نساء انتحاريات تتراوح أعمارهن بين ١٧-٢٧ عاما. ينحدر معظمهن من أسر كردية فلاحية تقليدية محافظة. وكن يضعن المتفجرات على بطونهن كما لو إنهن حوامل[٢]. وقيادة الحزب هي المسؤولة عن اختيار هؤلاء. والشخص الذي يرفض، إما أن يقتل أو يسلم للشرطة التركية. ورغم إن الإسلام يحرم الانتحار، لكن الحزب نجح في تجنيد بعض الكرد من المناطق الريفية. وهو يزعم أن الحكومة التركية حكومة استعمارية وأن كفاحه هو من أجل التحرير الذي يساوي في مضمونه فرض الجهاد[٣].

نبذة تاريخية:

يعتبر الكرد رابع أكبر مجموعة عرقية في الشرق الأوسط بعد العرب والفرس والأتراك، وهم أكبر جماعة عرقية في العالم ليس لها دولة مستقلة. يبلغ تعداد نفوسهم التقريبي حوالي ٢٣ مليون نسمة موزعين على تركيا وإيران والعراق وسوريا وهناك عدة آلاف منهم في الكويت وأذربيجان ولبنان وأرمينيا وجورجيا. ويعيش حوالي

---

(١) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Kurdistan_Workers_Party#Origin#Origin

(2) Debra D. Zedalis, Female Suicide Bombers, Strategic Studies Institute, US Army War College, 2004
http://www.strategicstudiesinstitute.army.mil/pubs/display.cfm?pubID=408

(3) Edward V. Linden, Focus on Terrorism, Nova Publishers, 2002, p. 87.

A

أكثر من مليون كردي في الدول الأوربية وأمريكا وأستراليا منهم نصف مليون إنسان في ألمانيا وحدها ثم ١٠٠ ألف نسمة في فرنسا.

يقطن تركيا بحدود ١١ مليون كردي حسب تقديرات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في ٢٠٠٦، وتبلغ نسبتهم من عموم الشعب التركي حوالي ١٥٪. يتركز أغلبهم في إستنبول الواقعة شمال غرب تركيا وذلك بسبب سياسة التهجير التي اتبعتها الحكومة التركية أواخر الثمانينات. وتسمى مناطقهم التقليدية كردستان التركية وتبلغ مساحتها بين ١٩٠.٠٠٠- ٢٣٠.٠٠٠ كم² أي حوالي ثلث مساحة تركيا. وتضم ١٧ محافظة أشهرها أرضروم وديار بكر وهكاري.

يقوم اقتصاد المنطقة على تربية الحيوانات وإلى حد أقل على الزراعة. ويشكل التهريب، خاصة تهريب النفط، مصدرا رئيسا لدخل السكان في المناطق الحدودية.

ينتمي الكرد إلى الفرع الإيراني من الأقوام الهندو- آرية. وفي عصور ما قبل التأريخ حكمت هذه المناطق الممتدة من الهضبة الإيرانية إلى الفرات عدة ممالك منها الميتانيون والكاشيون والحوريون. وأسس الميديون في هذه المنطقة إمبراطورية لهم وفي ٦١٢ فتحوا بلاد آشور القوية بالتعاون مع البابليين وأخضعوا معظم إيران وبلاد الأناضول. لهذا السبب يعتبر القوميون الكرد هذه السنة بداية التقويم الكردي. والسنة الحالية لديهم هي ٢٦٢١ وتوازي ٢٠٠٩ في التقويم الميلادي.

وفي عام ٦ ق.م تمكن سايروس الكبير قائد الدولة الفارسية من القضاء على إمبراطورية الميديين، لكن حضارتهم وديانتهم ظلت سائدة في المنطقة حتى ظهور الإسكندر الكبير.

وبعد ظهور الإسلام، قاوم الكرد بضراوة الفتوحات الإسلامية، وانتهى الأمر بتحولهم طوعا إلى الإسلام لكن دون أن يستعربوا. وقد قاومت القبائل الكردية

القبائل العربية لأسباب اجتماعية أكثر مما هي دينية واستمرت مقاومتهم مدة قرن تقريبا. واستخدم العرب مختلف السبل لاستمالة الكرد للإسلام وأهمها المصاهرة، حتى إن أم آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد هي كردية.

ومع ضعف الخلافة، ازداد النفوذ السياسي للكرد. وفي ٨٣٧ أسس رزكوت إمارة له على ضفاف بحيرة وان التركية تتبع شكليا الخلافة لكنها مستقلة فعليا. وفي النصف الثاني من القرن العاشر، تقاسمت كردستان أربع إمارات كردية شبه مستقلة. ففي الشمال هناك الشداديون وفي الشرق الحسنيون وبنو عناز وفي الغرب في ديار بكر المروانيون. وبعد ظهور المغول واستيلائهم على بغداد، تحرك الأتراك السلاجقة واستولوا على الأمارات الكردية واحدة بعد الأخرى. وبحدود ١١٥٠ أسس آخر السلاطين السلاجقة سنجار، إمارة كردستان. كان يطلق على هذه المنطقة حتى ذلك الحين اسم الجبال. ولكن هذا السلطان التركي هو الذي أطلق اسم كردستان على هذه الأراضي التي تعني أراضي الكرد. وقد جعل عاصمتها قرية بهار التي تقع بالقرب من عاصمة الميديين السابقة إكباتان. وتضم الأمارة ولايات سنجار وشهرزور إلى غرب سلسلة جبال زاجروس وأراضي الحمدانيين، ودیناور وكرمنشاه ثم إلى شرق هذه السلسلة.

وبعد ١٢ عاما من اختفاء آخر السلاطين السلاجقة، ظهرت أسرة كردية عظيمة أخرى هي أسرة الأيوبيين ١١٦٩-١٢٥٠ وتولت زمام القيادة في العالم الإسلامي لمدة قرن تقريبا حتى أطاحت بها الغزوات التركية- المغولية في القرن الثالث عشر. وقد أسس هذه الأسرة القائد الشهير صلاح الدين. وقد ضمت إمبراطوريته كل أراضي كردستان وسوريا ومصر واليمن.

وخلال فترة حكم هذه الأسرة ازدهر الأدب والثقافة الكردية وتوسعت الكنيسة النسطورية التي كان مقرها كردستان إلى مناطق شاسعة وبسرعة كبيرة. إلا

إن أهم نجاح حققته البعثات التبشيرية لهذه الكنيسة هو تحويلها السلطان المغولي الخان جاياك إلى المسيحية في عام ١٢٤٨. وفي ١٢٥٣ أرسل القس لويس، مبعوثه غلام دي ربروك إلى العاصمة المغولية. وقد لعب الأخير دورا كبيرا في شن ما يسمى بـ"الحملة الصليبية المغولية" على بغداد. وفي ١٢٥٨، وجه القائد المغولي هولاكو حملته على العاصمة العباسية بتأثير من هذه البعثات. وعندما استولى على بغداد، أعطى قصر الخليفة إلى الكنيسة النسطورية. وفي نهاية القرن الثالث عشر، نجح الإسلام في استيعاب المغول وجرى قتل النساطرة. وعاد مقر البطرياركية النسطورية إلى كردستان وظل قائما فيها إلى اليوم.

وفي بداية القرن السادس عشر وقع الكرد بين فكي كماشة وأصبحت أراضيهم ساحة للصراع بين الإمبراطوريتين العثمانية والفارسية. كان الشاه قد اعتنق الصوفية وجعلها دينا رسميا للدولة ويحاول نشرها في البلدان المجاورة. ومن جانبهم يريد العثمانيون وقف تطلعات الشاه التوسعية وتأمين حدودهم مع بلاد فارس ليتسنى لهم التفرغ لفتح البلدان العربية. ونتيجة ذلك تضاءلت فرص الكرد في أن تكون لهم دولة مستقلة. وفي ١٥١٤ ألحق السلطان العثماني سليم الأول هزيمة نكراء بالشاه وأراد تأمين حدوده مع إيران بشكل دائم. طرح عليه أحد مستشاريه الكرد وهو إدريسي بدليسي فكرة تحقق هذا الهدف وهي أن يعترف السلطان بجميع الامتيازات والحقوق السابقة للأمراء الكرد مقابل التزامهم بحماية حدودهم مع إيران والقتال إلى جانب العثمانيين في حالة نشوب أي نزاع مسلح مع الفرس. وافق السلطان على هذا الرأي، وانطلق بدليسي إلى الأمراء الكرد لإقناعهم بأن مثل هذا التحالف يصب في مصلحة الطرفين العثماني والكردي.

وبعد تمحيص الخيارين، إما احتمال الخضوع لبلاد فارس، أو القبول شكليا بسلطة العثمانيين والتمتع باستقلال ذاتي واسع، اختار الأمراء الكرد الخيار الثاني

ودخلوا الحضن العثماني بطريق الدبلوماسية. ومما ساعد في نجاح مهمة بدليسي هي كونه عالم دين محترم ويتمتع والده الشيخ حسام الدين بسمعة ومكانة عالية وسط الكرد كونه رجل متدين وصوفي زاهد.

ظل الكرد يتمتعون بالسلام والاستقلال الذاتي الواسع مدة ثلاثة قرون. وتعتبر هذه الفترة العصر الذهبي للثقافة والفلسفة الكردية. ولم يحاول الأمراء الكرد الثورة على السلطان العثماني، إلا بعد إن تدخل في شؤونهم الداخلية وحاول إنهاء استقلالهم الذاتي في بداية القرن التاسع عشر. وقد تميزت هذه الفترة بمحاولات الكرد لتوحيد بلادهم وتحقيق استقلالها. فخلال الفترة الممتدة من ١٨٣٠- ١٨٣٩ خاض أمير راونـدوز مير محمـد، متأثرا بمبادئ الثورة الفرنسية وحملات توحيد الدويلات الإيطالية والألمانية، القتال مع الدولة العثمانية من أجل توحيد وخلق دولة كردستان الموحدة. وفي ١٨٤٧ خاضت إمارة بوتان أيضا معارك مع الدولة العثمانية انتهت بانهيار الإمارة. وقد ساعدت الدول الغربية العثمانيين في ذلك، وقد لوحظ تواجد الضابط الألـماني هيلمت فون مولتكه بجانب العثمانيين عندما كان مجرد نقيب في الجيش الألـماني. وحصلت عدة انتفاضات خلال الفترة من ١٨٤٧-١٨٨١ قادها شيوخ عشائر ورجال دين والغاية منها تأسيس دولة كردية مستقلة. تلتها عدة أعمال تمرد وعصيان ضد الحكومة المركزية استمرت حتى بداية الحرب العالمية الأولى. وقد تمكنت الحكومة العثمانية من قمعها بقسوة.

ترجع أسباب فشل هذه الثورات إلى تنافس الزعماء والأمراء الكرد فيما بينهم على الزعامة وتدخل القوى الكبرى إلى جانب العثمانيين.

ومن الجدير بالملاحظة أن الدولة العثمانية قد أصبحت في نهاية القرن ١٩ فريسة لاضطرابات قومية حادة، فكل شعب من شعوبها كان يريد تأسيس دولته القومية. وبعد إن فشلت السلطة العثمانية في إبقاء هذا الخليط السكاني متوحدا، تحولت النخبة

التركية نفسها إلى القومية التركية ودعت إلى تأسيس إمبراطورية تركية تمتد من البلقان حتى أواسط آسيا.

ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى، كان الشعب الكردي مجزءً ومنقسما وليس لديه مشروعا مشتركا لمستقبله. وفي ١٩١٥، أنذرت الاتفاقية الفرانكو- انجليزية المعروفة باسم سايكس- بيكو بتقسيم البلاد. مع ذلك ظل الكرد مختلفين حول مصير بلادهم. فبعضهم كان مؤيدا للنهج الإسلامي الذي يتبعه الخليفة ويرى أن خلاص الشعب الكردي يكمن في منحه استقلالا ذاتيا ضمن إطار الدولة العثمانية. بينما يناضل آخرون متأثرين بأفكار الثورة الفرنسية ومبادئ الرئيس الأمريكي ولسن، من أجل تحقيق الاستقلال الكامل لكردستان.

وأصبح الانشقاق أكثر بروزا في ١٩١٨ بعد هزيمة الدولة العثمانية على يد الحلفاء. فشكل المنادون بالاستقلال وفدا سريعا إلى مؤتمر فرساي لتقديم مطالب الأمة الكردية. وقد أدت خطوتهم تلك إلى أن يأخذ المجتمع الدولي المطالب القومية الكردية بنظر الاعتبار. وفي ١٠ آب ١٩٢٠، وقعت اتفاقية سيفر بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والدولة العثمانية، وأوصت في المواد ٦٢-٦٤ من القسم ١١١ بتأسيس دولة كردية على جزء من أراضي كردستان. كان يمكن أن تنفذ هذه الاتفاقية لولا حسابات توازن القوى في المنطقة. فقد كان الجناح التقليدي من الحركة الكردية والذي يسيطر عليه رجال الدين يود أن يبعد الخطر المسيحي عن المنطقة ويقيم دولة تركية – كردية في المناطق المحررة من الاحتلال الأجنبي. كانت الفكرة مثالية وإيثارية. وبالفعل تم عقد تحالف مع الزعيم القومي التركي مصطفى كمال الذي زار كردستان سعيا وراء مساعدة الزعماء الأكراد لتحرير الأراضي الأناضولية المحتلة والخليفة السلطان الأسير فعليا بيد المسيحيين. وكانت أول قوات لحرب استقلال تركيا هي قوات كردية.

وقد ظل مصطفى كمال لغاية نصره المؤزر على اليونان في ١٩٢٢ يعد بتأسيس دولة إسلامية من الكرد والترك. كان يحظى بدعم علني من السوفيت ودعم سري من الفرنسيين والايطاليين الذين أغضبتهم الشهية المفتوحة للاستعمار البريطاني في المنطقة. وبعد هذا النصر، أكد الوفد التركي في مؤتمر السلام في لوزان أنه يتحدث باسم الأمتين الشقيقتين الكردية والتركية. وفي ٢٤ تموز ١٩٢٣، عقدت اتفاقية جديدة وهذه المرة بين حكومة كمال في أنقرة وبين الحلفاء. وقد أبطلت هذه الاتفاقية، اتفاقية سيفر وألحقت الجزء الأكبر من كردستان بالدولة التركية الجديدة دون أي ضمانات بشأن احترام حقوق الكرد. وقبل ذلك وبموجب الاتفاقية الفرانكو- تركية الموقعة في ٢٠ ت١ ١٩٢١، ضمت فرنسا ولايات الجزيرة وكرد-داغ إلى سوريا التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي. بينما تعيش كردستان الإيرانية، التي يسيطر على الجزء الأكبر منها الزعيم الكردي سيمكو، حالة من الانفصال في علاقتها مع الحكومة الفارسية المركزية.

وظل مصير ولاية الموصل الغنية بالنفط غير محسوم. فقد كان الأتراك والبريطانيون يطالبون بها، بينما فضل سكانها بنسبة ٨ إلى ٧ خلال مؤتمر نظمته عصبة الأمم قيام دولة كردية مستقلة. وبعد احتجاج بريطانيا في عصبة الأمم أن الدولة العراقية الحديثة سوف لن تجد فرصة لها للبقاء دون الثروة النفطية والزراعية لهذه الولاية، نجحت في ضم الأراضي الكردية التابعة للولاية إلى العراق الذي وضع تحت انتدابها. لكنها وعدت بإقامة حكم ذاتي للكرد في المنطقة، وهو الوعد الذي لم تلتزم بها بريطانيا ولا الحكومة العراقية التي خلفتها في ١٩٣٢.

وهكذا وجدت أراضي الكرد التي تعرف منذ القرن الثاني عشر باسم كردستان، نفسها في ١٩٢٥ مقسمة بين أربع دول: تركيا وإيران والعراق وسوريا. ولأول مرة في تأريخها الطويل، أصبحت محرومة أيضا من استقلالها الثقافي.

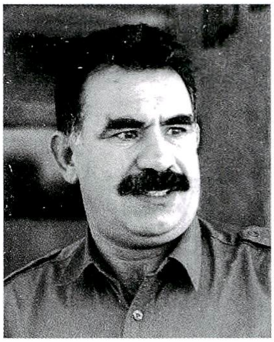
كان الفاتحون والأباطرة السابقون يقتنعون بشيء بسيط من الامتيازات والمزايا الاقتصادية والسياسية والعسكرية. ولم يحاول أي منهم حرمان شعب معين من التعبير عن هويته الثقافية أو حظر ممارساته لحياته الدينية والروحية. ولم يضع أي منهم خطة لتدمير الشخصية الكردية أو إذابة عرق كامل بقطعه عن جذوره الحضارية القديمة. وهذا ما فعله القوميون الأتراك الذين أرادوا أن يجعلوا من تركيا أمة واحدة من عرق ومجتمع وثقافة واحدة. وهذا أيضا ما اتبعته أنظمة الحكم في العراق وإيران. وكما قال نهرو: "سرعان ما تتحول القومية المظلومة المدافعة إلى قومية عدائية ويتحول الكفاح من أجل الحرية إلى كفاح للسيطرة على الآخرين". ومنذ أن كتب نهرو هذه الأسطر وهو في غياهب السجن، ارتكبت الأيديولوجيات القومية الكثير من الأفعال التدميرية الشنيعة بحق الشعوب، تارة باسم التقدم والحداثة، وتارة باسم الرسالة الحضارية، بل وحتى باسم الحرية. ونتيجة لظروف الجغرافيا والتأريخ وقصر نظر القادة الكرد، دفع الشعب الكردي ثمنا باهضا لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط في بداية القرن الـ ٢٠. ويمكن القول أنه منذ تقسيم كردستان، أصبح الشرق آثما بحق نفسه، وما انفك هذا الإثم يسمم أجواء علاقاته المشتركة[1].

وبعد تأسيس الجمهورية التركية التي أنهت الخلافة والسلطنة العثمانية، اندلعت عدة ثورات كردية في كردستان تركيا منها: ثورة الشيخ سعيد بيران في ١٩٢٥ وثورة أجري في ١٩٢٧ التي قادها إحسان نوري باشا وكان قد أعلن استقلال جمهورية أرارات الكردية في ولاية أجري، وثورة درسيم في ١٩٣٧ التي قادها السيد رضا، وقبلها ثورة كوجيري في ١٩٢٠. وقد جرى قمع جميع هذه الثورات بقسوة.

(1) Kendal Nezan, A Brief Survey of the History of the Kurds, Kurdish Institute of Paris, 11 Nov 2009, http://www.institutkurde.org/en/institute/who_are_the_kurds.php

وبعد انقلاب ١٩٦٠ شكل رئيس الوزراء التركي مؤسسة التخطيط العام وهدفها إيجاد حل لمشاكل التخلف في المناطق الكردية وسعى الكرد الدائم للانفصال. وفي ١٩٦١ وضعت المؤسسة تقريرها واقترحت فيه لحل مشكلة الانفصال تشجيع الاختلاط العرقي عن طريق الهجرة من والى المناطق الجنوبية الشرقية من البلاد. ولا يختلف هذا الحل عن سياسة لجنة الاتحاد والترقي التي كانت قائمة أيام الدولة العثمانية.

وبعد التنمية الصناعية السريعة في تركيا خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين، حصلت إضرابات واضطرابات عديدة خلال الفترة بين ١٩٦٨-١٩٧١. وكانت المواجهات العنيفة مع الشرطة جارية باستمرار. وتأسست عدة جماعات ومنظمات وأحزاب تعتبر نفسها اشتراكية. ومنها جماعة الشباب الثوري التي تأسست بعد تمرد ضد قيادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي تأسس في منتصف الستينيات. وغالبا ما كانت الأجهزة الأمنية تقمع هذه الأحزاب بشدة. وسرعان ما اجتذبت هذه الجماعة، باقي المجاميع الأخرى. وفي ١٩٧١، انضم عبد الله أوجلان الطالب الكردي في كلية العلوم السياسية بجامعة أنقرة إلى الحركات السرية التي تحاول الإطاحة بالنظام البرلماني التركي. وكان متعاطفا أيضا مع حزب تحرير الشعب في تركيا. وقد استغل أوجلان مهاراته القيادية والشبكة الاجتماعية التي أسسها خلال تلك الفترة ليصبح زعيما لجماعة منشقة تدعى (أبوجس).



عبد الله أوجلان

وما جعل حزب أبوجس، الذي أصبح فيما بعد حزب العمال الكردستاني، مختلفا هو قراره بنقل نشاطاته من أنقرة إلى المدن الحدودية الجنوبية من تركيا. وبخلاف الأحزاب السياسية الكردية الأخرى التي تنتهج سياسة محافظة وتتمحور حول النظم القبلية والشخصيات العشائرية، كان لحزب أبوجس موقفا صلبا وإيمانا راسخا وتنظيما دقيقا لكنه يتميز باللامركزية مما جعله أكثر فاعلية وأسرع تطورا. وقد وفر له انتقاله إلى المناطق الجنوبية القوى البشرية المطلوبة في وقت كانت فيه تركيا تعاني من مشاكل مع سوريا وكانت أداة بيد الغير خلال الحرب الباردة.

تشكلت نواة حزب أبوجس من ١٦ فردا يقودهم طالب العلوم السياسية عبدالله أوجلان ثم فيما بعد زوجته كصير يلدريم، وكان اسمه في البداية الجمعية الديمقراطية للتعليم العالي. وكان مقره أنقرة. ثم رأى أوجلان أن المناطق الجنوبية الشرقية من تركيا يمكن أن توفر قاعدة أفضل للحزب. واعترف أوجلان فيما بعد أنه بانتقاله إلى هذه المنطقة يستطيع تنظيم حزبه ويبني قاعدة أمينة لممارسة نشاطاته مستغلا النظام القبلي في المنطقة. وكان يركز على القبائل التي لم تكن على وئام مع الحكومة. لقد وضع أوجلان جلّ اهتمامه خلال الفترة من ١٩٧٦-٧٨ على بناء هيكل حزب العمال الكردستاني في المنطقة. كان منظمة سرية، لكن الاستخبارات التركية اكتشفته في ١٩٧٧.

وفي ١٨ مايس ١٩٧٧، أرسل الحزب أحد أعضائه وهو حقي كارر إلى مدينة غازي عنتاب لكسب أعضاء جدد للحزب. وكارر تركي وليس كرديا وأحد المقربين جدا من أوجلان. وفي أحد المقاهي دخل في جدال سياسي مع جماعة كردية يسارية أخرى تسمى النجمة الحمراء. وبعد ذلك قتل الرجل. ادعت السلطات أنه قتل على يد جماعة كردية منافسة. كان هذا الحادث أول تصد تقوم به جماعة كردية ضد حزب أبوجس. ومنذ تلك اللحظة أصبح الحزب أكثر حذرا وصرامة وعنفا. ويقول بعض المؤرخين أن مقتل كارر قد جاء بقصد شحذ وتقوية الصراع. ويقول باكي كارر أحد المؤسسين وشقيق القتيل أن شقيقه قد قتل بعد خلاف مع أوجلان.

وفي ٢٧ ت١ ١٩٧٨، وفي قرية تدعى فيس شمال ديار بكر، تحول حزب أبوجس إلى حزب العمال الكردستاني. وقد أوضح بيان التأسيس العقيدة التي يتبناها. وذكر أن الهدف الأساس له هو إنضاج الثورة الشيوعية في التركية. لم تدع الجماعة في بيانها أنها انفصالية. فما يريدونه هو قيام ثورة بروليتارية قائمة على أفكار الماركسية وهدفها استبدال الرأسمالية القائمة في تركيا بالشيوعية.

وفي ١٩٧٨، بدأ الحزب هجماته على ما يدعي بأنهم فاشيون، فركز عنفه في البداية على ما يعتبرهم متعاونين مع السلطة التركية وعلى القبائل الكردية المتصالحة مع الحكومة.

وفي ١٩٧٩، قام بمحاولة فاشلة لاغتيال محمد جلال بوجاك وهو أحد الأعضاء البارزين في حزب العدالة متهما إياه باستغلال الفلاحين والتعاون مع الحكومة، وأصبحت قبيلة بوجاك معادية للحزب وفقدت ١٤٠ من أفرادها في مصادمات معه. ثم نفذ الحزب عدة أعمال عنف ضد ملاك الأراضي في حلوان وسيوريك وخاض عمليات قتالية ضد حزب وحدة الشعب الثوري وحزب تحرير الشعب وجمعية الثقافة

الديمقراطية الثورية والحركة الوطنية لتحرير كردستان. ردت الحكومة بعمليات إلقاء قبض واسعة على أعضاء الحزب فاعتقلت ٢٤٢ منهم.

وخلال سنتين، تحولت البلاد إلى ميدان قتال. وقد سجل مجلس الأمن القومي التركي حصول ٤٣.٠٠٠ حادث وصفته بالإرهابي خلال الفترة من ١٩٧٨-١٩٨٢. وبلغ عدد ضحايا العنف في السبعينيات حوالي ٥.٠٠٠ شخصا ومعدل عشر عمليات اغتيال في اليوم الواحد.

وقد تمكن أوجلان خلال هذه الفترة من الإفلات من السلطات، وفي ١٩٧٩ هرب خارج البلاد واتجه إلى وادي البقاع اللبناني. وهناك تلقى التدريب والتجهيز في معسكرات فتح وحركة الجيش السري الأرمني لتحرير أرمينيا حيث وفرت سوريا الملاذ الآمن لحزب العمال في منطقة وادي البقاع.

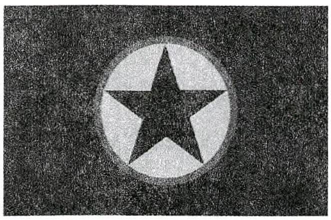
وبعد انقلاب ١٩٨٠ التركي والمحاكمات العسكرية التي أعقبته، كشفت التحقيقات عن مقتل ٥.٢٤١ وجرح ١٤.١٥٢ شخصا كان حزب العمال مسؤولا عن ٢١٪ من هذا العدد[1].

وفي ١٩٨٨، وافقت طهران على فتح معسكرات للحزب قرب الحدود الإيرانية- التركية. وبعد الحرب العراقية- الإيرانية وانتقال الجيش العراقي إلى جبهة القتال، دخل حزب العمال إلى مناطق شمال العراق. فأصبح له ثلاثة طرق للدخول إلى تركيا: الأول عبر إيران والثاني عبر العراق والثالث عبر سوريا. وبعد غزو الكويت وانتهاء سلطة بغداد على المناطق الكردية، تمكن الحزب من بناء قواعد ومعسكرات لتدريب أعضائه في هذه المناطق. وفي مايس ١٩٩٥، اقترح الرئيس

(1) John Pike, A Case Study of the PKK in Turkey, Foundation for Middle East And Balkan Studies, May 21, 2004, http://www.fas.org/irp/world/para/pkk.htm

التركي سليمان ديميريل نقل الحدود التركية- العراقية جنوبا من أجل وقف الأعمال التخريبية حزب العمال. فيقول:

"إن رسم الحدود على هذه المرتفعات هو أمر خاطئ. والواقع أن تلك هي حدود المنطقة النفطية. فحدود تركيا تبدأ من حيث تنتهي تلك. لقد رسمها الجيولوجيون. إنها ليست الحدود القومية لتركيا. فهذه قضية يجب تصحيحها. قلت مرة أن المنظمات الإرهابية ستتسلل إلى شمال العراق عندما ننسحب منه... لذلك سيعود الإرهابيون. وسنواجه نفس الموقف في غضون الشهرين أو الثلاثة القادمة. لذلك، دعونا نصحح الخط الحدودي. لا يمكن لتركيا إعادة رسم الحدود مع العراق بمفردها. يجب دفع هذه الحدود جنوبا إلى المناطق السهلية. وكل ما أريد قوله هنا أن هذه الحدود خاطئة. ولو كانت عند الأراضي السهلية في نهاية المناطق الجبلية، لما تمكن رجال ميليشيات حزب العمال من التحشد فيها..."(1).



علم حزب العمال الكردستاني

تميزت فترة نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات بنشاط واسع للحزب، ففتح فروعا له في اليونان وقبرص وروسيا وألمانيا وسوريا، ونظم إضرابات عن الطعام ومسيرات احتجاجية وتفجيرات إرهابية في مختلف أنحاء العالم، وهذا ما جعله يؤثر على السياسات المحلية في الكثير من البلدان. وفي ١٩٣٩ حظرت ألمانيا الحزب.

(1) Suleyman Demirel, Middle East Quarterly, 1995

وقد أنفقت تركيا خلال عام واحد فقط ثمانية مليارات دولار كنفقات عسكرية للقضاء على نشاطات الحزب ولكن دون جدوى. وفي ١٩٩٣ شن الحزب عدة هجمات على البعثات الدبلوماسية والتجارية في ست بلدان أوربية.

وفي ١٩ آذار ١٩٩٣، وضع الحزب نهاية لأعمال الثأر مع باقي الأحزاب الكردية من خلال توقيعه لاتفاق صلح مع الحزب الاشتراكي الكردستاني. وفي نقطة تحول مهمة في هيكل المنظمة خلال ١٩٩٥، ظهر أن ٣٠٪ من القتلى أو المقبوض عليهم من أعضاء الحزب هم مواطنون سوريون من أصول أرمنية أو من أصول أخرى.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي ومن أجل الحصول على دعم إيران، تخلى الحزب عن إيديولوجيته الشيوعية العلمانية وقبل المعتقدات الإسلامية. وابتداء من ١٩٩٣ أخذ الحزب يشن هجماته من الأراضي الإيرانية. وقد تلقى دعما كبيرا من إيران واليونان بالأموال والأسلحة كصواريخ سام-٧ التي استخدمها بفاعلية ضد الأتراك خلال التدخل التركي في الحرب الأهلية الكردية في العراق.

وفي ٤ ت١ ١٩٩٢، أعلنت الحكومة الكردية في أربيل أن على حزب العمال إما أن ينسحب من القواعد الحدودية أو سيطرد بالقوة. وفي ١٧ آذار ١٩٩٣، أعلن أوجلان من لبنان وقف إطلاق النار مع الطالباني. وقال أن الحزب لا يريد الانفصال فورا عن تركيا. بعدها نقل الحزب معسكراته إلى شمال العراق. ولم يكن يوجد في سوريا سوى منشآته التدريبية والاستخبارية والصحية والترفيهية.

وفي ٢٧ مايس ١٩٩٦، أمر الحزب السجناء من أعضائه بالإضراب عن الطعام. وفي تموز، أضرب ٢.٠٢٠ سجينا عن الطعام في ٤٣ سجنا في ٣٨ محافظة مات منهم ٣١٤ سجينا. وابتداء من ١٩٩٦، تخلى الحزب عن استراتيجيته السابقة في مهاجمة المدنيين الأكراد الذين يعتبرهم دمى بيد الحكومة. وأخذ يركز نشاطه ضد الأهداف الحكومية والسياحية.

وخلال الحرب الأهلية الكردية في العراق، قام حزب العمال الكردستاني المتفق مع حزب الاتحاد الوطني (جماعة الطالباني) بمهاجمة المدنيين والمسيحيين الآشوريين العراقيين الذين يتهمهم بدعم الحزب الديمقراطي الكردستاني (جماعة البارزاني). ومن وجهة نظر تركيا أن حزب الاتحاد الوطني يحاول طرد حزب العمال من شمال العراق بينما يحظى الحزب الديمقراطي الكردستاني بدعم حزب العمال الكردستاني المدعوم من سوريا وإيران وصدام. فتدخلت تركيا بجانب حزب الاتحاد الوطني وحذرت الطالباني من التعاون مع حزب العمال الكردستاني.

وفي مايس وأيلول ١٩٩٧، شنت تركيا عمليتين عسكريتين في شمال العراق كلفتاها ملايين الدولارات ومئات الجرحى والقتلى وخسر حزب العمال أكثر من ٢٠٠٠ قتيل وحوالي ١٣٠٠ أسير ومستسلم ومقبوض عليه.

جرت عدة مفاوضات مع سوريا لإنهاء دعمها لحزب العمال، كان أولها في ١٩٨٧ عندما قاد رئيس الوزراء التركي تورجوت أوزال مفاوضات مع القيادة السورية انتهت بتوقيع بروتوكول أبرز حجم الخلافات الكبيرة بين البلدين حيث لم تعترف سوريا بوجود أوجلان على أراضيها. وبعد غزو الكويت عقدت اتفاقية أمنية بينهما. واتفق البلدان على منع تنظيم وتدريب المنظمات الخارجة عن القانون في البلدين وعلى تبادل المقبوض عليهم وترسيم الحدود وتبادل المعلومات الاستخبارية. وفي هذه الاتفاقية وافقت سوريا لأول مرة على اعتبار حزب العمال منظمة إرهابية. لكن سوريا لم تغير من موقفها الفعلي تجاه الحزب. وفي قمة ٢٣ آب ١٩٩٤، ربطت سوريا موقفها منه بقضية مياه الفرات ثم طرحت في وقت لاحق قضية لواء الإسكندرون.

وبعد فشل المفاوضات مع سوريا، أصدرت الحكومة التركية أوامرها إلى قيادة الجيش لوضع الخطط العسكرية بأسوأ سيناريو يمكن حصوله لشن حرب ضد سوريا

وإيران وربما اليونان وروسيا أيضا. وفي ٢٦ آب ١٩٩٦ وقعت اتفاقية عسكرية مع إسرائيل تلتها اتفاقية للتعاون الاستخباري. حيث عبرت إسرائيل معلومتين خطيرتين خلال تلك الفترة الأولى تتعلق بقدوم شاحنة محملة بالأسلحة والمعدات العسكرية من إيران إلى حزب العمال في سوريا، والثانية تتعلق بكون سوريا هي الدولة الراعية لحزب العمال. وفي ٣٠ ك١ ١٩٩٦، تمكنت وكالة المخابرات الوطنية التركية من اختطاف مصطفى ديور عضو جبهة التحرير الشعبية الثورية التركية وقاتل رجل الأعمال التركي أوزدمير صابونجي وتهريبه إلى تركيا. ومقر هذه الجبهة سوريا أيضا. جمدت تركيا علاقاتها مع سوريا وحشدت قواتها على الحدود وحصلت أزمة بين البلدين انتهت بطرد أوجلان من سوريا وتعهدت الأخيرة بوقف دعمها وإيوائها لأعضاء حزب العمال.

وبعد خروج أوجلان من سوريا اتجه لليونان ومن هناك إلى روسيا، ولم تمنحه الأخيرة حق اللجوء. وفي ١٤ ت٢ ١٩٩٩ وصل روما، وكان وصوله مفاجأة للحكومة الإيطالية وبدأت تلوح أزمة دبلوماسية بين البلدين بعد إن طلبت تركيا من إيطاليا طرده.

حصلت مظاهرات حاشدة للكرد في روما مطالبين باستضافته. حاولت الحكومة الإيطالية عقد اتفاق مع باقي الدول الأوربية ومنظمة الأنتربول. ولكن في الآخر سمح له بالمغادرة دون أن تكشف وجهته. ويبدو أنه ذهب إلى سان بطرسبورج في روسيا ثم إلى أثينا. ونقلته الحكومة اليونانية إلى جزيرة كورفو اليونانية ومن هناك إلى السفارة اليونانية في كينيا.

وفي ١٥ شباط ١٩٩٩، وأثناء نقله من السفارة اليونانية إلى مطار نايروبي الدولي، قامت قوة من وكالة المخابرات الوطنية التركية بعملية مخابراتية واعتقلته في أرض المطار وانطلقت به إلى تركيا. يقولون مسؤولون أمريكيون أن المخابرات

الأمريكية مع بعض الجهد الدبلوماسي هو الذي قاد لاعتقال أوجلان. أدى اعتقاله إلى هجوم آلاف الكرد الغاضبين على السفارات اليونانية في أنحاء العالم.

وفي آب ١٩٩٩، أعلن أوجلان من سجنه مبادرة سلام وطلب من أعضاء الحزب نبذ العنف وإجراء الحوار مع الحكومة التركية حول كل القضايا. بينما أعلن الناطق الرسمي باسم الحزب أنهم لن يضعوا أسلحتهم وأن لديهم القدرة على شن عمليات قتالية[١].

يقول الجيش التركي أن أكثر من ٣٧.٠٠٠ إنسان قد قتل منذ أن بدأ حزب العمال الكردستاني كفاحه المسلح في ١٩٨٤. ويقول الكاتب دنس ناتالي أن القوات المسلحة التركية قد دمرت ٨٠٠٠ قرية وبلدة كردية وشردت ٣ إلى ٤ ملايين شخص.

وتقول الأرقام الرسمية التركية أن حصيلة عمليات ١٩٨٤ - ٢٠٠٨ هي:

- ٣٢.٠٠٠ قتيل من رجال ميليشيات حزب العمال.
- ١٤.٠٠٠ مقبوض عليه من رجال الميليشيات.
- ٥.٥٦٠ قتيل من المدنيين.
- ٦.٤٨٢ قتيل من العسكريين الأتراك[٢].

أهم العمليات الانتحارية التي تبناها حزب العمال الكردستاني[٣]:

شن الحزب ابتداء من ٣٠ حزيران ١٩٩٥ ولغاية ٥ تموز ١٩٩٩، أخطر حملة من الهجمات الانتحارية وقع معظمها بين عامي ١٩٩٨-١٩٩٩ وأهمها هجمات ١٧

(١) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Kurdistan_Workers_Party#Origin#Origin

(2) Ulkumen Rodoplu and Others, Terrorism in Turkey, Special Report, http://pdm.medicine.wisc.edu/18-2pdfs/new152RodopluTurkey.pdf

(٣) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Timeline_of_the_Turkey%E2%80%93Kurdistan_Workers_Party_conflict#2008#2008

ت٢ ١٩٩٨ و١ ك١ ١٩٩٨ و٢٤ ك١ ١٩٩٨ و٩ نيسان ١٩٩٩ و٧ حزيران ١٩٩٩. وفيما يلي أهم العمليات الانتحارية التي نفذها الحزب:

١ ـ التفجير الانتحاري في مدينة التنجيلي :

حصل الحادث في حزيران ١٩٩٦ حيث فجر انتحاري من حزب العمال الكردستاني نفسه على استعراض عسكري في المدينة. كانت حصيلته تسعة قتلى و٤٤ جريحا.

٢ ـ التفجير الانتحاري في مدينة لايح:

حصل الحادث في ١ ك١ ١٩٩٨ حيث فجر انتحاري نفسه في محل بقالة وقتل ١٦ شخصا وجرح ٢٤. وأثناء التفجير ألقيت قنابل يدوية على المتجمهرين.

٣ ـ التفجير الانتحاري شرق تركيا:

حصل الحادث في ٢٤ ك١ ١٩٩٨ أيضا حيث فجر انتحاري من حزب العمال نفسه خارج ثكنات الجيش التركي وقتل شخصين وجرح ٢٤.

٤ ـ التفجير الانتحاري في إستنبول ١٩٩٩.

في آذار ١٩٩٩ فجّر انتحاري من حزب العمال نفسه على سيارة نوع (فان) تابعة للشرطة التركية في ميدان تقسيم. أسفر الحادث عن مقتل شخص واحد وجرح ١٢ آخر.

٥ ـ التفجير الانتحاري في مدينة يوكسيكوفا:

حصل التفجير في ٩ نيسان ١٩٩٩ عندما فجر انتحاري نفسه على سيارة حاكم المدينة وقتل شخصين وجرح ١١ آخر.

٦ ـ التفجير الانتحاري في مدينة أضنة:

حصل الحادث في تموز ١٩٩٩ حيث فجر انتحاري نفسه خارج مقر مركز للشرطة التركية وقتل شخصا واحدا وجرح ١٥ آخر.

٧ ـ تفجيرات أنقرة الانتحارية في ٢٠٠٧:

في ٢٢ مايس ٢٠٠٧ حصل هجوم انتحاري بالقرب من مركز للتسوق في حي يولس (الأمة) بقلب أنقرة. أسفر الحادث عن مقتل ستة أشخاص بضمنها واحد من أصل باكستاني وجرح ١٢١ آخر، توفي منهم ثلاثة متأثرين بجراحهم.

اتضح فيما بعد أن الانتحارية سيدة تدعى جوين أكوس تساعدها سيدة أخرى تدعى أيسي. يقول المسؤولون الأمنيون الأتراك أن مدبر الحادث هو حزب العمال الكردستاني. وقد تزامن حصوله مع انعقاد قمة الناتو بأنقرة التي حضرها ٣٥ رئيس دولة بضمنهم الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن. كما إن توقيته يثير الشكوك بشأن احتمال كونه محاولة اغتيال لكبار القادة العسكريين الأتراك الذي كانوا في طريقهم عبر ميدان يولس، حيث حصل الانفجار، لحضور معرض عسكري في متحف الحضارة الأناضولي. وهؤلاء القادة هم: الجنرال يسار بويوكانت رئيس أركان الجيش، والجنرال إلكر بازبوك قائد القوات البرية، والجنرال إيسيك كوسانر قائد الشرطة، والجنرال فاروق كوميرت قائد سلاح الجو، والأدميرال ينار كاراهان أوغلو قائد القوة البحرية.

٨ ـ التفجير الانتحاري الثاني في تنجيلي:

في ٤ حزيران ٢٠٠٧، فجر انتحاري نفسه على موقع عسكري تركي في محافظة تنجيلي وقتل سبعة جنود وجرح مثلهم.

٩ ـ التفجير الانتحاري في مرسين:

حصل الحادث في ١٩ آب ٢٠٠٨. يقول المحققون الأتراك أن شخصا كان يريد تنفيذ هجوم انتحاري وحاول التملص من نقطة سيطرة تابعة للشرطة. ففجر هذا الرجل سيارته المحملة بالمتفجرات بعد إن أوقفها رجال الشرطة. قتل الانتحاري نفسه وجرح ١٩ شرطي. أعلن حزب العمال الكردستاني مسؤوليته عن الحادث.

الفصل الثالث والعشرون

الهجمات الانتحارية في فلسطين



حطام باص إسرائيلي بعد عملية انتحارية لحماس

نفذت المنظمات الفلسطينية (حماس، الجهاد الإسلامي، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكتائب شهداء الأقصى) ١٤٠ عملية انتحارية خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠٠٧ قتل فيها أكثر من ٥٤٠ شخصا حسب إحصاءات وزارة الخارجية الإسرائيلية. وكانت منظمة حماس والجهاد الإسلامي قد نفذتا ١٩ عملية انتحارية خلال فترة التسعينيات. وبذلك تكون مجمل العمليات الانتحارية المنفذة من قبل هذه المنظمات خلال العشرين سنة الماضية حوالي ١٥٩ عملية انتحارية، بلغ عدد ضحاياها بحدود ٧٨٧ قتيلا(١).

نبذة تاريخية:

ترجع جذور الصراع إلى أواخر القرن التاسع عشر مع ظهور الحركات القومية في العالم. ففي ١٨٩٧، وكرد فعل للتوجهات الروسية والأوربية المعادية لليهود، تأسست الحركة الصهيونية باعتبارها حركة سياسية قومية يهودية. وحددت هدفها بتأسيس دولة قومية لليهود في فلسطين التي يسمونها في الأدبيات اليهودية أرض إسرائيل، لتكون ملاذا وملجأ لهم. ولتحقيق هذا الهدف، شجعت الحركة الصهيونية العالمية والصندوق القومي اليهودي الهجـرة إلى فلسطين ودفعوا الأموال لشراء

---

(١) الأرقام الواردة في هذا الفصل هي الأرقام التي اعترفت بها إسرائيل على الموقع الالكتروني لوزارة الخارجية الإسرائيلية وليس التي تقولها المنظمات الفلسطينية. أنظر:

www.mfa.gov.il/...since.../Suicide+and+Other+Bombing+Attacks+in+Israel+Since.htm.

وكذلك منظمة الاتحادات اليهودية في أمريكا الشمالية

The Jewish Federations of North America
http://www.jewishfederations.org/page.aspx?id=13169

الأراضي هناك خلال فترة الحكم العثماني والبريطاني. لم تواجه حركة الهجرة اليهودية في البداية أي في أواخر القرن ١٩ معارضة قوية من السكان المحليين[1].

كانت المنطقة وبضمنها فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى تخضع مدة ٥٠٠ عاما لسيطرة الدولة العثمانية. وقد دفعت وعود بريطانيا للعرب واليهود على حد سواء بتحرير فلسطين من النير العثماني إلى وقوف الطرفين بجانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) خلال الحرب الأولى. في نفس الوقت أخذت التوترات تتزايد بين العرب والأقلية اليهودية التي أخذت تتضخم بفعل موجات الهجرة الواسعة.

حصلت الهجرة الأولى لليهود إلى فلسطين خلال ١٨٨١-٨٢ واستمرت لغاية ١٩٠٣. فقد هاجر حوالي ٢٥.٠٠٠-٣٥.٠٠٠ يهودي معظمهم من فلاحي أوربا الشرقية وروسيا إلى فلسطين وأسسوا مستوطنات ومدنا لهم فيها مثل بتاح تكفا وتل أبيب ونيف شالوم ونيف تسديك.

أما الهجرة الثانية فقد حصلت بين ١٩٠٤- ١٩١٤ حيث هاجر حوالي ٤٠.٠٠٠ يهودي من روسيا وبولندا إلى أرض فلسطين.

وفي ١٩١٦، وقعت اتفاقية سايكس- بيكو بين فرنسا وبريطانيا وبموجبها كان من نصيب بريطانيا الأردن الحالي والمنطقة المحصورة بين نهر الأردن والبحر المتوسط ثم العراق، بينما كانت سوريا ولبنان من حصة فرنسا.

وخلال الحرب العالمية الأولى، أعطت بريطانيا وعودا متضاربة إلى كل من العرب واليهود في فلسطين. فقد كانت تطمع بدعم الطرفين لها في صراعها ضد ألمانيا والدولة العثمانية. ففي مراسلات حسين- مكمون قطعت وعدا بتمكين العرب من

(1) Gudrun Kramer, Graham Harman, A History of Palestine: from the Ottoman Conquest to the Founding of the State of Israel, Princeton University Press, 2008.

تحقيق وحدتهم ودولتهم المستقلة في آسيا العربية كاملة، وفي نفس الوقت قطعت وعدا لليهود على لسان وزير خارجيتها آرثر بلفور بتمكين اليهود من إقامة وطن قومي لهم في فلسطين. بينما كانت قد وقعت على اتفاقية سايكس بيكو وقسمت المنطقة بينها وبين فرنسا.

فالحاجة إلى دعم اليهود والميول الصهيونية لرئيس الوزراء البريطاني حينها لويد جورج، قادت إلى إصدار إعلان بلفور في ١٩١٧ الذي نظرت فيه الحكومة البريطانية "بعين العطف على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين".

وقد رفع هذا الإعلان من حجم القلق العربي بسبب موجات الهجرة الواسعة التي تلته بحيث أخذ السكان العرب يشعرون أنهم مهددون فعلا.

وبعد الحرب الأولى وتفكك الدولة العثمانية وضعت عصبة الأمم فلسطين تحت الانتداب البريطاني وبذلك تكون قد أقرت إعلان بلفور، وطالبت بتأسيس وكالة يهودية مستقلة تدير شؤون اليهود في فلسطين.

إست مرت موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالتزايد خلال فترة الانتداب البريطاني وذلك بفعل التوجهات المعادية لليهود في أوربا وخاصة بعد استلام الحزب النازي للسلطة في ألمانيا. وكانت نتيجة ذلك أن تضاعف عدد اليهود في فلسطين بشكل كبير.

تحولت حالة التوتر بين العرب والمهاجرين اليهود الجدد إلى صدام عنيف كما حصل في أحداث عام ١٩٢٠ و١٩٢١ وأحداث الخليل ١٩٢٩ والثورة العربية في ١٩٣٦-١٩٣٩. كان رد الحكومة البريطانية تشكيل لجنة هايكرافت للتحقيق بالأحداث وإصدار تقرير شو ثم تشكيل لجنة بيل في ١٩٣٦-١٩٣٧ وإصدار الكتاب الأبيض أو كتاب مكدونالد في ١٩٣٩. اقترحت لجنة بيل خطة لتقسيم المنطقة، بينما

اقترح الكتاب الأبيض تأسيس دولة واحدة وتحديد نسب الهجرة اليهودية من قبل البريطانيين ثم في وقت لاحق من قبل العرب أنفسهم. مارس العرب واليهود على حد سواء العنف ضد البريطانيين كما حصل في الثورة العربية في ١٩٣٦ وتفجير اليهود لفندق الملك داود واغتيالهم للورد موين والكونت برنادوت في سبيل تقويض حكومة الانتداب التي يزدريها الطرفان.

أدت أعمال العنف هذه والكلفة الباهظة التي تحملتها بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى أن تحيل قضية فلسطين مرة ثانية إلى الأمم المتحدة. وفي ت٢ ١٩٤٧، صادقت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين إلى دولتين: يهودية وعربية. قبلت القيادة اليهودية هذا المشروع وعارضته مجموعات يهودية صغيرة تفضل حل إقامة دولة واحدة في فلسطين كالحزب الشيوعي اليهودي وميليشيات الأرجون وليحي التي كانت تؤيد الاستيلاء على كامل فلسطين، وحسب تعبيرهم "إعادة أرض إسرائيل إلى الشعب اليهودي". وقد دافع بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين بضراوة من أجل قبول اليهود لهذا المشروع، كونه يرى أن الحرب قادمة لا محالة، ومن خلالها يمكن توسيع حدودهم. ويمكن معرفة المزاج العام لليهود إزاء قرار التقسيم من احتفالات الفرح الواسعة التي انتشرت في الشوارع بعد إعلان نتيجة التصويت على هذا القرار في الأمم المتحدة.

انقسمت اللجنة العربية العليا وهي الهيئة السياسية الممثلة للشعب العربي في فلسطين بين مؤيد ورافض لقرار التقسيم. وإزاء هذا الانقسام تولى محمد أمين الحسيني رئاسة اللجنة وأعلن بدعم من جامعة الدول العربية رفض المشروع. بينما أيد العديد من الفلسطينيين هذا القرار منهم أسرة النشاشيبي والحزب الشيوعي الفلسطيني. كان بن جوريون يتوقع ردا عربيا عسكريا على مشروع التقسيم، لهذا عبأ ميليشيا الهاجاناه في ٣٠ ت٢ ١٩٤٧. يقول الكاتب بيني موريس في كتابه ظهور

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين: "وعادت منظمتا الأرجون وليحي في أول ك١ ١٩٤٧ إلى استراتيجيتهما القديمة التي اتبعتاها خلال الفترة من ١٩٣٧-١٩٣٩ بزرع القنابل في الأسواق المزدحمة ومحطات وقوف السيارات..".

وفي ٢ ك١، وكما توقعت القيادة الصهيونية، رد العرب الفلسطينيون على مشروع التقسيم بمظاهرات واضطرابات في القدس. ردت ميليشيات الهاجاناه على ذلك بالهجوم على القرى العربية القريبة ومنها دير أيوب، وشن حملة تفجيرات ضد المدنيين العرب، وفي ١٢ ك١ فجروا بوابة دمشق (باب العامود) بالقدس وقتلوا عشرين عابرا. وسرعان ما تطور الموقف إلى حرب شاملة بين الطرفين. حقق اليهود مكاسب خلال هذه الحرب، حيث وسعوا حدودهم إلى ما وراء ما وضعه قرار التقسيم من حدود للدولة اليهودية المقترحة التي لا يسمح وضعها بالدفاع عنها عسكريا في حال نشوب الحرب.

أعلن بن جوريون تأسيس إسرائيل في ١٤ مايس ١٩٤٨ وغادر البريطانيون، وفي ١٥-١٦ مايس، دخلت جيوش الأردن وسوريا ومصر والعراق، أرض فلسطين. لم يكن لدى جامعة الدول العربية نية لتسليم أمين الحسيني مهام إدارة الشؤون الفلسطينية. فضمت الأردن الضفة الغربية والقدس الشرقية والقدس القديمة، وسيطرت مصر على قطاع غزة. وظلت القدس مدينة مقسمة. وضمت إسرائيل أراض إضافية أخرى من أراضي الدولة الفلسطينية المقترحة بموجب قرار التقسيم. كانت ذريعة الأردن لدخول فلسطين هي إنقاذ الشعب العربي الفلسطيني، لكن هدفهم كان توسيع أراضيهم على حساب الفلسطينيين وليس القضاء على إسرائيل. ومن نتائج هذه الحرب أيضا ظهور مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حيث طرد بين ٧٠٠.٠٠٠-٧٥٠.٠٠٠ فلسطيني من الأراضي التي أصبحت تسمى الآن إسرائيل ولم يسمح لهم بالعودة.

ومع توقيع اتفاقيات الهدنة، وقعت مدينة القدس ضمن السيطرة الأردنية وفي ١٩٥٠، ضمت الضفة الغربية من جانب واحد إلى الأردن. وبعد حرب ١٩٤٨، حاول بعض اللاجئين الفلسطينيين من مخيمات الضفة الغربية أو قطاع غزة أو سوريا العودة متسللين إلى أراضيهم التي وقعت تحت السيطرة الإسرائيلية. أعلنت إسرائيل أن هؤلاء الفلسطينيين هم مجرد متسللين وقامت بأبعادهم إضافة إلى إبعاد آخرين ممن ظلوا في منازلهم بعد ١٩٤٨. وفي ٢١ ت٢ ١٩٤٩، طلب أمين جرجورا وهو عضو عربي في الكنيست (البرلمان) من حزب ماباي (عمال أرض إسرائيل) السماح لستة آلاف لاجئ من الناصرة بالعودة إلى قراهم، بينما كان الجيش الإسرائيلي ينفذ حملة طرد واسعة للفلسطينيين المقيمين في المدينة وضواحيها بذريعة أنهم متسللون. يرجع سبب عودة هؤلاء الفلسطينيين إلى العامل الاقتصادي، فمعظمهم كان يريد استعادة ممتلكاته التي فقدها خلال الحرب. ولم تبدأ الحكومة المصرية برعاية الغارات الفدائية داخل إسرائيل إلا بعد أن نفذت الأخيرة في شباط ١٩٥٥ غارة جوية ضد موقع عسكري مصري في غزة، راح ضحيته ٣٧ جنديا مصريا.

منح الفلسطينيون الذين ظلوا في أراضيهم داخل إسرائيل بعد حرب ١٩٨٤، الجنسية الإسرائيلية، لكنهم ظلوا خاضعين للأحكام العرفية العسكرية لغاية ١٩٦٦. وقد كانت الاعتقالات وحظر التجوال وتحديد الإقامة جزءا من الحياة اليومية للسكان لغاية ١٩٦٦. واتخذت عدة إجراءات قانونية لنقل ملكية الأراضي التي تركها أصحابها الفلسطينيون، إلى الدولة العبرية. مثال ذلك قانون ملكية الغائب لعام ١٩٥٠ الذي سمح للدولة بالسيطرة على الأراضي التي هاجر أصحابها إلى البلدان المجاورة وقانون ملكية الأرض لعام ١٩٥٣ الذي خول وزارة المالية الإسرائيلية بنقل ملكية الأراضي المصادرة إلى الدولة. وفي ١٩٦٦، رُفعت القيود الأمنية الموضوعة على عرب إسرائيل وشرعت الحكومة برفع معظم القوانين التمييزية ومُنحوا ولو نظريا وليس عمليا نفس الحقوق الممنوحة للمواطن اليهودي.

وفي ١٩٥٤، أسس قسم من اللاجئين الفلسطينيين في الشتات بضمنهم ياسر عرفات حركة فتح.

وبعد عدة سنوات من الهجمات الفدائية للفلسطينيين على إسرائيل، قررت الجامعة العربية في قمة القاهرة ١٩٦٤ تأسيس منظمة تمثل الشعب الفلسطيني. وفي ٢٩ مايس عقد مؤتمر للمجلس الوطني الفلسطيني في القدس الشرقية. وفي ٢ حزيران ١٩٦٤ قرر المؤتمر تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية. وتعتبر المنظمة أول حركة فلسطينية عملت من أجل حق العودة لجميع اللاجئين الفلسطينيين وتدمير إسرائيل. وخلال هذه الفترة بدأت فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية أول حملاتها الفدائية ضد إسرائيل.

وفي ١٩٦٧، استولت إسرائيل خلال حرب حزيران على قطاع غزة وسيناء من مصر وعلى الضفة الغربية بضمنها القدس الشرقية من الأردن وعلى هضبة الجولان من سوريا إضافة إلى أراض فلسطينية أخرى. وبعد سيطرة إسرائيل على القدس أعلنت سيادتها على كامل المدينة وأعطت سكان القدس الشرقية وضع المقيم الدائم داخل إسرائيل. وقد أدى إعلان إسرائيل للقدس عاصمة لها واحتلال الضفة والقطاع والجولان إلى بروز قضايا خلافية جديدة أصبحت محل نزاع كبير بين الأطراف المعنية.

أدت خسارة العرب في حرب حزيران إلى تخلي الحركات والمنظمات الفلسطينية عن أي أمل لهم كانوا قد وضعوه على القومية العربية. ونتيجة ذلك، نشطت منظمات الكفاح المسلح كفتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وفي تموز ١٩٦٨ حققت المنظمتان الأغلبية في انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني. وفي شباط ١٩٦٩ وخلال مؤتمر المجلس في القاهرة، انتخب ياسر عرفات زعيم منظمة فتح رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية.

حاولت المنظمة في البداية السيطرة على الضفة الغربية، لكن قوات الجيش الإسرائيلي تمكنت من طرد عناصرها إلى الأردن. وهناك بدأت بالعمل ضد نظام الحكم الأردني حيث تبلغ نسبة الفلسطينيين في الأردن ومعظمهم من اللاجئين حوالي ٧٠٪ من عدد السكان. وانطلاقا من هناك شنت المنظمة عدة هجمات على إسرائيل إما من خلال دفع جماعات فدائية للتسلل داخلها أو إطلاق صواريخ الكاتيوشا. وأدى هذا إلى رد عسكري إسرائيلي.

وفي أواخر الستينيات، ازداد التوتر بين الفلسطينيين والحكومة الأردنية بدرجة كبيرة. وفي أيلول ١٩٧٠، نشب نزاع مسلح بين الأردن والمنظمات المسلحة الفلسطينية. وقد تمكن ملك الأردن الحسين من قمع التمرد الفلسطيني. قتل خلال هذا النزاع عشرات الآلاف من الأشخاص معظمهم من الفلسطينيين. استمرت الحرب لغاية تموز ١٩٧١ حيث رُحِّلت منظمة التحرير إلى لبنان. وبعد أيلول الأسود هاجرت أعداد كبيرة من الفلسطينيين من الأردن إلى لبنان لينضموا إلى مئات آلاف الفلسطينيين الذين لجأوا إلى لبنان بعد حرب ١٩٤٨. بعدها انتقل مركز نشاط منظمة التحرير إلى لبنان حيث أعطت اتفاقية القاهرة ١٩٦٩ الموقعة بين قائد الجيش اللبناني إميل بستاني وياسر عرفات برعاية عبد الناصر ما يشبه الحكم الذاتي للفلسطينيين في جنوب لبنان. وأطلقت الصحافة العالمية على تلك الأراضي التي تسيطر عليها منظمة التحرير في جنوب لبنان اسم "فتح لاند" وقد أسهم وجودها هناك في اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٠.

استغلت منظمة التحرير تمركزها في جنوب لبنان في إطلاق صواريخ الكاتيوشا على الجليل وفي تنفيذ هجمات فدائية على الحدود الشمالية لإسرائيل. وفي بداية السبعينيات شنت المنظمة مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حملة عالمية ضد إسرائيل وخاصة في أوربا. ففي محاولة منها لإثارة القضية الفلسطينية أمام أنظار الرأي العام،

عمدت المجاميع الفلسطينية في لبنان إلى استهداف المدارس والمستوطنات والباصات وأحيانا السفارات والمطارات والخطوط الجوية الإسرائيلية. بلغت العمليات الفدائية الفلسطينية ذروتها في ١٩٧٢ وأبرزها خطف طائرة الخطوط البلجيكية (سابينا)[١] وحادثة مطار اللد[٢] وعملية ميونيخ. وقد اختطف خلال العملية الأخيرة ١١ لاعبا إسرائيليا كانوا يشاركون في أولمبياد ميونيخ في صيف ١٩٧٢. وبعد عملية إنقاذ ألمانية فاشلة قتل جميع الرياضيين والمدربين الإسرائيليين. وقتل أيضا خمسة فدائيين ولم يصب ثلاثة آخرون بأي أذى. وبعد شهر أطلقت السلطات الألمانية سراح هؤلاء الثلاثة. ردت الحكومة الإسرائيلية بحملة اغتيالات ضد أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ومقراتها في لبنان. وحصلت عمليات أخرى مثل اختطاف عدد من الطائرات المدنية والهجوم على فندق سافوي[٣] وثلاجة المتفجرات في ميدان

(١) في ٨ مايس ١٩٧٢، اختطف أربعة فدائيين من منظمة أيلول الأسود طائرة تابعة للخطوط الجوية البلجيكية قادمة من فينا إلى تل أبيب. طالب الخاطفون بإطلاق سراح ٣١٥ أسيرا فلسطينيا من معتقلات إسرائيل. قامت قوة من الكوماندوز الإسرائيلي متخفية بلباس فنيي إصلاح الطائرة، باقتحام الطائرة وقتلوا اثنين من الخاطفين واعتقلوا الباقين وحرروا الطائرة وركابها. أسفرت العملية عن مقتل راكبة واحدة وجرح بنيامين نتياهو الذي كان حينها أحد أعضاء فريق الكوماندوز وثلاثة آخرين.

(٢) في ٣٠ مايس ١٩٧٢، هاجم ثلاثة مقاتلين من الجيش الأحمر الياباني بتخطيط من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مطار اللد (بن جوريون حاليا) وقتلوا ٢٤ شخصا وجرحوا ٨٠ آخرين. وكانوا قد جاءوا إلى إسرائيل قادمين من فرنسا على متن طائرة الخطوط الجوية الفرنسية. قتل أحد الخاطفين وانتحر الثاني بينما ألقى القبض على الثالث وحكم عليه بالسجن مدى الحياة في إسرائيل. وفي ١٩٨٥ تم إطلاق سراحه في عملية تبادل للأسرى وفي عام ٢٠٠٠ تم منحه حق اللجوء في لبنان.

(٣) في ٤ آذار ١٩٧٥ هاجم ثمانية فلسطينيين من منظمة التحرير فندق سافوي بتل أبيب واحتجزوا عدة رهائن بالفندق وطالبوا بإطلاق سراح ٢٠ معتقلا فلسطينيا من سجون إسرائيل. وكانوا قد دخلوا المدينة بقاربين ونزلوا عند ساحل تل أبيب. وفي صباح اليوم التالي اقتحمت وحدة مكافحة الإرهاب الإسرائيلية الفندق وقتلت سبعة فدائيين وأسرت واحدا. قتل في العملية ثمانية رهائن وثلاثة جنود إسرائيليين. خطط للعملية القيادي أبو جهاد ردا على عملية اغتيال المخابرات الإسرائيلية لبعض قادة منظمة التحرير الفلسطينية منهم محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر في بيروت.

صهيون[1] وحادثة الطريق الساحلي[2]. وقد عانت إسرائيل خلال السبعينيات وبداية الثمانينيات من هجمات متواصلة من منظمة التحرير الفلسطينية انطلاقا من لبنان مثل عملية باص مدرسة أفيفيم[3] في ١٩٧٠ وعملية معالوت[4] في ١٩٧٤.

وفي ١٩٧٣، شن المصريون والسوريون هجوما مفاجئا على إسرائيل. تقدم المهاجمون خلال اليومين الأولين لكنهم توقفوا بعد ذلك وأخذت الأمور تسير لصالح إسرائيل. وفي الآخر تم توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار وفك الاشتباك. وقد مهدت هذه الحرب الطريق أمام عقد اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل في ١٩٧٨ التي شكلت سابقة لمفاوضات السلام المستقبلية. وفي أواسط السبعينيات، جرت عدة محاولات من منظمة جوش إيمونيم (كتلة المؤمنين) اليهودية لتأسيس مستوطنات يهودية في أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة على أساس أنها جزء من

(١) في ٤ تموز ١٩٧٥، انفجرت ثلاجة تحمل ٥ كيلوغرامات من المتفجرات في ميدان صهيون بمدينة القدس. قتل في الحادث ١٥ شخصا وجرح ٧٧ آخرين. خطط للعملية أحمد السكر الذي تم إطلاق سراحه من سجون إسرائيل في ٢٠٠٣.

(٢) في ١١ آذار ١٩٧٨، نزلت دلال مغربي مع ١١ فدائيا آخرا على السواحل الإسرائيلية شمال تل أبيب واختطفوا باصين إسرائيليين وطالبوا بإطلاق سراح بعض الأسرى الفلسطينيين. هاجمت الشرطة الإسرائيلية الخاطفين وأسفرت العملية عن مقتل ٣٨ إسرائيليا و٧١ جريحا ومقتل دلال وبعض رفاقها. وبعد ثلاثة أيام شنت إسرائيل عملية الليطاني ردا على هذه العملية الفدائية. خطط للعملية أبو جهاد.

(٣) في ٨ مايس ١٩٧٠ نصب عناصر منظمة الصاعقة الفلسطينية التي ترعاها سوريا كمينا لباص مدرسة أفيفيم قرب الحدود اللبنانية. أسفر الحادث عن مقتل ١٢ إسرائيليا منهم ٩ أطفال و٢٥ جريحا. وتمكن المهاجمون من الفرار.

(٤) في ١٥ مايس ١٩٧٤، شن ثلاثة عناصر من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين هجوما على مدينة معالوت الإسرائيلية وقتلوا بعض المستوطنين ثم اقتحموا مدرستها الثانوية واحتجزوا طلبتها رهائن حتى يتم إطلاق سراح بعض الأسرى الفلسطينيين. هاجمتهم القوات الخاصة الإسرائيلية وأسفرت العملية عن مقتل ٢٢ طالبا إضافة إلى الفدائيين أنفسهم.

الأراضي التي وعد الله بها بني إسرائيل في سفر التثنية. وقد فككت الحكومة الإسرائيلية في البداية هذه المستوطنات، لكنها توقفت عن حظر بنائها مما أدى إلى تأسيس عشرات المستوطنات في هذه الأراضي. وبعد مجيء حزب الليكود إلى الحكم، بنى الإسرائيليون المزيد من المستوطنات في الضفة الغربية.

وفي تموز ١٩٧٦، اختطف ٨ ألمان وفلسطينيون من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية تحمل ٢٦٠ راكبا وطاروا بها من أثينا إلى أوغندا التي كانت تحت حكم عيدي أمين. فصل الألمان الركاب اليهود عن غيرهم وطالبوا بإطلاق سراح بعض الأسرى الفلسطينيين وهددوا بقتل الباقي من الركاب إن لم تنفذ مطالبهم. نفذت قوات الكوماندوز الإسرائيلية عملية عسكرية لإنقاذ الرهائن سميت عملية مطار عينتيبة. أسفرت العملية عن مقتل ٤ رهائن والخاطفين الثمانية وقائد الكوماندوز الإسرائيلي و٤٥ جنديا أوغنديا وجرح ١٠ رهائن و٥ من عناصر القوة الإسرائيلية مع تدمير ١١ طائرة أوغندية. وبعد هذه العملية لم تحاول المجاميع الفلسطينية اختطاف طائرات أخرى.

وبعد عملية الطريق الساحلي في ١١ آذار ١٩٧٨ التي أسفرت عن مقتل ٣٨ إسرائيليا، شن الجيش الإسرائيلي بعد ثلاثة أيام منها عملية الليطاني حيث انسحبت بعدها قوات منظمة التحرير شمالا نحو بيروت. وبعد انسحاب إسرائيل عاودت فتح إطلاق صواريخها على منطقة الجليل. وبذلت العديد من الجهود الدبلوماسية لوقف الحرب على الحدود اللبنانية الإسرائيلية بضمنها جهود فيليب حبيب مبعوث الرئيس الأمريكي رونالد ريجان التي انتهت في ١٩٨١ بإقرار اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي دام عاما واحدا فقط.

أنهت إسرائيل هذا الاتفاق بعد محاولة اغتيال سفيرها في بريطانيا شلومو أرجوف في منتصف ١٩٨٢ (التي نفذها أبو نضال المنشق عن منظمة التحرير). قادت المحاولة إلى غزو إسرائيل للبنان في ٦ حزيران ١٩٨٢ وهدفها المعلن حماية شمال إسرائيل من الهجمات الفدائية. فغزا الجيش الإسرائيلي لبنان واحتل بيروت. توسطت الولايات المتحدة وحكومات الدول الأوربية لإنهاء حصار بيروت وأخيرا تم التوصل إلى اتفاق يضمن العبور الآمن لمقاتلي فتح بحماية القوات متعددة الجنسيات واستقرارهم في تونس. وخلال هذه الحرب نفذت ميليشيات الكتائب المسيحية مذبحة صبرا وشاتيلا التي راح ضحيتها بين ٧٠٠-٣.٥٠٠ فلسطيني أعزل بينما كانت القوات الإسرائيلية تحيط بالمخيمين بدباباتها وتسيطر على مداخلهما ومخارجهما. وقد تعرضت إسرائيل لانتقادات داخلية وخارجية واسعة بسبب تورطها في الحرب اللبنانية ومسؤوليتها غير المباشرة عن المذبحتين. وقد تم تشكيل لجنة تحقيق إسرائيلية للتحقيق في الحادث وتوصلت اللجنة إلى أن القيادة العسكرية الإسرائيلية بضمنها وزير الدفاع أريل شارون كانوا على علم بحصول مذبحة في المخيمين لكن دون أن تتخذ أي إجراءات جدية لوقفها. وأدى ذلك إلى تقديمه الاستقالة من منصبه. وفي ١٩٨٥ سحبت إسرائيل معظم قواتها من لبنان وأبقت جزءا منها مع ميليشيا جيش لبنان الجنوبي المدعوم من إسرائيل في جنوب لبنان لتكون منطقة عازلة تمنع وصول الهجمات إلى حدودها الشمالية.

في نفس هذه الفترة قادت منظمة التحرير حملة دبلوماسية دولية واسعة ضد إسرائيل. وبعد حادثة اختطاف السفينة الإيطالية أخيل لارو[1] في ت١ ١٩٨٥ ومقتل

---

(١) في ٧ ت١ ١٩٨٥، استولى خمسة عناصر من جبهة التحرير العربية على السفينة الإيطالية أخيل لارو التي غادرت الإسكندرية متوجهة إلى بور سعيد بمصر. أمر الخاطفون السفينة بالتوجه إلى ميناء طوروس السوري وطالبوا بإطلاق سراح ٥٠ أسيرا فلسطينيا لدى إسرائيل. رفض السوريون رسوها في مينائهم فعادت إلى بورسعيد. وبعد يومين من المفاوضات وافق الخاطفون على ترك السفينة =

ثلاثة إسرائيليين على سواحل لارناكا بقبرص، قصفت إسرائيل مقر قيادة منظمة التحرير في تونس وقتلت ١٠٠ من أعضائها مع عدد من المدنيين التونسيين. وقد أدان مجلس الأمن ومعظم دول العالم بما فيها الولايات المتحدة هذه العملية كونها تمثل خرقا لميثاق الأمم المتحدة واعتداءا على الأراضي التونسية.

أدى الاحتلال الإسرائيلي وسياسة الاستيطان المستمرة في الضفة والقطاع إلى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ك١ ١٩٨٧ ولم تتوقف حتى مؤتمر مدريد في ١٩٩١ رغم أعمال القمع التي مارستها إسرائيل لإخمادها. تميزت هذه الانتفاضة بكونها شملت جميع الأراضي المحتلة وكانت بأشراف منظمة التحرير الفلسطينية واستخدم الشباب الفلسطيني فيها الحجارة ضد القوات الإسرائيلية المدججة بالأسلحة الثقيلة. كانت حصيلة الانتفاضة الأولى مقتل ١.٥٥١ فلسطينيا و٤٢٢ إسرائيليا. وخلال هذه الانتفاضة تأسست حركة حماس على يد أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي. ومنذ ذلك الحين دخلت حماس في الكفاح المسلح ضد إسرائيل ونفذت العديد من العمليات ضد الإسرائيليين.

تعتبر عملية السلام في أوسلو بالنرويج التي بدأت في ١٩٩٣ نقطة تحول كبرى في النزاع. فبموجب اتفاقيات أوسلو سمح لمنظمة التحرير الفلسطينية بإقامة سلطة ذاتية فلسطينية ومؤسسات حكومية لإدارة الشؤون الفلسطينية في الضفة والقطاع مقابل الاعتراف بإسرائيل والتعايش المشترك معها. ولم تثبت الظروف والأحداث

= مقابل تأمين نقلهم إلى تونس. فغادروا مصر على متن طائرة مصرية. أمر الرئيس الأمريكي ريجان باعتراض الطائرة وتم إنزالها في قاعدة جوية تابعة للناتو بجزيرة صقلية. ألقت الشرطة الإيطالية القبض على الخاطفين بينما سمح لزعيمهم أبي العباس بالاستمرار برحلته إلى تونس. حكمت السلطات القضائية الايطالية على أربعة منهم بالسجن ثلاثين عاما وأدين أبو العباس بجريمتي القتل والخطف. وبعد غزو العراق في ٢٠٠٣ ألقت القوات الأمريكية القبض عليه ومات في السجن في ٨ آذار ٢٠٠٤. استمرت السفينة في الخدمة حتى غرقت قبالة السواحل الصومالية في ١٩٩٤.

اللاحقة قبول القادة الفلسطينيين بوجود إسرائيل ولا التزام إسرائيل بوقف النشاط الاستيطاني في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة.

وفي ك٢ ١٩٩٧، وقع نتنياهو برتوكول الخليل مع السلطة الفلسطينية الذي تم بموجبه إعادة نشر القوات الإسرائيلية في الخليل وتسليم السلطة المدنية في المنطقة إلى السلطة الفلسطينية.

وبعد مذبحة كهف البطاركة[1] في الخليل، تصاعد التوتر بين الطرفين وشنت حماس سلسلة من الهجمات الانتحارية ضد العسكريين والمدنيين الإسرائيليين على السواء في العديد من الأماكن داخل إسرائيل. ومنذ ذلك الحين أخذت حماس تستخدم هذا الأسلوب كنهج عمل نظامي ضد إسرائيل. ومع تصاعد العنف وضعف الأمل في الحل الدبلوماسي، عقدت قمة كامب ديفيد بين إيهود باراك وياسر عرفات برعاية الرئيس الأمريكي كلنتون في تموز ٢٠٠٠ بهدف التوصل لاتفاق نهائي حول الوضع. عرض الأمريكيون والمفاوضون الإسرائيليون مقترحا لحل الصراع. فقد عرض باراك مقابل السلام، إعطاء كامل قطاع غزة للسلطة الفلسطينية وجعل عاصمتها في جزء من القدس الشرقية وتسليم ٧٣٪ من الضفة إلى السلطة لتصل النسبة إلى ٩٠-٩٤٪ بعد ١٠- ١٥ سنة ومنح تعويضات مالية للاجئين الفلسطينيين. رفض الرئيس الفلسطيني عرفات هذا المشروع وانهارت القمة.

---

(١) في ٢٥ شباط ١٩٩٤، فتح باروخ جولد شتاين النار على حشد من المصلين المسلمين في جامع كهف البطاركة في الخليل بالضفة الغربية. والمذكور مستوطن يهودي إسرائيلي من أصل أمريكي ونقيب احتياط في الجيش الإسرائيلي وعضو في حركة كاخ المتطرفة. أسفر الحادث عن مقتل ٥٢ فلسطينيا وجرح ١٢٥ آخر. وتقول المصادر الإسرائيلية أن عدد القتلى هو ٣٩ فقط بضمنهم جولد شتاين نفسه الذي قتله المصلون ضربا. أدانت معظم دول العالم هذا الحادث بضمنها إسرائيل نفسها ووعدت بتعويض أسر الضحايا.

وبعد فشل اتفاقيات أوسلو في إقامة الدولة الفلسطينية، اندلعت الانتفاضة الثانية في أيلول ٢٠٠٠، والتي ظلت مشتعلة حتى هذا اليوم وكانت أكثر عنفا من الانتفاضة الأولى.

وصعدت إسرائيل من حملة الاغتيالات التي تنفذها ضد ناشطي حماس وسبب ذلك خلافا شديدا داخل إسرائيل وخارجها. ففي البداية كانت حملتها موجهة ضد الناشطين الذين تعتبرهم "قنابل موقوتة"، ولكن بمرور الوقت أخذت توجهها نحو الذراع السياسي للحركة. وفي حزيران ٢٠٠٢، شرعت إسرائيل ببناء جدار الضفة الغربية على امتداد الخط الأخضر الحدودي. ونتيجة ذلك انخفضت الهجمات الفلسطينية ضد الإسرائيليين بنسبة ٩٠٪. لكن هذا الجدار العازل أصبح قضية خلافية كبرى بين الطرفين.

وفي ٢٠٠٣، أعلن أريل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي خطة انسحاب من جانب واحد من غزة كانت محل خلاف كبير. وبموجبها يتحتم على إسرائيل إنهاء وجودها المدني والعسكري في قطاع غزة (وبالتحديد تدمير ٢١ مستوطنة مع أربع مستوطنات أخرى في الضفة الغربية)، لكن مع الاستمرار في الأشراف ومراقبة الحدود الخارجية للمنطقة باستثناء معبر حدودي مع مصر حيث يدار بشكل مشترك بين السلطة الفلسطينية والاتحاد الأوربي. كما أبقت سيطرتها على مطار غزة. وادعت الحكومة الإسرائيلية أنها بهذه الخطة أنهت كل سبب للقول بأن قطاع غزة لا يزال أرضا محتلة.

والذي عقّد عملية السلام أكثر، انتصار حماس في انتخابات ٢٠٠٦ لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني وارتقاء إسماعيل هنية لمنصب رئيس الوزراء. وقد صرحت حماس علنا أنها لا تعترف بحق إسرائيل في الوجود رغم أنها أعربت عن موافقتها لعقد هدنة طويلة الأمد معها. كما أدى نصر حماس الانتخابي إلى اندلاع

شرارة النزاع بين فتح وحماس الذي قاد إلى سيطرة حماس على غزة. ومنذ سيطرتها على القطاع، دخلت في صراع جدي مع إسرائيل.

لقد فرضت عملية سلام أوسلو على الجانبين العمل وفق حل إقامة دولتين إسرائيلية وفلسطينية. مع ذلك حصلت خلال عملية السلام هذه العديد من أعمال العنف من الجانبين. يدعي الإسرائيليون أنهم لا يفعلون سوى الرد على أعمال العنف الفلسطينية. ويدعي الفلسطينيون أنهم يمارسون حقهم المشروع في مقاومة انتهاك إسرائيل للحقوق الفلسطينية والسيادة السياسية. وفي نفس الوقت يعبر كلا الطرفين عن استيائه وتظلمه من الطرف الآخر. فتحتج إسرائيل بالقول أن الفلسطينيين يرعون ويمولون الإرهاب ضد إسرائيل. ويشكو الفلسطينيون أن إسرائيل تنتهك حقوق الفلسطينيين باستمرار مما يجعل من الصعب إقناع المواطن الفلسطيني العادي بقبول إسرائيل.

وبعد فوز حماس في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني في ٢٠٠٦، قطعت الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوربية كل أشكال الدعم المالي إلى السلطة الفلسطينية. وقد وضعت الولايات المتحدة ثلاثة شروط على الحكومة الفلسطينية تلبيتها قبل استئناف المساعدات المالية لها: أولا- إنهاء العنف، وثانيا- الاعتراف بإسرائيل، وثالثا- الالتزام بخطة خارطة الطريق لتحقيق السلام. بينما يقول الفلسطينيون أن الولايات المتحدة وإسرائيل نفسهما لم يلتزما بهذه الشروط، وإن موافقة إسرائيل على خارطة الطريقة مشروطة بأربعة عشر تحفظا مما يجعلها خالية من المحتوى. إضافة إلى ذلك، فأن العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين متواصل دون انقطاع رغم المفاوضات. بينما تؤكد إسرائيل أن عملياتها العسكرية ضد غزة في ٢٠٠٧ جاءت رداً على هجمات حماس الصاروخية المستمرة على مدينة سديروت والمدن الإسرائيلية الأخرى.

وفي بداية ٢٠٠٧، التقت حماس وفتح في العربية السعودية وتوصلتا لاتفاق لتوحيد الحكومة الفلسطينية. وفي آذار مارست الحركتان سلطاتهما تحت حكومة ائتلافية موحدة جديدة. لكن ظل الجدل دائرا حول فيما إذا كانت السلطة الجديدة طرفا مؤهلا للتفاوض وهل يجب رفع العقوبات عنها. وعندما أنهار ائتلاف فتح-حماس وحصل النزاع المسلح بينهما تغير الجدل ليصبح هل تعتبر فتح الحالية طرفا مؤهلا للتفاوض أم لا؟

وفي حزيران ٢٠٠٧، هزمت حماس، فتح عسكريا في قطاع غزة. يقول بعض المحللين السياسيين أن فتح حاولت القيام بانقلاب للإطاحة بحماس بتمويل ودعم من الولايات المتحدة وإسرائيل والأردن ومصر بتخطيط من مستشار الأمن القومي الأمريكي للاستراتيجية الديمقراطية العالمية إليوت أبرامز وبقيادة محمد دحلان. وقد انضمت عدة مجموعات للقتال إلى جانب فتح ضد حماس. وبعد معارك عديدة فر قادة فتح إلى مصر والضفة الغربية بينما ألقت حماس القبض على الآخرين وقتلتهم. ظلت فتح تسيطر على الضفة الغربية وشكل الرئيس عباس حكومة ائتلافية جديدة يقول بعض منتقدي فتح أنها تمثل خرقا للدستور الفلسطيني لأنها استبعدت حزب الأغلبية، حماس.

انتقدت الولايات المتحدة وإسرائيل والعديد من حكومات العالم، حماس لعدم اعترافها بإسرائيل. وقد دعمت هذه الحكومات، الرئيس عباس وفتح لتبنيهما مواقف مؤيدة للاعتراف بالدولة العبرية. وتؤيد الأمم المتحدة والمحكمة الجنائية الدولية وغالبية المجتمع الدولي عقد اتفاق سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين قائم على القوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة والاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير وبحقوق الإنسان.

وفي مايس ٢٠٠٨، عرض توني بلير خطة سلام جديدة تضمن حقوق الفلسطينيين وتقوم على مبادئ مشروع وادي السلام (وادي عرفة).

وفي ك١ ٢٠٠٨، شنت إسرائيل عملية عسكرية تسميها الرصاص المصهور ضد حماس في غزة تقول أنها تأتي ردا على هجمات حماس بقنابر الهاون وصواريخ القسام على الأراضي الإسرائيلية. بينما تقول حماس أن إسرائيل هي التي خرقت اتفاقية الهدنة التي دامت أربعة أشهر وذلك عندما شنت غارة جوية في ٤ ت٢ ٢٠٠٨ وقتلت ستة عناصر من حماس مما اضطر الأخير للرد على هذا الهجوم. وكانت إسرائيل تهدد منذ أشهر أنها لن تتسامح مع العنف المستمر الموجه ضد مواطنيها. ولم تكف حماس عن قصف المدن الإسرائيلية. وقد وجه العديد من قادة العالم بضمنهم بعض القادة العرب اللوم لحماس لحصول هذه الجولة من العنف. كما لاقت إسرائيل انتقادات عنيفة للقسوة المفرطة في استخدام القوة في الوقت الذي تشير فيه تقارير الجيش الإسرائيلي أنه لا يمكن تجنب إصابة المدنيين لأن ميليشيات حماس تنتشر في المناطق المدنية المزدحمة بالسكان. وبموجب تقديرات الأمم المتحدة فأن أكثر من نصف عدد القتلى الفلسطينيين هم من المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ.

ورغم وجود مفاوضات هدنة بين حماس وإسرائيل، لكن الأخيرة تعتبرها منظمة إرهابية إسلامية ومن الصعب إجراء اتصالات ومفاوضات بين الطرفين. ويقول مصدر إسرائيلي أن الهدف من هذه العملية منع حماس من إطلاق الصواريخ على المناطق المدنية الإسرائيلية وإضعاف سيطرتها حتى تتمكن فتح الأكثر اعتدالا من إعادة سيطرتها على غزة ويمهد الطريق في المستقبل أمام إجراء مفاوضات سلام جدية بين الفلسطينيين والإسرائيليين[1].

---

(١) أنظر موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Israeli-Palestinian_conflict

وكذلك: http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Arab-Israeli_conflict

الحركات المسئولة عن تنفيذ هجمات انتحارية داخل فلسطين:

١ـ حركة المقاومة الإسلامية (حماس):

شعار الحركة

تأسست حماس في ١٩٨٧ كمنظمة اجتماعية وتربوية داخل الفرع الفلسطيني من حركة الأخوان المسلمين المصرية. وقد أسسها الشيخ أحمد إسماعيل ياسين (١٩٣٨-٢٠٠٤) وعبد العزيز الرنتيسي ١٩٤٧-٢٠٠٤ ومحمد طه (١٩٦٣- ...) في بداية الانتفاضة الأولى.

وتشير مصادر متعددة منها وكالة يونايتد بريس الأمريكية والخبير الفرنسي- الأمريكي في شؤون النزاعات المسلحة والإرهاب جيرارد كاليان وصحيفة لا هيومانتيه الفرنسية الشيوعية أن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) قد دعمت وشجعت على تأسيس حركة حماس لتكون عنصرا موازنا لمنظمة التحرير الفلسطينية. وتقول صحيفة لا كانار إنشين الفرنسية أن جهاز الأمن الإسرائيلي (الشين بيت) قد دعم حماس لتقاوم نفوذ فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية. ويعتقد أن هذا جاء محاولة منه لإضفاء صبغة دينية على الصراع لجعل الغرب يؤمن أنه دائر بين اليهودية والإسلام، وربما لدعم وتأييد نظرية صدام الحضارات. وفي حديث أمام لجنة الدفاع والشؤون الخارجية

بالبرلمان الإسرائيلي (الكنيست)، قال رئيس الوزراء إيهود أولمرت: "لقد أسس ناتنياهو، حماس، وأحياها، وأطلق سراح الشيخ ياسين، ومنحه الفرصة ليبرز ويتطور".

فبعد حرب حزيران ١٩٦٧، ربما تكون إسرائيل قد حاولت استغلال الإسلام السياسي كقوة موازنة لفتح باعتبار الأخيرة حركة سياسية علمانية. وخلال الفترة الممتدة من ١٩٦٧ لغاية ١٩٨٧ وهو تأريخ تأسيس حماس، تضاعف عدد الجوامع في غزة من ٢٠٠ إلى ٦٠٠ خلال هذه الفترة. وأسس أحمد ياسين نفسه في غزة المجمع الإسلامي ويضم جامعا ومنشآت اجتماعية وثقافية متعددة. ويسمي الأخوان المسلمون الفترة بين ١٩٧٥-١٩٨٧ مرحلة بناء المؤسسة الاجتماعية. ونتيجة ذلك اتسعت المعارضة المسلحة أحيانا لفتح ولمنظمة التحرير الفلسطينية، في الشوارع والمدارس والجامعات.

ولد أحمد ياسين في قرية الجورة بعسقلان التي دمرتها إسرائيل في ١٩٤٨ وانتقلت أسرته إلى غزة. وفي سن الثانية عشر، تعرض لحادث أثناء اللعب سبب شلل أطرافه الأربعة وجعله أسير كرسيه المتحرك لباقي عمره. وفي سن ١٨ التحق بجامعة الأزهر في القاهرة حيث انضم هناك لحركة الأخوان المسلمين المصرية.

ورثت حماس أفكار ومبادئ تنظيم الأخوان المسلمين. فكان هدفها العام إقامة مجتمع إسلامي صالح من خلال تطوير البنى الاجتماعية السليمة. وقد أكدت على الوحدة بين المسلمين ونبذت التكفير الذي تتبناه بعض الجماعات السلفية كجماعة أسامة بن لادن. وقد امتنعت في البداية من الدخول في ميدان العمل السياسي وركزت نشاطها على المواعظ والخطب الدينية والدعوة إلى الإسلام. لكن هدفها السياسي هو إعادة فلسطين إلى الفلسطينيين وإقامة دولة إسلامية على أرض فلسطين. ولم يكن برنامجها الأساس عسكريا، بل كانت برامجها اجتماعية وتربوية وخيرية.

ظهرت مفردة "حماس" لأول مرة بعد اندلاع الانتفاضة الأولى بقليل في منشور اتهم أجهزة المخابرات الإسرائيلية بتقويض النسيج الأخلاقي للشباب الفلسطيني من خلال تجنيدها للعملاء من أوساطهم. وفي ١٩٩٢ أسس قادة الحركة جناحا داخل الحركة للعمل العسكري أسموه كتائب عز الدين القسام. وسرعان ما حظيت الحركة بدعم الشعب الفلسطيني. ونتيجة المعاناة الشديدة للشعب الفلسطيني واستفزاز أريل شارون له من خلال استدعاء قواته وتأكيد السلطة الإسرائيلية على الحرم الشريف، اندلعت الانتفاضة الثانية ودخلت حماس في العمل العسكري المسلح ضد إسرائيل. وفي التسعينيات أصبحت الحركة ملجأ وملاذا للمعارضين لاتفاقيات وقادة أوسلو.

وفي ١٩٩٢ أسست حماس الاتحاد الإسلامي للعمال، وفي ١٩٩٧ أسست الجمعية الطبية العلمية التي من مهامها تقديم الخدمات الطبية للمواطنين والأشراف على بنك الدم، ثم أسست جمعية العلوم والثقافة التي تقدم خدماتها التعليمية من مرحلة الروضة إلى المرحلة الثامنة إلى أبناء غزة. وقد كان لهذه المنظمات دورا كبيرا في تحشيد الدعم للحركة في مختلف الأوساط الشعبية.

يتكون ميثاق حماس الذي صدر في ١٨ آب ١٩٨٨ من ٣٦ مادة، ومعظمها تؤكد على تدمير إسرائيل وإقامة دولة إسلامية على أرض فلسطين. ففي الديباجة تقتبس الحركة مقولة مؤسس تنظيم الأخوان المسلمين حسن البنا: "ستقوم إسرائيل وستظل قائمة إلى أن يبطلها الإسلام كما أبطل ما قبلها". وتستشهد في مادتها السابعة بحديث الرسول (ﷺ):

"لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ".

وتقول المادة الحادية عشرة من الميثاق:

" تعتقد حركة المقاومة الإسلامية أن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية، لأن فلسطين أرض وقف إسلامي على الأجيال الإسلامية إلى يوم القيامة".

وتقول المادة الثالثة عشرة:

"تتعارض المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين".

ومن هنا فهي لا تعترف بوجود إسرائيل كدولة وتعتقد أن المفاوضات معها تفريطا بفلسطين وبحقوق الشعب الفلسطيني وأنه يجب مواجهة المشروع الصهيوني بالجهاد والكفاح المسلح، وهو فرض عين على كل مسلم في البلاد الإسلامية.

وقد وضعت الولايات المتحدة وكندا ودول الاتحاد الأوربي واليابان حماس على قائمة الحركات الإرهابية في العالم. وفي ١٩٩٩، حظرت الأردن نشاط الحركة على أراضيها، ويقال أنه جاء بناءا على طلب الولايات المتحدة وإسرائيل والسلطة الفلسطينية. بينما وضعت أستراليا والمملكة المتحدة الجناح العسكري للحركة "كتائب عز الدين القسام" على قائمة الحركات الإرهابية.

وفي انتخابات المجلس التشريعي لعام ٢٠٠٦، فازت الحركة بأغلبية كبيرة أنهت بها سيطرة فتح على المشهد الفلسطيني وأهلتها لتشكيل حكومة، فحصلت على ٧٦

مقعدا من مجموع ١٣٢. بينما حصلت فتح على ٤٣ مقعدا. وفي ٢٠ آذار ٢٠٠٦ شكل إسماعيل هنية أول حكومة فلسطينية تقودها حماس. وبعد النصر الانتخابي الذي حققته حماس، اندلعت أعمال عنف بين حماس وفتح. وفي ٧-١٥ حزيران ٢٠٠٧ نشبت معركة غزة بين الطرفين راح ضحيتها ١١٨ شخصا وأكثر من ٥٥٠ جريحا انتهت بسيطرة حماس على قطاع غزة وطرد فتح منه. وفي ١٨ حزيران ٢٠٠٧، أصدر الرئيس الفلسطيني مرسوما بحظر ميليشيات حماس. فرضت إسرائيل بعدها حصارا اقتصاديا على القطاع، وردت حماس بإطلاق صواريخ القسام على المناطق الحدودية القريبة من غزة. ثم أقال الرئيس الفلسطيني، رئيس الوزراء إسماعيل هنية وعين سلام فياض بدلا منه. استقالت حكومة الأخير في ١١ آذار ٢٠٠٩ تمهيدا لتسوية بين الطرفين تنهي حالة الانقسام الفلسطيني.

وفي يوم ٢٧ ك١ ٢٠٠٨، شنت إسرائيل عملية عسكرية واسعة ضد حماس انتهت في ١٧ ك٢ ٢٠٠٩، وكانت حصيلتها ١.٢٨٤ قتيلا فلسطينيا منهم ٨٩٤ مدنيا و٢٨٠ دون سن الثامنة عشر ١٦٧ شرطيا فلسطينيا. وتقول إسرائيل أنها قتلت ٥٠٠ مقاتلا من حماس.

يقدر مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي وهو مؤسسة غير حكومية أن ميزانية حماس السنوية تبلغ ٧٠ مليون دولار تأتي ٥٠٪ منها من المملكة العربية السعودية. ويشير تقرير وزارة الخارجية الأمريكية أن معظم تمويل حماس يأتي من إيران والمغتربين الفلسطينيين والمحسنين من العربية السعودية وباقي الدول العربية. وهناك فصل واضح للأموال بين المخصصة للأغراض العسكرية والأخرى المخصصة للأغراض الاجتماعية والسياسية. تأتي معظم الأموال المخصصة للنشاطات العسكرية والبالغة بحدود ٣ مليون سنويا من إيران، بينما تستخدم أموال الصدقات القادمة من السعودية ودول الخليج الأخرى للأغراض السياسية والاجتماعية.

تمتلك حماس محطة فضائية هي الأقصى وتقول أنها مؤسسة إعلامية مستقلة لا تعبر عن وجهة نظر الحكومة الفلسطينية التي يرأسها إسماعيل هنية أو قادة الحركة الآخرين كخالد مشعل ومحمود الزهار.

تتهم جماعات حقوق الإنسان في غزة حكومة حماس بقمع المعارضين بوسائل وحشية. وفي ٢٦ آب ٢٠٠٧، اتهمت صحيفة التلغراف البريطانية حماس باستخدام أساليب إجرامية بما فيها التعذيب مع المعارضين لسياساتها. وفي ٨ شباط ٢٠٠٨، منعت حماس توزيع صحيفة اليوم وأغلقت مكاتبها في غزة بعد نشرها كاريكاتورا يسخر من نواب حماس في المجلس التشريعي، وأصدرت الحركة أمرا باعتقال رئيس التحرير(١).

نفذت حماس خلال التسعينيات والألفينات العديد من الهجمات الانتحارية وكما يلي:

السنة	عدد العمليات الانتحارية	عدد القتلى الإسرائيليين
١٩٩٣	١	٢
١٩٩٤	٤	٣٨
١٩٩٥	٣	١٠
١٩٩٦	٤	٥٩
١٩٩٧	٣	٢٤

(١) أنظر:

Sherifa Zuhur, Hamas and Israel, Conflicting Strategies of Group-Based Politics, Strategic Studies Institute, US Army,
http://www.strategicstudiesinstitute.army.mil/Pubs/Display.Cfm?pubID=894
وكذلك: http://www.answers.com/topic/hamas

١٩٩٩	٢	لم تسجل إصابات
٢٠٠٠	١	لم تسجل إصابات
٢٠٠١	١٤	٧٨
٢٠٠٢	٢٢	١٤١
٢٠٠٣	١٠	٨٩
٢٠٠٤	٤	٣١
٢٠٠٥	٢	١٠
العدد الكلي	٧٠	٤٨٠

أما أكبر هذه العمليات من حيث عدد القتلى فهي التالية:

٢ـ عملية ناتانيا:

وتعرف أيضا باسم عملية عيد الفصح. وحصلت ليلة ٢٧ آذار ٢٠٠٢ التي تصادف عيد الفصح لدى اليهود. وكان فندق بارك بناتانيا وسط إسرائيل قد أقام مأدبة الفصح الشهيرة لدى اليهود لنزلائه البالغ عددهم ٢٥٠ شخصا في مطعمه في الدور الأرضي. دخل الانتحاري من بوابة الفندق واجتاز حراس الأمن وسار في الممر أمام مكتب الاستقبال ودخل مطعم الفندق وفجر الحقيبة التي يحملها والمحملة بالمتفجرات. قتل في الحال ٢٨ شخصا وجرح ١٤٠ آخر، كانت إصابات ٢٠ منهم خطيرة. توفي اثنان في وقت لاحق. والغالبية العظمى من الضحايا هم من كبار السن الذين تتراوح أعمارهم بين ٦٠-٩٠ عاما. أعلنت حماس مسؤوليتها عن العملية. وتبين أن الانتحاري هو عبد الباسط عودة (٢٥ عاما) من مدينة طولكرم بالضفة الغربية. وقالت أن الهدف من العملية هو الرد على مبادرة السلام التي طرحتها الحكومة السعودية في قمة بيروت.

وبعد هذا الهجوم، استدعى أريل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي ٢٠.٠٠٠ من قوات الاحتياط وفي اليوم التالي شن عملية عسكرية على الضفة الغربية. وفي ٣-١١ نيسان ٢٠٠٢ حصلت معركة جنين التي راح ضحيتها أكثر من ٥٣ فلسطينيا معظمهم من المدنيين ومئات الجرحى و٢٠٠ أسير فلسطيني. وفي ٥ نيسان قُتل قيس عدوان الذي تتهمه إسرائيل بكونه المسئول عن شبكة الانتحاريين التي نفذت هذا التفجير. وكان متواجدا في منزله في مدينة الطوباس التي تبعد ٧٠ كيلومترا شمال القدس، عندما هدم بلدوزر إسرائيلي مدرع منزله وهو داخله رافضا الاستسلام. وفي مايس ٢٠٠٢، ألقت إسرائيل القبض على ما تدعي أنه العقل المدبر للعملية عباس السيد. وفي ٢٢ أيلول ٢٠٠٥، أدين قضائيا بالسجن مدى الحياة ٣٥ مرة عن كل قتيل ومددا أيضا عن الجرحى.

وفي آذار ٢٠٠٨، ألقى الجيش الإسرائيلي القبض على القيادي الفلسطيني من حماس عمر جابر الذي تتهمه بتدبير العملية.

وقد أدانت السلطة الفلسطينية هذا الهجوم قائلة: "أن القيادة تدين بشدة عملية ناتانيا ضد المدنيين الإسرائيليين وقررت مقاضاة المتورطين بها"(١).

٣ـ تفجيرات خط باصات ١٨ بالقدس:

في صبيحة يوم ٢٥ شباط ١٩٩٦ فجر انتحاري نفسه في خط الباصات رقم ١٨ في شارع يافا قرب محطة الباصات الرئيسة بالقدس. قتل في الحادث ٢٦ شخصا

(١) أنظر تقرير محطة السي أن أن في ٢٦ آذار ٢٠٠٨

Alleged Passover Massacre Plotter Arrested منشور على موقع المحطة:

http://edition.cnn.com/2008/WORLD/meast/03/26/israel.hamas /

وكذلك تقرير الديلي تلغراف في ٢٩ آذار ٢٠٠٢:

http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/israel/1389228/Hotel-blast-survivors-relive-the-Passover-massacre.html

وجرح ٤٨ آخر وكان من بين القتلى عددا من رعايا الولايات المتحدة ورومانيا وأثيوبيا. يقال أن الهجوم كان بتوجيه من محمد ضيف القيادي في حماس وقد صنع المتفجرات عدنان الغول. وقد ظل الأول من أكثر الأشخاص المطلوبين لإسرائيل لسنين عدة. وفي ١٢ تموز ٢٠٠٦ شنت الطائرات الإسرائيلية غارة جوية على منزل بغزة يجتمع فيه عدد من قيادات حماس. لكنه نجا من القصف كما نجا من خمس غارات سابقة لكنه أصيب إصابة بالغة في عموده الفقري تركته مشلولا. وفي ٦ أيلول ٢٠٠٦ قالت صحيفة الوفد المصرية أن السلطات المصرية قد ألقت القبض عليه عند محاولته الدخول غير المشروع إلى مصر لتلقي العلاج. وقتل عدنان الغول في ٢١ ت١ ٢٠٠٤ بغارة جوية إسرائيلية أخرى.

وفي صبيحة يوم ٣ آذار ١٩٩٦، فجر انتحاري آخر نفسه في نفس خط الباصات وقتل هذه المرة ١٩ إسرائيليا وجرح ٧ آخرين. وقد أعقبت هاتان العمليتان موجة من العمليات الانتحارية التي كلفت الإسرائيليين أكثر من ٦٠ قتيلا وكان لها تأثيرا عميقا لدى الرأي العام الإسرائيلي والانتخابات النيابية في مايس التالي.

وقد رفعت الأسر الأمريكية لضحايا الحادث دعوى ضد إيران لدعمها للهجوم، وفي ٢٠٠٠ صدر حكم قضائي بتعويضها بـ٣٢٧ مليون دولار. ومنعت إدارة كلنتون حجز بعض الموجودات الإيرانية بالولايات المتحدة وبيعها لأستحصال مبالغ التعويض. وفي ٢٠٠٦ نجحت أسرة ضحية أمريكية أخرى تطالب بـ٩٠٠ مليون دولار كتعويض من الحصول على حكم قضائي من محكمة إيطالية لتجميد بعض الموجودات الإيرانية في إيطاليا[1].

(١) تقرير صادر عن وزارة الخارجية الإسرائيلية منشور على موقعها:

www.mfa.gov.il/MFA/Terrorism-٢٪.BObstacle%2Bto٢٪.BPeace/Palestinian%2Bte-rror%2Bbefore%2B ٢٠٠٠

وأيضا تقرير صحيفة النيويورك تايمز في ١٢ نوفمبر ٢٠٠٩ بعنوان :

US Judge Orders Iran to Pay Families of Bombing Victims

منشور على موقع الصحيفة: http://www.nytimes.com

٤ ـ حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين:

شعار الحركة

تأسست الحركة على يد بعض أعضاء تنظيم الأخوان المسلمين المصري بعد إن وجدوا أن التنظيم لم يبذل الجهد الكافي في سبيل القضية الفلسطينية. لهذا كوّن فتحي الشقاقي ١٩٥١-١٩٩٥ وعبد العزيز عودة وبشير موسى في السبعينيات جماعة إسلامية للكفاح من أجل تحرير فلسطين وتدمير إسرائيل. وقد نفذ الشقاقي وعودة عدة عمليات عسكرية انطلاقا من مصر إلى أن تم طردهم منها بعد اغتيال الرئيس المصري السابق أنور السادات. مارست الحركة نشاطها من أراضي غزة حتى تم طردها أيضا إلى لبنان في ١٩٨٧ . وفي لبنان، تلقت التدريب على يد مقاتلي حزب الله اللبناني ووطدت علاقاتها مع الحزب. وأثناء وجودها هناك تبنت أسلوب الهجمات الانتحارية كطريق لتحقيق أهدافها. وفي ١٩٨٩، نقلت مقراتها إلى دمشق التي ظلت فيها إلى يومنا هذا. وجناحها العسكري هو كتائب القدس.

توجد للحركة فروع في بيروت وطهران والخرطوم. ويعتقد أنها تمول من سوريا وإيران. وميدان عملها الأساس هو الضفة الغربية وقطاع غزة لكنها أيضا نفذت عدة عمليات في الأردن ولبنان. وتقع معاقلها الرئيسة في مدن الخليل وجنين

بالضفة الغربية. يبلغ عدد أعضاء الحركة بين ٥٠-١٠٠ عضوا إضافة إلى عدد كبير من المتطوعين والانتحاريين. ونتيجة لحجمها الصغير، فهي لا تدير معسكرات تدريب كبيرة وتعتمد بدلا من ذلك إلى حد كبير على المنظمات الأخرى وخاصة حزب الله.

وتشترك حركة الجهاد الإسلامي مع حماس بكونهما يعملان على إعادة "الدين الحق" إلى العالم الإسلامي وعلى إنهاء إسرائيل كدولة. ويأتي الخلاف بينهما في ترتيب الأولويات فقط. فحركة الأخوان المسلمين ترى أن الجهاد فريضة على كل مسلم وأنه يجب أولا إقامة الإسلام الصحيح في العالم الإسلامي. وبعد تحقيق هذا الهدف، يجب توجيه الجهاد صوب إسرائيل. بينما قلبت حماس هذه الأولويات وقالت أنه يجب أن يوجه الجهاد أولا نحو تحرير كامل فلسطين وبعدها يوجه المسلمون اهتمامهم نحو هدف استعادة "الدين الحق" لباقي العالم الإسلامي. وقد تأسست الجماعتان كفرعين لتنظيم الأخوان المسلمين وكلاهما يتلقيان التمويل من إيران. ولأن هدفهما مشتركا، فقد تعاونتا معا في تنفيذ عدد من الهجمات ضد إسرائيل بضمنها التفجير الانتحاري في بيت لد في شباط ١٩٩٥ الذي قتل فيه ثمانية إسرائيليين وجرح خمسون.

قاد فتحي الشقاقي الحركة لعقدين من الزمن حتى مقتله في مالطة في ت١ ١٩٩٥ على يد المخابرات الإسرائيلية. وغالبا ما تحاول المنظمة تنفيذ هجمات ضد إسرائيل في الذكرى السنوية لمقتله.

وخلال انتفاضة الأقصى التي بدأت في أيلول ٢٠٠٠، نفذت الحركة العديد من الهجمات الانتحارية ضد الإسرائيليين. ومعظمها حصلت في جنين بأشراف محمد طوالبه وعلي صفوري وثابت مرداوي. وقد دمرت إسرائيل مقرات الحركة في جنين خلال عمليتها العسكرية التي أسمتها الدرع الدفاعي في ٢٠٠٢. قتل طوالبه بواسطة

بلدوزر عسكري إسرائيلي في نفس العام بينما ألقت أجهزة الأمن الإسرائيلية القبض على صفوري ومرداوي.

وفي ٢٠ شباط ٢٠٠٣، ألقت السلطات الأمريكية القبض على البروفسور سامي العرين الأستاذ في هندسة الكمبيوتر في جامعة جنوب فلوريدا بعد اتهامه بخمسين تهمة لها علاقة بالإرهاب. ادعى النائب العام جون أشكروفت خلال مؤتمر صحفي أن الدكتور العرين هو قائد الجهاد الإسلامي الفلسطيني في أمريكا الشمالية. وفي ٦ ك١ ٢٠٠٦، برأته هيئة المحلفين من ثمان تهم واختلفت على الباقي. وفي ٢ آذار ٢٠٠٦، دفع العرين التهم بقوله أنه يساعد أعضاء منظمة الجهاد في نشاطات ليست لها علاقة بالعنف ولا بحركة الجهاد. حكم عليه بالسجن ٥٧ شهرا (٤ سنوات وتسعة أشهر)، قضى منها ٣٨ شهرا، وبترحيله بعد انتهاء المدة.

ويقال أن حركة الجهاد قد استخدمت أطفالا دون سن العشرين في عملياتها الانتحارية. ففي ٢٩ آذار ٢٠٠٤، ألقت أجهزة الأمن الإسرائيلية القبض على تامر خوير البالغ من العمر ١٦ عاما قرب ضواحي نابلس أثناء استعداده لتنفيذ عملية انتحارية. ادعى شقيقه أن أحد رجال دين حركة الجهاد قد غسل دماغه وطالب السلطة الفلسطينية بفتح التحقيق بالحادث والقبض على المسئولين عنه.

وبعد مقتل الشقاقي، قاد الحركة الشيخ عبد الله رمضان شلاح، الذي وضعه مكتب التحقيقات الفدرالي في ٢٤ شباط ٢٠٠٦ على قائمة أكبر الإرهابيين المطلوبين له.



الشيخ شلاح زعيم حركة الجهاد (اليمين)
مع خالد مشعل زعيم حماس (اليسار) (يعيشان في سوريا)

تعتبر إسرائيل الهدف الرئيس لنشاطات حركة الجهاد، لكنها ترى الولايات المتحدة والغرب بشكل عام أعداءً لها لدعمهم لإسرائيل. كما أنها تعارض الحكومات العربية المعتدلة ونفذت عدة هجمات في الأردن ولبنان ومصر.

استخدمت إسرائيل أسلوب الاغتيال للحد من هجمات الجهاد الإسلامي. فإضافة لاغتيالها لزعيم الحركة الشقاقي، قامت في ١٦ شباط ٢٠٠٨ باغتيال أيمن فايد أحد قادة الجهاد بضربة جوية، وفي ٣٠ ك١ ٢٠٠٨ نفذت ضربة أخرى في غزة مستهدفة كبار قادة حماس والجهاد الإسلامي حيث قتل أربعة من قادة الجهاد منهم زياد أبي طير، وفي ٥ آذار ٢٠٠٩، شنت غارة أخرى وقتلت أربعة مسلحين أحدهم خالد شعلان وهو أحد قادة الجهاد.

أعلنت حركة الجهاد مسؤوليتها عن العديد من الأعمال العسكرية منها أكثر من ٤٠ عملية انتحارية. وفي ٢٢ ك١ ٢٠٠١، أقسمت الجهاد رغم إعلان حماس وقف الهجمات الانتحارية داخل إسرائيل أنها ستستمر بحملتها الجهادية. وقال ممثلها في لبنان عماد الرفاعي: "إن موقفنا هو مواصلة الجهاد. ليس لنا خيار آخر. نحن لا نريد التسوية".

وفي ٩ حزيران ٢٠٠٧، قام أربعة مقاتلين من الجهاد الإسلامي وكتائب شهداء الأقصى بمحاولة فاشلة لاختطاف جندي إسرائيلي عند معبر كيسوفيم بين إسرائيل وقطاع غزة. قتل أحد المقاتلين وفر الباقون وفشلت العملية لكنها سببت احتجاجا دوليا واسعا. فقد ادعت السلطات الإسرائيلية أن المقاتلين قد استخدموا عجلة جيب مكتوب عليها "صحافة، تلفزيون"، لهذا سمح لها بعبور السياج الحدودي وهاجم ركابها برج مراقبة إسرائيلي. بينما أنكر أبو أحمد الناطق الرسمي باسم الجهاد وضعهم لعلامات الصحافة والتلفزيون على عجلة الجيب وقال: "إن كتائب القدس قد استخدمت عجلة جيب مدرعة مشابهة لعجلات الجيب التي تستخدمها قوات الأمن الإسرائيلية". وقد أظهرت صور التقطها مراسل الأسوشيتد بريس أثناء حصول الحادث كلمة "تلفزيون" مكتوبة باللون الأحمر في مقدمة عجلة الجيب.

وقالت مديرة الشرق الأوسط لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان سارة ليه وتسن: "إن استخدام عجلة عليها علامة الصحافة لتنفيذ هجوم عسكري يمثل خرقا جديا لقوانين الحرب ويضع الصحفيين في خطر"[1].

وقد نفذت الحركة جملة من العمليات الانتحارية وكما يلي:

السنة	عدد العمليات الانتحارية	عدد القتلى الإسرائيليين
١٩٩٥	١	٢١
١٩٩٦	١	١٣
٢٠٠١	١٠	٢٢

(١) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Islamic_Jihad_Movement_in_Palestine#history_and_background#history_and_background

وكذلك تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية : http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/1658443.stm

٢٠٠٢	٧	٤٥
٢٠٠٣	٥	٢٦
٢٠٠٥	٥	٢١
٢٠٠٦	٢	١١
٢٠٠٧	١	٣
العدد الكلي	٣٢	١٦٢

وأكبر عملياتها من حيث عدد القتلى هي:

٥ـ تفجير تقاطع بيت لد:

يقع تقاطع بيت لد ويسمى أحيانا تقاطع شارون على الطريق المؤدي إلى نتانيا. وهو من التقاطعات الحيوية بين تل أبيب وحيفا ويقع على الطريق السريع رقم ٤ والطريق ٥٧ في منطقة شارون بوسط إسرائيل وهو مكان مزدحم وملتقى لعشرات السيارات بمختلف أنواعها، وفي أيام الأحد يعج بآلاف الجنود الاحتياط العائدين بأجازة نهاية الأسبوع من مهامهم في الضفة الغربية. ويقع في زاويته الجنوبية الغربية سجن أشموريت حيث كان أحمد ياسين حينها معتقلا فيه.

في ١٩٩٤، استطاع هاني عبد وهو أحد قيادات الجهاد الإسلامي من إقامة تحالف مع حركة حماس. وقد اغتيل لاحقا على يد القوات الإسرائيلية. فقد صنّع يحيى عياش[1]، وهو كبير مصنعي القنابل لدى حماس، ثلاث قنابل من مواسير بطول قدم

(١) المهندس يحيى عياش ١٩٦٦-١٩٩٦ قائد كتيبة جبال نابلس في كتائب عز الدين القسام وكبير مصنعي القنابل في حركة حماس ويرجع إليه الفضل في تطوير أساليب العمليات الانتحارية الفلسطينية ضد إسرائيل. وقد قتلت القنابل التي صنعها أكثر من ٩٠ إسرائيليا. وهو خبير في الاختباء والتواري. وقد ظل لثلاث سنوات من أكثر المطلوبين لإسرائيل وهدفا لعمليات الاغتيال من قبلها. ويعتبر بطلا فذا لدى الفلسطينيين. ولد عياش في مدينة رافات (٤ كم عن رام الله) لأسرة =

= غنية نسبيا وهو أكبر ثلاثة أخوة، وكان يتميز بالتقوى والورع الشديد وحفظ القرآن وهو لا يزال صبيا. وفي شبابه ظهرت مواهبه في الأعمال الكهربائية والميكانيكية فعمل في تصليح الراديوات والتلفزيونات وما شابه ذلك. دخل جامعة بيرزيت في ١٩٨٧ وحصل على بكالوريوس في علوم الهندسة الكهربائية في ١٩٩١. متزوج ولديه طفل واحد. كان يخطط للحصول على شهادة الماجستير من الأردن لكن السلطات الإسرائيلية رفضت السماح لها بالمغادرة. فشعر بالخيبة والمرارة وخلال هذه الفترة التحق بحماس. وقد صنع عياش القنابل المستخدمة في معظم الهجمات الانتحارية لحماس ولبعض الهجمات لحركة الجهاد الإسلامي. ولأن مادة التي أن تي غير متوفرة بصورة عامة في الأراضي الفلسطينية، فقد كان يصنع متفجراته من مزيج من مادتي الأسيتون ومساحيق التنظيف وهذه متوفرة بكثرة في الأسواق المحلية. وتكون بعد خلطها مادة بيروكسيد الأسيتون وهي مادة متفجرة تعرف باسم "أم الشياطين" بسبب صعوبة السيطرة عليها.

وصل اسم عياش أسماع أجهزة الأمن الإسرائيلية بعد عملية انتحارية فاشلة في رامات عفال. فقد ألقت الشرطة الإسرائيلية القبض على ثلاثة عناصر من حماس كانوا يريدون تفجير أنفسهم في المدينة. وبعد تفتيش سيارتهم عثرت الشرطة على قنبلة موقوتة مربوطة بخزانات وقود مليئة بالكامل مع مفجر من مادة أسيتون بيروكسيد. أخلت الشرطة المنطقة وفجرت السيارة بواسطة الروبوت وسبب ذلك انفجارا هائلا يقول بعض المحققين أنه كان سيقتل المئات لو جرى تفجير السيارة في منطقة مزدحمة بالسكان. وقد علمت الشرطة باسم عياش من التحقيق مع المشتبه بهم.

علم جهاز الأمن الإسرائيلي (الشين بيت) من مصادر لا تزال سرية حتى الآن أن عياش يمضي الليل في منزل صديق طفولته أسامة حمد في غزة. وكان للجهاز تعامل سابق مع عم أسامة المدعو كامل حمد. وفي ت١ ١٩٩٥، اتصل ضباط الأمن الإسرائيلي بكامل، وقد طلب منهم لتنفيذ المهمة بعض المال ومنحه الجنسية الإسرائيلية له ولأسرته. لكن عناصر الشين بيت هددوه بأنهم سيبلغون حماس بخيانته، لذلك قبل التعاون معهم. فأعطوه جهاز هاتف خلوي (موبايل) وقالوا له أنه مزروع بآلة تنصت حتى يتمكنوا من التنصت على أحاديث عياش. ولم يخبروه أنه بالإضافة إلى آلة التنصت المزروعة في الجهاز هناك أيضا ١٥ غرام من مادة (RDX) شديدة الانفجار. أعطى كامل حمد جهاز الموبايل إلى ابن أخيه أسامة كونه يعرف أن عياش يستخدم عادة هاتف أسامة لمكالماته. وعند الساعة الثامنة من صباح يوم ٥ ك٢، اتصل والد عياش بابنه. تناول الابن جهاز الهاتف وتحدث مع أبيه. وفي هذا الوقت كانت هناك طائرة إسرائيلية تحوم في السماء والتقطت المكالمة وعبرتها إلى موقع قيادة الأمن الإسرائيلي. وعندما تأكدوا أن الذي على الخط هو يحيى عياش، فجروا جهاز الهاتف الخلوي الذي يتحدث فيه وقتلوه في الحال. وقيل أن ١٠٠.٠٠٠ فلسطيني شارك في تشييع جثمانه.

لم تنكر أو تؤكد إسرائيل كعادتها تورطها في عملية الاغتيال. وبعد ثلاثة أيام استقال كارمي جيلون مدير الأمن الإسرائيلي لفشله في الحيلولة دون اغتيال إسحق رابين.

واحد وقطر ثمانية إنجات ووضع داخلها ٥ كغم من مادة الـ(تي أن تي) وأحاطها بالمسامير، وسلمها إلى حركة الجهاد.

وعند الساعة ٩:٣٠ من صباح يوم ٢٢ ك٢ ١٩٩٥ ، اتجه أنور سكر نحو كابينة هاتف عمومي وارتمى على ركبتيه وأخذ يتظاهر بالمرض. وعندما اجتمع حوله الجنود، مد يده إلى حقيبته وفجر القنبلة التي بداخلها.

وبعد الانفجار أغلق سجن أشموريت أبوابه وكان يخشى أن يكون هذا التفجير مقدمة لعملية عسكرية لإنقاذ ياسين.



يحيى عياش

وبعد إن نزلت فرق الطوارئ إلى الساحة لإنقاذ الجرحى، انطلق صلاح شاكر إلى موقع انفجار القنبلة الأولى وعند وصوله، ضغط على زر وسط جسمه، وانفجرت القنبلة الأخرى.

وفي اليوم التالي زار إسحق رابين موقع الانفجار. وعند سيره، عثر على حقيبة على بعد أمتار منه تحوي قنبلة ثالثة. ويبدو أن شاكر قد تركها للانتحاري الثالث شهدي عبد الرحيم الذي لم يتمكن من الوصول للتقاطع. كان مخططا أن يفجر عبد الرحيم القنبلة لقتل رابين وسط عناصر الأمن (الشين بيت) المحيطة به. تم تفكيك القنبلة وقدمت للمحققين دليلا آخر على تورط يحيى عياش.

يعتبر هذا الحدث أول عملية انتحارية تنفذها حركة الجهاد الإسلامي وقد أسفرت عن مقتل ٢١ شخصا بضمنهم الانتحاريين وجرح ٦٩ آخر[١].

٦ـ تفجير مطعم مكسيم :

بتأريخ ٤ ت١ ٢٠٠٣، فجرت هنادي تيسير عبد المالك جردات (٢٨ عاما) نفسها بحزام ناسف داخل مطعم مكسيم في حيفا. أسفر الانفجار عن مقتل ٢١ إسرائيليا من اليهود والعرب وجرح ٥١ آخر. ومن بين الضحايا أسرتين وأربعة أطفال أحدهم بعمر شهرين. وهنادي خريجة حقوق من جامعة اليرموك بالأردن وقد قتل الجيش الإسرائيلي شقيقها الأصغر (فادي ٢٥ عاما) وابن عمها صلاح ٣٤ عاما) العضوين في حركة الجهاد الإسلامي في حزيران ٢٠٠٣ أمام عينيها. وكان شقيقها عريسا قبل ليلة من مقتله. وعندما كانت في سن ٢١ قتل الجيش الإسرائيلي أيضا خطيبها. ويقول الجيش الإسرائيلي أنه حاول القبض عليهما قبل قتلهما بينما تقول هنادي أنه قتلهما دون أن يحاول القبض عليهما وتركهما ينزفان حتى ماتا. وهنادي سادس انتحارية تفجر نفسها خلال انتفاضة الأقصى وثاني سيدة تجندها حركة الجهاد[٢].

(1) Karsh, Efraim, Arafat's War: The Man and His Battle for Israel Conquest, Grove Press, 2003, p. 116

وكذلك : Lisa Beyer, Can Peace Survive, Time Magazine, Feb 06, 1995
http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,982457-2,00.html

وأنظر أيضا:

David Bar-Illan, Rain of Terror- Israeli Politics, National Review, March 06, 1995
http://findarticles.com/p/articles/mi_m1282/is_n4_v47/ai_16662273/pg_2/

(2) Arnon Regular, Profile of the Haifa Suicide Bomber, 05/10/2003, Haaretz Newspaper, Israel,
http://www.haaretz.com/hasen/pages/ShArt.jhtml?itemNo=346913&contrassID=1&subContrassID=1&sbSubContrassID=0&listSrc=Y



هنادي جردات

يقع مطعم مكسيم على شاطئ حيفا بالقرب من المدخل الجنوبي للمدينة ويملكه يهود وعرب مسيحيون ويعتبرونه رمزا للتعايش المشترك. دمر المطعم بالكامل من الداخل وأعيد بناؤه بعد عدة أشهر.

وردا على الهجوم الذي قالت إسرائيل انه جرى التخطيط له في مقر حركة الجهاد بدمشق، شن سلاح الجو الإسرائيلي في ٥ ت١ ٢٠٠٣ غارة جوية على معسكر عين الصاحب بسوريا الذي تقول أنه لتدريب مقاتلي الجهاد. لم يسفر القصف عن إصابات. وهذه أول عملية عسكرية إسرائيلية علنية داخل سوريا منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣. وفي نفس اليوم، دمرت القوات الإسرائيلية منزل أسرة هنادي بالكامل مع منزلين آخرين بجواره[١].

(١) تقرير وزارة الخارجية الإسرائيلية عن تفجير مطعم مكسيم بعنوان :

MFA Archive 2000 2009 2004 Suicide Bombing Maxim Restaur.

منشور على موقعهم **www.israel-mfa.gov.il**

٧ ـ كتائب شهداء الأقصى:



شعار الحركة

تأسست الحركة في بداية انتفاضة الأقصى التي اندلعت في ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ إثر زيارة أريل شارون للمسجد الأقصى. وقد لعب مروان البرغوثي وبعض أعضاء فتح دورا بارزا في تأجيج هذه الانتفاضة وفي تأسيس الحركة. وهي عبارة عن ائتلاف من عدد من الميليشيات الفلسطينية في الضفة الغربية. وتختلف عن باقي الجماعات المسلحة في كونها ليست جماعة دينية رغم اسمها الذي يوحي بذلك.

وأمر علاقتها أو عدمها بقادة فتح موضع خلاف. فقيادة الكتائب والغالبية العظمى من أعضائها يصفون أنفسهم بأنهم الجناح العسكري لفتح. ويضعون في موقعهم الألكتروني والبوسترات التي ينشرونها شعار فتح. بينما تقول قيادة فتح أنها لم تتخذ قرارا بتشكيل هذه الألوية ولا بجعلها جناحا عسكريا للمنظمة. وحاول بعض قادة فتح منذ ٢٠٠٢ وقف الكتائب عن شن الهجمات على المواطنين الإسرائيليين.

وفي ت٢ ٢٠٠٣، كشف صحفيون من هيئة الإذاعة البريطانية دفعة مالية شهرية من فتح إلى كتائب الأقصى بمبلغ ٥٠.٠٠٠ دولار. وقد أدى ذلك، إضافة لما حصل عليه الجيش الإسرائيلي من وثائق، إلى الاستنتاج بأن كتائب شهداء الأقصى تمول مباشرة من الرئيس الفلسطيني السابق ياسر عرفات. وفي حزيران ٢٠٠٤، قال رئيس الوزراء الفلسطيني السابق أحمد قريع: "لقد أعلنا صراحة أن كتائب شهداء الأقصى جزء من فتح. فنحن ملتزمون بهم وتتحمل فتح كامل المسؤولية عن هذه الجماعة". وأعلن مرة أخرى في تموز: "لن تحل كتائب شهداء الأقصى، الجناح العسكري لحركة فتح، ولن تتخلى فتح عن جناحها العسكري". ويقول زكريا الزبيدي قائد الحركة في الضفة الغربية: "إن حركة فتح قد شطبت المقاومة من ميثاقها ونظامها الداخلي، ولم يكن أمام الشرفاء من فتح إلا الخروج بهذه الظاهرة".

هدف المنظمة هو مقاومة الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، واشترطت لوقف العمل المسلح انسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ وإزالة جميع المستوطنات الإسرائيلية والإفراج عن الأسرى الفلسطينيين.

أما هيكلها التنظيمي، فتوجد في كل مدينة مجموعة من العناصر التي ترتبط بقائد محلي والأخير يرتبط بالقيادة العليا. وأسلحتهم في الغالب خفيفة لكنهم أخذوا ينتجون محليا عبوات ناسفة وصواريخ تسمى "الأقصى ١" و"الأقصى ٢" إضافة إلى معدات القنص.

لم تستهدف كتائب شهداء الأقصى الإسرائيليين وحدهم، بل استهدفت الفلسطينيين أيضا. ففي ت٢ وك١ ٢٠٠٣، قتلت عناصرها شقيق غسان الشكعة رئيس بلدية نابلس. وفي شباط ٢٠٠٤، قدم الشكعة استقالته احتجاجا على عدم اتخاذ السلطة الفلسطينية الإجراءات اللازمة ضد الميليشيات المسلحة التي "تعيث فسادا" في المدينة. وفي وقت لاحق قتلت هشام مكي المسؤول عن هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية

بتهمة الفساد، واختطفت حيدر رشيد محافظ جنين وأفرجت عنه شريطة ترك منصبه، فضلا عن إعدامها لعدد ممن تعتبرهم متعاونين مع إسرائيل في الضفة الغربية. وخلال الأشهر الثلاثة الأولى من ٢٠٠٤، حصلت عدة هجمات على الصحفيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وألقي اللوم في ذلك على كتائب شهداء الأقصى. وقد تعرضت مكاتب محطة تلفزيون العربية في الضفة الغربية لهجوم مسلح قام به رجال ملثمون، قال آخرون أنهم من عناصر كتائب الأقصى. وفي ٩ شباط ٢٠٠٤ دعا صحفيو غزة إلى إضراب عام احتجاجا على العنف المتصاعد ضد الصحفيين.

وقد لعبت كتائب الأقصى دورا كبيرا في أحداث تموز ٢٠٠٤ في قطاع غزة حيث اختطف عدد من الضباط الفلسطينيين وهوجمت مقرات الشرطة والأمن التابعة للسلطة الفلسطينية من قبل مسلحين. وأدت هذه الأحداث إلى إعلان مجلس الوزراء الفلسطيني حالة الطوارئ. وقد وصفت إحدى القنوات الوضع في غزة بأنه فالت وفوضوي.

نفذت الكتائب عدة هجمات مشتركة مع حركة حماس الإسلامية أغلبها كان في قطاع غزة. كما نفذت هجمات أخرى بالتعاون مع باقي المنظمات المسلحة كالجهاد الإسلامي ولجان المقاومة الشعبية وحزب الله في الضفة الغربية.

غالبا ما كان سكان المناطق الفلسطينية المحاذية لحدود إسرائيل في قطاع غزة يعارضون إطلاق صواريخ القسام من مناطقهم على إسرائيل وذلك خشية رد الفعل العسكري الإسرائيلي. وفي ٢٣ تموز ٢٠٠٤، قتلت المجاميع المسلحة فتى فلسطيني بعمر ١٥ عاما بعد معارضته هو وأسرته لمحاولتهم نصب قاذفات الصواريخ بالقرب من منزلهم. وجرح في الحادث خمسة آخرون أيضا. وألقي اللوم في ذلك على كتائب الأقصى.

وفي ٣٠ ك٢ ٢٠٠٦، أغار ١٥ رجلا ملثما من كتائب شهداء الأقصى على مكاتب الاتحاد الأوربي في غزة. وطالبوا أن تقدم الدنمارك والنرويج اعتذارا عن رسوم الكاريكاتور المسيئة للرسول وغادروا بعد ٣٠ دقيقة دون إطلاق نار أو إصابات.

وفي ١٤ تموز ٢٠٠٧، أعلن زكريا الزبيدي قائد كتائب الأقصى في جنين وشمال الضفة الغربية وقف القتال ضد إسرائيل بعد إصدار رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت عفوا مشروطا عن ١٧٨ مسلحا في أراضي السلطة الفلسطينية. وفي ٢٢ آب ٢٠٠٧، أعلنت الكتائب عن عدم التزامها بوقف الهجمات ضد إسرائيل بسبب نكث الجيش الإسرائيلي لإعلان أولمرت وإلقائه القبض على اثنين من رجالها كانوا ضمن قائمة العفو التي أصدرها رئيس الوزراء. بعدها أعلنت الحركة أنها ستبدأ بإطلاق مئات الصواريخ وقنابر الهاون على المدن والمستوطنات الإسرائيلية وأسمت عمليتها تلك: "ثقب في الجدار".

انتهجت إسرائيل في ردها على نشاطات كتائب الأقصى سياسة الاعتقالات والاغتيالات. ففي نيسان ٢٠٠٢، ألقت إسرائيل القبض على قائد الجماعة مروان البرغوثي، وفي آب أدانته بالقتل والتآمر للقتل وعضوية منظمة تعتبرها إرهابية. وتعتبرها الولايات المتحدة وكندا ودول الاتحاد الأوربي واليابان كذلك بأنها جماعة إرهابية. ونفذت إسرائيل العديد من عمليات الاغتيال ضد عناصر الحركة، منها اغتيال عاطف عبيات قائد الحركة في جنوب الضفة وجهاد العمارين ومجدي الخطيب من قادتها في غزة، إضافة إلى العشرات من الأعضاء الآخرين.

نفذت كتائب شهداء الأقصى العشرات من العمليات الانتحارية وأكثر منها من عمليات الهجوم على العربات الإسرائيلية في الضفة الغربية. وفي ٢٤ آذار ٢٠٠٤، ألقى الجيش الإسرائيلي القبض على فتى فلسطيني يدعى حسام عبده (١٦ عاما) وهو

يحمل حزاما ناسفا حول بطنه زنته ٨ كغم من المتفجرات. وإثر ذلك تم الكشف عن خلية لكتائب الأقصى من المراهقين وألقي القبض عليهم في نابلس. وفي ٢٣ أيلول ٢٠٠٤، ألقت قوات الأمن الإسرائيلية أيضا على طفل انتحاري بعمر ١٥ عاما(١).

نفذت كتائب شهداء الأقصى العمليات الانتحارية التالية:

السنة	عدد العمليات الانتحارية	عدد القتلى
٢٠٠١	١	٣
٢٠٠٢	٨	٣٥
٢٠٠٣	٢	٢٦
٢٠٠٤	٧	٣٦
٢٠٠٥	٣	١١
٢٠٠٦	٢	١٥
٢٠٠٧	١	٣
٢٠٠٨	١	١
العدد الكلي	٢٥	١٣٠

(١) الموقع الألكتروني لكتائب شهداء الأقصى http://www.kataibaqssa.com/newarab

وأنظر أيضا:

Holly Fletcher, Al-Aqsa Martyrs Brigade, Council on Foreign Relations, New York, April 2, 2008.

http://www.cfr.org/publication/9127/#4

وكذلك تقرير وزارة الخارجية الأمريكية المنشور في ١١ أكتوبر ٢٠٠٥ بعنوان

Foreign Terrorist Organizations FTOS

على موقعها الألكتروني: http://www.state.gov/s/ct/rls/other/des/123085.htm

وأبرز هذه العمليات هي:

١ـ تفجير الباص ١٩ التابع لشركة إيجد في القدس:

بدأ الباص رقم ١٩ خط سيره من مستشفى عين كرم ويفترض أن يصل جبل المشارف في القدس. وكان الانتحاري علي يوسف جعرة (٢٤ عاما) يجلس في مؤخرة الباص عندما فجر القنبلة التي يحملها. وجعرة شرطي فلسطيني من بيت لحم. حصل الحادث في التاسعة من صباح يوم ٢٩ ك٢ ٢٠٠٤ عند نقطة التقاء شارعي غزة وأرلزروف على بعد أمتار قليلة من المقر الرسمي لإقامة أريل شارون بالقدس. دمر الانفجار الباص بالكامل وحطم سقفه وكسر جميع نوافذه. وأسفر عن مقتل ١١ شخصا وجرح أكثر من ٥٠ منهم ١٣ بحالة حرجة.

أعلنت كتائب الأقصى وحماس أيضا مسؤوليتهما عن الهجوم. وقد جاء بعد أقل من ٢٤ ساعة على مقتل ٨ فلسطينيين في هجوم إسرائيلي على ضواحي غزة.

وأدانت السلطة الفلسطينية عملية التفجير وقال المفاوض الفلسطيني صائب عريقات: "لا يمكن كسر دائرة العنف هذه إلا بتجديد عملية السلام، وإلا يبقى العنف يولد عنفا والرصاص يولد رصاصا".

وقد استخدمت إسرائيل حطام هذا الباص في حملتها الدعائية ضد المنظمات الفلسطينية فعرضته على محكمة العدل الدولية بلاهاي التي تستمع للدعوى المرفوعة إليها بشأن الجدار العازل في الضفة الغربية ثم عرضته في وقت لاحق على عدد من الجامعات الأمريكية، ووضع بشكل دائم في مجمع شورش التعليمي المخصص للشباب اليهود بولاية ميريلاند بالولايات المتحدة[١].

(1) The Guardian, Ten Killed in Jerusalem Suicide bombing, 29 Jan 2004 http://www.guardian.co.uk/world/2004/jan/29/israel2 وكذلك Duke University News & Communications, Bombed Israeli Bus on Display at Duke Oct 12-13 http://www.dukenews.duke.edu/2004/10/bus19_1004_print.htm

٢ ـ تفجير فرن خبز في إيلات :

حصل الحادث بتأريخ ٢٩ ك٢ ٢٠٠٧، عندما تمكن انتحاري فلسطيني من التسلل من غزة إلى الضواحي الشمالية لإيلات. وعندما شعر باقتراب الشرطة منه، دخل في فرن خبز قريب وفجر قنبلته وقتل ثلاثة عمال فيه جميعهم من اليهود وأحدهم بيروفي.

أعلنت كتائب الأقصى وكذلك حركة الجهاد الإسلامي مسؤوليتهما عن العملية. ويعتبر الحادث أول هجوم ناجح منذ ١٧ نيسان ٢٠٠٦. وكانت إيلات دائما بمأمن من العمليات العسكرية لأنها بعيدة عن المناطق السكنية التي قد تكون مأوى للمسلحين.

نفذ الهجوم محمد فيصل الزقزاق (٢١ عاما) وهو من أهالي غزة وعضو في حركة كتائب شهداء الأقصى. ويقول أحد أقربائه أن الزقزاق كان يشعر بالكآبة لأنه عاطل عن العمل وقد توفيت ابنته الصغيرة بعد معاناة مريرة مع المرض كما إن أحد أقرب أصدقائه قد قتلته القوات الإسرائيلية. وشقيقه عضو في حركة الجهاد الإسلامي. وتقول أسرته أنه اختفى لثلاثة أيام وأنها كانت تعرف المهمة المتوجه إليها. يقول نعيم شقيق الزقزاق للمراسلين الصحفيين في منزل الأسرة ببيت لاهيا: "كنا نعرف أنه مقدم على تنفيذ عملية استشهادية، وقد دعت أمه وأبوه له بالتوفيق".

وتقول حركة الجهاد أنه انطلق من الضفة الغربية ودخل الأردن بطريق التهريب ووصل إيلات وأعطاه بعض المسلحين الذين ينتظرونه هناك المتفجرات بعد سبعة أشهر من التحضير. يقول وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي أفي ديتشر أن الانتحاري قد تسلل إلى إسرائيل من مصر مرددا استنتاجات بعض الوكالات الاستخبارية. ونفت

مصر في وقت سابق كل الأنباء التي تقول أنه تسلل إلى إيلات من مصر أو أن متفجراته قد هربت منها إلى المدينة[1].

وقد ركب الزقزاق مع رجل إسرائيلي هو مقدم الاحتياط يوسي والتنسكي وأوصله إلى نقطة قريبة من موقع الانفجار. يقول الرجل في مقابلة مع إحدى القنوات التلفزيونية أنه قد شك بأن الزقزاق على وشك القيام بعمل معين وجاءت شكوكه لأن الأخير كان يرتدي ملابس ثقيلة ولا يجيد العبرية جيدا، لكنه لم يكن يستطيع فعل شيء حتى نزل الزقزاق من السيارة. عندها اتصل السائق الإسرائيلي برجال الشرطة ولكن قبل دقائق معدودة فقط من حصول التفجير. وقد تلقت الشرطة الإسرائيلية مكالمتين تبلغان عن شكوك المتصلين بالرجل.

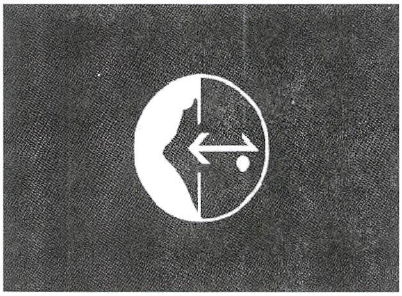
يقول بعض شهود العيان أن الزقزاق قد أثار الشكوك لأنه كان يرتدي معطفا شتويا طويلا أسودا في يوم دافئ ومشمس بعدها دخل في مخبز صغير بمنطقة سكنية. وتقول الشرطة أن القنبلة كانت موضوعة في حقيبة سوداء يحملها بيده وليست حزاما ناسفا. ويبدو أن المفجر قد توقف في المخبز لتناول القهوة قبل الذهاب إلى مكانه المقصود ثم فجر نفسه بعد إن رأى سيارات الشرطة تقترب منه.

وقد أدان الاتحاد الأوربي والأردن والسويد والمملكة المتحدة والولايات المتحدة هذه العملية. وحثت ألمانيا القيادات الفلسطينية لفعل أي شيء في مقدورها فعله من أجل وقف العنف وتحويل المتورطين فيه إلى القضاء. وأدان الملك عبد الله ملك الأردن التفجير قائلا أن مثل هذه الهجمات لا تؤدي إلا إلى تعميق معاناة الفلسطينيين. وقالت

(1) Aaron Klein, Egyptian Forces aided Suicide Bombing? Net News.com, 31/01/2007
منشور على الموقع: http://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3359269,00.html

وزيرة الخارجية البريطانية مارجريت بيكيت: "أننا ندين بشدة الهجوم الانتحاري في إيلات. ولا مسوغ للقيام بمثل هذه الأعمال"[1].

٣ ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين:



علم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أسس الجبهة الدكتور جورج حبش ١٩٢٦-٢٠٠٨ وهو فلسطيني مسيحي من بلدة اللد. وقد ذهب وهو في عمر الثانية والعشرين إلى لبنان لدراسة الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت وتخرج في ١٩٥١. وكان واحدا من مجموع ٦٠ ألف فلسطيني طردتهم إسرائيل من هذه المدينة بعد احتلالها وأجبرتهم على المسير ثلاثة أيام في صيف فلسطين القائظ إلى ما وراء خطوط القتال العربية الإسرائيلية. وقد مات خلال مسيرة الموت المضنية هذه أكثر من ٣٣٥ شخصا بفعل الجوع والعطش. وقد كتب لجورج النجاة من الموت وأصبح لاجئا مع أسرته في مخيمات اللاجئين بالأردن.

(1) Greg Myre, Suicide Bomb Kills 3 in Bakery in Israel, The New York times, 29 Jan. 2007
http://www.nytimes.com/2007/01/29/world/middleeast/29cnd-mideast.html?_r=1&hp&ex=1170133200&en=672e889f68796e72&ei=5094&partner=homepage

كان يؤمن بأنه يجب استخدام كافة الوسائل الممكنة لتحرير فلسطين بما في ذلك المقاومة المسلحة. وفي سعيه لتحشيد العالم العربي لقضيته، أسس في ١٩٥٣ حركة القوميين العرب التي استلهمت الكثير من الأفكار الناصرية والقومية والاشتراكية.

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧، وخيبة الأمل بناصر، أخذ يعيد تنظيم حركته ويتصل بمنظمات أخرى. وفي ١١ ك١ ١٩٦٧ ظهرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نتيجة اتحاد عدة حركات فلسطينية منها: "أبطال العودة" و"جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد جبريل" و"شباب الثأر" وأصبح هو أمينها العام. وظل كذلك إلى عام ٢٠٠٠. ففي تلك السنة عقد المؤتمر القومي السادس للجبهة، وانتخب أبو علي مصطفى الحاج أمينا عاما مكانه. وفي ٢٧ آب ٢٠٠١، اغتيل الأخير بواسطة صاروخ أطلقته طائرة هيليكوبتر إسرائيلية بينما كان بمكتبه في رام الله. وردا على ذلك، قامت الجبهة في ١٧ ت٢ ٢٠٠١ بقتل وزير السياحة الإسرائيلي اليميني رحابام زئيفي (٧٥ عاما). وفي ٣ ت١ ٢٠٠١، انتخب أحمد سعادات أمينا عاما للجبهة. وفي ك٢ ٢٠٠٢، ألقت السلطة الفلسطينية القبض عليه بضغط من الولايات المتحدة وبريطانيا ووضع في سجن أريحا مع باقي أعضاء الجبهة المتهمين بقتل الوزير الإسرائيلي. أصدرت المحكمة الفلسطينية العليا أمرا بإطلاق سراحه لعدم وجود أساس قانوني لسجنه، لكن السلطة الوطنية الفلسطينية رفضت تنفيذ أمر المحكمة. وفي ١٤ آذار ٢٠٠٦، هاجم الجيش الإسرائيلي السجن واختطف سعادات وخمسة من رفاقه ونقلوهم إلى إسرائيل لمحاكمتهم. وفي ٢٥ ك١ ٢٠٠٨، حكمت عليه محكمة عسكرية إسرائيلية بالسجن ثلاثين عاما لكونه زعيم حركة تعتبرها إرهابية واعتباره مسئولا عن جميع الأعمال التي نفذتها الحركة.

وفي مؤتمر ١٩٦٩ صنفت الحركة نفسها على أنها حركة ماركسية- لينية، وظلت كذلك إلى يومنا هذا. وانخفضت ميولها القومية منذ أيام حركة القوميين العرب

لكنها تؤيد إقامة جبهة عربية موحدة ضد إسرائيل والضغوط السياسية الغربية. وهي ترى الكفاح الفلسطيني جزءا من الكفاح الأشمل ضد الإمبريالية الغربية. ولديها صحيفة تسمى الهدف. وقد رأس تحريرها في البداية غسان كنفاني الذي اغتالته المخابرات الإسرائيلية في ١٩٧٢ بواسطة سيارة مفخخة.

وفي ١٩٦٨ انضمت إلى منظمة التحرير الفلسطينية لتصبح ثاني أكبر جماعة بعد فتح. وفي ١٩٧٤، انسحبت من اللجنة التنفيذية للمنظمة لتنضم إلى جبهة الرفض متهمة منظمة التحرير بالتخلي عن هدفها في تدمير إسرائيل وتبنيها بدلا من ذلك حل إقامة دولتين وهذا ما تعارضه الجبهة الشعبية. ثم عادت إلى اللجنة التنفيذية في ١٩٨١.

وتلتزم الجبهة بشكل عام بموقف أكثر تشددا من فتح فيما يتعلق بإسرائيل، فتعتبرها دولة عنصرية وتطالب بمحوها من الوجود بواسطة الكفاح العسكري المسلح وتأسيس دولة واحدة علمانية ديمقراطية لاطائفية. وهي ترفض التسوية التي تقود إلى تأسيس دولتين فلسطينية وإسرائيلية في أرض فلسطين. ويطالب حبش والقادة الآخرون بتأسيس دولة واحدة ذات هوية عربية يعيش اليهود فيها بنفس الحقوق كأقلية. ولم يتغير موقفها بشأن إسقاط الأنظمة العربية التي تسميها بـ"الرجعية"، كالأردن أو المغرب، أو حق العودة لجميع اللاجئين الفلسطينيين إلى منازلهم في فلسطين ما قبل ١٩٤٨، أو استخدام تحرير فلسطين كقاعدة انطلاق لتحقيق الوحدة العربية. لكنها أصبحت حاليا أقل معارضة للحل التفاوضي مما كانت عليه في ١٩٨٧ عند بداية انطلاق الانتفاضة الأولى. إلا أنها بصورة عامة تتخذ موقفا متشددا.

وهي تعارض اتفاقيات أوسلو وفكرة دولتين إسرائيلية وفلسطينية كحل للصراع الإسرائيلي الفلسطيني الدائر. وفي عام ١٩٩٩ توصلت مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى اتفاق بشأن المفاوضات مع إسرائيل.

وفي ١٩٦٨، انشق أحمد جبريل عن الجهة وشكل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة. وفي مؤتمر ١٩٦٩، انشقت جماعة منها بقيادة نايف حواتمة وياسر عبد ربه وأسست الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وقد اكتسبت الأخيرة سمعة سيئة في العالم لقيامها بأعمال خطف الطائرات ومهاجمة الشركات والسفراء الإسرائيليين في أوربا وكانت معظم هذه الأعمال بتخطيط من وديع حداد. وقد ساهمت أعمالها في وضع القضية الفلسطينية على صدر الصفحات الأولى في وسائل الأعلام لكنها تلقت نقدا واسعا من أطراف منظمة التحرير الآخرين. وحصلت خلافات عميقة بين حبش ونائبه حينذاك وديع حداد الذي طردته المنظمة من صفوفها في الآخر.

وبعد اندلاع الانتفاضة الأولى وتوقيع اتفاقيات أوسلو، واجهت الجبهة صعوبة في إيجاد قاعدة لها في الضفة الغربية وقطاع غزة. فمقاطعتها لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني ١٩٩٦ أعطت الانطباع بأنها غير مهتمة بالتطورات داخل فلسطين. وفي تلك الفترة ١٩٩٣-١٩٩٦، حققت حماس شعبية واسعة بعد استخدامها الناجح لأسلوب الهجمات الانتحارية الذي أشرف عليه يحيى عياش (المهندس). وساهم سقوط الاتحاد السوفيتي وصعود الإسلام السياسي في العالم العربي وخاصة جماعة حماس والجهاد الإسلامي، في تحويل عقيدة الناشطين اليساريين الذين كانوا يتطلعون إلى الاتحاد السوفيتي، وفي تهميش دور الجبهة في السياسة الفلسطينية والمقاومة المسلحة. لكنها احتفظت بنفوذ سياسي كبير داخل منظمة التحرير الفلسطينية.

وقد اضطرت الجبهة نتيجة الضعف الذي عانته بعد أوسلو إلى السعي لكسب المزيد من الناشطين السياسيين لصفوفها وخاصة من الشباب لتعويض اعتمادها على قادتها الكهول الذين عادوا أو ظلوا في المنفى. لهذا عقدت تحالفات مع باقي المجاميع اليسارية كحزب الشعب الفلسطيني أو لجان المقاومة الشعبية في غزة.

وبعد وفاة ياسر عرفات في ت٢ ٢٠٠٤، دخلت الجبهة في مفاوضات مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وحزب الشعب الفلسطيني لتسمية مرشح يساري لخوض الانتخابات الرئاسية. فشلت المحادثات وقررت الجبهة دعم مرشح حركة المبادرة الوطنية الفلسطينية مصطفى البرغوثي الذي لم يحظ سوى بـ١٩.٤٨٪ من الأصوات. وفي الانتخابات البلدية في ك١ ٢٠٠٥، حققت الجبهة نجاحا أكثر كما حصل في البيرة ورام الله وفازت برئاسة بلدية بيرزيت. وهناك تقارير متضاربة عن الانتماء السياسي لجانيت ميخائيل وفيكتور بطارسه، رئيسي بلديتي رام الله وبيت لحم، فربما يكونان مقربين من الجبهة ولكنهما ليسا أعضاء فيها.

وتتمتع الجبهة بنفوذ سياسي كبير في منطقة رام الله والمحافظات الشرقية وضواحي القدس وبيت لحم ونابلس، لكن نفوذها ضعيف في باقي أنحاء الضفة الغربية وربما يكون معدوما في غزة حيث تسيطر حماس وفتح.

وفي انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني في ٢٠٠٦ اشتركت بقائمة أسمتها قائمة الشهيد أبي علي مصطفى. وفازت بـ٤.٢٪ من الأصوات وحصلت على ثلاثة مقاعد من مجموع ١٣٢ مقعدا للمجلس التشريعي الفلسطيني. ونوابها هم أحمد سعادات وجميل مجدلاوي وخالدة جرار. وأعلى نسبة من الأصوات حققتها في بيت لحم وكانت ٩.٤٪ تلتها رام الله والبيرة وبلغت النسبة ٦.٦٪ ثم شمال غزة بنسبة ٦.٥٪.

تستمد الجبهة كوادرها من المناطق الحضرية خاصة المتخرجين من الجامعات ومن مختلف الأعمار من الذين يعيشون حياة علمانية أكثر ويحملون أفكارا ليبرالية عن مختلف القضايا الاجتماعية ورؤى اشتراكية عن الشؤون الاقتصادية. وبينما تتسيد حماس على الطبقة الدنيا في غزة وقلقيلية والخليل، تتغلغل الجبهة الشعبية في أوساط الطبقة المتوسطة الحضرية، وغالبا في أوساط المسيحيين كزعيمها جورج حبش الذي

يخشى من أسلمة الفلسطينيين وغمط حقوق الأقليات في ظل حكومة دينية تسيطر عليها حماس.

وبعد اغتيال الأمين العام للجبهة السابق أبي علي مصطفى الحاج في آب ٢٠٠١، أسست الحركة جناحا عسكريا لها أطلقت عليه اسم كتائب أبي علي مصطفى. وقد نفذ العديد من الهجمات على أهداف عسكرية ومدنية إسرائيلية خلال انتفاضة الأقصى. وفي ١٦ تموز ٢٠٠٧، طلب الرئيس الفلسطيني محمود عباس من جميع حركات المقاومة الفلسطينية تسليم أسلحتها إلى السلطة الفلسطينية. إلا إن كتائب أبي علي مصطفى رفضت ذلك قائلة أنها لن توقف مقاومتها حتى تنسحب إسرائيل من كامل الضفة الغربية وقطاع غزة[١].

وفيما يلي عدد العمليات الانتحارية التي نفذتها الجبهة وأعداد القتلى[٢]:

السنة	عدد العمليات الانتحارية	الإصابات
٢٠٠٢	٣	٦ قتلى و١٠٤ جرحى
٢٠٠٣	٢	٥ قتلى و٣٣ جريح
٢٠٠٤	٢	٣ قتلى و٣١ جريح
٢٠٠٨	١	١ قتيل و٩ جرحى
العدد الكلي	٨	١٥ قتيل و١٧٧ جريح

(١) الموقع الألكتروني الرسمي للحركة http://www.pflp.ps/arabic/ وكذلك موسوعة ويكيبيديا الالكترونية:
http://en.wikipedia.org/wiki/Popular_Front_for_the_Liberation_of_Palestine#History_of_the_PFLP#History_of_the_PFLP

(٢) تقرير لمنظمة العفو الدولية بعنوان Israel and Occupied Territories and the Palestinian Authority; Without distinction- attacks on civilians by Palestinian armed groups،
منشور على موقع المنظمة: http://www.amnesty.org/en/library/info/MDE02/003/2002

الفصل الرابع والعشرون

الهجمات الانتحارية في العراق



ضحايا هجوم انتحاري على زوار ضريح الأمامين الكاظمين في بغداد

أدت الهجمات الانتحارية في العراق إلى مقتل آلاف العراقيين، معظمهم من المدنيين، وتشكل ظاهرة جديدة في تأريخ الحروب. لقد استخدمت التفجيرات الانتحارية في الكثير من النزاعات المسلحة، لكن حجم دمويتها ودوام تكرارها في العراق أمر لم يسبق له مثيل في أي بقعة من الأرض.

تناول تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان الصادر في ٢٠٠٥[(١)] الأعمال المسلحة في العراق وسلط الضوء على الجماعات المسئولة عن أعمال القتل الجماعي هذه وحددها بأنها تنظيم القاعدة في العراق وحليفتيه: منظمة أنصار السنة، وتنظيم دولة العراق الإسلامية. وكل هذه المنظمات وضعت المدنيين هدفا لأعمال الاختطاف والقتل التي تنفذها. وتتباهى دائما منظمة القاعدة وأنصار السنة بالحجم الكبير لعدد السيارات المفخخة والعمليات الانتحارية التي تنفذها في الجوامع والأسواق ومواقف السيارات العمومية وباقي المناطق المدنية الأخرى. وتعتبر هذه الأعمال جرائم حرب، وفي بعض الحالات تشكل جرائم ضد الإنسانية التي تعرف بأنها جرائم خطيرة ترتكب كجزء من عملية هجوم واسع ومنظم ضد السكان المدنيين.

ويشير تقرير صادر من مؤسسة البحث والتطوير الأمريكية في ٢٠٠٨ إلى أن المسلحين في العراق بدأوا في حزيران وتموز ٢٠٠٤ يحولون وجهة هجماتهم. فبدلا من

(١) تقرير لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان بعنوان

A Face and A name: Civilian Victims of Insurgent Groups in Iraq منشور في ٢ ت١ ٢٠٠٥ على موقعهم **http://www.hrw.org/en/reports/2005/10/02/face-and-name**

مهاجمة القوات الأمريكية وقوات التحالف الدولي الأخرى بالعبوات الناسفة المزروعة على الطرق، أخذوا يستهدفون السكان المدنيين العراقيين بالهجمات الانتحارية والسيارات المفخخة. ويقصد المسلحون من وراء زيادة أعداد التفجيرات الانتحارية ضد المدنيين وقبول استهدافهم، كشف ضعف القوى الأمنية في العراق وهشاشة جهاز إعادة البناء وتهديد المتعاونين مع الحكومة وجني الأموال ونشر الدعاية وإشعال الاقتتال الطائفي. وقد أدى فشل الولايات المتحدة في التكيف مع هذا التحول إلى حصول نتائج كارثية. ففي حزيران ٢٠٠٤، مثل القتلى الأمريكيون أقل من ١٠٪ من مجموع القتلى بينما مثل القتلى العراقيون نسبة أكثر من ٩٠٪ من مجموع القتلى. واستمرت هذه النسبة على حالها طيلة السنة والنصف التالية.

وتحديد العدد الدقيق للانتحاريين وللهجمات الانتحارية في العراق عمل شبه مستحيل. فهذه الهجمات مستمرة بشكل متواصل بحيث لم تعد وسائل الأعلام العالمية تجهد نفسها في البحث والتحقيق عن كل عملية. وحتى لو تابع المراسلون هذه الأحداث، فلا يمكن التحقق من كونها عملية انتحارية أم عبوة ناسفة ولا يمكن التحقق أيضا من نتائجها، لأن أشلاء الناس تكون قد اختلطت مع بعضها. وفي معظم الأحيان، تكون الشرطة العراقية أو قوات التحالف هي المصدر الوحيد الذي يبلغ بأن الحادث هو هجوم انتحاري من عدمه. ووحدانية المصدر ترفع احتمالية أن يكون بعض هذه الهجمات ليست هجمات انتحارية بل عبوات تفجر عن بعد.

وفيما يلي العدد التقريبي للهجمات الانتحارية في العراق لغاية ١ حزيران ٢٠٠٩[١]:

---

(١) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_suicide_bombings_in_Iraq_since_2003

السنة	عدد الهجمات الانتحارية
٢٠٠٣	٢٥
٢٠٠٤	١٤٠
٢٠٠٥	٤٧٨
٢٠٠٦	٣٠٠
٢٠٠٧	أكثر من ٢٠٠
٢٠٠٨	أكثر من ١١٥
٢٠٠٩ لغاية ١ حزيران	٢٤
العدد الكلي لغاية ١ حزيران ٢٠٠٩	١٢٨٢

نبذة تاريخية:

غزت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة العراق في ٢٠ آذار ٢٠٠٣. فقد ادعت حكومتا الدولتين إضافة إلى إسبانيا قبل الحرب أن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل يشكل تهديد وشيكا على أمنهم الوطني وأمن الحلفاء. ولم يعثر مفتشو الأسلحة التابعون للأمم المتحدة على أي دليل عن وجود مثل هذه الأسلحة في البلاد. وعزا منتقدوهم ذلك إلى ضعف معلومات المفتشين عن هذا الموضوع. وبعد الغزو، توصلت لجنة مسح العراق الأمريكية إلى أن العراق قد أنهى برامجه لإنتاج أسلحة الدمار الشامل في ١٩٩١ ولم يعمل على أي برنامج حتى حصول الغزو لكنه كان ينوي إعادة إنتاجها لو رفعت العقوبات الاقتصادية والعسكرية عنه[1]. ورغم العثور

(١) Iraq Survey Group Final Report منشور على الموقع:

http://www.globalsecurity.org/wmd/library/report/2004/isg-final-report/isg-final-report_vol1_rsi-06.htm

على بقايا سكراب أسلحة كيمياوية تعود إلى ما قبل ١٩٩١، إلا أن هذه ليست هي الأسلحة التي من أجلها غزت دول التحالف العراق. كما اتهم بعض المسئولين الأمريكيين صدام حسين بإيواء ودعم القاعدة، لكن لم يعثر على أي دليل لتعاونهما المشترك. ومن الأسباب الأخرى للغزو كما أوضحها المسئولون الأمريكيون هي دعم العراق المالي لأسر الانتحاريين الفلسطينيين، وانتهاك الحكومة العراقية لحقوق الإنسان، وسعي دول التحالف لنشر الديمقراطية في العراق والمنطقة. ويقول بعض المسئولين أن الاحتياطي النفطي للعراق هو عامل أساس في اتخاذ قرار الغزو ولكن ينكر آخرون ذلك[١].

ألحق الغزو هزيمة سريعة بالجيش العراقي ثم ألقي القبض على صدام حسين وجرت محاكمته وإعدامه. احتلت قوى التحالف بقيادة الولايات المتحدة العراق وحاولت إقامة حكومة ديمقراطية فيه. مع ذلك، سرعان ما أدى العنف ضد قوات التحالف وبين مختلف المجاميع الطائفية إلى حرب غير متكافئة مع المسلحين العراقيين وإلى صراع بين المجاميع الطائفية السنية والشيعية والى شن القاعدة لعملياتها في العراق. ويتراوح الحد الأدنى لعدد القتلى العراقيين خلال ٢٠٠٧ أكثر من ٨٥.٠٠٠ مدني، ويقدر تقرير آخر المجموع الكلي لعدد القتلى العراقيين حتى ك٢ ٢٠٠٨ بأكثر من ١.٠٠٠.٠٠٠ مواطن[٢]. وتقدر المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة أن الحرب هجرت ٤.٧ مليون عراقي لغاية نيسان ٢٠٠٨ (أي حوالي ١٦٪ من الشعب العراقي). وفر مليونان منهم إلى البلدان المجاورة، حيث كان الوضع الإنساني في

(1) Richard Kerr, Thomas Wolfe and Others, Intelligence and analysis on Iraq: Issues for the Intelligence Community, 29 July 2004, http://irrationallyinformed.com/pdfcollection/20040729_Kerr_Report.pdf

(٢) إحصاءات مؤسسة Opinion Research Business البريطانية في ٨ ك٢ ٢٠٠٨ منشورة على موقعها : http://www.opinion.co.uk/Newsroom_details.aspx?NewsId=88 .

العراق كما تصفه منظمة الصليب الأحمر في آذار ٢٠٠٨ بأنه أسوأ وضع إنساني في العالم. وفي حزيران ٢٠٠٨، قال مسئولون عسكريون أمريكيون أنه بدأت تظهر على الوضع الاقتصادي والأمني مؤشرات على التحسن لكنهم أكدوا أنها مكاسب هشه. وفي آب ٢٠٠٨، احتل العراق المرتبة الخامسة وفي عام ٢٠٠٩ احتل المرتبة السادسة في قائمة أسوأ الدول في العالم التي تصدرها منظمة السلام الأمريكية ومجلة السياسة الخارجية(١).

سحبت معظم الدول الأعضاء في التحالف الدولي قواتها من العراق بسبب ضغط الرأي العام المتزايد عليها، وأخذت القوات العراقية تتولى مسئولية الأمن في البلاد. وفي أواخر ٢٠٠٨، وقعت حكومتا العراق والولايات المتحدة اتفاقية "تحديد وضع قوات التحالف" والتي ستستمر حتى ١ ك٢ ٢٠١٢. كما صادق البرلمان العراقي على اتفاقية الإطار الاستراتيجي مع الولايات المتحدة التي تهدف إلى تعزيز التعاون الدولي فيما يتعلق بالحقوق الدستورية، وكبح التهديدات، وتطوير التعليم والطاقة وباقي المجالات. وفي أواخر شباط ٢٠٠٩، أعلن الرئيس باراك أوباما خطة سحب القوات المقاتلة خلال ١٨ شهرا وإبقاء بين ٣٠.٠٠٠-٥٠.٠٠٠ جنديا أمريكيا لتدريب القوات العراقية وتوفير الدعم الاستخباري والرصد إليها. وقال نوري المالكي رئيس الوزراء العراقي أنه يؤيد التعجيل بسحب القوات الأمريكية(٢).

---

(١) أنظر Foreign Policy magazine, The failed States Index 2009 Nov 12 2009 المنشور على موقعها الالكتروني:
http://www.foreignpolicy.com/articles/2009/06/22/2009_failed_states_index_interactive_map_and_rankings
جاء تسلسل الدول في قائمة أسوأ الدول في العالم لعام ٢٠٠٩ كما يلي: ١- الصومال. ٢- زيمبابوي ٣- السودان. ٤- تشاد ٥-الكونغو. ٦- العراق. ٧- أفغانستان. ٨- إفريقيا الوسطى. ٩- غينيا. ١٠- الباكستان. ١١- ساحل العاج. ثم في المرتبة ١٨- اليمن. والمرتبة ٢٩- لبنان. و٣٨- إيران و٣٩- سوريا و٤٣- مصر والضفة الغربية ٥٨.

(2) Associated Press, Iraq Welcomes Faster U.S Withdrawal Reports, Feb 25, 2009

تورد وثيقة قدمها وزير الخزانة الأمريكي الأسبق باول أونيل أن جورج بوش قد طلب من مساعديه البحث عن طريقة لإسقاط نظام صدام حسين بعد عشرة أيام من استلامه السلطة في ك٢ ٢٠٠١. كما نوقشت في ك٢ وشباط ٢٠٠١، وثيقة سرية بعنوان "خطة لعراق ما بعد صدام"، وتضمنت وثيقة أخرى صادرة من وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) في ٥ آذار ٢٠٠١ بعنوان "الباحثون عن عقود استثمار حقول النفط العراقية"، خارطة لمناطق يحتمل استكشاف النفط بها(١).

وصلت قضية نزع أسلحة العراق ذروتها في ٢٠٠٢-٢٠٠٣ عندما طلب الرئيس بوش وضع نهاية حاسمة لإنتاج العراق المزعوم من أسلحة الدمار الشامل والالتزام المطلق بقرارات الأمم المتحدة التي تقضي بالسماح لمفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة الدخول بحرية للمنشآت المشتبه بإنتاجها لهذه الأسلحة. وكانت الأمم المتحدة قد حظرت في السابق على العراق تطوير أو امتلاك هذه الأسلحة بعد حرب الكويت وطلبت منه السماح بتفتيش منشآته للتأكد من التزامه بهذا القرار.

وخلال ٢٠٠٢، كرر بوش مطالبه بالسماح بالتفتيش الحر للمنشآت العراقية وبنزع أسلحة العراق مع التهديد باستخدام القوة العسكرية. وطبقا لما جاء بقرار مجلس الأمن ١٤٤١، وافق العراق على مضض على عمليات تفتيش جديدة في أواخر ٢٠٠٢. وكانت نتائج التفتيش متضاربة، حيث لم يكتشف المفتشون برامج لإنتاج أسلحة الدمار الشامل لكنهم أكدوا أن العراق لم يقدم الدليل على أن جميع أسلحته من هذا الطراز قد تم تدميرها بشكل صحيح.

في المراحل الأولى مما يسمى بالحرب على الإرهاب أو حرب أفغانستان، برزت وكالة المخابرات المركزية بقيادة جورج تينيت لتكون المؤسسة الرئيسة في حرب

(1) US Commerce Department, Maps and Charts of Iraqi Oil Fields, March 5 , 2002.
http://www.judicialwatch.org/iraqi-oil-maps.shtml

أفغانستان. ولكن عندما أصر تينيت في لقاءاته الشخصية مع الرئيس بوش بأنه ليست هناك أي علاقة بين القاعدة والعراق، وضع نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد برنامجا سريا لإعادة تقييم الأدلة وإهمال استنتاجات تينيت والمخابرات المركزية. الطرف الرئيس في هذا البرنامج هو وحدة تابعة للبنتاجون تعرف باسم دائرة المشاريع الخاصة وأسسها نائب وزير الدفاع بول وولفو ويتز ورأسها دوجلاس فيث. ومهمتها تزويد المسئولين الكبار في إدارة بوش بالمعلومات الطازجة عن العراق التي لم يدققها بعد محللو المخابرات المركزية. وتمرر هذه المعلومات غير المؤكدة من دائرة المشاريع الخاصة إلى تشيني وتقدم إلى الرأي العام. وأحيانا يسرّبها مكتب تشيني إلى مراسلي وكالات الأنباء الذين يقومون بحملة تغطية شاملة لها في وسائل إعلامهم كما تفعل صحيفة النيويورك تايمز. بعدها قد يظهر تشيني في برنامج حواري تلفزيوني ليناقش هذه المعلومة مستشهدا بالنيويورك تايمز كمصدر يضفي المصداقية على الخبر[1].

وكان العراق قبل حرب الكويت يحتفظ بمخازنه في مجمع التويثة النووي (٢٠ كم جنوب بغداد) بخمسمائة طن من مادة اليورانيوم أو كما يسمى بالكيك الأصفر[2]. وفي أواخر شباط ٢٠٠٢، أرسلت المخابرات المركزية السفير السابق جوزيف ولسن للتحقيق في تقارير تشير إلى أن العراق يسعى لشراء كمية أخرى من مادة الكيك الأصفر من النيجر. عاد ولسن وأبلغ المخابرات المركزية أن هذه الأخبار عارية عن الصحة. مع ذلك، استمرت إدارة بوش بالادعاء أن محاولات العراق للحصول على كميات أخرى من الكيك الأصفر مبرر كافي لشن عمل عسكري ضده. وفي خطاب الاتحاد في ٢٠٠٣ قال بوش أن العراق يسعى للحصول على اليورانيوم مستشهدا

(1) Michael Kirk, The Dark Side, Frontline Series Home, Park Foundation, June 20 2006.
http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/darkside/etc/script.html

(2) Associated Press, Saddam's Uranium Headed for Ontario Processing Plant, July 5, 2008.

بمصادر للمخابرات البريطانية. وردا على ذلك، كتب ولسن في حزيران ٢٠٠٢ مقالا في النيويورك تايمز قال فيه أنه قد حقق شخصيا بمزاعم مشتريات الكيك الأصفر وأنه يؤمن بأنها ملفقة. وبعد مقال ولسن هذا، تم حرق زوجة ولسن بكشفها علنا أنها ضابط في المخابرات المركزية. وأدى هذا إلى فتح تحقيق عن مصدر تسريب هذه المعلومة. وفي ١ مايس ٢٠٠٥، نشرت جريدة الصنداي تايمز مذكرة داونِنج ستريت. وتحوي محضرا لاجتماع سري جرى في ٢٣ تموز ٢٠٠٢ ضم قادة حزب العمال البريطاني ووزير الدفاع ومدير المخابرات وناقشوا فيه موضوع شن الحرب على العراق ومذكرة مدير المخابرات السرية البريطانية MI6 التي يعرب فيها عن رأيه بأن جورج بوش يريد إزالة صدام عن السلطة بواسطة عمل عسكري بذريعة علاقته بالإرهاب وبامتلاك أسلحة الدمار الشامل وأنه قد تم تكييف المعلومات والوقائع وفق هذه السياسة.

وفي ١٨ أيلول ٢٠٠٢، أوجز جورج تينيت الرئيس بوش بأن صدام حسين لا يمتلك أسلحة الدمار الشامل. وأهمل بوش معلومة في غاية السرية مصدرها الدائرة المحيطة بصدام وصدقها اثنان من كبار ضباط المخابرات المركزية وتبين فيما بعد أنها بالغة الدقة وهي عدم امتلاك العراق لهذه الأسلحة. وقد تم حجب هذه المعلومة عن الكونجرس وحتى عن ضباط المخابرات المسئولين عن متابعة امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل(١). وقد اتصلت المخابرات المركزية بوزير خارجية صدام، ناجي صبري، الذي كان الفرنسيون يدفعون له المال كعميل لهم(٢). أبلغهم

(1) Sidney Blumenthal, Salon, Bush Knew Saddam Had no Weapons of Mass Destruction, Sept 6, 2007
http://www.salon.com/opinion/blumenthal/2007/09/06/bush_wmd/

(2) pincus, walter, Ex-Iraqi official Unveiled as A Spy, Washington Post, 23/03/2006

الصحفي وولتر بنكس، صحيفة الواشنطن بوست، ٢٣.٠٣.٢٠٠٦ ، مقال بعنوان: كشف مسئول عراقي سابق كجاسوس.

صبري أن لصدام مطامح لتطوير البرنامج النووي، لكن هذا البرنامج غير فاعل حاليا، وأن العراق لم ينتج أو يخزن أسلحة جرثومية رغم وجود أبحاث جارية عن الموضوع.

وفي أيلول ٢٠٠٢، قالت إدارة بوش ووكالة المخابرات المركزية CIA ووكالة المخابرات العسكرية DIA أن محاولات العراق للحصول على أنابيب ألمنيوم فائقة القوة والمحظورة بموجب برنامج المراقبة التابع للأمم المتحدة، إنما تشير إلى وجود مساع سرية عراقية لتخصيب اليورانيوم لإنتاج القنبلة النووية. وقد عارضت هذا التحليل وزارة الطاقة الأمريكية ودائرة المعلومات والبحوث التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، وهذا أمر له أهمية بالغة بسبب خبرة وزارة الطاقة الكبيرة في برامج التسلح النووي وأجهزة الطرد الغازي. وقالت هاتان المؤسستان أن مثل هذه الأنابيب لا تصلح لأجهزة الطرد. وأحبطت الإدارة الأمريكية جهود وزارة الطاقة لتغيير آراء كولن باول قبل ظهوره في الأمم المتحدة لإلقاء خطابه[1]. وقد أشار باول في خطابه في مجلس الأمن قبل الحرب إلى هذه الأنابيب. ولكن تقريرا صدر لمعهد العلوم والأمن العالمي في ٢٠٠٢ أشار إلى أنه لا يمكن مطلقا استخدامها لتخصيب اليورانيوم. واعترف باول في وقت لاحق أنه قدم معلومات غير دقيقة عن الأسلحة العراقية إلى الأمم المتحدة وأنها كانت في بعض الأحوال مضللة. وبعد فترة قصيرة من الانتخابات الرئاسية الأمريكية في ٢٠٠٨ وانتخاب مرشح الحزب الديمقراطي باراك أوباما لمنصب الرئيس، اعترف الرئيس بوش قائلا: "أن أكثر ما يندم عليه طيلة فترة رئاسته هو الفشل الاستخباري في العراق"[2].

(1) David Albright, The CIA's Aluminum Tubes' Assessment: Is the Nuclear Case Going Down the Tubes? The Institute for Science and International Security, March 10, 2003.
http://www.isis-online.org/publications/iraq/al_tubes.html

(2) Suzanne Goldenberg, The Guardian, Iraq War my Biggest Regret, Bush Admits, Dec. 2, 2008
http://www.guardian.co.uk/world/2008/dec/02/george-bush-iraq-interview

وفي ١١ ت١ ٢٠٠٢ وبتأييد الغالبية العظمى من أعضاء الحزبين الديمقراطي والجمهوري، أصدر الكونجرس الأمريكي قرارا مشتركا بتفويض الرئيس باستخدام القوات المسلحة الأمريكية ضد العراق، ووفر ذلك لإدارة الرئيس بوش الأساس القانوني لغزو العراق طبقا للقانون الأمريكي. وقد خول هذا القرار الصادر بموجب الدستور الأمريكي ومصادقة الكونجرس، الرئيس لقتال أعداء الولايات المتحدة. وبعد الإشارة إلى قانون تحرير العراق الصادر في ١٩٩٨، ورد في القرار الجديد أنه يجب أن تكون سياسة الولايات المتحدة من الآن إزالة نظام حكم صدام حسين واستبداله بنظام ديمقراطي. و"أيد القرار وشجع" جهود الرئيس الأمريكي جورج بوش الدبلوماسية لتفعيل جميع قرارات مجلس الأمن ذات العلاقة بالعراق وحث المجلس على اتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة لضمان أن يتخلى العراق عن استراتيجية التأخير والمراوغة التي يمارسها وأن يلتزم بإخلاص بجميع قرارات مجلس الأمن. وخول القرار، الرئيس بوش باستخدام القوات المسلحة الأمريكية في الوقت الذي يرى فيه ذلك ضروريا ومناسبا من أجل "الدفاع عن الأمن القومي الأمريكي ضد التهديد المستمر الذي يشكله العراق ضده وتفعيل جميع قرارات مجلس الأمن بشأن العراق".

وفي ك٢ ٢٠٠٣، قال كبير مفتشي الأسلحة التابع للأمم المتحدة هانز بلكس: "لا يبدو أن العراق قد قبل بشكل جدي نزع أسلحته، وهو الأمر المطلوب منه تنفيذه لكسب ثقة العالم والعيش بسلام". ومن بين الأشياء الأخرى التي قالها أن هناك ٩١٠ طن من عامل الأعصاب الكيمياوي VX لا يعرف مصيرها ولم يقدم العراق المعلومات الدقيقة بشأنها. كما لم يقدم أي دليل مقنع عن تدمير ٨.٥٠٠ لتر من جرثومة الأنثراكس (الجمرة الخبيثة) التي قال العراق أنه دمرها. كان هدف خطاب كولن باول في الأمم المتحدة في ٣ شباط ٢٠٠٣ إقناع أعضاء الأمم المتحدة بأن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل. وحتى فرنسا كانت تؤمن بأن لدى صدام

خزينا من جراثيم الأنثراكس وسم التوكسين والقدرة على إنتاج عوامل الأعصاب VX. ولكن في آذار ٢٠٠٣ قال بلكس أننا لم نعثر على أدلة على وجود أسلحة دمار شامل وقد حصل بعض التقدم في عمليات التفتيش[١].

وفي بداية ٢٠٠٣، طرحت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وإسبانيا مشروع قرار يسمى "القرار الثامن عشر" وفيه يحدد للعراق موعد نهائي للالتزام بقرارات الأمم المتحدة مع التهديد باتخاذ إجراء عسكري. وبسبب عدم تأييد باقي الأعضاء، تم سحب مشروع القرار. وقد عارضت روسيا وأعضاء منظمة حلف الأطلسي الناتو وبالأخص فرنسا وألمانيا وكندا التدخل العسكري في العراق بسبب انطوائه على مخاطرة عالية لأمن المجتمع الدولي وإمكانية نزع أسلحة العراق عن طريق الحل الدبلوماسي[٢].

في ٢٠ ك٢ ٢٠٠٣ صرح وزير الخارجية الفرنسي دومينيك دي فيلبن: "نحن نعتقد أن التدخل العسكري هو أسوأ الحلول". وفي هذا الوقت نظمت الجماعات المناهضة للحرب في العالم مظاهرات احتجاجية عامة. يقول الأكاديمي الفرنسي دودينيك رينيه أن ٣٦ مليون إنسان قد اشتركوا في مظاهرات احتجاجية ضد الحرب على العراق خلال الفترة من ٣ ك٢ إلى ١٢ نيسان ٢٠٠٣. وكانت أضخم التظاهرات تلك التي حدثت في ١٥ شباط ٢٠٠٣[٣].

(1) Report of Hans Blix, Executive Chairman of UNMOVIC to the Security Council, Jan. 27, 2003
http://www.iraqwatch.org/un/unmovic/unmovic-blix-012703.htm

(٢) البيان المشترك الروسي الألماني الفرنسي بشأن العراق في ١٠ شباط ٢٠٠٣
https://pastel.diplomatie.gouv.fr/editorial/actual/ael2/bulletin.gb.asp?liste=20030211.gb.html

(3) Alex Callinicos, Anti-War Protests do make a Difference, Socialist Worker, 19 March 2005
http://www.socialistworker.co.uk/article.php?article_id=6067

وفي شباط ٢٠٠٣، أبلغ رئيس أركان الجيش الأمريكي إريك شنسكي اللجنة العسكرية في مجلس النواب الأمريكي أن الأمر يتطلب عدة مئات من الآلاف من الجنود لتأمين العراق. وبعد يومين قال وزير الدفاع رونالد رمسفيلد "أن القوات المطلوبة لما بعد الحرب هي أقل من القوات المطلوبة لكسبها، والقول أن تأمين العراق لما بعد الحرب يتطلب عدة مئات من الآلاف من الجنود هو قول بعيد عن الصحة". وقال مساعد وزير الدفاع بول وولفو ويتز أن تقديرات شينسكي بعيدة عن الواقع لأن بلدانا أخرى ستشترك في مهام الاحتلال[1].

وفي آذار ٢٠٠٣، كتب هانس بلكس في تقريره إلى الأمم المتحدة: "لم نعثر على أي أدلة حتى الآن عن أنشطة محظورة في العراق"، وأضاف أن عمليات التفتيش تحقق نوعا من التقدم وأنها ستستمر. ولكن الإدارة الأمريكية صرحت: "أن الدبلوماسية قد فشلت" وأنها ستشرع مع باقي الدول الحليفة والتي أسمتها بـ"تحالف المستعدين" في نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية. وأبلغت الحكومة الأمريكية مفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة بشكل فجائي بالانسحاب فورا من بغداد.

هناك الكثير من الإشكالات القانونية الخطيرة المحيطة بشن الحرب على العراق وبمبدأ بوش في شن الحرب الوقائية. وقد صرح كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة في ١٦ أيلول ٢٠٠٤ بخصوص الغزو: "لقد قلت سابقا أنه لا ينسجم مع ميثاق الأمم المتحدة. فمن وجهة نظرنا ووجهة نظر الميثاق فأن الغزو يعتبر عملا غير شرعي".

(1) John Althouse, army Chief: Force to Occupy Iraq Massive, USA Today, 25/2/2003
http://www.usatoday.com/news/world/iraq/2003-02-25-iraq-us_x.htm

وفي ت٢ ٢٠٠٨، وصف اللورد بنجام رئيس محكمة النقض البريطانية الحرب بأنها تمثل خرقا جديا للقانون الدولي واتهم بريطانيا والولايات المتحدة بكونهما يعملان كشرطي العالم. كما انتقد أيضا سجل بريطانيا لما بعد الحرب بوصفها قوة احتلال للعراق[١].

دخل أول فريق للمخابرات المركزية العراق في ١٠ تموز ٢٠٠٢. وكان يتألف من أعضاء ما يسمى بفرقة العمليات الخاصة، ثم التحق بهم فيما بعد أعضاء ما يسمى بقيادة العمليات الخاصة التابعة للجيش الأمريكي. وعمل الفريقان للتحضير لغزو العراق بواسطة القوات العسكرية التقليدية. واشتملت أعمالهما في الداخل على إقناع بعض الفرق العسكرية العراقية بالاستسلام بدلا من مقاومة الغزو وتحديد أماكن القيادة العراقية من خلال مهام استطلاع بالغة الخطورة. والأكثر أهمية في عملهما هو تنظيم البيشمركة الكردية (المقاتلين الكرد) لتكون الجبهة الشمالية لعملية الغزو. وبمساعدة الفريقين المذكورين، هزمت القوات الكردية قبل الغزو تنظيم أنصار الإسلام في شمال العراق. وقد أدت المعركة ضد هذا التنظيم إلى مقتل عدد كبير من قادته وأعضائه والى كشف منشأة للأسلحة الكيمياوية في سركت.

وعند الساعة الخامسة وأربع وثلاثين دقيقة حسب توقيت بغداد من فجر يوم ٢٠ آذار ٢٠٠٣، بدأت عملية الغزو العسكري للعراق[٢]. قاد العملية الجنرال الأمريكي تومي فرانكز، وكان اسمها "عملية تحرير العراق"، ثم غُيّرَ إلى "عملية حرية العراق". بينما أطلقت عليها القيادة العراقية اسم "الحواسم" الذي أصبح في وقت لاحق محلا للسخرية والتندر لدى العراقيين ومفردة مرادفة للسلب والنهب

(1) Richard Norton Taylor, Top Judge: US and UK acted as vigilantes in Iraq Invasion, The Guardian, 18 Nov. 2008, http://www.guardian.co.uk/world/2008/nov/18/iraq-us-foreign-policy

(2) http://www.globalsecurity.org/military/ops/iraqi_freedom.htm

(الفرهود). وتعاونت قوات التحالف مع قوات البيشمركة الكردية في الشمال. اشتركت في الغزو حوالي أربعين دولة قدمت الجنود والمعدات والخدمات والحراسة والقوات الخاصة. كان الهدف العسكري للعملية هو إنهاء نظام صدام حسين وتدمير أسلحة الدمار الشامل وإبعاد الميليشيات الإسلامية والحصول على المعلومات عن الشبكات المسلحة وتوزيع المساعدات الإنسانية وتأمين البنية التحتية للنفط العراقي والمساعدة في تشكيل حكومة تمثل الشعب العراقي ولكن تكون حكومة طيعة وتمثل نموذجا لدول الشرق الأوسط الأخرى.

كانت عملية الغزو سرية وحاسمة وواجهت مقاومة شديدة في البداية لكنها لم تكن كما توقعت القوات البريطانية والأمريكية وباقي قوات الدول الأخرى. وقد هيأ النظام العراقي نفسه لخوض حرب تقليدية وغير تقليدية في نفس الوقت، فينسحب من الأرض عندما يواجه قوات تقليدية متفوقة وخاصة من الدروع، ويشن هجمات صغيرة على مؤخرة القوات المهاجمة باستخدام مقاتلين يرتدون الملابس المدنية وشبه العسكرية. وقد حقق هذا التكتيك بعض النجاحات المحدودة وشكل تهديدا غير متوقع للقوات الغازية خاصة من الجيش الأمريكي. وفي الشمال، استخدمت القيادة العسكرية الأمريكية أكبر قوة للعمليات الخاصة منذ الإطاحة بحكومة طالبان قبل سنة من ذلك التأريخ. وسرعان ما كان الجيش العراقي ينسحب عند أي اشتباك مع القوات الأمريكية بينما أبدى فدائيو صدام مقاومة شرسة وأحيانا انتحارية قبل أن يتواروا مع السكان المدنيين.

وفي ٩ نيسان، سقطت بغداد وانتهى نظام الرئيس صدام حسين الذي ظل يحكم لأربع وعشرين سنة. واستولت القوات الأمريكية على الوزارات العراقية وأسقطت التمثال النحاسي الكبير لصدام حسين في ساحة الفردوس وأصبح مشهد ذلك رمزا لهذا الحدث رغم إنه أثار كثيرا من الجدل في وقت لاحق. وفي ت٢ ٢٠٠٨ نفذ

متظاهرون عراقيون مشهدا مماثلا فداسوا وأحرقوا صورة لجورج بوش. رافق السقوط السريع لبغداد دفق غزير من مشاعر الامتنان للأمريكيين والبريطانيين وحلفائهم مع فوضى مدنية عارمة شملت أعمال سلب ونهب للمباني الحكومية وازدادت الجريمة بشكل مخيف بسبب الفراغ الأمني الهائل. وتقدر البنتاجون أنه تم نهب ٢٣٠.٠٠٠ طن من المواد والمعدات العسكرية العراقية ووفر هذا مصدرا أساسيا للذخيرة والعتاد للمسلحين العراقيين. وانتهت عملية الغزو عندما سقطت تكريت، مسقط رأس صدام، دون مقاومة بيد قوات المارينز الأمريكية، وفي ١٥ نيسان أعلن الحلفاء انتهاء العملية.

قتل خلال عملية الغزو من ٢٠ آذار ولغاية ٣٠ نيسان ٢٠٠٣، (٩٢٠٠) عسكري عراقي مع (٧٢٩٩) مدني ومعظمهم بنيران القوات الجوية والبرية الأمريكية. بينما يقول الحلفاء أنهم خسروا ١٣٩ جنديا أمريكيا و٣٣ جنديا بريطانيا[1]. وهذا يعني أنه مقابل كل قتيل من الحلفاء سقط مائة عراقي.

وبعد سقوط النظام العراقي، أسس الحلفاء سلطة الائتلاف المؤقتة ومقرها المنطقة الخضراء لتكون بمثابة حكومة انتقالية للعراق لحين تأسيس حكومة ديمقراطية له. وبعد الإشارة إلى قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٤٨٣ في ٢٢ مارس ٢٠٠٣ وقوانين الحرب، منحت سلطة الائتلاف المؤقتة نفسها صلاحيات تنفيذية وتشريعية وقضائية في العراق خلال الفترة من بداية تشكيلها في ٢١ نيسان ٢٠٠٣ ولغاية حلها في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤.

---

(1) Washington Post, A Look at US Deaths in the Iraq War, Oct 25, 2005 http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/10/25/AR2005102501190.html

ترأس هذه السلطة في البداية جي جارنر وهو ضابط أمريكي سابق لكنه لم يستمر إلا إلى ١١ مايس عندما عين الرئيس بوش بول بريمر بدلا عنه. وظل الأخير في هذا المنصب حتى حل سلطة الائتلاف في تموز ٢٠٠٤.

الهيئة الأخرى التي أسستها القوة متعددة الجنسيات في العراق هي الجماعة الدولية لمسح العراق المكونة من ١٤٠٠ عنصرا ومهمتها العثور على أي برامج عراقية لأسلحة الدمار الشامل. وفي ٢٠٠٤، أصدرت الجماعة تقريرها الذي أقرت فيه أن العراق لا يمتلك برامج قابلة للتنفيذ لأسلحة الدمار الشامل.

وفي ١ مايس ٢٠٠٣ ، قام الرئيس بوش بزيارة مفاجئة إلى حاملة الطائرات (يو أس أس إبراهام لنكولن) على بعد عدة أميال من سان دييجو بكاليفورنيا. ما ميز هذه الزيارة هو خطاب بوش الشهير الذي قال فيه: "المهمة أنجزت". فقد أعلن بوش في خطابه المتلفز الذي ألقاه على البحارة ورجال البحرية على ظهر الحاملة تحقيق النصر بعد دحر القوات التقليدية العراقية. بينما كانت جيوب المقاومة لا تزال منتشرة على نطاق واسع.

وبعد خطاب بوش، شهدت قوات التحالف تزايدا تدريجيا في حجم الهجمات الموجهة ضدها في العديد من المناطق وخاصة في المنطقة التي يطلق عليها اسم المثلث السني[(١)]. كان لدى المسلحين العراقيين المئات من مستودعات الأسلحة التي هيأها لهم قبل الغزو الجيش العراقي والحرس الجمهوري.

نشأت المقاومة العراقية في البداية من فدائيي صدام والبعثيين الموالين لصدام ثم التحق بهم المتطرفون الإسلاميون وبعض العراقيين الذي أغضبهم الاحتلال. وسجلت محافظات بغداد والأنبار وصلاح الدين أعلى نسبة للهجمات المسلحة

(١) أنظر خرائط عملية الغزو على الموقع :

http://www.globalsecurity.org/military/ops/iraqi_freedom-ops-maps.htm

وتعتبر مسئولة عن ٨٠٪ من عدد القتلى الأمريكيين في العراق لغاية ٥ ك١ ٢٠٠٦[١]. يستخدم المسلحون أسلوب حرب العصابات في عملياتهم القتالية والذي يشمل: إطلاق قنابر الهاون والصواريخ والهجمات الانتحارية والقنص والعبوات الناسفة والسيارات المفخخة وإطلاق النيران (ببنادق هجومية عادة) وإطلاق صواريخ آر بي جي إضافة إلى الأعمال التخريبية للبنية التحتية لخدمات الماء والكهرباء والنفط.

وبدأت الدول المتحالفة بالتعاون مع الأمم المتحدة بعد سقوط النظام بالعمل على تأسيس دولة مستقرة ديمقراطية قادرة على الدفاع عن نفسها أمام الدول الأخرى غير الحلفاء إضافة إلى قدرتها على التغلب على الانقسامات الداخلية.

في نفس الوقت شنت قوات الحلفاء عدة عمليات عسكرية في منطقة شبه الجزيرة حول وادي دجلة والمناطق السنية الأخرى. وفي نهاية ٢٠٠٣ أخذ عدد وشدة هجمات المسلحين بالازدياد. وأقوى وأوسع هجمات لهم حصلت في شهر رمضان وأسموها هجوم رمضان[٢]. ولمواجهة هذا الهجوم بدأت قوات الحلفاء لأول مرة بعد انتهاء الغزو باستخدام سلاح الجو والمدفعية لضرب مواقع الكمائن المحتملة ومواقع إطلاق الصواريخ. وتضاعفت الدوريات والغارات على مواقع المسلحين المشتبه بهم وحملات الرصد والمراقبة على الطرق الرئيسة. إضافة إلى هذا أحيطت قريتان بالأسلاك الشائكة وخضعتا لمراقبة دقيقة، إحداهما هي قرية العوجة مسقط رأس صدام والثانية هي أبو حشمة[٣].

---

(1) http://icasualties.org/oif/Province.aspx

(٢) في أواخر ت١ ٢٠٠٣ حصلت أربع عمليات انتحارية بسيارات مفخخة ضد الشرطة العراقية ومنظمة الصليب الأحمر تلتها موجة من الهجمات بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة. واستمرت عمليات المسلحين بمعدل ٥٠ عملية يوميا. وقد أدت إلى مقتل ٨٢ أمريكيا وجرح ٣٣٧ آخر خلال شهر ت٢ ٢٠٠٣.

(٣) كانت تطلق من البساتين المحيطة بهذه القرية قنابر الهاون ضد القوات الأمريكية، وفي ١٧ ت٢ ٢٠٠٣ أطلقت قذيفة آر بي جي على عجلة مدرعة نوع برادلي وقتلت العريف ديل بانكوت. وبعد هذه العملية أحاطت فرقة المشاة الرابعة القرية بالأسلاك الشائكة وأصدرت لأهلها بطاقات =

وقد فشلت سلطة الائتلاف المؤقتة ومجلس الحكم في إعادة الخدمات إلى مستوياتها قبل الحرب التي كانت أصلا دون الحد الأدنى المطلوب. وأدى الفساد والعمليات التخريبية للمسلحين إلى إبقاء المدن دون خدمات أساسية وهذا مما ساهم في زيادة الغضب الشعبي إزاء سلطة الائتلاف ومجلس الحكم.

وفي صيف ٢٠٠٣، ركزت القوات متعددة الجنسيات جهودها على القبض على قادة النظام السابق. وفي ٢٢ تموز شنت الفرقة ١٠١ المحمولة جوا وجنود قوة المهام ٢٠ غارة على منزل في الموصل وقتلت أبناء صدام، عدي وقصي مع مصطفى ابن قصي. وفي المجمل، تم قتل أو إلقاء القبض على أكثر من ٣٠٠ من قادة النظام السابق إضافة إلى العديد من القيادات المدنية والعسكرية الأقل درجة.

والأكثر أهمية هو أنه ألقي القبض في يوم ١٣ ك١ ٢٠٠٣ على صدام حسين نفسه في مزرعة بقضاء الدور بالقرب من تكريت في عملية سميت بـ"عملية الفجر الأحمر". نفذت العملية فرقة المشاة الأمريكية الرابعة وجنود قوة المهام ١٢١. جاءت المعلومات عن مخبأ صدام من بعض أبناء عمومته وحمايته السابقين(١).

ومع القبض على صدام وانخفاض عدد الهجمات، اعتقد البعض أن القوات متعددة الجنسيات قد أحرزت النصر في قتالها ضد المسلحين. وبدأت الحكومة الانتقالية بتدريب القوات الأمنية العراقية الجديدة ووعدت الولايات المتحدة بتقديم أكثر من عشرين مليار دولار لإعادة بناء العراق. واستخدمت عوائد النفط في إعادة

= هوية بالإنجليزية. وقصفت المنزل الذي يأوي المسلحين واعتقلت ثمانية شيوخ ومدير الشرطة وأعضاء المجلس المحلي. أدى هذا إلى حملة من الانتقادات الواسعة كونه يمثل عقابا جماعيا وهو الأسلوب الذي تحرمه المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف الرابعة.

(١) أنظر تقرير محطة السي أن أن في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣ بعنوان:

Saddam's Caught like a rat in a hole
http://edition.cnn.com/2003/WORLD/meast/12/14/sprj.irq.saddam.operation/index.html?iref=newssearch

بناء المدارس وتأهيل البنية التحتية لتكرير النفط وتوليد الطاقة الكهربائية وتنظيم شبكات الماء والمجاري.

وبعد إلقاء القبض على صدام بدأت عدة شخصيات عراقية تطالب بأجراء انتخابات وتشكيل حكومة عراقية مؤقتة وأبرز هؤلاء هو رجل الدين الشيعي آية الله العظمى علي السيستاني[1]. وكانت سلطة الائتلاف المؤقتة تعارض إجراء انتخابات

(١) السيد علي الحسيني السيستاني مواليد ١٩٣٠ في مدينة مشهد بإيران لأسرة عربية علوية معظم رجالها علماء دين علما أنه يقطن إيران أكثر من مليوني عربي أي حوالي ٣٪ من مجموع السكان. وجاء لقبه السيستاني نسبة إلى محافظة سيستان أو سجستان بجنوب شرق إيران وهي موطن أسلافه. وقد أنتجت هذه المحافظة الكثير من علماء الدين المسلمين كأبي داود السجستاني صاحب السنن المعروف وأبي الوقت السجزي أحد رواة الحديث. والسيستاني هو أعلى مرجع إسلامي شيعي في العراق والعالم وزعيم الحوزة العلمية التي مقرها النجف الأشرف في العراق. استقر في العراق منذ ١٩٥١ ويعتبر حاليا أهم شخصية سياسية ودينية في عراق ما بعد الغزو. وجده أيضا عالم دين مشهور درس في النجف. ابتدأ السيستاني دراسته الدينية في مشهد ثم انتقل إلى قم وسط إيران في ١٩٤٩ ثم في ١٩٥١ ارتحل إلى النجف لإكمال علومه الدينية على يد آية الله العظمى أبي القاسم الخوئي. في عام ١٩٦٠ أصبح مرجعا وهو في سن مبكر أي في ٣١ من العمر. وفي عام ١٩٦١ حاز مرتبة الاجتهاد. وعندما توفي الخوئي في ١٩٩٢، حاز السيستاني مرتبة آية الله العظمى بالطريقة التقليدية وذلك باعتراف زملائه بمرتبته العلمية. ومع موت معظم آيات الله في العراق، ظهر السيستاني على الساحة كأبرز رجل دين شيعي في العراق. وقد استطاع المحافظة على حياته خلال حكم البعث الذي قتل الكثير من رجال الدين الشيعة. وأغلق جامعه في ١٩٩٤ وظل مغلقا حتى سقوط نظام صدام حسين حيث أعيد افتتاحه ثانية. ومنذ ذلك التأريخ ظل السيستاني نزيل بيته في النجف وقلما يغادره. ويرى البعض أن ذلك جاء نتيجة الإقامة الجبرية التي فرضها حزب البعث عليه وتعود هو عليها. ورغم عزلته وصعوبة اللقاء به، إلا أنه يتمتع بنفوذ هائل على المسلمين الشيعة في كافة أنحاء العالم وخاصة في العراق وإيران ولبنان ودول الخليج. ونتيجة نفوذه، فقد لعب دورا هادئا لكن في غاية الأهمية في السياسة الحالية في العراق. ويعرف بشكل خاص دوره الأساس في إجبار سلطة الائتلاف المؤقتة على قبول إجراء انتخابات حرة في العراق لتشكيل جمعية وطنية لكتابة الدستور والاستفتاء عليه. فأصدر فتوى دعا فيها جميع العراقيين وخاصة النساء للتصويت وقال أن الخروج للتصويت واجب شرعي. كما لعب دورا أساسيا في التوصل إلى هدنة مع مقتدى الصدر وعناصر جيشه المحاصرين في =

= جامع ضريح الأمام علي في آب ٢٠٠٤ من قبل قوة عراقية أمريكية مشتركة. وسبق أن هدد مقتدى في نيسان ٢٠٠٣، السيستاني بالقتل وأمهله ٤٨ ساعة لمغادرة العراق. وفي آب ٢٠٠٤ وبعد معاناة طويلة من مرض القلب، سافر السيستاني إلى لندن لأجراء المعالجة الطبية له. وكانت تلك هي المرة الأولى التي شوهد فيها يغادر بيته منذ سنوات عديدة.

وأكثر الأدوار التي لعبها السيستاني أهمية في عراق ما بعد الغزو هو حثه العراقيين الشيعة على عدم الرد على هجمات الجماعات السلفية السنية التي تستهدف الأبرياء. وحتى بعد تفجير ضريحي الأمامين العسكريين في سامراء في شباط ٢٠٠٦، ظل السيستاني وممثلوه يحثون الناس على التزام الصبر والهدوء قائلا: ليس جيرانكم السنة هم الذين يقتلونكم بل الوهابيين الأجانب.

وفي ٢٩ ك٢ ٢٠٠٧، ألقي القبض على ثلاثة أشخاص من جماعة جند السماء كانوا يدبرون محاولة لاغتياله، ويبدو أن هذه المحاولة هي جزء من خطة كبرى تستهدف الاستيلاء على النجف.

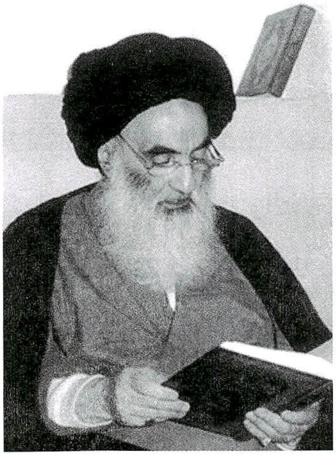
لا يؤمن السيستاني بمبدأ ولاية الفقيه الذي تبناه الأمام الخميني ولا يحبذ التدخل بالشؤون السياسية بشكل مباشر ورغم خلافه مع رجال الدين الحاكمين في إيران إلا أنه لم يحاول إثارة المنافسة بين حوزته في النجف وحوزتهم في قم ولم يدل بأي تصريح أو فتوى بشأن المواجهات بين الإصلاحيين والمحافظين في إيران أو بين رجال الدين الشيعة في لبنان.

يتلقى مكتب السيستاني في النجف سنويا ملايين الدولارات عن خمس فائض مدخولات المسلمين الشيعة ومن صدقات المحسنين إلى أضرحة الأئمة، ويصرفها المكتب على طلبة العلوم الدينية وعلى مساعدة بعض الفقراء. ويقال أن المكتب يدعم ٣٥.٠٠٠ طالب علوم دينية في قم و١٠.٠٠٠ طالب في مشهد و٤.٠٠٠ طالب في أصفهان ولا تعرف المبالغ التي يصرفها على طلبة العلوم الدينية في النجف. وفي نفس الوقت يعيش السيستاني حياة زهد وتقشف في بيت متواضع صغير في أحد أزقة النجف القديمة خال حتى من الكراسي أو المناضد ومفروش بسجاد قديم مهترئ وفيه يستقبل كبار الضيوف كما استقبل عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية ودي مستورا ممثل الأمين العام للأمم المتحدة ورئيس جمهورية العراق ورئيس إيران والعديد من الوزراء والسياسيين العرب والمسلمين والأجانب. لكنه لم يستقبل أو يلتق مع أي مبعوث او مسئول أمريكي.

وللسيستاني أتباع في كافة أنحاء العالم. ويقال أنه بعد سقوط نظام صدام وتدفق ملايين الإيرانيين على زيارة أضرحة الأئمة علي والحسين والعباس في العراق، عاد الكثير منهم أتباعا ومقلدين للسيستاني.

أهم الانتقادات الموجهة إليه من خصومه هي عدم خروجه على الملأ ومخاطبة الجماهير بشكل مباشر حتى في أحلك الظروف قساوة واكتفائه بالكتابة فقط عند إصدار فتاويه ويتولى وكلاؤه قراءتها نيابة عنه. ويعزى ذلك كما يقول بعض المنتقدين إلى لغته العربية ذات اللكنة الفارسية والتي لا يريد أن يظهر بها لأتباعه ومقلديه. والانتقاد الثاني الموجه إليه هو انعدام الشفافية فيما يتعلق بإيرادات =

ديمقراطية في حينها وتفضل تسليم السلطة إلى مجلس الحكم[1]. وبسبب الصراع على السلطة، ضاعف المسلحون نشاطاتهم وعملياتهم القتالية. وكانت أكثر المناطق اضطرابا هي الفلوجة والمناطق المحيطة بها وأحياء الشيعة الفقيرة في المدن الممتدة من بغداد وحتى البصرة وخاصة مدينة الصدر (الثورة سابقا) داخل بغداد.



آية الله العظمى السيد علي السيستاني

تميز مطلع عام ٢٠٠٤ بانخفاض نسبي للعنف. فقد أخذ المسلحون يعيدون تنظيم قواتهم ويدرسون الأساليب القتالية للقوات متعددة الجنسيات ويخططون لشن

= مكتبه وأوجه صرفها. فالجميع يعلم أن هناك ملايين الدولارات تدخل إلى ميزانية المكتب لكن لا أحد يعرف عددها ولا أوجه صرفها وربما السيد نفسه لا يعلم تفاصيلها. الانتقاد الثالث وهو موجه من زملائه من رجال الدين الشيعة ويقولون أنه بالرغم من ملايين الدولارات التي ترد إلى مكتب السيستاني سنويا لكنه لم يسع أو يحاول إصدار جريدة أو مجلة أو محطة فضائية أو وسيلة إعلامية تنطق باسم الحوزة العلمية في النجف باعتبارها أقدم وأعرق حوزة علمية في العالم (عمرها أكثر من ألف عام) وما حوزة قم بإيران إلا فرع لها.

(1) Jonathan Steele, Why the US is Running Scared of Elections in Iraq, The Guardian, Jan. 19, 2004
http://www.commondreams.org/views04/0119-08.htm

هجمات جديدة. لكن العنف ما لبث إن ارتفع في ربيع ٢٠٠٤ مع تدفق المقاتلين الأجانب من معظم دول الشرق الأوسط إلى العراق. وقد ساهم دخول أبي مصعب الزرقاوي وعناصر القاعدة الآخرين بتمويلاتهم الضخمة وتدريبهم العالي في تصاعد وتيرة الأعمال الإرهابية.

ومع تصاعد العنف حصل تغير واضح في الجهات التي يستهدفها المسلحون. فبعد إن كانوا يستهدفون قوات التحالف، حولوا فوهات بنادقهم وأسلحتهم صوب القوات الأمنية العراقية وقتلوا خلال أشهر معدودة عدة مئات من المدنيين العراقيين ورجال الشرطة في سلسلة من الهجمات والتفجيرات الانتحارية والعبوات الناسفة. وأصبح التمرد السني المنظم أكثر قوة ونشاطا في معظم أنحاء العراق. كما بدأ جيش المهدي الشيعي يشن هجمات على أهداف للتحالف في محاولة لسلب السيطرة من القوات الأمنية العراقية على الأحياء والمدن العراقية. وبدأ الاضطراب يتفشى في الأجزاء الوسطى والجنوبية من العراق في حرب عصابات في الشوارع والأحياء السكنية بينما تحاول القوات متعددة الجنسيات فرض سيطرتها والاستعداد لشن هجوم مضاد.

وأعنف حدث خلال الحرب بدأ في ٣١ آذار ٢٠٠٤ عندما نصب المسلحون في الفلوجة كمينا لرتل تابع لشركة بلاك ووتر للحراسات الأمنية الذي كان يوفر الحماية الأمنية لشركة يورست سبّورت سيرفسز ESS المسئولة عن توفير الطعام للجيش الأمريكي في العراق. فتح المسلحون النار الخفيفة والمتوسطة والقنابل اليدوية على الرتل وقتلوا الحراس الأمنين الأربعة المسئولين عن قيادته. بعدها تم سحل جثثهم وتشويهها والتمثيل بها وحرقها ثم تعليقها على أعمدة الجسر الممتد على نهر الفرات. صوّر الحادث ووزعت صوره على وكالات الأنباء في العالم وسبب هلعا وذعرا كبيرا

في الولايات المتحدة[1]، كما فشلت كل محاولات التهدئة في المدينة وحصلت معركة الفلوجة الأولى في نيسان ٢٠٠٤.

وفي ت٢ ٢٠٠٤، استأنف الأمريكيون هجومهم وحصلت أشرس معركة خلال الحرب على الإطلاق. ووصفها الجيش الأمريكي على لسان أحد كبار قادة فرقة المارينز الأولى المنتشرة في الأنبار: "كانت معركة الفلوجة الثانية أعنف قتال مدن خاضته فرقتهم منذ معركة مدينة هيو في فيتنام". وخلال الإيجاز الاستخباري السابق للمعركة، أبلغت القوات الأمريكية أنه ستواجه مقاتلين من الشيشان والفيليبين والسعودية وإيران وإيطاليا وسوريا بالإضافة إلى المقاتلين العراقيين[2]. استخدمت الأمريكيون خلال الهجوم القنابل الحارقة المصنوعة من الفسفور الأبيض[3] ضد المسلحين وهذا ما أثار جدلا واسعا. أسفرت المعركة عن مقتل ١٣٥٠ مسلحا وخسر الأمريكيون ٩٥ جنديا ودمرت المدينة بالكامل. أما الخسائر من جانب المدنيين فكانت طفيفة إلى حد ما لأن معظمهم قد فر منها قبل المعركة[4].

(١) أنظر تقرير محطة السي أن أن في ٦ مايس ٢٠٠٤ بعنوان US Expects More Attacks in Iraq منشور على موقعها:

http://edition.cnn.com/2004/WORLD/meast/03/31/iraq.main

(2) Bellavia, David & Bruning, John, House to House: An Epic Memoir of War Free Press, 2007.

(٣) قنابل الفسفور الأبيض هي قنابل حارقة شديد الانفجار تستخدم ضد الأفراد وتطلق إما بواسطة الهاونات أو المدفعية ولا يمكن إطفاءها بالماء بل بالرمل الرطب أو رذاذ الماء. والقنابل الحارقة محرمة دوليا بموجب المادة الأولى من البروتوكول الثالث من اتفاقيات جنيف الخاصة بالأسلحة. وتقول الولايات المتحدة أن هذا البروتوكول غير ملزم لها كونها لم توقع عليه. وقد اعترف الضباط الأمريكيون باستخدامه ضد المسلحين في معركتي الفلوجة الأولى والثانية. وقد سبق إن استخدمه نظام صدام حسين في ١٩٨٨ ضد الكرد في مدينة حلبجة كما استخدمه المسلحون أيضا في عبواتهم التي يزرعونها على الطرق.

(4) Thomas E. Ricks, Fiasco, The American Military Adventure in Iraq, Penguin, 2006, p. 398-405

الحدث الكبير الآخر الذي حصل خلال عام ٢٠٠٤ هو فضيحة إساءة معاملة السجناء في سجن أبي غريب غرب بغداد وهو الأمر الذي أثار اهتمام جميع وسائل الأعلام العالمية في نيسان ٢٠٠٤. وأول من كشف الفضيحة ونشر صورا عن إهانة وإساءة معاملة السجناء العراقيين في ٢٨ نيسان ٢٠٠٤ هو البرنامج الإخباري "٦٠ دقيقة" الذي يبث من على محطة تلفزيون CBS الأمريكية ومقال الصحفي سيمور هيرش في صحيفة النيويوركر في ٣٠ نيسان(١). قال المراسل العسكري توماس ريكس أن هذه الفضيحة تمثل ضربة قاصمة للمبرر الأخلاقي للاحتلال في عيون العراقيين وتعتبر نقطة تحول كبيرة في الحرب(٢).

وفي ٣١ ك٢ ٢٠٠٥، انتخب العراقيون حكومة انتقالية مهمتها كتابة دستور دائم للبلاد. ورغم العنف ومقاطعة السنّة للانتخابات، اشترك معظم الشيعة والكرد فيها. وفي ٤ شباط صرح بول وولفو ويتز أنه سيتم سحب ١٥.٠٠٠ جندي أمريكي خلال الشهر التالي. فقد تميزت الأشهر من شباط إلى نيسان بالهدوء النسبي مقارنة بمجازر ت٢ وك١ ٢٠٠٤ حيث انخفضت هجمات المسلحين إلى ٣٠ هجمة باليوم الواحد بعد إن كانت ٧٠.

وتبخرت الآمال بانتهاء الأعمال المسلحة وانسحاب القوات الأمريكية في مايس من ذلك العام وهو أكثر الأشهر دموية منذ بدء الغزو. فقد انتشر الانتحاريون الذين بمعظمهم من العراقيين العرب السنة ومن السوريين والسعوديين في كافة أنحاء العراق. وأغلب أهدافهم تجمعات السكان المدنيين من الشيعة. وأسفرت حصيلة عملياتهم الانتحارية في شهر مايس عن مقتل أكثر من ٧٠٠ مدني عراقي، إضافة إلى ٧٩ جندي أمريكي، أي قُتل مقابل كل جندي أمريكي تسعة مدنيين عراقيين.

(1) Semour M. Hersh, Torture at Abu Ghraib, The New Yorker, May 10, 2004, http://www.newyorker.com/archive/2004/05/10/040510fa_fact#Replay

(٢) Thomas ricks المصدر نفسه.

وشهد صيف ٢٠٠٥ قتالا في ضواحي بغداد وفي تل عفر شمال غرب العراق. وفي الخريف حاولت القوات الأمريكية إحكام السيطرة على الحدود السورية مما أدى إلى نشوب قتال في مدن وادي أعالي الفرات الواقعة بين بغداد وتلك الحدود.

وفي ١٥ ت١، جرى الاستفتاء على الدستور الذي صاغته الجمعية الوطنية العراقية المنتخبة وحظي بمصادقة ٧٩٪ من المصوتين. وفي ك١ ٢٠٠٥، تم انتخاب مجلس وطني عراقي بمشاركة السنة إضافة إلى الشيعة والكرد.

وقد ارتفعت الهجمات المسلحة خلال ٢٠٠٥، فسجلت ٣٤.١٣١ عملية للمسلحين مقابل ٢٦.٤٩٦ عملية خلال ٢٠٠٤[1].

تميز مطلع ٢٠٠٦ بمحادثات لتشكيل الحكومة وبتفاقم العنف الطائفي وبهجمات مستمرة ضد قوات التحالف. فبعد تفجير مرقدي الأمامين الحسن العسكري وعلي الهادي في مدينة سامراء في ٢٢ شباط ٢٠٠٦، توسع العنف الطائفي ووصل إلى مرحلة جديدة لم يشهدها من قبل. وهذا المرقدان هما من أقدس الأماكن لدى المسلمين الشيعة ويعتقد أن تفجيره قد جاء بفعل متفجرات زرعها تنظيم القاعدة في أركان الجامع. ورغم عدم حصول إصابات بشرية خلال الانفجار، لكن الجامع قد دمر بالكامل وأدى تفجيره إلى اندلاع عنف غير مسبوق خلال الأيام التالية. فقد عثر في يوم ٢٣ شباط على أكثر من ١٠٠ جثة مصابة بطلق ناري في الرأس، ويعتقد أن ١٦٥ شخصا قد قتل في بغداد خلال ذلك اليوم. وذكرت مصادر من الجيش الأمريكي أن معدل جرائم القتل بعد هذا الحادث قد تضاعف ثلاث مرات في بغداد لتصل إلى ٣٣ جريمة قتل في اليوم الواحد بعد إن كانت ١١. وقد وصفت الأمم المتحدة الوضع في العراق بأنه وضع "شبيه بالحرب الأهلية"[2].

(1) UN News Center, Decrying Violence in Iraq, UN Envoy Urges National Dialogue, International Support, 25 Nov. 2006, http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=20726&Cr=Iraq&Cr1

(٢) المصدر نفسه.

تولت الحكومة الدائمة المنتخبة مقاليد السلطة في ٢٠ مايس ٢٠٠٦ بعد انتخابات عامة في ك١ ٢٠٠٥ ومصادقة أعضاء المجلس الوطني عليها. وقد ظلت الحكومة الانتقالية قائمة لحين تشكيل الحكومة الدائمة.

وفي ٢٣ ت٢، حصل أحد أعنف الهجمات الانتحارية منذ بدأت الحرب. فقد نفذت جماعة من العرب السنة عدة هجمات انتحارية بالسيارات المفخخة وقنابل الهاون على أحياء مدينة الصدر الفقيرة وقتلوا ٢١٥ مدنيا وجرحوا ٢٥٧ آخر. ردت الميليشيات الشيعية بإطلاق قذائف الهاون على مقرات عدد من الأحزاب السنية وعلى بعض أحيائهم.

وفي ١٥ آذار ٢٠٠٦ شكل الكونجرس الأمريكي لجنة لتقييم الوضع في العراق وتقديم المقترحات بشأنه. ترأس اللجنة وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر (جمهوري) والنائب الديمقراطي لي هاملتون. وفي ٦ ك١ ٢٠٠٦، أصدرت تقريرها وقالت فيه: "إن الوضع في العراق متدهور وخطير، ويبدو أن القوات الأمريكية متورطة في مهمة لا تتضح لها نهاية". وذكر التقرير ٧٩ توصية للخروج من المأزق منها زيادة الضغوط الدبلوماسية على إيران وسوريا ومضاعفة الجهود لتدريب القوات العراقية. وفي ١٨ ك١، قال تقرير للبنتاجون أن عدد الهجمات على العراقيين والأمريكيين بلغ ٩٦٠ أسبوعيا وهو أعلى معدل منذ ٢٠٠٥[(١)].

نقلت قوات التحالف رسميا لأول مرة منذ بدء الحرب الملف الأمني في عدد من المحافظات إلى الحكومة العراقية. وفي ٢٢ ك١ ٢٠٠٦، وجه المدعي العام العسكري تهمة القتل غير العمد لثمانية من جنود المارينز لقتلهم ٢٤ مدني عراقي في

(1) Ray Suarez, Attacks in Iraq at All Time, Pentagon Report Says, PBS, The Online News Letter, Dec. 19, 2006.
http://www.pbs.org/newshour/bb/middle_east/july-dec06/iraq_12-19.html

مدينة حديثة في ت٢ ٢٠٠٥، عشرة منهم من النساء والأطفال. ووجهت أيضا بشأن نفس الحادث تهمة التقصير بأداء الواجب لأربعة ضباط أمريكيين.

وفي ٣٠ ك١ ٢٠٠٦ أعدم صدام حسين شنقا بعد إن وجدته المحكمة العراقية مذنبا بارتكابه جرائم ضد الإنسانية بعد محاكمة استمرت عاما كاملا. وقد ارتكب معظم جرائمه عندما كان حليفا للولايات المتحدة والمملكة المتحدة.

وفي ١٠ ك٢ ٢٠٠٧، اقترح بوش في خطاب متلفز نشر قوة إضافية تعدادها ٢١.٥٠٠ جندي أمريكي في العراق، ووضع برامج لتشغيل العراقيين وإعادة إعمار البلاد وتخصيص ١.٢ مليار دولار لهذه البرامج. وعندما سئل لماذا يعتقد أن خطته ستنجح هذه المرة؟ أجاب: "لأنها يجب أن تنجح". وفي ٢٣ ك٢ ٢٠٠٧ أعلن خلال خطاب الاتحاد نشر تعزيزات قدرها ٢٠.٠٠٠ جندي إضافي في العراق. وفي ١٠ شباط، عين ديفيد بتريوس قائدا للقوة متعددة الجنسيات في العراق خلفا للجنرال جورج كيسي. أصبح بتريوس من خلال منصبه الجديد مشرفا ومسئولا عن جميع قوات التحالف في العراق ونشرهم وفق استراتيجية الاندفاع التي وضعتها إدارة بوش. كما شهد عام ٢٠٠٧ زيادة حادة في استخدام المسلحين لقنابل الكلوراين[1].

(١) نفذ المسلحون ١٣ هجمة باستخدام غاز الكلوراين منها تسع هجمات انتحارية بالصهاريج المفخخة. نفذت أول عملية في ٢١ ت١ ٢٠٠٦ في محافظة الأنبار ولم تؤد إلا إلى جرح ثلاثة شرطة ومدني واحد. وأعنف عملية جرت في ٢٨ آذار ٢٠٠٧ عندما فجر أربعة انتحاريين شاحناتهم المعبأة بمادة الكلور في محافظة الأنبار لكنها لم تسفر سوى عن قتل سبعة أشخاص وجرح حوالي ٢٥٠ فردا آخر.
توصف هجمات المسلحين العراقيين بعامل الكلوراين الكيمياوي بكونها سيئة التنفيذ ربما لأنه قد أصبح غير قاتل بسبب شدة حرارة المتفجرات المرافقة له. وقد نجحت الهجمات في جرح المئات لكنها لم تسبب خسائر كبيرة بالأرواح كما هو مخطط لها، وسببت بدلا من ذلك رعبا وهلعا في أوساط المدنيين. وقد استخدم هذا الغاز لأول مرة كسلاح خلال الحرب العالمية الأولى، لكن تأثيراته في المثالين كانت محدودة. والتعرض البسيط له يسبب حرقة في العينين والأنف والحنجرة تصاحبها دوخة وغثيان وتقيؤ. بينما يمكن أن يسبب التعرض الشديد له تلفا قاتلا للرئتين. ولأن هذا الغاز أثقل من الهواء، فأنه لا يتبدد ويختفي إلا بعد الانفجار بوقت طويل نسبيا. لهذا فهو لا يعتبر بصورة عامة سلاحا كيمياويا فعالا.

وفي ١٠ مايس ٢٠٠٧، وقع ١٤٤ نائبا عراقيا على مذكرة يطالبون يدعون فيها الولايات المتحدة لوضع جدول زمني للانسحاب. وفي ٣ حزيران، صوت البرلمان العراقي بنسبة ٨٥ إلى ٥٩ لصالح قرار يطالب الحكومة العراقية بالتشاور معه قبل طلب تمديد تفويض مجلس الأمن لقوات التحالف للعمل بالعراق. مع ذلك، تم تجديد التفويض في ١٨ ك١ ٢٠٠٧ دون موافقة البرلمان العراقي.

وازدادت الضغوط على القوات الأمريكية مع الانسحاب المتواصل للقوات البريطانية من محافظة البصرة. ففي مطلع ٢٠٠٧، أعلن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أن القوات البريطانية ستبدأ بعد عملية السندباد بالانسحاب من البصرة وتسليم الأمن بها إلى العراقيين. وفي الخريف أكد رئيس الوزراء البريطاني الجديد جوردن براون هذا القرار وأعلن خطة انسحاب للمتبقي من القوات البريطانية من البصرة على أن يكون آخر موعد للانسحاب الكلي في نهاية ٢٠٠٨[1]. وفي تموز، أعلن رئيس الوزراء الدنماركي أندرس فوج راسموسين انسحاب الجنود الدنماركيين البالغ عددهم ١٤٤ جنديا من العراق تاركا حظيرة واحدة فقط من تسعة جنود لتشغيل أربع طائرات استطلاع هيليكوبتر.

وفي ١٠ أيلول ٢٠٠٧، قال الجنرال ديفيد بترايوس أمام الكونجرس أنه يمكن سحب ٣٠.٠٠٠ جندي خلال صيف ٢٠٠٨. وفي ١٤ أيلول، أيد الرئيس بوش سحب عدد محدود من القوات الأمريكية من العراق حيث قال أنه سيتم سحب ٥.٧٠٠ جندي خلال أعياد ميلاد ٢٠٠٧ وسحب عدة آلاف أخرى خلال تموز ٢٠٠٨ وسترجع أعداد القوات إلى ما كانت عليه قبل مطلع ٢٠٠٧.

(١) في ١٨ ك١ ٢٠٠٨، قال رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون أمام مجلس العموم أن القوات البريطانية ستبدأ انسحابها من العراق في ٣١ مايس ٢٠٠٩ وسيبقى فقط ٤٠٠ جندي في العراق لأغراض تدريب القوات العراقية.

وفي آذار ٢٠٠٨، ذكر تقرير للبنتاجون أن العنف في العراق قد انخفض بنسبة ٤٠-٨٠٪. بينما أعربت تقارير مستقلة عن شكوكها بمثل هذه التقديرات. وقال متحدث عسكري عراقي أن عدد القتلى من المدنيين العراقيين قد انخفض منذ بداية خطة نشر مزيد من القوات الأمريكية في بداية ٢٠٠٧ ليصبح ٢٦٥ قتيلا في آذار في بغداد بعد إن كان ١٤٤٠ قتيلا في الأسابيع الأربعة السابقة. وأحصت النيويورك تايمز عدد القتلى المدنيين استنادا على التقارير الأولية الصادرة من وزارة الداخلية والمستشفيات العراقية بأنه بلغ ٤٥٠ قتيلا خلال نفس فترة الـ٢٨ يوما السالفة.

وبالنسبة إلى إحصائيات النيويورك تايمز فأنها غالبا ما تقل بنسبة ٥٠٪ أو أكثر عما تورده دراسات الأمم المتحدة التي تعتمد على أرقام وزارة الصحة العراقية ومشرحة مدينة الطب العراقية.

يقول الشيخ حارث الضاري في مقابلة معه أجرتها جريدة الخبر الجزائرية في ٢٦ آذار ٢٠٠٧ أن ٩٥٪ من العمليات المسلحة التي تجري في العراق هي مقاومة شريفة ضد الاحتلال وأن ٥٪ فقط يأتي بطريق الخطأ من المقاومة غير المنضبطة. بينما تشير إحصائيات نفس الشهر إلى مقتل ١٨٦١ مدني عراقي وجرح ٢٦٠٨ آخر ومقتل ١٦٥ شرطي و٤٤ جندي عراقي، وبلغ عدد القتلى الأمريكيين سبعة جنود فقط. وهذا يعني أن ٩٥٪ من العمليات المسلحة تستهدف الشعب العراقي بينما أقل من ٥٪ منها يستهدف القوات الأمريكية.

وفي ١٤ آب ٢٠٠٧، حصل أعنف هجوم على الإطلاق منذ بدأت الحرب. فقد قتل ٨٠٠ مدني بسلسلة من التفجيرات الانتحارية في بلدة القحطانية في الموصل بشمال العراق. دمر التفجير أكثر من ١٠٠ منزل ومحل. وألقى المسئولون الأمريكيون المسئولية على القاعدة. معظم ضحايا الانفجار من الفلاحين البسطاء من طائفة اليزيدية. وقد يكون هذا الهجوم يمثل آخر حلقة من سلسلة العداء الناشب في بداية

تلك السنة عندما رجم اليزيديون حتى الموت فتاة يزيدية بعمر السبعة عشر عاما تدعى دعاء خليل أسود، متهمين إياها بإقامة علاقة مع شاب عربي سني والتحول إلى الإسلام. وقد صور المتفرجون عملية الرجم البشعة بكاميرات الهواتف المحمولة ونشروها على الإنترنت[١].

وبالنسبة إلى معدل القتلى الأمريكيين فقد ازداد ليصل إلى ٣.١٤ قتيل باليوم الواحد خلال الأسابيع السبعة الأولى من عملية نشر القوات الإضافية مقارنة بالفترة السابقة.

وفي ١٣ أيلول ٢٠٠٧، قتل الشيخ عبد الستار أبو ريشة مع ثلاثة من حراسه بقنبلة موضوعة على الطريق بالقرب من مدخل منزله في الرمادي. وأبو ريشة هو قائد حركة صحوة الأنبار وهي تحالف للقبائل العربية السنية المناهضة للقاعدة. وادعت الأخيرة مسئوليتها عن عملية الاغتيال. وسمي بيان أصدره تنظيم دولة العراق الإسلامية ونشره على الإنترنت أبا ريشة بأنه: "أحد كلاب بوش"، ووصف عملية الاغتيال بأنها "عملية بطولية استغرق الأعداد لها أكثر من شهر"[٢].

وبعد مايس ٢٠٠٧ لوحظ انخفاض عدد القتلى من الجنود الأمريكيين وتقلص العنف ضد قوات التحالف إلى أدنى مستوى له منذ السنة الأولى للغزو. ويعزو العديد من المحللين أسباب ذلك إلى زيادة عدد القوات الأمريكية. بينما ظل عدد الهجمات اليومية على المدنيين العراقيين كما هو منذ شباط ٢٠٠٧ كما تقول مصادر البنتاجون

(1) Michael Howard, search Goes On As Iraq Death Toll Tops 250, The Guardian, 15 Aug. 2007.
http://www.guardian.co.uk/world/2007/aug/15/iraq.michaelhoward1

(2) David Rising, Mourners Vow Revenge at Sheik's Funeral, the Washington Post, Sept. 14, 2007.
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2007/09/14/AR2007091402539.html

وبعض الوكالات الأمريكية الأخرى. ويقول تقرير صادر عن دائرة المحاسبة الحكومية GAO أنه لم يلاحظ أثر للعنف الطائفي خلال هذه الفترة. مع ذلك يتناقض هذا التقرير مع تقارير مرفوعة إلى الكونجرس والتي تبين وجود انخفاض عام في أعداد القتلى المدنيين وفي مستوى العنف الطائفي والأثني منذ لـ١ ٢٠٠٦. ومع نشر المزيد من القوات الأمريكية، أخذ العنف يتقلص عن مستوى ما كان عليه في ٢٠٠٦(١).

وتشكك التقارير الصادرة من الميدان بوجود أثر فعال لنشر مزيد من القوات الأمريكية على الأمن بالعراق. فالسبب الرئيس لتحسن الوضع الأمني في بغداد خلال ٢٠٠٧-٢٠٠٨ هو انتهاء المعركة حول بغداد بين الشيعة والسنة وسيطرة كل طرف على عدد من الأحياء مع وجود غلبة واضحة للشيعة على ثلاثة أرباع المدينة. وأصبحت التغييرات الديمغرافية التي حصلت فيها شبه دائمة، فالعوائل الشيعية التي تحاول الرجوع لمنازلها تواجه التصفية والاغتيال، ويحصل المثل إذا ما حاولت العوائل السنية الرجوع لمنازلها. فقد اندلع القتال الطائفي بين الميليشيات الشيعية والسنية في كل مدينة عراقية يوجد فيها خليط من الطائفتين. وقد صفيت أحياء كاملة في بغداد إما من الشيعة أو من السنة. ويدعم هذا الاستنتاج دراسة لصور الأقمار الصناعية لضوء الطلقات النارية المنبعثة في أحياء بغداد خلال الليل. ويشير تحليل الصور إلى أن العنف قد انخفض في بغداد بسبب التطهير الطائفي وكان قد وصل إلى ذروته في الوقت الذي بدأ فيه الأمريكيون نشر مزيد من القوات. يقول جون أجنو وهو خبير أمريكي في النزاعات العرقية: "كان نشر مزيد من القوات في العراق يشبه حالة إغلاق باب الإسطبل بعد فرار الحصان"(١).

(1) Nancy A. Youssef, Despite Drop in Violence, Pentagon Finds Little Long-term Progress in Iraq, McClatchy Newspaper, Dec. 18, 2007 http://www.mcclatchydc.com/iraq/story/23386.html

(1) Maggie Fox, satellite Images Show Ethnic Cleanout in Iraq, Reuters, Sept. 19, 2008

http://www.reuters.com/article/scienceNews/idUSN1953066020080919

ويذكر الصحفي بوب وودوارد نقلا عن مصادر حكومية أمريكية أن نشر مزيد من القوات ليس هو السبب في انخفاض العنف في ٢٠٠٧-٢٠٠٨، بل إن السبب الرئيس هو إتباع الجيش الأمريكي ومسئولي المخابرات أساليب سرية جديدة فحواها البحث عن المسلحين واستهدافهم وقتلهم.

وبالنسبة إلى البصرة، فقد سلمت القوات البريطانية في ١٥ ك١ ٢٠٠٧ الملف الأمني فيها إلى القوات الأمنية العراقية. وتعتبر المحافظة التاسعة التي تم تحويل ملفها الأمني إلى سيطرة القوات العراقية منذ بداية الحرب.

وفي ١٠ مايس ٢٠٠٧، رفض أكثر من نصف أعضاء البرلمان العراقي لأول مرة استمرار الاحتلال لبلادهم. فقد وقع ١٤٤ من مجموع ٢٧٥ عضوا هم العدد الكلي لأعضاء مجلس النواب العراقي على مذكرة تشريعية تطالب الحكومة العراقية استحصال موافقة البرلمان قبل طلب تمديد تفويض الأمم المتحدة لعمل القوات الأجنبية في العراق الذي كان موعد انتهائه نهاية ٢٠٠٨. كما دعا البرلمان إلى وضع جدول زمني لانسحاب هذه القوات وتجميد أعدادها. وينتهي تفويض مجلس الأمن لعمل القوات الأجنبية التي تقودها الولايات المتحدة "عندما تطلب الحكومة العراقية ذلك". ويصدر القرار في مجلس النواب بالأغلبية حسب القانون العراقي. وفي استفتاء أجرته صحيفة يو أس تودي ومعهد جالوب في ١٠ مايس ٢٠٠٧، أيد ٥٩٪ من المشتركين في الاستفتاء من الشعب الأمريكي وضع جدول زمني للانسحاب.

وفي أواسط ٢٠٠٧، بدأت قوات التحالف برنامجا مثيرا للجدل لتجنيد المسلحين السابقين من العراقيين العرب السنة لتشكيل ميليشات حراسة ومهمتها حماية وتأمين الأحياء السنية ضد المتطرفين الإسلاميين.

وفي ٢٠٠٧، ازدادت حدة التوتر بين إيران وإقليم كردستان العراق بسبب توفير الإقليم الملاذ الآمن لجماعة كردية انفصالية تدعى حزب حياة حرة لكردستان PEJAK. وتشير التقارير إلى أن إيران كانت تقصف مواقع هذه الجماعة منذ ١٦ آب. وتفاقم التوتر مع عبور القوات الإيرانية للحدود العراقية في ٢٣ آب ومهاجمتها لبعض القرى الكردية وقتلها لعدد غير معروف من المدنيين ورجال هذه الجماعة.

كما بدأت قوات التحالف باستهداف عناصر قوة القدس الإيرانية في العراق من خلال إما قتلهم أو إلقاء القبض عليهم. وأخذت إدارة بوش وقادة التحالف الآخرين تتهم إيران علنا بتزويد الميليشيات والمسلحين العراقيين بالأسلحة وخاصة القنابل المضادة للدروع. وفي خريف ٢٠٠٧ أعلنت إدارة بوش عقوبات أخرى ضد التنظيمات الإيرانية. ولكن في ٢١ ت٢ ٢٠٠٧، أثنى الجنرال جيمس دوبيك المسئول عن تدريب القوات العراقية على إيران لمساهمتها في تقليص العنف بالعراق وتنفيذها لتعهداتها بوقف تدفق الأسلحة والمتفجرات إلى البلاد وتدريب المتطرفين.

وفي ١٧ أيلول ٢٠٠٧، أعلنت الحكومة العراقية إنهاء ترخيص شركة بلاك ووتر الأمنية بسبب قتل عناصر الشركة ثمانية مدنيين عراقيين بضمنهم امرأة وطفلها عقب انفجار سيارة مفخخة على مقربة من موكب لسيارات تابعة للخارجية الأمريكية. وهناك أيضا تحقيقات جارية عن تورط الشركة بعمليات تهريب للأسلحة. وبلاك ووتر واحدة من أكبر الشركات المثيرة للجدل في العراق ولديها أكثر من ١٠٠٠ عنصر فيه إضافة إلى أسطول من طائرات الهيليكوبتر. ولا يزال أمر مقاضاة الشركة محلا للخلاف[1].

(1) Bassem Mrouc, Blackwater License Being Revoked in Iraq, SAY WHEN, Sept. 17, 2007
http://saywhen.wordpress.com/2007/09/17/blackwater-license-being-revoked-in-iraq/

في ٢٠٠٨ أخذ المسئولون الأمريكيون ومراكز البحوث يقيسون التحسن في الوضع الأمني بأرقام الإحصاءات. فتذكر وزارة الدفاع الأمريكية أن مستوى العنف في البلاد قد انخفض بنسبة ٨٠٪ خلال ك١ ٢٠٠٨ وانخفضت كذلك معدلات جرائم القتل إلى ما كانت عليه قبل نشوب الحرب. وأشارت إلى أن معدل القتلى الأمريكيين قد انخفض أيضا في ٢٠٠٨ ليصل إلى ٣١٤ قتيلا بعد إن كان ٩٠٤ في ٢٠٠٧. ويذكر معهد بروكنجز أن عدد القتلى العراقيين قد بلغ ٤٩٠ في ت٢ ٢٠٠٨ بعد إن كان ٣٥٠٠ في ك٢ ٢٠٠٧. وبلغت الهجمات على قوات التحالف بين ٢٠٠-٣٠٠ هجمة أسبوعيا في النصف الثاني من عام ٢٠٠٨ بعد إن كانت في صيف ٢٠٠٧ ١٦٠٠ هجمة أسبوعيا. وبلغ عدد القتلى من القوات الأمنية العراقية ١٠٠ قتيل في الشهر في النصف الثاني من ٢٠٠٨، بينما كان بين ٢٠٠-٣٠٠ قتيل في صيف ٢٠٠٧.

في نفس الوقت، ازدادت كفاءة الجيش العراقي وشن هجوما خلال ربيع ٢٠٠٨ ضد الميليشيات الشيعية التي كان يتهم رئيس الوزراء نوري المالكي بالسماح لها بممارسة نشاطاتها. ففي آذار من ذلك العام، شن الجيش العراقي هجوما على ميليشيات جيش المهدي في البصرة وأدى هذا إلى نشوب قتال في المناطق الشيعية في جنوب البلاد ووسطها وخاصة في مدينة الصدر ببغداد. وفي ت١، صرح القائد البريطاني المسئول عن قواته في البصرة أن معدلات الجريمة قد انخفضت في المدينة منذ شن الجيش العراقي تلك العملية وبلغت بحدود معدلاتها في مدينة مانشستر بإنجلترا[1]. وقال الجيش الأمريكي أن انخفاضا إلى الربع قد حصل أيضا في كمية المتفجرات الإيرانية الصنع القادمة إلى العراق خلال ٢٠٠٨. وربما يشير هذا إلى تغير

(1) DoD News Briefing with Maj. Gen. salmon From Iraq, US Department of Defense, News transcript,
http://www.defenselink.mil/transcripts/transcript.aspx?transcriptid=4304

في السياسة الإيرانية. واستمر التقدم في الوضع الأمني بالمناطق السنية بعد نقل مسئولية قوات الصحوة من الجيش الأمريكي إلى القوات العراقية. وفي مايس شن الجيش العراقي بالتعاون مع قوات التحالف هجوما في الموصل آخر أكبر معاقل القاعدة في العراق. ورغم اعتقال الآلاف، إلا أن الهجوم قد فشل في إقرار أمني طويل الأمد في المدينة. وظلت المدينة حتى هذا الوقت ساحة للاضطرابات والأعمال المسلحة[1].

وفي ٢١ شباط ٢٠٠٨، اشتد الصراع بين تركيا وحزب العمال الكردستاني عندما شنت تركيا هجوما بريا واسعا على جبال قنديل شمال العراق. فقد زحف ١٠.٠٠٠ جندي تركي خلال العملية التي دامت تسعة أيام مسافة ٢٥ كم داخل الأراضي العراقية. ويعتبر ذلك أول دخول تركي واسع النطاق للأراضي العراقية منذ ١٩٩٥. وبعد هذه العملية، أدان مجلس الوزراء العراقي وحكومة إقليم كردستان العراق الأعمال التركية وطالبوا بانسحاب فوري للقوات التركية من المنطقة. وفي ٢٩ شباط انسحبت هذه القوات. وتظل قضيتا مصير الأكراد ومستقبل مدينة كركوك المتعددة الأعراق من القضايا المثيرة للنزاع في السياسة العراقية.

وتعاطى المسئولون العسكريون الأمريكيون مع هاتين القضيتين بحذر بالغ خاصة بعد توقيع الاتفاقية العراقية الأمريكية بشأن وضع القوات الأجنبية SFA والتي جرى التفاوض بشأنها خلال ٢٠٠٨. قال قائد قوات التحالف في العراق ريموند أوديرنو في ك١ ٢٠٠٨: "تعتبر فترة نقل المسئوليات في المجال العسكري من أخطر الفترات".

(1) Commentaries: Operation Mother of Two Springs, Institute for the Study of war, Military Analysis and Education for Civilian Leaders, May 29, 2008, http://www.understandingwar.org/commentary/operation-mother-of-two-springs

في نهاية آذار، شن الجيش العراقي بدعم جوي من قوات التحالف هجوما في البصرة لتأمين المنطقة من الميليشيات الخارجة عن القانون، وقد أطلق عليه اسم "صولة الفرسان". وهذه هي العملية العسكرية الأولى للجيش العراقي التي يشنها دون إسناد من القوات البرية للتحالف. تصدى جيش المهدي للهجوم، والأخير هو إحدى الميليشيات التي تسيطر على أجزاء واسعة من المدينة. وسرعان ما انتشر القتال في باقي أنحاء العراق الجنوبية والوسطى كمدينة الصدر والكوت والحلة وباقي المحافظات. وقد واجه الجيش العراقي مقاومة شرسة من رجال الميليشيات في البصرة إلى حد أنه قارب من التوقف عن التقدم، ولكن مع ارتفاع عدد الإصابات في صفوف الصدريين، اضطروا إلى الجلوس على طاولة المفاوضات.

وبعد محادثات مع الجنرال قاسم سليماني قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني وتوسط الحكومة الإيرانية، أمر مقتدى الصدر أتباعه في ٣١ آذار ٢٠٠٨ بوقف إطلاق النار. فتوقف إطلاق النار وظل رجال الميليشيات يحتفظون بأسلحتهم.

تقول صحيفة النيويزرك تايمز: "وفي ١٢ مايس ٢٠٠٨، شعر أهالي البصرة بتحسن ملحوظ في حياتهم اليومية. فقد سيطرت القوات الحكومية الآن على مقرات الميليشيات الإسلامية وأوقفت نشاط فرق الموت وفرق النهي عن المنكر التي تقتل النساء والمسيحيين والموسيقيين وباعة الخمور وكل من تشتبه بأنه يتعاون مع الغرب". ولكن عندما سأل مراسل الصحيفة أحد البصريين كم سيستغرق الأمر لدى الخارجين عن القانون للعودة إذا ما انسحب الجيش العراقي؟ أجاب: "يوم واحد فقط"[1].

(1) Stephen Farrell and Ammar Karim, Drive in Basra by Iraqi Army Makes Gains, The New York Times, May 12, 2008. http://www.nytimes.com/2008/05/12/world/middleeast/12basra.html?_r=1&ref=middleeast

وفي أواخر نيسان ازداد عدد العبوات الناسفة المزروعة على جوانب الطريق من ١١٤ في ك٢ إلى أكثر من ٢٥٠ عبوة في نيسان، وتفوق عددها بذلك على عددها في مايس ٢٠٠٧.

وفي مايس ٢٠٠٨، دعت الحكومة العراقية أهالي مدينة الصدر لأخلاء المدينة بعد أكثر من ٤٠ يوما من القتال الذي تسبب بمقتل بين ٥٠٠-١٠٠٠ مواطن. وقد عانت المدينة بسبب استمرار العنف من نقص في الطعام والمياه وباقي التجهيزات[1].

وفي ٨ نيسان ٢٠٠٨ دعا الجنرال ديفيد بترايوس بشهادته أمام الكونجرس إلى تأخير سحب القوات قائلا: "كنت أقول مرارا أننا لم نتقدم خطوة واحدة إلى أمام ولم نر ضوءا في آخر النفق"، مستشهدا بأقوال الرئيس بوش والجنرال السابق في حرب فيتنام وليم ويستمورلاند.

وعندما سئل من قبل السناتور الجمهوري جون وارنر فيما إذا كانت حرب العراق قد جعلت الولايات المتحدة أكثر أمنا، أجاب بترايوس: التأريخ سيحكم على ذلك في الآخر. وطالب السناتور بوب كروكر بوضع استراتيجية للخروج من العراق[1].

أصبح العراق أكبر مشتر للمعدات العسكرية الأمريكية، حيث أخذ يستبدل تسليح جنوده من بنادق الكلاشنكوف إلى بنادق M16 و M-4 إضافة إلى المعدات الأخرى. وفي عام ٢٠٠٨ وحده بلغت مشتريات العراق من الأسلحة الأمريكية

(1) Leila Fadel, Iraqi Military Orders Sadr City Residents to Evacuate, McClatchy Newspaper, May 8, 2008, http://www.mcclatchydc.com/iraq/story/36436.html

(1) Ryan Grim, Petraeus: No Corners Turned Or Lights At the End of the Tunnel, CBSNEWS, April 8, 2008 http://www.cbsnews.com/stories/2008/04/08/politics/politico/thecrypt/main4001976.shtml

١٢.٥ مليار دولار من مجموع ٣٤ مليار دولار حجم مبيعات الأسلحة الأمريكية للبلدان الأجنبية (ولا يدخل في هذا الرقم أثمان مقاتلات F16 التي يسعى العراق لشرائها). وقد أبلغت البنتاجون الكونجرس أنها صادقت على بيع ٢٤ طائرة هيليكوبتر أمريكية إلى العراق بقيمة ٢.٤ مليار دولار. وقد أعلن العراق عن عزمه شراء دبابات أمريكية وعجلات مدرعة وطائرات نقل ومعدات وخدمات عسكرية أخرى إضافة إلى طائرات الهيليكوبتر بقيمة ١٠ مليار دولار. وخلال صيف ٢٠٠٨، أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن الحكومة العراقية تريد شراء أكثر من ٤٠٠ عجلة مدرعة ومعدات أخرى بقيمة ٣ مليار دولار وست طائرات نقل C130J بقيمة ١.٥ مليار دولار(١).

وفي ١٦ ت٢ ٢٠٠٨ صادق مجلس الوزراء العراقي على الاتفاقية العراقية الأمريكية بشأن وضع القوات الأجنبية في العراق. وبموجبها تنسحب القوات الأمريكية من المدن العراقية في ٣٠ حزيران ٢٠٠٩ وتنسحب هذه القوات بالكامل من العراق بحلول يوم ٣١ ك١ ٢٠١١. وتخضع المعاهدة لمفاوضات أخرى قد تؤخر الانسحاب ولاستفتاء شعبي أيضا في منتصف ٢٠٠٩ والذي قد يسفر عن المطالبة بانسحاب القوات الأمريكية كليا في منتصف ٢٠١٠. وتفرض المعاهدة توجيه التهم قبل احتجاز أي شخص وصدور إذن قضائي قبل تفتيش البيوت والمباني. ويخضع المقاولون الأمريكيون المتعاقدون مع القوات الأمريكية للقانون العراقي بينما يحتفظ المقاولون المتعاقدون مع الخارجية الأمريكية بالحصانة الدبلوماسية. وقد صادق البرلمان العراقي عليها في ٢٧ ت٢ ٢٠٠٨. يقول بعض الأمريكيين أنها تحتوي على العديد من الثغرات، ويقول بعض العراقيين أن فيها عبارات غامضة. وقال وزير

(1) August Cole and Yochi J. Dreazen, Iraq Seeks F-16 Fighters, The Wall Street Journal, Sept 5, 2008
http://online.wsj.com/article/SB122056503871901333.html.html

الدفاع الأمريكي روبرت جيتز أنه ربما يظل عدة آلاف من الجنود الأمريكيين في العراق بعد ٢٠١١[١].

وتظاهرت عدة جماعات عراقية احتجاجا على إقرار الاتفاقية واعتبروها أنها تشرعن الاحتلال وتطيله. وأحرق عدة آلاف من العراقيين في ساحة الفردوس وسط بغداد صورة لبوش في نفس المكان الذي شهد قبل خمس سنوات إسقاط تمثال صدام حسين. وأعرب بعضهم عن شكوكه بانسحاب أمريكي كامل في ٢٠١١. وأعرب ممثل آية الله العظمى علي الحسيني السيستاني عن شعوره بالقلق إزاء محتوى الاتفاقية حيث لا تتمتع الحكومة العراقية بأي سلطة على دخول وخروج القوات المحتلة ولا سلطة لها على الشحنات التي تدخل وتخرج من والى العراق ولكونها منحت المحتلين الحصانة من الملاحقة القضائية في المحاكم العراقية. وقال أن السيادة العراقية تبقى ناقصة طالما ظل المحتلون في البلاد، ولكن الشعب العراقي سيحكم على هذه الاتفاقية في الآخر من خلال الاستفتاء.

في ١٤ ك١ ٢٠٠٨، وقع الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش على الاتفاقية الأمنية مع العراق. وفي رابع رحلة له إلى العراق وآخرها، ظهر بوش مع رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي وقال أمامنا المزيد من العمل علينا إنجازه. وخلال المؤتمر الصحفي الذي عقد بمناسبة توقيع الاتفاقية في المنطقة الخضراء المحصنة جيدا، تفادى بوش رميتين لفردتي حذاء من أحد العراقيين المتواجدين في قاعة المؤتمر. تبين بعدها أن رامي فردتي الحذاء هو منتظر الزيدي وهو مراسل قناة البغدادية الفضائية التي تبث من مصر، وقد سمع يصرخ أثناء رميه الفردة الأولى من الحذاء:

(1) Elisabeth Bumiller, Redefining The Role of the US Military in Iraq, New York Times, Dec. 21, 2008
http://www.nytimes.com/2008/12/22/washington/22combat.html?_r=1&hp

"خذ يا كلب! هذه قبلة الوداع من العراقيين"، وعند رميه الفردة الثانية صاح: "وهذه من أجل الأرامل والأيتام والذين قتلوا في العراق". وعندما طرحه الحراس الأمنيون أرضا، كان يصيح: "أنت قتلت العراقيين". وبينما كان يسمع صراخ الرجل من خارج القاعة، قال بوش: "هذا ما يفعله الناس في المجتمع الحر، فهم يحاولون جذب الانتباه إلى أنفسهم".

وفي مطلع ٢٠٠٩ أحيل الزيدي إلى المحكمة الجنائية العليا لمحاكمته عن تهمة إهانة رئيس دولة أجنبية أثناء زيارته للعراق التي قد تصل عقوبتها إلى ١٥ عاما وفق قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل. قال الزيدي: "لاحظته (بوش) يتحدث ويبتسم وينظر إلى رئيس الوزراء (نوري المالكي) بابتسامة جليدية بلا دم وبلا روح وأخذ يمزح مع المالكي... في تلك اللحظة لم أر إلا بوش واسودت الدنيا في عيني وكنت أشعر أن دماء الأبرياء تسير من تحت أقدامي وهو يبتسم تلك الابتسامة قادما ليودع العراق في العشاء الأخير بعد أكثر من مليون شهيد والخراب الاقتصادي والاجتماعي في البلد... تحدث (بوش) عن انتصاراته ومنجزاته في العراق، أي منجزات يتحدث عنها؟ قتل أكثر من مليون وبحار من الدماء وانتهاك مساجد وقتل من فيها واغتصاب النساء وإذلال العراقيين في كل يوم وساعة! هناك أكثر من خمسة ملايين يتيم ومليون أرملة وثكلى بسبب الاحتلال".

وفي ١٢ آذار ٢٠٠٩ أصدرت المحكمة الجنائية العراقية حكما عليه بالسجن ثلاث سنوات. وفي ٧ نيسان تم تخفيض الحكم إلى سنة واحدة حيث قضى منه تسعة أشهر وأطلق سراحه.

وفي ١ك٢ ٢٠٠٩، سلمت الولايات المتحدة المنطقة الخضراء والقصر الجمهوري العراقي إلى الحكومة العراقية في خطوة وصفها رئيس الوزراء العراقي بأنها تمثل استعادة للسيادة العراقية. وقال أنه سيقترح اعتبار يوم ١ ك٢ عيدا للسيادة الوطنية.

"فهذا القصر هو رمز سيادة العراق، واستعادته تمثل رسالة معبرة إلى كل الشعب العراقي بأن سيادة العراق قد عادت لوضعها الطبيعي". والمنطقة الخضراء منطقة معزولة عن بغداد بسور كونكريتي تتخلله أبراج مراقبة منصوب عليها مدافع رشاشة.

ويعزو الجيش الأمريكي سبب انخفاض أعداد القتلى المدنيين إلى عدة عوامل منها: زيادة عدد القوات الأمريكية، وانتشار مجالس الصحوة، ودعوة مقتدى أتباعه للالتزام بوقف إطلاق النار.

وفي ٣١ ك٢ ٢٠٠٩، أجرى العراق انتخابات لمجالس المحافظات. وجرت بعض الاغتيالات السياسية ومحاولات الاغتيال لعدد من المرشحين[١]، وحصل نوع من العنف الذي له علاقة بالانتخابات. لم تصل أعداد المقترعين المشاركين بها لما هو متوقع لها، وتعتبر الأدنى في العراق. بينما وصف السفير الأمريكي رايان كروكر المشاركة بأنها "واسعة". وقد اشتكت بعض الجماعات المشتركة بالانتخابات من حرمانها من حق التصويت. وبعد رفع حظر التجوال، هددت بعض المجاميع بالقيام بأعمال مسلحة فيما لو جاءت نتائج الانتخابات في غير صالحهم.

وفي خطاب ألقاه الرئيس باراك أوباما في معسكر لوين لقوات المارينز في كارولاينا الشمالية، قال أن المهمة القتالية للولايات المتحدة في العراق ستنتهي في ٣١ آب ٢٠١٠. وأضاف أنه ستبقى قوة مكونة من ٥٠.٠٠٠ جندي لتدريب القوات العراقية وتنفيذ عمليات لمكافحة الإرهاب وتوفير الدعم للجيش العراقي لغاية نهاية

(١) في ١٦ ك٢ ٢٠٠٩ اغتال مسلحون هيثم الحسيني مرشح حزب الدعوة في انتخابات محافظة بابل ورئيس المجلس المحلي في المحاويل، وقبله اغتيل موفق الحمداني وعبد الكريم الشرابي وحسن زيدان اللهيبي وهم مرشحون في انتخابات محافظة الموصل، ونجا ثلاثة مرشحين في محافظة الأنبار من عملية اغتيال.

٢٠١١. وصرح أن استراتيجية الانسحاب تنسجم مع هـدف الولايات المتحدة في نقل المسئولية الأمنية بالكامل إلى الدولة العراقية ذات السيادة. وهنأ الشعب والحكومة العراقية على توافقهم وعدم خضوعهم لقوى الخلاف والشقاق، لكنه حذر العراقيين بأن يظلوا يقظين إزاء أعمال الذين يصرون على أن الخلافات العراقية لا يمكن حلها دون مزيد من القتل، حتى بعد تخفيض وانسحاب القوات الأمريكية في ٢٠١١.

وقبل يوم من خطاب أوباما، قال رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي خلال مؤتمر صحفي: "ليس لدى الحكومة العراقية أي قلق من رحيل القوات الأمريكية". وأعرب عن ثقته بقدرات الشرطة والقوات الأمنية العراقية في حفظ الأمن دون الدعم العسكري الأمريكي".

وفي الذكرى السادسة لسقوط النظام السابق في العراق، تظاهر عشرات الآلاف من العراقيين وطالبوا بالرحيل الفوري لقوات التحالف. وقد امتد المتظاهرون على مسافة ٥ كم في أحد شوارع مدينة الصدر وأحرقوا صورة للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش وللرئيس العراقي السابق صدام حسين. وقد عانى الشيعة تحت نظام حكم صدام من اضطهاد وقمع شديدين. واشترك في التظاهرة عدد من المسلمين السنة. وتقول مصادر من الشرطة العراقية أن الكثير من السنة قد اشتركوا في التظاهرة بضمنهم بعض الزعماء الكبار، كأحد الشيوخ المؤسسين لحركة أبناء العراق[1].

قال أحد المتظاهرين: "أود أن أسجل للتأريخ أن أمريكا هي المسئولة عن الإرهاب في بلادنا". وأضاف: "قالوا لنا أنهم يريدون نشر الديمقراطية والحرية في

(1) Miami Herald: Tens of Thousands of Iraqis Rally Against US, http://www.miamiherald.com/

العراق، لكننا لم نر أيا منها". وقال أحد مساعدي مقتدى إلى جمهور المتظاهرين: "إننا نطالب الرئيس أوباما بالوقوف إلى جانب الشعب العراقي وإنهاء الاحتلال وتنفيذ وعوده التي قطعها للعالم".

أجرت العديد من المؤسسات الإعلامية والحكومية إحصاءات عن عدد القتلى جراء هذه الحرب لكن الأرقام التي تذكرها متباينة إلى حد كبير. تذكر وكالة الأسوشيتد بريس الأمريكية أن عدد القتلى من الجيش الأمريكي لغاية ٩ آب ٢٠٠٨ بلغ ٤.١٣٦ وهو أقل مما أوردته وزارة الدفاع الأمريكية حيث ذكرت أن عدد القتلى في صفوف قواتها بلغ في ٦ نيسان ٢٠٠٩ (٤.٢٦٦) عسكريا. وخسرت بريطانيا ١٧٦ جنديا وإيطاليا ٣٣ وأوكرانيا ١٨ وبولندا ٢١ وبلغاريا ١٣ وإسبانيا ١١ والدنمارك ٧ وإل سلفادور ٥ وسلوفاكيا ٤ ولاتفيا وجورجيا ثلاثة من كل دولة وإستونيا وهولندا وتايلند ورومانيا اثنين من كل منها وأستراليا وهنجاريا وكازاخستان وكوريا الجنوبية واحد من كل منها.

أما بالنسبة لعدد القتلى العراقيين، فالأرقام متباينة إلى حد كبير. فيذكر مشروع إحصاء القتلى العراقيين وهو منظمة دولية غير حكومية أن عدد القتلى من المدنيين العراقيين لغاية ٢٤ آب ٢٠٠٨ يتراوح بين ٨٦.٦٦٣ -٩٤.٥٦٠ شخصا، لكن منتقدي المنظمة يقولون أن هذه الأرقام أقل بكثير من الأعداد الحقيقية للقتلى[1]. وتقدر مؤسسة لانسيت أن عدد القتلى العراقيين لغاية حزيران ٢٠٠٦ بحدود ٦٥٤.٦٩٥ قتيلا أو بين ٣٩٢.٩٧٩- ٩٤٢.٦٣٦ قتيلا[2]. بينما تقدر وكالة Opinion Research Business (ORB) البريطانية عدد القتلى العراقيين لغاية ١٢ آب ٢٠٠٧ حوالي ١.٢٢٠.٥٨٠ أو بين ٧٣٣.١٥٨- ١.٤٤٦.٠٦٣ قتيلا. وهذا

(١) موقع مؤسسة Iraq Body Count – http://www.iraqbodycount.org .

(٢) موقع مؤسسة The Lancet – http://www.thelancet.com .

أعلى تقدير تضعه مؤسسة إحصائية لأعداد القتلى العراقيين وينسجم مع تقديرات مؤسسة لانسيت(١).

انتقدت الكثير من الأوساط الرسمية والشعبية داخل وخارج الولايات المتحدة المبررات التي ساقتها الإدارة الأمريكية لشن الحرب، التي وجد بعض المحللين تشابها كبيرا بينها وبين حرب فيتنام. كما انتقد المؤيدون والمعارضون لها طريقة إدارة الحرب على عدد من الخطوط. فقد هاجم المنتقدون الولايات المتحدة وحلفاءها بعنف على عدم تخصيصهم لقوات كافية لإنجاز المهمة والتخطيط السيئ لعراق ما بعد الغزو وارتكاب انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان والسماح بارتكابها. ومع استمرار الحرب، احتج المنتقدون على التكاليف البشرية والمالية الباهظة لها.

وفي حزيران ٢٠٠٦، رفض أول ضابط أمريكي هو الملازم أول إيرين واتادا الالتحاق بوحدته المنتشرة في العراق قائلا أن هذه الحرب غير شرعية وأن مبدأ المسئولية القيادية يجعله شريكا بجرائم الحرب لهذا فأنه يرفض الذهاب إلى العراق. وفي شباط ٢٠٠٧ رد القاضي الدعوى الموجهة ضد الملازم أول واتادا قائلا أن القضية لا يمكن أن تحل وفق نظام العدالة العسكري. وكان والد الملازم الأول المذكور قد رفض الاشتراك في حرب فيتنام(١).

وقد وجه ضابط استخبارات أمريكي سابق(٢) انتقادات لاذعة للمعلومات الأولية التي قادت إلى حرب العراق ووصف دائرة المشاريع الخاصة بأنها جماعة من

(١) موقع مؤسسة Opinion Research Business

http://www.opinion.co.uk/Newsroom_details.aspx?NewsId=78

(1) Hal Bernton, Watada Won't be retired on 3 of 5 counts, The Seatle Times, Oct 22, 2008,
http://seattletimes.nwsource.com/html/localnews/2008295492_watadaruling22m.html

(٢) هو رئيس فريق مفتشي الأسلحة السابق التابع للأمم المتحدة وضابط الاستخبارات العسكرية الأمريكي السابق سكوت ريتر.

المؤدلجين الخطرين على الأمن القومي الأمريكي ويشكلون تهديدا للسلم العالمي، وقد وضعوا ولفقوا معلومات مضللة لدعم أجندتهم في إزالة صدام عن السلطة[1]. كما أحصى مركز النزاهة العامة غير المنحاز لأي حزب مجموع التصريحات الكاذبة التي أطلقها بوش وستة من كبار أعضاء إدارته فيما أطلق عليه لاحقا "حملة التضليل المنظمة بدقة" خلال السنتين اللتين أعقبتا أحداث ١١ أيلول لتحشيد الدعم لغزو العراق، ٩٣٥ تصريحا كاذبا.

وبلغت التكلفة المالية للحرب بالنسبة إلى المملكة المتحدة تسع مليارات دولار، فيما بلغت بالنسبة إلى الولايات المتحدة ٨٤٥ مليار دولار، مع تكلفة إجمالية على الاقتصاد الأمريكي تقدر بثلاثة تريليون دولار[1].

ويمكن إجمال الانتقادات الموجهة للحرب بما يلي:

- عدم شرعية الغزو.
- عدم إرسال قوات كافية لضبط الأمن في العراق بعد الإطاحة بصدام (ويقدر معهد البحوث والتطوير الأمريكي RAND أن ٥٠٠.٠٠٠ جندي ربما يكون كافيا لذلك).
- الافتقار للتخطيط لفترة ما بعد الحرب.
- الإصابات البشرية الكبيرة.
- التكاليف المالية الباهظة.

---

(1) Neil Mackay, Revealed: The Secret Cabal Which Spin for Blair, Sunday Herald, June 8, 2003
http://findarticles.com/p/articles/mi_qn4156/is_20030608/ai_n12583062/

(1) Daniel Trotta, Iraq War Hits US Economy: Nobel Winner, Reuters, Mar. 2, 2008
http://www.reuters.com/article/topNews/

- تأثيرها العكسـي على التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحـدة لمحاربة الإرهاب.
- تأثيرها السلبي على العربية السعودية ودول الخليج عدا الكويت.
- تسببها في التطهير العرقي والطائفي للأقليات العرقية والطائفية والدينية.
- تدمير النفوذ والتحالف التقليدي للولايات المتحدة.
- تعطيل الإنتاج النفطي العراقي وتهديد أمن الطاقة في العالم (تضاعف سعر النفط أربع مرات منذ ٢٠٠٢).

وبعد انتخاب الرئيس باراك أوباما، قرر المناهضون للحرب التوقف عن الاحتجاج رغم استمرار الحرب وذلك لإعطاء الرئيس أوباما الفرصة الكافية لتشكيل إدارته أو لاقتناعهم أنه سينهي هذه الحرب.

حصلت انتهاكات عديدة من جميع الأطراف لحقوق الإنسان منذ أن بدأت تلك الحرب قبل ست سنوات. ويمكن إجمالها بما يلي:

١ - الحكومة العراقية:

- استخدام القوات الأمنية العراقية للتعذيب[١].
- اتهام وزارة الداخلية العراقية في أيام الوزير باقر جبر الزبيدي بتشكيل فرق الموت لاغتيال المعارضين من العرب السنة. ومما عقد المشاكل أكثر تواطؤ الشرطة مع رجال الميليشيات[٢].

(1) Human Rights Watch, iraq: Torture Continues at Hands of New Government, Jan. 24, 2005
http://www.hrw.org/en/news/2005/01/24/iraq-torture-continues-hands-new-government

٢- قوات التحالف والشركات الخاصة:

- اتهام سبعة من موظفي شركة KBR بالاغتصاب الجماعي للموظفة الأمريكية في الشركة جيمي ليج جونز بتأريخ ٢٨ تموز ٢٠٠٥.
- التعذيب وانتهاك حقوق السجناء في سجن أبي غريب غرب بغداد.
- قتل جنود المارينز الأمريكيين لـ ٢٤ مدنيا في مدينة حديثة بمحافظة الأنبار في ١٩ ت٢ ٢٠٠٥. وجهت التهمة لثمانية جنود وجرت محاكمتهم في الولايات المتحدة لكن التهم أسقطت عنهم.
- استخدام قنابل الفسفور الأبيض الحارقة ضد المسلحين.
- اغتصاب خمسة من الجنود الأمريكيين لفتاة بعمر الرابعة عشر (عبير قاسم حمزة الجنابي) وقتلها مع أسرتها في المحمودية جنوب بغداد في ١٢ مايس ٢٠٠٦. وفي ٢١ مايس ٢٠٠٩ حكم على الجندي ستيفن ديل جرين بالسجن مدى الحياة وعلى الجندي جيمس باركر بالسجن ٩٠ عاما وعلى الجندي جيسي سبيلمن بالسجن ١١٠ عاما وعلى الجندي باول كورتيز بالسجن ١٠٠ عاما وعلى الجندي براين هاوارد بالسجن ٢٧ شهرا.
- تعذيب وقتل أسير الحرب العراقي قائد قوة الدفاع الجوي السابق عبد حامد مهاوش بعد القبض عليه في مدينة القائم. وفي ٢١ ك٢ أدانت هيئة المحلفين العسكرية الأمريكية الجندي لويس ويلشوفر بالقتل الخطأ.
- قصف وقتل ٤٢ مدنيا عراقيا خلال حفل زواج في قرية مقر الذيب بالقرب من الحدود السورية. (لا يزال التحقيق جاريا).

(1) Dexter Filkins, Sunnis Accuse Iraqi Military of Kidnappings and Slayings, The New York Times, Nov. 29, 2005
http://www.commondreams.org/headlines05/1129-08.htm

- توجيه الأسلحة على المدنيين العراقيين العزل وقتل بعضهم دون مسوغ. وقد وجهت تهمة القتل إلى ثلاثة من الجنود الأمريكيين منهم العريف إيفان فيلا والعريف مايكل هنسلي والجندي جورج ساندوفال. (لا يزال التحقيق جاريا).

٣- المسلحون:

- قتل أكثر من ١٢.٠٠٠ عراقي خلال الفترة من ك٢ ٢٠٠٥ ولغاية حزيران ٢٠٠٦ حسب تصريح وزير الداخلية العراقي بيان جبر الزبيدي في أول إحصاء رسمي لضحايا التفجيرات والكمائن والهجمات المسلحة. ونفذ المسلحون العديد من التفجيرات الانتحارية الموجهة في غالبيتها إلى السكان الشيعة.
- تنفيذ هجمات ضد المدنيين بضمنهم الأطفال والنساء من خلال تفجير الأسواق والأماكن العامة وباقي المواقع التي تصلها سياراتهم المفخخة.
- تنفيذ هجمات ضد الدبلوماسيين والبعثات الدبلوماسية بضمنها تفجير مقر الأمم المتحدة في بغداد في آب ٢٠٠٣ وقتل ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في العراق و٢١ موظفا تابعا لها، وذبح عدة دبلوماسيين منهم اثنين من أعضاء البعثة الدبلوماسية الجزائرية هما علي بيلاروسي وعز الدين بلكادي والمبعوث الدبلوماسي المصري إيهاب الشريف وأربعة دبلوماسيين روس.
- تفجير جامع ومرقد الأمامين الحسن العسكري وعلي الهادي في مدينة سامراء وتدمير أحد أقدس الأماكن لدى الشيعة وقتل ١٦٥ مصليا وإشعال الفتنة الطائفية والتشجيع على الاقتتال الطائفي.
- قتل وحرق وسحل والتمثيل بجثث عدة مقاولين وسواق شاحنات وأفراد غير عسكريين وموظفين بجمعيات خيرية وإنسانية كالبريطانية المتجنسة بالجنسية العراقية مرجريت حسن (٥٩ عاما) ومهندسين مدنيين والمصور الإيطالي سلفاتور

سانتورا وموظف تجهيز الطعام في مطار الموصل سيف عدنان كنعان والعديد من الموظفين والعمال المحليين والمترجمين المدنيين.

- تعذيب وقتل أفراد من الشرطة والجيش العراقي الجديد واغتيال المدنيين العاملين مع سلطة الائتلاف المؤقتة كالمحامية الأمريكية فيرن هولاند (١٩٧٠-٢٠٠٤) واغتيال عدد من أعضاء مجلس الحكم العراقي كعقيلة الهاشمي وعز الدين سليم وقتل العديد من المدنيين الأجانب الذين ليست لهم علاقة بقوات التحالف.

في ك٢ ٢٠٠٧، أجرت هيئة الإذاعة البريطانية استبيانا شمل ٢٦.٠٠٠ شخص من ٢٥ دولة وظهر أن ٧٣٪ من سكان العالم لا يوافقون على طريقة إدارة الولايات المتحدة للحرب في العراق. وفي أيلول ٢٠٠٧ أجرت الهيئة استبيانا آخرا ووجدت أن ⅔ سكان العالم يؤمنون بأن على الولايات المتحدة سحب قواتها من العراق. وفي استبيان آخر أجرته صحيفة يو أس أي تودي وسي إن إن ومعهد جالوب في نيسان ٢٠٠٤، ظهر أن الغالبية العظمى من الشعب العراقي تؤيد انسحاب فوري لقوات التحالف رغم خشيتهم من أن يعرضهم ذلك لمخاطر أكبر ورأى ثلث الشعب العراقي أن قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة تنفع العراق أكثر مما تضره. وتؤمن الغالبية العظمى من سكان المملكة المتحدة وبريطانيا أن الحرب في العراق غير مبررة وينتقد غالبية البريطانيين دعم حكومتهم للسياسات الأمريكية في العراق (علما أن كندا قد عارضت الغزو الأمريكي للعراق)[١].

وفي استبيان أجراه المعهد العربي الأمريكي بعد أربع سنوات من الغزو ظهر أن ٨٣٪ من المصريين يحملون فكرة سلبية عن الدور الأمريكي في العراق، وأن ٦٨٪

(1) BBc World Service, World View of US Role Goes From Bad to Worse, 23 Jan. 2007
http://news.bbc.co.uk/2/shared/bsp/hi/pdfs/23_01_07_us_poll.pdf

من السعوديين يحملون مثل هذه الفكرة، والأردنيين ٩٦٪ والإماراتيين ٧٠٪ واللبنانيين ٧٦٪. وترى غالبية الأمريكيين والهنود أن العالم أصبح أكثر أمنا دون صدام حسين، بينما يرى معظم الهولنديين والألمان والفرنسيين والأردنيين واللبنانيين والمغاربة والأسبان والصينيين والأتراك والباكستانيين أن العالم كان أكثر أمنا قبل حرب العراق[1].

ادعت الحكومة الأمريكية أن وجود قواتها في العراق جاء بتأييد من الشعب العراقي ولكن في استطلاع أجري في ٢٠٠٥، ظهر أن ٨٢-٨٧٪ من الشعب العراقي يعارضون الاحتلال الأمريكي ويطالبون بمغادرة القوات الأجنبية البلاد. وأيد ٤٧٪ من العراقيين مهاجمة القوات الأمريكية. وفي استطلاع آخر أجري في ٢٧ أيلول ٢٠٠٦ ظهر أن ٧ من كل عشرة عراقيين يريدون انسحاب القوات الأمريكية من العراق خلال سنة. ويؤمن ٧٨٪ منهم أن وجود القوات الأمريكية في العراق يفاقم الصراع أكثر مما يمنعه. ويؤمن ٥٣٪ أن الحكومة العراقية ستكون حكومة قوية لو غادرت القوات الأمريكية العراق (بينما يقول ٢٣٪ منهم أنها ستضعف). ويطالب ٧١٪ منهم بالانسحاب في غضون سنة أو أقل. وتمثل هذه النسب آراء المشتركين بالاستبيان من الشيعة والسنة وليس الكرد. ويوافق ٥١٪ من المشتركين على شن هجمات ضد القوات الأمريكية رغم أن ٩٤٪ منهم لا يحبذون القاعدة[2].

(1) Zogby, James, Four Years Later: Arab Opinion Troubled by Consequences of Iraq War, Arab American Institute, Mar. 2007
http://www.aaiusa.org/page/-
/Polls/2007_poll_four_years_later_arab_opinion.pdf

(2) D3 Systems for the BBC, Iraq Poll 2007
http://news.bbc.co.uk/2/shared/bsp/hi/pdfs/19_03_07_iraqpollnew.pdf

التنظيمات المسئولة عن التفجيرات الانتحارية في العراق:

١ـ تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد وادي الرافدين:

ويسمى في وسائل الأعلام "تنظيم القاعدة في العراق". لعب هذا التنظيم دورا رئيسا في تنفيذ العمليات الانتحارية في العراق ضد السكان المدنيين من الشيعة والسنة والكرد، وغالبية عملياتهم وجهت ضد السكان العزل من فقراء الشيعة. قاد التنظيم في البداية الأردني أبو مصعب الزرقاوي حتى مقتله في ٢٠٠٦. يعتقد أن أبا حمزة المهاجر هو الذي يقوده حاليا ويفترض أنه هو نفسه أبو أيوب المصري. وهذه الجماعة هي نفسها جماعة الزرقاوي السابقة المسماة جماعة التوحيد والجهاد. ظهر اسمها لأول مرة في ت١ ٢٠٠٤ مع بيان البيعة لأسامة بن لادن الذي أعلنته في هذا التأريخ[١].

تتكون خطة هذا التنظيم كما بينها الزرقاوي في رسالته إلى أيمن الظاهري مساعد بن لادن في تموز ٢٠٠٥ من أربع مراحل: الأولى- طرد القوات الأمريكية من العراق، والثانية- إسقاط الحكومة العراقية وقتل المتعاونين مع الاحتلال، والثالثة- قمع المسلمين الشيعة وتدمير ميليشياتهم، والرابعة- تأسيس خلافة إسلامية في العراق. وإذا ما تحققت هذه الأهداف يجري توسيع دائرة الصراع ليشمل البلدان الأخرى المجاورة للعراق، بهدف تأسيس دولة إسلامية والقضاء على إسرائيل وطرد النفوذ الغربي عن العالم الإسلامي. وانسجاما مع هذه الخطة، شن عناصر هذا التنظيم عدة هجمات لهم خارج العراق، كما حصل في عمان في ٩ ت٢ ٢٠٠٥[٢].

---

(1) US Department of State, Office of the Coordinator for Counterterrorism, Country Reports, Chaper 5: Middle East and Africa Overview, Apr. 26, 2006 http://www.state.gov/s/ct/rls/crt/2005/64344.htm

(٢) المصدر نفسه.

وفي ك٢ ٢٠٠٦، أسس التنظيم منظمة تجمع وتوحد جميع الفصائل السنية المسلحة وتكون غطاءا لها سماها مجلس شورى المجاهدين. لكن جهودها لكسب العراقيين من العرب السنة والجماعات العلمانية قد باءت بالفشل بسبب أساليبها العنيفة ضد المدنيين وتبنيها لعقيدة أصولية إسلامية متطرفة. وبسبب هذين العاملين لاقت جهودها فشلا ذريعا[١].

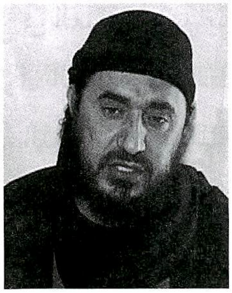
كان التنظيم ينسب هجماته إلى مجلس شورى المجاهدين حتى أواسط ت١ ٢٠٠٦ عندما أعلن أبو أيوب المصري تأسيسه لتنظيم دولة العراق الإسلامية، وهو جبهة واجهية أخرى تضم فصائل مجلس شورى المجاهدين. وينسب تنظيم قاعدة الجهاد حاليا جميع هجماته إلى تنظيم دولة العراق الإسلامية ويقول أنها تأتي استجابة لأوامر القائد الأعلى للتنظيم أبي عبد الله الرشيد البغدادي. وتقول دراسة نشرتها إحدى وكالات الاستخبارات الأمريكية أن لدى التنظيم خططا للاستيلاء على السلطة وتحويل العراق إلى دولة سنية[٢].

لا يعرف بدقة عدد أعضاء الجماعة، لكن تشير بعض التقديرات إلى أنه يبلغ بين ٨٥٠- عدة آلاف من المقاتلين المفرغين للعمل في صفوفها. وفي ٢٠٠٦ قدرتهم دائرة المعلومات والبحوث التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية بحوالي أكثر من ألف عنصر. وهذا العدد لا يشمل بالطبع الفصائل السلفية الأخرى المنتظمة داخل تنظيم دولة العراق الإسلامية. ويقال أن الجماعة تعاني من خسائر بشرية فادحة بسبب عملياتهم

(1) Karen DeYoung and Walter Pincus, Al-Qaeda in Iraq May not be threat here: Intelligence Experts Say Group Is Busy On Its Home Front, The Washington Post, March 18, 2007.
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2007/03/17/AR2007031701373.html

(2) Uzi Mahnaimi, Al-Qaeda Planning Militant Islamic State Within Iraq, The Times, May 13, 2007.
http://www.timesonline.co.uk/tol/news/world/iraq/article1782088.ece

الانتحارية العديدة إضافة إلى الأسباب الأخرى. لكن لا يبدو أن هذه الخسائر الفادحة تؤثر على قوة وقدرات هذا التنظيم بسبب تدفق المتطوعين المستمر إلى صفوفه من داخل وخارج العراق(١).



الأردني أحمد فاضل نزال الخلايلة الملقب بأبي مصعب الزرقاوي قتل الآلاف من العراقيين وبضعة أمريكيين فقط

ويقدر مجلس المعلومات القومي الأمريكي ووكالة الاستخبارات العسكرية الأمريكية أن هذا التنظيم يعتبر مسئولا عن ١٥٪ من عدد الهجمات التي تحصل في العراق. بينما أشار تقرير صادر من دائرة البحوث التابعة للكونجرس في أيلول ٢٠٠٧ أن هذا التنظيم يعتبر مسئولا عن أقل من ٢٪ من العنف في العراق وانتقد الإحصاءات التي تقوم بها إدارة بوش موضحا أنها إحصاءات زائفة لأن هجمات هذا التنظيم قد ازدادت بعد عملية نشر قوات إضافية في العراق. وفي آذار ٢٠٠٧، قال راديو أوربا الحرة أن تنظيم قاعدة الجهاد قد نفذ ٤٣ هجمة من مجموع ٤٣٩ هجمة خلال هذا الشهر ضد الشيعة والقوات العراقية، و١٧ هجمة من مجموع ٣٥٧ ضد القوات الأمريكية(٢).

---

(1) Andrew Tilghman, The Myth of Al Qaeda In Iraq, The Washington Monthly, Oct 2007.
http://www.washingtonmonthly.com/features/2007/0710.tilghman.html

(٢) المصدر نفسه.

وهذا التنظيم يفضل أسلوب الهجمات الانتحارية والعبوات الناسفة المزروعة على الطرق واستخدام السيارات المفخخة وباقي وسائل النقل الأخرى بعد تفخيخها.

ويقول تقرير صادر من الحكومة الأمريكية في ٢٠٠٦، أن للتنظيم علاقات وثيقة بخلايا إرهابية أجنبية تعمل في العراق، وهو يستهدف بشكل خاص المواطنين العراقيين والقوات الدولية. ويقول التقرير أن معظم أعضاء التنظيم هم من غير العراقيين، لكن العراقيين وخاصة الذين يقطنون المناطق المحاذية للحدود السورية-العراقية يوفرون الملاذ الآمن لهم. ورغم أن معظم عمليات التنظيم تجري داخل العراق، لكنه يحتفظ بشبكة لوجستية واسعة تمتد عبر الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وإيران وجنوب آسيا وأوربا[١].

وفي تقرير خاص بثته قناة سي إن إن في حزيران ٢٠٠٨ ورد أن تنظيم القاعدة في العراق هو تنظيم متحذلق في الكلام ويحتفظ بأرشيف من الفيديوهات والتسجيلات وله شبكة من الجواسيس حتى داخل القواعد العسكرية الأمريكية. ويقول التقرير أن الذي يدير التنظيم عمليا هم العراقيون ويقتصر دور المقاتلين الأجانب على تحويلهم إلى وقود للعمليات الانتحارية. ويستثنى من ذلك القيادة العليا للتنظيم التي لا تزال بأيدي غير عراقية[٢].

ويقول البعض أن التهديد الذي يشكله هذا التنظيم مبالغ فيه ويؤكد بعض المحللين أن التركيز الشديد على تنظيم القاعدة قد أخفى حقائق بالغة التعقيد على أرض الواقع[٣].

(1) US Department of State, Office of the Coordinator for Counterterrorism, Chapter 8- Foreign Terrorist Organizations, April 28, 2006 http://www.state.gov/s/ct/rls/crt/2005/65275.htm

(2) Michael Ware, Papers give peek inside Al-Qaeda in Iraq, CNN.com, June 11, 2008, http://edition.cnn.com/2008/WORLD/meast/06/11/al.qaeda.iraq/index.html?iref=topnews

(3) Clark Hoyt, Seeing AlQaeda round every corner, The New York Times, 8 June 2007.

يعتبر التنظيم مسئولا عن العديد من عمليات التعذيب والقتل والاختطاف والتفجيرات الانتحارية التي جرت في غالبيتها ضد العراقيين ونسبة منها ضد الأجانب. وفي ت٢ ٢٠٠٤ كانت شبكة الزرقاوي الهدف الرئيس للعملية العسكرية الأمريكية في الفلوجة، لكن قيادتها تمكنت من الإفلات من الحصار الأمريكي والهروب من المدينة. وفي ١٩ ك١، فجر التنظيم موكبا دينيا للشيعة في النجف ومحطة وقوف السيارات الرئيسة في كربلاء وقتل ما لا يقل عن ٦٠ شيعيا في تلك المدينة المقدسة. كما أعلنت الجماعة مسئوليتها عن تفجيرات ٣٠ أيلول التي راح ضحيتها ٣٥ طفلا و٧ أشخاص في بغداد[1].

وفي ٢٠٠٥، نفذ التنظيم عدة هجمات انتحارية منسقة وأعلن مسئوليته عن تنفيذ عدد كبير من الهجمات ضد المدنيين العراقيين من الشيعة. كما نفذ هجمات ضد المقترعين في انتخابات مجلس النواب في ك٢ وتنفيذ هجوم انتحاري عل سجن أبي غريب في نيسان وهجوم انتحاري آخر خارج فندقي فلسطين وشيراتون في بغداد في ت١. وفي تموز أعلن التنظيم مسئوليته عن خطف وقتل إيهاب الشريف القائم بالأعمال المصري في العراق[2]. وفي تموز ٢٠٠٥ نفذ سلسلة من الهجمات الانتحارية في سوق المسيب جنوب بغداد وخلف الحادث ١٥٠ قتيلا وأكثر من ٢٦٠ جريحا. كما أعلن الزرقاوي مسئوليته عن قتل أكثر من ١٦٠ عامل بناء وجرح ٥٧٠ آخر، جُلُّهم من الشيعة في سلسلة من التفجيرات في بغداد خلال يوم واحد. كما أعلن التنظيم خلال نفس الشهر عن مسئوليته عن مقتل ٧٤ شخصا في تفجير في أحد جوامع خانقين شمال شرق بغداد ومعظمهم أيضا من الشيعة الكرد[3].

---

(1) Associated Press, Fast Facts: Abu Musab Al-Zarqawi, June 8, 2006, http://www.foxnews.com/story/0,2933,198661,00.html

(2) The New York Times, Al-Qaeda Claims to have killed Egyptian Envoy, July 7, 2005
http://www.nytimes.com/2005/07/07/world/africa/07iht-web.0707egypt.html

(3) Michael Howard, Three days of suicide bombs leave 150 dead, The Guardian, 18 July 2005
http://www.guardian.co.uk/world/2005/jul/18/iraq.iraq

وتصاعدت أيضا هجمات القاعدة في العراق ضد قوات التحالف في ٢٠٠٦. ففي نفس العام اختطف وعذب وذبح جنديين أمريكيين جنوب بغداد، واختطف وأعدم أربعة موظفين من السفارة الروسية ببغداد.

ويتحمل تنظيم القاعدة والجماعات المنضوية تحت لوائه في العراق المسئولية عن الهجمات التي تستهدف العراقيين الشيعة، ولا ينفي التنظيم مسئوليته عنها. كما تتهم الولايات المتحدة هذه الجماعة في الوقوف وراء موجة الهجمات بغاز الكلوراين في العراق والتي ألحقت إصابات بمئات العراقيين (رغم أن عدد القتلى كان ضئيلا) من خلال تنفيذ سلسلة من الهجمات باستخدام العوامل الكيمياوية بين أواخر ٢٠٠٦ ومنتصف ٢٠٠٧.

وخلال ٢٠٠٦، قتل العديد من الأعضاء البارزين في هذا التنظيم أو ألقي القبض عليهم على يد قوات التحالف والقوات العراقية بمن فيهم الزرقاوي نفسه الذي قتل في ٧ حزيران ٢٠٠٦ مع مستشاره الشيخ عبد الرحمن ومساعده الأول حامد جمعة فارس جوري السعيدي.

واستمرت الهجمات العنيفة للتنظيم طيلة ٢٠٠٧، فأعلن عن مسئوليته عن محاولة اغتيال النائب السني لرئيس الوزراء سلام الزوبعي وتفجير البرلمان العراقي في نيسان من تلك السنة واختطاف وقتل ثلاثة جنود أمريكيين. ثم نشرت تقارير متضاربة عن المصري. وفي آذار- نيسان خاضت قوات التحالف معركة كبيرة في بعقوبة في محاولة لانتزاع محافظة ديالى من أيدي القاعدة والفصائل المتحالفة معها. وطيلة هذا العام ظلت الحكومة العراقية وقوات التحالف تلقي المسئولية عن الهجمات الانتحارية التي تستهدف المدنيين على القاعدة والقوى المتحالفة معها.

وفي أواخر ٢٠٠٧، نفذت القاعدة عدة هجمات عنيفة وعشوائية ضد المدنيين العراقيين مما أثر كثيرا على صورتها بين مؤيديها من العرب السنة وأفقدها تأييدهم

وجعلها معزولة عنهم. ومما وجه ضربة قاصمة لها تحول العديد من المسلحين السنة الذين كانوا يقاتلون في صفوفها للعمل إلى جانب القوات الأمريكية. إضافة إلى ذلك، أدى نشر المزيد من القوات الأمريكية إلى إلقاء القبض وقتل العشرات من الأعضاء البارزين للتنظيم. ويظهر أنه قد أصيب بالشلل وفقد حصنه المنيع في العراق. ونتيجة ذلك تم في نيسان ٢٠٠٨ تخفيض المكافأة المرصودة لرأس المصري من خمسة ملايين دولار إلى مائة ألف فقط[1].

وفي ٢٠٠٨، شنت القوات العراقية والأمريكية عدة هجمات لطرد أنصار القاعدة من ملاذهم الآمن في محافظة ديالى والأنبار وضواحي بغداد، فانتقلت المنظمة إلى مدينة الموصل الشمالية لتكون تلك المحافظة آخر ساحة حرب كبرى لها في العراق. وفي ك٢ ٢٠٠٨، شنت القوات العراقية والأمريكية هجوما واسعا على محافظة الموصل لطرد القاعدة من الموصل وضواحيها. لكن التنظيم قد تعلم من دروسه السابقة فتوارى عن ساحة المواجهة، وبعد رجوع القوات المهاجمة إلى قواعدها، أطل التنظيم برأسه ثانية في المحافظة ولا يزال ناشطا فيها.

سعى تنظيم القاعدة باستماتة لتأجيج الصراع الطائفي الشيعي- السني في العراق وخلق فوضى عارمة في البلاد من خلال استهدافه المتواصل للغالبية الشيعية من سكان البلاد. وقد أعلن الزرقاوي حربا شاملة على الشيعة وتبنى مسئولية تفجير الجامع الذي يضم ضريحي الأمامين الشيعيين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء شمال بغداد[2]. وفي الشهر نفسه، بثت القنوات الفضائية رسالة قيل أنها

(1) Lennox Samuels, Al Qaeda Nostra, The Newsweek, May 21, 2008
http://www.newsweek.com/id/138085

(2) Sabrina Tavernise, 20 die as insurgents in Iraq target Shiites, The New York Times, Sept. 17 2005
http://www.nytimes.com/2005/09/16/world/africa/16iht-iraq.html

للظاهري واعتبرها تنظيم القاعدة في العراق بأنها مفبركة تلوم المسلحين على أساليبهم البعيدة عن روح الإسلام في مهاجمة السكان الشيعة. وفي ك١ ٢٠٠٧، ظهر شريط فيديو للظواهري أعلن فيه دعمه لدولة العراق الإسلامية لكنه استنكر الجرائم ضد المدنيين التي يرتكبها المنافقون والخونة المتواجدون في صفوف الحركة(١).

وقد اتهم المسئولون العراقيون والأمريكيون تنظيم القاعدة بالسعي لدفع العراق إلى منزلق حرب أهلية شاملة بين الغالبية من العرب الشيعة والأقلية من العرب السنة من خلال شن حملة منظمة لارتكاب المجازر ضد المدنيين العزل واستهداف الأماكن الدينية المقدسة لدى الشيعة. ويبدو أن التفجيرات التي دبرها التنظيم على مرقد الأمامين العسكري والهادي وتفجيرات مدينة الصدر الشيعية التي خلفت أكثر من ٢١٥ قتيلا وأكثر من ٢٥٧ جريحا في يوم واحد، قد دفعت الميليشيات الشيعية لشن سلسلة من عمليات الثأر والانتقام وأدت إلى تنفيذ عمليات قتل بأسلوب يشبه أسلوب فرق الموت وأججت الصراع الطائفي الذي تصاعد بشكل مطرد خلال ٢٠٠٦ وبداية ٢٠٠٧(٢).

وفي مجال عملياته خارج العراق، ادعى التنظيم مسئوليته عن محاولة تفجير قنبلة كيمياوية في عمان في نيسان ٢٠٠٤. وفي ٣ ك١ ٢٠٠٤، حاول تفجير منفذ العبور الحدودي بين العراق والأردن لكنه فشل في ذلك. وفي ٢٠٠٦، حكمت محكمة أردنية على الزرقاوي واثنين من مساعديه غيابيا بالإعدام لتورطهم في محاولة التفجير. كما ادعى التنظيم مسئوليته عن تفجيرات عمان في ٢٠٠٥ الذي راح فيه ٦٠ شخصا(٣).

(1) Adnkronos International, Iraq: British Fleeing Claims al-Qaeda, 17 Dec 2005
http://www.adnkronos.com/AKI/English/Security/?id=1.0.1678520501

(٢) DeYoung, Karen، المصدر السابق.

(3) The New York Times, alQaeda Claims Responsibility for Amman Blasts, Nov. 10, 2005
http://www.nytimes.com/2005/11/09/world/africa/09iht-jordan.html

وادعى المسئولية أيضا عن إطلاق الصواريخ على البارجتين الأمريكيتين يو إس إس كيرسارج ويو إس إس أشلاند، واستهدف أيضا ميناء إيلات في إسرائيل وأطلق بعض الصواريخ عليها من لبنان في ك١. ويعتقد أن جماعة فتح الإسلام التي قضى عليها الجيش اللبناني في ٢٠٠٧ لديها روابط قوية بتنظيم القاعدة في العراق وكان يقودها أحد رفاق الزرقاوي القدامى الذين قاتلوا إلى جانبه في العراق(١).

تحصل الجماعة على الأموال عن طريق نشاطاتها في ميدان الجريمة المنظمة كالاختطاف والحصول على الفدية وسرقة السيارات بعد قتل أصحابها وتزييف العملات واختطاف صهاريج نقل البترول التي تضخ عليهم بعشرات ملايين الدولارات. وفي بيان لأحدى الفصائل المنافسة، ذكر أن الجماعة تحصل على الأموال من خلال منح الأمان لبعض الأسر وقتل أفرادها في حالة التلكؤ في دفع المال اللازم لهم. وتقول مصادر استخبارية عسكرية أمريكية أن هذه الجماعة تشبه عصابات المافيا الإجرامية في أسلوب عملها للحصول على الأموال(٢).

وردت الأنباء الأولى عن حصول انشقاق وصدام مسلح بين تنظيم القاعدة في العراق وحركات الصحوة في عم ٢٠٠٥. ولكن في صيف ٢٠٠٦، بدأت القبائل السنية وبعض المجاميع المسلحة بضمنها جماعة الجيش الإسلامي في العراق تعرب عن رفضها للقاعدة وأساليبها في الحرب وأخذت تنتقد علنا المقاتلين الأجانب المنضوين في صفوفها لاستهدافهم المتعمد للمدنيين. وفي أيلول ٢٠٠٦، شكلت ثلاثين قبيلة في الأنبار ائتلافا محليا أسموه مجلس إنقاذ الأنبار وهدفه الرئيس مقاومة

---

(1) Associated Press, Fatah Islam: Obscure group emerges as Lebanon's newest security threat, International Herald Tribune, 20 May 2007.

(٢) المصدر السابق، AlQaeda Nostra, Newsweek, May 21, 2008.

القاعدة والقوى المتحالفة معها في المحافظة والوقوف علنا إلى جانب الجيش العراقي والقوات الأمريكية[1].

وفي مطلع عام ٢٠٠٧، بدأت القبائل السنية والمسلحين المتحالفين معها القتال ضد حلفائهم السابقين القاعدة وأنصارها من أجل استعادة السيطرة على مناطقهم. وخلال هذه الفترة، نفذت القوى المتحالفة مع القاعدة سلسلة من الهجمات ضد السنة الرافضين لها، أهمها الهجوم الذي حصل في شباط ٢٠٠٧ عندما انفجرت شاحنة مفخخة قرب أحد الجوامع في الفلوجة وراح ضحيته عشرات الأشخاص. كما لعبت القاعدة دورا رئيسا في اغتيال قائد جماعة كتائب ثورة العشرين المسلحة وهي الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية. وفي نيسان ٢٠٠٧، اتهم المتحدث باسم الجيش الإسلامي تنظيم دولة العراق الإسلامية بقتل أكثر من ٣٠ عنصرا من أعضائه وكذلك أعضاء جماعة أنصار السنة وجيش المجاهدين ودعا أسامة بن لادن للتدخل شخصيا لضبط القاعدة في العراق[2]. وفي الشهر التالي أعلنت الحكومة العراقية مقتل أبي أيوب المصري على يد مقاتلي قوات الصحوة. وبعد أربعة أيام أطلقت القاعدة شريط تسجيل ادعى فيه رجل أنه أبو أيوب المصري وحذر السنة من المشاركة في العملية السياسية. وفي مايس أعلنت القوات الأمريكية أنها حررت عشرات العراقيين الذين كانوا يخضعون للتعذيب على يد عناصر القاعدة كجزء من حملة الترويع التي تقوم بها المنظمة[3].

---

(1) John F. Burns and Alissa J. Rubin, US Arming Sunnis in Iraq to Battle Old Qaeda Allies, The New York Times, June 11, 2007
http://www.nytimes.com/2007/06/11/world/middleeast/11iraq.html?_r=1&n=Top%2fReference%2fTimes%20Topics%2fOrganizations%2fA%2fAl%20Qaeda%20in%20Mesopotamia&oref=slogin

(2) Lamis Andoni, On Whose Side is Al-Qaeda?, Al-Ahram, 26 April 2007, Issue No. 842,
http://weekly.ahram.org.eg/2007/842/op6.htm

(3) CNN, US Frees 42 Al Qaeda Kidnap Victims in Iraq, May 27, 2007
http://edition.cnn.com/2007/WORLD/meast/05/27/iraq.main/index.html

وفي حزيران ٢٠٠٧، أدى العداء المتنامي بين المتطرفين الإسلاميين والوطنيين السنة إلى معارك ضارية بينهم داخل بغداد. بعدها توصل الجيش الإسلامي إلى اتفاق لوقف إطلاق النار مع القاعدة. كما وردت أنباء عن دعم تنظيم حماس العراق للقوات الأمريكية خلال عملياتها ضد القاعدة في محافظة ديالى في آب ٢٠٠٧. وفي أيلول من نفس السنة، أعلنت القاعدة مسئوليتها عن اغتيال ثلاث شخصيات منها الشيخ السني عبد الستار أبي ريشة قائد مجلس صحوة الأنبار. وفي نفس الشهر، نفذ التنظيم هجوما انتحاريا على جامع وسط مدينة بعقوبة وقتل ٢٨ شخصا بضمنهم عددا من عناصر حركة حماس العراق وكتائب ثورة العشرين وذلك خلال لقاء في الجامع بين قادة من الشرطة والعشائر والمجاميع المسلحة[1]. وفي نفس الوقت أخذ الجيش الأمريكي يسلح بعض الفصائل "المعتدلة" بأمل أن تتولى قتال القاعدة بدلا عن الأمريكيين.

وفي ك١ ٢٠٠٧، وصل عدد مقاتلي مجالس الصحوة أو كما يسمون أبناء العراق بين ٦٥.٠٠٠ - ٨٠.٠٠٠ مقاتلا[2]. ومعظمهم كان يقاتل في صفوف الحركات المتمردة بل وحتى في صفوف القاعدة، وقام الأمريكيون بتسليحهم وإمدادهم بالمال بهدف محاربة القاعدة في العراق. وفي تموز ٢٠٠٧، أثبتت هذه الاستراتيجية فاعليتها في تأمين المحافظات السنية وباقي النقاط الساخنة من العراق وطرد عناصر القاعدة منها.

(1) Adnkronos International, Iraq: Leader of Hama of Iraq and 1920 Brigades dead in mosque attack, 25 Sept 2007
http://www.adnkronos.com/AKI/English/Security/?id=1.0.1345669885

(2) Alissa J. Rubin and Damien Cave, In a Force for Iraqi Calm, Seeds of Conflict, The New Yort Times, 23 Dec 2007.
http://www.nytimes.com/2007/12/23/world/middleeast/23awakening.html?pagewanted=all



رانيا العنبكي انتحارية تم القبض عليها في ٢٦ ت٢ ٢٠٠٨ في ديالى وهي ترتدي حزاما ناسفا. حكم عليها في ٣ آب ٢٠٠٩ بالسجن سبع سنوات ونصف.

وقد استغلت القاعدة تجنب القوات الأمنية تفتيش النساء، فعملت على تجنيد العشرات منهن كانتحاريات مستغلة ظروفهن النفسية كفقد أزواجهن أو أخوتهن أو ظروفهن المادية الصعبة. وتقول مصادر عسكرية أمريكية أن عدد الانتحاريات اللواتي نفذن هجمات انتحارية في ٢٠٠٨ قد بلغ ٣٥ انتحارية بينما كان عددهن في ٢٠٠٧ هو سبع انتحاريات فقط.

أهم القيادات السابقة لتنظيم القاعدة في العراق هي: أبو مصعب الزرقاوي (قتل في ٢٠٠٦)، وأبو عبد الله الرشيد البغدادي (ألقي القبض عليه)، وماهر أحمد محمود الزبيدي (قتل في ٢٠٠٨)، وأبو عزام (قتل في ٢٠٠٥)، ومحمد مومو (قتل في ٢٠٠٨)، وأبو يعقوب المصري (قتل في ٢٠٠٧)، وحامد جمعة فارس جوري السعيدي (ألقي القبض عليه في ٢٠٠٦)، وخالد المشهداني (ألقي القبض عليه في ٢٠٠٧)، وماهر الزبيدي (قتل في ٢٠٠٨)، والشيخ عبد الرحمن (قتل في ٢٠٠٦).

والقيادات الحالية للتنظيم هي: أبو أيوب المصري، والشيخ منصور، وأبو عبد الرحمن العراقي، وطالب يوسف زويد العزاوي، وصبري خربوط الدليمي[1].

(1) http://www.globalsecurity.org/security/profiles/al-qaeda.htm.

أهم العمليات الانتحارية التي نفذها التنظيم:

١- تفجير السفارة الأردنية في بغداد في ٧ آب ٢٠٠٣، قتل في التفجير ١٧ شخصا وجرح ٤٠ آخرون.

٢- تفجير فندق القناة ببغداد في ١٩ آب ٢٠٠٣، قتل فيه ممثل الأمين العام للأمم المتحدة سيرجيو فييرا دي ميلو مع ٢٢ آخرين وجرح أكثر من ١٠٠ شخص.

٣- تفجير جامع الأمام علي في النجف بالعراق في ٢٩ آب ٢٠٠٣ ومقتل آية الله محمد باقر الحكيم وأكثر من ٨٥ من المصلين وجرح أكثر من ٥٠٠ شخص.

٤- سلسلة من التفجيرات الانتحارية في بغداد وكربلاء في ٢ آذار ٢٠٠٤، قتل فيها حوالي ١٧٨ شخصا وجرح ما لا يقل عن ٥٠٠ آخر.

٢ - تنظيم دولة العراق الإسلامية:

هذا التنظيم هو منظمة واجهية أو غطاء لعدد من المجاميع العراقية المسلحة تأسس في ١٥ ت١ ٢٠٠٦ بهدف، كما يزعم، "حماية الشعب العراقي من الهجمات الأمريكية والدفاع عن الإسلام" وإقامة خلافة إسلامية في ست محافظات عراقية." فأعلن المتحدث باسمه: "يزف إليكم حلف المطيبين[١] بشرى إنشاء وإقامة دولة العراق الإسلامية"، داعيا "المجاهدين وعلماء العراق وشيوخ العشائر وعامة أهل السنة... إلى بيعة أمير المؤمنين الشيخ أبي عمر البغدادي"[٢].

(١) حلف المطيبين هو حلف نشأ قبل الإسلام بين بعض بيوتات قريش لتوزيع امتيازات الحج فيما بينها بعد إن نازعهم فيها غيرهم، فأعطيت الحجابة (خدمة الكعبة) واللواء (أي حمل الراية في الحروب) والندوة إلى بني عبد الدار، وأعطيت الرفادة (إطعام الحجاج) والسقاية (أي سقي الماء للحجاج) إلى بني عبد مناف (أسلاف الرسول محمد). فأخرج الأخيرون طبقا مملوءا بالطيب أو العطر وغمس الحضور أيديهم فيه ومسحوها بالكعبة تأكيدا للعهد، فسموا المطيبين. ولم يشهد الرسول هذا الحلف.

(٢) في ٢٣ نيسان ٢٠٠٩ أعلن الجيش العراقي إلقاء القبض على البغدادي ونشر صورا له وقال أن اسمه الحقيقي هو أحمد عبد أحمد خميس المجمعي (٤٠ عاما).

تتكون الجماعة من عدد من المجاميع المسلحة منها مجلس شورى المجاهدين وتنظيم القاعدة في العراق وجيش الفاتحين وجند الصحابة وكتائب أنصار التوحيد والسنة وجيش الطائفة المنصورة وغيرها، إضافة إلى بعض العشائر السنية.

وقد مارست الجماعة نشاطاتها المسلحة في محافظات بغداد والأنبار وديالى وكركوك وصلاح الدين ونينوى وأجزاء من بابل وواسط. وهي تعتبر بعقوبة عاصمتها[1].

وقد سيطرت أواخر ٢٠٠٦ والى مايس ٢٠٠٧ على ضاحية الدورة جنوب بغداد. وقامت بقتل العديد من الأسر المسيحية التي لم تدفع الجزية لهم. لكن الجهود الأمريكية لم تفلح في إعادة الأمن للمنطقة رغم إقفال الشوارع وعزل الأحياء بكتل الكونكريت المسلح وإصدار بطاقات الهوية للأهالي. وفي ت٢ ٢٠٠٧، تم طرد التنظيم من منطقة الدورة وأعيد المهجرون وتم فتح الكنائس الآشورية فيها.

وفي ١٩ نيسان ٢٠٠٧، أعلنت المنظمة تأسيس حكومة انتقالية أسمتها "الحكومة الإسلامية الأولى لعراق ما بعد الغزو". وقالت أن الأمارة برئاسة أبي عمر البغدادي ولديه مجلس وزراء مكون من ١٠ وزراء.

في ١ مايس ٢٠٠٧، تم قتل وزير العلاقات العامة في التنظيم أبا بكر الجبوري (محارب عبد اللطيف الجبوري) بالقرب من التاجي. لا تعرف بدقة ظروف الحادث، لكن وزير الداخلية العراقي قال أنه قتل على يد ميليشيات سنية منافسة. وكانت تجري في نفس الفترة عمليات عسكرية للقوات العراقية وقوات التحالف في تلك المنطقة. وتقول بعض المصادر أنه قتل بعد مقاومته لعملية إلقاء قبض عليه.

---

(1) Stephen Negus, call for Sunni state in Iraq, Financial Times, Oct 15, 2006
http://www.ft.com/cms/s/0/e239159e-5c6a-11db-9e7c-0000779e2340.html

وفي ١٢ مايس ٢٠٠٧ أعلن التنظيم مسئوليته عن كمين نصبه في منطقة الطاقة ببابل وراح ضحيته جندي عراقي وأربعة جنود أمريكيين. ثلاثة منهم جرى أسرهم. عثر على أحدهم مقتولا ومرميا في نهر الفرات بعد ١١ يوما. واثنان قال التنظيم أنه أعدمهم ودفنهم. وتم العثور على جثثهم بعد سنة من ذلك التأريخ[1].

وفي ١٨ حزيران ٢٠٠٧ شن الجيش العراقي والقوات الأمريكية عملية واسعة لطرد التنظيم من مدينة بعقوبة والمناطق المحيطة بها. واتضح أن مقاومته أقل بكثير مما كان متوقعا. وأعلنت مصادر من الجيش الأمريكي أن قيادة دولة العراق الإسلامية قد انتقلت إلى مكان آخر خارج المحافظة حتى قبل بدء العملية العسكرية.

وفي ٩ تموز ٢٠٠٧، أطلق البغدادي شريطا صوتيا وجه فيه إنذارا إلى إيران. وقال: "نمهل الفرس عموما وحكام إيران خصوصا شهرين لسحب كل أنواع الدعم الموجود في العراق". وأضاف: "وما لم تنفذ إيران هذه المطالب فستشن الجماعة حربا ضد الإيرانيين". وأشار إلى أن هذا القرار جاء نتيجة دعم إيران للشيعة في العراق. كما حذر الدول العربية من إقامة علاقات تجارية مع إيران[2].

يقدر عدد أعضاء التنظيم في ٢٠٠٦ بحوالي ١٢.٠٠٠ مقاتل، لكنه انخفض في ٢٠٠٨ ليصل إلى ما يقارب الألف فقط.

قيادات التنظيم هي أبو عمر البغدادي (أمير التنظيم)، وأبو عبد الرحمن الفلاحي (رئيس الوزراء فيه)، وأبو حمزة المهاجر (وزير الحربية) وأبو عثمان التميمي

(1) Jeremiah Marquez, SoCal Family mourns soldier found dead in Iraq river, San Fracisco Chronicle, 24 May 2007
http://www.sfgate.com/cgi-bin/article.cgi?f=/n/a/2007/05/24/state/n022304D32.DTL&hw=Iraq+missing+hometown&sn=001&sc=1000

(2) Café Cordover, AlQarda Issues Ultimatum to Iran, July 9, 2007
http://cordover.blogspot.com/2007/07/al-qaeda-issues-ultimatum-to-iran.html

(وزير الأوقاف)، وأبو عبد الجبار الجنابي (وزير الأمن)، وأبو محمد المشهداني (وزير الأعلام)، وأبو عبد القادر العيساوي (وزير شؤون الشهداء والأسرى)، وأبو أحمد الجنابي (وزير النفط)، وأبو مصطفى الأعرجي (وزير الزراعة)، وأبو عبد الله الزيدي (وزير الصحة)، ومحمد خليل البدري (وزير التربية)[١].



أحمد عبد أحمد المكنى بأبي عمر البغدادي بعد القبض عليه حسب ما أعلنه اللواء قاسم عطا المتحدث باسم عمليات بغداد

نفذت المنظمة العديد من العمليات الانتحارية وأهمها:

- وفي ٢٥ حزيران نفذ التنظيم في ٢٥ حزيران ٢٠٠٧ تفجيرا انتحاريا في اجتماع لشيوخ عشائر الأنبار وبعض المسئولين الحكوميين في فندق المنصور ببغداد، قتل فيه ١٣ شخصا بضمنهم ستة شيوخ من السنة وشخصيات مهمة أخرى. وكانت شركة أمنية بريطانية هي المسئولة عن توفير الحماية للفندق الذي لا يبعد عن المنطقة الخضراء إلا بحوالي مئة متر. وتقول بعض المصادر أن جماعة إسلامية مصرية هي التي ساعدت الانتحاري في الدخول للفندق، لكن لم تتأكد صحة هذه الأخبار. وادعت الحركة أنه يأتي ثأرا لاغتصاب فتاة سنية (صابرين الجنابي) على يد الشرطة العراقية، اتضح فيما بعد أن قصة الاغتصاب مفبركة[٢].

(1) http://www.globalsecurity.org/security/profiles/al-qaeda.htm
(2) Mark Tran, Al-Qaida Linked to Baghdad Hotel Bombing, The Guardian, 26 June 2007
http://www.guardian.co.uk/world/2007/jun/26/iraq.marktran

- في ٦ آذار ٢٠٠٧، فجر انتحاريان يرتديان حزامين ناسفين نفسيهما وسط تجمع كبير للزوار الشيعة في الحلة والمتجهين إلى كربلاء بمناسبة أربعينية الأمام الحسين. قتل في الحادث ١٢٠ مدنيا عراقيا وأكثر من ١٩٠ جريحا.
- وفي ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩، أعلنت الحركة مسئوليتها عن تفجيرات وزارة العدل ومقر محافظة بغداد. قتل في الحادث ١٥٥ شخصا، وجرح ٧٢١ آخر. جرى التفجير بسيارتين مفخختين يقودهما انتحاريان. ومن بين القتلى عشرات الأطفال الذي كان يقلهم باص يسير في الجهة المقابلة لوزارة العدل[1].

٣ - جماعة أنصار السنة:

وتسمى سابقا جيش أنصار السنة، وهي جماعة سلفية متطرفة تضم مقاتلين من العرب السنة والكرد وبعض المقاتلين العرب من سوريا والعربية السعودية واليمن والأردن والكويت وساحة نشاطهم هي شمال ووسط العراق. تأسست الجماعة في ٢٠ أيلول ٢٠٠٣ كمنظمة واجهية وغطاء للمسلحين. وهي تضم الأعضاء السابقين لمنظمة أنصار الإسلام وهي منظمة كردية إسلامية كانت تتمركز قبل الغزو الأمريكي للعراق في المنطقة الجبلية المحاذية لمدينة حلبجة بشمال شرق البلاد. الهدف المعلن للتنظيم هو طرد قوات الاحتلال الأمريكية من العراق وإقامة دولة إسلامية مستقلة فيه. وقائد الجماعة هو الشيخ أبو عبد الله الحسن بن محمود الشافعي، الذي تقول بعض الأخبار أنه شقيق أحد القادة الكبار لتنظيم أنصار الإسلام لكن لا يعرف شيء عن خلفيته. ومن بين قادتها البارزين الملا هلكورد أحمدي ومحمد هشام محمد.

(1) Rebecca Santana, Iraq steps up security after blasts kill 155, Google News, Oct 26, 2009.
http://www.google.com/hostednews/ap/article/ALeqM5hwK_CSpBxsNuVUEaDuOwmSSCiqGwD9BJ1KT00

يعتقد أن لأنصار السنة روابط مع باقي المنظمات الإسلامية السنية المسلحة العاملة في العراق، كجماعة التوحيد والجهاد (المدعومة من القاعدة). وفي ت١ ٢٠٠٤ نشرت الجماعة على موقعها الألكتروني شريط فيديو تصور فيه جز رأس سائق شاحنة تركي. وقد عرف المختطفون في هذا الشريط بأنفسهم بأنهم أعضاء في حركة التوحيد والجهاد. وكانت الحكومتان العراقية والأمريكية في البداية تعتقدان بوجود روابط وثيقة بين أنصار السنة والقاعدة. ولكن في ك٢ ٢٠٠٧، اعترض الجيش الأمريكي برقية مرسلة من أنصار السنة إلى أبي حمزة المهاجر تكشف حصول نزاع مسلح عنيف بين الطرفين[1].

وبعد الانتفاضتين الشيعية والسنية في ربيع وصيف ٢٠٠٤ وتقليص أعداد الدوريات الأمريكية وتكوّن المناطق المحرمة في المثلث السني، كان أنصار السنة طرفا في ائتلاف للفصائل المسلحة المسيطر على مدن الفلوجة والرمادي وسامراء وبعقوبة. وضم هذا الائتلاف تنظيم جيش محمد وحركة التوحيد والجهاد. وانتزعت القوات العراقية والأمريكية في وقت لاحق السيطرة على هذه المدن من أيدي المجاميع المسلحة بالرغم من وجود حضور سري واسع لها فيها.

وفي ١٠ ت١ ٢٠٠٥، حظرت وزارة الداخلية البريطانية نشاط منظمة أنصار السنة وأربعة عشر منظمة مسلحة أخرى داخل أراضي المملكة المتحدة. فأصبح يحكم على المنتمي لهذه المنظمة بالسجن مدة عشرة أعوام وفقا لقانون الإرهاب رقم ٢٠٠٠. وفي ٢٣ آب ٢٠٠٦، ألقت بريطانيا القبض على زعيمها.

وفي ١٢ ك٢ ٢٠٠٩، أعلن الجيش العراقي القبض على القائد العام لجيش أنصار السنة في العراق ثائر كاظم عبد سلمان في منطقة اليرموك ببغداد.

(1) Overview of Letter from Ansar Al-Sunna to Abu Hamza Al-Muhajir, Combatting Terrorism Center, United States Military Academy.

وفي تموز ٢٠٠٧، شكل ممثلو جيش أنصار السنة تحالفا مع بعض الجماعات المسلحة للاستعداد للسيطرة على المناطق السنية بعد انسحاب القوات الأمريكية والقوات الحليفة الأخرى. ويتكون التحالف الجديد من سبع جماعات باستثناء القاعدة وحزب البعث. وهذا التخطيط يكشف عمق الخلاف بين القاعدة وأنصار السنة. ويتركز خلافهم حول الأساليب العسكرية المتبعة من قبل القاعدة والهجمات على المدنيين الشيعة. ولم ينظم التنظيم إلى منظمة دولة العراق الإسلامية التي تسيطر عليها القاعدة.

تدرب بعض أعضاء هذا التنظيم في معسكرات القاعدة في أفغانستان، وقد وفر ملاذا آمنا لمقاتلي القاعدة في العراق قبل الغزو الأمريكي. ويعتبر ثاني أكبر جماعة بعد القاعدة مناوئة لقوات التحالف والحكومة العراقية الجديدة ويقدر عدد أعضائها بين ٥٠٠-١٠٠٠ مقاتل، وهو يحتفظ بآلة دعائية قوية.

وفي نفس السنة، غيرت منظمة أنصار السنة اسمها رسميا ليعود إلى "منظمة أنصار الإسلام".

وظهر اسم الحركة مع إحدى عشرة جماعة مسلحة أخرى في وثائق عثر عليها في الرمادي والفلوجة في ٣١ ك٢ ٢٠٠٤ تتضمن مخطط هذه الجماعات للسيطرة على المدن العراقية بعد انسحاب قوات التحالف.

ولهذا التنظيم حضور واسع في الموصل حيث شن بالتعاون مع المجاميع المسلحة الأخرى وأعداد من المقاتلين الأجانب هجوما شاملا على المدينة في ت٢ ٢٠٠٤. وبعد معركة عنيفة، احتفظت الجماعة بجيوب لها في الجزء الغربي من الموصل. وظل الصدام مستمرا بينها وبين وحدات الجيش الأمريكي هناك.

وهذه الجماعة مسئولة عن اختطاف العديد من العراقيين والأجانب في العراق في ٢٠٠٤ ونحرهم أمام كاميرات التصوير وبث الأشرطة على شبكة الإنترنت. وتسمع

في الأشرطة غالبا تحذيرات شخص يدعونه بالأمير، للعراقيين بعدم التعامل مع القوات الأمريكية وإلا فأنه سيقطع رؤوسهم ويرميها إلى الجحيم. لم يشخص حتى إلى الآن صوت هذا المتحدث.

وقد استخدمت الجماعة أسلوب الاغتصاب لإجبار الفتيات العراقيات على أن يتحولن إلى انتحاريات لتجنب الفضيحة والعار. فقد سجلت أكثر من ٨٠ حالة انتحار للنساء في محافظة ديالي خلال الفترة القليلة الماضية. فقد اعترفت سميرة أحمد جاسم العزاوي (مواليد ١٩٥٨) وتسمى من قبل جماعة أنصار السنة بأم المؤمنين، بعد القبض عليها في ٢١ ك٢ ٢٠٠٩، بأنها قد رتبت لاغتصاب عشرات الفتيات على يد عناصر الجماعة للضغط عليهن فيما بعد ليتحولن إلى انتحاريات ليجنبن أنفسهن وأسرهن العار. وسميرة من عناصر جماعة أنصار السنة، ضمها شاكر حامد مالك أحد قيادات هذا التنظيم في ديالى لصفوف الحركة[1].



سميرة أحمد جاسم العزاوي جندت ٨٠ انتحارية
في ديالى بعد ترتيب اغتصابهن وتهديدهن بالفضيحة

---

(1) HeraldSun, Iraqi Woman had 80 women raped to recruit suicide bombers, Feb. 4, 2009, http://www.heraldsun.com.au/news/world/mum-had-80-raped-for-bomb-mission/story-e6frf7mf-1111118752001

وأنظر أيضا:

The Canberra Times, Woman set up rapes to recruit 80 suicide bombers, 5 Feb 2009، http://www.canberratimes.com.au/news/local/news/general/woman-set-up-rapes-to-recruit-80-suicide-bombers/1425374.aspx

وجماعة أنصار السنة من الجماعات النشطة في مجال زرع العبوات الناسفة على الطرق العامة، وهذا ما تؤكده أشرطة الفيديو العديدة التي تصورها الجماعة لهذه العبوات وتوزعها على وسائل الأعلام.

ومن أهم الهجمات التي نفذتها : تفجير السفارة التركية ببغداد في ١٤ ت١ ٢٠٠٤ بسيارة مفخخة، وتفجير مركز شرطة رحيماوه بكركوك في ٢٣ شباط من نفس العام الذي راح ضحيته ١٣ شخصا، وقتل ١٢ عامل نيبالي في ٣١ آب ٢٠٠٤ بعد اختطافهم مما دفع النيباليين إلى إحراق أحد الجوامع في العاصمة كاتمندو احتجاجا على ذلك، وقتل ١١ جندي عراقي في ٢٨ ت١ من نفس العام بعد اختطافهم، وقتل المواطنين العراقيين بارئ نافع داود وسيف عدنان كنعان وحسين ذنون وتفجيرات الجامعة المستنصرية في ١٦ ك٢ ٢٠٠٧ التي راح ضحيتها ٧٠ طالبا وجرح ١٦٩ آخرا وغيرها.

وفي ١٨ حزيران ٢٠٠٦، قتلت العديد من الموصليين بزعم أنهم مثليون "ولا يتبعون تعاليم الرسول محمد". وقد وجدت جثثهم في وقت لاحق مقطعة الرؤوس ومرمية في نهر دجلة. وفي ١٨ أيلول ٢٠٠٧ قتلوا عراقيين مسلمين بتهمة الردة لكونهما يعملان مع الحكومة العراقية، وهما علي عاصم عبد العزيز ومحمد رحيم عبد الرضا، وقد أظهر شريط الفيديو أحدهما وهو يعترف بعمله مع الحكومة العراقية وأنفه ينزف دما ويتنفس بصعوبة وتبدو على وجهه آثار ضرب مبرح، بينما كان الثاني يرتل أدعية إسلامية قبل أن تطلق عليهما النيران من الخلف[1].

يتلقى التنظيم الدعم المالي من شبكة واسعة من الأنصار في الشرق الأوسط وأوروبا.

(1) The Jawa Report, Ansar Al-Sunna Murders Two Iraqis, Sept 18, 2007, http://mypetjawa.mu.nu/archives/189420.php

وقد أعلنت الجماعة عن مسئوليتها عن تنفيذ العديد من الهجمات الانتحارية أهمها :

- تفجيرات مكاتب الحزبين الكرديين الاتحاد الوطني والديمقراطي الكردستاني في أربيل في ١ شباط ٢٠٠٤ الذي قتل فيه ١٠٩ أشخاص. ويعتبر هذا التفجير من أعنف الهجمات الدموية للمسلحين منذ بداية الحرب ولحين حصوله.
- وفي ٢١ ك١ ٢٠٠٤، أعلنت عن مسئوليتها عن تفجير انتحاري كبير في مطعم الجيش بالقاعدة العسكرية الأمريكية بالموصل راح ضحيته ١٤ جنديا أمريكيا و٥ موظفين مدنيين من شركة هيلابيرتون الأمريكية و٥ جنود عراقيين. وكان الانتحاري واسمه أبو عمر الموصلي يرتدي زي ضابط في الجيش العراقي فوق حزام ناسف معبأ بالمتفجرات.

وقد نشرت الحركة أشرطة وأقراصا تتضمن الوصايا الأخيرة لستة انتحاريين في عمليات سابقة وكان ثلاثة منهم من غير العراقيين.

٤ – جماعة التوحيد والجهاد:

أسس هذه الجماعة أبو مصعب الزرقاوي وبعض الإسلاميين الأجانب مع مجموعة من الكرد العراقيين. والزرقاوي أردني اشترك في الحرب الأفغانية– السوفيتية. وبعد رحلة قصيرة لبلاده عاد ثانية إلى أفغانستان وأخذ يدير معسكرا لتدريب المقاتلين بالقرب من هراة في أفغانستان. كانت شبكته في البداية تركز على الإطاحة بالنظام الملكي الأردني الذي يعتبره نظاما غير إسلامي وفق المفهوم الأصولي. وقد تمكن من تجنيد العديد من الأنصار والمعارف في مختلف البلدان. وربما تكون شبكته متورطة في خطة تفجير الاحتفالات بمناسبة الألفية الجديدة في كل من الأردن والولايات المتحدة في أواخر ١٩٩٩.

وبعد الغزو الذي قادته الولايات المتحدة لأفغانستان، يعتقد أن الزرقاوي انتقل إلى العراق حيث تلقى العلاج الطبي لجرح في ساقه. ويعتقد أيضا أنه قد بنى علاقات واسعة مع أنصار الإسلام وهم جماعة إسلامية كردية تتمركز في شمال شرق البلاد. ويقول البعض أن لأنصار الإسلام علاقات مع جهاز المخابرات العراقي السابق. وكان غرض صدام من ذلك هو استخدام أنصار الإسلام كقوة مقاتلة بالنيابة عنه لقمع الكرد العلمانيين الذين يطالبون بإقامة "كردستان حرة". وفي ك٢ ٢٠٠٣ أنكر الملا كريكار زعيم الجماعة أي روابط له مع نظام صدام حسين. وجماعة الزرقاوي هي المسئولة عن اغتيال الدبلوماسي الأمريكي لورنس فولي في الأردن في ٢٠٠٢.

وبعد الغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣، تحولت جماعة التوحيد والجهاد إلى تنظيم عسكري مؤلف من عدد من المقاتلين الأجانب وبقايا أنصار الإسلام لمحاربة قوات التحالف والقوات الأمنية العراقية. وفي مايس ٢٠٠٤، دمجت قواتها مع قوات الحركة السلفية المجاهدية بقيادة أبي دجانة العراقي. والكثير من المقاتلين الأجانب الذين دخلوا العراق لم يكونوا أعضاء في حركته لكنهم اضطروا للاعتماد على علاقاته في الوسط العراقي السني.

تختلف هذه الجماعة عن باقي المجاميع المسلحة العراقية من حيث الأساليب العسكرية المتبعة من قبلها. فبدلا من استخدام الأسلحة التقليدية وأسلوب حرب العصابات، تستخدم الحركة بكثافة أسلوب التفجيرات الانتحارية، وأغلب الأحيان بالسيارات المفخخة، مستهدفة بشكل خاص السكان المدنيين الشيعة وقوات الأمن العراقية. كما تستهدف أيضا القوات الأمريكية وقوات التحالف وموظفي الأمم المتحدة والمدنيين الأجانب والمنظمات الإنسانية والشخصيات السياسية والدينية الشيعية والكردية وقوات الشرطة والجيش العراقي والموظفين الحكوميين. وقد اغتالت

الجماعة العديد من الشخصيات السياسية العراقية خلال الفترة القصيرة التي أعقبت سقوط صدام.

وقد استخدمت هذه الجماعة مختلف أساليب القتل كالاختطاف والاغتيال وزرع العبوات الناسفة على الطرق العامة وإطلاق قذائف الهاون إضافة إلى قاذفات الصواريخ والأسلحة المتوسطة والخفيفة. وقد ارتكبت كباقي التنظيمات المسلحة في العراق الكثير من جرائم الحرب كقطع الرؤوس بطريقة وحشية للرهائن المدنيين العراقيين والأجانب والتي تم تصويرها فيديوا ونشرها على شبكة الإنترنت.

وتبرر الجماعة لنفسها قطع رؤوس الرهائن العراقيين والأجانب بآيات قرآنية. ويرفض رجال الدين المسلمون بشدة تفسيراتهم لهذه الآيات. وتتلو الجماعة في كل مناسبة آيات قرآنية وأحاديث نبوية تعتقد أنها تدعم نشاطاتها المسلحة. وأشارت أكثر من مرة إلى حديث الرسول محمد إلى أهالي مكة عند فتحها: "يا معشر قريش! أما والذي نفس محمد بيده، ما أرسلت إليكم إلا بالذبح- وأشار بيده إلى حلقه"[1]. كما يقتبسون أيضا حديث الرسول الذي يقول: "لا يدخل مسلم قتل كافرا في النار"، رواه مسلم. والكافر بنظرهم هو كل من كان غير مسلم أو مسلم ولكن من طائفة أخرى. كما يقتبسون أيضا آيات قرآنية تدعو المسلمين إلى قتال الكفار وقطع أعناقهم كما في الآية التي تقول: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب"، سورة محمد آية ٤.

يعتقد أن عدد أعضاء الجماعة يبلغ عدة مئات من العراقيين والأجانب ولكنها من أخطر الجماعات. يقول بول بريمر الرئيس السابق لسلطة الائتلاف المؤقتة أنها تقف وراء جميع الهجمات الانتحارية التي حصلت في العراق خلال ذلك التأريخ.

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الموارد، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨ هـ صفحة ١٤٠٣.

ويضيف: أنه بالرغم من القبض على العديد من أعضائها، إلا أنه لم يتم الحصول على معلومات واسعة عنها لأن تركيبها قائم على خلايا صغيرة مما يجعل من الصعب اختراقها. وحتى لو اخترقناها فسوف لن نحصل على معلومات تتجاوز حدود الخلية الواحدة.

المفتي الشرعي للجماعة هو أبو أنس الشامي. وهو عمر يوسف جمعة من طولكرم بفلسطين، درس العلوم الإسلامية في العربية السعودية وذهب للقتال في البوسنة ثم عاد ليلتحق بالزرقاوي بعد الغزو الأمريكي للعراق. وقتل بقذيفة صاروخية أمريكية أطلقت على سيارته في أيلول ٢٠٠٤.

وعقيدة هذه الجماعة مشابهة لعقيدة القاعدة ولكن مع تركيز خاص على العراق. وهي ترى نفسها أنها تخوض قتالا ضد الصليبيين الأمريكيين المشركين، وأن غزو العراق هو خطوة نحو تحقيق إسرائيل الكبرى. وتسمي المسلمين الشيعة بالرافضة. وتنظر للكرد كأعداء بسبب حسب ما تدعيه من ارتباطهم بالمصالح اليهودية.

أعلنت جماعة التوحيد والجهاد مسئوليتها عن العديد من الهجمات التي استهدفت بها قوات التحالف والقوات العراقية، وأهمها المذبحة التي حصلت في ت١ ٢٠٠٤ لـ ٤٩ مجندا مستجدا من الحرس الوطني العراقي أثناء نزولهم إلى أهاليهم في أجازة دورية من معسكر بلدروز ولم يكونوا مسلحين. معظم هؤلاء المجندين من فقراء الناصرية في جنوب العراق. كما استهدفت الجماعة منظمة الصليب والهلال الأحمر الدولية. واستهدفت أيضا البنى التحتية العراقية كمحطات تصفية المياه والأنابيب الناقلة للمياه ومحطات توليد الكهرباء وأعمدة نقل الطاقة الكهربائية ومعامل تكرير النفط وأنابيب الضخ. وشنت أيضا هجمات متعددة على القوات الأمريكية في وسط وغرب وشمال العراق.

نفذت الجماعة سلسلة من عمليات الخطف والقتل منها: عملية خطف المهندس المدني الأمريكي نيك بيرج وقطع رأسه في ٧ مايس ٢٠٠٤، وعملية خطف السائق التركي مراد يوسي وإطلاق النار عليه في ٢ آب ٢٠٠٤، والكوري الجنوبي كيم سن إيل وقتله في ٢٢ حزيران ٢٠٠٤، والبلغاريين جورجي لازوف وإيافالو كيبوف وقطع رأسيهما في ٨ تموز ٢٠٠٤ وغيرهم.

وللجماعة روابط بجماعة التوحيد والجهاد في سوريا وربما لها علاقات مع جماعة كتائب التوحيد والجهاد الفلسطينية التي تعرف باسم جيش الإسلام في غزة.

ومنذ ت١ ٢٠٠٤، غيرت الجماعة اسمها ليصبح منظمة القاعدة في العراق(١).

٥ - مجلس شورى المجاهدين:

وفي ١٥ ك٢ ٢٠٠٦، أعلن ناطق باسم قاعدة الجهاد في العراق عن تأسيس مجلس شورى المجاهدين، وهو منظمة واجهية لست جماعات سنية إسلامية مسلحة في العراق، تضم تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين وجيش الطائفة المنصورة وسرايا أنصار التوحيد والسنة وسرايا الجهاد الإسلامي وسرايا الغرباء وكتائب الأهوال. ومن الواضح أن تأسيسه جاء كمحاولة لاستعادة دعم وتأييد السنة لتنظيم القاعدة(٢).

نشر بيان التأسيس على موقع لجماعة إسلامية، وكان موقعا باسم الناطق باسم تنظيم قاعدة الجهاد أبي ميسرة العراقي. ذكر البيان أن الغرض من تأسيس المجلس هو: "قيادة الصراع في معركة المواجهة لدفع الكفار الصائلين وأذنابهم المرتدين وجمع

(١) موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Jama%27at_al-Tawhid_wal-Jihad

(2) ABC NEWS, Pressure Grows on AlQaeda in Iraq, Jan. 30, 2006, http://abcnews.go.com/International/story?id=1557349

كلمة المجاهدين ورص صفوفهم ... ونبذ الفرقة والاختلاف لحفظ الشوكة.. وتحديد موقف واضح من الأحداث والنوازل لكي يرفع الغبش عن أعين الناس، ولا يلتبس الحق بالباطل... وسيستفرغون (المجاهدون) جهدهم لمقاتلة كل من يقفز إلى الواجهة في الحكم وغيره". وفي ٢٥ نيسان ظهر شريط فيديو لأبي مصعب الزرقاوي وهو يحمل راية الجماعة.

يقال أن زعيمهم هو عبد الله رشيد البغدادي الذي يكنى بأبي عمر البغدادي. وفي منتصف ت١ ٢٠٠٦، أعلن عن حل مجلس شورى المجاهدين وتأسيس تنظيم دولة العراق الإسلامية.

لا يعرف الكثير عن الهيكل التنظيمي للمجلس بسبب الطبيعة المبهمة للتنظيم ذاته. وجماعة قاعدة الجهاد هي الأكثر نفوذا وتميزا فيه. ونتيجة لتعدد القادة فيه، فلا شيء يحد من قدرته على تنفيذ مختلف أنواع الهجمات. وقد قتل أكثر من ١٦٠٠ مدني عراقي خلال الشهر الذي أعقب مقتل الزرقاوي، وهو أكبر عدد للقتلى العراقيين خلال شهر حتى ذلك الوقت. وظل يتمتع أعضاء المجلس من القمة إلى القاعدة بمرونة عالية في التحرك وذلك بسبب طبيعة أهدافه وأساليبه إضافة إلى تفكك اتحادهم. ويعتقد أن تنظيم القاعدة هو الذي يسيطر على المجلس وقد شكل مقتل الزرقاوي ضربة قاصمة إلى وحدته. وبغض النظر عن العمليات التي نفذها المجلس، لكنه يتمتع بآلة دعائية جيدة، حيث اعتاد أن ينشر يوميا على شبكة الإنترنت تعليقاته وآراءه ومقاطع من أعمال العنف التي ينفذها.

وفي ١٥ ت١ ٢٠٠٦، أعلن المجلس تأسيس دولة العراق الإسلامية وقال أنها تتكون من ست محافظات بضمنها بغداد. بينما قللت الحكومة العراقية من أهمية ذلك قائلة أنه ليس من بين أي من المحافظات التي ذكروها تقع تحت سيطرة المسلحين. وفي ت٢ أصدر أبو حمزة المهاجر بيانا أعلن فيه حل مجلس شورى المجاهدين. وقالوا

أن السبب وراء ذلك هو بدء مرحلة جديدة من الجهاد يحاولون خلالها إقامة الخلافة الإسلامية. وبعد هذا البيان، انخفضت العمليات المسلحة التي يعلن المجلس مسئوليته عنها ثم توقفت في الآخر كلية وبدأ يظهر اسم دولة العراق الإسلامية.

وفي نفس اليوم، أصدر حزب البعث بيانا حذر فيه من المخططات التقسيمية بذريعة حماية أية طائفة، وهي إشارة إلى محاولة تأسيس دولة عربية سنية انفصالية.

وفي ١٨ ت١ ٢٠٠٦، قال المتحدث باسم وزارة الداخلية العراقية أن ٦٠ مسلحا من القاعدة وصلوا الرمادي على ١٧ عجلة وظلوا هناك لـ١٥ دقيقة قبل أن تجبرهم القوات العراقية والعشائر على الفرار بعد أن ألحقت بهم خسائر غير معروفة. ويقول شهود عيان أنهم رأوا عشرات من المسلحين الملثمين الذين يرتدون ملابس بيضاء وهم يسيرون في شوارع مدينة الرمادي مركز محافظة الأنبار ويحملون لافتات تحث الناس على دعم دولة العراق الإسلامية. ويقول رجل عرف نفسه بأنه أبو حارث: "نحن من مجلس شورى المجاهدين، وأميرنا هو أبو عمر البغدادي، وسنطبق الشريعة الإسلامية هنا بأذن الله وسنقاتل الأمريكيين. وقد أعلنا عن تأسيس الدولة الإسلامية. والرمادي جزء منها. وتتكون دولتنا من جميع المحافظات السنية في العراق". وفي أواخر ت١، يظهر أن مقاومة العشائر قد توقفت، فأنتشر مقاتلو مجلس شورى المجاهدين في مدن محافظة الأنبار، ولم يلاقوا أي مقاومة تذكر.

يعتبر المجلس مسئولا عن تنفيذ العديد من أعمال القتل والاختطاف. فقد أعلن في ١٩ حزيران ٢٠٠٦ عن مسئوليته عن اختطاف أربعة دبلوماسيين روس وأمهل الحكومة الروسية ٤٨ ساعة للانسحاب من الشيشان والإفراج عن الأسرى الشيشان. وفي ١٦ حزيران ٢٠٠٦، أعلن عن مسئوليته عن اختطاف جنديين أمريكيين في اليوسفية. وقد عثر على جثتيهما في نفس المكان في ١٩ حزيران.

أعلن المجلس عن مسئوليته عن تنفيذ العديد من العمليات الانتحارية منها عملية تفجير ثلاثة انتحاريين لجامع براثا في بغداد في ٧ نيسان ٢٠٠٦ الذي راح ضحيته ٨٥ مصليا وجرح ١٦٠ آخر. وقد ارتدى الانتحاريون ثيابا نسائية ودخلوا الجامع وفجروا أنفسهم داخله. وفي ٢٨ آذار ٢٠٠٦، إدعى مسئوليته عن تنفيذ عمليتين انتحاريتين بواسطة سيارتين (ميني باص) على مركز للشرطة في الحصوة بجنوب بغداد على يد انتحاريين من كتيبة أبي دجانة الأنصاري. انفجرت السيارة الأولى قبل أن تدخل للمركز حيث أطلق رجال الشرطة النار عليها قبل دخولها. جرح في الحادث ١١ شرطيا وامرأة عابرة سبيل. وفي ١٧ نيسان ٢٠٠٦، فجر انتحاري نفسه في سوق مدينة المحمودية جنوب بغداد وقتل ١٣ مدنيا وجرح ١٩ آخر. وفي ٣ مايس فجر انتحاري نفسه على مركز لتجنيد الشرطة في الفلوجة وقتل ١٦ وجرح ٢٥ آخر(١).

أهم العمليات الانتحارية التي نفذتها المجاميع المسلحة في العراق وتركت العملية الواحدة منها أكثر من مائة قتيل ومئات الجرحى. أغلب هذه الهجمات موجهة ضد المدنيين الشيعة:

١ ـ التفجيرات الانتحارية في أربيل ٢٠٠٤:

في ٢ شباط ٢٠٠٤، فجر انتحاريان يرتديان حزامين ناسفين معبأين بالمتفجرات حول خصرهما في مكاتب الحزبين الكرديين، الاتحاد الوطني الكردستاني الذي يترأسه الرئيس جلال الطالباني والديمقراطي الكردستاني الذي يترأسه رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني، في محافظة أربيل التابعة لإقليم كردستان في شمال العراق. وكان المئات من أعضاء الحزبين مجتمعين في مقراتهما لتبادل التهاني بمناسبة عيد الأضحى، وكان قادة الحزبين متواجدين في هذه المقرات لاستقبال مئات المهنئين بمناسبة العيد.

(١) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Mujahideen_Shura_Council_(Iraq).

خلف التفجير أكثر من ١١٧ قتيلا وجرح أكثر من ١٣٣ آخر. وكان من بين القتلى، نائب محافظ أربيل وقائد الشرطة فيها.

لم يعلن أي تنظيم بصورة مباشرة مسئوليته عن الحادث، لكن المسئولين الأمريكيين يحملون جماعة أنصار الإسلام المرتبطة بالقاعدة مسئولية التفجير[١].

تقول صحيفة الحياة في أن التفجير قد جاء ردا على الدور الكردي في عملية إلقاء القبض على أحد عناصر القاعدة المسئول عن نقل الرسائل بين بن لادن وأبي مصعب الزرقاوي وهو الباكستاني حسـن غول على يد عناصر الحزب الوطني الكردستاني وتسليمه إلى القوات الأمريكية في ٢٣ ك٢ ٢٠٠٤. ويقبع حاليا في أحد السجون الباكستانية بعد تسليمه إلى سلطاتها[٢].

٢ ـ التفجيرات الانتحارية بمناسبة عاشوراء في ٢ آذار ٢٠٠٤:

وهي عبارة عن سلسلة من التفجيرات الانتحارية والسيارات المفخخة وقذائف الهاون والقنابل اليدوية والصواريخ التي استهدفت حشود المسلمين الشيعة الذين كانوا يحيون ذكرى مقتل الأمام الحسين بن علي في العاشر من محرم ١٤٢٥ هـ المصادف ٢ آذار ٢٠٠٤ في كربلاء وبغداد. أسفرت التفجيرات عن مقتل ما لا يقل عن ١٧٨ قتيلا وجرح أكثر من ٥٠٠ آخر. ويعتبر هذا اليوم واحدا من أكثر الأيام دموية في تأريخ العراق بعد الغزو الأمريكي له في ٢٠٠٣.

ففي كربلاء حصلت تسع انفجارات رافقتها قذائف هاون وقنابل يدوية وصواريخ قتلت أكثر من مائة مدني. وفي نفس الوقت حصلت ثلاثة انفجارات بالقرب من ضريح وجامع الأمامين الكاظمين في ضاحية الكاظمية شمال بغداد.

(1) Naseer Al Nahr. twin Bombings Kill 56 in Irbil, Arab News, 2 Feb. 2004, http://www.arabnews.com/?page=4&section=0&article=38970&d=2&m=2&y=2004

(2) http://www.daralhayat.com/

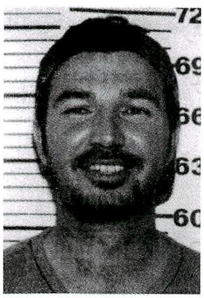
خلف التفجير أكثر من ٥٨ قتيلا. استخدمت في هذا الهجوم البنادق الخفيفة والمتوسطة والسيارات المفخخة وأكثر من عشرة انتحاريين. كما تم اعتراض شاحنة محملة بالمتفجرات تحاول الدخول إلى مدينة البصرة. دخل معظم الانتحاريين الذين فجروا أنفسهم في كربلاء وبغداد عن طريق سوريا. كانت مهمة حملة البنادق الخفيفة والمتوسطة وقاذفات الصواريخ هي قتل الجرحى المصابين بفعل الانفجارات وذبح الفارين والناجين من المجزرة.

ألقيت المسئولية في الحال على تنظيم القاعدة، ويعتقد أن قصدها هو إشعال الصراع الطائفي داخل العراق وإحداث المزيد من الخراب فيه.

اتهم الجنرال مارك كيميت القائد الأمريكي في بغداد في البداية أبا مصعب الزرقاوي بالوقوف وراء هذه الهجمات، ولكن اتضح فيما بعد أن الذي أمر بها هو أبو عبد الله الحسن بن محمود قائد تنظيم أنصار السنة ونفذتها جماعة التوحيد والجهاد.

وقد وجه آية الله العظمى علي السيستاني، المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة، اللوم إلى الولايات المتحدة لتقصيرها في منع حصول مثل هذه الهجمات[1].

٣ ـ التفجير الانتحاري في الحلة في ٢٨ شباط ٢٠٠٥:



الانتحاري الأردني رائد منصور البنا

(1) ABC NEWS, Thousands mourn for Shiite bombing victims, Mar. 4, 2004, http://www.abc.net.au/news/stories/2004/03/04/1058458.htm

قاد انتحاري في ذلك اليوم شاحنة محملة بالمتفجرات واقتحم بها صفا من الأشخاص الواقفين أمام مركز لتجنيد الشرطة وفجر شاحنته مخلفا ١٢٧ قتيلا ومئات من الجرحى جميعهم من الشيعة. وقد وصل تأثير الانفجار إلى السوق القريب وقتل العديد من المارة والمتبضعين. وكان هؤلاء الشباب ينتظرون الفحص الطبي للحصول على وظيفة. اتضح أن الانتحاري هو الأردني رائد منصور البنا وقد قدم من بلاده من أجل تنفيذ هجوم انتحاري على العراقيين الشيعة. أدى هذا التفجير إلى تأزيم العلاقات العراقية- الأردنية. وقد شيعت أسرة البنا جنازة ابنها تشييع الأبطال مما أثار غضب الكثير من العراقيين الشيعة. وتظاهر الآلاف من العراقيين أمام السفارة الأردنية ببغداد وطالبوا بإغلاقها. وقد أدى الخلاف إلى سحب البلدين لسفيريهما من العاصمتين بغداد وعمان(١).

٤ـ التفجيرات الانتحارية في المسيب في ١٦ تموز ٢٠٠٥:

فجر انتحاري حزاما ناسفا كان يرتديه تحت ملابسه في الساعة الثامنة والنصف مساء ذلك اليوم داخل سوق بلدة المسيب التي تبعد ٣٥ ميلا جنوب بغداد. كان السوق مزدحما بمئات الأشخاص القادمين للتسوق والتنزه بعد انخفاض حرارة ذلك اليوم القائظ. وقد حصل التفجير أثناء مرور صهريج محمل بغاز الطبخ مما أشعل جحيما دمر عشرات المباني بضمنها جامع للشيعة كان المصلون يخرجون منه لتوهم بعد صلاة المغرب. خلف التفجير أكثر من مائة قتيل و١٥٠ جريحا. ومدينة

(1) Caryle Murphy, Iraq-Jordan Dispute deepens, The Washington Post, March 21, 2005,
http://www.washingtonpost.com/ac2/wp-dyn/A50921-2005Mar20?language=printer
وأنظر أيضا Charlotte Buchen, the man Turned Away, PBS،
http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/enemywithin/reality/al-banna.html

المسيب هي بلدة مختلطة بين المسلمين الشيعة والسنة تابعة لمحافظة بابل جنوب بغداد. وقد تبنت القاعدة في العراق مسئولية التفجير[1].

٥ ـ التفجيرات الانتحارية في بغداد في ١٤ أيلول ٢٠٠٥:

حصلت في ذلك اليوم سلسلة من الأعمال الإرهابية في العاصمة بغداد، كان أكثرها دموية التفجير الانتحاري بسيارة مفخخة وسط تجمع لعمال البناء في ساحة العروبة في منطقة الكاظمية ببغداد وهو يبحثون عن فرصة عمل. أدى التفجير إلى مقتل ١١٢ شخصا وجرح ١٦٠ آخر.

أعلنت القاعدة في العراق مسئوليتها عنه وقالت أنه جاء ردا على هجوم لقوات الأمن العراقية على المسلحين في مدينة تل أعفر شمال غرب العراق، ولكن زعيم الجماعة أبا مصعب الزرقاوي قد أصدر شريطا صوتيا في نفس اليوم ونشره على الانترنيت معلنا فيه الحرب على الشيعة في العراق، لهذا فأن الدافع الطائفي للتفجير أمر متوافر[1].

٦ ـ التفجيرات الانتحارية في كربلاء والرمادي في ٥ ك٢ ٢٠٠٦:

عند الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، فجر انتحاري يرتدي حزاما ناسفا نفسه وسط حشد من الزوار الشيعة في الساحة الفاصلة بين ضريحي الأمامين العباس والحسين في مدينة كربلاء. وقد ملأ الانتحاري حزامه الناسف بكرات حديدية وقنابل إضافة إلى المتفجرات. خلف الانفجار ٦٠ قتيلا وأكثر من ١٠٠ جريح.

(1) Andy Mosher, and Saad Sarhan, The Washington Post, July 18, 2005, http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/07/17/AR2005071700338.html

(1) The New York Times, another wave of bombings hit Iraq, Sept 15, 2005, http://www.nytimes.com/2005/09/15/world/africa/15iht-web.0915iraq.html?_r=1

وعند الساعة ١٠:٥٥ من صباح نفس اليوم، فجر انتحاريان آخران نفساهما على حشد مكون من حوالي ١٠٠٠ متطوع للشرطة أمام أحد مراكز تجنيد الشرطة في مدينة الرمادي.. خلف الانفجار حوالي ٨٠ قتيلا أيضا وأكثر من ١٠٠ جريحا.

وقد اتهم أهالي كربلاء والرمادي القاعدة بتنفيذ هذه التفجيرات. يقول المواطن خالد سعدي (٤٢ عاما) من أهالي الرمادي أثناء البحث عن أخيه محمد وسط الضحايا: "لا مصلحة للأمريكيين ولا للشيعة في القيام بمثل هذا العمل. أنه الزرقاوي دون شك". وتمنى أن ينقلب أهالي الرمادي الذين احتضنوا القاعدة وعناصرها ضد الزرقاوي(١).

٧ ـ التفجير الانتحاري في سوق الصدرية ببغداد في ٣ شباط ٢٠٠٧:

في هذا التأريخ دخل انتحاري يقود شاحنة كبيرة محملة بحوالي طنا واحدا من المتفجرات إلى سوق الصدرية المزدحم بالسكان وفجر شاحنته هناك وقتل ما لا يقل عن ١٣٥ شخصا وجرح ٣٣٩ آخر ودمر عشرة مبان على الأقل ومقاه ومحلات ومحا السوق عن بكرة أبيه. ونصف الضحايا من النساء والأطفال. يقع سوق الصدرية وسط منطقة شيعية تبعد حوالي نصف ميل عن دجلة وهو سوق ضيق يمتد على مسافة ثمن الميل. يقول المواطن قادر علي إسماعيل (٤١ عاما) بائع خضروات: "هناك أسر تعيش في شقق بهذه المباني، لم ينج أي أحد منهم. قتلوا جميعا".

يعتبر هذا الهجوم أعنف هجوم منذ تفجيرات مدينة الصدر في ٢٣ ت٢ ٢٠٠٦ التي راح ضحيتها ٢١٥ شخصا وجرح ٢٥٧ آخر، جميعهم من فقراء المسلمين

(1) Nelson Hernandez, Insurgents Kill 140 as Iraq Clashes Escalate, The Washington Post, Jan. 6, 2006,
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/01/05/AR2006010500351.html
وأنظر أيضا: The BBC NEWS, Iraq suicide bomb blasts kill 120, 5 Jan. 2006،
http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4583232.stm

الشيعة. وهو الأعنف من بين أربع هجمات للمسلحين السنة خلال الأسابيع الثلاث السابقة التي تستهدف المناطق الشيعية في بغداد والحلة كالهجوم الذي حصل في ٢٢ ك٢ ٢٠٠٧ في سوق الباب الشرقي ببغداد وراح ضحيته ٨٨ شخصا وجرح ١٦٠. وقد تعرض نفس السوق في ٢ ك١ ٢٠٠٦ لسلسلة من الهجمات بالسيارات المفخخة والعمليات الانتحارية وخلفت أكثر من ٥٠ قتيلا. وبعد الانفجار بقليل، امتلأ مستشفى الكندي القريب من موقع الانفجار بمئات الجرحى والقتلى من ضحايا هذا التفجير. وقال مسئول بوزارة الصحة العراقية أن عدد القتلى قابل للارتفاع. وخمنت وزارة الداخلية العراقية ذلك بأن عدد القتلى المدنيين في العراق خلال الأسبوع الفائت قد وصل إلى ١٠٠٠ شخص.

تقول مصادر من الشرطة أن الانتحاري كان يقود شاحنة محملة بالمواد الغذائية أثناء دخوله السوق وعندما وصل إلى وسطه فجر شاحنته ودمر عشرات المحلات والأكشاك الموجودة في سوق الصدرية. وكان المئات من الناس يتبضعون قبل بدء سريان حظر التجوال مساء ذلك اليوم. والمؤكد أن الانتحاري ومن يقف وراءه قد خططوا لذلك لأحداث أكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية.

أثارت هذه العملية غضبا واسعا في صفوف المواطنين الشيعة وانتشرت الهمرات الأمريكية في الطرق المؤدية إلى الأحياء السنية في محاولة لمنع حصول صدام بين الطائفتين. ورغم أنه لم تدع أي جماعة مسئوليتها عن الحادث الا أن الشكوك تدور حول المجاميع السنية المسلحة التي نفذت عمليات انتحارية على نطاق واسع ضد المدنيين الشيعة في الفترة السابقة.

وبعد حصول هذا التفجير المروع، كان هناك رجل مسن يصرخ ويصيح: "إنهم يحاولون قتلنا لأننا شيعة، لماذا لا تحصل حوادث مماثلة في منطقة الأعظمية؟".

والأعظمية حي في بغداد غالبيته من السنة. ويضيف: "الحكومة والأمريكيون كلاب لأنهم لم يعملوا أي شيء لحمايتنا"[1].

٨ ـ التفجيرات الانتحارية في الحلة في ٦ آذار ٢٠٠٧:

في عصر يوم ٦ آذار فجر انتحاريان يرتديان حزامين ناسفين نفسيهما وسط حشد للزوار الشيعة في الحلة. قتل في التفجير ١٢٠ مدنيا شيعيا وجرح أكثر من ١٩٠ آخر. وكان هؤلاء الزوار متجهين مشيا على الأقدام إلى مدينة كربلاء (١٠٠ كم جنوب بغداد) لإحياء أربعينية الأمام الحسين بن علي.

يقول بعض المعلقين أن خطة فرض القانون التي أضعفت الميليشيات الشيعية قد تركت المدنيين الشيعة عاجزين عن حماية أنفسهم أمام الميليشيات السنية[1].

٩ ـ التفجيرات الانتحارية في تل أعفر في ٢٧ آذار ٢٠٠٧:

قاد انتحاريان شاحنتيهما المعبأتين بالمتفجرات وفجراهما وسط تجمع للسكان الشيعة في مدينة تل أعفر في محافظة الموصل شمال العراق وقتلا ١٥٢ شخصا وجرحا أكثر من ٣٤٧ آخر. فقد استدرج الانتحاري الأول الأهالي للتجمع حول شاحنته المعبأة بـ ١٨١٤ كغم من المتفجرات بزعم توزيعه للدقيق عليهم. وعندما تجمهر أكبر عدد من الناس فجر شاحنته. أما الانتحاري الثاني فقد فجرها وسط ساحة لبيع السيارات المستعملة في المدينة.

(1) Richard A. Oppel, At Least 130 Die as Blast Levels Baghdad Market, The New york Times, Feb. 4, 2007, http://www.nytimes.com/2007/02/04/world/middleeast/04iraq.html?hp&ex=1170565200&en=59fcaa94aad23546&ei=5094&partner=homepage

(1) The BBC NEWS, Scores of Iraqi pilgrims Killed, 6 March 2007, http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/6423633.stm

وبعد هذين التفجيرين الانتحاريين، دخل رجال مسلحون يعتقد أنهم من الشيعة إلى شوارع المدينة وأخذوا يطلقون النار على كل من يصادفهم من الرجال السنة، وقتلوا خلال ساعتين ما لا يقل عن ٧٠ رجلا[١].

١٠ ـ التفجيرات الانتحارية الثانية في سوق الصدرية في ١٨ نيسان ٢٠٠٧:

في هذا اليوم حصلت سلسلة من العمليات الانتحارية والتفجيرات بالسيارات المفخخة والعبوات الناسفة وتركت أكثر من ٢٠٠ قتيلا ومئات من الجرحى. استهدفت هذه الهجمات بشكل رئيس المدنيين الشيعة في وسط بغداد. وكان سوق الصدرية قد تعرض في ٣ شباط لهجوم انتحاري بشاحنة مفخخة وكان في طور البناء والترميم عندما حصل التفجير الثاني. وجاءت هذه الهجمات بعد ان صرح رئيس الوزراء نوري المالكي أن القوات العراقية مستعدة لتولي الأمن في البلاد قبل نهاية هذا العام، وجاءت أيضا أثناء انعقاد مؤتمر رعته الأمم المتحدة في جنيف لستين دولة لمناقشة وضع اللاجئين العراقيين. وهي تمثل مستوى العنف الذي كان سائدا في البلاد قبل تنفيذ خطة فرض القانون لتأمين العاصمة العراقية.

حصل التفجير الأول في الشورجة ببغداد وخلف أربعة قتلى وستة جرحى. بعدها انفجرت سيارة مفخخة ثانية في حي الكرادة بالقرب من مستشفى عبد المجيد وقتلت ١١ شخصا وجرحت ١٣ آخر. بعدها قاد انتحاري سيارته المفخخة واقتحم بها نقطة سيطرة للشرطة العراقية في مدينة الصدر وقتل ما لا يقل عن ٤١ شخصا بضمنهم ٥ من ضباط الشرطة وجرح ٧٦ آخر. وبعد ساعة أي عند الساعة الرابعة عصرا حصل أعنف هجوم في سوق الصدرية وسط بغداد عندما انفجرت سيارة مفخخة وسط تجمع للعمال وقتلت ١٤٠ شخصا وجرحت ١٤٨ آخر. وفي آخر

(1) CNN, Tal Afar toll tops record for Iraq war's deadliest attack, April 4, 2007, http://edition.cnn.com/2007/WORLD/meast/04/02/iraq.main/index.html

اليوم فجر انتحاري آخر نفسه عند نقطة سيطرة في مدخل الصدرية وقتل ضابطي شرطة وجرح ثمانية[1].

١١ـ التفجيرات الانتحارية في آمرلي في ٧ تموز ٢٠٠٧:

في صباح يوم سبت مزدحم بالناس فجر انتحاري شاحنته المفخخة وسط سوق مدينة آمرلي ذات الغالبية الشيعية التابعة لمحافظة صلاح الدين شمال بغداد. خلف التفجير ١٥٦ قتيلا و٢٥٥ جريحا إضافة إلى تدمير العديد من المباني المحيطة بالسوق. وكان من بين الضحايا ٢٠ طفلا و٣٠ امرأة. وقد مات الكثير من الجرحى أثناء نقلهم إلى مستشفى طوز خرماتو الذي يبعد ٤٥ كم عن موقع الحادث، أو إلى مستشفى كركوك الذي يبعد أكثر من ٧٠ كم. يقول معاون مدير شرطة طوز خرماتو "أن الشاحنة كانت محملة بالطابوق ومتجهة ناحية المحلات التجارية". وتقول إحدى السيدات والدماء تغطي وجهها: "فقدت كل أفراد أسرتي في التفجير الانتحاري". وتقول أخرى: "لا أعلم مصير زوجي وابنتي وابني لأن المنزل انهار فوق رؤوسنا". ويقول مدير شرطة آمرلي أن عائلات بأكملها قد أبيدت بالكامل وقد تهدمت أكثر من ٥٠ دارا فوق رؤوس أصحابها ودمرت ٢٠ أخرى جزئيا كما تساوى مع الأرض ٤٥ محلا تجاريا واحترقت ٣٥ مركبة. وأضاف أن التفجير وقع في وقت الذروة عندما تخرج النساء للتبضع بعد الساعة التاسعة صباحا ويتجمع سائقو المركبات وأصحاب المحلات. وغالبية سكان المنطقة هم من عشيرة البيات من التركمان الشيعة. ويقول قائم مقام طوزخرماتو أن امرلي منطقة مفتوحة محاطة بقرى عربية سنية والشاحنة التي انفجرت دخلت من غرب الناحية من خلال طريق ريفي، وقد استهدفتها القاعدة لكونها آمنة ومستقرة.

(1) The BBC NEWS, Up to 200 Killed in Baghdad bombs, 18 April 2007, http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/6567329.stm

وفي ١٢ أيلول ألقت قوة مشتركة من الجيش العراقي والقوات الأمريكية القبض على العقل المدبر لهذه العملية وهو عبد دليان محمد وهو أحد قادة تنظيم دولة العراق الإسلامية في عملية عسكرية في ناحية سليمان بيك ١٠ كم شمال قضاء الطوز[1].

١٢ـ التفجيرات الانتحارية ضد اليزيديين في ١٤ آب ٢٠٠٧:

عند الساعة الثامنة من مساء يوم ١٤ آب، حصلت أربعة انفجارات انتحارية منسقة في مدينتي القحطانية (كرعزير) والعدنانية (سيبا شيخ خدر) بالقرب من الموصل. قدرت منظمة الهلال الأحمر العراقية عدد القتلى بـ٧٩٦ قتيلا و١٥٦٢ جريحا. ويعتبر هذا الهجوم أعنف هجوم بسيارة مفخخة منذ بداية الحرب وحتى الآن بل وأعنف هجوم منذ هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١.

استهدف الهجوم الأقلية الدينية الكردية اليزيدية. استخدم في الهجوم صهريجا مفخخا محملا بالوقود إضافة إلى ثلاث شاحنات كبيرة معبأة بالمتفجرات. قال المتحدث باسم وزارة الداخلية العراقية أن طنين من المتفجرات قد استخدما في التفجير مما أدى إلى انهيار المباني ووقوع عشرات الأسر تحت الأنقاض وتسوية شارع بأكمله مع الأرض. وقد ظل المنقذون يحفرون بأيديهم لإخراج العالقين تحت الحطام.

لم تدع أي جماعة مسئوليتها عن التفجير. يقول المتحدث العسكري الأمريكي أن القاعدة هي المشتبه به الرئيس في هذه العملية. ويقال أن الجماعة قد وزعت قبل ذلك منشورات تسمي اليزيديين بها بالكفار. وألقى الرئيس العراقي جلال الطالباني مسئولية التفجير على المتمردين من العرب السنة.

وفي ٣ أيلول قتل الجيش الأمريكي بضربة جوية العقل المدبر لهذا الهجوم وهو أبا محمد العفري وهو أحد مساعدي أبي أيوب المصري قائد تنظيم القاعدة في

(1) The BBC NEWS, Iraq Market Truck Bomb Kills 105, 7 July 2007, http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/6279864.stm

العراق. ويعرف أيضا باسم أبي جاسم، وقد قتل في منطقة تبعد ١١٥ كم جنوب غرب الموصل.

جاء التفجير في أعقاب فترة من التوتر الشديد بين اليزيديين والعرب السنة. وقد تلقى اليزيديون الساكنون في تلك المنطقة رسائل تهديد قبل التفجير وصفتهم بالكفار والمشركين وأعداء الإسلام وأن ضربة قادمة ستأتيهم قريبا. وتقول بعض المصادر أن الهجوم له علاقة بحادث رجم فتاة يزيدية دون العشرين من العمر تدعى دعاء خليل أسود (١٧ عاما). يقال أن تلك الفتاة أرادت أن تتحول إلى الإسلام لتتزوج من عربي مسلم. وقد سجلت كاميرات الهواتف المحمولة عملية الرجم وأنزل الفيديو على شبكة الإنترنت. وبعد أسبوعين، أوقف رجال مسلحون من السنة سيارة ميني باص فيها ٢٣ يزيديا، أنزلوهم من السيارة وأطلقوا الرصاص على رؤوسهم وأردوهم قتلى.

يقطن منطقة سنجار حيث وقع التفجير خليط من السكان من العرب والكرد والتركمان، وكان يفترض أن يجري تصويت فيها في ك١ ٢٠٠٧ لتحديد ضمها إلى إقليم كردستان من عدمه. وقد خلق ذلك عداءا كبيرا مع السكان العرب. بعدها انتشرت قوة من البيشمركة الكردية مؤلفة من ٦٠٠ مقاتلا في المنطقة وحفرت لها خنادق حول القرى اليزيدية لمنع وقوع هجمات مماثلة أخرى. وقد قال الناطق باسم حكومة إقليم كردستان أنه كان يمكن تفادي مثل هذا الهجوم لو كان قد تم تحويل السيطرة على هذه المناطق إلى قوات الأمن الكردية[1].

(1) Reuters, Fact Box- Security developments in Iraq, Jan 20, Jan. 20, 2007, http://www.alertnet.org/thenews/newsdesk/ANW026756.htm

وكذلك: SKY NEWS, Suicide Bombings Kill 250 in Iraq, Aug. 15 2007،

http://news.sky.com/skynews/Home/Sky-News-Archive/Article/20080641279899?f=rss

الفصل الخامس والعشرون

التفجيرات الانتحارية في الدار البيضاء



المطعم الأسباني في الدار البيضاء بعد التفجير

في ١٦ مايس ٢٠٠٣، نفذ أربعة عشر انتحاريا تفجيرات في الدار البيضاء بالمغرب. وتعتبر هذه التفجيرات أعنف هجمة شهدتها البلاد في تأريخها. وقد حصلت بعد أربعة أيام من تفجيرات المجمعات السكنية للأجانب بالرياض عاصمة العربية السعودية والتي أدت إلى مقتل ٢٦ شخصا. والانتحاريون الأربعة عشر هم من سكان أكواخ سيدي مؤمن وهي ضاحية فقيرة من ضواحي الدار البيضاء وينتمون إلى الجماعة السلفية الجهادية وهي تنظيم تكفيري يرتبط بالقاعدة وينشط في شمال أفريقيا وإسبانيا. وفي ك١ ٢٠٠٦ ألقي القبض على ١١ مشتبها به من أعضاء التنظيم في كيوتا (سبتة) بأسبانيا حيث أطلق سراح سبعة منهم وأحيل الأربعة الباقون إلى المحاكمة.

أسفر التفجير عن مقتل ٤٥ شخصا وجرح ١٠٠ آخرين[١].

تتراوح أعمار هؤلاء الانتحاريين بين ٢٠-٢٣ عاما. وقد حصل التفجير في ليلة ١٦ مايس ٢٠٠٣. حصل التفجير الأول في مطعم كازا دي إسبانا وهو مطعم يملكه أسبان في مدينة الدار البيضاء حيث قام ستة انتحاريين بطعن حارس المطعم والدخول اليه ثم تفجير أنفسهم مما أدى إلى مقتل ٢٠ شخصا كانوا يتناولون العشاء ويلعبون البنجو.

---

(١) موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/2003_Casablanca_bombings#The_bombings#The_bombings

وبعدها فجر انتحاري سابع فندق فرح وقتـل حارس مع أحد العمال. تلاه تفجير لانتحاري ثامن كان يحاول الدخول لأحدى المقابر اليهودية لكنه يبدو ضل الطريق ففجر نفسه بالقرب من نافورة تبعد ١٥٠ ياردة من المقبرة وقتل ثلاثة من عابري الطريق. ثم هاجم انتحاريان آخران مركزا للطائفة اليهودية وقتلا شخصا واحدا لأن البناية كانت فارغة ومغلقة، وكان يمكن أن تكون مزدحمة بالناس في اليوم التالي[١].

ثم هاجم الانتحـاري الحادي عشر مطعمـا إيطاليا يملكه يهودي، بينما فجر الانتحاري الثاني عشر نفسه بالقرب من القنصلية البلجيكية التي تبعد عدة أمتار عن المطعم وقتل شرطيين.

وألقـي القبض على الانتحاريين الثـالث عشـر والرابع عشر قبل أن ينفذا هجومهما. جرح في هذه الأحداث ١٠٠ شخص، ثمانية منهم من الأوربيين والباقي من المغاربة.

وفي نيسان ٢٠٠٨ صرح مسئول مغربي أن تسعة متطرفين إسلاميين مدانين بتفجيرات الدار البيضاء ٢٠٠٣، قد حفروا نفقا في السجن وتمكنوا من الفرار من خلاله، وقال عبد الرحيم مهتدي محامي الجماعة أن المدانين قد فروا من سجن القنطرة الواقع شمال الرباط وذلك قبل صلاة الفجر. وقال أن أحدهم محكوم عليه بالإعدام وستة بالسجن مدى الحياة واثنين بالسجن عشرين عاما.

وفي أعقاب حوادث التفجير زار الملك المغربي محمد السادس مواقع الانفجارات وأعلنت السلطات المغربية أنها اعتقلت ٢٠٠٠ شخصا لعلاقتهم بهذه الهجمات وأحيلوا إلى المحاكم المختصة[٢].

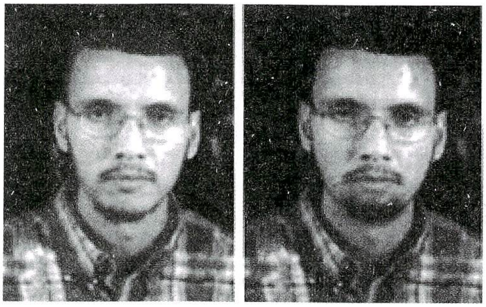
---

(1) Peter Finn and Keith B. Richburg, Madrid Probe Turns to Islamic Cell in Morocco, March 20, 2004, http://www.washingtonpost.com/ac2/wp-dyn/A9282-2004Mar19?language=printer

(2) The BBC NEWS, Terror Blast Rock Casablanca, 17 May 2003, http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/3035803.stm

وقد أدان قادة العالم هذه الأحداث ورفعت وزارة الأمن الوطني الأمريكية درجة الإنذار إلى اللون البرتقالي[1].

يعتقد أن الجماعة السلفية الجهادية وهي فرع من الجماعة الإسلامية المغربية المقاتلة ولها روابط بمنظمة القاعدة هي التي جندت ودربت وأرسلت هؤلاء الانتحاريين. وهناك دلائل تشير إلى تورط قائد القاعدة السابق في العراق أبي مصعب الزرقاوي في هذه الأحداث. وفي ١٩ آذار ٢٠٠٤ ألقت الشرطة البلجيكية القبض على أحد المشتبه بهم المطلوبين للحكومة المغربية لعلاقتهم بالتفجيرات. وفي ك١ ٢٠٠٤ تم استجواب رجل يدعى حسن الحسكي المتهم في تفجيرات مدريد ٢٠٠٤ عن دوره في تفجيرات الدار البيضاء ويعتقد أنه ساعد في التخطيط لها.



حسين محمد الحسكي

(١) يقسم نظام الإنذار من الهجمات الإرهابية الخاص بوزارة الأمن الوطني الأمريكية إلى خمس درجات أو ألوان وكل درجة أو لون تتطلب إجراءات معينة من قبل الوكالات الأمنية المعنية. ويبدأ سلم الإنذار من اللون الأخضر ويشير إلى خطر منخفض ثم اللون الأزرق ويشير إلى خطر عام ثم الأصفر ويشير إلى خطر متصاعد أو جدير بالأهمية ثم اللون البرتقالي ويعني خطرا عاليا ثم الأحمر وهو أعلى درجات الإنذار ويشير إلى خطر بالغ الشدة ولم توضع درجة الإنذار من الهجمات الإرهابية على اللون الأحمر إلا مرة واحدة في ١٠-١٤ آب ٢٠٠٦ عندما أعلنت الشرطة البريطانية أنها أحبطت مؤامرة لتفجير وزارة الأمن الوطني الأمريكية بواسطة طائرة.

والجمـاعة الإسلامية المغربية المقاتلة هي تنظيم إسلامي سني متطرف يرتبط بالقاعدة وتعتبر واحدة من التنظيمات الشمال أفريقية التي نشأت في أفغانستان خلال فترة حكم طالبان كالجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة أو الاتحاد الإسلامي أو خدام الإسلام وجماعة الفرقان وحركة الجهاد الإسلامي وغيرها.

وقد حظرت لجنة العقوبات ضد القاعدة وطالبان التابعة لمجلس الأمن بموجب قرارها ١٢٦٧ نشاطات هذه الحركة في أعقاب هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١. وبموجب ذلك حظرت معظم دول العالم نشاطات هذه الحركة بما في ذلك الولايات المتحدة.

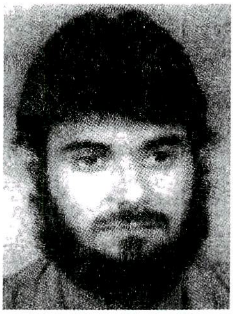
تسعى المنظمة لإقامة نظام حكم إسلامي أصولي في المغرب ولديها أعضاء في معظم الدول الأوربية إضافة إلى كندا الفرنسية. وتتهم الجماعة السلفية الجهادية وهي فرع من الجماعة الإسلامية المغربية المقاتلة بتدبير تفجيرات قطارات الأنفاق في مدريد في ١١ آذار ٢٠٠٤ والتي راح ضحيتها ١٩١ وجرح ١٩٠٠ آخرين.

وفي ١٠ ت١ ٢٠٠٥، حظـرت وزارة الداخلية البريطانية نشاطات هذه الحركة مع ١٤ حركة أخرى داخل أراضي المملكة المتحدة. وبموجب قانون مكافحة الإرهاب البريطاني المرقم ٢٠٠٠ يحكم على من تثبت عليه عضوية هذه الجماعة بالسجن عشرة أعوام.

وفي ١١ آذار ٢٠٠٧، فجر انتحاريان نفسيهما في مقهى إنترنيت بمدينة الدار البيضاء وقتلا شخصا واحدا وجرحا أربعة آخرين. كان الرجلان يحاولان الدخول إلى موقع إلكتروني لجماعة متطرفة ومنعهم مالك المقهى من ذلك. رفض الرجلان الانصياع لطلبه، قام بعدها المالك بغلق باب المقهى وهدد بالاتصال بالشرطة. طلب الانتحاريان منه فتح الباب وتركهما يغادران لكنه رفض. فجر أحد الانتحاريين ويدعى عبد الفتاح

الريدي (٢٣ عاما) قنبلة كان يخفيها تحت ملابسه وقتل نفسه وجرح رفيقه وثلاثة آخرين بضمنهم المالك. فر الانتحاري الثاني الذي يدعى يوسف خدري (١٨ عاما) والمصاب بجرح في عينه وراجع أحد المستشفيات القريبة بعد إن تخلص من حزامه الناسف، حيث اعتقلته السلطات بعدها. وفي ١٠ آذار ٢٠٠٨ حكمت عليه غرفة جنايات الأحداث الابتدائية بالرباط بالسجن ١٥ عاما[١].





يوسف خدري بعد الحكم عليه كريم التهامي المجاطي الذي يعتقد أنه العقل المدبر لتفجيرات ٢٠٠٣

صرح مدير الشؤون العامة في مدينة الدار البيضاء مختار بيكالي قاسمي إلى وسائل الأعلام قائلا: ربما كان الانتحاريون يستعدون لتنفيذ عمل إجرامي... وكانوا يريدون تلقي التعليمات عبر الإنترنت لتنفيذ هجماتهم".

وتقول صحيفة الصباح المغربية أن هدفهم كان تفجير مركز شرطة الدار البيضاء إضافة إلى بعض المواقع السياحية.

وبعد عملية أمنية واسعة النطاق ضد المتطرفين الإسلاميين المشتبه بهم، فجر ثلاثة انتحاريين أنفسهم في ١٠ نيسان ٢٠٠٧ وأطلقت النار على رابع بينما كان يحاول

(١) صحيفة le economiste

http://www.leconomiste.com/online/online.html?d=371

تفجير قنبلته. قتل ضابط شرطة في أحد التفجيرات. وكان أحد الانتحاريين شقيق الانتحاري الذي فجر نفسه في مقهى الإنترنت وجميعهم من ضاحية سيدي مؤمن الفقيرة في الدار البيضاء.

وفي ١٤ نيسان ٢٠٠٧ فجر انتحاريان نفسيهما بالقرب من القنصلية الأمريكية والمركز الثقافي الأمريكي وقتلا امرأة عابرة طريق وجرحا آخرين.

وفي ت١ ٢٠٠٨ حكمت المحاكم المغربية على ٤٥ شخصا بالسجن لفترات تتراوح بين ٢-٣٠ عاما لدورهم في تفجيرات ٢٠٠٧[١].

وفي ٩ نيسان ٢٠٠٥ أعلنت السلطات السعودية عن مقتل المغربي كريم التهامي إدريس المجاطي الذي يحمل الجنسية الفرنسية ويعتبر العقل المدبر لتفجيرات مايس ٢٠٠٣[٢].

(١) وكالة رويترز http://af.reuters.com/

(٢) محمود أحياتي، صحيفة الرياض السعودية، العدد ١٣٤٣٦ في ٧ أبريل ٢٠٠٥،
http://www.alriyadh.com/2005/04/07/article54482.html

الفصل السادس والعشرون

عمليات انتحار جماعي أخرى

١ - خلال الحملة الصليبية الأولى في ١٠٩٦، تعرض اليهود في فرنسا وألمانيا إلى حملة من الأعمال العدائية لأن الصليبيين يرون أن اليهود هم أعداؤهم كالمسلمين وأنهم هم من تسببوا بصلب المسيح وكذلك للاستيلاء على أموالهم لتمويل الحملات الصليبية ولحملهم أيضا على التنصر. وفي ذلك العام التجأ يهود مدينة وورمز الألمانية إلى قلعة الأسقف في المدينة، واختاروا الانتحار الجماعي بدلا عن التنصر[1].

٢- خلال الحروب الصليبية، قامت سفينة تحمل ١٤٠ مقاتلا من أخوية فرسان المعبد المسيحية باصطدام متعمد بسفينة تحمل أضعاف هذا العدد من المقاتلين العرب المسلمين، فغرق الطرفان، وذلك بعد إن شعر الصليبيون أنهم لا قبل لهم بمواجهة المسلمين فنفذوا هجوما انتحاريا جماعيا ضدهم أنهى الخصمين[2].

٣- في ١٦٦١ كان الجنود الهولنديون يستخدمون البارود لتفجير أنفسهم مع أعدائهم عندما يشعرون أنهم سيقعون في أسر قوات القائد الصيني كوشينجا أثناء القتال

(1) Salo Wittmayer Baron, Social and Religious History of the Jews, Volume 4, Columbia University Press, 1957.

(٢) موسوعة ويكيبيديا باللغة العربية

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9

للسيطرة على تايوان. وقد تمكن الأخير في ١٦٦٢ من دحر الهولنديين والسيطرة على تايوان(١).

٤- في عام ١٦٩٤ حملت السفينة البريطانية هانيبال ٦٩٢ عبدا، ثلثهم من النساء، من ميناء ويدا Whydah في بنين بأفريقيا واتجهت بهم إلى أمريكا الشمالية. وبعد رحلة إبحار شاقة وصل إلى سواحل أمريكا ٣٧٢ عبدا فقط، وتقول المصادر أن ٣٢٠ عبدا قد ماتوا أو أُلقيوا في البحر أو انتحروا. ويؤكد ربان السفينة توماس فيليب أن ١٢ منهم فقط قد انتحر بإلقاء نفسه في مياه المحيط، وأضرب جزء كبير منهم عن الطعام حتى الموت. وكان هؤلاء العبيد يلاقون معاملة قاسية، حيث تقطع أيدي وأرجل بعضهم لإرهاب الآخرين ومنعهم من الفرار، ويوسمون بالحديد المحمى على جباههم أو أذرعهم ويقيدون بالسلاسل ويحشرون في أماكن ضيقة. وقد بيع المتبقي من هؤلاء العبيد بعشرة دولارات وخمسين سنتاً(٢).

٥- خلال الحرب الفرنسية- الأسبانية ١٧٨٥، نفذ الطرفان عمليات انتحارية متبادلة خلفت عشرات القتلى(٣).

٦- خلال الانتفاضات التي قام بها السنهاليون في سريلانكا في أواخر القرن الثامن عشر وفي ١٨١٨ و١٨٤٨، نفذ شبابهم العديد من العمليات الانتحارية ضد البريطانيين. وكان أسلوبهم هو الاختباء في فجوة بجذع شجر الكيتول ثم يفجرون أنفسهم عندما يقترب منهم الجنود البريطانيين(٤).

(1) Yu Yonghe, Small Sea Travel Diaries, trans. Macabe keliher, SMC Publishing Inc. 2004, p. 196.

(2) Richard Bulliet and others, The Earth and its People: A Global History, Houghton Mufflin Company, 2005,

(٣) المصدر نفسه.

(٤) موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_attack

٧- في عام ١٩١٥ انتحرت العشرات من الفتيات الأرمنيات بإلقاء أنفسهن في نهر الفرات والموت غرقا فيه خوفا من الاغتصاب والتعذيب، بعد إن شنت السلطات العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى حملة إبادة واسعة ضد مئات الألوف من الشعب الأرمني دون اعتبار للعمر أو الجنس، فيما يعتبر بثاني أكبر حملة إبادة جماعية بعد الهولوكوست. وتقدر معظم المصادر عدد القتلى خلال الفترة من ١٩١٥-١٩١٨ بين ٦٠٠.٠٠٠ إلى ١.٥٠٠.٠٠٠ أرمنيا، بينما تقدرها المصادر الرسمية العثمانية بـ ٨٠٠.٠٠٠ أرمني(١).

٨- خلال معركة برلين في ١٩٤٥، نفذ طيارو سلاح الجو الألماني Luftwaffe عدة عمليات انتحارية على الجسور التي عملتها القوات السوفيتية على نهر أودر. نفذ معظم هذه العمليات سرب leonidas الذي يقوده المقدم هاينر لاينج. وخلال الفترة من ١٧-٢٠ نيسان ١٩٤٥، ادعى سلاح الجو الألماني أنه دمر ١٧ جسرا مستخدما أي طائرة في المتناول. بينما يقول المؤرخ أنتوني بيفر، أن هذا الرقم مبالغ فيه وأن الذي تم تدميره هو جسر سكة الحديد في كوسترن فقط. ويضيف أن تدمير خمس وثلاثين طائرة مع طياريها هو ثمن باهض يدفع من أجل تحقيق نصر محدود ومؤقت. وقد توقفت هذه العمليات عندما وصلت القوات البرية السوفيتية إلى محيط قاعدة السرب الجوية في جوتربوج(٢).

٩- وبعد الحرب العالمية الثانية، استخدم مقاتلو الفايت مينه في فيتنام خلال حربهم مع الجيش الفرنسي متفجرات تشبه العصا الطويلة يفجرون بها الدبابات الفرنسية بهجوم انتحاري(٣).

---

(1) The Armenian Genocide Museum Institute, National Academy of Sciences of the Republic of Armenia, Becoming Someone else... Genocide and kidnapped Armenian women.
http://www.genocide-museum.am/eng/online_exhibition_2.php

(2) Beevor, Antony, Berlin: The Downfall 1945, Penguin Books, 2002, p. 238.

(٣) موسوعة ويكيبيديا، http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_attack

١٠- خلال الثورات الهندية المتواصلة ضد الاستعمار البريطاني كان الهنود يلقون بأنفسهم في عملية انتحار جماعي على خطوط السكك الحديدية في محاولة منهم للحد من وصول المؤن والأسلحة والإمدادات إلى القوات البريطانية، فتهرسهم القطارات بعجلاتها الحديدية[١].

١١- خلال الحرب الأهلية الأسبانية ١٩٣٦-١٩٣٩ والتي راح ضحيتها أكثر من ٦٠٠.٠٠٠ إنسان، نفذ الطرفان المتصارعان: الجمهوريون (الفوضويون والأشتراكيون والشيوعيون)، والأنقلابيون القوميون الفاشيون (الفلانجي والريكيتس) بقيادة فرانكو عمليات انتحارية متبادلة قتل فيها المئات[٢].

١٢- خلال الفترة المحصورة بين ١٩٨٥ - ١٩٩٩ انتحر ٣١٩ شابا من قبيلة جوراني كايوا الهندية في ولاية ماتو جروسو دي سول في البرازيل، احتجاجا على نزع أراضيهم من أيديهم لصالح مستوطنين جدد في هذه الأراضي. وقد كانت هذه القبيلة تعيش قبل ٢٠٠ عاما على ٢٥٪ من أراضي الولاية، أما الآن فلا تشغل سوى أقل من ١٪ منها[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(3) APA NEWSLETTER, International News, Suides in the Guarani Kaiowa tribe in Brazil,
http://www.sdnp.org.gy/apa/suicides.htm

المصـــادر

الكتب

- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الموارد، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ ط٣.
- فريد الفالوجي، موسوعة أشهر المنتحرين في العالم، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥.

- Walter Rich, Origins of Terrorism: Psychologies, Ideologies, Theologies, States of Mind, The Woodrow Wilson Center Press, Pennsylvania, 1998, Chapter 10 by Ariel Merari, The Readiness to kill and die: Suicidal terrorism in the Middle East.
- Michael Poulter and Others, Dysregulation in the Suicide Brain, Carleton University, Institute of Neuroscience, 2006.
  http://www2.carleton.ca/neuroscience/staff/faculty/poulter.html.
- Genevieve Arsenault- Lapierre, McGill Group for Suicide Studies, Douglas Hospital Research Centre, Department of psychiatry McGill University, Montreal, Canada. 4 Nov. 2004.
- Denis Ashton Warner, The Last Confucian: Vietnam, South- East Asia, and The West, Mcmillan Inc. New York, 1963.
- Terence M. O'Keeffe, Suicide and self Starvation, philosophy, Vol. 59, No. 229 (Jul. 1984) Royal Institute of Philosophy, Cambridge University Press, p. 349, 1984.
- Irving, David, The Trail of the Fox, Weindenfeld and Nicholson, London,.
  http://muse.jhu.edu/login?uri=/journals/hastings_center_report/v037/37.3appel.pdf.
- Jacob M. Appel, A suicide Right for the Mentally Ill? A Swiss Case Opens A New Debate, Hastings Center Report- Volume 37, No. 3, May- June 2007.
- Davis, Paul K. Besieged: 100 Great Sieges from Jericho to Sarajevo, Oxford University Press, 2001.
- Theodor Mommsen, History of Rome, The Revolution, Classic Literature Library, 2001.

- Harlan, Lindsey, Religion and Rajput Women, the Ethic Protection in Contemporary Narratives, University of California Press, 1992.
- Sarina Singh, Rajasthan: Monique Choy, Lonely Planet Publications, Oct 2002.
- William Erskine, A History of Idia Under the Two First Sovereigns of the House of Taimur, Baber, and Humayun, Published by Longman, Brown, Green, and Longmans.
- Peter Bander Van Duren, Orders of Knighthood and of Merit: The pontifical, religious and secularized Catholic Founded Orders, and their relationship to the Apostolic See, Colin Smythe Publication.
- Nicholson, Helen J. The knights Hospitaller,The Boydell Press, Woodbridge, 2001
- Nikzentaitis, Alvydas, Gediminas, Viriausioji enciklopediju redakcija (Lithuanian) 1989.
- Vickers, Miranda, The Albanians: A Modern History, I.B.Tauris, 1999.
- Thomas De Quincy, Memorials: and other papers, Volume 1, Boston: Ticknor and Fields, 1856.
- Pyrrhus J. Ruches, Albanian Historical Folksongs, 1716- 1943, Argonaut, 1967.
- Fleming, K.E, The Muslim Bonaparte: Diplomacy and Orientalism in Ali Pasha's Greece, Priceton University Press, 1999.
- Brondsted, Peter Oluf, Interviews with Ali Pacha, Edited by Jacob Isager, Athens, 1998.
- Davenport, Richard Alfred, The Life of Ali Pasha, Late Vizier of Jannina; Surnamed Aslan, or the Lion, BiblioLife, LLC, London, 1837.
- Allyn, John, The forty Seven Ronin Story, New York, 1981 and Screech, Timon, Secret Memoirs of the Shoguns: Isaac Titsingh and Japan, 1779- 1822, London, 2006.
- Pringle, Robert, Bali: Indonisia's Hindu Realm; A short History of Asia Series, Allen & Unwin, 2004.
- Seward, Jack, Hara- Kiri: Japanese Ritual Suicide, Charles E. Tuttle, 1968.
- Freeman- Mitford, Algernon Bertram, Tales of Old Japan, BiblioBazaar, LLC, 1871.
- Ohnuki- Tierney, Emiko, Kamikaze Diaries: Reflections of Japanese Student, Student Soldiers, University of Chicago Press, 2006.
- Goldberg, Harold J., D- Day in the Pacific: The Battle of saipan, Indiana University Press, 2007.
- Philip A. Crowl, US Army in World War II, The War in the Pacific, Campaign in the Marianas, Chapter V- Invasion, Indiana University Press, 1973.
- Captain John C. Chapin, US Marine Corps Reserve, Marines in World War II Commemoratives Series, Marine Corps Historical Center, Washington, 1994.

- Buske, Norbert (Hg.): Das Kriegsende in Demmin 1945. Berichte Erinnerungen Dokumente (Landeszentrale für politische Bildung Mecklenburg- Vorpommern. Landeskundliche Hefte), Schwerin 1995.
- Norman M. Naimark, The Russians in Germany: A History of the Soviet Zone of Occupation, 1945- 1949, Belknap Press, 1997.
- James W. Messerschmidt, The Forgotten Victims of WWII: Masculinities and Rape in Berlin, 1945 University of Southern Maine, 2006.
- Anonymous, A woman in berlin: Eight Weeks in a Conquered City, A Diary, New York, Metropolitan Books, 2005.
- Beevor, Antony, The Fall of berlin 1945, New York, Viking, 2002.
- Galanter, Marc, Cults: Faith, Healing, and Coercion, Oxford University Press, 2nded. 1999.
- Catherine Wessinger, Hoq the Millennium comes violently: From Jonestown to Heaven's gate, Seven Bridges Press, 2000.
- Tim Reiterman with John Jacobs, Raven: the Untold Story of the Rev. Jim Jones and His People, Dutton adult, 1982.
- Wessinger, Catherine, How the Millennium comes Violently: From Jonestown to Heaven's Gate, Seven Bridges Press, New York, 2000.
- Daraul, Arkon, A History of Secret Societies, Citadel, 2000.
- Moran, Sarah, The Secret World of Cults, Surrey, England: CLB International, 1999.
- Lalich, Janja, Bounded Choice: True Believers and Charismatic Cults, University of California Press, 2004,.
- Vallee, Jacques, Messengers of Deception: UFO Contacts and Cults, Ronin Publications, 1979.
- Tabor, James D., Why Waco? Cults and the Battle for religious Freedom in America, University of California Press, 1995.
- Newport, Kenneth G. C. The Branch Davidians of Waco: the History and Beleifs of an Apocalyptic Sect.Oxford University Press, 2006.
- Gunaratna, Ronan, Inside Al Qaeda, Berkley Books, 2002.
- Reeve, Simon, The New Jackals: Ramzi Yousef, Osama Bin Laden, and the Future of Terrorism, Northeastern University Press, Boston, 1999.
- Bergen, Peter, Holy War: Inside the secret world of Osama Bin Laden, Free Press, New York, 2001.
- Coll, Steve, Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, And Bin Laden, from the Soviet Invasion to Sept 10, 2001, 2nd ed. Penguin Books, 2005.
- Douglas E. Cowan, The religious Movements, The University of Virginia, 2005.
http://web.archive.org/web/20060907005952/http://etext.lib.virginia.edu/relmove/

- Bernard Atuhaire, The Uganda Cult Tragedy, Janus Publishing Company Ltd, London, 2003.
- Schalk P. Historisation of the martial ideology of the Liberation Tigers of Tamil Ealam, South Asia: Journal of South Asian Studies,.
- Wilson, A. Jeyaratnam, Sri Lankan Tamil Nationalism, Its Origin and Developments in the Ninteeth and Twentieth Centuries, University of British Columbia Press, 2000.
- Samuel M. Katz, At Any Cost: National Liberation Terrorism, Twenty- first Century Books, 2004.
- Pretap, Anita, Island of Blood: Fortline Reports From Sri Lanka, Afghanistan, and Other South Asian Flashpoints, Penguin Books, 2001.
- Balasingham, Adele, The Will to Freedom- an Inside View of Tamil Resistance, Fairmax Publishing Ltd, 2nd ed. 2003.
- Balasingham, Anton, War and Peace: Armed Struggle and Peace Efforts of Liberation Tigers, Fairmax Publishing Ltd, 2004.
- Gamage, Siri and I.B. Watson, Conflict and community in Contemporary Sri Lanka- "Pearl of the East" or "Island of Tears"? Sage Publications, 1999.
- Wright, Lawerence, The Looming Tower: Al Qaeda and the road to 11/9, Knopf, United States, 2006,
- Rashid, Ahmed, Taliban: Militant Islam, Oil and Fundamentalism in Central Asia, Yale University Press, 2000.
- Hamzeh, Ahmad Nizar, In the Path of Hizbullah, Syracuse University Press, 2004.
- Kelsay, John, Islam and War: The Gulf War and Beyond, A Study in Comparative Ethics, Louisville: Westminister/ John Knox Press, 1993.
- Ayatollah Ja'far Sobhani, Doctrines of Shi'I Islam, A compendium of Imami Beliefs and Practices, I.B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2001.
- Adam Parfrey, Extreme Islam: anti- American Propaganda of Muslim Fundamentalism, Feral House, Los Angeles, 2001.
- Daniel Benjamin and Steven Simon, The Age of Sacred Terror, random House, New York, 2002.
- bergman, Ronan, The Secret War with Iran, Simon & Schuster, 2008.
- Pape, Robert, Dying to Win, The Strategic Logic of Suicide Terrorism, Random House, 2005.
- Stone, David R. Military History of Russia: from Ivan the Terrible to the War in Chechnya, Greenwood Publishing Group, 2006.
- Hughes, James, Chechnya: From Nationalism to Jihad, University of Pennsylvania Press, 2007.

- Edward V. Linden, Focus on Terrorism, Nova Publishers, 2002.
- Gudrun Kramer, Graham Harman, A History of Palestine: from the Ottoman Conquest to the Founding of the State of Israel, Princeton University Press, 2008.
- Karsh, Efraim, Arafat's War: The Man and His Battle for Israel Conquest, Grove Press, 2003.
- Richard Bulliet and others, The Earth and its People: A Global History, Houghton Mufflin Company, 2005.
- Yu Yonghe, Small Sea Travel Diaries, trans. Macabe keliher, SMC Publishing Inc. 2004.
- Beevor, Antony, Berlin: The Downfall 1945, Penguin Books, 2002.
- Thomas E. Ricks, Fiasco, The American Military Adventure in Iraq, Penguin, 2006.
- Bellavia, David & Bruning, John, House to House: An Epic Memoir of War Free Press, 2007.

المجلات والدوريات ووسائل الأعلام الأخرى :

- فضل سالم، انتحار الحيتان.. غموض عمره آلاف السنين، جريدة القبس، العدد ١٣٠٩٩ في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٩.

http://www.alqabas.com.kw/Article.aspx?id=506477

- إنيس منصور، نأكل ونتآكل ونموت ونعيش، الشرق الأوسط، العدد ١١١٩٥ في ٢٣ يوليو ٢٠٠٩،

http://aawsat.com/leader.asp?section=3&issueno=11195&article=528633

- محمود أحياتي، صحيفة الرياض السعودية، العدد ١٣٤٣٦ في ٧ أبريل ٢٠٠٥،

http://www.alriyadh.com/2005/04/07/article54482.html

- جريدة أخبار العرب

Naseer Al Nahr, twin Bombings Kill 56 in Irbil, Arab News, 2 Feb. 2004,

http://www.arabnews.com/?page=4&section=0&article=38970&d=2&m=2&y=2004

- جريدة الأهرام

Lamis Andoni, On Whose Side is Al- Qaeda?, Al- Ahram, 26 April 2007, Issue No. 842, .

http://weekly.ahram.org.eg/2007/842/op6.htm

- مجلة النيويوركر

Tad Friend, Jumpers: The fatal grandeur of the Golden Gate Bridge, The New Yorker, Oct 13 2003..

http://www.newyorker.com/archive/2003/10/13/031013fa_fact

- مجلة النيويوركر

Jeffrey Goldberg, In The Party of God: Are terrorists in Lebanon preparing for a larger war? The New Yorker, Oct 14, 2002,

http://www.newyorker.com/archive/2002/10/14/021014fa_fact4

- مجلة النيويوركر

Semour M. Hersh, Torture at Abu Ghraib, The New Yorker, May 10, 2004,

http://www.newyorker.com/archive/2004/05/10/040510fa_fact#Replay

- صحيفة الواشنطن بوست

Peter Finn and Keith B. Richburg, Madrid Probe Turns to Islamic Cell in Morocco, March 20, 2004,

http://www.washingtonpost.com/ac2/wp- dyn/A9282- 2004Mar19?language=printer

- الواشنطن بوست

Nelson Hernandez, Insurgents Kill 140 as Iraq Clashes Escalate, The Washington Post, Jan. 6, 2006,

http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/01/05/AR2006010500351.html

- الواشنطن بوست

Andy Mosher, and Saad Sarhan, The Washington Post, July 18, 2005,

http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/07/17/AR2005071700338.html

- الواشنطن بوست

Caryle Murphy, Iraq- Jordan Dispute deepens, The Washington Post, March 21, 2005,

http://www.washingtonpost.com/ac2/wp-dyn/A50921-2005Mar20?language=printer

- الواشنطن بوست

Karen DeYoung and Walter Pincus, Al- Qaeda in Iraq May not be threat here: Intelligence Experts Say Group Is Busy On Its Home Front, The Washington Post, March 18, 2007.
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2007/03/17/AR2007031701373.html

- الصحفي وولتر بنكس، صحيفة الواشنطن بوست، ٢٣.٠٣.٢٠٠٦ ، مقال بعنوان: كشف مسؤول عراقي سابق كجاسوس.

pincus, walter, Ex- Iraqi official Unveiled as A Spy, Washington Post, 23/03/2006

- الواشنطن بوست

Washington Post, A Look at US Deaths in the Iraq War, Oct 25, 2005
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/10/25/AR2005102501190.html

- الواشنطن بوست

David Rising, Mourners Vow Revenge at Sheik's Funeral, the Washington Post, Sept. 14, 2007.
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2007/09/14/AR2007091402539.html

- Joyce Hollyday, Signs & Wonders, Grace Like a Balm, Sojourners Faith, Politics, Culture, July 1995,
http://www.sojo.net/index.cfm?action=magazine.article&issue=soj9507&article=950752

- مجلة التايم

Simon Robinson, Europe's Way of Death, The Time, March 27, 2005,
http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,901050404- 1042414,00.html

- مجلة التايم

Lisa Beyer, Can Peace Survive, Time Magazine , Feb 06, 1995
http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,982457- 2,00.html

- صحيفة التايمز

Uzi Mahnaimi, Al- Qaeda Planning Militant Islamic State Within Iraq, The Times, May 13, 2007.
http://www.timesonline.co.uk/tol/news/world/iraq/article1782088.ece

- تقرير وكالة رويترز بعنوان Chronology attacks blamed on Sri Lanka's Tamil Tigers في ١٦ يناير ٢٠٠٨:

http://www.reuters.com/article/featuredCrisis/idUSCOL119777

- تقرير وكالة رويترز في ٢١/ ٨/ ١٩٩٨ بعنوان. Taliban Blame Clinton scam for attacks .

- تقرير وكالة رويترز

Reuters, Fact Box- Security developments in Iraq, Jan 20, Jan. 20, 2007, http://www.alertnet.org/thenews/newsdesk/ANW026756.htm

- تقرير وكالة رويترز

Daniel Trotta, Iraq War Hits US Economy: Nobel Winner, Reuters, Mar. 2, 2008 http://www.reuters.com/article/topNews/

- تقرير وكالة رويترز

Maggie Fox, satellite Images Show Ethnic Cleanout in Iraq, Reuters, Sept. 19, 2008 http://www.reuters.com/article/scienceNews/idUSN1953066020080919

- صحيفة هيرالد تريبون

Associated Press, Fatah Islam: Obscure group emerges as Lebanon's newest security threat, International Herald Tribune, 20 May 2007.

- وكالة اسوشيتد بريس

Associated Press, Fast Facts: Abu Musab Al- Zarqawi, June 8, 2006, http://www.foxnews.com/story/0,2933,198661,00.html

- وكالة اسوشيتد بريس

Associated Press, Iraq Welcomes Faster U.S Withdrawal Reports, Feb 25, 2009

- وكالة اسوشيتد بريس

Associated Press, Saddam's Uranium Headed for Ontario Processing Plant, July 5, 2008.

- وكالة أسوشيتد بريس

Stacy, Mitch, D.C Madam who vowed not to go to prison kills herself, The Associated Press, 5 March 2008.

- النيويورك تايمز

Stevens, William K. Official Calls in Press and Kills himself, The New York Times, Jan. 23, 1987.

http://www.nytimes.com/1987/01/23/us/official- calls- in- press- and- kills-himself.html

- تقرير صحيفة النيويورك تايمز في ١٢ نوفمبر ٢٠٠٩ بعنوان US Judge Orders Iran to Pay Families of Bombing Victims منشور على موقع الصحيفة: http://www.nytimes.com .

- النيويورك تايمز

Alissa J. Rubin and Damien Cave, In a Force for Iraqi Calm, Seeds of Conflict, The New Yort Times, 23 Dec 2007.

http://www.nytimes.com/2007/12/23/world/middleeast/23awakening.html?pagewanted=all

- النيويورك تايمز

John F. Burns and Alissa J. Rubin, US Arming Sunnis in Iraq to Battle Old Qaeda Allies, The New York Times, June 11, 2007

http://www.nytimes.com/2007/06/11/world/middleeast/11iraq.html?_r=1&n=Top%2fReference%2fTimes%20Topics%2fOrganizations%2fA%2fAl%20Qaeda%20in%20Mesopotamia&oref=slogin

- النيويورك تايمز

The New York Times, alQaeda Claims Responsibility for Amman Blasts, Nov. 10, 2005

http://www.nytimes.com/2005/11/09/world/africa/09iht- jordan.html

- النيويورك تايمز

Sabrina Tavernise, 20 die as insurgents in Iraq target Shiites, The New York Times, Sept. 17 2005

http://www.nytimes.com/2005/09/16/world/africa/16iht- iraq.html

- النيويورك تايمز

Clark Hoyt, Seeing AlQaeda round every corner, The New York Times, 8 June 2007

- النيويورك تايمز

Elisabeth Bumiller, Redefining The Role of the US Military in Iraq, New York Times, Dec. 21, 2008

http://www.nytimes.com/2008/12/22/washington/22combat.html?_r=1&hp

- النيويورك تايمز

The New York Times, another wave of bombings hit Iraq, Sept 15, 2005,

http://www.nytimes.com/2005/09/15/world/africa/15iht- web.0915iraq.html?_r=1

- صحيفة النيويورك تايمز

Richard A. Oppel, At Least 130 Die as Blast Levels Baghdad Market, The New York Times, Feb. 4 2007.

http://www.nytimes.com/2007/02/04/world/middleeast/04iraq.html?hp&ex=1170565200&en=59fcaa94aad23546&ei=5094&partner=homepage

- النيويورك تايمز

The New York Times, Al- Qaeda Claims to have killed Egyptian Envoy, July 7, 2005

http://www.nytimes.com/2005/07/07/world/africa/07iht- web.0707egypt.html

- صحيفة النيويورك تايمز

Stephen Farrell and Ammar Karim, Drive in Basra by Iraqi Army Makes Gains, The New York Times, May 12, 2008.

http://www.nytimes.com/2008/05/12/world/middleeast/12basra.html?_r=1&ref=middleeast

- صحيفة النيويورك تايمز

Amy waldman, A Nation Challenged: The Law; No TV, No Chess, No Kites: Taliban's Code, From A to Z, The New York Times, Nov. 10 2009- 11- 10

http://www.nytimes.com/2001/11/22/world/a- nation- challenged- the- law- no- tv- no- chess- no- kites- taliban- s- code- from- a- to- z.html

- صحيفة النيويورك تايمز

Amy Waldman, Debts and Drought Drive India's Farmers to Despair, The New York Times, June 6 2004

http://www.nytimes.com/2004/06/06/world/debts- and- drought- drive-india- s- farmers- to- despair.html

- صحيفة النيويورك تايمز

The New York Times, Cult in Uganda Poisoned Many, Police say, July 28, 2000

http://www.nytimes.com/2000/07/28/world/cult- in- uganda- poisoned- many-police- say.html

- صحيفة النيويورك تايمز

Greg Myre, Suicide Bomb Kills 3 in Bakery in Israel, The New York times, 29 Jan. 2007

http://www.nytimes.com/2007/01/29/world/middleeast/29cnd-

mideast.html?_r=1&hp&ex=1170133200&en=672e889f68796e72&ei=5094&partner=homepage

- صحيفة النيويورك تايمز

Dexter Filkins, Sunnis Accuse Iraqi Military of Kidnappings and Slayings, The New York Times, Nov. 29, 2005

http://www.commondreams.org/headlines05/1129- 08.htm

- Steinkopff, Suicide and Culture in Japan: A Study of Seppuku as an institutionalized form of Suicide, Social Psychiatry and Psychiatric Epidemiology, , Volume 15, No. 2 June, 1980.
  http://www.springerlink.com/content/n228553h7331575
- Bill Coombes, Divine Wind, The Japanese Secret Weapon, Kamikaze Suicide Attacks, The Confederate Air Force and Bill Coombes, The Dispatch Magazine, Volume 20, No. 1, Spring 1995.

- تقرير لمحطة CBC في ٦ أكتوبر ١٩٩٤ منشور على موقعهم:

http://archives.cbc.ca/society/crime_justice/clips/2474

- محطة سي بي سي CBC News Bin Laden claims responsibility for 11/9, , Oct 29, 2004

http://www.cbc.ca/world/story/2004/10/29/binladen_message041029.html

- محطة اي بي سي Logan Nakyanzi, Uganda: Religion that kills, abcnews, Feb. 14, 2000

http://abcnews.go.com/International/story?id=81484&page=1

- محطة سي بي أس Ryan Grim, Petraeus: No Corners Turned Or Lights At the End of the Tunnel, CBSNEWS, April 8, 2008

http://www.cbsnews.com/stories/2008/04/08/politics/politico/thecrypt/main4001976.shtml

- محطة C.T.V. Ca Toronto

http://toronto.ctv.ca/servlet/an/local/CTVNews/20090516/srilanka_rebels_090516?hub=Toronto

- تقرير محطة السي إن إن في ٢١ سبتمبر ٢٠٠١ بعنوان Transcript of President Bush's address منشور على موقعهم : http://archives.cnn.com/2001/US/09/20/gen.bush.transcript/ .

- تقرير محطة السي إن إن في ٢٦ آذار ٢٠٠٨ Alleged Passover Massacre Plotter Arrested منشور على موقع المحطة:

http://edition.cnn.com/2008/WORLD/meast/03/26/israel.hamas/

- SKY NEWS, Suicide Bombings Kill 250 in Iraq, Aug. 15 2007,

http://news.sky.com/skynews/Home/Sky-News- Archive/Article/20080641279899?f=rss

- تقرير محطة السي إن إن CNN, Tal Afar toll tops record for Iraq war's deadliest attack, April 4, 2007,

http://edition.cnn.com/2007/WORLD/meast/04/02/iraq.main/index.html

- محطة سي إن إن CNN, US Frees 42 Al Qaeda Kidnap Victims in Iraq, May 27, 2007

http://edition.cnn.com/2007/WORLD/meast/05/27/iraq.main/index.html

- تقرير السي إن إن Michael Ware, Papers give peek inside Al- Qaeda in Iraq, CNN.com, June 11, 2008,

http://edition.cnn.com/2008/WORLD/meast/06/11/al.qaeda.iraq/index.html?iref=topnews

- تقرير محطة السي إن إن في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣ بعنوان : Saddam's Caught like a rat in a hole

http://edition.cnn.com/2003/WORLD/meast/12/14/sprj.irq.saddam.operation/index.html?iref=newssearch

- تقرير محطة السي إن إن في ٦ مايس ٢٠٠٤ بعنوان US Expects More Attacks in Iraq منشور على موقعها: http://edition.cnn.com/2004/WORLD/meast/03/31/iraq.main .

- محطة السي إن إن Attacks draw mixed response in Middleast, CNN News, Nov. 10, 2001.

http://archives.cnn.com/2001/WORLD/europe/09/12/mideast.reaction/index.html

- محطة السي إن إن Hate Crime reports up in wake of terrorist attacks, Atlanta, Georgia, CNN News.

http://archives.cnn.com/2001/US/09/16/gen.hate.crimes

- Charlotte Buchen, the man Turned Away, PBS,

http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/enemywithin/reality/al- banna.html

- محطة اي بي سي ABC NEWS, Thousands mourn for Shiite bombing victims, Mar. 4, 2004,

http://www.abc.net.au/news/stories/2004/03/04/1058458.htm

- محطة اي بي سي ABC NEWS, Pressure Grows on AlQaeda in Iraq, Jan. 30, 2006,

http://abcnews.go.com/International/story?id=1557349

- Ray Suarez, Attacks in Iraq at All Time, Pentagon Report Says, PBS, The Online News Letter, Dec. 19, 2006.

http://www.pbs.org/newshour/bb/middle_east/july- dec06/iraq_12- 19.html

- Ramsland, Katherine, The Heaven's Gate Cult, TRUE TV,

http://www.trutv.com/library/crime/notorious_murders/mass/heavens_gate/1.html?sect=8

- مجلة لوس إنجلس تايمز

Swiss Police Identity Cult Leader's Body: Cause of Death Unknown, Los Angeles Times, Oct 14, 1994

- مجلة التايم

Serrill, Michael S. Remains of the day, Time, Oct 24, 1994

- مجلة التايم

Atta's Odyssey, Time, Sept 30, 3001,

http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,176917,00.html

-Moran, Sarah, The Secret World of Cults, Surrey, England: CLB International, 1999,

- الجارديان

Rahimulah Yusufzai, Face to Face with Osama, The Guardian, 26 Sept 2001.

- الجارديان

Anna Borzello, A party, prayers, then mass suicide, The Guardian, 20 March 2000, http://www.guardian.co.uk/world/2000/mar/20/3

- الجارديان

Anna Borzello, Mass Graves found in Sect House, The Guardian, 25 Mar. 2000 http://www.guardian.co.uk/world/2000/mar/25/1

- الجارديان

Luke Harding, The guardian, 3 March 2001,
http://www.guardian.co.uk/books/2001/mar/03/books.guardianreview2

- الجارديان

The Guardian, Ten Killed in Jerusalem Suicide bombing, 29 Jan 2004
http://www.guardian.co.uk/world/2004/jan/29/israel2

- الجارديان

Mark Tran, Al- Qaida Linked to Baghdad Hotel Bombing, The Guardian, 26 June 2007
http://www.guardian.co.uk/world/2007/jun/26/iraq.marktran

- الجارديان

Michael Howard, Three days of suicide bombs leave 150 dead, The Guardian, 18 July 2005
http://www.guardian.co.uk/world/2005/jul/18/iraq.iraq

- الجارديان

Suzanne Goldenberg, The Guardian, Iraq War my Biggest Regret, Bush Admits, Dec. 2, 2008
http://www.guardian.co.uk/world/2008/dec/02/george- bush- iraq- interview

- الجارديان

Richard Norton Taylor, Top Judge: US and UK acted as vigilantes in Iraq Invasion, The Guardian, 18 Nov. 2008,
http://www.guardian.co.uk/world/2008/nov/18/iraq- us- foreign- policy

- صحيفة الجارديان

Jonathan Steele, Why the US is Running Scared of Elections in Iraq, The Guardian, Jan. 19, 2004
http://www.commondreams.org/views04/0119- 08.htm

- صحيفة الجارديان

Michael Howard, search Goes On As Iraq Death Toll Tops 250, The Guardian, 15 Aug. 2007.
http://www.guardian.co.uk/world/2007/aug/15/iraq.michaelhoward1

- صحيفة هآرتس

Arnon Regular, Profile of the Haifa Suicide Bomber, 05/10/2003, Haaretz Newspaper, Israel,
http://www.haaretz.com/hasen/pages/ShArt.jhtml?itemNo=346913&contrassID=1 &subContrassID=1&sbSubContrassID=0&listSrc=Y

- صحيفة كريستيان ساينس مونيتر

Ben Arnoldy, In Afghanistan, Taliban Kills more civilians than US, Christian Science Monitor, 31 July 2009, http://www.csmonitor.com/2009/0731/p06s15-wosc.html

- صحيفة الاقتصادي

le economiste http://www.leconomiste.com/online/online.html?d=371

- مجلة سان فرنسيسكو كرونيكل

Jeremiah Marquez, SoCal Family mourns soldier found dead in Iraq river, San Fracisco Chronicle, 24 May 2007
http://www.sfgate.com/cgi-bin/article.cgi?f=/n/a/2007/05/24/state/n022304D32.DTL&hw=Iraq+missing+hometown&sn=001&sc=1000

- مجلة الفاينانشيال تايمز

Stephen Negus, call for Sunni state in Iraq, Financial Times, Oct 15, 2006
http://www.ft.com/cms/s/0/e239159e- 5c6a- 11db- 9c7e- 0000779e2340.html

- مجلة السوشيلست ووركر

Alex Callinicos, Anti- War Protests do make a Difference, Socialist Worker, 19 March 2005
http://www.socialistworker.co.uk/article.php?article_id=6067

- مجلة يو أس أي تودي

John Althouse, army Chief: Force to Occupy Iraq Massive, USA Today, 25/2/2003
http://www.usatoday.com/news/world/iraq/2003- 02- 25- iraq- us_x.htm

- يسري فوردة، برنامج سري للغاية – حلقات بعنوان الطريق الى سبتمبر، محطة الجزيرة، منشور على موقع اليوتيوب:http://www.youtube.com/watch?v=bM5yGıx1KUk

- وائل عواد، ظاهرة انتحار المزارعين في القرى الهندية، برنامج مهمة خاصة، قناة العربية، الخميس ١/٦/٢٠٠٦. منشورة أيضا على موقع المحطة:

http://www.alarabiya.net/programs/2006/06/04/24351.html#002

- صحيفة اللوموند

Par Laurent Zecchini, Le Monde, 5 Avril 1997, Heaven's Gate: Les ames perdues de la ported u paradis,

http://www.prevensectes.com/paradis1.htm

- صحيفة لا ويكلي

Joshuah Bearman, Heaven's Gate: The Sequel, LAWEEKLY, Mar 22, 2007

http://www.laweekly.com/2007- 03- 22/news/heaven- s- gate- the- sequel

- مجلة فورن بولسي

Nov 12 2009 Foreign Policy magazine, The failed States Index 2009

المنشور على موقعها الإلكتروني:

http://www.foreignpolicy.com/articles/2009/06/22/2009_failed_states_index_interactive_map_and_rankings

- محطة صوت أمريكا

Steve Herman, Sri Lanka Rebels Concede Defeat, Voice of America, 17 May 2009.

http://www.voanews.com/english/index.cfm

- مجلة ذي مدل ايست ريفيو

Emil Souleimanov, Chechnya, Wahhabism and the Invasion of Dagestan, The Middle East Review of International Affairs, Volume 9, No. 4, Article 4, Dec. 2005.

http://meria.idc.ac.il/journal/2005/issue4/jv9no4a4.html

- تقرير الديلي تلغراف في ٢٩ آذار ٢٠٠٢:

http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/israel/1389228/Hotel-blast- survivors- relive- the- Passover- massacre.html

- صحيفة النيوزويك

Lennox Samuels, Al Qaeda Nostra, The Newsweek, May 21, 2008

http://www.newsweek.com/id/138085

- صحيفة الصنداي هيرالد

Neil Mackay, Revealed: The Secret Cabal Which Spin for Blair, Sunday Herald, June 8, 2003

http://findarticles.com/p/articles/mi_qn4156/is_20030608/ai_n12583062

- صحيفة مكلاتشي

Leila Fadel, Iraqi Military Orders Sadr City Residents to Evacuate, McClatchy Newspaper, May 8, 2008,

http://www.mcclatchydc.com/iraq/story/36436.html

- صحيفة مكلاتشي

Nancy A. Youssef, Despite Drop in Violence, Pentagon Finds Little Long- term Progress in Iraq, McClatchy Newspaper, Dec. 18, 2007

http://www.mcclatchydc.com/iraq/story/23386.html

- Rob Ferguson, Chechnya: The Empire Strikes Back, International Socialism Journal, Isse 86, Spring 2000.

http://pubs.socialistreviewindex.org.uk/isj86/ferguson.htm

- مجلة كانبيرا تايمز

The Canberra Times, Woman set up rapes to recruit 80 suicide bombers, 5 Feb 2009,

http://www.canberratimes.com.au/news/local/news/general/woman- set- up- rapes- to- recruit- 80- suicide- bombers/1425374.aspx

- صحيفة هيرالد صن

HeraldSun, Iraqi Woman had 80 women raped to recruit suicide bombers, Feb. 4, 2009,

http://www.heraldsun.com.au/news/world/mum- had- 80- raped- for- bomb- mission/story- e6frf7mf- 1111118752001

- صحيفة التايمز

Hal Bernton, Watada Won't be retired on 3 of 5 counts, The Seatle Times, Oct 22, 2008,

http://seattletimes.nwsource.com/html/localnews/2008295492_watadaruling22m.html

- مجلة ناشينال ريفيو

David Bar- Illan, Rain of Terror- Israeli Politics, National Review, March 06, 1995

http://findarticles.com/p/articles/mi_m1282/is_n4_v47/ai_16662273/pg_2

- هيئة الإذاعة البريطانية في ١٨ نوفمبر ١٩٧٨ بعنوان 1978: Mass Suicide leaves 900 dead, منشور على موقعها الإلكتروني:

http://news.bbc.co.uk/onthisday/hi/dates/stories/november/18/newsid_2540000/2540209.stm

- تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية بعنوان Conductor cleared of cult deaths منشور على موقعهم

http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/1406870.stm

- هبة صالح، تقرير بعنوان Mixed response from Arab world هيئة الإذاعة البريطانية، ١١ سبتمبر ٢٠٠١ منشور على موقع الهيئة: http://news.bbc.co.uk/2/hi/americas/1538861.stm.

- تقرير هيئة الإذاعة البريطانية في ٢٩ مارس ٢٠٠٠ بعنوان Quiet Cult's Doomsday Deaths:

http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/683813.stm

- تقرير هيئة الإذاعة البريطانية في ٢٩ مارس ٢٠٠٠ بعنوان The Preacher and the Prostitute منشور على موقع الهيئة: http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/694729.stm .

- هيئة الإذاعة البريطانية، تقرير بعنوان Blast kills Sri Lankan Minister

http://news.bbc.co.uk/2/hi/south_asia/7332952.stm

- هيئة الإذاعة البريطانية، تقرير بعنوان 1991: Bomb Kills India's Former Leader Rajiv Gandi

http://news.bbc.co.uk/onthisday/hi/dates/stories/may/21/newsid_2504000/2504739.stm

- هيئة الإذاعة البريطانية تقرير بعنوان World: South Asia Sri Lanka assassination plot منشور في ٢٧ تموز ١٩٩٨ http://news.bbc.co.uk/2/hi/south_asia/140084.stm.

- هيئة الإذاعة البريطانية Neil Arun, Women Bombers Brea ‹ New Ground, BBC News, 15 Non. 2005,

http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4436368.stm

- تقرير لهيئة الإذاعة البريطانيةhttp://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/1658443.stm .

- هيئة الإذاعة البريطانية The BBC NEWS, Terror Blast Rock Casablanca, 17 May 2003,

http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/3035803.stm

- هيئة الإذاعة البريطانية

The BBC NEWS, Iraq Market Truck Bomb Kills 105, 7 July 2007,
http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/6279864.stm

- هيئة الإذاعة البريطانية

The BBC NEWS, Up to 200 Killed in Baghdad bombs, 18 April 2007,
http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/6567329.stm

- هيئة الإذاعة البريطانية

The BBC NEWS, Scores of Iraqi pilgrims Killed, 6 March 2007,

http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/6423633.stm

- هيئة الإذاعة البريطانية

The BBC NEWS, Iraq suicide bomb blasts kill 120, 5 Jan. 2006,

http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4583232.stm

- هيئة الإذاعة البريطانية D3 Systems for the BBC, Iraq Poll 2007.

http://news.bbc.co.uk/2/shared/bsp/hi/pdfs/19_03_07_iraqpollnew.pdf

- هيئة الإذاعة البريطانية

BBc World Service, World View of US Role Goes From Bad to Worse, 23 Jan. 2007
http://news.bbc.co.uk/2/shared/bsp/hi/pdfs/23_01_07_us_poll.pdf

- صحيفة ميامي هيرالد Miami Herald: Tens of Thousands of Iraqis Rally Against US,

http://www.miamiherald.com

- صحيفة وول ستريت جورنال

August Cole and Yochi J. Dreazen, Iraq Seeks F- 16 Fighters, The Wall Street Journal, Sept 5, 2008

http://online.wsj.com/article/SB122056503871901333.html.html

-International Food Policy Research Institute, Bt Cotton and Farmer Suicides in India, , Discusion Paper Oct 2008

- Captain Daniel Helmer, US army, Hezbollah's Employment of Suicide Bombing During the 1980's: The Theological, Political, and Operational development of a New tactic, Military Review, July- August 2006,

http://www.army.mil/professionalwriting/volumes/volume4/november_2006/11_06_1_pf.html

- Adnkronos International, Iraq: Leader of Hamas of Iraq and 1920 Brigades dead in mosque attack, 25 Sept 2007

http://www.adnkronos.com/AKI/English/Security/?id=1.0.1345669885

- Adnkronos International, Iraq: British Fleeing Claims al- Qaeda, 17 Dec 2005

http://www.adnkronos.com/AKI/English/Security/?id=1.0.1678520501

- مجلة الواشنطن منثلي

Andrew Tilghman, The Myth of Al Qaeda In Iraq, The Washington Monthly, Oct 2007.

http://www.washingtonmonthly.com/features/2007/0710.tilghman.html

- مجلة الشرق الأوسط الفصلية

Suleyman Demirel, Middle East Quarterly, Summer 1995

المواقع الإلكترونية والوزارات والمؤسسات الدولية ومراكز الأبحاث :

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Numantia#column- one#column- one

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Mass_suicide

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Masada

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Masada

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Jauhar

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Pil%C4%97nai
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Souli.
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Forty- seven_Ronin
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Puputan.
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Sepuku
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Kamikaze
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Demmin
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Peoples_Temple
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Order_of_the_Solar_Temple
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Knights_Templar
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Heaven%27s_Gate_(cult)
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Branch_Davidian
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Twin_Towers_Attacks
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Farmers%27_suicides_in_India
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Movement_for_the_Restoration_of_the_Ten_Commandments_of_God
- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Dehiwala_train_bombing
- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Central_Bank_bombing
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/1987_Mass_Suicide_of_Tamil_Tigers
- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/LTTE
- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Taliban

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/War_in_Afghanistan_(2001%E2%80%93present).

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://en.wikipedia.org/wiki/Hezbollah

- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Tyre_headquarters_bombings

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/1983_United_States_Embassy_bombing

- موسوعة ويكيبيدي http://en.wikipedia.org/wiki/1983_Beirut_barracks_bombingl

- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/1994_AMIA_bombing

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Chechen_suicide_attacks#Overview#Overview

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية

http://en.wikipedia.org/wiki/Chechen_suicide_attacks#Overview#Overview

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Kurdistan_Workers_Party#Origin#Origin

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Kurdistan_Workers_Party#Origin#Origin

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Timeline_of_the_Turkey%E2%80%93Kurdistan_Workers_Party_conflict#2008#2008

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Israeli- Palestinian_conflict

- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Arab- Israeli_conflict

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Islamic_Jihad_Movement_in_Palestine#history_and_background#history_and_background

- موسوعة ويكيبيديا:

http://en.wikipedia.org/wiki/Popular_Front_for_the_Liberation_of_Palestine#History_of_the_PFLP#History_of_the_PFLP

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/2003_Casablanca_bombings#The_bombings#The_bombings

- موسوعة ويكيبيديا باللغة العربية

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9

- موسوعة ويكيبيديا، http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_attack

- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_attack

- موسوعة ويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_suicide_bombings_in_Iraq_since_2003

- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Jama%27at_al- Tawhid_wal- Jihad

- موسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/Mujahideen_Shura_Council_(Iraq).

- موسوعة ستانفورد Stanford Encyclopedia of Philosophy, Suicide,

http://plato.stanford.edu/entries/suicide

- الموسوعة اليهودية Kaufmann Kohler, Zealots, Jewish Encyclopedia.com,

http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=49&letter=Z&search=zealots

- الموسوعة البريطانية

http://www.britannica.com/EBchecked/topic/316162/Khalji- dynasty

- الموسوعة البريطانية Britannica Online Encyclopedia, Denpasar,

http://www.britannica.com

- Donna L. Hoyert and others, National Vital Statistica Reports, CDC, Volume 54, Number 13, April 19, 2006

http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr54/nvsr54_13.pdf

- تقرير لمنظمة الصحة العالمية صادر في ١٠ أيلول ٢٠٠٨ بعنوان اليوم العالمي لمكافحة الانتحار ٢٠٠٨ منشور على موقع المنظمة

http://www.who.int/mental_health/prevention/suicide/wspd_2008_statement.pdf.

- منظمة مكافحة الانتحار، تقرير عن معدلات الانتحار من ١٩٥٠ - ٢٠٠٣

http://www.suicide.org/suicide- statistics.html

- نصر المجالي- عمان، قصة تجنيد الزرقاوي، موقع إيلاف،

http://www.elaph.com/ElaphWeb/AkhbarKhasa/2005/7/76980.htm

- نشأت المندوي، دمعة عرس لشهيد العراق، موقع إيلاف، ٣ فبراير ٢٠٠٥،

http://www.elaph.com/AsdaElaph/2005/2/38156.htm

- موقع

Religious Tolerance, Ontario Consultants on Religious Tolerance, Suicide: Bible passages dealing with suicide,

http://www.religioustolerance.org/sui_bibl.htm

- مختار نزار الصفاقسي، انتحار العقرب خرافة وأسطورة شرقية، موقع مشروع البيوماب- قطاع حماية الطبيعة- وزارة الدولة لشؤون البيئة في ٢٨ مارس ٢٠٠٧:

http://www.zone.biomapegypt.org/hiaa/showthread.php?t=133

- موقع العنان الإلكتروني: http://www.alanan.net/vb/showthread.php?t=18087.

- Religion Facts, Euthanasia and Judaism: Jewish Views on Euthanasia and Suicide,

http://www.religionfacts.com/euthanasia/judaism.htm

- موقع Jayaram V. Hinduism and Suicide, Hindu Website,

http://www.hinduwebsite.com/hinduism/h_suicide.asp

- موقع

Holology website, department of Research, Mass Suicide,

http://www.holology.com/suicide.html

- Balisunset, Battle of Numantia 134- 133 BC, Hubpages website,

http://hubpages.com/hub/Battle- of- Numantia- 134- 133- BC

-Steven Langfur, Masada and the first Jewish revolt against Rome, Near East Tourist Industry, 2003

- الجامعة العبرية

Nachman Ben Yehuda, The Masada Myth, Hebrew University, Jerusalem, Published on the Bible and Interpretation Website:

http://www.bibleinterp.com/articles/masadamyth1.shtml

- Denpasar Government Municipality Tourism Office, History of Pupatan Badung, 13 Dec 2008.

http://www.balivision.com/dpsmun/aboutdenpasar.

- دراسة منشورة على موقع Mailonline بعنوان Stalin's army of rapists: The brutal war crime that Russia and Germany tried to ignore, Andrew Roberts, 24 Oct 2008,

http://www.dailymail.co.uk/news/article- 1080493/Stalins- army- rapists- The- brutal- war- crime- Russia- Germany- tried- ignore.html

- موقع The Religious Tolerance

http://www.religioustolerance.org/dc_solar.htm

- Ross, A. Rick, Solar Temple Suicides, Cult Education & Recovery, Sept 1999,

http://www.culteducation.com

- الموقع الإلكتروني hology

http://www.holology.com/suicide.html

- بيان مجلس الناتو في ١٥ سبتمبر ٢٠٠١ منشور على موقع المجلس:

http://www.nato.int/docu/pr/2001/p01- 124e.htm

- الموقع الإلكتروني لجماعة بوابة السماء http://www.heavensgate.com/

- تقرير مكتب مدير المخابرات القومية الأمريكية Office of the Director of National Intelligence وعنوانه سيرة حياة المعتقلين منشور في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٩ على موقعهم:

http://www.webcitation.org/query?url=http%3A%2F%2Fwww.odni.gov%2Fannouncements%2Fcontent%2FDetaineeBiographies.pdf+&date=2009- 08- 31

- موقع :bio True Story

http://www.biography.com/profiles- of- 9- 11/about911.jsp

- National Commission on Terrorist attacks upon the United States, 9/11 commission report, 2004,

http://www.gpoaccess.gov/911/pdf/fullreport.pdf

- P. Sainath, Farm Suicides worse after 2001- Study, The Hindu, Nov. 13 2007

http://www.hindu.com/2007/11/13/stories/2007111352250900.htm

- موقع مؤسسة الأرض الخضراء للتنمية الاجتماعية:

http://greenearthconsulting.org/Articles/GreenEarth%20report%20on%20Impact%20of%20Relief%20Packages%20on%20farmers%20suicides%20in%20Vidarbha.pdf

- منظمة مراقبة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة:

Human Rights Watch, Sri Lanka: New Killings Threaten Ceasefire, July 26, 2004

http://www.hrw.org/en/news/2004/07/26/sri- lanka- new- killings- threaten- ceasefire

- موقع Denver Mile High Holidays:

http://cbs4denver.com/national/sri.lanka.Tamil.2.1018033.html

- موقع University Teachers for Human Rights, Jaffna, Sri Lanka

http://www.uthr.org/BP/volume1/Chapter6.htm

- وحدة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة United Nations Mission to Afghanistan, Human Rights Unit, Afghanistan, Mid Year Bulletin on Protection of Civilians in armed Conflict, 2009.

http://unama.unmissions.org/Portals/UNAMA/human%20rights/09july31-UNAMA- HUMAN- RIGHTS- CIVILIAN- CASUALTIES- Mid- Year- 2009-Bulletin.pdf

- تقرير مكتب منظمة الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة والمخدرات في ٢٠٠٧ منشور على موقع المنظمة:

http://www.unodc.org/pdf/research/AFG07_ExSum_web.pdf

- تقرير منظمة حقوق الإنسان في نوفمبر ١٩٩٨ بعنوان Afghanistan, The massacre in Maza- e- Sharif, Incitement of Violence Against Hazaras by Governor Niazi.

http://www.hrw.org/legacy/reports/reports98/afghan/Afrepor0- 03.htm

Perspective, Department of Mental Health and Substance Dependence, World Health Organization, Geneva, Switzerland, 2009

- تقرير وزارة التجارة الأمريكية US Commerce Department, Maps and Charts of Iraqi Oil Fields, March 5 , 2002

http://www.judicialwatch.org/iraqi- oil- maps.shtml

- تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن ممارسات حقوق الأنسان في جنوب آسيا- أفغانستان- صادر في ٢٠٠١ منشور على موقع الوزارة:

http://www.state.gov/g/drl/rls/hrrpt/2001/sa/8222.htm

- معهد الدراسات الاستراتيجية Sherifa Zuhur, Hamas and Israel, Conflicting Strategies of Group- Based Politics, Strategic Studies Institute, US Army,

http://www.strategicstudiesinstitute.army.mil/Pubs/Display.Cfm?pubID=89
4

- مركز مكافحة الإرهاب Overview of Letter from Ansar Al- Sunna to Abu Hamza Al- Muhajir, Combatting Terrorism Center, United States Military Academy.

- موقع about.com

Pierre Tristan, History of the Taliban: who they are what they want?

http://middleeast.about.com/od/afghanistan/ss/me080914a.htm

- منشورات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية The World Factbook, Lebanon

https://www.cia.gov/library/publications/the- world- factbook/geos/le.html#People

- موقع Pagina12 بالأسبانية:

http://www.pagina12.com.ar/diario/elpais/1- 81353- 2007- 03- 07.html

- تقرير لصندوق الطفولة التابع للأمم المتحدة في ١ أيلول ٢٠٠٥ منشور على موقعهم:

http://www.unicef.org/ceecis/media_2753.html

- تقرير وزارة الخارجية الأمريكية US Department of State, Beslan School Massacre one Year Later, Aug. 31 2005

http://www.state.gov/documents/organization/45313.pdf

- موقع Groskop. Viv, The woman with death at their fingertips- martyrs or victims? News.scotsman.com, published 5 Sept 2004.

http://news.scotsman.com/beslanschoolsiege/

The- women- with- death- at.2561572.jp

- جامعة كاليفورنيا Johanna Nichols, Who are the Chechen? University of California, Berkeley, 15/9/2006.

http://web.archive.org/web/20060915080123/http://socrates.berkeley.edu/~bsp/caucasus/articles/nichols_1995- chechen.pdf

- موقع بولو Robert Chenciner, Russia's Splitting Headache- A Brief History of Chechnya, 6th May 2005

http://polosbastards.com/pb/brief- history- of- chechnya/

- موقع NET NEWS

Aaron Klein, Egyptian Forces aided Suicide Bombing? Net News.com, 31/01/2007
http://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L- 3359269,00.html

- منظمة دعم ضحايا الهجمات الإرهابية في روسيا

L. Burban and others, NORD- OST; Invistigation Unfinished: Events, Facts, Conclusions, Regional Public Organization for Support of Victims of Terrorist Attacks, Moscow, 2006.
www.pravdabeslana.ru/nordost/dokleng.doc

- Ulkumen Rodoplu and Others, Terrorism in Turkey, Special Report,
http://pdm.medicine.wisc.edu/18- 2pdfs/new152RodopluTurkey.pdf

- مؤسسة دراسات الشرق الأوسط والبلقان John Pike, A Case Study of the PKK in Turkey, Foundation for Middle East And Balkan Studies, May 21, 2004,

http://www.fas.org/irp/world/para/pkk.htm

- المعهد الكردي في باريس Kendal Nezan, A Brief Survey of the History of the Kurds, Kurdish Institute of Paris, 11 Nov 2009,

http://www.institutkurde.org/en/institute/who_are_the_kurds.php

- معهد الدراسات الاستراتيجية Debra D. Zedalis, Female Suicide Bombers, Strategic Studies Institute, US Army War College, 2004

http://www.strategicstudiesinstitute.army.mil/pubs/display.cfm?pubID=408

- تقرير لمنظمة العفو الدولية بعنوان Israel and Occupied Territories and the Palestinian Authority; Without distinction- attacks on civilians by Palestinian armed groups,

منشور على موقع المنظمة: http://www.amnesty.org/en/library/info/MDE02/003/2002.

- الموقع الإلكتروني الرسمي لحركة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين http://www.pflp.ps/arabic.

- تقرير وزارة الخارجية الأمريكية المنشور في ١١ أكتوبر ٢٠٠٥ بعنوان Foreign Terrorist Organizations FTOS على موقعها الإلكتروني:

http://www.state.gov/s/ct/rls/other/des/123085.htm

- جامعة ديوك Duke University News & Communications, Bombed Israeli Bus on Display at Duke Oct 12- 13

http://www.dukenews.duke.edu/2004/10/bus19_1004_print.htm

- الموقع الإلكتروني لكتائب شهداء الأقصى http://www.kataibaqssa.com/newarab

-Holly Fletcher, Al- Aqsa Martyrs Brigade, Council on Foreign Relations, New York, April 2, 2008.

http://www.cfr.org/publication/9127/#4

- تقرير وزارة الخارجية الإسرائيلية عن تفجير مطعم مكسيم بعنوان MFA Archive 2000 2009 2004 Suicide Bombing Maxim Restaur. منشور على موقعهم www.israel- mfa.gov.il

- تقرير صادر عن وزارة الخارجية الإسرائيلية منشور على موقعها:

www.mfa.gov.il/MFA/Terrorism-%2BObstacle%2Bto%2BPeace/Palestinian%2Bterror%2Bbefore%2B2000

- موقع answers.com

http://www.answers.com/topic/hamas

- موقع منظمة الاتحادات اليهودية في أمريكا الشمالية:

The Jewish Federations of North America

http://www.jewishfederations.org/page.aspx?id=13169

- موقع APA NEWSLETTER

APA NEWSLETTER, International News, Suides in the Guarani Kaiowa tribe in Brazil,

http://www.sdnp.org.gy/apa/suicides.htm

- معهد متحف الإبادة الجماعية للأرمن The Armenian Genocide Museum Institute, National Academy of Sciences of the Republic of Armenia, Becoming Someone else... Genocide and kidnapped Armenian women.

http://www.genocide- museum.am/eng/online_exhibition_2.php

- تقرير لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان بعنوان A Face and A name: Civilian Victims of Insurgent Groups in Iraq منشور في ٢ ت١ ٢٠٠٥ على موقعهم

http://www.hrw.org/en/reports/2005/10/02/face- and- name

- تقرير Iraq Survey Group Final Report منشور على الموقع:

http://www.globalsecurity.org/wmd/library/report/2004/isg- final- report/isg- final-report_vol1_rsi- 06.htm

- إحصاءات مؤسسة Opinion Research Business البريطانية في ٨ ك٢ ٢٠٠٨ منشورة على موقعها
http://www.opinion.co.uk/Newsroom_details.aspx?NewsId=88
- تقرير: Richard Kerr, Thomas Wolfe and Others, Intelligence and analysis on Iraq: Issues for the Intelligence Community, 29 July 2004,
http://irrationallyinformed.com/pdfcollection/20040729_Kerr_Report.pdf
- The Jawa Report, Ansar Al- Sunna Murders Two Iraqis, Sept 18, 2007,
http://mypetjawa.mu.nu/archives/189420.php
- موقع جوجل Rebecca Santana, Iraq steps up security after blasts kill 155, Google News, Oct 26, 2009.
http://www.google.com/hostednews/ap/article/ALeqM5hwK_CSpBxsNuVUEaDuOwmSSCiqGwD9BJ1KT00
- موقع global security
http://www.globalsecurity.org/security/profiles/al- qaeda.htm
- موقع global security
http://www.globalsecurity.org/military/ops/iraqi_freedom.htm
- انظر خرائط عملية الغزو على الموقع
http://www.globalsecurity.org/military/ops/iraqi_freedom- ops- maps.htm
http://icasualties.org/oif/Province.aspx
- موقع Café Cordover
Café Cordover, AlQaeda Issues Ultimatum to Iran, July 9, 2007
http://cordover.blogspot.com/2007/07/al- qaeda- issues- ultimatum- to- iran.html
- تقرير وزارة الخارجية الأمريكية
US Department of State, Office of the Coordinator for Counterterrorism, Chapter 8- Foreign Terrorist Organizations, April 28, 2006
http://www.state.gov/s/ct/rls/crt/2005/65275.html
- تقرير وزارة الخارجية الأمريكية
US Department of State, Office of the Coordinator for Counterterrorism, Country Reports, Chaper 5: Middle East and Africa Overview, Apr. 26, 2006
http://www.state.gov/s/ct/rls/crt/2005/64344.htm
- المعهد العربي الأمريكي Zogby, James, Four Years Later: Arab Opinion Troubled by Consequences of Iraq War, Arab American Institute, Mar. 2007

http://www.aaiusa.org/page/- /Polls/2007_poll_four_years_later_arab_opinion.pdf

- منظمة مراقبة حقوق الإنسان

Human Rights Watch, iraq: Torture Continues at Hands of New Government, Jan. 24, 2005

http://www.hrw.org/en/news/2005/01/24/iraq- torture- continues- hands- new-government

- مؤسسة بارك Michael Kirk, The Dark Side, Frontline Series Home, Park Foundation, June 20 2006

http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/darkside/etc/script.html

- موقع Sidney Blumenthal, Salon, Bush Knew Saddam Had no Weapons of Mass Destruction, Sept 6, 2007

http://www.salon.com/opinion/blumenthal/2007/09/06/bush_wmd

- معهد العلوم والأمن الدولي David Albright, The CIA's Aluminum Tubes' Assessment: Is the Nuclear Case Going Down the Tubes? The Institute for Science and International Security, March 10, 2003.

http://www.isis- online.org/publications/iraq/al_tubes.html

- مجلس الأمن الدولي Report of Hans Blix, Executive Chairman of UNMOVIC to the Security Council, Jan. 27, 2003

http://www.iraqwatch.org/un/unmovic/unmovic- blix- 012703.htm

- البيان المشترك الروسي الألماني الفرنسي بشأن العراق في ١٠ شباط ٢٠٠٣

https://pastel.diplomatie.gouv.fr/editorial/actual/ael2/bulletin.gb.asp?liste=20030211.gb.html

- موقع مركز أخبار الأمم المتحدة: UN News Center, Decrying Violence in Iraq, UN Envoy Urges National Dialogue, International Support, 25 Nov. 2006,

http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=20726&Cr=Iraq&Cr1

- معهد الدراسات الحربية Commentaries: Operation Mother of Two Springs, Institute for the Study of war, Military Analysis and Education for Civilian Leaders, May 29, 2008,

http://www.understandingwar.org/commentary/operation- mother- of- two- springs

- وزارة الدفاع الأمريكية DoD News Briefing with Maj. Gen. salmon From Iraq, US Department of Defense, News transcript,

http://www.defenselink.mil/transcripts/transcript.aspx?transcriptid=4304

- موقع SAY WHEN

Bassem Mroue, Blackwater License Being Revoked in Iraq, SAY WHEN, Sept. 17, 2007

http://saywhen.wordpress.com/2007/09/17/blackwater- license- being- revoked- in- iraq/

- موقع مؤسسة Iraq Body Count

http://www.iraqbodycount.org

- موقع مؤسسة The Lancet

http://www.thelancet.com

- موقع مؤسسة Opinion Research Business

http://www.opinion.co.uk/Newsroom_details.aspx?NewsId=78

Abstract:

If one man's suicide is a tragic and puzzling event that compels serious self-reflection and analysis, then the suicide of a large group of people at one time and in one fell swoop requires more than just a cursory examination of the circumstances surrounding their deaths.

Suicide can be seen as the willful destruction of one's own life or as the ultimate expression of one's self- interest. It is considered a sin, an offense to its survivors and condemned by most laws, religions and social customs throughout the world. If killing oneself is an offense, then mass suicide is the most gruesome crime against humanity. Though it is a fairly unique phenomenon, many peoples have known such events throughout the history of mankind.

The first mass suicide event of recorded history was that of the Numantians in Spain in 133 B.C. This phenomenon would happen repeatedly in different regions and nations. What is chilling, however, is that this phenomenon has multiplied in recent years. It is not contrary to the truth to say that its number has doubled many times during the last 100 years. Part of the reason might be the increased ability to kill oneself easily, through devices intended specifically for this purpose. Additionally, communications technology allows for the greater influence on groups and individuals that might be vulnerable to the appeal of suicide.

During the last few decades, a new phenomenon has come into view – suicide bombing. Understanding this phenomenon is a vital factor in developing the counter tactics to prevent it, especially when we live in a world that abounds with human time bombs, ranging from those employed in the Israeli- Arab conflict to the wars in Iraq and Afghanistan. As most of the resistance and insurgent movements have used this tactic indiscriminately, so it has became an omnipresent threat to be well understood and countered. Countering such tactics will necessitate the development of new and innovative ways to undermine the religious, military and political logic of such a weapon.

This book contains 26 chapters, and deals with mass suicide operations recorded by history since the first event in 133 B.C. The total of these is 3٤. Any operation that includes more than 10 suicides is considered a mass suicide.

This book is a historic analysis of the major mass suicide operations known by mankind until the present day. It tries to uncover the background of these events and the factors that led to them, as well as suggest some ways to limit the future occurrence of such events.

Sadiq A.Traikhim
sadiqrikabi@yahoo.co.uk

المحتويات

المحتويات	الصفحة